رحلة ابن رشيد السبتي

أبي عبد الله محمد بن عمر

دراسة وتحليل

الدكتور أحمد حدادي

الجزء الأول

1424هـ / 2003م
منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمـــــة

إن موضوع هذا الكتاب هو البحث في الرحلة الموسومة بملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، وهي لصاحبها محب الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد السبتي الفهري.

وهذا البحث يتناول بالدراسة والتحليل ما جمعه المؤلف من القضايا والمسائل والروايات والسير وغير ذلك مما تيسر له اختياره وترتيبه من فنون العلم والمعرفة، وإثبات ذلك في رحلته، ويقصد هذا البحث أيضا إلى ترتيب تلك الفنون على شاكلة مخصوصة للتنبيه على أهم ما يوجد منها في الرحلة، وربط ذلك بالألوان المختلفة للثقافة والحضارة في العالم الإسلامي.

وإن هناك دوافع كثيرة حملتني على اختيار هذا الموضوع ومن ذلك:

1- إحياء التراث الإسلامي بعامة وبعث جانب من جوانب الثقافة المغربية والأندلسية بخاصة.

2- وبما أن هناك صلة وطيدة بين النتاج الفكري في المشرق وبين ما يؤلفه المغاربة ويبدعون فيه، فانه كانت تَحْصُل بذلك عملية مهمة من التأثر والتأثير، وقد أعطتنا رحلة ابن رشيد صورا كثيرة من هذا الجانب، ولهذا أردت أيضا إظهار بعض وجوه تلك المسألة في هذه الدراسة لتأكيد إبراز شخصية المغاربة والأندلسيين وعملهم في الثقافة الإنسانية بصفة عامة وفي فن الرحلة وكتابتها عندهم بصفة خاصة.

3- أن عصر ابن رشيد قدم لنا أشهر الرحلات وأخلدها وأوسعها انتشارا وذكرا كرحلة العبدري وأبي القاسم التجيبي وخالد البلوي وأبي عبد الله الوادي آشي وغيرهم، وقد طبعت كل هذه الرحلات إلا رحلة ابن رشيد التي لا تزال في حاجة إلى الدراسة والتحقيق العلميين للكشف عن أسرارها وتبيان فوائـــدها، مع العلم أن المؤلفين قد نوهوا بها قـــديما وحديثا، ولكن ذلك التنويه لا يجدي إلا إذا وضع النص بين أيدي الناس ليمحصوه بالدراسة والتحليل والمقارنة والنقد والتقويم.

4- ثم إن هناك دافعا قويا آخر وهو الرغبة في الاطلاع على كتاب موسوعي يشبع نهم طالب العلم في مختلف العلوم، فإذا كان هذا يشعرنا بان العــلوم على اختلافها متواصلة، ويعين بعضها بعضا، ويكمل بعضها الآخر، فلا ريب في أن رحلة ابن رشيد تستجيب لرغبة مختلف الدارسين ومطالبهم في هذا المجال.

لقد كانت تلك الأمور كلها دافعا لي على اختيار هذا الموضوع، وعاملا يحثني على الاستعداد لمجابهته والخوض فيه.

بعد اختيار هذا البحث موضوعا للدراسة أخذت أجمع كُلَّ مَا يتصل بابن رشيد وأخباره وما يتعلق برحلته، ولهذا جمعت تراجم مختلفة عنه، ونقلت أجزاء الرحلة الخمسة الموجودة أولا بخط يدي ثم صورتها بعد ذلك من أصلها بمكتبة الاسكوريال بمدريد ولما تبين لي انه فقد منها جزآن، وان في الأجزاء الموجودة ما هو مبتور، أخذت أبحث في أمهات الكتب وأنقب في المصادر والمراجع للعثور على المفقود واستكمال المنقوص، ولهذا كنت أجد مرة ترجمة ضائعة وأعثر مرة أخرى على نص شعري أو مسألة حديثية أو فقهية أو غير ذلك، وهكذا حتى اكتملت لدي الصورة عن الأجزاء الكاملة للرحلة، وتعرفت أشياء كثيرة ومهمة عن تلك الأجزاء المفقودة ولهذا وصلت المفقود بالموجود، وبعد ذلك انهمكت في قراءة الرحلة مرات عديدة بعد جمع المادة التي تتعلق بالنص الذي ينبغي دراسته، ثم أخذت أرتب المعارف الواردة في الرحلة، وكنت أرجع في ذلك إلى بعض الأصول القديمة التي كانت توضح لي كثيرا من المسائل، فمنها ما كان يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن الكريم، ومنها ما هو في الحديث النبوي الشريف ومنها ما هو في الفقه والأصول والتصوف والأدب شعره ونثره ونقده وبلاغته ومنها ما هو في النحو والعروض والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ثم إنني كنت أستعين بكتب المتأخرين الذين تناولوا بعض هذا الموضوع بالدراسة والتحليل.

وبعد أن توافرت لدي شروط صياغة الموضوع وتحريره اقترحت أن يكون دائرا على ستة محاور كبرى وهي:

1- الأحوال الفكرية في عصر ابن رشيد

2- التعريف بشخصية ابن رشيد

3- فهرست الشيوخ والأصحاب الذين لقيهم في الغرب الإسلامي والمشرق

4- الجوانب الأدبية و البلاغية والنقدية واللغوية في الرحلة

5- العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والأصول والزهد والتصوف وما يتصل بذلك.

6- معارف أخرى مختلفة كالفلسفة والمنطق والجغرافيا والتاريخ والمكتبات وما إلى ذلك.

وسنقتصر في الطبع على بعض هذه المحاور، وإنني أتوجه إلى أستاذي الفاضل المشرف الدكتور عبد السلام الهراس الذي له الفضل وكل الفضل، في تزويدي بنصائحه وإرشاداته ومعارفه وتقويمه ما سند من فهمي ورأيي، وهو الذي عرف لي هذه الرحلة ودلني على لزوم الاستعداد لمجابهة كثير من صور التحدي فيها، ثم عزمت وتوكلت على الله. وبعد ذلك أخذ يضيء طريقي بمصباحه المنير ليبدد ظلمات الأنفاق التي كانت تعترضني كلما شددت الرحال إليه لأملأ عيبتي بما أنعم الله عليه من سديد الرأي ومحض النصح وخالص الإرشاد وهو الذي لين لي عريكة الرحلة بعد ان كان طبعها شموسا، بل ان شخصيته قد اقترنت في ذهني بشخصية أولئك العلماء الأجلة الذين لقيهم ابن رشيد، فَمَنْزِلُهُ كمنزلهم ومكتبته كمكتبتهم وترحيبه بالطلبة الوافدين من شتى الآفاق كترحيبهم، أبقاه الله لنا ذخرا للعلم والعرفان ومثالا للخلق القويم.

كما أنني أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الجليلين الدكتور محمد بنشريفة والدكتور عباس الجراري الذين قبلا مناقشة هذه الرسالة، فهما اللذان نهلت من حياضهما، وجلست إلى حلقاتهما العلمية واستفدت من منهجيهما في دروس السلك الثالث، وعلى يديهما تعلمت طرق البحث والمباحثة ومسائل التنقيب والتنقير والتدقيق والترقيق والتدنيق، وهما اللذان صوبا لي ما وجد في هذا الرسالة من الهنات والاغاليط، وإنني أحمد الله حمدا كثيرا على تتلمذي على هذه الجماعة الخيرة من العلماء الذين وضع الله مقاليد الدراسات الأندلسية والمغربية أمانة في يدهم: الدكتور عبد السلام الهراس والدكتور محمد بنشريفة والدكتور عباس الجراري، حفظهم الله ورعاهم وأسبغ عَليهم نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة. آمين

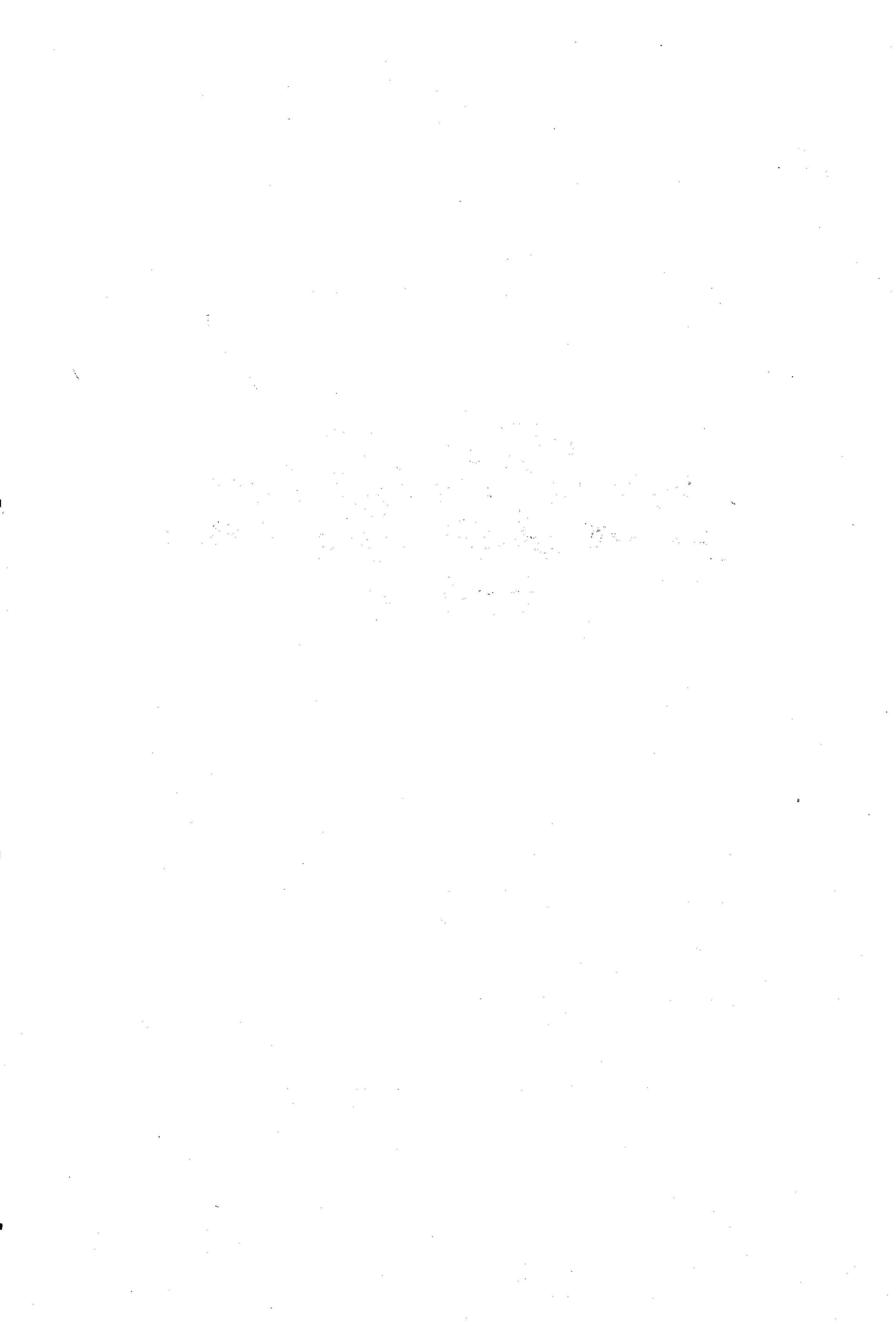
كما أتقدم بالشكر إلى كل من أمدني بيد المساعدة من الخلان الأوفياء والجهات المتعددة التي لا يتسع المجال لذكر ذلك كله.

تنبيه: وأنبه في الأخير إلى ان هذه الرسالة كنت قد هيأتها لأنال بها شهادة دبلوم الدراسات العليا سنة 1983، والحمد لله الذي لا تحصى نِعَمُهُ.

تمهيد

البيئة العامة للعالم العربي
من النصف الثاني للقرن السابع الهجري
إلى أوائل القرن الثامن

الفصل الأول
الأحوال السياسية والاجتماعية والعقدية والثقافية في عصر ابن رشيد



المجتمع الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري

إنَّ طبيعة مضمون رحلة ابن رشيد تفرض علينا إِلْقَاءَ نظرة موجزة عن الحالة العامة للعالم الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري، وليس هذا بغرض التأريخ لتلك الحقبة أو استقصاء أحوالها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ولكن لمعرفة الحالة العامة لها فحسب. إذ يكفي أن تكون الرحلة بمعارفها والأفكار التي تحتويها واتجاه العلماء والمفكرين الذين ترجم لهم فيها تعريفا بهذا المجتمع الذي اتسعت أطرافه وامتدت أرضه لتشمل ما بين المحيطين الأطلسي والهندي.

وبما أن الرحلة قام بها صاحبها ما بين سنتي 683 هـ و686 هـ فإن الأحداث الهامة آنئذ كان لها أسباب مهدت لها ونتائج تلتها وتمخضت عنها، مما يجعل تاريخها وضبطه وربطه بفترة معينة- أمرا غير ذي أهمية كبرى في هذه العُجَالَة.

1- الأحوال السياسية:

كانت الأندلس تجتاز مراحل صعبة من حياتها السياسية وتعيش أزمات متوالية لأن القواعد الرئيسة والمدن المهمة كانت تسقط تباعا في يد النصارى، إذ لا نكاد نصل إلى أواسط القرن السابع الهجري حتى وجدنا أن قرطبة وبلنسية ومرسية وشاطبة واشبيلية وغيرها من المراكز الكبرى قد أفل نجمها، ولم يبق منها إلا مملكة غرناطة التي ظلت قلعة تحمي ذمار العروبة والإسلام في بلاد الغربة.

وبعد المعركة الحاسمة بين الموحدين وبني مرين في أواخر 667 هـ، وانتصار المرينيين فيها، أصبح عملهم في حوادث الأندلس الداخلية والخارجية ظاهرا، فقد تحالفت مملكة غرناطة مع بني مرين وأخذت تستنصر بهم في كل مرة يداهمها العدو.[1]

ولما أخذ الطاغية الإسباني يهدد أمن المسلمين في الأندلس، هب يعقوب يحاربه بنفسه، وذلك بعد أن عقد السلم مع يغمراسن لدفع عاديته[2]،وقد تم له النصر سنة674هـ بعد أن اكتسح جل المدن الأندلسية، فاستولى على مالقة من يد اشقيلولة. وعندما

---

[1]: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية- لعلي بن أبي زرع ، دار المنصور 1972 ص: 159.
[2]: الاستقصا لأبي العباس بن خالد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء 1954. ج: 3 ص: 39.

اضطرمت نار الفتنة بين السلطان يوسف وبين ابن الأحمر ويغمراسن بين زيان احتل أسطول النصارى الزقاق وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وذلك سنة 677 هـ.

وفي سنة 678 هـ كانت حملات يعقــوب تتــرى إلى السوس، وفي نفس الوقت أخذ يعد العدة لمواجهة ابن الأحمر الذي اعتز بطاغيـــة النصارى.[1]

وفي سنة 680 هـ غزا يعقــوب ارض يغمراسن، فامتلأت أيدي بني مرين من نعم قومه. وفي هذه الأثناء أخذت كلمة النصرانية تتفرق بخروج شانجة على أبيه، ولهــذا أخـذ يضيـق الخناق على ابن الأحمر، فاشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 682 هـ، وبعد هذه السنة شمر يعقوب عن ساعد الجد فغزا مراكش والسوس وذلك سنة 683 هـ[2]. ثم توجه شطر الأندلس سنة684 هـ لتخريب أرض النصارى، فاقتحم مدينة شريش واشبيلية وجزيرة كيتور، واحتل الجزيرة الخضراء سنة 684 هـ بعد أن عزم العدو على احتلا ل الزقاق. ولما خرب معاقلهم طلبوا منه السلم والمهادنة.

ولما توفي المنصور سنة 684 هـ تولى بعده ابنه الناصر الذي تنازل عن جميع الثغور الأندلسية لابن الأحمر ما عدا الجزيرة ورندة وطريفا ووادي آش، وبهذا استمكن ابن الأحمر من وادي آش وحصونها ولم يبق له بالأندلس منازع. وبعد أن حدثت الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر استولى الطاغية على طريف بمعاونة ابن الأحمر الذي التزم له بالمدد والميرة حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح فصالحهم وذلك سنة 691 هـ[3].

وأما في شمال المغرب الأقصى فكان هناك مدينتان حصينتان مهمتان وهما طنجة وسبتة فأما طنجة فقد عرفت منازلة يعقوب المريني لها سنة 672 هـ، ولكن أهلها رفعوا اللواء الأبيض بعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر، ولما فرغ يعقوب منها بعث ولده الأمير يوسف إلى سبتة فحاصر بها بني العزفي إلى أن أعلنوا طاعتهم كذلك[4]. وقد عرف العزفيون بضبط أمور سياستهم وحماية شواطئ البلاد في وقت عصيب جدا وهو فترة

---

[1]: تاريخ بن خلدون ط: بولاق 1391- 1971 ج: 3 ص: 204.

[2]: نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك- لعبد العزيز الملزوزي. المطبعة الملكية 1382- 1963.

[3]: الاستقصا ج: 3 ص: 71.

[4]: نفسه ج: 3ص: 35.

انتقال الملك من الموحدين إلى بني مرين الذين دخلوا في طاعتهم أيام يعقوب ولكن عندما غدر ابن الأحمر بهم نقلهم إلى حضرة غرناطة، ثم ما لبثوا ان استقروا بفاس في عهد أبي الربيع سليمان ثم ردهم أبو سعيد إلى سبتة بعد ذلك[1].

أما في المغرب الأوسط فنجد اختلاف عمال الولايات الجزائرية على الحكومة المركزية وتعاقبهم عليها، وقد قاموا بوقائع عدة لأخذ البيعة لأنفسهم والاستبداد بالملك، ومن أجل ذلك اختلطت الخطوط والتخوم المرسومة لمملكة الجزائر الحفصية[2].

وكان عمر بن منديل قد تمكن من مليانة من سنة 668 هـ إلى 676 هـ، واستقل ثابت ابنه برئاسة مغراوة واسترجع بلاد تونس ومليانة من يد يغمراسن سنة 681 هـ ثم قام بعده، ابنه عثمان فانتفضت عليه تونس ثم توجه بالغزو إلى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم، وغلب ثابت على مازونة واستولى عليها إلى ان زحف عليها عثمان سنة 693 هـ[3].

وفي الوقت الذي كان يزور ابن رشيد هذه المنطقة كان يجري انفصال الجزائر عن الحكومة المركزية، فقد هناك تنافس بين الحاجب أبي الحسن بن سيد الناس وأبي عبد الله الفازازي لنيل الحظوة عند السلطان، وكان أهل بجاية في اضطراب ونزاع، ولهذا لما علموا بنية أبي زكرياء بادروا إلى تقديم بيعتهم إليه، فاحتل بجاية سنة 684 هـ. وبايعه أهل مدينة الجزائر ثم أصبحت المملكة الحفصية مجزأة إلى الغرب الذي يتمثل في قسنطينة وبجاية وإلى الشرق الذي هو تونس، وقد استمر هذا إلى حين 694 هـ[4].

وأما في افريقية فكان النزاع قائما بين أبي اسحاق الحفصي وابنه أبي فارس الذي خذله أنصاره ثم انهزم، ولما بلغ أمره إلى بجاية اضطرب أهلها وقدموا عليهم محمد بن السيد قائما فيهم بطاعة ابن أبي عمارة الذي أدعى لنفسه الملك، ولما دخل أبو حفص تونس قبض على ابن أبي عمارة فقتله. ولما دخل أبو زكرياء الحفصي قسنطينة وبجاية سنة

---

[1]: نفسه ج: 3 ص: 113.
[2]: تاريخ الجزائر العام- لعبد الرحمان بن محمد الجيلالي- الجزائر 1955.
[3]: ابن خلدون ج: 7 ص: 211.
[4]: تاريخ الجزائر ج : 2 ص: 19- وابن خلدون ج : 7 ص: 310.

684 هـ ضاق أهل الحضرة التونسية ذرعا بمكان الأمير أبي زكرياء وامروا يغمراسن بالزحف على بجاية سنة 685 هـ ولكنه وجدها أطلالا[1].

وقد كان شمال افريقية في هذه الآونة يعيش أحداثا متشابهة ويَتَخَبّطَ في مشاكل متشابكة ومعقدة، يفتقر فيها الناس إلى سلطة مركزية قوية تستطيع ان تفرض سلطانها على كل من تسول له نفسه أن يشق وحدة الدولة الإسلامية، ولهذا لما دخل صاحب طنجة أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني في طاعة أبي القاسم العزفي مدة انتقض عليه بعد مضي سنة من طاعته، فاستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه بعد ذلك وسلك في طنجة مسلك العزفي بسبتة[2].

ولم تكن طرابلس في هذه الأثناء بمنأى عن هذه الأحداث الجسام، فمنذ أن نازل الفرنسيون مدينة تونس سنة 668 هـ وهذه المنطقة تعيش جو الرهبة والخوف بسبب القراصنة المبثوثين في وسط البحر وفي الثغور، وقد أشار ابن رشيد في رحلته إلى أنه لما أزمع على الرحيل من طرابلس هو وصحبه أشار عليهم أبو محمد عبد الوهاب بن أبي الحسين بن عبد السيد الطرابلسي بعدم السفر في الجفن الصغير إلى أن يأتي مركب كبير من الإسكندرية لانه بلغهم ان العدو (قصمه الله) ظهر في البحر[3].

وأما في الشرق العربي فإننا نصادف في هذه الحقبة محاولات القضاء على الخلافة العباسية، وذلك بعد اجتياح التتار والمغول مدينة بغداد. فقد كان المماليك يقيمون دولتهم في مصر ويبسطون سيطرتهم على الشام والحجاز، وكانوا في أثناء النصف الثاني من القرن السابع الهجري يتوالون في حكمهم على عهد السلطان الناصر محمد: ومن هؤلاء المماليك(إيبك 648 هـ) و(ابنه علي 655 هـ) و (قطز 657 هـ) و(بيبرس 658هـ) و(بركة خان بيبرس 676 هـ) و(سلامش بن بيبرس 678 هـ) و(قلاوون 679 هـ) و(خليل بن قلاوون 689 هـ) و(الناصر محمد بن قلاوون693 هـ)

---

[1]: ابن خلدون ج: 6 ص: 303.. والمؤنس في أخبار افريقيا وتونس لابن أبي دينار تونس 1387 ص: 138- 140.

[2]: الاستقصا ج: 3 ص: 34.

[3]: رحلة ابن رشيد ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة: الرحلة 3/6 وكتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس 136- 137.

و(كتبغا 694 هـ) و(لاجين 696 هـ) و(محمد بن قلاوون للمرة الثانية 698 هـ) و(بيبرس الجاشنكير 708 هـ) و(محمد بن قلاوون للمرة الثالثة 909 هـ741 هـ).

وبالرغم من جو القلق وعدم الاستقرار الذي كان يسود عهد المماليك أن لهم الفضل الكبير في وضع الحد للحملات الصليبية وإيقاف خطرها. ويعتبر عصر محمد بن قلاوون الذي امتد فترة طويلة من أزهى عصور دولة المماليك البحرية إذ استقرت الأمور السياسية في عهده استقرارا ساعده على تنفيذ كثير من المشاريع ولكن ما أن جاء بعده أولاده حتى أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة المملوكية لينخر عظمها.[1]

ومن خصائص سياسة دولة المماليك أيضا أنهم كانوا يتناسون أحقادهم والخصومات بينهم ليوجهوا كل طاقاتهم الدفاعية إلى عدوهم، وذلك خلافا لما كان عليه الحال في عهد الايوبيين الذين كانوا ينشغلون كثيرا بحروبهم الداخلية[2].

ولا ينبغي أن ننسى كذلك حدثا هاما في سياسة الشرق، وهو وصول رسل أحمد بن هولاكو، بانه استقر في المملكة، إلى بغداد والشام ومصر، وكان أول ما فعله بناء المساجد والجوامع وإقامة الشرع الشريف على ما كان في زمن الخلفاء[3]. في حين كان أبناء هولاكو الآخرون تنتشر جنودهم في الأرض لغزو الارمن والروم والشام وخراسان ومصر، وكانت لهم وقائع مشهورة مثلما حدث لهم مع الظاهر صاحب مصر الذي هزمهم شر هزيمة وذلك سنة 681. ثم أنه نشبت حروب كثيرة بين المغول أنفسهم كما حدث بين تكدار بن هولاكو وبين ارغو بن ابغا بن هولاكو مما يدل على اضطراب سياسة هذه الدولة[4].

ويظهر من خلال هذه النبذة المختصرة أن العالم العربي الإسلامي كان يعيش مرحلة انتقالية مهمة وخطيرة، وهي مرحلة يقظة العدو في أوربا وطرد المسلمين من أراضيه وإخماد جذوة الدين والعلم والثقافة هناك، ثم انها كانت مرحلة عدم استقرار في الغرب الإسلامي ومشرقه، وذلك ما كان يعانيه من الحروب الدامية والفتن بين المسلمين وانتقال

---

[1]: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني – لعلي إبراهيم حسن ص: 168.
[2]: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي- القاهرة 1934 ج: 1 ص: 884.
[3]: شذرات الذهب فيه أخبار من ذهب لأبي الفلاح ابن العماد الحنبلي بيروت ج: 5 ص: 370.
[4]: ابن خلدون 5/546- 548.

الحكم من شخص إلى آخر، ولهذا لابد من أن يكون لذلك كله انعكاسات ملحوظة على الميادين الأخرى من الناحية الاجتماعية والفكرية بصفة عامة.

2- الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

بعدما سقطت جل المدن الأندلسية في يد النصارى أصبح شمل المجتمع الإسلامي ممزقا شر تمزيق، وذلك بالرغم مما أبداه من المقاومة الباسلة للعدو. وكانت الأسر المسلمة الكريمة تؤثر الهجرة إلى أرض الإسلام على التدجن والبقاء تحت سلطان النصارى. ومع أن المدجنين كانوا يتمتعون بنوع من الرخاء والأمن في أول الأمر فان الكنيسة أبغضتهم في الأخير وأصدرت قرارا ضدهم لاسترقاقهم وتنصيرهم. وفي أواسط القرن السابع الهجري صارت غرناطة تعج بالوافدين عليها من شتى أنحاء مدن الأندلس[1].

وأما من الناحية الاقتصادية في الأندلس فان العنصر العربي فيها كان نشيطا لأنه كان قائما بشؤون العلم والفن والمهن، والعرب هم الذين وضعوا أسس الصناعة الإسبانية حتى اشتهرت كل مدينة بالأندلس بصناعتها الخاصة[2].

أما في المغرب فكانت الحالة الاقتصادية متدهورة وذلك بسبب انتشار الجراد والقحط الشديد والريح الشرقية المتوالية الهبوب والمجاعة الشديدة والوباء العظيم، وقد عم ذلك بلاد المغرب وافريقية ومصر[3]، حتى صار العالم الإسلامي يعاني من هذه الأزمة التي تضافرت فيه الأحوال السياسية الرديئة والأحوال الاجتماعية والاقتصادية القلقة حتى كانت وسائل الحياة في المشرق عسيرة جدا وذلك بسبب كثرة الحروب بين المسلمين والصليبيين والتتار من جهة وبين المسلمين بعضهم بعضا من جهة أخرى، وكذلك ما كان يصدر من الحكام من الظلم ونهب أرزاق الناس وارتفاع الأسعار وكثرة الضرائب[4].

---

[1]: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين- لمحمد عبد الله عنان ط: 3- 1386، 1966 ص: 49، 56.
[2]: نهاية الأندلس ص: 63.
[3]: الانيس المطرب بروض القرطاس- لأحمد بن عمر بن أبي زرع – دار المنصور 1972. الحوادث ما بين 677- 693 هـ ثم الاستقصا ج: 3 ص: 88- 90 وشذرات الذهب ج:5 ص: 428.
[4]: السلوك ج: 1، 437.

وفي الوقت الذي كان فيه ابن رشيد في مصر والشام كانت الحروب شديدة بين المسلمين وأعدائهم، ففي سنة 684 هـ كان فتح المرقب وغيره من القلاع بالساحل[1]. وفي سنة 685 هـ استولى المنصور قلاوون على الكرك وانتزعها من الملك المسعود[2] وحين كان يأخذ فيه السلطان الكرك من الملك ابن الظاهر كان الفرنج يحتلون مدينة ميورقة ويأسرون أهلها إلا من وزن عن نفسه سبعة دنانير[3] وهكذا كانت الحروب شاملة العالم الإسلامي شرقيه وغربيه.

3- الأحوال الدينية والعقديـة .

بعد أن خرج المذهب المالكي من محنته في عهد الموحدين وجد نفسه قويا في عهد المرينيين، فقد كان الأندلسيون والمغاربة يقومون بأكثر رحلاتهم إلى الحجاز الذي كان دار عِلْمٍ وثقافة آنئذ، ولهذا كانوا يتأثرون في الغالب الأغلب بمذهب أهل المدينة، وينهلون من فقه مالك الذي كان له الفضل الكبير على أهل المغرب والأندلس، فقلدوه دون غيره، ثم أخذ يتجدد فيهم باستمرار[4].

ونجد في رحلة ابن رشيد إشارات متفرقة إلى بعض المذاهب الشائعة الأخرى في هذا العهد كمذهب الشافعي والمذهب الحنفي ومذهب داوود الظاهري وابن حنبل ومحمد بن الحسن[5].

ويتجلى لنا الصراع بين تلك المذاهب من خلال ما كتبه ابن رشيد في حائط قبر الإمام الشافعي من شعر أبي الحكم ابن المرحل. (الرمل)

لا تخالف مالكا في رأيه ** فَبِهِ يأخذ أهل المغرب

---

[1]: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن ابن تغري بردي ط: القاهرة 1348- 1929 ج: 1 حوادث 684.
[2]: النجوم الزاهرة ج: 1 حوادث 685.
[3]: دول الإسلام للحافظ شمس الدين أبي عبد الله ج: 1 ص: 144 حوادث 685 وابن أبي زرع حوادث 685.
[4]: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري ط:1 الدار البيضاء 1396- 1976 ص: 24.
[5]: انظر دراسة الرحلة.

إذ في ذلك إشارة إلى عدم مخالفة مالك في رأيه[1] لأنه كان لا يعتمد على الرأي والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل[2]. أما علاقة المسلمين بغيرهم من الناحية العقدية فإننا نعرف أن المستنصر كان قد عقد معاهدة مع النصارى لممارسة الرهبان والقساوسة المسيحيين شعائرهم الدينية في الكنائس والأديرة[3].

وأما الحياة الدينية في المشرق فكانت أكثر تعقدا وتشابكا، فقد كانت تتصارع فيه الطوائف والفرق المتعددة والأهواء المتضاربة، فزيادة على أن أكثرهم مسلمون فان فيهم من كان يعتنق اليهودية والمسيحية، ثم إن المسيحيين كان فيهم اليعاقبة والملكانية، وأما اليهود فكانوا قرائين وربانيين، وأما المسلمون فكان فيهم السنيون والشيعة وفرقها المتعددة والشافعيون والمالكيون والحنابلة والحنفيون[4].

وفي الرحلة أيضا تصوير لبعض تنازع تلك التيارات[5].

وينبغي أن نعرف أن تلك المذاهب كان يطبع أهلها النقاش والجدل في كثير من المسائل الفقهية والفكرية وذلك بحكم تعقد المجتمع وتنوع طبقاته واختلاف نزعاته ومشاربه ولهذا كثرت المناظرات والمعارك العقدية والفكرية كمناظرات ابن تيمية[6]، ثم ان هذا المجتمع المعقد كانت تختلط فيه الأجناس المتعددة بحكم اتساع رقعته التي كانت تضم مصر والشام والعراق والحجاز، وكان العلماء ينتقلون فيه بحرية، فمنهم من كان يتبع طريقا صوفية ومنهم من كان يتوق إلى الإصلاح والتجديد، ومنهم من كان يميل إلى التقليد ويتشدد فيه.

4- الأحوال الفكرية في بعض المراكز الثقافية:

لو القينا نظرة على المراكز الثقافية التي زارها ابن رشيد لرأينا أنها كثيرة ومتنوعة وموزعة على جميع أقطار العالم الإسلامي، ومن أهمها:

---

[1]: الرحلة ج: 5 ص: 77.
[2]: وحدة المغرب المذهبية ص: 24.
[3]: تاريخ الجزائر العام ج: 2ص: 33.
[4]: المقريزي 440/1.
[5]: الرحلة ج: 3/ 58 ترجمة ابن دقيق العيد، نلاحظ الصراع بين مذهب المالكية والشافعية وكيف ان ابن دقيق العيد يلزم نفسه بالاحتجاج لكل صاحب مذهب بما يراه لأجل الخروج من الخلاف.
[6]: مصر والشام في الغابر والحاضر- دكتور اسعد طيلس، دائرة المعارف مصر 1945 ص: 70.

1- في الأندلس: غرناطة، المرية، رندة، اشبيلية، الجزيرة الخضراء.

2- وفي المغرب: سبتة، فاس، مراكش

3- وفي الجزائر: تلمسان، بجاية، عنابة (بونة).

4- وفي تونـس: مدينة تونس، المهدية، سوسة.

5- وفي ليبـــــيا: طرابلس.

6- وفي مصـر: مدينة(مصر- القاهرة)، الاسكندرية، وحمامة، وبلبيس.

7- وفي الشام: دمشق، حرم الخليل، بيت المقدس، نابلس.

8- وفي الحجاز: مكة المكرمة، المدينة المنورة.

وإذا كانت هذه المدن كلها رافعة لواء الثقافة في العالم الإسلامي، فانه لا يمكن ان نغفل عن المراكز الأخرى في تلك البلاد، فقد كان يزورها رحالون كثير للقاء العلماء والشيوخ بها[1]، ولا ننسى كذلك مقام بغداد وغيرها من مدن العراق[2]، وكذا مراكز فارس التي لم يزرها هذا الرحالة مع ان النشاط العلمي والثقافي فيها كان مزدهرا جدا، وسوق الأدب والعلم فيها نافقة، والتفاعل الفكري بينها وبين المراكز الأخرى ملحوظا، وذلك في المذهب والتصوف والعقيدة خاصة، ثم ان علماء بغداد كانت لهم صلة وثيقة بالتيارات الفكرية لفارس وما جاورها في ميادين متنوعة من الثقافة، ولهذا نجد بعض شيوخ ابن رشيد مثل بهاء الدين بن النحاس وعز الدين الحراني وتاج الدين الغَرَّافِـي وغيرهم، وكلهم كانوا قد انتقلوا من بغداد والشام إلى مصر وكانوا ذوي اتجاه معين: فابن النحاس في أدبه ولغته ونحوه والحراني في حديثه وعقيدته وتصوفه والغرافي في حديثه وعوالي إسناده. وغيرهم ممن كان مبرزا في الأدب والفقه والتصوف.

---

[1]: انظر رحلة العبدري ورحلة البلوي مثلا ولاحظ اختلاف خط السير فيهما عن رحلة ابن رشيد في بعض الأقطار وذلك في تونس خاصة، لان العبدري زار القيروان ولم يزرها ابن رشيد مع أنها كانت مركزا علميا مهما.

[2]: لم يزر ابن رشيد العراق كذلك، مع أنها كانت تحفل في هذا العهد بشيوخ مشهورين لهم أسانيد عالية في الحديث خاصة، وقد زارها ابن سعيد. انظر كتاب: ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكري والأدبي- محسن حامد العيادي القاهرة 1972 ص: 112- 1115- وانظر الغصون اليانعة لابن سعيد خاصة.

وينبغي أن نعلم كذلك ان تلك المراكز السابقة أسهمت إسهاما فعالا في نقل التراث وإشاعته والمحافظة عليه، وساعدت على تماسك المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ويتجلى ذلك في المناظرات العلمية المعقودة والحلقات الأدبية المشهورة والمجالس التي كانت تتناول صنوفا شتى من المعارف والعلوم: من تفسير وحديث وفقه وأدب ولغة ونحو وتاريخ ورياضة وطب وغيرها من الاتجاهات المختلفة.

ولا ينبغي ان نغفل عن عمل الأندلسيين والمغاربة وإسهاماتهم الكبرى في إغناء المكتبة العربية بشتى ألوان المعرفة وذلك بفضل المراكز الثقافية المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد وذلك بالرغم من تناقص بعض المراكز بالأندلس في هذا العهد[1].

وان أحسن دليل على ان الغرب الإسلامي كان مقصد العلماء والمفكرين من المشرق ان سارة الحلبية وهي ابنة أبي عمرو بن الصلاح المشهور قد زارت المغرب ولقيت بعض شيوخه وعلمائه، وهذا دليل على ان الغرب الإسلامي كان قبلة للعلماء للنهل من علوم الفقه واللغة والنحو خاصة وذلك لتبريزهم وعلو كعبهم فيها[2]. ثم ان كثيرا من الشيوخ المغاربة والأندلسيين كانوا يرحلون إلى المشرق للتدريس والإقراء في المدارس والجوامع المشهورة[3].

---

[1]: العلم عند العرب و أثره في تطور العلم العالمي- لألدوميلي ط 1381.1 - 1962 دار القلم القاهرة ص:

[2]:انظر ترجمة من لقيهم ابن رشيد بفاس.

[3]: انظر حركة الرحلة بين المشرق و المغرب في هذا البحث.

الفصـــل الثـــانـــي
أهم المراكز الثقـــافية
في عصـــر
ابن رشيـــد

ولكي نكون صورة عامة وواضحة عن الحالة الفكرية والثقافية لهذا العصر، لابد من التعريف بوظيفة أهم المراكز التي كانت تحتضن المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والربط ومنازل العلماء، ولنبدأ بأولاها وهي مدينة سبتة التي نشأ فيها ابن رشيد.

سبتة

فمدينة سبتة التي أخرجت لنا ابن رشيد وعلماء كثيرين في مختلف الطبقات هي عروس المجلى[1] وثنية الصباح الأجلى، ولم تزل دار علم وثقافة[2] إلى عهد متأخر. وإذا كانت فاس هي مدينة العلم وميزان الدين ومقياس الشعور والحضارة في المغرب فان سبتة كانت تضاهيها في هذه المهمة بل تفوقها أحيانا[3]. فهي قاعدة بحرية عسكرية مهمة، ومركز للقوافل التي تصل المدن من فاس وسجلماسة والصحراء والسودان، ثم أنها تصل أوربا بأعماق القارة الإفريقية[4] أما وضعها الجغرافي فيجعل اتجاهها واتصالها بالأندلس أقوى بكثير من اتصالها بالمغرب الموجودة فيه ولهذا نجدها تمتاز في العصور الإسلامية بطابعها الأندلسي: في مظهرها وثقافتها بل في وضعها السياسي ايضا فالأمويون بالأندلس اتخذوها قاعدة استراتيجية لهم لمقاومة الخطر الفاطمي في القرن العاشر، كذلك استولى عليها الحموديون حكام مالقة أيام ملوك الطوائف في القرن الحادي عشر ثم استقلت بها أسرة من أهل الأندلس تعرف ببني العزفي في القرن الثالث عشر وحكموها ما يقرب من قرن من الزمان(646 هـ- 728 هـ)[5].

ان الأحداث الأليمة التي عاشتها الأندلس بسبب الفتن الأهلية والحروب التي كان يشنها المرينيون برسم الجهاد لم تكن لتشغل الأندلس عن شؤون الفكر والثقافة، فقد كانت غرناطة والمرية ورندة ومالقة تعج بالعلماء والأدباء، وكانت سبتة، والحالة هذه، همزة الوصل بين المغرب والأندلس، تحافظ على ما فقده المسلمون من عزهم وسؤددهم في

---

[1]: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص: 101- الاسكندرية 1958. معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار لابن الخطيب نشر المعهد الجامعي 1397 – 1977 ص: 71 وانظر أيضا الروض المعطار للحميري ص: 303- 304.
[2]: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ص: 103.
[3]: سوس العالية لمحمد المختار السوسي ص: 13 وانظر أيضا وصف افريقية للحسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الافريقي(سبتة مدينة كبيرة) ص: 317.
[4]: البحث العلمي عدد 20- 21 ص:98 وانظر أيضا معجم البلدان لياقوت الحموي دار صادر بيروت ج: 3ص: 182.
[5]: الاستقصا ج: 3 ص: 113.- ومشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص: 101.

تلك المراكز التي سقطت في يد النصارى، ولهذا كانت تحتضن كل من فر من الذل والهوان لتفتح له مجالات واسعة ليحتفظ بدينه، ولغته ومهنته فيها.

وقد أسهمت من قبل في الجهاد إسهاما كبيرا، إذ ان اساطيل يعقوب وابنه يوسف كانت تجتمع لديه من باديس وسلا وآنفا وغيرها ثم تنهض كلها من ثغر سبتة.

أما عن معالمها العمرانية فنجد في ذلك كتابا لمؤلفه محمد بن القاسم الانصاري السبتي[1] سماه: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، وكان هذا المؤلف معاصرا لابن الخطيب، وقد أورد في كتابه أخبارا حسانا عن مدافن أوليائها وصلاحها وعلمائها ومساجدها وخزائنها العلمية والربط والزوايا والمحارس والأزقة والحمامات والأسواق والحوانيت والتربيعات والمنجزات والفنادق والأفران والسقايات والميضاءات وديار الأشراف والمطامير والطواحين والأرباض والأبواب والحظائر والمراسي والمقاصير والمقبرات والمضارب والمصايد، وفي الكتب حديث عن قرية بليونش وموقعها والمرافق الموجودة فيها وما كان فيها من النشاط الزراعي وحالتها الطبيعية، وفي الكتاب أيضا ملاحق من نقول مفيدة لمحققه[2] وهناك كتاب آخر هو بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب[3] وكتاب خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور وما جاورها حتى كدية الطيفور[4]. وكتاب رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي انشاء خلف الغافقي القبوري[5].

ولو وصل إلينا كتاب عياض الذي ألفه في أخبار سبتة لأفادنا كثيرا بما غَفَلَ عنه الرحالون والمؤرخون. وكل هذه الكتب تعطينا صورة واضحة عن أهمية سبتة عبر التاريخ.

وإذا ألقينا نظرة هامة على من نبغ فيها من القرن الرابع الهجري إلى القرن السابع فحسب لألفينا منهم جمعا غفيرا ونخص بالذكر منهم:

---

[1]: السبتي بكسر السين هكذا ضبطها عبد المنعم الحميري السبتي في ترجمته لسبتة، وكذا الأمر في البصري والنفزي انظر "الروض المعطار" (سبتة).

[2]: الكتاب بتحقيق ذ. عبد الوهاب بن منصور – المطبعة الملكية

[3]: حققه ذ محمد بن تاويت التطواني

[4]: لمؤلفه الحاج محمد السراج تطوان 1976.

[5]: الكتاب من تقديم وتحقيق ذ. محمد الحبيب الهيلة المطبعة الملكية. الرباط1399/ 1979.

في القـــرن الرابــــع:

ابن العجوز وأولاده

وفي العصر المرابطي:

ابا عبد الله الأموي القاضي، والقاضي عياضا، وإبراهيم البصري وأبا القاسم المعافري الفقيه الأصولي المتكلم الرحالة، والمتكلم على مذهب الاشعرية يوسف الكلبي، وابن مرانة السبتي العددي، وابن القابلة الاديب اللغوي وابن الفاسي اللواتي، وأبا بكر الحوزي(بالحاء المهملة) السبتي المحدث.

وفي عهـد المـوحدين:

ابني دحية، والمتصوف ابا العباس السبتي وابا الحسن الشآرّي المحدث وأمة العزيز أخت ابن دحية والشريف الادريسي وابا الحسن المسفر.

وأما في العصر المريني:

فقد عرفت حركة علمية منقطعة النظير لانها كانت تحتضن من العلماء الكبار مالك بن المرحل وابن الشاط وابن أبي الربيع وابن هانيء اللخمي والحضرمي وابن هارون الأموي وابن بيبش العبدري وابن رشيق الثغلبي وابن خميس الشاعر، ولكل هؤلاء صلة بابن رشيد، ومنهم ابن عبد المنعم الصنهاجي، اللغوي وأبو عبد الله الجذميوي التاريخي وأبو القاسم بن عمران المحدث المفسر وأبو عبد الله الطرطوشي وابن أبي حجة وأبو القاسم الانجري وغيرهم ممن سنذكرهم في ترجمة شيوخ ابن رشيد.

وفي كتابي اختصار الأخبار وبلغة الامنية ذكر لجم غفير ممن عرفتهم في العصر المريني.

وقد اكتسبت سبتة أهميتها الاجتماعية والثقافية لما أخذ العدو يغير على المدن الأندلسية، ولهذا كان كثير من النازحين يتوجهون إليها ويستقرون بها، وكان في هؤلاء أهل المعرفة من المثقفين وذوي الخبرة في المهن والتجارة والصناعات المختلفة مما جعل من سبتة أهم مركز يأوي النخبة من الطبقات الاجتماعية، ولهذا استفادت منها أيما استفاده، ونجد في أولئك أيضا من كان يتوجه إلى مراكز أخرى في شمال افريقيا أو المشرق، ولكن أكثرهم كانوا يجدون في هذه المدينة المركز الذي يشبع طموحهم العلمي والثقافي والحضاري أيام عزها وسؤدده في ظل بني العزفي خاصة، وذلك سواء في أيام استقلالهم أم في عهد ولائهم للمرينيين أوبني الأحمر[1].

ولقد كانت المصائب والفتن والحروب محكها الحقيقي الذي أكسبها العظمة والشهرة، ففي أيام الحرب كانت معبرا مهما للغزو، ولهذا عاشت جميع انتصارات العرب على أعدائهم، وذاقت مرارة انتكاساتهم آخر الأمر، وأما في أيام السلم فكان عمرانها ينمو وتجارتها تتسع ومؤسساتها العلمية تنشط وطبيعتها الخلابة تجذب الشعراء والكتاب. ومعنى هذا انها كانت تستفيد من كلتا الحالتين، فهي، والحالة هذه، مأوى وملجأ لجميع الطبقات الاجتماعية المختلفة وما تحويه من خصائص ومميزات المجتمع ذي الخبرات المتنوعة والطبائع المختلفة.

ويتحصل لنا مما سبق أن تلك المدينة التي كانت تمتاز بهذا الصيت وتتمتع بتلك الأهمية وبذلك التاريخ المملوء بالمفاخر والأمجاد، لابد ان تعطينا رجالا عظاما لهم ذكر وتنويه كابن رشيد السبتي الفهري الذي نجد فيه مثالا رائدا لثقافة سبتة ومركزها الاجتماعي.

ولا نترك هذه المدينة إلا بعد الإلمام ببعض ما ورد من ذكر أخبارها في الرحلة وذلك لمعرفة قدرها ومنزلتها والإلمام بما كان يجري فيها والاهتداء إلى معرفة المناهج الدراسية والعلمية فيها ثم الاطلاع بعد ذلك على ما حباها الله من الفضل أهلها وأرضها.

---

[1]: نهاية الأندلس 113. وانظر مجلة المناهل ع : 3 ص: 205 (المغرب في كتب الجغرافيين القدماء) للأستاذ عبد القادر زمامة ومجلة المناهل ع 8 ص: 275 المغرب والأندلس في كتاب صبح الأعشى للأستاذ محمد بن تاويت.

فمن الأخبار الواردة عنها في الرحلة ما أنشده أبو عبد الله بن المبارك على لسان أبي بكر بن حَبِيشٍ في مدح ابن رشيد (الطويل)

أتيت لنـا عن معـــرب عاد مشـرقا * بـما عاد من شمس اعتلائك مشمسا

حوت سبتة في الفـضل سبطا بأن رمت * بسهـمك أغـراض الكمال مقــرطسا[1]

ومن ذلك خبر انتقال أبي إسحاق الغافقي من سبتة إلى شريش ثم إلى تونس[2]، وخبر صيرورة المدينة إلى الأندلس عام 706 هـ[3]. وكذا خبر أخذ أبي جعفر اللبلي بها عن أبي القاسم عبد الرحمان المصمودي المعروف بابن رحمون[4]. وقراءته بعض مختصر الإرشاد لأبي يعلى عنه فيها[5]. وسماع إحياء علوم الدين للغزالي عنه عن أبي ذر الخُشَنِي[6]، وقراءة كتاب سيبويه عنه كذلك فيها[7]. وسماع أبي جعفر اللبلي الأحكام الصغرى لأبن عبد الحق على أبي عبد الله العبسي فيها[8] والعقيدة النظامية على أبي عبد الله الازدي[9].

ومن ذلك ما أخبر به أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد أن ابا الحسن الحَرَالِيّ الصالح الزاهد الصوفي لقي بسبتة أبا الصبر الفهري[10]. وان ابا يعقوب الجدامي المقرئ الصالح لقي بها كذلك أبا صالح محمد بن محمد بن محمد وصحبه إلى سبتة ولازمه وقرأ عليه ولقي فيها كذلك أبا الحسن الخضار التلمساني وكذلك الشيخ الحافظ المحقق ابا محمد بن سبعين المجاور بمكة الذي صحبه بسبتة وبجاية كذلك[11].

---

[1]: 5/2 الرحلة .
[2]: الرحلة 17/2.
[3]: الرحلة 2 ص: 26.
[4]: الرحلة 2 ص:27.
[5]: الرحلة 2 ص:3.
[6]: الرحلة30/2.
[7]: الرحلة 30/2
[8]: الرحلة 28/2.
[9]: الرحلة 30/2
[10]: الرحلة 44/2.
[11]: الرحلة 45/2.

ومن ذلك خبر انتقال أبي الحسن بن رزين المرسي إلى سبتة والبقاء فيها مدة[1] وكذا خبر وصف القاضي عياض إياها بقوله:(الكامل)

لولاه ما فاحت أباطح سبتة * * * والروض حول فنائها معدوم[2]

وكذا خبر الشيوخ الذين أجابوا عن استدعاء أبي الفضل التجاني[3]، وكذا خبر موافاة كتاب اولاد ابن رشيد إليه من سبتة [4] وخبر تذكير ابن الحكيم صاحبه ابن رشيد بان لا يتوجه إلى سبتة إلا بعد رؤيته[5] وكذا خبر مولد ضياء الدين السبتي مستوطن القاهرة، بسبتة[6].

ومن الفوائد التي نستفيدها من الرحلة أيضا في معرفة طبيعة سبتة الساحرة وجوها الجميل، تلك القصة التي حكاها ابن رزين عن أبى الحجاج بين قشارش البلنسي وصحبه أنهم خرجوا مع الوزير ابن خلاص خارج سبتة فانثالت عليهم الأرانب من كل جهة فصادوها دون كلفة، وكان معهم أبو اسحق ابن سهل الاسرائيلي فقالوا في ذلك شعرا حسنا ظريفا[7].

ومن هنا نستخلص أن سبتة لم تترك ناحية من النواحي الإنسانية أو الطبيعية الا برت فيها قريناتها من المدن المشهورة، وحق لها بذلك ان تكون واسطة العقد من الامصار لانها محرزة الفوز والانتصار.

وبعد ذكر مدينة سبتة نلم ببعض ما اشتهرت به المدن الثقافية والحضارية في العالم الإسلامي، تلك المدن التي كان لها اتصال برحلة ابن رشيد وذكر فيها، ومن هذه المدن مدينة غرناطة.

---

[1]: الرحلة 64/6.
[2]: الرحلة 50/3- 51. وانظر المديح في دراسة الرحلة.
[3]: الرحلة 46/7 وما بعدها وانظر أيضا دراسة الشعر في هذا البحث.
[4]: الرحلة 50/7.
[5]: الرحلة 53/7.
[6]: الرحلة 95/3 وانظر أيضا من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة ترجمة 164.
[7]: الرحلة ج: 83/6.

غرنـــــاطـــة:

فقد كانت هذه المدينة مدة العرب غاية في الجمال والجلال والضخامة وكان العرب يسمونها دمشق لكثرة مائها ومزارعها[1]، وفيها من الآثار العربية مالا يأتي عليه الحصر.

وهي حضرة سنية لو خيرت في حسن الوضع لما زادت وصفا ولا أحكمت رصْفًا ولا أخرجت أرضها ريحانا ولا عصفا[2].

وإذا أردت أن تأخذ فكرة عن الخصوبة الفكرية والأدبية للأرض التي تمر بها في الطريق من إشبيلية إلى غرناطة فما عليك إلا أن تجري بصرك في بضع صفحات من كتاب الإحاطة لابن الخطيب[3] أو كتاب المغرب في حلى المغرب أو الذيل والتكملة أو نثير الجمان أو نثير فرائد الجمان أو كتاب نفح الطيب. ويكفي مملكتها فخرا انها ضمت من فحول الشعراء والكتاب مالا يعده الحصر[4]. وقد عاش في ربوعها مئات من رجال الشريعة والفقهاء والشراح والمفسرين والمصنفين عاشوا جميعا على ثمرات الاعصر الذاهبة[5].

ومن تلك المدن أيضا مدينة:

المـــريـــة

التي لها على غيرها من نظرائها أظهر مزية بنَهْرِهَا الزبرجدي وساحلها التبري وحصاها المجزع ومنظرها المرصع وأسوارها الراسخة وقلعتها المنيعة الرفيعة[6].

وهي مدينة مرية بحرية برية أصلية سرية، معقل الشموخ والإباية ومعدن المال وعنصر الجباية[7]، فمن هذه المدينة أخذ ابن رشيد أهبته للرحلة لأنها كانت هي ومدينة بجانة بابين مفتوحين على الشمال الافريقي والشرق لركوب التجار وحلول مراكبهم، وقد

---

[1]: رحلة الأندلس، محمد لبيب البتنوني ط: 1 مطبعة الكشكول 1927 ص: 75 وما بعدها،
[2]: معيار الاختيار ص: 62 ثم الروض المعطار ص: 45 – 46.
[3]: رحلة الأندلس حسين مؤنس ص: 157- والاكسير في فكاك الاسير لمؤلف محمد العثمان المكناسي. منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. الرباط 1965. انظر ص: 171.
[4] : نهاية الأندلس ص: 94.
[5]: الشعر الأندلسي غارسيا غوميس ط: 2 القاهرة 1956 ص: 71.
[6]: المغرب في حلي المغرب لابن سعيد بدار المعارف 1964 ط: 2 ج: 193/2 والروض المعطار ص: 537 هـ 538.
[7]: معيار الاختيار ص: 56.

اشتهرت كذلك بوشيها وديباجها، ولم يسبق في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية[1].

ومنها مدينة

مـــالـــقـــة

وهي الدرة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة[2]، المدينة المغنية التي كان الممتلك من بني اشقيلولة[3]، وقد كانت مركزا ثقافيا مهما مشتهرا بكثرة الشيوخ والعلماء ومنهم: أبو اسحق ابراهيم بن حِبِّي القرموني المالقي نزيل تونس، وهو شيخ ابن رشيد الذي كان له فيها من شيوخها أبو بكر حميد القرطبي وأبوبكر بن العاصي الإشبيلي وأبو عبد الله الاستجي وأبو محمد الباهلي وأبو محمد بن طلحة الاموي وأبو الحسن علي بن جابر اللخمي الدباج، وأبو علي الشلوبين وأبو محمد بن عطية القيسي وغيرهم ممن أجاز للقرموني وممن ورد ذكرهم من شيوخ كبار في الرحلة: أبو يعقوبِ الجذامي وابن هارون القرطبي[4] وأبو عبد الله ابن عسكر المالقي[5] وكانت مملكة مالقة مشهورة بطبيعتهَا وقراها الجميلة وحركتها الأدبية النشيطة[6].

ومنها مدينة:

رُنْـــــدَة:

وأما هذه المدينة فكانت من تلك المدن التي تحس فيها إلى اليوم نبض الأندلس العربي الذاهب[7]، ومعقلها متعمم بالسحاب ومتوشح بالأنهار العذاب[8]، وهي بلد أعيان وصدور وشموس وبدور، وفي أهلها فضاضة وغضاضة ما في الكلف بها غضاضة، إلا ان

---

[1]: معجم البلدان لياقوت الحموي ج: 119/5، وتاج المفري في تحلية علماء المشرق لخالد بن عيسى البلوي فضالة المغرب ج: 146/1.
[2]: معيار الاختيار 52.
[3]: ابن خلدون 197/7.
[4]: الرحلة ج: 104/6، والروض المعطار ص: 269.
[5]: الرحلة : 2/2.
[6]: المغرب في حلي المغرب ج: 422/1.
[7]: رحلة الأندلس حسين مؤنس ص: 252.
[8]: المغرب في حلي المغرب ج: 334/1.

العدو غصب بنيانها، وكانت عيونه لثغرها الشنيب دائما مغازلا[1]. وكان بها زرع واسع وضرع سابغ[2]، ويكفي أن نذكر من مفاخرها إيواءها لأبي عبد الله ابن الحكيم الرندي الرئيس الأديب والكاتب الشاعر صاحب ابن رشيد ورفيقه في الرحلة.

ومن المدن المغربية غير سبتة، التي زارها ابن رشيد وكان لها أثر في الحركة الثقافية والسياسية والدينية والاجتماعية مدينة فاس ومدينة مراكش وكانت كل منهما تنازع الأخرى في مقامها الرفيع.

فـــــاس:

فقد عرفت هذه المدينة في عهد بني مرين ازدهارا عظيما بسبب اتخاذهم إياها عاصمة بعد استقرار أمرهم، ولهذا زيد في كثير من مرافقها الحيوية كالخزائن والمدارس والزوايا والقناطر.

ولم تكن فاس عاصمة مملكة المرينيين المستقرة فحسب بل كانت مركزا مهما للتجارة تربطها المصالح التجارية بالأقطار الأوربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، وبلاد المشرق العربي وبلاد السودان فيما وراء الصحراء الكبرى، وكانت بالإضافة إلى ذلك مدينة علم ودين وكان بها عدد كبير من الطلاب يدرسون اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكان الكتاب بها يبرزون في نظم الشعر وتدوين التاريخ والتأليف في الدين والشريعة، ويقوم المتصوفة فيها إلى جانب علماء السنة بالحفاظ على شعلة قوية للحياة الروحية[3].

وقد اختط أبو يوسف مدينة فاس الجديدة وبناها وشيدها وبنى أسوارها وجامعها وأسواقها واتخذها دار ملكه وقرار سلطانه[4].

ولم تزل **فاس** من حيث أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب ومركزها وقطبها[1]. وفيها يجتمع علم القيروان وعلم قرطبة[2].

---

[1]: معيار الاختيار 67.
[2]: معجم ياقوت ج: 73/3.
[3]: فاس في عصر بني مرين، روجيه لوتورنو، بيروت 1967 ص: 10.
[4]: نخب تاريخية، ليفي بروفنسال باريز 1342- 1923 ص: 49.

ورعى الله قطرا ينبت الغنى وهو ظل على الدين ممدود وآفاقه نعم العرين لأسود بني مرين[3].

وإذا شئنا معرفة الحركة العلمية بها لابد من قراءة فصول طوال من كتاب جامع القرويين حتى ندرك القيمة الفكرية والروحية لهذه المدينة الجليلة في عصر ابن رشيد خاصة[4].

مـــراكـــش:

وهي ذات المقاصير والقصور، وغابة الأسد الهصور وسدة الناصر والمنصور[5].

وقد عرفت مراكش نهضة ثقافية منذ عصر المرابطين، وذلك بإنشاء الجامعة اليوسفية التي كانت تنافس مركزي القرويين والأندلس[6].

أما في عصر الموحدين، وهو العصر الذهبي، فقد احتضنت صنوفا من العلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء.

وأما في عصر بني مرين فكانت تعيش مرحلة مضطربة في أول الأمر وذلك نتيجة الحروب بين الموحدين وبني مرين ثم لانتقال العاصمة منها إلى فاس.

ويكفي ان نتصفح كتاب الإعلام للمراكشي لنرى ما كانت تتمتع به هذه المدينة من النشاط في شتى الفنون.

وقد قال فيها الكاتب ابن ادريس (الوافر)

فـــان تفخر بفاس فان فخري * * * بمراكش على الـــدنيا كـــفـاني

بـــلاد أسست للملك قد ما * * * وفاقت في الجوار وفي المـــكان

بهـــا ما شئت من دين ودنيا * * * وإخـــوان الخـــلاعة والقـــيان[1]

---

[1]: نخب تاريخية ص: 21.
[2]: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي دار الكتاب ط: 7 ، 1978 ص:504.
[3]: معاهد الاختيار 78، والروض المعطار 434- 435.
[4]: جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي بيروت 1972.
[5]: معيار الاختيار ص: 77، والروض المعطار 540- 541.
[6]: مدن عربية، نيقولا زيادة بيروت ط: 1، 1965 ص: 9.

ومن مدن المغرب الأوسط مدينة تلمسان

تلمســــان

وهي مدينة قل مثلها وجل عرارها وبانها وأثلها، فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء ممتدة الغاية في الحسن والثناء[2]، وكان يغمراسن قد أقام فيها حصونا منيعة في هذا العهد، واشتهرت بعلمائها وفقهائها الذين رحلوا إليها من الأندلس والمغرب[3]. وأما عن نشاطها الفكري فان بعض الرحلات المشرقية قد زودتنا بكثير من أخبارها الحسان[4].

بجـــايـــة:

وقد عرفت هذه المدينة[5]، في القرن السابع، ازدهارا عظيماً في ظل الحفصيين الذين تحرروا من سلطان تونس، ويشتهر أهل بجاية بالنشاط البحري والغزو والقرصنة، وأما عن الحركة الثقافية فيها فكانت قليلة النظير. وفي كتب الرحلات مثل رحلة العبدري[6] ورحلة البلوي[7] وانس الفقير[8] خير دليل على ذلك النشاط الفكري.

وفي رحلة ابن رشيد إفادات حسنة عن بجاية وعلمائها ومنها:

رواية أبي جعفر اللبلي كتاب الروض الأنف على أبي الحسن بن سراج فيها، ومنها انتقال أبي الحسن بن رزين إليها وروايته فيها عنه كذلك. ولقاؤه ابن بقي القرطبي وسماعه عليه فهرست جده أبي القاسم وذلك بقراءة أبي عبد الله ابن الابار القضاعي. ومنها لقاء ابن رزين فيها ابا محمد بن برطلة. ورواية ابن الابار القضاعي معجم الصدفي. وقصيدة مدرك الشيباني فيها. ومن الأخبار أيضا قصة اجتماع أبي زكرياء ابن الغليظ مع الأستاذ أبي ذر الخشني فيها: وقد قال مداعبا إياه لما أراد القراءة عليه: يا سيـــدي

---

[1]: السعــــادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لمحمد بن محمد بن المبارك الفتحي ط: 2 البيضاء، 1342 هـ ص: 6.

[2]: رحلة البلوي : تاج المفرق ج: 1/148- 149، والروض المعطار 135- 136.

[3]: في كتاب البستان لابن مريم ما يغني عن الإطالة في ذكر محاسنها.

[4]: رحلة العبدري ص: 10ورحلة البلوي ج: 1/148.

[5]: الروض المعطار 80- 82.

[6]: رحلة العبدري 26.

[7]: رحلة البلوي ج: 2/138.

[8]: وانس الفقير وعز الحقير لابن قنفد القسنطيني منشورات المركز الجامعي الرباط 1965 ص: 27 ومواضع أخرى.

بيني وبينك نسبة مرعية، فقال له أبو ذر وما هي؟ فقال له أبو زكريا أنا ابن الغليظ وانت خشني، فقال له أبو ذر الزم هذه الطريقة تدركها يعني طريقة الأدب[1].

ومنها ما كتبه شيخ ابن رشيد الأديب أبو إسحاق القرموني نزيل تونس إلى أهل مالقة:(البسيط)

ذكرت مالقة ذكرى أخ شغف * * * فكدت أذهب بين الوجد والكلف

وكيف لا وهي أرض قد نشأت بها * * * وأرضعتني ثدي البر واللطف

ومن ذلك لقاء أبي يعقوب الجذامي لأبي الحسن بن أبي نصر وقراءته عليه فيها[2].

وفي كتابي عنوان الدراية للغبريني[3] وتاريخ ابن خلدون[4] صورة واضحة عن النشاط الثقافي والعلمي والسياسي لهذه المدينة المشهورة.

بونة (عنابة)

وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين[5] ولكنها كانت تعاني في هذا العصر من غارات الأعداء وكيد القراصنة[6] ولهذا قل فيها رجال واندرست بها أصول الرواية إلا في القليل النادر[7].

تونس:

ومدينة تونس هي مدينة عجيبة المتاجر، كثيرة الأسواق والحمامات والفنادق، طيبة الثمار والفواكه[8]، وقد وصفها العبدري وأشاد بذكرها لما استأنس بأهلها وعبّ من معارف شيوخها[9] وكذلك فعل خالد البلوي[10].

---

[1]: الرحلة ج: 82/6. وانظر بعض أخبارها أيضا في كتاب صبح الأعشى 109/5.
[2]: الرحلة 45/2.
[3]: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني الجزائر 1389- 1970.
[4]: تاريخ ابن خلدون 303/6- 306- 323- 327- 331- 332- 336- 336- 373- 378- 396.
[5]: معجم ياقوت 512/1. وتاج المفرق 163/1.
[6]: رحلة العبدري 37.
[7]: وانظر بعض أخبارها السياسية في تاريخ بن خلدون ج: 339/6- 358.
[8]: معجم ما استعجم للبكري(تونس) والروض المعطار 143- 144.
[9]: رحلة العبدري 39.
[10]: تاج المفرق 166/1.

وقد عرفت تونس في العهد الحفصي ازدهارا منقطع النظير، إذ بنيت في عهدهم بها مدارس ودور للعلم، وكانت منازل العلماء فيها صورة رائعة للنهضة الثقافية والفكرية. ومن أشهر مدارسها مدرس الشماعية والتوفيقية، واشتهرت أيضا بجامع الزيتونة الذي وصفه العبدري بالإتقان والإشراق. وكان لهجرة الأندلسيين إليها أثر كبير في رقيها العلمي والفني.

ولما زراها ابن رشيد قال عنها إنها تُؤْنِسُ بذكرها[1]، ولهذا بقي فيها مدة طويلة في ذهابه إلى الحج وعند رجوعه منه.

ويكفي تونس فخرا انها كانت تؤوي ابن زيتون وابن حبيش وحازما القرطاجني وابن الغماز وأبا الفضل النجاني وابن رزين وابن هارون القرطبي وابن القوبع في زمن واحد. وكان كل هؤلاء شيوخ ابن رشيد المبرزين في النقد والأدب والفقه والحديث والطب والرياضة. ويكفي أيضا أن نذكر ان ثلا ثة أجزاء من الرحلة قد خصها ابن رشيد بتونس وأخبارها وشيوخها.

وبهذا تكون تلك المدينة من أشرف بلاد افريقيا وأطيبها ثمرة وانفسها فاكهة[2] وأجلها علما وثقافة في هذا العصر[3].

طرابـــلس:

وقد كانت من القواعد المهمة في شاطئ البحر، وذكرها البكري في كتابه المغرب، ووصف أهلها بانهم أحسن خلق الله وأجودهم معاملة[4].

وكانت كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة، ولكنها لم تعرف في القرن السابع إلا القليل من النشاط العلمي، ولم ينبغ فيا إلا ابن أبي الدنيا وابن عبد السيد وقد زارها في مطلع القرن الثاني أبو محمد التجاني فوصفها وصفا بديعا وقد اتفق ابن

---

[1]: الرحلة 9/6، معجم ياقوت 61/2.

[2]: وانظر بعض أخبارها في كتاب الحلل السندسية للوزير السراج، الدار التونسية 1970، وكتاب المؤنس في أخبار افريقيا وتونس لابن أبي دينار وتاريخ الدولتين للزركشي تونس 1966، وكتاب عنوان الاريب للشيخ النيفرط:1 تونس، وكتاب تونس العربية تأليف إحسان حقي الثقافة بيروت وكتاب مدن عربية ص: 72.

[3]: المغرب ص: 6.

[4]: رحلة التجاني تونس 1378- 1958 ص: 237.

رشيد والعبدري[1] في قلة العلم بها، ولكن كان بها مدرسة حسنة الوضع رائقة الصنع، والمدينة بجملتها حسنة البناء متسعة الشوارع حتى لكأنها تحاكي شيئا ما وضع الإسكندرية[2].

وأما مدن مصر مثل القاهرة ومدينة مصر والإسكندرية فكانت سوق العلم فيها نافقة، ولهذا وجد فيها الرحالة المغاربة منتجعهم فبقوا فيها طويلا يلتقون بشيوخها وعلمائها ويحضرون مجالسهم ويلزمون مدارسها وجوامعها وغيرها من منازل الشيوخ ورباطاتهم. وفي رحلة ابن رشيد والعبدري وأبي القاسم التجيبي والوادي آشي وغيرهم ما يفيد أن مصر كانت عالية الكعب في هذا الميدان.

مدينـــة مـــصر القـــاهرة

قال أحمد بن إبراهيم بن ايدمر العلائي في حديثه عن مصر الفسطاط:

قال قائل لم سميت الفسطاط؟ فقيل له أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أراد المسير إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين وقيل في جمادى الأخيرة من هذه السنة أمر بفسطاطه ان يقوض فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال لقد تحرمت بجوارنا، أقروا الفسطاط حتى يطير فراخها فأقر الفسطاط في موضعه وبذلك سميت الفسطاط[3].

وقال شحاتة عيسى إبراهيم في كتابه عن القاهرة: من هنا يظهر ان المنطقة ما بين جامع عمرو وسيالته الروضة قد استحدثت منذ الفتح العربي لمصر. وان الفسطاط الأصلية تقع شرقي خط يمتد من جامع عمرو إلى قصر الشمع الذي تعرف بقاياه اليوم في الكنيسة المعلقة. وقد شمل هذا الاسم أيضا المنطقة المستجدة الواقعة غربي هذا الخط حتى سيالة الروضة، وقد ظلت هذه التسمية حتى أواخر القرن السابع الهجري. فلما

---

[1]: الرحلة 3/6، رحلة العبدري 76 الروض المعطار 389- 390.

[2]: الرحلة 3/6، وانظر بعض أخبارها في كتاب تاريخ اطرابلس الغرب المسمى بالتذكار لابن غلبون الطرابلسي، القاهرة 1349.

[3]: الانتصار لواسطة عقد الامصار ص: 2، ابن دقماق طبعة بولاق 1310- 1893. الخطط للمقريزي مطبعة النيل 1324 ج: 1/285- 296- 304.

استولى الخراب على القسم الشرقي اختفى اسم الفسطاط وحل محله اسم مدينة مصر التي تعرف اليوم باسم مصر القديمة[1].

وفي الرحلة ما يفيد ان مدينة مصر كانت بجوار القاهرة، وكان بعض الشيوخ يلقي الدروس فيهما، كبهاء الدين ابن النحاس الذي كانت دروسه مرة في المسجد الجامع بالقاهرة وأخرى بمسجد الأقمر بمصر مرتين في كل أسبوع، وذلك يومي الجمعة والاثنين[2].

القـــاهـــــرة:

وكانت القاهرة في القرن السابع الهجري مدينة كبيرة ذات عمران وتجارة وعلم وأدب، وقد وصفها كثير من الرحالة الذين كانوا يأتونها من الشرق والغرب كناصر خسرو وابن جبير والعبدري والبلوي وابن سعيد وغيرهم كثير، وليس فيهم إلا من أشاد بضخامتها وكثرة أهلها واتساع علمها، وكان فيها مدارس كثيرة وخوانق لإقامة رسوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفية السنية في مطارحه الأذكار ونوافل الصلوات.

وقد عرفت هذه المدينة المدارس منذ الدولة الفاطمية.

ومن تلك المدارس التي كانت توجد في مصر القاهرة:

المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية والمدرسة السوقية

والمدرسة الصلاحية ودار العلم والمدرسة الفاضلية والمدرسة القطبية ودار الحديث الكاملية والمدرسة الصالحية والمدرسة الظاهرية، والمنصورية والطيبريسية والناصرية ومدرسة السلطان حسن وغيرها[3].

والقاهرة مدينة كبيرة كما يقول العبدري، وكان سكانها يحاكون عديد الرمل والقَطْر، ولكنها تغير وتنفي بأذاها وقذاها كل فاضل خير[4].

---

[1]: كتاب القاهرة، سلسلة الالف كتاب رقم 184 شحاتة عيسى إبراهيم دار الهلال ص: 21، النجوم الزاهرة والمنهل الصافي لابن تغري بردي.

[2]: الرحلة 23/3 وانظر أيضا حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي.

[3]: تاريخ الجامعات الإسلامية، 82- 98، والانتصار لابن دقماق 92 وحسن المحاضرة للسيوطي والروض المعطار 450 والخطط للمقريزي 360/1.

[4]: رحلة العبدري ص: 125.

وظلت منذ عهد الفاطميين عاصمة البلاد ومركز السيادة، ثم لبست أبهج حللها في عهد المماليك الذي يعتبر العصر الذهبي في تاريخ العمارة بمصر[1].

الاسكنـــــدرية:

والإسكندرية من أعظم الحواضر الإسلامية وأعرقها، بل هي من أعظم مدائن الدنيا[2]، فقد كان بينها وبين المغاربة صلات وطيدة على مر التاريخ، إذ كثيرا ما كان الرحالون يؤمونها[3]. فيصفونها ويستأنسون بأحوالها وطبيعة أهلها الذين كانت لهم بعض التقاليد والعادات المعروفة عند المغاربة[4]. وكان هؤلاء الراحلة يقصدون الإسكندرية لأنها كانت حافلة بالألوان المختلفة من الدين والأدب والعلم وصنوف المعرفة وفنون السمر، ولهذا تعلموا فيها وعرفوا ما لم يكونوا يعرفون من قبل من العلوم و الفنون[5] وبما ان رحلة ابن رشيد إلى الإسكندرية كانت في عز عظمتها من حيث عمارتها وإنشاء أدوارها وتمكين ثغرها الرئيس والمهم، فان هذه الحقبة تعرف ملوكا أجلاء كالظاهر بيبرس وأبناء قلاوون الذين جعلوا من هذه المدينة أعظم شأنا وأوفر حظا من غيرها من المدن المصرية[6].

الشـــــام:

وأما إذا انتقلنا إلى الشام فاننا نلفي فيها ما يبهر العيون ويسحر اللب بما اشتملت عليه جل مدنه من الآثار الباقية والعلوم المنتشرة في دمشق وبيت المقدس وحرم الخليل وغيرها.

ولو كان الجزء الرابع من الرحلة موجودا بين أيدينا لوجدنا فيه، دون شك، صورة كاملة للنشاط العقلي والفكري في أواخر القرن السابع الهجري. ويكفي ان نذكر أهم تلك المراكز التي زارها ابن رشيد هناك.

---

[1]: القاهرة لشحاتة عيسى 129.
[2]: الخطط 144/1.
[3]: ابن جبير 99 العبدري 90. البلوي 32 الروض المعطار 54- 56.
[4]: المجلة عدد 87 ص: 5 د. طه الحاجري: الصلات الأدبية بين مصر وشمال افريقيا(المجلة المصرية).
[5]: البلوي : 36/2.
[6]: تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ط: 2، 1969 القاهرة ص: 273.

دمـــشـــــق:

وتعد دمشق من أعظم المراكز الثقافية في الشام، وهي تزدهي بمدرستها المشهورة دار الحديث الأشرفية الجوانية التي زارها ابن رشيد ورأى فيها مثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم[1]، وكان يدرس فيها أبو عمرو ابن الصلاح الذي يعد مصدرا مهما لمعارفه في رحلته. وتمتاز هذه المدرسة بالتفرغ للدراسات الحديثية، بينما يغلب الاتجاه الفقهي على مدارس مصر والعراق، وكان قد تولى مشيختها من قبل الحافظ ابن عساكر(ت 571) وكان إمام أهل الحديث في زمانه وصاحب تاريخ دمشق[2] وكان بها أيضا المدرسة الشامية الجوانية بداخلها قبلي البيمارستان النوري، والمدرسة الشامية البرانية التي درس فيها ابن الصلاح أيضا وفيها كذلك المدرسة الرواحية بجوار الجامع الأموي وهي للشافعية. والمدرسة الطالوية الجوانية التي كان يدرس فيها أبو إسحاق اللوري(بالراء المهملة) الرعيني الأندلسي المالكي المحدث نزيل دمشق والمتولي مشيخة دار الحديث الظاهرية وقد توفي سنة 687 هـ[3]. وكان شيخا لابن رشيد في دمشق، وفيها المدرسة المنجكية الحنفية التي كان يدرس فيها شرف الدين الانطاكي. وفيها دار القرآن والحديث التنكيرية، وكان يدرس فيها الحافظ الذهبي. وقد أنشئت هذه المدرسة أخيرا.

وقد وصف ابن بطوطة هذه المدينة وتحدث عن جامعها وبعض معالمها وعلمائها[4] ويكفي دمشق فخرا انها تضم الجامع الأموي المشهور الذي هو جامع المحاسن الكامل الغرائب المعدود في العجائب[5].

---

[1]: أزهار الرياض 266/3.
[2]: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى 101، لمحمد عبد الرحيم غنيمة، معهد مولاي الحسن 99- 106.
[3]: الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي دمشق 1367- 1948 ج: 349/1: وانظر أيضا تاريخ الجامعات الإسلاميات ص: 104.
[4]: رحلة ابن بطوطة بيروت 1388- 1968. ص: 83.
[5]: معجم البلدان الياقوت 465/2، والروض المعطار 237- 243.

بيـــــت المقــــــدس:

وهو أحد المساجد التي إليها تعمل المطي وتضاعف الحسنات بكل بر تقي، والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة كلها من صخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية، وسورها مهدوم، هدمه الملك الظاهر خوفا من استيلاء الروم. وأما المسجد المقدس فهو من المساجد الرائقة العجيبة المنشرحة الفسيحة وهو متسع جدا. وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها[1].

وقد وصف ابن بطوطة مسجد القدس[2] وبعض مشاهدها[3] وفضلائها[4].

وهي التي أخذت من كل المحاسن نصيبا[5].

وهذه المدينة مشهور فضلها مشهود خيرها لأننا نجد أكثر الشيوخ الذين كانوا يدرسون في دمشق وغيرها من مدن الشام من هذا البيت المقدس، وما أكثر المقدسيين الذين ضمنتهم كتب الفهارس والمعاجم والمشيخات إذ يكفي ان نفتح كتاب الدارس في تاريخ المدارس، وكتب طبقات الحنفية مثلا ليطالعنا أسماء الجم الغفير منهم، وبالرغم من ان العبدري لم ير في هذا البلد، مع شرفه واشتهاره، من هو أهل لأخذ العلم عنه[6]، فإننا لا يمكن أن نغفل عن بعض من اشتهر فيها في هذا العهد كمالك الأوحد وعز الدين أبي الفرج المقدسي وأبي الحسن الغرافي وغيرهم ممن سنذكرهم في ترجمة من لقيم ابن رشيد فيها وفي دمشق وحرم الخليل والاسكندرية.

مكة المكرمة والمدينة المنورة:

بما ان مكة والمدينة كانتا منتهى آمال القاصدين من المغرب والأندلس وأقاصي الشرق فانهما كانتا تحويان من أصناف العلماء والفقهاء ما لا يحصيه العد. وكان هؤلاء

---

[1]: رحلة العبدري 228، الروض المعطار 344.

[2]: رحلة ابن بطوطة 53.

[3]: رحلة ابن بطوطة 55.

[4]: رحلة ابن بطوطة 55.

[5]: رحلة البلوي 245/1. وانظر أيضا عن القدس: كتاب فضائل القدس لأبي الفرج بن الجوزي تحقيق وتقديم جبرائيل جبور ط: 1، 1979 بيروت.

[6]: رحلة العبدري ص: 230.

يعقدون مجالس للخاص والعام، ونجد من بينهم نساء عالمات يجلس إليهن هؤلاء الآتون من كل فج عميق.

وقد وصفهما العبدري[1] وابن بطوطة[2] والقاسم التنجيبي[3] والبلوي[4] وغيرهم ممن قاموا بالرحلات الحجازية، فأجادوا في وصف عمرانها ونشاطهما الثقافي والعلمي.

وكان من أهم مدارس مكة آنئذ مدرسة ابن الأرسوفي ومدرسة ابن أبي زكرياء والمدرسة المظفرية ومدرسة الزنجبيلي وغيرها[5].

وينبغي أن نذكر انه كان في تلك المدن وغيرها جوامع ومساجد وربط ومكتبات وزوايا ومنازل للعلماء ومكتباتهم. وكانت كلها تضطلع بالنشاط الثقافي والحضاري فيها وقتئذ ولهذا كان لها فضل الوظيفة التربوية والتعليمية.

---

[1]: رحلة العبدري 169، 173، 201.

[2]: رحلة ابن بطوطة 108 و125.

[3]: مستفاد الرحلة والاغتراب للقاسم بن يوسف التجيبي، تونس 1395- 1975. ص: 230.

[4]: تاج المفرق ج: 2/280- 297.

[5]: معاهد التعليم الإسلامي، للدكتور سعيد اسماعيل علي القاهرة 1978 ص: 175، 177 والروض المعطار: مكة: 93-94، والمدينة: 401- 402.وانظر عن مكة كتاب أخبار مكة بذي الوليد محمد الازرقي. بيروت ط: 3، 1399. وكتاب تاريخ الكعبة للدكتور علي حسني الخربوطي بيروت 1396.

ذكـــــــــر

- الجوامـــع والمســـاجد
- المـــــــــــــدارس
- المكتـــــــبـــات
- الربـــاطـــــات
- منـــــازل العلمـــاء

في تلـــك المـــراكز الثقـــافيـة

المســـــاجد:

فمن المساجد والجوامع التي ورد ذكرها في الرحلة: المسجد الجامع أو جامع علي ابن يوسف بمراكش الذي بني سنة 525[1].

ومن جوامع الأندلس ومساجدها: جامع بلنسية[2] وجامع العديس باشبيلية[3] وجامع غرناطة[4] وجامع قرطبة ومسجد بدر بها[5] ومسجد الجامع برندة[6].

ومن مساجد الجزائر المسجد الجامع ببجاية[7].

ومن مساجد تونس مسجد أبي بكر بن حبيش[8] وجامع الزيتونة[9].

ان المسجد في الأندلس والمغرب كان يضطلع بمهام المدرسة في تعليم القرآن الكريم والحديث والفقه وأصوله، ويقوم بتدريس العلوم اللسانية واللغوية[10]. وكان الغالب على الدراسات المغربية الرواية والنقل والحفظ، ولهذا حافظ المغرب على التراث محافظة لا مثيل لها في الوقت الذي كان المشرق تتقطعه الأحقاد والحروب وتتعاقب عليه الحكومات الضعيفة ويتكالب عليه العدو ليفقده شخصيته.

---

[1]: الرحلة 45/2، والسعادة الابدية ص: 7، والاعلام للمراكشي 94/1.
[2]: الرحلة 95/6، ورحلة الأندلس حسين مؤنس 274.
[3]: الرحلة 34/7، ورحلة البتنوني ص: 60 والآثار الأندلسية الباقية في اسبانية والبرتغال القاهرة 1381- 1961 ص: 46-51.
[4]: الرحلة 66/2 ورحلة الأندلس للبتوني 77.
[5]: الرحلة 54/7. ورحلة الأندلس 53 والآثار الأندلسية الباقية ص: 20- 34.
[6]: الرحلة 60/7 والحلل السندسية في الأخبار التونسية ج: 567/1 و573و626 ورحلة العبدري 40.
[7]: الرحلة 30/6. عنوان الدراية 68 حاشية.
[8]: الرحلة 85/6.
[9]: الرحلة 46/2-66.و63/6 العبدري 40 وتونس العربية 202 والحلل السندسية ج: 574/1.
[10]: ابن سعيد الأندلس ص: 24-25.

ومن مساجد القاهرة وجوامعها:

جامع الأندلس[1] بالقرافة، والجامع الحاكمي[2] وجامع الأسوار[3] وجامع ابن طولون[4] ما بين القاهرة ومصر المدينة. وجامع السراجين[5] والجامع العتيق[6] والجامع الأزهر[7] ومسجد الأقمر[8].

ومن مساجد مدينة مصر:

الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع[9] ومسجد البوشي[10] ومسجد النخلة بالفسطاط[11] والمسجد الجامع لعمرو بن العاص[12] ومسجد ابن فحل بالفيوم[13] ومسجد الطحان[14].

ومن مساجد سوريا وجوامعها:

جامع حلب[15] والجامع المظفري بجبل قاسيون[16] والمسجد الجامع بدمشق[17].

ومن مساجد مكة المكرمة:

---

[1]: الرحلة 64/5 والخطط 322/4.
[2]: الرحلة 100/3 والقاهرة 254/61 وكتاب مساجد مصر وأوليائها الصالحون د. سعاد ماهرمحمد 1391- 1971 مصر. ص: 228، والخطط 277/1.
[3]: الرحلة 7/6.
[4]: الرحلة 64/3، والخطط 36/4 والقاهرة ص: 38.ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون 135.
[5]: الرحلة 104/3.
[6]: الرحلة 106/3 ومساجد مصر وأولياؤها محافظة سوهاج ص:" 253 والخطط 246/2.
[7]: الرحلة 73/3، والقاهرة ص: 61 والخطط 49/4 ومساجد مصر وأولياؤها 165- 255 وكتاب الأزهر وما حوله من الآثار، د. عبد الرحمان زكي، مصر 1970 ص: 89- 97.
[8]: الرحلة 23/3 والقاهرة 68 والخطط 75/4.
[9]: الرحلة 106/3 والانتصار 59، وانظر الزوايا ص: 100 والخطط 246/2.
[10]: الرحلة 6/ 56 والانتصار 88.
[11]: الرحلة 115/3 والانتصار 59، 80، 87.
[12]: الرحلة 3 في مواضع كثيرة والقاهرة 22 ومساجد مصر وأولياؤها 55..
[13]: الرحلة 42/2 و87/6 .
[14]: الرحلة 15/3 والانتصار 79- 82- 90.
[15]: الرحلة 102/6.
[16]: الرحلة 43/3.
[17]: الرحلة 33/2.

مسجد إبراهيم عليه السلام[1] ومسجد عُرَنَة[2] ومسجد أعلى جبل عرفات الذي تنصب فيه رايات أمراء الركب[3] ومسجد العقبة[4] ومسجد الخيف بمنى[5].

ومن مساجد المدينة المنورة:

جامع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد المصطفى أو المسجد المحمدي أو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم[6].

ومن بين المساجد التي ورد ذكرها أيضا في الرحلة:

مساجد العراق كمسجد جبل وصيف[7]، وجامع القصر ببغداد وهو مسجد الخليفة[8]، وهذان المسجدان بسر من رأى. (سامراء) ومسجد بورنداز بالمامونية شرقي بغداد[9].

ومن مساجد أصفهان جامع ولدان بأصفهان[10].

ومن مساجد الهند مسجد كولم[11].

المـــــدارس

ومن المدارس التي ورد ذكرها في الرحلة، وكان لها وظيفة مهمة في نشر الثقافة والعلم أيضا:

مدرسة خارج باب تونس التي كان يدرس بها أبو الشمل الحلبي نزيل تونس[1].

---

[1]: الرحلة 18/5.
[2]: الرحلة 18/5.
[3]: الرحلة 16/5.
[4]: الرحلة 16/5.
[5]: الرحلة 25/6.
[6]: الرحلة 5/5 وانظر تاريخ مكة للازرقي وانظر عن المدينة المنورة كتاب: خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن احمد السمهودي وكتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين تأليف السيد جعفر بن السيد اسماعيل المدني البرزنجي: طبع دار صعب بيروت.
[7]: الرحلة 32/3.
[8]: الرحلة 18/3.
[9]: الرحلة7/5.
[10]:الرحلة 62/5
[11]:الرحلة 76/5.

ومدرسة الشماعين التي كان يُدَرِّسُ بها أبو القاسم بن زيتون المعروف باليَمَنِي وهي أول مدرسة بنيت بتونس[2].

أما في ليبيا فكان باطرابلس مدرسة حسنة الوضع[3].

ومن مدارس القاهرة:

المدرسة الظاهرية التي كان يدرس بها الضياء السبتي[4].

والمدرسة الكاملية والمدرسة الكرملية[5] اللتان كان يدرس بهما القطب محمد بن احمد بن علي الميموني القسطلا ني[6].

والمدرسة الصالحية النجمية في ايوان الحنابلة، وكان يدرس بها محمد بن وهب القشيري المشهور بابن دقيق العيد[7].

ومدرسة الحنفية وقد قرأ بها أبو عبد الله السلاوي شيخ ابن رشيد في تونس[8].

ومن مدارس مدينة مصر:

مدرسة ابن مرزوق التي كان يدرس بها أبو الحسن بن شجاع بن سالم القرشي[9].

والمدرسة الفاضلية التي كان يدرس بها محمد بن يحيى بن عبد الله وهو أبو صادق القرشي المعروف أبوه برشيد الدين العطار[10].

ومدرسة صفي الدين بن شكر التي قرأ بها أبو القاسم اليمني المعروف بابن زيتون وذلك عندما رحل إلى المشرق[1].

---

[1]:الرحلة 101/6.
[2]: الرحلة 10/6- 11. وتاريخ الجامعات الإسلامية 108. والحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج تونس 1970 ج:821/1.
[3]: الرحلة 3/6 والعبدري : ص: 77: ما رأيت في الغرب مثل مدرستها لولا ان محاسنها مقصورة على الصورة.
[4]:الرحلة 96/3 والخطط 216/4 وتاريخ الجامعات ص:16.
[5]: الرحلة 109/3 و61/3 والخطط 211/4 وتاريخ الجامعات ص: 89.
[6] : الرحلة 60/5.
[7]: الرحلة 58/3 مكرر و82/3 و48/3، والخطط 209/4، وتاريخ الجامعات 91.
[8]: الرحلة 42/3.
[9]: الرحلة 106/3.
[10]: الرحلة 63/5 والخطط 197/4. وتاريخ الجامعات 87.

والمدرسة الطيبرسية الملحقة بالجامع الأزهر، وقد درس بها أبو عبد الله بن عمر ابن موسى الذي ينتهي نسبه إلى علي رضي الله عنه ويشهر بالشريف الكركي وقد لقيه ابن رشيد بتونس[2].

ومن مدارس الاسكندرية:

مدرسة ابن الإبزاري التي كان يدرس بها علي بن أحمد بن عبد المحسن المعروف بتاج الدين الغَرَّافِي[3].

والمدرسة الزكوية التي قرأ بها جمال الدين أبو عبد الله محمد بن حسن المعروف بابن التونسي وذلك على أبى زيد عبد الرحمان المقرئ[4] والمدرسة النبيهية وهي دار للحديث وكان يدرس بها تاج الدين الغرافي[5].

ومن مدارس دمشق:

دار الحديث الاشرفية التي رأى فيها ابن رشيد مثال النعل الكريمة وقد قرأ بها أيضا ابن أبي الزين علي ابن اللتِّي وهو ابن المنجى عبد الله بن عمر بن علي[6].

ومن مدارس العراق:

المدرسة الشريفة المستنصرية التي قرأ بها شرف الدين الجزائِري وهو شيخ ابن رشيد[7].

والمدرسة النظامية[8].

---

[1]: الرحلة 9/6.
[2]:الرحلة 68/5. والخطط 223/4. والانتصار 96.
[3]:الرحلة 20/3.
[4]: الرحلة 3/3.
[5]: الرحلة 16/3-17. وانظر من ترجم لهم فيمن لقيهم ابن رشيد بالإسكندرية.
[6]: الرحلة 53/3 و101/3. والدارس في تاريخ المدارس 19/1 وتاريخ الجامعات 101، ويشغل دارها الان المجمع العربي وانظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.
[7]: الرحلة 61/6 وكتاب البغداديون لابراهيم الدوري بغداد 1377- 1958 ص: 310 وتاريخ الجامعات 80 ومعاهد التعليم الإسلامي د. سعيد اسماعيل علي القاهرة 1978 ص: 169. وانظر من لقيهم بن رشيد بتونس.
[8]: الرحلة 54/3 و26/5 وكتاب البغداديون ص: 309 وتاريخ الجامعات 79 ومعاهد التعليم الإسلامي 156.

ولقد كان هذا البلد يعرف نهضة ثقافية معروفة وذلك في عهد المستنصر الذي ترك آثره الواضح في اتجاه العراق الفكري.

ومن مدراس مكة:

مدرسة ابن الارسوفي[1]

الرباطات:

وبما ان الرباطات والخوانق كانت تضم كثيرا من طلاب العلم وتحتضنهم فان في الرحلة ذكرا لما وقع في إحدى الخانات المشهورة التي جرت فيها مناظرة عجيبة بين شهاب الدين محمد بن عبد المنعم اليماني المعروف بابن الخيمي ومحمد بن سوار المعروف بنجم الدين ابن اسرائيل، وتحاكمهما إلى الشاعر ابن الفارض وذلك بعد ان ادعيا انشاء القصيدة التي مطلعها: (البسيط)

يا مطلبـــــا ليس لِي في غيره أرب

إليك آل التقصي وانتهى الطلب[2]

والقصّة مشهـــورة.

ثم ان أبي العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابن الزاهري كان له مكتبة مشهورة بخانقاه وقد زارها ابن رشيد[3].

وكانت للخوانق في مصر أهمية ملحوظة، ولهذا كان يشبه بعضها مكاتب خاصة كما كان عليه الحال في رباط ابن الظاهري السابق الذكر، وأما بعضها فجاء عاما يخضع لنظام معين[4].

---

[1]: معاهد التعليم الإسلامي 175.
[2]: الرحلة 48/3. وذرة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي. تونس طبعة 1- 1390-1970. ج: 6/2 ترجمة 450. وانظر أيضا فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي بيروت 1973 ج: 413/3.
[3]: الرحلة 97/2.
[4]: الخطط 431/2.

منـــــازل العلـــماء:

وأما منازل العلماء فكانت تؤدي وظيفة المدرسة كذلك. فقد كانت منازل الشيوخ كمنزل أبي بكر محمد بن حسن بن حبيش، وأبي الحسن علي بن محمد بن رزين التجيبي، وأبي القاسم بن زيتون وجمال الدين ابن الظاهري، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم، وأبي الفضل محمد بن علي التجاني، وأبي عبد الله أحمد بن محمد بن الغماز، وأبي محمد عبد الله بن محمد الطبري- مثالا رائعا لتلك الوظيفة. واننا لا نبالغ إذا قلنا ان جل بيوت العلماء والشيوخ الذين التقى بهم ابن رشيد كانت صالونات يلتقي فيها الطلبة وتحتد فيها المعارك الأدبية واللغوية والمناظرات العلمية والمناقشات في مسائل التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأدب شعره ونثره، ولهذا كان الشيوخ والطلبة يلتقون في منازلهم، فتارة عند هذا وأخرى عند ذاك، بل ان التواضع العلمي كان يدفع الشيخ إلى زيارة منزل تلميذه، كما كان يفعل ابن حَبِيش في زيارة منزل ابن رشيد مرارا لما كان مقيما بتونس[1].

الكِـــــتَابُ والمكتـــــبة

ان سلامة السريرة لرجل العلم في العالم الإسلامي تظهر في أنه لم يَأْلُ أَيَ جهد في اقتناء الكتاب والاحتفاظ به واعتباره أحسن ذخيرته، ولهذا كان الطلبة والعلماء يكتسبون لانفسهم كتبا نادرة ويفتخرون بذلك، ويجمعون في منازلهم وجوامعهم ومساجدهم ومدارسهم وربطهم مكتبات تعد بحق فخرا للتراث في كل زمان ومكان. وهنا يتجلى مظهر الرقي ومقياس الحضارة في هذه الحقبة التي ندرسها وسنعرض في دراسة الرحلة لبعض الصور التي يظهر فيها تقدير طالبي العلم للكتاب والمكتبة وكيف أبرز ذلك ابن رشيد في رحلته وأعطاه أهمية عظمى[2].

---

[1]: انظر تراجم هؤلاء كلهم وأخبارهم فيمن لقيهم ابن رشيد من الشيوخ والأصحاب.

[2]: انظر ما يتصل بذلك في ذكر الكتب والقصص عنها والمكتبات. ونلاحظ أهمية الكتاب أيضا فيما نجده في رحلات أبي القاسم التجيبي والعبدري والبلوي. وكذلك فهرست التجيبي خاصة وعنوان الدراية للغبريني. ولكن ما ذكره ابن رشيد والتجيبي أوفر من غيرهما.

الفصل الثالث:
التعريف بابن رشيد

المبحث الأول : مصادر ترجمته
المبحث الثاني : حياته وأسرته
المبحث الثالث : خلقه ومزاجه
المبحث الرابع : ملامح عن مذهبه
المبحث الخامس : ثقافته
أ - في العلوم الشرعية
ب- في العلوم الأدبية
المبحث السادس : أثر شيوخه في تكوين شخصيته
المبحث السابع : فهرست لبعض تلامذته
المبحث الثامن : مؤلفاته
المبحث التاسع : مكتبته.

المبحث الأول: مصادر ترجمة ابن رشيد

نجد لابن رشيد تراجم كثيرة وأخبارا وإشارات مبثوثة ضمن فهارس ومعاجم وكتب تاريخية وغيرها، ولكن أصول هذه التراجم لا توجد إلا في قليل منها ككتاب سبك المقال لابن الطواح[1] والإحاطة لابن الخطيب[2] والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي[3] والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني[4] وأزهار الرياض[5] ونفح الطيب[6] لابن أبي العباس المقري والإعلام للعباس بن إبراهيم المراكشي[7]. وذيل تاريخ الإسلام لابي عبد الله الذهبي[8].

وأما ملخص ترجمته في هذه الكتب فَمَا يلي:

هو مُـحِبّ الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسن[9] بن محمد بن عمر بن رشيد، كأنه تصغير رشد[10]، الأندلسي السبتي الفهري[11] الفقيه الخطيب الحاج الرحال المحدث الحافظ نزيل فاس[12]. وكبير مشيخة المغرب وشيخ المحدثين[13]، وبحر معارف لا يسبر غوره، ورَوْضُ فنون تضوَّع مسراه وأينع نَوْرُه، وفريد زمانه الذي لا يأتي بمثله دوْرُه[14]. والفقيه الأجل العابد المتبحر في علوم الرواية والإسناد وفريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وأدبا وهمة وهديا، وكان صاحب السماع والأسمعة على الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية

1: سبك المقال لفك العقال مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط رقم 105 ص: 90.
2: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ج: 3 ص: 135.
3: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، دمشق 1959 ج: 284/4. ترجمة 1805.
4: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج: 229/4.
5: أزهار الرياض ج: 384/2.
6: نفح الطيب تحقيق محيي الدين عبد الحميد بيروت: فيه نقول كثيرة عن الرحلة.
7: الاعلام للمراكشي 250/3.
8: وفيه ترجمة واسعة 210- 216.
9: الاعلام للمراكشي 250/3 ودرة الحجال ج: 96/2 وترجمة 532 فيهما (حسين)
10: سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني ج:191/2، ودرة الحجال ج:201/4
11: الدرر الكامنة 229/4.
12: نثير الجمان في شعر نظمني واياه والزمان لأبي الوليد ابن الأحمر ط:1 دمشق 1396- 1976 ص: 23.
13: تاريخ ابن خلدون ج: 400/7، والإعلام للمراكشي ج: 410/4 ترجمة 609.
14: أوصاف الناس في التواريخ والصلات لابن الخطيب تحقيق د. محمد كمال شبانة 1397- 1977 ص : 100 ترجمة 89.

بصناعة الحديث، قائما عليها بصيرا بها ذاكرا للرجال جماعا للكتب محافظا على الطريق، مطلعا باللغة وبغريبها محافظا على العربية والأدب والعروض، وذاكرا للتفسير ريانا من الأدب حافظا للأخبار والتواريخ، مشاركا في الأصول عارفا بالقراءات عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رقيق الوجه، متحملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة[1]. ولكن أعظم غايته علم الحديث متنه وسنده ومعرفة رجاله، وبذلك كان جل اشتغاله[2]. وكان على مذهب أهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول، ويسكت لدعاء الاستفتاح، ويسر البسملة[3].

وكان ذاكرا متأدبا يقرض الشعر على تكلف ويجود النثر ويبصر مواقع حسنه[4]. وذكر بعضهم انه كان ظاهري المذهب، والمعروف أنه كان مالكيا[5]. وكان يعتمد في شرح البخاري على المحبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح لأبي عمرو الصفاقسي المعروف بان التين الذي ينقل المدونة وكلام شراحها عليها[6].

وقال ابن الطواح انني جالسته زمان الصبا وذاكرته في العربية ولكنه لم يكن هناك، وقال بأن نحوه يميل لنحو شيخه أبي الحسين ابن أبي الربيع، وهو بعيد عن فك معنى كلام الإمامين ابن هشام[7]، وابن عصفور[8]. وحديثه على طريقة أهل الجرح والتعديل[9].

وكان قد تولى الإمامة والخطابة بغرناطة بعناية صاحبه الوزير أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمان بن الحكيم الذي رافقه في رحلته إلى الحرمين، وكان إذا فرغ من الخدمة

---

[1]: الإحاطة 135/3، والاعلام للمراكشي ج: 250/3 وسلوة الانفاس ج: 191/2 ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص: 283 وبغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة للسيوطي ط: 1، 1326 القاهرة ص: 85.

[2]: الاعلام 251/3.

[3]: الإعلام للمراكشي 254/3، وفهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني ج: 332/1.

[4]: ازهار الرياض ج: 348/2.

[5]: ازهار الرياض ج: 350/2.

[6]: ازهار الرياض ج: 350/2 وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ط: بيروت ص: 217.

[7]: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي الأندلسي (ت 570 هـ) انظر هدية العارفين ج: 97/2.

[8]: هو أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت 669هـ) وقد ترجم له ابن رشيد في الرحلة ترجمة مفيدة: 91/6..

[9]: سبك المقال 90 وجه.

يجيء إلى ابن رشيد فيباشر خدمته بنفسه ويبالغ في إكرامه، واستمر ابن رشيد في الجامع يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما ومتنهما أتقن كلام ويدرس دروسا مبينا للرواية، فلما قتل ابن الحكيم في سنة 708 هـ خرج منها إلى العدوة وبقي في إيالة صاحبها عثمان بن أبي يوسف المريني إلى ان مات مكرما. وذكر الذهبي في سير النبلا ء انـــه لما رجع من رحلته سكن سبتة ملحوظا عند الخاصة والعامة، ثم ارتحـــل في سنة 691 هـ. وكان ورعا منقبضا عن الناس ذا هَيْبَةٍ ووقار يسارع في حوائج الناس ويِجَلْبِ المصالح ورد المفاسد، يوثر الفقهاء والغرباء والطلبة لا تأخذه في الله لومة لائم[1].

ويخبرنا ابن الخطيب[2] رواية عن شيخه أبي بكر بن شبرين[3] ان ابن رشيد دخل غرناطة ثانية عام 692 هـ فعقد مجلسا للخاص والعام يقرئ فيها فنونا كثيرة من العلم، وتقدم خطيبا فإماما بمسجده الأعظم. وحدث أنه قعد ذات يوم على المنبر وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين وهَمَّ أحد بأشعاره وتنبيهه، وكلمه آخر فلم ينتبه لذلك عما شرع فيه وقال بديهة.

"أيها الناس حكم الله ان الواجب لا يبطله المندوب، فان الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب فتأهبوا لطلب العلم وانتبهوا وتذكروا قوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، فقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له[4] جعلنا الله وإياكم ممن عمل بما علم، وأخلص فتخلص: وكان ذلك مما استدل به على قوة جنانه وانقياد لسانه[5].

أما شعره فكان يتكلفه، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض[6]. وله كتب وخطب وقصائد[7] ومؤلفات كثيرة في الحديث[8]. وأما رحلته ففيها فنون وضروب من

---

[1]: الدرر الكامنة: 299/4.
[2]: الإحاطة 135/3.
[3]: هو تلميذ ابن رشيد، انظر ترجمته في تلاميذه ترجمة 35 ص: 174 من هذا البحث.
[4]: الرحلة 1/6 والاعلام للمراكشي 251/3 ونوازل الونشريسي مخطوط، (نوازل الصلاة). انظر كتاب المعيار.
[5]: الاحاطة 135/3.
[6]: نفسه.
[7]: الاعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي ج: 7. ودائرة المعارف الإسلامية ص: 933.
[8]: شجرة النور ص: 216 والأدب الجغرافي العربي لاغناطيوس كراتشكوفسكي مسكو 1957ج:377/1.

الفوائد العلمية والتاريخية وطرف من الأخبار الحسان والمسندات العوالي والأناشيد، وهي ديوان لم يسبق إلى مثله[1]. وقد درس ابن رشيد بالظاهرية القحفازي بعد موت أبي العز الحنفي[2]. وكانت له مجالس علمية مشهورة منها مجلس شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر في الموطأ وصحيح الإمام البخاري[3]. وقد احتفل في صباه بالأدبيات حتى برع في ذلك. ثم رحل إلى فاس فأقام بها وطلب الحديث فمهر فيه[4]. وقد تعرض للمحنة يوم قتل صديقه أبو عبد الله ابن الحكيم، ثم رحل إلى المغرب ومات بفاس ودفن بجبانة باب الفتوح بروضة مطرح الجلة[5].

وسواء كانت هذه التراجم قديمة أم حديثة، فإنها لم تعطنا معلومات كافية عن حياته وشخصيته، ولم تقدم لنا تفصيلا عن تنقلاته وأعماله في الأندلس والمغرب والمشرق. ولم تشف غليلنا بالتعريف بمؤلفاته وانتاجه الفكري ومشاركته في العلوم والفنون. ويبدو كل ذلك غير واضح من خلال تلك المصادر، لان تعابير التقريظ والتنويه به فيها لا يمكن أن يفيدنا في الدراسة العلمية الصحيحة. ولكن لا نلمس ذلك كله إلا من خلال دراستنا المنهجية لبعض كتبه التي بين أيدينا وهي: إفادة النصيح، والسنن الأبين، والرحلة التي تعد بحق صورة كاملة وحقيقية لعقله وفكره وشخصيته، وتعد في نفس الوقت أهم مصدر عنه وعن عصره، والبلاد التي زارها ومن ترجم لهم من شيوخها وأرخه عن حركة الفكر فيها.

وإذا كان بعض مصادر هذه الترجمة أساسيا، كما قدمناه، فانه يمكن ان نستفيد من غيرها من الكتب كبغية الوعاة وطبقات الحفاظ ونيل الابتهاج ودرة الحجال وفهرس الفهارس ورحلة العياشي، إذ يوجد في هذه الكتب جملة من شيوخه وتلامذته وبعض النصوص المنقولة عن رحلته، بعضها موجود في الأجزاء المعروفة وبعضها يعد وثائق مهمة

---

[1]: الاحاطة 135/3 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة ط: 1، 1369- 1950. تطوان ج: 381/2 . والدرر الكامنة 229/2. وتذكرة الحفاظ للحفاظ الذهبي ص: 355. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ط: 1، 1348 بيروت ج: 234/2 والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني ص: 178.

[2]: ذيل العبر للذهبي ج: 121/17.

[3]: جامع القرويين د. عبد الهادي التازي ج: 484/2.

[4]: الدرر الكامنة 229/4.

[5]: الإحاطة 135/3. وانظر كتاب التبصرة أو التذكرة، شرح الفية الحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفي سنة 806. صفحة 96: ان ابن رشيد دفن بالقباب بفاس.

عن الأجزاء المفقودة أو الأقسام المبتورة أو التي نقلت عن الرحلة نقلا لا تتوافر فيه الأمانة العلمية.

وإذا أردنا تصنيف مصادر ترجمة ابن رشيد ومراجعها، والاهتداء إلَى المؤلفات والفهارس التي كانت تنقل من كتبه أو تترجم له أو تذكره أو تشير إلى بعض الإفادات عنه أو تترجم لشيوخه وتلامذته، ألفينا كل ذلك في أربعة أنواع نرتبها حسب أهميتها:

أ- مصادر الترجمة: ونذكر فيها الكتب التاريخية والفهارس القديمة وبعض الحديثة المهمة.

ب- المؤلفات التي كانت تنقل من كتبه أو تورد نصوصا أو إشارات أو أخبارا عنه.

وتعد تلك المصادر والمؤلفات أساسية عنه وعن رحلته.

ج- الفهارس والمعاجم وبعض الكتب المتأخرة.

د- بعض المجلات والجرائد التي أوردت تراجم أو أخبارا عن ابن رشيد أو ذكرا لشيوخه وتلامذته.

وهذه قائمة بأسماء تلك الكتب والمؤلفات مرتبة على حروف المعجم:

1- المصـــــادر:

الكتـــاب	الـمــؤلــف	جــزء/ صـفـحة
الاحاطـــة	ابن الخطيب (ت 776هـ)	135/2
أزهار الرياض	المقري (ت 1041هـ)	348/2[1]
الاعـــلام	المراكشي (ت 1378هـ)	251/3[1]
أوصاف الناس	ابن الخطيب (ت 776هـ)	89
البدر الطـالع	الشوكاني (ت 1250هـ)	34/2 ترجمة 491.
بغية الوعـاة	السيوطي (ت 910هـ)	85 خاصة و 15و 16و 162و177و348و421.
تـاج المفـرق	أبو البقاء البلـــوي	60/1- 72.
تاريـــخ	ابن خلدون (ت 808هـ)	400/7.
جذوة الاقتباس	ابن القاضي (ت 1025هـ)	289/1 خاصة ومواضع أخرى فيها ذكر لتلامذته ومن لقيه.
درة الحجـال	ابن القاضي (ت1025هـ)	201/4 خاصة ومواضع أخرى كثيرة ذكر فيها شيوخه الذين نقلهم من الجزء المفقود وفيه أيضا نصوص تصلح للمقارنة.
الدرر الكامنـة	ابن حجـر العسـقلاني (ت 852هـ)	229/4.
دول الإسـلام	السخاوي (ت 901هـ)	177 وفيات 721.
ذيل تذكرة الحفاظ	السيوطي (ت 910هـ)	355.
ذيل العبر للذهبي	الحسيني (ت 765هـ)	708/17
سبك المقـال	ابن الطـــواح	90 وجه
سلوة الأنفـاس	محمد بن جعفر الكتاني	191/2
شذرات الذهـب	ابن العماد (ت 1089هـ)	56/6 وفيات 721
طبقات الحفتاظ	السيوطـــي	524.

[1]: تعد ترجمة المقري لابن رشيد حافلة لأنها تحتوي على نصوص من الجزء المفقود.

طبقات المالكية[2]	المجـــــهـــول	524 [1]
طبقات المفسرين	الـــــــــداودي	552
غايـــة النهاية	لابن الجزري(ت 833 هـ)	22/2
فهرست السراج	لأبي زكرياء السراج[3]	
لقط الفــرائد	ابن القاضي	وفيات 721
(الف سنة من الوفيات)		
المعيار:نـــــوازل	الونشريسي(ت 914 هـ)	
نثير الجـــــمان	ابن الأحمر (ت 807 هـ)	190
نوازل المعـــــيار	الونشريسي(ت 914 هـ)	نوازل الصلاة
مرآة الجنـــــان	اليـــافعي (ت 768 هـ)	266/4
نيل الابتـــــهاج	التنبكتي (ت 1002هـ)	283 خاصة و236و255و256و278.
الوافي بالوفيات	الصفدي(764 هـ)	284/4 ترجمة 1805

[1]: وتعد أيضا ترجمة الاعلام للمراكشي مهمة كذلك مع أنه متأخر، ولهذا أدرجت ترجمته هنا لاشتمالها على معلومات مستفيضة ومهمة.

[2]: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 3928.

[3]: انظر إفادات مهمة عنها للأستاذ عبد القادر زمامة وذلك في توضيح أمر مهم في ذكر خط سير ابن رشيد في رحلته مجلة المناهل عدد 22 ص: 551.

2- الكتب التي كانت تنقل من الرحلة أو تورد نصوصا وإشارات مهمة عنها:

أنس الساري والسارب	السراج القيسي (ت 1042هـ).	84
انس الفقير وعز الحقير	ابن قنفذ القسنطيني(ت 810هـ)	101
البستـــــان	ابن مريم	159
الذيل والتكملة	ابن عبد الملك المراكشي	سفر 1 قسم 2: 44، 331، 333، 334، 336، 337، 338، 370، 412، 521
توضيح الأفكار لمحمد بن اسماعيل اليماني	ص: 200	
الرسالة المستطرفة	محمد بن جعفر الكتاني	
شرح الفية العراقي	عبد الرحيم العراقي	178
فتح المتـــعال	المقـــــري	ص: 6، 96.
فهرســـت	المنتـــوري	فيه نقول كثيرة ومفيدة.
ماء الموائد (رحلة العياشي)	العياشي (ت 1090هـ)	62- 64- 68- 101.
مختصر فتح المتعال		من صفحة 238 إلى 253 خاصة.
نشر المثـاني	محمد بن الطيب القادري	90، 119.
نفاضة الجراب	ابن الخطيب	120/1.
نفح الطيـــب	المقـــري	ص: 143 فيه نُقُولُ كثـــيرة ومهمة منها في 606/1- 615 و 195/2، 582- 583 و121/4، 311، 496 و225/5، 481.
هـــدى الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني		14/1.

ولا يمكن أن نُغْفِلَ كذلك نقول المتأخرين وكتاباتهم لأهميتها واشتمالها على كثير من الفوائد، وإبرازها لشخصية ابن رشيد، فمن الكتب التي عرضت له أو أخذت عن رحلته أو نبهت على أشياء تمت بصلة إليه:

ابن سعيد الاندلسي	محسن العبادي	258- 262
أبو حيان النحوي	د. خديجة الحَدِيثي	43- 44- 77- 567.
أبو المطرف احمد بن عميرة	د. محمد بن شريفة	9- 78- 119- 157- 172- 173- 241.
اختصار القدح المعلى	ابن سعيد/ اختصره ابن خليل	وقد تعرض محقق الكتاب في مقدمته إلى بعض التنبيهات المفيدة في أماكن كثيرة وفي 230 و 231 خاصة.
البيئات العلمية والفكرية بالبلاد العربية من رحلة ابن رشيد.	د. الحبيب بلخوجة	وفيه تعريف بابن رشيد ورحلته
جامع القرويين	د. عبد الهادي التازي	484- 485.
دليل مؤرخ المغرب الأقصى	ذ. بنسودة	308/2- 341- 363
ذكريات مشاهير...	د. عبد الله كنون	وفيه تعريف بابن رشيد ونقول من رحلته.
قصائد ومقطعات لحازم القرطاجني	جمع د. بلخوجة	وفيه إشارات وتنبيهات ونقول من رحلة ابن رشيد
المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى	صلاح الدين المنجد	ص: 43
المنتخب النفيس من شعر ابن خميس	ذ. عبد الوهاب بن منصور	89- 95
منهاج البلغاء	حازم القرطاجني	في مقدمته إشارات مفيدة
النبوغ المغربي	ذ. عبد الله كنون	193/1، 206، 219، 220
ورقات	ذ. محمد المنوني	نقول كثيرة

3- بعض التراجم والإفادات الواردة ضمن كتب الآخرين.

الاعـــــلام	الزركـــــلي	ج:7
افريقيا في العصور الوسطى	برانشـــفيـــق	ج: 3/1.
إيضاح المكنون	اسماعيل باشا البغدادي	550/1- 553
تاريـــخ الأدب	بروكلـــــمان	317/2 و367/5.
تاريخ الأدب الجغرافي	كراتشكوفسكي	382/1[1]
تاريخ الفكر الأندلسي	آنخل بالنثـــيا	318
تاريخ المغرب العربي في سبعة قـرون	محمد الهادي العامري	69.
دائرة المعارف الإسلامية هـ، ارام		ص: 913
دائرة المعارف الإسلامية فؤاد البستـاني		108/3
شجرة النور الزكية	ابن مخلوف	217/1.
العلم عند العرب	الدوميـيلي	411[2]
فهرس مخطوطات خزانة القرويين	د. محمد العابد الفاسي	272
كشف الظــــنون	حاجي خليفة	836/1- 1297- 1813.
مكتبة الاسكوريـــال	انطـــونا	م 145 دجنبر 1925 ع643/11 و 644
معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقـــصى	ذ. عبد العزيز بن عبد الله	ص: 11.
معجم المؤلفـــين	رضا كحـــالة	93/11
المؤرخون والجغرافيون العرب والأندلسيون	جليان ريبيرا، وطاراكو	بند 270 ص: 317، 318
الموسوعة المغربيـــة	ذ. عبد العزيز بن عبد الله	106/1
هدية العارفـــين	اسماعيل باشا البغدادي	144/2

---

[1]: وينبغي التنبيه على أن كراتشكوفسكي سمى رحلة بن رشيد المتعددة الأجزاء رحلتين وهو يرى أنهما تحملان اسما جامعا هو الرحلتان، الأولى منهما يصف فيها طريقة في افريقيا والثانية تتناول الكلام على أهل الحديث والفقهاء الأندلسيين. ومن خلال هذا الرأي يترجح لنا أنه ليست لديه فكرة واضحة عن الرحلة.

[2]: وقد وقع الدوميلي في الخطأ الذي وقع فيه كراتشكوفسكي أيضا لأنه اعتقد أن الرحلة رحلتان احداهما تتعلق بالأندلس والأخرى بافريقية.

4- بعض المجلات والجرائد التي فيها إفادات عن ابن رشيد ورحلته.

الموضوع	المـــؤلف	المرجـــــــع
ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق	ذ. محمد الفاسي	دعوة الحق عدد 2 سنة 3 (1379- 1960) ص: 33- 38 مجلة معهد المخطوطات العربية مايو 1959 مجلد 5 ج: 31/1، 42.
الرحالة المغاربة وآثـــــارهم	ذ.عبد القادر زمامة	دعوة الحق ع: 2 ص: 2(1378، 1958) ص: 11. المناهل ع: 22 ص: 544.
الرحالتان السبتيان(ابن رشيد والتجيبي رحلة ابن رشيد	ذ. حمد الجاسر	العرب(السعودية) ج: 5م3 وج: 2 م:4
الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية	ذ. محمد المنوني	مجلة المناهل ع: 17 ص: 47 و 99.
رحلة ابن رشيد تم نقلها إلى الاسكريال عن طريق الخيانة	ذ. عبد الله كنون	جريدة العلم الثقافي ص: 8 ع: 468 الجمعة 13 جمادى الثانية 1399، 11 ماي 79.
مع ابن رشيد في رحلته	ذ. احمد فطري	جريدة العلم الثقافي ص: 11ع: 547 الجمعة 16 ربيع الأول 1401. 23 يناير 81.
ملاحظات حول إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح:	ذ. محمد بوخبزة	جريدة النور ع: 14 س: 2 جمادى الثانية 1395 يونيو 1975.

وبعد ذكر هذه المصادر والمراجع الكثيرة والمتنوعة نستخلص أن ابن رشيد ورحلته كانا معتمدين لدى أهل العلم في مختلف الأمصار والأقطار ولولا ذلك ما كان المحدثون والفقهاء والمؤرخون والأدباء ينوهون بها وينبهون على بعض ما فيها من الفوائد للاستشهاد بها في القضايا المهمة كبعض المسائل الحديثية خاصة، ثم إنهم كانوا ينقلون

منها شيئا من النصوص التي تظهر فيها آراء ابن رشيد التي تقوم شيئا مما اختلف فيه أهل الحديث كابن الصلاح وابن المنير وغيرهما كما سيتضح بعد من خلال دراستها وتصنيف معارفها.

ونلاحظ على هذه الكتب أيضا أنها تشمل معظم الميادين الثقافية الإسلامية والأدبية، إذ إن فيها أيضا كتبا حديثية وفقهية وأدبية وتاريخية وجغرافيا وفيها أيضا كتب عن التصوف وغير ذلك، وهذا كله يدفعنا إلى القول إن الرحلة يمكن أن تكون عيبة ملأها ابن رشيد بكل طارف وتليد.

المبحث الثاني: حياة ابن رشيد وأسرته وكرسيه العلمي

حيـــاته:

أصله ونسبه: يتصل نسب ابن رشيد بالفهريين، وهم بطن من كنانة التي يرفع نسبها إلى مضر القحطانية[1]. وكان هؤلاء الفهريون يكونون في الأندلس جماعة كبيرة مشهورة،إذ نجد لها عبر التاريخ ذكرا متصلا وصيتا متواترا، وكانت بيوتاتهم فيها تعرف بالعلم والمروءة والوجاهة والتؤدة والنباهة والعدد والثروة[2]. فمن بني الحارث ابن الفهر: يوسف بن عبد الرحمان سلطان الأندلس الذي عمله فيها عبد الرحمان الداخل، وجد يوسف: عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بافريقية[3].

والفهريون بالأندلس جماعة منهم محمد بن رشيد خطيب غرناطة أبو عبد الله هذا، وهو صاحب الرحلة التي نحن بصدد دراستها. أما اصله في الأندلس فيرجع إلى شلب أو إحدى جهاتها، وقد أفادنا بذلك ابن رشيد نفسه عندما التقى بشيخه أبي العباس أحمد بن يوسف الفهري اللبلي الذي كان يغشى مجلس أبي العباس أحمد بن الغماز أيام الجمع بجامع الزيتونة بتونس، وقد كان أبو العباس الفهري شديد البر به كثير التحفي متى لقيه، ويقول له:"أنت من بلادي"، وهو يشير بذلك إلى كون أصل والد ابن رشيد من شلب أو جهاتها. وأبو جعفر اللبلي كذلك من تلك الجهات[4]. ونستخلص من ذلك أن ابن رشيد لم يكن متثبتا من تحديد مكان أصله الذي هو شلب أو إحدى جهاتها الكثيرة التي منها شنبوش ورمادة وشنتمرية وقسطلة[5]. ونذكر كذلك أن الفهري لم يكن متأكدا أيضا من مكان أصله، ومهما يكن من أمر حقيقة نسبهما الى تلك البلاد أو نواحيها فإن شلبا قاعدة ولاية أشكونية التي ليس بعد اشبيلية مثلها: إذ قل أن ترى من

---

[1]: نهاية الأرب في معرفة انساب العرب لأبي العباس القلقشندي ط: 1 القاهرة 1959 ص: 394، 408، 409.
[2]: نشر المثاني لأهل القرن حادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري الرباط 1397- 1977 ج: 120/1، وانظر ما علقه صاحب التاريخ المفترى عليه في المغرب. عبد الكريم الفدلي، الرباط 1969- على النسب الفهري ص: 44.
[3]: جمرة انساب العرب لأبي محمد علي ابن حزم الأندلسي ط: 3 القاهرة 1971 ص: 12- 176- 177- 178.
[4]: الرحلة: 63/6.
[5]: المغرب في حل المغرب: 380/1.

أهلها من لايقول الشعر ولا يعاني الأدب[1]. ولهذا ليس غريبا أن نجد ابن رشيد ينتسب إلى أولئك القوم، فيكتسب طبعهم وأخلاقهم، ويكون مثلهم في رواية العلم والأدب، وينجب بين أقرانه في نعومة أظفاره.

مولده ونشأته ودراسته: إن أهم مصدر لنا عن تحديد مولده هو ما صرح به نفسه في الرحلة فيقول:"ومولدي في عام سبعة وخمسين وستمائة"[2]. وقد ورد ذلك عرضا بمناسبة كلامه على علو التنزيل، ووقوع حديث النهي عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر- له مساواة للنسائي الذي كان مولده رحمه الله، فيما حكاه حمزة بمحمد الكِنَانِي الحافظ، سنة 214، وبهذا يكون بين مولدهما 443 سنة. ولكنه لم يحدد المكان واليوم والشهر، ولا نجد ضبط ذلك إلا في بعض المصادر كالدرر الكامنة ودرة الحجال، أما ابن حجر فيذكر في ترجمته له أنه ولد في جمادى الأولى سنة 657 هـ[3]. وأما ابن القاضي فيجعل مولده، في شهر رمضان من نفس السنة[4]. ومهما يكن أمر هذا الخلاف فإن جميع مصادر ترجمته قد اتفقت على أن ولادته سنة 657 هـ.

أما مكان مولده فهو سبتة، وفيها بدأت نشـأته العلمية، إذ درس فيها على أبي الحسين بن أبي الربيع النحو والعربية والقراءة، وأخذ عنه ما يأخذه طلاب العلم في هذه السن كالجمل والإيضاح والكتاب[5]. وقد درس كذلك على أبي الحسن الخضار الكتامي كتاب الروض الأنف للسهيلي حتى إنه كان يعرضه من حفظه على تلامذته في مجالس اقرائه[6] ودرس عليه كذلك العروض والآداب وغير ذلك. وسمع البخاري من محدث سبتة الشيخ عبد العزيز الغافقي[7]. ثم أخذ من نظراء هؤلاء الشيوخ فتضلع من العربية واللغة والعروض والآداب والأخبار والتواريخ والقراءة، وشارك في الاصلين وبرع في الخط وذكر الرجال وجمع الكتب حتى صارت له صحة النقل والأصالة في الضبط[8].

---

[1]: معجم البلدان لياقوت: 357/3.
[2]: الرحلة: 118/3- 119.
[3]: الدرر الكامنة: 229/4 ترجمة 4127.
[4]: درة الحجال: 96/2 ترجمة 532.
[5]: الرحلة 23/3.
[6] : فهرس المنتوري مخطوط خزانة الملكية رقم 1578 ص: 68.
[7]: الوافي بالوفيات للصفدي ج: 285/4.
[8]: الاحاطة 135/3.

ويظهر أن نبوغه وحذقه في العلوم كانا منذ نعومة أظفاره ثم إن تلك المعارف الكثيرة التي رسخت في ذهنه منذ الصغر قد طبع بها رحلته التي كانت في الواقع دائرة معارف للعلوم[1].

ومن الصعب أن نتتبع تفاصل أخرى من حياته في هذه الرحلة أو غيرها لأن المصادر لم تسعفنا بشيء من ذلك صراحة أو إيـمَاءً، لذلك نجد أنفسنا أمامه وقد اكتملت سنه، وفي هذه السن تتوق نفسه إلى أداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق ليكمل عليهم اختصاصه في علم الحديث وليحصل على أعالي الأسانيد.

وكان في هذه الرحلة من العمر راسخ لقدم في تلك العلوم السابق ذكرها، حافظا لكثير من المتون والأشعار والأحاديث وغير ذلك، وكان أيضا ذا تمييز للمذاهب والتيارات الفكرية والعقدية في المغرب والمشرق، ويظهر ذلك من خلال مناقشاته لشيوخه في مصر والقاهرة. ثم إنه إذا حضر مجلسا من مجالس شيوخه فإنه يكون عارفا من قبل أشياء عن صاحبه وذلك من حيث مركزه العلمي وشخصه وطبعه ونفسه كما نستنتج ذلك من خلال إلمامه بحلقة بهاء الدين ابن النحاس[2]. ويتجلى لنا ذلك أيضا من خلال مناقشاته لشيوخه أنه كان يبدي آراءه عن حسن إدراك وعمق في الفهم لما يعرض له من المسائل الفقهية والأدبية واللغوية وذلك مثلما جرى بينه وبين ابن دقيق العيد في مسألة البسملة في المذهبين الشافعي والمالكي[3]، أو بينه وبين أبي المعالي الاصبهاني الشافعي إمام النظريات والعلم بالخلافيات في عهده وذلك في مسألة(الحرف ما دل على معنى...)[4]،أوبينه وبين ابن زيتون في مسائل البلاغة والأدب والعقيدة[5]. أو بينه وبين أبي الحسن ابن رزين[6]، أو أبي بكر بن حبيش[7] في مسائل الأدب شعرا ونثرا أو غير هؤلاء مما سيبين في ترجمة شيوخه في المغرب والمشرق أو في مكان دراسة علوم الرحلة وفنونها.

---

[1]: انظر أساتذته فيمن ترجم لهم في سبتة.
[2]: الرحلة 23/3، وانظر من ترجم لهم في مصر والقاهرة ترجمة 185.
[3]: الرحلة 58/3.
[4]: الرحلة 89/3.
[5]: الرحلة 13/6.
[6]: الرحلة 80/6.
[7]: الرحلة 1/2.

وعندما غادر ابن رشيد وطنه كانت عَيْبَتُه حافلة بشتى العلوم والفنون، ولو لم يكن كذلك ما تسنى له مناقشة شيوخ علماء طار صيتهم في الآفاق كابن دقيق العيد، ولما استطاع أن يخطئ ويوهم، في كثير من المسائل، ناصر الدين بن المنير المشهور في مسائل من تراجم البخاري[1] ولما ندب للإقراء في إحدى مدارس الشام، ولما اقتحم باب أبي المعالي الاصبهاني في الخلافيات[2].

ولما كانت لابن رشيد معرفة بذي الوزارتين الكاتب أبي عبد الله ابن الحكيم الرندي، فقد اتفقا على السفر معا إلى المشرق، فغادر كل منهما بلده فالتقيا بـمَرْسَى المرية في أوائل سنة 683 هـ. وكانت هذه القاعدة باب المشرق تبحر منها المواكب الكبيرة قاصدة مراسي افريقيا الشمالية ومصر والشام[3].

وأننا لا نعلم شيئا كثيرا من تفاصيل رحلته ما بين المرية وتونس، أكان ذلك طريق البر أم عن طريق البحر. وكل ما بين أيدينا أنه زار على الأقل تلمسان وبجاية وبونة (عنابة). ونحن نعرف أن أهم المدن والمرافئ التي كانت تستقبل الرحالة في هذه الآونة تلك المدن السابقة الذكر، ومرسى هنين والجزائر وقسنطينة[4]. ولو توافر لدينا الجزء الأول المفقود لكان الأمر واضحا أكثر، ولزادنا معرفة عن خط سيره هناك.

وقد بقي في تونس يتردد على مشايخها ويقيد عنهم الفوائد. وتعد أيامه بها من أكثر الأيام جنيا للفوائد العلمية من حيث الأخبار الأدبية والتاريخية. وقد خص هذه المدينة بثلاثة أجزاء تقريبا من رحلته.

ومن تونس سافر إلى الإسكندرية، ولا ندري كذلك أكان ذلك عن طريق البر أم البحر لأن الجزء الذي يعرض لذلك مبتور من أوله أيضا. ولا نعلم كذلك كم بقي فيها بالتحديد. ولكننا إذا عرفنا أنه لقي مكين الدين ابن الأسمر يوم 21 جمادى الأخرى 684 هـ بالإسكندرية[5]، وهو من التراجم الأولى المهمة في الجزء الثالث، ويسبقها بعض

---

[1]: الرحلة 95/3، وانظر ترجمة ناصر الدين ابن المنير في فوات الوفيات 149/1.
[2]: الرحلة 88/3.
[3]: درة الحجال 96/2.ودعوة الحق: 2 س:3 ، 1960 (ذ. محمد الفاسي).
[4]: تاج المفرق 146/1-163 ودعوة الحق:عدد 2 س: 3 (ذ. محمد الفاسي).
[5]: الرحلة 5/3.

التراجم القصيرة، ثم أنه رحل من الإسكندرية يوم السبت 28 جمادى الثانية[1]، فإنه يتحصل لنا انه بقي في الإسكندرية ما يقرب من نصف شهر فحسب. وبالرغم من قصر تلك المدة فإنه زار فيها شيوخا مشهورين واستفاد كثيرا من معظمهم.

ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة ونزل بها يوم 7 رجب 684 هـ وأخذ يتردد على علمائها تارة وأخرى يذهب إلى مصر المدينة، وكانتا في ذلك الوقت زاخرتين بالعلماء والمحدثين والأدباء.

وقد بقي في مصر القاهر ما بين 7 رجب وآخر شعبان 684 هـ[2] وكانت تلك الأيام حافلة أيضا بلقاء الشيوخ الأجلة.

ثم غادر مصر إلى دمشق خاصة والشام عامة وذلك في أواخر شعبان 684 هـ ويسبب فقدان الجزء الرابع فإن تفاصيل رحلته في ذلك غير متوافرة، إلا أن أهم ما اجتمع لدينا من ذلك أنه زار دمشق وحرم الخليل وبيت المقدس ونابلس وبعلبك. وكانت هذه المدن أيضا زاخرة بأقطاب الفكر والعلم في كل الفنون، ويتجلى ذلك من خلال كتب طبقات الحنفية والمعاجم وفهارس الوفيات والكتاب التي درست تاريخ المدارس والجامعات والمكتبات والمساجد والخوانق والربط. وأما الطريق التي سلكها فهي غامضة، فإذا كان قد سلك طريق البر فإن الطريق معروفة وهي ما يقرب من 320 ميلا[3]، وأما إذا سلك طريق البحر فلا نعلم شيئا عن الثغور التي قصدها.

ولما وصل إلى الحرمين الشريفين حج في موسم 684 هـ واتصل كذلك بشيوخ مكة والمدينة المنورة.

وفي يوم الأحد 15 ذي الحجة 684 هـ ودع ابن رشيد مكة المكرمة قاصدا طيبة[4]، المدينة المنورة، فوصل إليها يوم الخميس 25 ذي الحجة ومنها إلى القباب فالبويب وربع الكارمي وذلك ما بين 25 محرم وشهر صفر 685 هـ إلى أن وصل إلى

---

[1]: الرحلة 21/3.
[2]: الرحلة 120/3.
[3]: انظر الخطط للمقريزي 226/1.
[4]: الرحلة 18/5.

القاهرة، ثم توجه إلى الإسكندرية، ولم يكن توجهه إليها للمرة الثانية إلا لأخذ كتب كان قد أودعها هناك[1]، ثم توجه بعدها إلى طبرق ثم الى مرسى هوارة من صحراء برقة إلى أن وافى مدينة طرابلس وفيها التقى بأحد وجهائها وأهل العلم فيها: ابن عبد السيد. وكان في هذه المرحلة من رحلته برفقة صديقه ابن الحكيم وأبي عثمان سعيد بن جون المراكشي[2] الذي التقى به في بحر الإسكندرية. ثم سافر من طرابلس إلى المهدية بعد أن أقام فيها إلى يوم الثلاثاء 16 ربيع الآخر 685 هـ ثم غادرها إلى سوسة مرورا على الحمامات وعلى مياه ومنازل أخرى لم يذكرها، ومنها إلى تونس التي لقي بها مشايخ مجددا اللقاء ببعضهم.

وهكذا بقي في تونس إلى أن خرج منها يوم الخميس 14 ربيع الثاني 686 هـ ومنها إلى عنابة ثم إلى مرسى برشك ومنها إلى المرية التي وافاها يوم الثلاثاء فاتح جمادى الثانية 686 هـ. ثم توجه إلى مالقة بعد يوم 6 جمادى الثانية 686 هـ حيث بقي فيها أياما زار خلالها مدينة رندة. وقبل أن يصل إلى بلده سبتة يوم 22 جمادى الثانية 686 هـ وانتهاء سفره، بقي بعض الأيام يتردد بين مالقة ورندة وذلك في عهد عز صديقه ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم.

وقد سكن ابن رشيد سبتة ملحوظا عند الخاصة والعامة، ثم ارتحل عنها سنة 691 هـ[3] مقتصدا منقبضا عن الناس، وأخذ يتردد بين المغرب والأندلس. ثم قدم غرناطة زائرا سنة 692 هـ وعين فيها للخطاب وذلك بعد قضاء خمس سنوات مقيما في سبتة. وكان صديقه ابن الحكيم الرندي إذا فرغ من الخدمة يجيء اليه فيباشر خدمته بنفسه أحيانا ويبالغ في إكرامه[4]، وبعد نكبة ابن الحكيم والتنكيل به عاد ابن رشيد إلى مسقط رأسه ثم أخذ يدرس غير مشارك لأشياخه في تعليم ما تخصصوا فيه واشتهروا به، وذلك تأدبا منه وإكراما لهم[5] وعرفانا بفضلهم.

---

[1]: الرحلة 1/6.
[2]: الرحلة 2/6.
[3]: الدرر الكامنة 229/4.
[4]: نفسه.
[5]: الوافي بالوفيات 285/4.

وفي هذه الأثناء انكب ابن رشيد على التأليف والكتابة، إذ ألف كتابه المورد الامعن في المحاكمة بين الامامين، وفي سنة 706 هـ ألف كتابه إفادة النصيح. وفي هذه السنة أيضا قدم من الأندلس زائرا، ولكنه لم يذكر ما قام به في هذه الزيارة، ومعنى هذا أنه كان يتردد بين المغرب والأندلس لأسباب علمية صرف.

وكان بين ابن رشيد وبين تلامذته وأصحابه مكاتبات واتصالات ونستنتج ذلك من خلال وصول كتاب أبي القاسم الانصاري يذكر فيه أبياتا تصلح جوابا لأبيات أبي المطرف بن عميرة التي أنشأها في الغزل ومنها:(الكامل)

فضـــل الكمال على الجمال بوجهه

والحـــق لا يخفى على من وسطه(الأبيات)[1]

ولا شك في أن تلك الاتصالات والمكاتبات كان مدارها حول المسائل الأدبية والفقهية. و قد عاد بالكتابة اليه سنة 718 هـ. وهكذا كان دائما على ارتباط وثيق بأصدقائه في الأندلس والمغرب.

وبالرغم من حسن خلق الرجل وكرمه كان له بعض المناوئين الذين أخذوا يلتمسون الأسباب للإيقاع به، فقد دبرت له في غرناطة مكيدة، إذا اتهم أنه كان يسر البسملة، وأنه على مذهب أهل الحديث يمرها ولا يتأول، ويسكت لدعاء الاستفتاح، فكتب عليه محضر بأنه ليس مالكيا فاتفق أن القاضي الذي شرع في المحضر مات فجأة فبطل المحضر، وانتهت القضية دون أن يمس بسوء.

ولما اغتيل الوزير ابن الحكيم الذي كان قد استبد بالأمر دون رئيسه أبي عبد الله محمد الملقب بالمخلوع، اضطربت العلاقة بين مملكة غرناطة وبني مرين، فتوالت الأحداث الجسام والانتفاضات في ظل أبي عبد الله المخلوع. وكان من أكبر مدبريها أخوه أبو الجُيُوش نصر بن محمد الفقيه وجماعة من أكابر الدولة الذين سئموا من نظام الطغيان الذي فرضه محمد المخلوع ووزيره ابن الحكيم. ففي يوم عيد الفـــطر من سنة 708هـ وثب الخوارج على ابن الحكيم فقتلوه. ولما وقف سلطان المغرب على حوادث

---

[1]: الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف أحمد بن عميرة ص: 241، وانظر دراسة الرحلة.

الأندلس، وبلغه أن أهل سبتة قد سئموا نير الأندلسيين بعث إليها حملة بقيادة تاشفين ابن يعقوب ولما وصلوا إليها ثار أهل البلد وطردوا منها جند ابن الأحمر وعماله ودخلتها في الحال جند المغرب[1].

وهكذا امتدت المحنة إلى من لهم صلة بالقتيل، فكان ابن رشيد من أهداف بعض الزعانف ممن وترهم. فتعرضوا له بإذايات قبيحة وشتائم نابية ترفعت الأقلام عن تسجيلها في ترجمته، فاضطر لذلك إلى أن ينتقل من الأندلس إلى المغرب في ظروف صعبة ودقيقة ولهذا اقتصر، في تناول هذه الحادثة، على القول(فتخلص ولا تسأل كيف)[2].

ولم يسع ابن رشيد، والحالة هذه، إلا أن انتقل إلى المغرب وقضى أيامه فيه عزيز الجانب موفور الكرامة، وأخذ يعقد مجلسا لصحيح البخاري بين الظهر والعصر شرقي صحن القرويين.

ثم لقي عناية ضد السلطان الذي جعل له أمر الاختيار أين يحب الاستقرار فاختار التَحَوُّل إلى مراكش إذ كان قد سكنها قبل واستحسنها فورد عليها. وعقد للصلاة والخطبة بجامعها العتيق ثم استدعاه المقام السلطاني إلى حضرة فاس فوردها وصار من خواصه السلطان بها، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس في 23 محرم 721 هـ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الجلة[3].

---

[1]: نهاية الأندلس القسم الرابع 112- 116.

[2]: الاحاطة 142/3.

[3]: درة الحجال: 524/4 ترجمة 201، أما المقري فيرى أنه توفي يوم 23 أو يوم الاثنين 24 محرم 721 هـ. وقال بأن جعل وفاته 8 محرم قد غلط وأن من قال ذلك هو ابن الخطيب في الاحاطة. وأما صاحب البغية فرأى أن وفاته كانت يوم 18 محرم 721 هـ.

أسرتــــه

يتبين لنا من خلال معرفتنا لبعض أفراد أسرة ابن رشيد أنهم كانوا ذوي وجاهة ونسب وحسب، وأن فيهم الكتّاب والرؤساء والعلماء فمن بين الذين تحصل لدينا تعرفهم.

عمــــه: وهو الكاتب الفاضل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن رشيد فقد قال في الرحلة:

"ومما جره الحديث لما أخذنا بأطرافه وأبدينا نبذا من أطرافه ذكر الجليل الخطيب البليغ العالم المتقن أبي الحسن سهل ابن مالك الازدي الغرناطي نادرة مصره بل بادرة عصره، حكيت عنه حكاية حكاها لي عمي الكاتب الفاضل الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن رشيد قال: قال لي أبو جعفر الطَّوْسِي أنه دخل يوما مع جماعة من أصحابه بمرسية على الوزير الأجل أبي الحسن سهل بن مالك وذلك لما غربه ابن هود عن وطنه فقدم إليهم حوتا، وسمعوا عجوزا من أهل بيته تقول: هلا قدم إليهم من عديل التين الطيب الذي سيق إليك، وكان الوزير في سمعه ثقل فقالوا له يا أبا الحسن هلا أطعمتنا من عديل التين الذي أهدي إليك؟

فقال ومن أعلمكم به؟ ثم أنشدهم لنفسه(السريع)

لو جاء إبليس إلى منــزلي * * سرا عن الناس بإحدى الطرف

أخبرتني أنت بمن ســاقـهـا * * يا عالم الغيب بما في الغـــرف[1]

وبرغم كون هذا النص مقتضبا فيه ما يكمل ترجمة سهل بن مالك الضافية في الذيل والتكملة وغيرها.

أخواته: أما أخواته فهن عائشة وفاطمة ورحمة[2]، وكان كثيرا ما يستجيز لهن شيوخه، وذلك إما لإحداهن وإما لاثنتين منهن وإما لهن جميعا[3]. وغالب الظن أن تلك

---

[1]: الرحلة 68/5 وذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 18 (ابن رشيد ص: 37).
[2].: الرحلة : ج 44/3- 84- 90- 101- 102- 104 ومواضع أخرى كثيرة.
[3]: الرحلة : 48/3 مكرر - 62-69-77-83-84-86-89-90 وغيرها

الاستجازة لم تكن لأجل التشريف أو التبرك، وإنما لكونهن ذوات قدر معين من العلم والثقافة التي عرفت به أسرة ابن رشيد. ويمكن تفسير هذه الاستجازات التي كان يلجأ فيها إلى التخصيص تارة والتعميم تارة أخرى، أن أخواته كن ذوات مشارب مختلفة وميول متباينة، ولهذا كان يستجيز لهن مع أولاده أو يستجيز لهن وحدهن[1].

أولاده: وأما أولاده فهم: أبو القاسم ومحمد وأبو زكرياء يحيى وعائشة وأمة الله. فأما أبو القاسم فقد اختطفته يد المنون قبل أن يطر شاربه ولهذا رثاه أبوه بالقصيدة القافية المشهورة التي تذكرنا برثاء ابن الرومي لولده الأوسط[2]. وأما محمد فكان فقيها كاتبا في حضرة أبي عنان المريني وكتب بعده لجملة من بني مرين وقد رآه ابن الأحمر في فاس وقال أنه كان حسن الخط بارعه وهو ابن مقلة زمانه إلا أنه لم يكن عنده عربية[3]. وأما أبو زكريا فكان فقيها خطيبا، وهو والد صاحب القلم الأعلى أبي سعيد رشيد بن يحيى بن محمد بن عمر وقد عرض أبو زكرياء هذا كتاب الروض الانف للسهيلي على أبيه حفظا بعد قراءته عليه[4].

ومن استقراء أغلب الاستجازات الواردة في الرحلة يتبين لنا أن هناك استجارات لأخواته وأولاده عامة مثل قوله:

وأجاز لي ثابت أبو بكر بن ثابت بن علي بن عبد القوي بن قاسم العسقلاني الرزاز ولبني أبي القاسم وعائشة وأمة الله وفاطمة ولأخواتي عائشة وفاطمة ورحمة وكتب عنه صاحبنا أبو عبد الله بن عاصم الرندي بإذنه في ذلك[5].

ونجده تارة أخرى يستجيز فبها لأولاده فقط كقوله:

"وممن لقيناه بالقاهرة الشيخ الصالح شهاب الدين أبو البركات شعبان بن أبي الطاهر بن عمر الخلاطي الصوفي، سمعت عليه وأجاز لي ولبني محمد وعائشة وأمة الله[6].

---

[1]: الرحلة 3/7- 31- 44.
[2]: الاحاطة 141/3.
[3]: جذوة الاقتباس لابن القاضي 231/1.
[4]: فهرست المنتوي 68 ومستودع العلامة لأبي الوليد بن الاحمر منشورات كلية الاداب ص: 71.
[5]: الرحلة : 84/3.
[6]: الرحلة: 69/3.

وأخرى يجيز فيها إجازة لواحد فقط من أبنائه كقوله:

"وممن لقيته أيضا بثغر الإسكندرية ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن مكين الدين عطاء الله بن مظفر بن عبد الكريم بن الخطيب وأجاز لي ولابني وأبي القاسم وكتب الإجازة بخطه ولم تقع إلي الآن[1].

وقد كان ابن رشيد شديد الاعتناء بأولاده، كثير الاهتمام بهم، ويدلنا على ذلك أنه كان يقوم بتعليمهم بنفسه ويشحذ ذهنهم بمختلف الوسائل. فابنه أبو القاسم، رحمه الله ونفع به[2]، كان ينام بمقربة منه ليختبر ذهنه وفكره بإلقاء بعض الاحاجي والألغاز عليه لفك معمياتها[3]، وهو في سن الثانية عشرة أو دونها، وهذا ما يؤكد أن عائلة ابن رشيد كانت متواصلة متماسكة في أواصرها يجمعها أب رحيم حنون.

أحفاده: ومن أحفاد ابن رشيد الفقيه أبو العلاء ادريس يحيى بن محمد، وقد لقيه أبو الوليد ابن الأحمر وأنشده من شعره الذي أعجب به فنقده وابان عن محاسنه وبراعته فيه[4].

ومنهم أيضا رشيد بن يحيى بن رشيد، وهو صاحب القلم الأعلى، أبو سعيد، كاتب علامة السلطان عبد الحليم المريني بفاس القديمة، ورب الصباحة الرائقة بين أعلامها القائم بين سرادقها وأعلامها[5]. وقد ذكره صاحب درة الحجال وقال أن ابن الأحمر ذكره في حديقة النسرين[6].

صهره: ومما يعطينا أيضا صورة واضحة عن الجانب العقلي والفكري لأسرة ابن رشيد، وتؤيد القول بأنها أسرة العلم والمعرفة: ما ورد في الرحلة عن شخصية صهره القاضي الكاتب أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزي الذي يقول عنه:"أنشدني صهري أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزي قديما قال:

---

[1]: الرحلة: 7/3.
[2]: الرحلة : 7/34- 35.
[3]: انظر الفرق بين الألغاز والأحادي والمعميات والمعاياة كتاب: إتحاف أعلام الناس لابن زيدان 330/5.
[4]: نثير الجمان: 460 ودرة الحجال 214/1.
[5]: مستودع العلامة 71 وجذوة الاقتباس 197/1.
[6]: ورد تعليق في حاشية كتاب جذوة الاقتباس يفيد أن رشيدا هذا ذكر في المستودع وليس في روضة النسرين 197/1.

أنشدني أخي أبو الحسين عبيد الله بن أحمد قال أنشدني القاضي أبو القاسم احمد بن يزيد ابن بقي لنفسه:(السريع).

ما ميذق العالم إلا الـــذي * * يـخـبره العـــالم في الـميـذق

ذاك الذي يفضح أســـرارهم * * ويظهـــر الفـــاجر والمـــتقي[1]

كرسيه العلمي:

لما عزم ابن رشيد على التغريب والذهاب إلى المشرق كان وطابه حافلا بالمعارف، وعيبته زاخرة بما تلقى من شيوخه في سبتة وقرطبة والمرية والجزيرة الخضراء. ولما جاء الى بجاية وتلمسان وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة واتصل بشيوخها صارت قدمه في العلم أكثر رسوخا. ولا شك في أن السنوات الثلاث التي قضاها في التنقل والاستزادة من العلم كانت كافية لتأهيله لبعض الكراسي العلمية في دمشق والمغرب والأندلس وذلك للإفادة بعد أن كان مستفيدا والعطاء بعد أن كان آخذا. فمن كراسيِّه العلمية المشهورة:

أ-كرسيه العلمي بالمدرسة الظاهرية الجوانية بدمشق:

فبعد موت أبي العز الحنفي بدمشق أصبح كرسيه شاغرا، وأغلب الظن أنه كان كرسيا للحديث في المدرسة الظاهرية القحفازي، وهي من المدارس الحنفية المشهورة بداخل دمشق قبلي المارستان النوري[2]. وليس غريبا أن يدرس مغربي في إحدى المدارس الكبرى بالشام، فقد كان يدرس قبله، بدمشق نفسها، شيخه أبو إسحاق اللَّوْري(614 - 687) وذلك بهذه المدرسة التي تعد من المدارس الشافعية[3]. وكان محمد بن إبراهيم بن يوسف

---

[1]: الرحلة : 16/2 وانظر هذه الأبيات أيضا في رحلة العبدري برواية مختلفة:

ما ميلق العالم إلا الـــذي * * يخبره العالم في الميلف

ذاك الذي يكشف أسرارهم * * فيفضح الفاجر والمتــقي (انظرص: 272).

[2]: الدارس في تاريخ المدارس 548/1 المدرسة 114 والبداية والنهاية 14- 102، وذيل العبر 17- 121.

[3]: الدارس في تاريخ المدارس 1/المدرسة 62.

ابن حامد المراكشي(701- 752 هـ) يدرس بالمدرسة المسرورية كذلك[1]. ومحمد بن مالك الطائي بالمدرسة العادلية[2].

ومن الشيوخ المشهورين بالقاهرة أبو حيان النحوي، الذي أخذ عنه الجمع الغفير من التلاميذ من مشرق الأرض ومغربها، والذي ألحق الأحفاد بالأجداد، وهو صاحب ابن رشيد كذلك.

وإن إسناد مثل هذا الكرسي لابن رشيد في تلك المدرسة ليدلنا على أنه كان ذا صيت وتمكن من مادته، وذا ثقة بنفسه وذلك بعد أن غادر مدارس مصر والقاهرة والإسكندرية وهو ريان من الحديث والأدب.

ب- كرسيه بسبتة:

بقي ابن رشيد في سبتة بعد أن رجع من المشرق خمس سنوات كاملة كانت كثيرة الخصب، لأنه كان يدرس ويؤلف ويحرر ويفتي ويجيب، ولهذا أخذ صيته ينتشر وشهرته تتسع، وكنا قد أشرنا قبل الى أنه بالرغم من كونه من الأساتذة الملحوظين لم يكن يزاحم أساتذته في العلوم التي يدرسونها احتراما لهم وعرفانا بجميلهم. وقد كانت سبتة وقتئذ تعج بكثير من الشيوخ المشهورين في علمي الأدب واللغة والحديث خاصة ومن هؤلاء أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي وأبو إسحاق الغافقي وأبو الحسن الكتامي الخضار وغيرهم ممن تتلمذ عليهم.

ج- كرسيه بغرناطة:

كان ابن الحكيم قد حصل على حظوة كبيرة عند ملك غرناطة محمد الثاني بن محمد بن الأحمر، ولهذا كان يستدعي صاحبه ابن رشيد الى رندة فيلبي دعوته وفي سنة 692 هـ قصد غرناطة فكان يعقد بها مجالس للخاص والعام، ولما توفي صاحبه الشيخ المحدث التاريخي أبو جعفر بن الزبير المشهور وهو قاضي المناكح بغرناطة، أضيف هذا

---

[1]: الدارس 1/ المدرسة 83.

[2]: فوات الوفيات 407/3.

المنصب لابن رشيد وإن لم يدم فيها طويلا، فكان كما يقول ابن حجر بشرح من البخاري حديثين يتكلم عن سندهما ومتنهما أتقن كلام[1].

د-كرسيه بمراكش:

بعد مقتل ابن الحكيم وخروج ابن رشيد من غرناطة، احتفى به أبو الربيع سليمان المريني، وخيره في المقام أين يشاء، فاختار مراكش وصار خطيبا وإماما بجامعها العتيق ثم أقبل على تدريس العلم بها[2]، وكان كرسيه لتدريس الحديث وحرز الاماني للشاطبي، وممن قرأها عليه أحمد بن محمد بن الشماع الأوسي المراكشي[3].

هـ- كرسيه بالقرويين:

وكان له بفاس مجالس علمية مشهورة منها مجلسه شرقي صحن القرويين بين الظهر والعصر في الموطأ وصحيح الإمام البخاري[4]. فقد كانت هناك ظاهرة في جامعة القرويين تتمثل في وفرة الكراسي المخصصة بها لكبار الأساتذة والموقوفة لتدريس أمهات المصنفات في مختلف العلوم، وهو تقليد علمي وجد في الشرق أيضا، ثم إن ولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصبا ساميا، ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده[5]. وكان من أشهر الكراسي المعروفة في عصر بني مرين كرسي الونشريسي الفاسي، وكرسي أبي الحسن الصغير الزرويلي وكرسي أبي الحسن علي الصرصري وكرسي ابن رشيد[6].

وإننا نرجح أن يكون كرسي ابن رشيد في هذه الجامعات الكبرى في الأدب والقراءة وعلم الحديث والفقه، لأننا لو تتبعنا سيرة تلاميذه في الإحاطة وبغية الوعاة ونيل الابتهاج ودرة الحجال وجذوة الاقتباس والدرر الكامنة وفهرست المنثوري، لألفينا مصداق ذلك، إذ نجد مثلا أن أبا علي عمر القرشي العبدري يدرس عليه كتاب الأربعين حديثا في سند مرفوع إلى أبي عبد الله ابن الابار القضاعي، وقد قرأ بعضه وناوله جميعه[7].

---

[1]: الدرر الكامنة 111/4.
[2]: أزهار الرياض 355/2- 356.
[3]: الاعلام للمراكشي 218/1 ترجمة 293.
[4]: ازهار الرياض: 355/2.
[5]: دعوة الحق ع: 4 ص: 9 ص: 91 ذ . محمد المنوني.
[6]: نفسه ص: 93.
[7]: فهرست المنتوري. ص: 62.

وأما أبو زكرياء السراج فقد قرأ عليه كتاب الأربعين من تأليفه (أي ابن رشيد)[1]. وكان له كتاب المغني عن الحفظ لضياء الدين الحنفي الموصلي، وقد ناوله لابن السراج كذلك في الأصل الذي بخط يده[2]. وكذلك رواه عنه القاضي ابن جزي[3]. كما أن ابا زكرياء ابن رشيد سمع على ابيه كتاب الروض الأنف في شرح السيرة للسهيلي سماعا عن ابيه وعرضا من حفظه عن ابن الخضار الضرير الكتامي[4]، وكذلك حدثه به عنه أبو بكر بن جزي[5].

وكان تلامذة ابن رشيد يروون عنه أيضا أشعاره وأدبياته، ومن ذلك مثلا مقصورة حازم القرطاجني، فقد رواها عنه ابن عبد الرزاق وابن جزي[6]، وروى عنه منظوماته وتآليفه تلميذه أبو بكر بن جزي[7]. وهناك من أخذ عنه القراءة كأبي عبد الله ابن الصفار المراكشي[8] وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرج الطرسوني الغرناطي[9].

وهكذا لو تتبعنا سيرة جميع تلاميذه لرأينا فيهم الأديب والمحدث والعروضي والفقيه والمقرئ واللغوي والنحوي ويحتمل أن يكونوا تأثروا بمذهب أستاذهم وعلمه في قليل أو كثير[10].

---

[1]: نفسه ص: 63.
[2]: فهرست المنتوري ص: 64.
[3]: نفسه.
[4]: نفسه ص: 68.
[5]: نفسه ص: 68.
[6]: نفسه ص: 101.
[7]: نفسه ص:220.
[8]: نيل الابتهاج ص: 254.
[9]: نيل الابتهاج ص: 233.
[10]: انظر تلاميذ ابن رشيد وترجمتهم في دراسة الرحلة.

المبحث الثالث: خلق ابن رشيد ومزاجه

كان ابن رشيد حسن الخلق كثير التواضع رقيق الوجه، متحملا كلف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كهفا لأصناف الطلبة[1].

وكان ورعا مقتصدا منقبضا عن الناس ذا هيبة ووقار، يسارع في حوائج الناس بجلب المصالح ورد المفاسد، يوثر عَلَى الفقراء والغرباء والطلبة، لا تأخذه في الله لومة لائم[2].

وقال عنه تلميذه أبو البركات بن الحاج البلفيقي:"وكان حسن العهد كريم العشرة برا بأصدقائه فاضلا في جميع أنحائه[3]".

ويتجلى لنا طبع ابن رشيد ومزاجه وخلقه من خلال كثير من النصوص الواردة في الرحلة ومن خلال اتصاله بشيوخه وعلاقته بهم، فقد كان يطري من رأى فيه السمو في النفس والتواضع والخلق الكريم، ولكنه كان يحكم حكما قاسيا على كل من يصدر منه فعل لا ترتاح إليه نفسه، ولا يطمئن إليه قلبه، وينفر ممن في طبعهم كبر أو شراسة وهو في كل ذلك يربط بين العلم والخلق.

فهو لم يقرأ مثلا على الشرابي المتطبب غير حديث واحد زاهدا فيه لأنه شيخ في أخلاقه شكاسة وكبر وعدم فهم[4].

ولم يرد أيضا أن يخرج الحديث عن شيخه بالاسكندرية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن حسين بن علي المعروف بابن التونسي، من أجل شهادته في المكوس وقد قال عنه:"هذا الرجل أبو عبد الله ابن التونسي، أصلحه الله ووفقه، يشهد في المكوس، فلم نر

---

[1]: الاحاطة 125/3 وسلوة الانفاس 191/2.
[2]: الدرر الكامنة 229/4 ترجمة 4127.
[3]: ازهار الرياض 347/2.
[4]: الرحلة 2/3.

أن نخرج عنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم[1]."وقد قال عليه الصلاة والسلام: لا يدخل صاحب مكس الجنة. وذلك لما فيه من النقص والظلم[2].

وكان يتحامى حضور مجلس أبي العباس أحمد بن يوسف الفهري لضجر في خلقه وكان الفهري أحد الأعلام المشهورين بتونس، ولكن لخفته وصعوبة خلقه ربما تحاماه الأصحاب من أجل ذلك[3]. ولم يرو عنه ابن رشيد عندما لقيه بتونس للمرة الثانية إلا القليل مع أن الفهري هذا كان شديد البر به كثير التحفي متى لقيه وهو يقول له أنت من بلادي[4].

أما أولئك الشيوخ الذين كانوا ذوي مروءة وتواضع فكان يعجب بهم ويستأنس بلقائهم ويطمئن للأخذ عنهم والاستفادة منهم ويظهر ذلك من خلال قوله:

"وممن لقيته بتونس الفقيه الفاضل أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد التجيبي شهر بابن الحاج، لقيته بالممر الكبير بالعطارين، فما شعرت إلا وقد ارتجل عن دابته وأبدى من البر والتحَفي ما ناسب كماله وفضله وذاته الشريفة وأخلاقه الكريمة ثم بعد ذلك تكرر لقائي به وكان لي سريا حفيا رضي الله عنه[5]."فلو لم يلمس فيه ابن رشيد ذلك التواضع الذي يختص به العلماء لما أعجب به.

ويتجلى خلقه أيضا في لقائه بابن النحاس الحلبي بمصر القاهرة، إذ لما حضر مجلسه[6] واستفسره عما قراه في المغرب على أبي الحسين بن أبي الربيع قال له: "اعبر إلى جانبي" فامتنع ابن رشيد حياء من شيخه الذي كان له في ذلك الوقت هيبة وسمت. ولما عزم عليه في ذلك أقعده إلى جانبه. ولكن ابن رشيد قعد منقبضا منضما حياء منه وإغضاء من مهابته. فقال له الشيخ: اجلس متسعا... ولما تمادى ابن النحاس الحلبي على الاقراء أثناء اقباله على من بين يديه من التلاميذ، اغتنمها ابن رشيد فرصة

---

[1]: الرحلة 3/3.
[2]: جلاء العينين للألوسي البغدادي ص: 237: وأصل المكس الخيانة، المراد هنا العشار، والبخس والنقص، والمماكسة في البيوع اعطاء النقص في الثمن. انظر مشارق الأنوار للقاضي عياض ص: 379 ط: بيروت.
[3]: الرحلة 63/6.
[4]: انظر نسب ابن رشيد وأصله.
[5]: الرحلة 10/2.
[6]: الرحلة 23/3.

فاختلس الكلام مع الذي كان عن يمينه اختلاسا وقال: من الشيخ؟ فقال له: بهاء الدين ابن النحاس. فالتفت الشيخ وقد وثب ابن رشيد بين يديه فقال له لم؟ ارجع إلى موضعك، فقال: يا مولانا لم يعرف المملوك بين يدي من هو، ولو علم ما جلس هذا المجلس ولا تكلم، فعزم عليه في العود إلى مجلسه فعاد وأشار له بالاطمئنان فاطمأن.

فهذا نوع نادر من إجلال الأساتذة واعظامهم، ثم إن هذا يذكرنا بآداب أهل الاملاء والاستملاء عند المحدثين وطلبة العلم المتخلقين بالخلق العظيم والمتحلين بحلى المريدين وحللهم[1].

وان ما يعطينا الدليل الواضح على سمو خلق ابن رشيد وإجلاله للأستاذ الشيخ ما نقده على طلبة مصر آنئذ: إذ بينما هو كذلك في المجلس السابق قدم شاب ليقرأ دولته على الشيخ ابن النحاس فقال له الشيخ:"دع دولتك اليوم فإني لم انظر فيها". فقال له الشاب:"ومثلك يا مولانا يحتاج الى نظر في مثل دولتي". أو نحو هذا من الكلام. فرد عليه الشيخ:هب أن الأمر كذلك فدولة منظورة خير من دولة غير منظورة.

فقضى ابن رشيد العجب من هذه الحادثة التي آلَمَتْهُ لأنه سمع من ذلك الطالب ما يشبه الوقاحة والصفاقة في رده النابي على شيخه الموقر المحترم الذي كانت تعنو له الجباه في الشرق والغرب. وبهذا أعطانا دليلا على أن مثل هذا الخلق لم يكن عند طلبة المغرب، لأن ذلك كان يعد من النقص الكبير والجهل الكثير الذي جبل عليه طلبة القاهرة وقتئذ.

وهذه أيضا صورة واضحة عن طرق التعليم والتربية في المشرق في القرن السابع الهجري بين لنا ابن رشيد حقيقتها ووجوه ملابساتها.

ويتجلى لنا خلقه أيضا من خلال ما قام به بعد أن انفصل المجلس بعد هذه الحادثة: إذ لما دنت الشمس للغروب قام الشيخ فشيعه ابن رشيد إلى باب المسجد، ووقف ليستوي شيخه على مركوبه، وبعد ذلك ضرب معه موعدا في الغد ليلتقيا بالقاهرة في

---

[1]: انظر في هذا الشأن كتاب ادب الاملاء والاستملاء للإمام السمعاني ص: 49. وجامع بيان العلم وفضله للنمري ص: 151 والخلاصة في أصول الحديث للطيبي ص:143.

مسجد الأقمر. وهذا دليل آخر على ذلك الاتصال الوثيق بين الأستاذ والطالب، وتلك الصلة الروحية الحميمة بين رجال العلم خاصة.

ويتجلى أيضا خلقه المذهبي ورفضه للتعصب الأعمى والعمل على الخروج من الخلاف الذي كان في عهده أساسا لكثير من الخصومات والفتن العقدية في ما وقع بينه وبين شيخه ابن دقيق العيد[1] الذي حف به جمع الطلاب، وقد عرضت عليه ورقة سئل فيها عن البسملة في قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة، وكان السائل فيما ظنه ابن رشيد مالكيا، فمال شيخه في جوابه مع قراءتها للمالكي خروجا من الخلاف في إبطال الصلاة بتركها وصحتها مع قراءتها، فأيده ابن رشيد فيما مال إليه الشيخ وهو عارف أن ابن دقيق العيد أستاذ للمذهبين بالمدرسة الصالحية، ثم إنه كان يعلم أنه لو سأله شافعي لخرج من الخلاف بالميل إلى جانبه كذلك[2].

ولا شك في أن هذا الخلق الكريم هو الذي دفع الملوك والخاصة والعامة إلى العرفان بقدره وتعظيمهم إياه ولقائه البر منهم[3].

---

[1]: الرحلة 58/3.
[2]: انظر مذهب ابن رشيد وعقيدته من هذا البحث.
[3]: الاحاطة 135/3.

المبحث الرابع : ملامح عن مذهب ابن رشيد في الفقه والزهد والتصوف

أشار ابن حجر العسقلاني إلى أن ابن رشيد كان على مذهب أهل الحديث في الصفات يمرها ولا يتأول[1]، والسبب في ذلك راجع إلى أن جماعة السلف[2] كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه صفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية[3]. ثم أن ابن رشيد كان يرى ما يراه مالك بن أنس الذي يقول: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة[4]. وعلى هذا الرأي كان ابن حنبل وسفيان الثوري وداود الاصفهاني ومن تابعهم، بل أن هناك من كان يرى أن التأويل عدو كل الأديان[5]، وقد قال الغزالي عنه:"وإن كان التأويل محتملا فقد تجتمع قرائن تدل على فساده"[6]. ويروي ابن قَيِّم الجوزية عن أبي المعالي الجويني في الرسالة النظامية أن السلف ذهبوا إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، لأن ما كان يرتضيه رأيا ويدين به عقد اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع[7]. وقال أبو عمرو يوسف النمري:"ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة[8]. وابن رشيد متمسك بالسنة عدو للبدع محافظ على الطريق فقد انتقد بشدة ومرارة ما رآه بعرفات في المبيت ليلة التاسع من ذي الحجة، وتعجب مما ابتدعته العامة من الاستعداد والاحتفال بوقد الشمع بطول تلك الليلة بالجبل القائم في وسط عرفات واختلاط النساء بالرجال. وقد نبه على ذلك الإمام

---

[1]: الدرر الكامنة 229/4 ترجمة 4172 وفهرس الفهارس 332/1.

[2]: الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ط: 2 بيروت 1395- 1975 ج:42/1، 92.

[3]: أصول الدين للإمام أبي عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ط: 2 1400 هـ ص: 109- 111.

[4]: الملل والنحل للشهرستاني 93/1 وأصول الذين للتميمي ص: 112.

[5]: اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية 316/4- 319 وشرح حديث النزول لابن تيمية ط:5، 1397 ص: 80، ورفع الملام عن الأئمة الاعلام لابن تيمية ط: 4، 1392 بيروت. ص:61. وجلاء العينين ص:104.

[6]: المستصفى من علم الأصول للغزالي ط: 1، 1356 ج: 158/1.

[7]: اعلام الموقعين 311/4. وانظر تعريف أصحاب أهل الحديث في اضعاف المجتهدين:الملل والنحل للشهرستاني: 206/1 وتنوير الحوالك للسيوطي ص: 3 والاعتصام لأبي اسحق بن محمد الشاطبي ج: 46/1.

[8]: جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر بن عبد البر النمري 118/2 والاعتصام 355/2 وتلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي باب: 2 ص: 11- 18.

أبو عمرو بن الحاجب الفقيه المالكي وبين قبح هذه الحالة التي استحسنتها العامة وبين ما أخطأ فيه الناس من الأمور التي يقومون بها في هذا الجبل[1].

ويقول مستنكرا ما تبتدعه العامة في موقف النبي(ص):

"وأما الآن فتصبح تلك العرصات المشرفات وقد ملئت فضلات آدميات وبهيميات وإن شئت قل في الجميع بهيميات، وقد جهدنا أن نجد موطنا للصلاة طاهرا فما وجدناه إلا أن يصلي على حائل يوضع على الأرض حتى على الصخرات المباركات ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومما تطوفنا عليه أيضا مسجد إبراهيم الذي كانت الصلاة تجمع فيه قبل أن تغير الأمور ويضعف الأمر بالمعروف ويخاف الناهي عن المنكر، وحائطه القبلي على بطن عُرَنَة، وضبطه بضم العين وفتح الراء والنون، ويقال له أيضا مسجد عرنة، ولم يتمكن لي النزول في المسجد وإنما صعدت على حائطه الموالي لعرفة إذ هو الآن دون ثقيف خيفة من سلب ثوابي أو أشد من ذلك[2].

وإن هذا النص ليدلنا أيضا على ما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية في عصر ابن رشيد من تغير الأمور وفساد الأوضاع وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما معتمد ابن رشيد في شرح البخاري فكان أبا عمرو الصفاقسي المعروف بابن التين المزوج بكلام المدونة وشراحها[3].

أما مذهبه في الفقه فكان يفضل رواية ابن القاسم عن مالك على غيرها[4]، لأن ابن القاسم ليس عنده من غير مالك إلا القليل فأمن الاختلاط في حديثه بحديث غيره أو قارب فكان أقرب إلى السلامة مع شدة اختصاصه بمالك رحمه الله، وقد بين ذلك أبو الحسن القابسي في صدر كتابه بيانا شافيا وقال في جملة كلامه:

---

[1]: الرحلة 17/5.
[2]: الرحلة 18/5.
[3]: شجرة النور الزكية 168/1(ترجمة الصفاقسي ع: 528) وهدية العارفين 635/1 وانظر أيضا دعوة الحق ع:1 س: 17 ص: 62 (صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواية الأولين ورواياته وأصوله للأستاذ محمد المنوني، وانظر أيضا نفس العدد ص: 84 (صحيح البخاري بالغرب الإسلامي للأستاذ سعيد اعراب. وانظر أيضا دعوة الحق ع: 7 س: 17 ص: 19(مصادر مغربية في فتح الباري لابن حجر العسقلاني للاستاذ سعيد اعراب.
[4]: الرحلة 27/6.

"وقد سمعت أبا القاسم حمزة بن محمد الكتاني يقول إذا اختلف الناس عن مالك فالقول ما قال به ابن القاسم"[1].

وإذا عرض لابن رشيد مسألة فقهية فإنه يسأل شيوخه فيها ليأخذ برأيهم، وهذا ما فعله عندما شارف مزدلفة: فقد قال لشيخه أبي علي بن عمر بن الصواف: أنه ليس على وضوء وليس له ماء، فأشار عليه الصواف باتباع الحكم الشرعي إن وجد الماء وإلا فالصعيد الطاهر، ولا شك في أن الصواف يقتدي بهذا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه كان يتيمم بالصعيد ثم يصلي[2]. فقد ذكر ابن حنبل في مسنده، أن الصعيد الطيب طهور[3]. ونلاحظ أن ابن رشيد وشيوخه لا يخرجون عن السنة النبوية السمحة، فهم بنورها مهتدون وبهديها مقتدون.

وقد أشار بعض من ترجم لابن رشيد إلى أنه كان ظاهري المذهب[4]، ولكن المعروف أنه كان مالكيا، وإذا عرفنا أن المذهب المالكي تعرض لامتحان شديد في عهد الموحدين حين ظهر المهدي بمذهب جديد هو مزيج من الأشعرية والإمامية والظاهرية ومن آراء الإمام الغزالي، وحتى من الاعتزال، ثم إن الموحدين كانوا يضطهدون الفقهاء المالكيين[5]، فإن الفقهاء المالكيين لم يفتؤوا يقومون بنشاطهم ويمارسونه بعد أن أخذ الانهيار يدب في جسم الموحدين في آخر عهدهم. أما في العهد المريني فإن هذا المذهب عاد إلى قوته ونشاطه.

وإذا عرفنا أن المذهب الظاهري يبطل القياس في الدين جملة ولا يجوز الحكم عندهم في شيء من الأشياء إلا بنص من كلام الله أو نص للنبي(ص)، أو ما صح منه من فعل أو إقرار أو إجماع، فإن مالكا كان يأخذ في اعتباره مصادر كثيرة لفقهه، ومن

---

[1]: ترتيب المدارك 244/3 ووفيات الأعيان لابن خلكان 29/3.
[2]: الرحلة 19/5.
[3]: صحيح مسلم بشرح النووي 61/4.
[4]: أزهار الرياض 350/2 وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني 332/1 ت: 3018.
[5]: وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري ص: 21، 15 والشهرستاني هامش كتاب الفضل لابن حزم 57/1.

ذلك القرآن والسنة النبوية ويأخذ بفتوى الصحابة وبالإجماع وبعمل أهل المدينة، وإذا لم يجد مالك نصا أخذ بالقياس والاستحسان والعرف وسد الذرائع والمصالح المرسلة[1].

وباستقراء كتب ابن رشيد المشهورة وهي الرحلة وإفادة النصيح والسنن الأبين يتحصل لنا أنه كان لا يرجع في آرائه إلى داود الظاهري أو ابن حزم بقدر ما نجد ذكر مالك بن أنس هو أكثر تواترا في أسانيد رواياته، ولا نجد ذكرا للظاهري أو الظاهرية إلا في معرض ذكر جمال الدين بن الظاهري ونفي اللبس عنه في تحقيق اسمه[2].

وأما اسم مالك بن أنس وموطئه فقد وردا كثيرا في الرحلة وذلك في أزيد من عشرين موضعا، وذلك مثلا ما جاء في مسلسل أطعمني وسقاني[3]، وفي حديث أنا محمد وأنا أحمد[4] وفي مسألة عدم شهادة مالك الجمعة والعذر في ذلك[5]، وفي شعر أبي العباس الكناني الذي مدح به ابن رشيد[6]، وفي أن زكاة الفطر واجبة وانفرد مالك بكلمة(على المسلمين) في ذلك الحديث[7]، وفي سلسلة حديث النهي عن النجش[8]، وفي حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له... الحديث[9]، وفي أن الأحاديث الأصول تدور على ستة نفر من الأئمة المشهورين[10]. وأما موطؤه فقد ورد في مواضع كثيرة منها ما في مرويات أبي بكر بن حبيش وسنده[11]، ومرويات أبي محمد الخلاسي[12]، وحديث المضمضة والاستنشاق وخروج الخطايا من الأنف[13]، ومرويات الشريف الكركي[14]، ومرويات أبي

---

[1]: مقدمة تنوير الحوالك ج:1/2-3.
[2]: الرحلة 97/3.
[3]: الرحلة 49/2 مكرر.
[4]: الرحلة 40/2.
[5]: الرحلة 53/6.
[6] الرحلة 94/6.
[7]: الرحلة 11/6.
[8]: الرحلة 49/3.
[9]: الرحلة 45/3.
[10]: الرحلة 57/7.
[11]: الرحلة 4/6 و53/2.
[12]: الرحلة 53/2.
[13]: الرحلة 10/5.
[14]: الرحلة 69/5.

فارس التميمي[1] وابن الغماز[2]، وابن عبد القادر البجائي[3]، وأبي الحسن بن رزين[4]، وأبي القاسم الفحصبلي[5] وأبي الحسن الساعدي الخزرجي[6].

وإذا تركنا الرحلة وذهبنا إلى تصفح كتابيه المطبوعين: إفادة النصيح والسنن الأبين فإننا لا نجد لِلظاهرية ولا لداود ذكرا فيها.

ويظهر من خلال النصوص الواردة في الرحلة أيضا أن ابن رشيد كان فقيها أصيل النظر[7] ميالا إليه، ولكنه مع ذلك لا يتعصب لرأيه، ويتجلى ذلك في بعض مناقشاته لمسائل الفقه والخلاف، وقد جرى كلام بينه وبين شيخه أبي محمد بن عبد القادر البجائي التونسي في مسألة النضح في الطهارة، واستفتى ابن رشيد أبا محمد في تلك المسألة فأجابه[8] بما يفيد أن هذا الشيخ كان يماشي تلميذه على طريقة النظر ويسامحه في الاحتجاج للمنصور، وإن كان ليس بالمشهور[9]. أما ابن رشيد فيرى أنه "لا يخلو أن تتحقق النجاسة، ويشك في الحصول أو يشك في النجاسة، أو يتحقق الحصول أو يشك فيهما، فإن شَكَّ فيهما فلا نضح، وإن شك في الحصول لم يلزم النضح، وإن شك في النجاسة وتحقق الحصول وجب النضح"[10]. ثم ظل ابن رشيد يفكر في تلك المسائل التي تعرض له ولا يقنع بأجوبة المجيبين ولا يطمئن إليها ويظهر ذلك في قوله:

"ولي في النية العامة سؤال شديد قد عرضته على غير واحد من نبلاء الأصحاب، فاستصعب السؤال عنه وأجاب بعضهم بما هو ضعيف، ولم يتفق لي عرض هذا السؤال على الشيخ(البجائي) لأنه لم يخطر ببالي إلا بعد مفارقته، ولكن سؤالي عن

---

[1]: الرحلة 7/6.
[2]: الرحلة 10/6 و11/6.
[3]: الرحلة 29/6.
[4]: الرحلة 64/6.
[5]: الرحلة 52/7.
[6]: الرحلة 8/3.
[7]: نيل الابتهاج 283 وانظر أيضا ذكريات مشاهير رجال المغرب عدد 18 ص: 17.
[8]: الرحلة 33/6.
[9]: انظر المعجب للمراكشي 417 وكتاب عصر المنصور الموحدي لمحمد الرشيد ملين مطبعة الشمال الافريقي ص: 242.
[10]: تنوير الحوالك 63/1.

المسألة له هو الذي حرك عندي ذلك. وقد جمع فضلاء أصحابنا ونبلاؤهم سؤالي وجوابه وجواب الأصحاب، فمن تشوف إليه ليقف عليه فليتطلبه".

وليتنا حصلنا على تلك الأسئلة والأجوبة لمعرفة رأيه الصريح فيها واستنتاج عناصر مذهبه من خلالها.

ومن عمله بالنظر والتوفيق بينه وبين الظاهر ما ورد له في هذه المسألة الفقهية التي نوردها بنصها لدلالتها القيمة في هذا الموضوع.

"بالإسناد إلى البخاري في الثلاثيات"

انا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها.

قلت (ابن رشيد) يعني الجدار القبلي وكذلك كان أيضا مقدار قوله من الجدار الغربي، وأما الآن فليس كذلك لكون الزيادة حصلت من جهاته الأربع.

وتعرض هنا مسألة فقهية وهي:

هل ينسحب الثواب المحدود في قوله(ص): صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام - على الزيادة أو يختصر ذلك بساحة المسجد الأصلي؟. ثم زاد موضحا: ظاهر الإشارة يقتضي أن ذلك للمشار إليه في ذلك الوقت وواسع الفضل ومقتضى الانسحاب على جميع المسجد والله أعلم"[1]

ومما يدل أيضا على ابن رشيد كان لا يتعصب لاعتقاده ولا يتطرف فيه ما حدث له في مقربة من عين تبوك: فقد اتفق له هناك أن أخذ يسيرا من لحاء اصل شجرة كان يزعم الناس أنه صلى الله عليه وسلم قعد هناك فاخضرت الشجرة، ولما رأى ابن رشيد بعض من حضر هناك أخذ شيئا منها متبركا، فعل مثله، وحينئذ أقبل إليه رجل لم يعرفه قبل ولا بعد فقال له: حتى أنت تفعل ذلك؟! فقال له ابن رشيد ولم؟ وما تنكر من ذلك؟ فقال ذلك الرجل: إن كَانَ حقا ما ذكر فيقتفي الناس بك في الأخذ منها فيفنيها

---

[1]: الرحلة 8/5 وصحيح البخاري 76/2.

الناس فيذهب هذا الأثر المبارك فتكون سبب إذهابه والا يكن فيقتفي الناس بك في باطل أو معنى هذا الكلام. وبعد ذلك لم يناقشه ابن رشيد في هذه المسألة بل شكره وانصرف ذلك الرجل[1].

وفي هذه القصة لا نجد في ابن رشيد ذلك المصلح الذي يحارب البدعة بكل ما أوتي من قوة مثلما وجدناه في استنكار فعل الحجاج من إيقاد النار في عرفة ونشر العذرة في العرصات الشريفة وغير ذلك من اختلاط النساء بالرجال وتزاحمهم وكشفهن عن وجوههن[2].

ومما يذكر عنه أيضا أنه كان يسر البسملة[3] في الصلاة، ولهذا أنكروا عليه ذلك. وقد ورد في الرحلة مناقشة مهمة في هذه المسألة مع شيخه ابن دقيق العيد، وذلك على مذهبي الإمامين مالك والشافعي[4]، فحسب مذهب مالك يكره الإتيان بالتسمية في الصلاة المفروضة سواء كانت سرية أم جهرية إلا إذا نوى المصلي الخروج من الخلاف[5]. وقد نبه الإمام أبو عبد الله القرطبي على أن مذهب مالك يترجح بوجه عظيم، لأن مسجد النبي صلى الله وسلم بالمدينة انقضت عليه العصور ومرت عليه الأزمنة والدهور من لدن رسول الله صلى الله وسلم إلى زمان مالك ولم يقرأ فيه قط"بسم الله الرحمان الرحيم" اتباعا للسنة[6] وذكر القرطبي أيضا أنه قد ذهب جمع من العلماء إلى الإسرار بها في الفاتحة، منهم أبو حنيفة والثوري، وروي ذلك عمر وعلي وابن مسعود وعمار وابن الزبير، وعلق على ذلك بقوله:"وعليه تتفق الآثار عن أنس ولا تتضاد ويخرج به من

---

[1]: الرحلة 3/5.
[2]: الرحلة 17/5.
[3]: الدرر الكامنة 229/4.
[4]: الرحلة 58/3، بداية المجتهد 89/1 لابن رشيد دار الفكر بيروت والبحر الزخار 60/1.
[5]: الرحلة 58/3- 59- 60، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمان الجزيري ط:2 بيروت 257/1، والنجوم الطوالع على الدرر اللوامع ص: 5- 26.
[6]: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ط: 2/ 1952 ج:1 95/1، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ط:2 ، 1387 ج:2/1.

الخلاف في قراءة البسملة[1]."وفي كتاب المستدرك للإمام النيسابوري أحاديث تفيد الجهر بالبسملة[2].

وذكر الحازمي في كتابه أن من ذهب إلى الإسرار اختلفوا من جهة الدلالة بدليل أنه صلى الله وسلم لم يزل يخفت منذ أمره بالصلاة إلى أن قبض[3].

وبهذا يرجح أن ابن رشيد أراد بإسرار البسملة الخروج من الخلاف الذي كان دائرا حولها واعتبارها آية أولا[4].

وذكر أيضا أن ابن رشيد يسكت لدعاء الاستفتاح والأرجح في ذلك أنه عند المالكية مكروه، وذلك لعمل الصحابة على تركه على المشهور[5] وذلك خلافا للشافعية[6].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أنه رغم مالكيته كان يخرج على المذهب اعتمادا على بعض الأحاديث واقتناعا بذلك.

موقف ابن رشيد من التصوف:

كان الصراع شديدا بين أهل السنة والصوفية في القرنين السادس والسابع الهجريين ويتجلى ذلك في ما قدم به أبو الفرح عبد الرحمان بن الجوزي(توفي 597 هـ) في كتاب (تلبيس إبليس)[7] في أخذ أهل السنة على الصوفية والتصوف مسائل كثيرة[8].

وجاء ابن تيمية(ت 728 هـ)، وكان معاصرا لابن رشيد فعرض للتصوف والصوفية وأنكر ما أنكره ابن الجوزي ولكنه أقر بكرامات الأولياء مستندا في هذا إلى

---

[1]: الجامع لأحكام القرآن 96/1- 97.

[2]: المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ط: بيروت ج:233/1 والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج:25/1.

[3]: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ لأبي بكر الحازمي ص: 81.

[4]: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية 52/1 والفقه على المذاهب 255/1.

[5]: كتاب الأم للإمام الشافعي(كتاب الشعب) 91/1- 92.

[6]: ابن الجوزي وكتابه تلبيس ابليس مصدران من مصادر ابن رشيد في رحلته.

[7]: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى القرن 2 د. عبد الرحمان بدوي الكويت 1974 ص: 72 وترتيب المدارك ج:1 المقدمة ص:

[8]: العفيف التلمساني من شيوخ ابن رشيد في دمشق ولكن لا نعرف رأي ابن رشيد فيه لفقدان الجزء الخامس من الرحلة، وكان ذا طريقة خاصة في التصوف، انظر ترجمته ص: 366.فيمن لقيهم بدمشق. وانظر أيضا مقدمة ابن خلدون طبع بيروت ص: 473.

القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، ولكن ابن تيمية هاجم بعنف ذلك التصوف الذي يرى وحدة الوجود والحلول كما عند الحلاج وابن عربي(ت 638 هـ) والعفيـــف التلمســـاني (توفي 690 هـ) وصدر الدين القونوي (ت 729 هـ)[4].

ولا يمكن أن يكون ابن رشيد غافلا عن هذا الصراع العقدي، فلقد اتصل هو نفسه بكثير من المتصوفين وذكر أخبارهم وما رواه عنهم، ونذكر من شيوخه المتصوفين مثلا أبا جعفر اللبلي وابن زيتون وابن حبيش وأبا محمد المرجاني وأبا عبد الله السلاوي وأبا بكر القسطلاني وأبا الصفاء خليلاً المراغي وشهاب الدين ابن الخيمي وأبا عبد الله الخراساني التلمساني وعفيف الدين التلمساني وأبا العباس بن سرور المقدسي. وعرفنا أنه لبس خرقة التصرف من بعض هؤلاء كأبي بكر القسطلاني الذي لبس منه أيضا طاقية على رأسه في العشر الأول من شعبان عام 684 هـ بعد أن لبسها القسطلاني من الإمام العارف الزاهد أبي طالب عبد المحسن بن فرامرز عبد الغفار الخفيفي الأبهري المشهور[1].

ولبس الخرقة كذلك من أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالخراساني التلمساني الدار وهو شيخه يالقاهرة المعزية وذلك يوم الجمعة 4 شعبان 684 هـ[2].

ولكن يظهر من خلال ترجمة ابن رشيد لشيوخه الصلاح والزهاد والمتحلين بحلى الصوفية أن اتصاله بهم كان في الأغلب لأخذ الحديث أو الاستفادة منهم في مسائل أدبية أو أصولية، إذ لا نجد في الرحلة ما يشير إلى مسائل اعتقادية صريحة أو بحوثا في قضايا فلسفية أو تصوفية إلا النزر اليسير، وذلك مثل مناقشة مسألة الدروزة[3] مع شيخه أبي بكر

---

[1]: الرحلة 110/3، ولكن لا ندري ألبس منه خرقة الإرادة أم خرقة التبرك، وانظر شيوخه أيضا في القاهرة المعزية.
[2]: الرحلة 95/3.
[3]: انظر عن الدروزة كتاب: الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ للدكتورة طيبة صالح الشيذر ص: 15. نشر دار قباء 1998، وكتاب : العقيدة والشريعة لكولد تسيهر (الفهرس) ص: 216-218، 365 وصفحة 58 خاصة.

القسطلاني الذي حرر له في تعريفها تحريرا مطولا كتبه له بخطه وذلك بالقاهرة في 16 من شهر رجب من سنة 684 هـ[1].

ولدينا نص واضح نفهم منه كثيرا من التيارات التي كانت تتفاعل في عصر ابن رشيد ولا بد من أن يكون متأثرا بها قليلا أو كثيرا.

فقد ورد في الرحلة ذكر لمذهب محمد بن الحسن، ومذهب أهل الرأي[2]، وذكر لأمراء الطوائف[3]، وأصحاب ابن طبرزد[4] في الشام ونستفيد من ذلك النص أن ابن رشيد التقى بالشيخ المحدث جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري ويعرف بابن الظاهري نسبة إلى الملك الظاهر ملك حلب لا إلى المذهب، وكان له رباط وخزانة كتب كبيرة ومعرفة بالتفسير وفقه على مذهب أهل الرأي وظن ابن رشيد أنه كان على مذهب محمد بن الحسن. ولما أراد ابن رشيد السفر إلى الشام كتب له. ابن الظاهري هذا كتبا إلى أمراء الطرائق وإلى بعض أهل دمشق فانتفع بكتبه شكره الله وجزاه خيرا ودفع له جزءا كبيرا انتقاء من الأجزاء المعروفة بالغيلانيات[5] ليسمعه على أصحاب ابن طبرزد وقال ابن رشيد:"فبلغت الغرض من ذلك والحمد لله"[6].

ومن المسائل المذهبية أيضا ما جرى بين ابن رشيد وبين شيخه الشريف الكركي من المباحثة في مسألة تحقيق الكسب[7]: إذ ان الشريف يرى"أنها إطلاق لغوي من حيث

---

[1]: الرحلة 112/3، ونص السؤال:"ما يقول السادة الفقهاء وفقهم الله بطاعته وأعانهم على مرضاته في الدروزة هل هي مباحة مطلقا أو لا تباح إلا مع استغراق الزمان والعبادة مع القدرة على الكسب أم لا؟.."والسؤال طويل. وانظر من هذا البحث بعد.

[2]: إن تدوين المذهب الحنفي كان الفضل فيه للإمام محمد بن الحسن الشيباني(132- 189هـ)، وقد أخذ العلم من مدرسة العراق ولكنه رحل إلى المدينة واتصل بأهل الحديث وأخذ عن الإمام مالك وهكذا تطعم ببعض أقوال مدرسته، وطعم هو أيضا من جاء بعده من التلامذة أمثال الشافعي وأسد بن الفرات المالكي وغيرهما، انظر ترتيب المدارك 34/2 وحلية الأولياء وطبقات الاصفياء لابن نعيم الاصفهاني ط: 2 1387 بيروت ج: 85/9، والمغني في الضعفاء للحافظ الذهبي ط: 1 بيروت 71 و 1 ج: 567/2 ترجمة 5403 (ضعفه النسائي من قبل حفظه)، الفتح المبين في طبقات الاصولبين لعبد الله مصطفى المراغي ط: 2- 1394 بيروت 110/1.

[3]: الرحلة 97/3.

[4]: هو موفق الدين أبو حفص عمر بن طبرزد الدارقزي 516 - 607 هـ كان عالي الاسناد في سماع الحديث انظر ابن خلكان 452/3 ترجمة499 وشذرات الذهب ج: 26/5.

[5]: الغيلانيات: هي فوائد حديثية من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي رواية أبي طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز(ت 354 هـ) وهي من موالي البغداديين، كشف الظنون ج: 1214/2.

[6]: الرحلة 97/3.

[7]: الرحلة 68/5.

إن العبد صدر منه ذلك الفعل على وجه الاختيار في الظاهر فنسب إليه وأنه في الحقيقة مجبر". وقد عقب ابن رشيد على هذا ...بقوله:"هذا الذي قاله الشريف ليس بحث الاشعريين عليه". ويظهر من ذلك أن ابن رشيد يعتقد أن الإنسان لا يكون خالقا لكسبه، وهذا مذهب الأشعريين[1]، لأن الكسب هو صفة العبد الذي لا يعلم تفاصيل فعله من كل وجه ولا يحيط إلا ببعض وجوه الفعل، أما الخلق فهو صفة الرب لكونه تعالى عالما بفعله، وعلمه محيط به من كل وجه[2]. وقد قال الاشعرية أن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدث فيكون كسبا لمن وقع بقدرته[3]. وأما المعتزلة فقالت إن العبد قادر على الإحداث والكسب معا بينما قال جهم بن صفوان إن العبد لا يقدر على إحداث ولا على كسب شيء[4] بينما سلك الأشعريون طريقا بينهما فقالوا: إن العبد لا يقدر على الإحداث ويقدر على الكسب[5].

أما مذهبه في الإجازة والتحمل، فإنه لا يريد أن يشوبها الالتباس أو أن تختلط بها الكلمات المبهمة الغامضة أو الجمل والعبارات التي فيها إجمال أو اشتراك. ويظهر من ذلك في ما أخذه على شيخه تقي الدين ابن دقيق العيد في نص إجازته له فيقول[6]:

"أجاز لي غير مرة ولأولادي محمد وعائشة وأمة الله، ونص ما كتب جريا على عادته من التقييد:(أجزت لمن سمي في هذا الاستدعاء أن يروي كل منهم عني ما حدثت به من مسموعات وما أجيز لي وما قلته وصنفته نظما ونثرا وكتب محمد بن علي بن وهب القشيري) وجرت عادته أن يضبط ما حدث بفتحة مقصودة وإن كان أهملها فيما كتب لي في بعض مكتوباته، فقد ضبطه في بعضها، ومقصوده بذلك أن لا يروي عنه في

---

[1]: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ط:2 القاهرة 1389 ج:2/219-221.
[2]: مقالات الإسلاميين 340/1، وأصول الدين للتميمي البغدادي ص: 133- 137، ونشأة الاشعرية وتطورها لجلال محمد بن عبد الحميد موسى بيروت 1975 ص: 235، 237.
[3]: مقالات الإسلاميين 221/2.
[4]: أصول الدين 333 والشهرستاني 87/1.
[5]: مقالات الإسلاميين 221/2 وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف لابي بكر محمد الكلاباذي بيروت 1400 ص: 46-48، والعقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ط:4 1398 ص: 493 وكتاب الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني بيروت 1399 ج: 21/2، وكتاب فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. لويس غاردية وج. قنواتي ط: 1 بيروت: 1967 ج: 149/1.
[6]: الرحلة 62/3 وفي المزهر علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي 144/1 معرفة طرق الأخذ والتحمل وأمثلة ذلك.

المسموعات إلا ما حدث به إذ يكون في بعض مسموعاته ما لا يرى التحديث به لكثرة الخلل الواقع في كيفية السماع عندهم ولعدم الضبط ولحن القارئ واعتراء النوم من السامع والمسموع عليه وأكثر ذلك ضررا وخللا بسرعة القارئ فلذلك كله احترس في الشرط.

ثم بعد ذلك سأل ابن رشيد ذلك السؤال المستوضح:وما أدري ما أراد بقوله "وما أجيز لي" وما بعده العطف على ما، فلا يشترط "أو على مسموعاتي" فيشترط فيها ما اشترط في المسموع من أنه لا يروي عنه من ذلك كله إلا ما حدث به، وقد يظهر هذا من حيث العطف على اقرب مذكور، ولم استفسره عن هذا، وإدخال الشرط في المجاز والمقول ممكن إذ قد يكون من ذلك ما لا يريد لترويته.

وبعد أن فصل ابن رشيد في كيفية التحمل ومناقشة نص إجازة شيخه وتوضيح ما فيه من الملابسات والإبهام اتبع ذلك بقوله[1]:

والفيصل عندي في ذلك أن يأتي بعبارة صادقة على الواقع من حيث المعنى في الجملة، هذا إذن الواجب في ذلك إلا أنه قد يقع في بعض العبارات إجمال واشتراك فالأولى، بمختار التحري، أن يحرر عبارة تنبئ عن الواقع في الوجود على حكم التفصيل لا على حكم الإجمال. ولنرسم في ذلك أمثلة يحتذى على مثالها وينسخ على منوالها:

"كتب لنا فلان محاضرة في الجملة دون التفصيل قال كتب إلينا فلان مغايبة في الجملة من مدينة كذا وإن كانت الإجازة مشافهة بالنطق دون الخط قل مشافهة، وإن كان يدَفع الكتاب قلت مناولة ومبادأة في الجملة، إن شئت أذن لنا فلان في الجملة بِكَتْبِهِ عن فلان بجملة ما عنه..الخ".

ولما لاحظ ابن رشيد في هذه التدقيقات والأمثلة نوعا من التداخل والتكرار بين ذلك قال:"فاجهد في اختصار العبارة مع الإتيان بها على وجه مطابق للواقع على التفصيل لا على الإجمال، وضع بعض هذه العبارات على الصفة الموافقة لها. وذلك أقصى الممكن، وإن أتيت بها مجملة موافقة من حيث المضمن فذلك سائغ وهو أدنى

---

[1]: الرحلة 63/3 والالماع للقاضي عياض ص: 68، تحقيق السيد أحمد مقرط ط:1 1970: الناشر دار التراث القاهرة والمكتبة العتيقة بتونس.

الواجب، والأول أجرى على الطريق اللاحب، وقد اعتمد جمهور الرواة على التقويل عنه إرادة التحمل والتحميل، فبعضهم هربا من التطويل وبعضهم قصد التدليس[1] لا سيما إن كان على وجه التحمل، والفطنة من خير ما أوتي المرء والله المرشد"[2].

أما رأيه في العلماء وما ينبغي لهم فإنه يشترط فيهم أن يكون فعلهم حجة لقولهم وبيان ذلك واضح في قوله لما جاء سائل الى أبي القاسم بن زيتون فسأله عن إمساك الطيور المغردة في الأقفاص، فصادف حالة السؤال إن سمعوا صوت يمامة أو حمامة في منزل الشيخ تغرد فلم يزده الشيخ في الجواب على أن قال:أما سمعته يغرد؟ وكأنه يقول للسائل: لو كان هذا ممنوعا ما أمسكناه في دورنا ولا استحسناه[3].

وهذا يذكرنا بحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمازح فيقول: أن يا أبا عمير ما فعل النغير: أي أن أبا عمير يلعب بذلك النغير[4].

كما أن ابن رشيد كان يشترط في العالم أن يكون متثبتا متمكنا من علمه، وإذا سأله سائل فينبغي أن يتربص عليه ولا يتعجل الجواب، وقد ضرب لذلك مثلا بابن زيتون وأبي محمد الزواوي، فقد كان الزواوي المفتي حسب رأيه من الذين ينقلون فروع المذاهب بينما كان ابن زيتون مختلفا عنه لأنه كانت ترد عليه أسئلة من أقطار البلاد فيقع الكلام فيها بمجلسه على الطلبة ويتكلمون فيها حتى يتخلص له مراده[5].

ثم إن ابن رشيد كان يؤمن بالبركة والكرامة لأنه عاين شيئا منها بنفسه، وذلك بأنه لما وافى المزدلفة كان شديد الظلما، فأخرج من عند رفيقه ابن الحكيم زمزمية صغيرة جدا تخفى ابط الحامل بحيث يواريها إبطه، فأفرغ له منها ثم آثر بها صحبه فلم يَسْتَنْطِفْ ما في الإناء وترك لصاحبه الوزير ما قدر أنه لا يرويه فشرب ثم ناول أصحابه فشربوا بجملتهم وليس منهم من ترك الإناء إلا وهو يرى أن ما أفضل لا يروي صاحبه ثم افرغ

---

[1]: انظر تعريف التدليس في دراسة الحديث ص: 808.
[2]: الرحلة 64/3.
[3]: الرحلة 14/6.
[4]: صحيح مسلم بشرح النووي 128/14- 129، وانظر ما استدل به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدين ورد النووي على ذلك، وانظر الشمائل المحمدية للترمذي ط: 2- 1396 بيروت ص: 118 مزاحه (ص).
[5]: الرحلة 14/6. انظر في ذلك أيضا كتاب الفقيه والمتفقه لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي 165/2. ط:2 1980 بيروت (باب الزجر عن التسرع في الفتوى).

الماء وتوضؤوا وكثر الله ذلك القليل فكفاهم وصلوا صلاة الجماعة. وما عاين ابن رشيد بركة ظاهرة لأحد من شيوخه في سره إلا تلك التي عاينها مع أبي علي عمر بن الصواف. وفي الصبح أيضا رأى مثل ذلك، فلم يحتاجوا إلى تيمم ثم باتوا خير مبيت في أنعم بال وأفضل حال إذ كان لهم يسير كِسَرٍ فحصل لهم كذلك المرئ والشبع، والصلاة بطهارة الماء فحمدا لله[1].

وقد أجمعوا على إثبات كرمات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات، وجاءت الأخبار وصحة الروايات ونطق بها التنزيل[2].

وكان لابن رشيد أيضا حفظ من تأويل الرؤيا وتعبير المنامات ويظهر ذلك من خلال النصوص الواردة في الرحلة، فبعضها يتعلق بأحداث وقعت له وبعضها الآخر يتعلق بأصحابه وشيوخه، فقد ورد له في ذلك حكايات في ترجمة أبي محمد الطبري الشريشي وما وقع له مع أبي محمد البسكري[3]، وفي ترجمة أبي بكر بن حبيش[4]. وفي صدد ذكر الشيخ الجليل شهاب الدين أبي العباس بن سرور المقدسي[5]، وكذا ما رآه لما مرض صاحبه أبو الفضل التجاني[6].

فمِمَّا ذكره أنه رأى كأنه يمشي مع حائط طويل مديد، وفي ذلك الحائط عيون ماء مرتفعة في جوانبه بطوله، بعضها قريب من بعض، فكان يتناول من بعضها بيسر ومن بعضها بعسر، وفي ذلك الحائط درج يرتقى به إليه، وفيها ما هو دون درج. فعرض ذلك على شيخه أبي بكر بن حبيش فأول له ذلك أنه سيلقى في رحلته العيون من أهل العلم، فكانت هذه الرؤيا صادقة. ولهذا لما فارقه ابن رشيد كتب إليه وهو بالمركب حديثا نقله عن صحيح البخاري من كتاب التعبير :"باب العين الجارية في المنام" ليكون ذلك عنوانا على حسن الدلالة وبديع الموافقة، لأن الرؤيا الصالحة من المؤمن الصالح[7].

---

[1]: الرحلة 19/5، وانظر الكرامات في كتاب اللمع في التصوف لأبي نصر السراج 315.
[2]: التعرف لمذهب أهل التصوف ص: 71، وأصول الدين ص: 184، العقيدة الطحاوية 558.
[3]: الرحلة 20/2.
[4]: الرحلة 5/2.
[5]: الرحلة 36/7.
[6]: الرحلة 24/7.
[7]: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني 126/24و155.

ثم أن ابن رشيد لما اتصل بالمقدسي سلم له بالإسكندرية كتابه المشهور المسمى "البدر المنير في علم التعبير" وقد جلبه معه إلى تونس لما عاد من مصر[1]. ولا شك في أن لهذا الكتاب أثرا في علم التعبير عنده، ولولا ذلك لما اقتناه وجعله من ذخائر مكتبته ووقع عليه بشيء من شعره[2].

ومما يدل على أَنَّ ابن رشيد كان يحذق هذا الفن ما حدث له مع صاحبه أبي الفضل التجاني الذي كان مريضا، فرأى وكأن المريض يخرج من الحمام، وذلك تعبير عن إبْلاَلِه من مرضه، فسر بذلك أبو الفضل وشكر له ما بشره به[3].

---

[1]: الرحلة 36/7.
[2]: الرحلة 36/7 وانظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.
[3]: الرحلة 24/7.

المبحث الخامس : ثقافة ابن رشيد

1- في العلوم الشرعية

التفسير- البيان- القراءة- الحديث- الجرح والتعديل- الفقه- التصوف.

2- في الأدب والعلوم اللسانية وغيرها.

الأدب- النحو- العروض- التاريخ- الجغرافيا- الخط.

1- ثقــــافة ابن رشيــــد في العلوم الشـــــرعيـــة

كان ابن رشيد خطيبا ومحدثا ومتبحرا في علوم الرواية والإسناد محافظا على الطريقة ذاكرا للتفسير[1]، مشاركا في الأصلين وعارفا بالقراءات[2]، وقد شهد له بذلك بعض شيوخه وأصحابه وتلاميذه، وكذا مؤلفاته التي هي دالة على عقله وترجمان لنفسه، ولهذا، عندما نتحدث عن ابن رشيد المتبحر في العلوم الشرعية فإننا نشير بذلك إلى أنه كان مالكا زمامها وبالغا فيها القدر الذي يؤهله من الإفادة والإدلاء برأيه فيها.

أ- ثقافة في القراءة والتفسير والبيان:

ولما كان ابن رشيد ذا بصر بالعلوم الشرعية فإنه يتقن أيضا تلك الأصناف التي تتقدمها من علوم اللغة والنحو والصرف والبيان والآداب[3]، والبلاغة والقراءات وأصول الفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم زيادة على الموهبة الموروثة[4]. وليس لدينا في الرحلة شيء كثير يدلنا على ذلك، بالقياس إلى الأدب والحديث، غير أننا نلمس هذا من خلال إيراده لبعض الآيات الكريمة ومناقشته لها مع شيوخه، فنجده تارة يروي ما قاله الأولون دون تعليق أو استدراك عليهم، وتارة أخرى يقدح زناد فكره لاستنباط الحقائق البلاغية والبيانية واستجلاء بعض الدقائق التي لا يتنبه لها إلا الراسخون في العلم. ثم إن ابن رشيد كان معتنيا بعلوم القرآن التي لا تنحصر معانيها ولا تستقصى، ذا قدرة على الاهتداء إلى نكته وَعُيونه، ويظهر لنا ذلك من خلال هذا النص[5].

قال ابن رشيد:"أجرى أبو القاسم بن زيتون الكلام يوما معي في قوله تعالى:(وما ربك بظلام للعبيد)[6]. فقال : كيف جاء الظلام ولم يقل بظالم، ولايلزم من نَفْي الكثير نفي القليل بخلاف العكس، ثم أجاب الشيخ رضي الله عنه بأن قال أن الله

---

[1]: مقدمة ابن خلدون 436.
[2]: نيل الابتهاج 283.
[3]: الاحاطة 135/3.
[4]: البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن عبد الله الزركشي ط:2- 1391 ج:13/1. وكتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ط:2- 1396 ج: 268/1.
[5]: الرحلة 13/6.
[6]: فصلت 46.

تعالى لا ينسب إليه من الظلم لا قليل ولا كثير، ولكن جرت عادة العرب أن لا يُنْفَي عن عظمائها إلا ما يصح نسبته إليها، فلا تقول مثلا الملك لا يظلم في تمرة ولا يحيف في كِسْرَةٍ، وإنما تقول: الملك لا يظلم بقتل النفوس وسلب الأموال، فيقولون على هذا الأسلوب: الملك ليس بظلام، ولا يقولون ليس بظالم لأنه لو جاز أن ينسب إليه ظلم لم ينسب إليه إلا ما يليق بالملوك الاعاظم، فجرى ذلك على جميع كلام العرب[1] فقلت له: يشهد بصحة ما قلتم ما وقع في كتاب السيرة النبوية.

لعامر الخصفي خصفة بن قيس بن غيلان يمدح هاشم بن حرملة الملك[2](مشطور الرجز)

أحيـــا أبـــاه هـــاشم بن حـــرملة

تـــرى الملـــوك عنـــده مغـربلة

(وغـــــربله بمعـــــنى ذبـــــحه)

فلم يعجبه فقال:

يقتـــل ذا الـــذنـــب ومـــن لا ذنب له

فقال له الملك: الآن. وأعجبه لما سمع البيت الأخير.

فانظر كيف لم يرضه من المدح إلا كونه بالغا في الغدر والظلم إلى أقصى نهاياته فقتل من لا ذنب له. وقد أعجب هاشما هذا البيت[3].

فاستحسن ذلك الشيخ رضي الله عنه.

ثم أردف ابن رشيد قائلا :

قلت:ومما يشهد لهذا المعنى قول الوزير الكاتب بقية مشايخ الكتاب الأدباء العلماء وأحد الأمراء من فحول الشعراء أبي محمد عبد المجيد بن عبدون العمري رحمه

---

[1]: نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، ودليله قوله الحق: أن الله لا يظلم الناس شيئا: الجامع للقرطبي 370/15.
ومن المشكل قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد، وتقريره أنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم والواقع نفيه قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا، ان الله لا يظلم مثقال ذرة: البرهان 2/511- 512.
[2]: سيرة ابن هشام بيروت 1975 ج: 1/93- 94.
[3]: الذخيرة لابن بسام قسم 2 مجلد 2 ص: 720(القصيدة الفريدة) والمعجب ص: 113.

الله في قصيدته الحافلة الرائية المشهورة المتضمنة من علم الحدثان ما يعجز عن وصفه اللسان ويقصر عن رصفه البيان، وهي التي أولها:

(البسيط)

الدهـــــر يفجــع بعد العين بالأثر * * فما البـــكاء علـــى الأشباح والصور[1]

وهو من الفريد في أبيات هذا القصيد

ومزقت جعفرا بالبيض واختلست ** مـــــن غـِـيلِهِ حمـــزة الظلام للجزر

فانظر إلى قوله: الظلام فلم يكتف بظالم حتى جعله ظلاما[2].

ويظهر لنا من خلال تعليق ابن رشيد واستدراكه الذي أراد به تفسيرا لقول شيخه أنه كان حافظا للأشعار ملما بالأخبار إلماما جيدا، ثم إن هذه الطريقة التي أتى فيها بكثير من الآراء والأقوال والقرائن والاستدلالات تذكرنا بأَلْمَعيَّةِ كبار العلماء ممن يجمعون معلومات كثيرة في موضع واحد واستظهار ذلك دون الرجوع إلى مصدر معين.

فقد عرض لتلك المسألة التي ناقشها ابن رشيد: الإمام بدر الدين الزكرشي وأدرجها فيما جاء على "فعال"، وصرح أنه من المشكل، ولكنه قرر أنه لايلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم والواقع نفيه وفصل ذلك في اثني عشر جوابا[3]. ومن المسائل التي بحثت[4] في مجلس ابن زيتون أيضا مسألة القراءة الشاذة في الآية الكريمة:"إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ"[5]. وذلك برفع الكلمة الشريفة ونصب العلماء، وقد أجاب فيها ابن زيتون بما معناه ان الخاشي يحاسن من يخشاه ويجامله ويرضيه فالله تعالى ينعم

---

[1]: الذخيرة لابن بسام قسم 2 مجلد 2 ص: 720(القصيدة الفريدة) والمعجب ص: 113.

[2]: انظر هذه الأبيات أيضا في فوات الوفيات 389/2.

[3]: البرهان في علوم القرآن 511/2.

[4]: الرحلة 14/6.

[5]: فاطر 28 وتفسير البحر المحيط لابن حيان ط: 2، 1978. دار الفكر. 302/7.

على العلماء بالإحسان إليهم والانعام عليهم، فشبه ذلك بمعاملة الخاشي من يخشاه ثم بكى الشيخ رضي الله عنه لأنه كان يخشى الله خشية العلماء[1].

وسنأتي بجوانب أخرى من هذا في دراسة الرحلة.

ومن خلال هذه المناقشة يظهر أن ابن رشيد كان متضلعا من التفسير، وبما أننا لم نعثر له على كتاب خاص في ذلك، فإن بعض من ترجم له يذكرون ذلك، لأنه كان قائما على دراسة الأصلين وتدريسهما.

وبين يدينا مؤلفان مشهوران هما البحر المحيط لابن حيان، وكتاب التسهيل لابن جزي فالأول صاحبه والثاني تلميذه. ومن خلال هذين التفسيرين يظهر لنا بعض ملامح تلك المدرسة التي ينتسب إليها ابن رشيد.

فقد كان ابن حيان ملما بالقراءات صحيحها وشاذها[2] كابن رشيد، وكذلك كان ابن جزي الذي روى عن أستاذه ابن رشيد[3]، وبما أن ابن حيان كان يغلب على تفسيره الصناعة النحوية، وابن جزي يغلب عليه الناحية البيانية والبلاغية فإن ابن رشيد، كما يتجلى من فهمه لبعض الآيات، يجمع بينهما، فهو تارة يهتم بالجانب النحوي وتارة أخرى بجانب البلاغة والبيان ولا يغفل في ما يأتي من ذلك، عن التنبيه على ما في الآيات من القراءة الشاذة[4] والاستطراد إلى النواحي الأدبية الأخرى.

ب - ثقافته في الحديث:

مقام ابن رشيد بين المحدثين:

إن أبرز ما كان يضاف إلى ابن رشيد من أوصاف المحدثين واصطلاحاتهم: لقب المسند والمحدث والحافظ. فالمسند هو من يروي الحديث باسناده سواء كان عنده

---

[1]: انظر ما ورد عن هذه القراءة الشاذة للكشاف للزمخشري 308/3، والجامع للقرطبي 344/14، والبرهان 341/1، وجاء في تفسير البحر: روي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكس ذلك، وتؤولت هذه القراءة على أن الخشية استعارة للتعظيم.

[2]: التفسير والمفسرون 319/1.

[3]: انظر فهرست المنتوري وما رواه عن ابن رشيد ص: 62- 63 وغير ذلك.

[4]:انظر التفسير في دراسة الرحلة.

علم به أم لم يكن[1]، ولكن ابن رشيد كان مسندا من أهل العلم بذلك والمحدث من مهر في الحديث رواية ودراية[2] وميز سقيمه من صحيحه وعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواياته، وعرف غريب ألفاظ الحديث وغير ذلك بحيث يصلح لتدريسه وإفادته[3]. ولقب كذلك بالحافظ لأنه اجتمعت فيه صفات المحدث وضم إليها كثرة الحفظ وجمع الطرق والإتقان[4].

وبما أنه كان عدلا ضابطا متقنا عارفا بالمساند من الأحاديث متكلفا عناء الرحلة من أجل التثبت من ذلك[5] فإنه يمكن أن يؤخذ بروايته ويحتج بها[6] لأنه كان ذا تحقيق بعلم الحديث من أهل هذا الشأن[7] وقد أشار في رحلته إلى أن فيها أسانيد ومتونا، فما علم وجه الصواب فيه أوضحه وأقام صوابه ونبه على أنه أصلحه ولكن بعضه بقي على حاله مغفلا وضبب عليه[8].

ثم أنه لقي في رحلته كثيرا من الشيوخ الذين كان يسمع منهم الحديث ولكنه لم يخص منهم بصفة"المحدث" إلا ما يقرب من خمسين شيخا، ولكن يبدو أن عدد من يغلب عليهم هذا اللقب يقرب من الثمانين، وهم يقدرون بثلث شيوخه تقريبا، وكان هؤلاء في الحقيقة مشاركين ملمين من كل فن بطرف، فمنهم من كان يجمع إلى صفته محدثا: الفقه أو النحو أو الأدب أو الطب أو يجمع أكثر من صفتين، وقد يجمع جل تلك الصفات.

وأما الأحاديث الواردة في أجزاء الرحلة الموجودة فتقدر بأكثر من 320 (عشرين وثلاثمائة حديث) رواها ابن رشيد من شيوخه أو نقلها من الكتب المعتمدة، وهو في كل

---

[1]: تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي ج:43/1.
[2]: الخلاصة في أصول الحديث للحسين بن عبد الله الطيبي بغداد 1391 ص:9.
[3]: تدريب الراوي ج: 48/11.(انظر معنى الحافظ).
[4]: تدريب الراوي ج:49/1.
[5]: جامع بيان العلم وفضله ج:111/1، والتمهيد لابن عبد البرج:45/1 والرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ط:1 - 1975 ص: 20/16.
[6]: مقدمة ابن الصلاح: معرفة من تقبل روايته ص: 49 ومعرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم ص: 14.
[7]: درة الحجال 96/2.
[8]: الرحلة 64/7. وينظر في ذلك أيضا ما قاله الطيبي في كتابه الخلاصة: عن كيفية رواية الحديث ومسألة التضبيب وبيان الصواب في الحاشية.ص: 120.

ذلك يتحرى التدقيق والضبط ولا يتساهل في الأخذ والتحمل، وذلك كله من شروط الرواية الصحيحة[1] مثل قوله:

"وقد قيدت أحاديث من الجزء الثاني والثالث والرابع الذي اشتمل عليها الجزء الأول عند تاج الدين الغَرَّافِي من أصل سماعه وقابلتها به، وبالإسناد من المجاز لي من المسموع[2]".

أو قوله بعد أن أورد حديث"أقيموا صفوفكم":

"هذا الحديث آخر الجزء الأول، ولنا منه نسخه عارضتها بأصل الشيخ تاج الدين الغرافي، وكان جزء الشيخ مشتملا على أربعة أجزاء كان هذا الأول عندي هو الأول منها والأربعة مسموعة للغرافي على الإمام الحافظ أبي الحسن محمد بن أحمد القَطِيعي[3] رحمه الله[4]".

منهج ابن رشيد في الحديث:

إن أول ما يبدأ به ابن رشيد، عند ذكر الحديث، قوله تعالى قرأت على الشيخ...ثم يذكر السند المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة أخبرنا أو حدثنا أو غيرهما ذلك، ثم يبين طرق التحمل ونوعها بالقراءة أو السماع أو الإجازة، ثم يصف مصدر هذا الحديث وأصوله عند المحدثين وفي كتب الحديث، ثم يورده، وبعد ذلك يعقب عليه بتقويم السند وبيان قيمته في ميزان الجرح والتعديل، ثم يعمد إلى التوضيح أو التعريف أو الإضافة أو الإفادة، وقد يورد تنبيها أو تنبيها على تنبيه، ومثال ذلك ما أتى به بعد حديث:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم

---

[1]: الكفاية في علم الرواية ص: 151 وتدريب الراوي 339/2- 340 وكتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ: الوجه 24 من الترجيحات ص: 17.

[2]: الرحلة 19/3.

[3]: هو محمد بن أحمد بن عمر بن حسين بن خلف البغدادي (246- 630 هـ) مؤرخ ومحدث معجم المؤلفين لرضا كحالة 303/8.

[4]: الرحلة 19/3.

الحمر الأهلية زمن خيبر[1]"، فقد علق عليه بذكر صحته واتفاق الأئمة على ذلك من عدة طرق ذكرها مفصلة مبينة ويقول في ذلك:

"أما حديث سفيان فأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي... فكأني لقيت أبا عبد الرحمان النسائي وصافحته من هذا الطريق ووقع عاليا، وعاليا من حيث العدد إلى النبي صلى الله وسلم من الرواية الأولى، وساويت زكرياء بن يحيى شيخ النسائي[2] في روايته ومن سمعه مني يكون مساويا لأبي عبد الرحمان النسائي ولله الحمد والمنة.

وبعد مناقشة طويلة أورد تنبيها يقول فيه بأن هذا يسمونه علو التنزيل[3] ثم أردف بعد ذلك ببيان مولده ومولد النسائي وأن من سمع منه ذلك الحديث كأنما سمعه من النسائي. ثم ذكر بعد ذلك التنبيه تنبيها آخر يذكر فيه تعقب بعض أصحاب القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله هذا النوع من التنزيل في كتابه السباعيات، وبين في ذلك مسائل دقيقة تتعلق بالصحابي والتابعي[4] من حيث الاعتبار، وقصد أهل الحديث من تكثير الأحاديث المنزلة في هذا الغرض.

وتمتاز تعليقات ابن رشيد وتنبيهاته بالإيجاز وكثرة الإحالات على كتب أصول الحديث من كتب السنة والمسانيد، ويظهر ذلك فيما عقب به على حديث:"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عز وجل كَلَّ لِسَانُهُ ولم يشف غيظه"، فقد روى هذا الحديث عن شيخه صفي الدين المراغي، وبعد أن أورده بطرق إسناده أتي بتعليق عليه يقول فيه[5].

---

[1]: الرحلة 119/3، وانظر ما فيه من الناسخ والمنسوخ في كتاب الاعتبار للحازمي ص: 161.

[2]: هو زكرياء بن يحيى بن صالح بن يعقوب الحرسي بفتح المهملتين المصري. ثقة توفي سنة 242 هـ انظر خالصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبد الله الخزرجي ط: 2-1391 بيروت ص: 122.

[3]: كتاب معرفة علوم الحديث ص: 5 ومقدمة ابن الصلاح 130 وانظر ما نقده على الحاكم النيسابوري في تعريفه لعلو التنزيل، الخلاصة للطيبي 53 وتدريب الراوي 159/2. وانظر توضيح الأفكار للوزير اليماني 200/1.

[4]: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الفكر بيروت 1398 ج: 3/1 وجامع بيان العلم وفضله ج: 29/2 وكتاب الروض الباسم ج: 57/1.

[5]: الرحلة 56/3.

"من هذا الحديث والله أعلم انتزع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما روى سفيان عن رجل قال: نال رجل من عمر بن عبد العزيز فقيل له: ما يمنعك منه فقال: إن التقي مُلْجَمُ". وله نظائر كثيرة في الشريعة[1].

قول ابن رشيد بضعف صناعة الحديث في عصره:

لاحظ ابن رشيد ضعف صناعة الحديث وتلف بضاعته في عهده[2]، ورأى أن القدامى بخلاف معاصريه، لأنهم كانوا يقطعون الشقة الكبيرة ويلاقون المشقة الكثيرة في طلب الواحد من الحديث[3].

ويشير إلى أن ذلك العلم صعب[4]، يحبه الذكور ويكرهه الإناث، لهذا أحب الذكورة وكره الإناثة[5].

عنايته بصحيح البخاري:

أما عنايته فكانت بصحيح البخاري، وهو يفخر أن يكون لديه أصل من أصول هذا المصدر الحديثي، فقد قال لما التقى بشيخه أبي العباس من الغماز.

"وكان الشيخ أبو العباس في أصل عتيق من رواية أبي ذو الهروي بخط أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي الذي كتبه بمكة شرفها الله وسمع فيه على أبي ذَرّ رحمه الله وقد كان هذا الأصل صار للإمام المقرئ العالم أبي الحسن على بن عبد الله بن النعمة رحمه الله واعتنى به عناية جيدة، وقد صار هذا الأصل إلَيَّ والحمد لله"[6].

---

[1]: وانظر مثل ذلك قضية عمر بن عبد العزيز مع ذلك الرجل الذي عرض له بالطومار (الصحيفة) فأصابه في وجهه وشجه، وخلى سبيله رغم ذلك. حلية الأولياء 311/5.

[2]: إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح لابن رشيد ص: 3.

[3]: نفسه، وكتاب معرفة علوم الحديث ص:1 ومقدمة ابن الصلاح ص: 3 و تدريب الراوي ج: 159/2، وكتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص: 58 و 59 و 104.

[4]: الروض الباسم ج:39/1- 41.

[5]: إفادة النصيح ص: 4، شرف أصحاب الحديث ص:70- 71.

[6]: الرحلة 21/6، وانظر دعوة الحق عدد 1 سنة 17 وعدد 2- 3 سنة 7 للأستاذ محمد المنوني بعنوان صحيح البخاري في الدراسات المغربية. وانظر أيضا دعوة الحق عدد 9 سنة 16 للأستاذ سعيد اعراب بعنوان: الإمام البخاري دعامة الفكر الإسلامي السني.

وليته أخبرنا عن الطريق الذي استطاع أن يصل إليه هذا الأصل النادر. ثم أن حرصه الشديد وحمده الله على امتلاكه هذا الأصل لدليلان واضحان على اهتمامه بهذا الكتاب وعظم قدره لصاحبه لثقته وضبطه وعلو شأنه في علم الحديث.

وكان ابن رشيد أيضا حريصا على كل ما يمت بصلة إلى صحيح البخاري من فوائده وغوامضه وسنده. ويتجلى ذلك في أنه لما قرأ على شيخه عز الدين أبي العز الحراني صدرا من كتاب البخاري ومعه أجزاء تضمنتها الفوائد التي أخرجت له والتي أخرجها له شيخه جمال الدين أحمد بن الظاهري، سأله عن سنده فيه فأخرج له مكتوبا من طي عمامته بسنده في البخاري، فحضرت الدواة ولم يحضر القلم فكتب بعضه بأطراف مقط كان له حرصا على تحصيله، ثم تداركها بعد ذلك بقلم اتمها به ثم أجاز له فيه إجازة معينة له خصوصا[1].

وبالرغم من"إلغاز البخاري رحمه الله، جريا على عادته في الإغماض في تراجم كتابه الذي أتى فيها بكل عجيبة لم يسبق إليها وغريبة لم يزحم عليها"[2]، فإن ابن رشيد كان لديه قدرة ملحوظة على فهم تلك الألغاز والغوامض[3].

ويتجلى ذلك في قول البخاري رضي الله عنه:"باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة"، فقد أدخل فيه حديث سهل قال:"كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار مَمَرُّ الشاة"، ثم اتبعه بحديث سلمة بن الاكوع قال:"كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاه تجوزها[4]". فالحديث الأول مطابق لما ترجم له، والحديث الثاني ليس بمطابق في الظاهر فيما يبدو للناظر،فاستشكل إدخاله تحت الترجمة.

وقد لاحظ ابن رشيد أن أبا العباس بن المنير لم يعرض لذلك في كتابه الذي أفاد به في تفسير ما أشكل من تراجم البخاري، ولما سأله بعض الأصحاب أجابهم، ولكن لم ينصف[5]. ولما عرضه على من أنصف ووفاه حقه بلغ ذلك بعض الطلبة فرغب إليه أن يقيد

---

[1]: الرحلة 3/123- 124.
[2]: الرحلة 3/94.
[3]: الرحلة 6/93.
[4]: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 4/279.
[5]: الرحلة 3/95- 96.

له كلامه عليه فأجابه بما يتبين منه أن ابن رشيد كان محيطا بمسائل الحديث وغوامضه ومشكله[1]. فقد ذكر أن ابن رشيد مر به في مطالعته ما قدر من صحيح البخاري الإمام الناصح رضي الله عنه واطلاعه على غوامض مآخذه مثل قوله:"باب قدر كم ينبغي أن يكون بين المصلي وسترته". وقد أورد البخاري حديث سهل رضي الله عنه قال:"كان بين مصلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة) ثم اتبع حديث سلمة قال:"كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها".

فنظر ابن رشيد في سبب إدخال هذا الحديث في هذا الباب. وسرعان ما عقب على ذلك بثاقب ذهنه فوضح ذلك قائلا :

"فظهر لي والحمد لله ما أضمره فيه: ذلك أنه قد قدم أن النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعاده أيضا بعد. فلما قدم هذا فاحتاج هنا أن يبين مقدار ما يكون بين المصلي وسترته أتى بالحديث الأول نصا في مقصده، ثم اتبعه هذا الثاني مستنبطا من معينه ذلك المعنى وشاهدا عليه. لأنه لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم على المنبر كما تقدم وثبت هنا أن المنبر بينه وبين الجدار، يعني القبلي، مالا تكاد الشاة تجوزه انتج أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين الجدار قدر ممر الشاة بهذا الحديث أيضا كما ثبت بالأول الذي هو نص في معنى الترجمة فانتظم الدليل التام بين الترجمة والحديث ما ظاهره الانصداع". وبهذا فند ابن رشيد قول من لا علم عنده بالمعاني أنه متنافر.

ثم زاد ابن رشيد شارحا وموضحا فقال:"ان قيل أنه صلى الله عليه وسلم نزل على المنبر فسجد على الأرض في أصل المنبر وذلك أكثر من قدر ممر الشاة، قلنا قد حصل أكثر أجزاء الصلاة على المنبر وبينه وبين الجدار ذلك المقدار الذي تضمنته الترجمة المسوق لها الحديث الأول المسوق عليه الحديث الثاني أو قريبا منه. وإنما نزل(...) لأن درجة المنبر ضاقت على السجود والله الموفق".

"فلما تحققت أنها الدرة التي غاص عليها الإمام أبو عبد الله رحمه الله في بحر علمه ثم قذف بها في بحر كتابه إلى أن يظفر بها من ذكر كماله استخرجتها وجلوتها على من أثق بصحة تمييزه وسلامة نظره، فأجلها وأجلها منزلتها من الاستحسان، وعدها

---

[1]: الرحلة 95/3.

من فرائد الفوائد لما جبل عليه من الاتصاف بالانصاف، فسألني بعض الأصحاب المجتهدين زاده الله حرصا على طلب العلم النافع أن أقيد له ذلك الذي ظهر لي فيها فأجبت سؤاله والله المرشد. قال ابن رشيد أَرشده الله: انتهى الجواب "

ثم قال بعد ذلك:

"وإنما سردنا أطناب الكلام في العبارة عنه لأجل من تقدمت له الإشارة ممن لم ينصف مع ظهور المراد بحيث يقطع المطلع على هذا المعنى بأن ذلك هو قصد الإمام البخاري رحمه الله. وقد استدركت على الإمام ناصر الدين تراجم عديدة أغفلها أو استشكلها فتركها ونازعناه في بعض مطابقاته التي أَبْدَى وأَبْدَيْنَا ما يسلمه المنصف ولا ينكره إلا المتعسف والحمد لله على نعمته"[1].

ومن هذا النص يتبين لنا أن ابن رشيد كان يعمل عقله لاستخراج العلاقة الرابطة بين الترجمة أو العنوان وبين موضوع الحديث وهي مكانة في الحديث لا يؤتاها إلا من كان متمكنا متضلعا من الحديث والسنة وفهمها. وقد استدرك بهذا على الإمام ناصر الدين بن المنير، ويبدو أن الرجل كان يناقش ويرد كما يفهم من عباراته.

أمانة ابن رشيد في النقل وحرصه على الضبط والإتقان في الرواية

كان ابن رشيد أمينا في النقل حريصا على الضبط والإتقان، ومما يدل على ذلك أنه لما قرأ على شيخه أبي صادق القرشي جزءا فيه أحاديث عوال مخرجة من مسند الشافعي وضاق الوقت عن نسخ الجزء بكماله ما يلي:

".. وبه إلى الشافعي قال: انا ابن عيينة عن يحيى أبي سعيد قال:

سمعت أنس بن مالك يقول :بال اعرابي في المسجد فعجل الناس إليه فنهاهم عنه وقال صبوا عليه دلوا من ماء"."فقال منبها: كذا وجدته بخطي لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلا أدري اسقط علي أم كذلك وقع عند الشيخ[2].

---

[1]: الرحلة 95/3.
[2]: الرحلة 72/3.

ويمكن أن ندرج هذا في مسألة جواز استثبات الحافظ ما شك فيه من كتاب غيره أو حفظه[1]. وبما أن أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم، لدوام صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم، فإن ابن رشيد يؤكدُ ذلكَ ويعتبر نفسه مقصرا ان لم يصل عليه ولهذا أتى بالتعقيب الذي يبين فيه ذلك، ولقد قال سفيان الثوري:"لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يصلى عليه ما دام في الكتاب[2]".

ومما أخذه أيضا على بعض شيوخه قلة الضبط والوقوع في الخطأ أو إيراد الغلط لأنه كان يدقق في السند، ومما جاء له في ذلك أنه لما اتصل بشيخه أبي صادق محمد ابن يحيى القرشي المعروف أبوه برشيد الدين العطار صبيحة يوم الجمعة 19 رجب 684، وروى عنه حديث "الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"[3]. قال القرشي: انا أبو محمد عبد الصمد بن داود الغضائري، انا الحافظ السلفي انا أبو الحسن طريف بن محمد بن عبد العزيز النيسابوري ببغداد وأبو الوفاء علي بن زيد بن شهريار الزعفراني باصبهان قالا انا أبو صالح احمد ابن عبد الملك المؤذن بنيسابور انا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي انا أبو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز العبدي انا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولا عبد الله بن عمر ابن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الراحمون يرحمهم الرحمان... الحديث.

ولما أورد سنــــد هـــذا الحديث مرة أخرى بزيادة كلمة"وهذا أول حديث سمعته من..:جاء فيـــه ما يلي قال أبو طاهر هذا أول حديث سمعته من أبي حامد قال ابو صالح هذا أول حديث سمعته من ابي طاهر قال طريف هذا أول حديث سمعته من أبي صالح. قال السلفي هذا أول حديث سمعته من طريف الغضائري وهو أول حديث سمعته من أبي طاهر قال أبو صادق وهو أول حديث سمعته من الغضائري قال محمد ابن رشيد وهو أول حديث سمعته من أبي صادق.

---

[1]: الكفاية في علوم الرواية ص: 216 و251.
[2]: شرف أصحاب الحديث ص: 34-35-36 خاصة و37-110-111 و...الخلاصة في أصول الحديث ص: 148.
[3]: الرحلة 71/3.

ثم عقب على ذلك ابن رشيد بقوله:

"كان عند شيخنا في الإسناد إسقاط وصوابه أن يقال: قال طريف وأبو الوفاء هذا أول حديث سمعناه من أبي صالح وقال السلفي هذا أول حديث سمعناه من أبي الحسن طريف وأبي الوفاء علي، وقد حددت به السلفي عن أبي الوفاء على ابن زيد بن شهريار الزعفراني المذكور عن أبي صالح مسلسلا فاعلم ذلك والله الموفق".

وكان ابن رشيد أيضا لا يكتب الحديث وسنده إلا إذا تيقن من صحة ذلك، ولهذا كان يدقق في البحث ويعتني بالضبط ويحرص عليه ويظهر ذلك في أنه لما التقى بشيخه أبي أحمد بن بحتر بن حماد البعلبكي[1] وقرأ عليه شيئا من حديث أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم، ورد في سند الحديث ان أسماء جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت عنه حديث:"لعن الله الواصلة والمستوصلة. فعلق عليه ابن رشيد بقوله:"قلت هكذا وقع عنده هذا الحديث في الأصل مختصرا وقوله فيه أن أسماء جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعروف فيه أن امرأة جاءت، وإنما أسماء راوية القصة لا صاحبة السؤال والله أعلم".

ثم زاد موضحا فقال:"لم يتفق لي استيفاء تعليق الجزء لعارض السفر، وقد علقت منه أحاديث غير هذين وقع لي شك في بعض أسانيدها فتركت كتبها هنا حتى اكشف عن أمرها بحول الله تعالى:

ثم إنه كان يدقق في تاريخ الرواية الإسناد، ومن ذلك ما ورد له في سند شيخه تاج الدين أبي الحسن الغرافي فيما اخبر به أبو عبد الله بن أحمد بن حموية الحموي السرخسي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة انا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري الخ وذلك في سماع ثلاثيات البخاري.

فرد عليه ابن رشيد بقوله:

"قلت: قوله سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة غلط وإنما هو سنة إحدى وثمانين دل عليه غير واحد ومنهم الحافظ أبو بكر بن نقطة البغدادي، وبهذا الإسناد إلى البخاري

---

[1]: الرحلة 103/3.

انا مكي بن ابراهيم انا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"[1].

ومن ذلك ما أخذه على شيخه الغرافي من عدم التنبيه وإغفال الإشارة إلى السند فيقول:"قلت وقد حدث شيخنا الغرافي بالثلاثيات بحق إجازته من الشريف أبي الكرم محمد بن عبد الواحد بن المتوكل عن أبي الوقت السجزي، ولم يحدثنا بهذا الإسناد، ,أبو الكرم لم يسمع من أبي الوقت ولكنه أجاز له ولم ينبه شيخنا الغرافي على ذلك[2]".

وإذ عرفنا أن تاج الدين الغرافي كان من المحدثين الكبار والمسندين المشهورين الذين أجاز لهم ابن دحية وغيرهم من العلماء، أدركنا مقام ابن رشيد في الحديث عندما يتعقب مثل هؤلاء ويتسقَّط هفواتهم.

ومما صححه من اغاليط شيوخه أيضا ونبه على ذلك، ما وقع فيه أبو صادق القرشي من الوهم فقال:"وقرأت على شيخنا أبي صادق في يوم الجمعة 26 رجب عام 684 هـ جزءا من تخريجه اشتمل على أحاديث مصافحات للائمة ومساواة، وجملتها سبعة أحاديث، وختم الجزء بحكاية وإشارة على العادة، كتبت عنه الجزء بكماله، ووقع له فيه وهم في حديثين منها وأنا أوردهما هنا وانبه على ما فيهما من الوهم بحول الله وتوفيقه، قال شيخنا أبو صادق فيما قرأت عليه حديث سادس ساويت فيه، مسلم بن الحجاج وابا عبد الرحمان النسائي..[3].

"أقول والله المرشد هذا الحديث وهم فيه شيخنا أبو صادق في قوله أنه وقع له مساواة للإمامين مسلم وأبي عبد الرحمان، وإنما وقع له مصافحة لهما، فإن قوله عن محمد بن علي عن قتادة ليس بصحيح وإنما عند مسلم والنسائي عن محمد بن علي سعيد بن المسيب. فإدخال قتادة بينهما وهم وبه تم له التنزل منزلة الإمامين، وسبب غلطه أنه وقع عند مسلم أيضا عن سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى. فخلط الشيخ أبو صادق الاسنادين. وانما الذي يصحح له في هذا الحديث كأنه

---

[1]: الرحلة 18/3.
[2]: الرحلة 18/3.
[3]: الرحلة 75/3.

سمعه من مسلم مع إبراهيم بن سفيان. وكان سماع الشيخ إبراهيم عن مسلم سنة 257 هـ قبل وفاة مسلم بأربع سنين. وكأنه أيضا سمعه على النسائي مع أصحابه رحم الله الجميع[1]".

ومن حرص ابن رشيد على الأمانة العلمية معارضة نسخ كتبه ومقابلتها بأصول شيوخه وذلك تأسيا بالأئمة الأولين، وقد روي عن الشافعي وعن يحيى بن أبي كثير قالا:"من كتب ولم يعارض كمن دخل الماء ولم يَسْتَنْج وقال الاخفش:"إذا نسخ الكتاب ولم يعارض ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجميا[2]".

ومن أمثلة قوله:"هذا الحديث (أقيموا صفوفكم... الحديث) آخر الجزء الأول[3] ولنا منه نسخة عارضتها بأصل الشيخ تاج الدين الغرافي، وكان جزء الشيخ مشتملا على أربعة أجزاء كان هذا الأول عندي هو الأول منها، والأربعة مسموعة للغرافي علق الإمام الحافظ أبي الحسن القطيعي رحمه الله، وقد قيدت أحاديث من الجزء الثاني والثالث والرابع الذي اشتمل عليها الجزء الأول عنده من أصل سماعه وقابلتها به وبالإسناد من المجاز، لا من المسموع[4].

وكان ابن رشيد أيضا حريصا على تصويب أوهام الرواة عامدا إلى تصحيح ما قد يقع لهم من الظن الخاطئ: ولقد ورد في سند قراءته على تاج الدين أبي الحسن الغرافي غلط تنبه له وعلق عليه[5].

ففي ذلك السند قراءة ابن رشيد على الغرافي سنة 684 هـ والغرافي على ابن الحسن القطيعي سماعا عليه في رمضان سنة 632 هـ، والقطيعي على أبي بكر الزاغوني في جمادى الآخرة سنة 551 هـ سماعا عليه.

وقد رد على هذه الرواية بقوله:

1: الرحلة 74/3.
2: انظر في هذا الشأن أيضا مقدمة ابن الصلاح 92 وجامع بيان العلم وفضله 93/1.
3: الرحلة 19/3، ويقصد الجزء الأول من فوائد أبي طاهر المخلص.
4: نفسه.
5: نفسه.

"وما أظن أبا الحسن القطيعي كان في هذا التاريخ ممن يقرأ لنفسه مع أنه تفسر في طبقات السماع ان ذلك السماع في هذا التاريخ كان بقراءة ولده أحمد فاعلم ذلك والله الموفق".

ويظهر أن تعليق ابن رشيد مقبول: لأن ابن القطيعي (546- 634 هـ) كان في هذا التاريخ قد بلغ من العمر عتيا[1].

ومما أخذه على بعض شيوخه استعمال التدليس في الحديث[2]"وهو أن يروي عن شيخ تتأخر وفاته أو يتركه فيذكر غيره أو يكثر عنه فيزيد أن يوهم أنه غيره، وهذا وإن كان صدقا في نفس الأمر ففيه توعير المعرفة ، فإن فعل ذلك لكونه غير ثقة فهذا قبيح مذموم لما فيه من عدم النصح وإظهار الباطل في صورة الحق[3]".

وكان شيخه أبو صادق القرشي يستعمل في أحاديث رواياته هذا النوع المسمى بتدليس التحميل[4] الذي أكثر منه المتأخرون كالخطيب الإمام أبي بكر البغدادي في تصانيفه[5].

وأما أبو الفتح ابن دقيق العيد فيرى أن التدليس مفسدة، وفيه مصلحة أما مفسدته فإنه قد يخفى، ويصير الراوي مجهولا فيسقط العمل لكون الراوي مجهولا عند السامع مع كونه عدلا معروفا في نفس الأمر وهذه جناية عظمى ومفسدة كبرى، وأما مصلحته فامتحان الأذهان استخراج التدليسات وإلقاء ذلك على من يراد اختبار حفظه ومعرفته بالرجال وتلك مفسدة أخرى يراعيها أرباب الصلاح والقلوب وهو ما في التدليس من التزين[6].

ومن خلال هذه المجموعة من آرائه يتبين لنا أن ابن رشيد كان من المعدودين في مقدمة المحدثين الذين لهم إلمام واسع بمسائل الحديث، وعلم غزير بالرواية والإسناد

---

[1]: تذكرة الحفاظ 1419/4.
[2]: معرفة علوم الحديث 109. ومقدمة ابن الصلاح 34 الاعتبار للحازمي 15 والخلاصة للطيبي 74 والكفاية 355 وتدريب الراوي 223/1 والتمهيد لابن عبد البر 28/1- 33.
[3]: الرحلة 64/5. وشرف أصحاب الحديث 119.
[4]: معرفة علوم الحديث 109.
[5]" الكفاية 355.
[6]الرحلة 64/5.

وبصر حديد بصحيح الآراء وسقيمها. ثم إن تلك الذخيرة التي جمعها من الأحاديث من مختلف الكتب المشهورة والنادرة والعوالي ليدلنا على أنه كان حقا من أهل هذا الشأن.

بعض أسانيد ابن رشيد في الحديث

ولإبراز ناحية هامة من نواحي ثقافة ابن رشيد في علم الحديث نذكر له ما ورد في الرحلة من الأسانيد المرفوعة الواقعة له في بعض رواياته ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1- حديث "إذا قلت لصاحبك انصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت"[1]

وهذا الحديث منتخب من جزء فيه أحاديث منتقاة من مسند الشافعي رواية أبي العباس الاصم عن الحرشي الحيري وهو أبو بكر بن الحسن. وقد نقله ابن رشيد من خط منتقيه صاحبه سعد الدين مسعود الحارثي:

رسول الله صلى الله عليه وسلم

12- أبو هريرة(عبد الرحمان بن صخر الدوسي اليماني)

11- الاعرج (عبد الرحمان بن هرمز، أبو داوود المدني)

10- أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان القرشي المدني)

9- مالك بن انس

8- الشافعي(محمد بن ادريس بن عثمان)

7- الربيع بن سليمان المرادي المصري المؤذن

6 -أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم

5- أبوبكر احمد بن الحسن بن احمد بن محمد بن احمد الحرشي الحيري

4- السلاّر (أبو الحسين مكي بن منصور بن محمد بن علان الكرجي)

---

[1]: الرحلة 82/3. وانظر تفصيل ذلك في الاعلام للمراكشي 256/3.

3- أبو زرعة (طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي)

2- أبوبكر بن عبد العزيز بن احمد بن عمر بن سعيد بن باقي البغدادي العدل سنة 621 هـ قراءة عليه.

1- أبو عبد الله الدلاصي(بالمدرسة الصالحية يوم السبت 27 رجب 684 هـ)

قــــــــراءة عليه

ابن رشيد:

قال ابن رشيد:"قلت: قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح[1]رحمه الله وقد تكلم في أي الأسانيد أصح؟ روينا عن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه قال:أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر. قال وبنى الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي على ذلك: أن أجل الأسانيد :الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي رضي الله عنهم أجمعين"[2]

2- حديث "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه ويساره حتى يرى بياض خديه، وكان يقول السلام عليكم ورحمة الله عن يمينه ثم يعيد عن يساره"[3].

هذا الحديث من الجزء الثاني من فوائد أبي الحسين بن بشران.

رسول الله صلى الله عليه وسلم

12- عبد الله بن مسعود

11- أبو وائل (شقيق بن سلمة الاسدي)

10- مسلم (بياع السابري)

---

[1]: مقدمة ابن الصلاح9.
[2]: شجرة النور الزكية 48/1- 52.
[3]: الرحلة 83/3.

9- محمد بن عمارة

8- عمران القطان(أبو العوام)

7- عمرو بن عاصم

6- محمد بن عبد الملك بن مروان

5- اسماعيل بن محمد الصفار

4- أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران الرئيس

3- أبو طاهر السِّلفي(الجد) في محرم 576 هـ

2- أبو القاسم عبد الرحمان بن أبي الحزم مكي بن الحاسب سبط السلفي في شعبان 651 هـ(سماعا عليه)

1- أبو عبد الله القسطلاني (بعد صلاة العصر يوم الجمعة 12 رجب 684 هـ بفسطاط مصر سماعا عليه وقراءة)

ابن رشيد(وهو يسمع)

3- حديث " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أذن الله بشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به[1].

وهو جزء من أمالي ابن ميلة.

الرسول صلى الله عليه وسلم

11- ابو هريرة

10- ابو سلمة(ابن عبد الرحمان بن عوف الزهري المدني)

9 - محمد بن عمرو

8- محمد بن عبد الله الأنصاري

7- أبو حاتم محمد بن إدريس المنذر بن حبان البُسْتِي

6- أبو عمر احمد بن محمد بن إبراهيم

5- أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن ميلة الفقيه املا ء في ذي الحجة 410 هـ

4- أبو مسعود محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي السودرجاني في ربيع الأول 493 هـ

3- ابو طاهر السلفي في شعبان 574 هـ

2- ابن رواج في 25 محرم 647 هـ بالقاهرة.

1- ابن درادة وهو جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن علي بن جعفر بقراءة صاحب ابن رشيد أبي عبد الله ابن سامة الدمشقي في 23 رجب 684 هـ

ابن رشيد (وهو يسمع)

---

[1]: الرحلة 100/3. وانظر أيضا كتاب فضائل القرآن للإمام أحمد بن شعيب النسائي ص: 94 وفهرست الأحاديث بعد.

4- مسلسل أطعمنا وسقانا

حديث"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر. قال وأمر بالقدور فاكفئت وهي تغلي باللحم"[1].

حديث أخرجه مسلم في الذبائح من صحيحه

رسول الله صلى الله عليه وسلم

10- البراء بن عازب

9- ابو اسحاق الهمداني

8- عبد العزيز بن مسلم القسملي الخراساني

7- ابو محمد شيبان بن فروخ الايلي

6- ابوبكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي الواسطي.

5- ابو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى الحافظ.

4- ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري

3- ابو بكرمحمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري قراءة عليه.

2- ابو محمد عبد الله بن المبارك بن ابي القاسم بن الطويلة (اجازة)

- ابو علي ضياء بن احمد بن الحسن بن الحريف قراءة في جمادى الأولى 599 هـ ببغداد (وهما يسمعان)

1- عز الدين عبد العزيز الحراني

ابن رشـــــيد

---

[1]: الرحلة 118/3.

5- عن عبد الله بن عمر قال: كنت في دار عائشة وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا فيها، فأكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم تميرات آتى بها رجل من الانصار. إذ أقبل بوجهه وقال:يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى الله. واترك الكذب أولا تقل الكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور. وعليك بحسن الخلق فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار[1].

رسول الله صلى الله عليه وسلم

18- عبد الله بن عمر في دار عائشة رضي الله عنها

17- نـــافع

16- مالك بن أنس

15- سفيان الثوري

14- زاذان النحوي

13- عمه وكان في داره

12- أحمد بن يونس بمصر

11- ابو الحسن محمد بن علي بن النعمان البزار باطرابلس

10- ابو الحسن محمد بن المحسن الداني

9- محمد بن الحسين المؤدب

8- ابو القاسم بن بندار

7- ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي

6- ابو القاسم بن صواب المقرئ

5- ابو مروان بن مسرة القاضي

---

[1]: الرحلة 49 مكرر.

4- ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب المقرئ

3- ابو عمرو عثمان بن الحسن الكلبي

- داوود بن سليمان الجوطي

2- جمال الدين بن مسدي بمكة

1- ابو محمد الخلاسي الزاهد بتونس

ابـــــن رشـــيد

6- المشـــــابكة (شبكت أصابعي بأصابع..)

قال أبو الحسن الباغوزان: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة. ومن شابك من شابكني دخل الجنة. وما زال يَعُدُّ حتى انتهى الى سبعة. قال الراوي فشبكت أصابعي بأصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا واستيقظت والحمد لله على هذه النعمة[1].

وقد وقعت سلسلة رجال هذه المشابكة كما يلي:

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

5- ابو الحسن الباغوزان (خطيب باجبار)

4- علي بن محمد الباجباري

3- احمد بن سعود بن شداد المقرئ الموصلي.

2- ابو عبد الله محمد بن علي الحاتمي الطائي

1- محمد بن ابراهيم القيسي السلاوي(بتونس)

ابـــــن رشـــيد

---

[1]: الرحلة 42/2.

7- عن أنس[1] قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش يسمع الخلائق كلهم: ياأهل التوحيد أن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض.

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13- أنس بن مالك

12- ابان هو ابو يزيد البصري

11- حفص بن عمر

10- يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي

9- عبد الرحمان بن القاسم الدمشقي.

8- محمد بن اسماعيل الديلمي(بمدينة بيروت)

7- ابو حفص عمر بن علي العتكي

6- ابو بكر محمد بن جميل

5- ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم بن الخطاب الراوي الهمداني.

4- ابو الطاهر احمد بن محمد السلفي الاصبهاني الحافظ

3- ابو الحسن علي بن الفضل المقدسي الحافظ حجة الشريعة.

2- ابو عمرو عثمان بن سفيان بن يحيى التميمي التونسي العدل الثقة بقراءة ابي عبد الله بن حبان الشاطبي

1- ابو محمد الخلاسي في ربيع الأخير 684 بمنزلة مدينة تونس

ابـــــن رشـــــيد

---

[1]: الرحلة ج:48/2- 49.

ويظهر من خلال تلك الاسانيد، ان هناك تقاربا كبيرا في عدد رواة سلسلة الاسناد فيها،إذ يتراوح عددهم ما بين احد عشر راويا وثلاثة عشر، ولكن عدد الرواة في المسلسلات كمسلسل أطعمنا وسقانا، أو احاديث المصافحة مختلف عن ذلك اختلافا كبيرا، إذ يتراوح عددهم ما بين خمسة رواة وتسعة عشر راويا. وذلك بالرغم من أن المسلسلات تشتمل على مزيد من الضبط ولا تسلم من الخلل في التسلسل[1].

وتمتاز هذه الاسانيد بتعيين كيفية التحمل في بعضها وذلك بالقراءة أو السماع أو المناولة أو الإملاء أو الإجازة، وفي بعضها أيضا تحديد المكان والزمان الذي تلقي فيه ذلك الحديث. وإن هذا ليدل على ضبط ابن رشيد وعلى كونه محدثا حافظا حريصا على سلامة الاسناد وصحته.

وفي دراسة الرحلة أنواع أخرى من الاسانيد بعضها مشهور وبعضها الآخر نادر مثل ذكر سلسلة الرواة من الأدباء النحويين[2] التي نبه عليها بعض من اطلع على الرحلة وأشار إلى ذلك دلالة على تفردها ببعض ذلك وسبقها إلى كثير من الفوائد التي يقل نظيرها[3].

---

[1]: تدريب الراوي ج: 189/2. والخلاصة في أصول الحديث للطيبي ص: 56.
[2]: انظر حديث خير أدم الدنيا اللحم (انظر فهرست الحديث) بعد. الحديث عدد 164 من هذا البحث.
[3]: طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 525 ترجمة 1154.

ابن رشيد وعلم الجرح والتعديل

لما كان علم الجرح والتعديل هو ثمرة علم الحديث والمرقاة الكبيرة منه[1] فإنه قد أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط في من يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظا غير مغفل[2].

ولما كان ابن رشيد تتوافر لديه هذه الشروط والخصائص في عقله وفكره وسلوكه ومقومات شخصيته، فإن مناقشاته في الجرح والتعديل الواردة في الرحلة قد صححت بعض النصوص، واستدركت على الرواة بعض ما وقعوا فيه من الاغلاط أو السهو. ومن شدة حرصه على تحري الحقيقة أنه يرد بعنف وصلابة على ما يرى فيه شيئا من الخلل أو الوضع أو الكذب أو الخطأ، ومن ذلك ما وقع له في الحديث المسلسل "أطعمنا وسقانا" الذي أخبره به شيخه بتونس أبو محمد الخلاسي المتصوف: قال: انا الحافظ ابو المكارم جمال الدين محمد بن مسدي بمكة وأطعمنا وسقانا... والحديث مسلسل الي علي بن ابي طالب رضي الله عنه: أضافني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسودين التمر والماء فقد أورد ابن رشيد ما قاله ابن مسدي عن هذا الحديث أنه حديث غريب من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده تفرد به عبد الله بن ميمون القداح وكان متهما[3]، ويقال أنه كان يضع الحديث عليه ولا يعلم إلا من هذا الوجه وقال ابن مسدي ايضا: ان سنة تقديمه صلى الله عليه وسلم التمر والماء اذا لما يحضر غيرهما صحيح المعنى بشهادة الاثار الواردة عن مصادره الطاهرة، لأنهما كانا غالب قوته بل رفاهية حال أهل بيته صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا عقب ابن رشيد بقوله:"قال ابن رشيد وفقه الله كتبت هذا الحديث ونحن براء من عهدته وآثار الوضع تلوح على صفحته ونعوذ بالله من التقول عليه صلى الله عليه وسلم[4].

---

[1]: معرفة علوم الحديث ص: 52. وتدريب الراوي ج: 368/2.

[2]: مقدمة ابن الصلاح 49.

[3] : المغني في الضعفاء للحافظ الذهبي 359/1 ترجمة 3392: وهو مكي، قال ابو حاتم متروك والبخاري ذاهب الحديث وآخر ليس بحجة. ميزان الاعتدال ج:1 ترجمة 595 قال ابن حبان لا يجوز أن يحتج بما انفرد به.

[4]: الرحلة 49/2 مكرر.

وتتجلى ايضا أمانته في الجرح والتعديل، في أنه كلما ضبط الوهم على صاحبه تتبع إثارة وتواتر وروده في مواضعه، وإذا جمع الحجج الكافية واكتملت لديه عناصر الاتهام أورد رأيه وأتى بالحكم الذي يصعب رده. ومثل ذلك ما وقع له مع شيخه تاج الدين ابي الحسن الغرافي السِّنِّي في تحقيق اسم ابي بكر الحرشي الحيري[1]، وبما أن الغرافي اورده باسم محمد فان ابن رشيد تعقبه بقوله:

"وقد تكرر هذا الوهم من شيختنا في هذا الاسم في موضع آخر حسبما وجدته مقيدا بخطي عنه وكذلك وقفت عليه بخطه على الوهم[2].

وكان هم ابن رشيد كذلك هو تخريج عوالي الاسناد في الحديث[3]، لأن في طلب الاسناد العالي سنة صحيحة، وكان يشترط مع العلو نطاقة الاسناد، ومن ذلك ما قاله لما التقى بشيخه الشريف ابي الحسن الغرافي وروى عنه حديث" اول الآيات طلوع الشمس من مغربها[4]، فقد ورد ذلك الحديث بهذا السند: ابن رشيد عن الغرافي عن ابن دحية عن ابن بشكوال عن ابن عتاب عن ابي عبد الله بن عائذ عن ابي بكر بن اسماعيل عن البغوي عن طالوت عن فضال بن جبير عن أبى امامة الباهلي يقول :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول الآيات ... الحديث ".

ومن أسماء الرواة الواردة في هذا السند: فضال بن جبير بن جابر ابو مهند الغداني[5]، وهو يروي عن عبد الواحد بن غياث[6] وطالوت بن عباد[7] كما ورد عند ابي علي الغساني[8].

ومما علق به ابن رشيد على هذا الحديث وغيره قوله:

---

[1]: هو ابو بكر بن الحيسن بن احمد بن محمد بن احمد بن حفص بن مسلم الحيري الحرشي(325- 421) طبقات الشافعية الكبرى ج: 4 ص: 6 وشذرات الذهب ج: 217/3.

[2]: الرحلة 11/3.

[3]: انظر تعريف العالي والنازل في كتاب معرفة علوم الحديث 5 والكفاية: 53.

[4]: الرحلة 13/3.

[5]: المغني في الضعفاء 510/2 ت : 4904، قال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة وقيل ضعيف الحديث.

[6]: خلاصة التهذيب 247: عنه ابو زرعة قال صدوق.

[7]: طالوت بن عباد الصيرفي: المغني 314/1ت: 2932 مشهورا ما علمت احدا ضعفه .

[8]: تقييد المهمل مادة (ف.ض.ل).

"أكثر هذه الأحاديث التي أوردها ابن بشكوان والمخرجة لأبي محمد بن عتاب ضعيفة وبعضها بحيث لا يعرج عليه، وإن صح بعضها فمن طرق أخرى غير هذه، وكثيرا ما لهج الناس بهذه العوالي وهي في الحقيقة نوازل، وانما يحمد العلو مع نظافة الاسناد وإلا فالنزول هو المحمود[1].

وبهذا يتحصل لنا أن لابن رشيد مشاركة في الحديث على طريقة أهل الجرح والتعديل[2]، لأنه كان يبين أحوال الرواة ويعرف الأخبار الصحيحة من زائفها ويميز المقبول من المردود دون أن يخشى أحدا أو تتملكه عاطفة، أو يحابي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا، وذلك خدمة منه للشريعة وحفظا لمصدرها النَّقِيّ الطاهر.

ومن مناقشاته في الجرح والتعديل ما ورد له في الرحلة عند ذكر حديث"احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وهو بالاسناد إلى ابن بشكوال عن ابن عتاب عن ابي عمرو عثمان بن ابي بكر الصوفي عن ابي نعيم الحافظ عن ابي بكر المفيد سمع ابا الدنيا عثمان بن عبد الله بن عوام سمع أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " احبب حبيبك هونا ما ... الحديث"[3].

ولما جاء في سلسلة هؤلاء الرواة اسم ابي الدنيا الذي اختلف فيه اهل الجرح والتعديل أراد ابن رشيد أن يكشف عن حالة ويحقق أمره ويبين مكانته بين رجال الحديث فقال:

"قلت والله المرشد: ابو الدنيا هذا الرواة عنه ثقات، والاسانيد إليه صحيحه لا غبار عليها وإنما النظر في امره، وهو ممن اختلف في اسمه وكنيته".

وبعد أن حقق اسمه في المصادر المعتمدة ككتاب الضعفاء لأبي الفرج ابن الجوزي والعوالي العتابية وفي ما اثبته ابو بكر بن الخطيب البغدادي وابو جعفر تميم ابن محمد التميمي وغيرهم في مصنفاتهم اردف مفصلا وموضحا.

---

[1]: الرحلة 13/3- 14 وانظر ما نقده ابن الصلاح على الحاكم النيسابوري في مسألة النزول والعلو المقدمة ص: 130.
[2]: سبك المقال 90 شجرة النور الزكية 216 ترجمة 760.
[3]: الرحلة 14/3.

"قلت: وسبب تسميته بالاشج ما وجدته للقاضي الإمام أبي القاسم الهجيمي بن محمد بن طاهر الهجيمي الروياني الطبري أنه قال : أخبرني الشيخ المعمر الأشج حامل لواء أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه سنة تسع وأربعين وأربعمائة(449 هـ) قال : ولدت في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه باليمن وتحولنا إلى المغرب إلى طنجة، فلما كان في خلافة علي رضي الله عنه خرجنا مع ابي فقدمنا إلى أمير المؤمنين وهو خارج إلى صفين فشهدت معه مشاهد وسمعت منه أحاديث، وهذه الشجة التي في رأسي كنت آخذ بركاب أمير المؤمنين يوما ليركب فضرب رأسي بركابه فشجني فقلت قتلتني يا أمير المؤمنين، فاغتم لذلك فقال لا تخف عمرك الله ثلاثا وأمر من يداويني حتى برئت.. ".

ولم يكتف ابن رشيد بإيراد هذه الروايات التاريخية، بل أخذ يتعقب أمر هذا الرجل في مصادر أخرى بعضها قديم وبعضها متصل بشيوخه، ولهذا أتى بما قاله شيخه الصالح ابو علي بن ابي صالح[1] وغيره من فقهاء الأندلس كابن عتاب وابن خزرج وغيرهم وفقهاء القيروان كأبي عمرو الصفاقسي عن بعض شيوخه من أهل المشرق. ومن كثرة تحريره وتدقيقه أنه أورد نصا مهما مما حرره له ابو علي السابق ذكره في دفتر وقرأه عليه وصححه بقراءته ليكون ذلك النص فريدا دالا على حسن الاستقصاء والتحقيق الذي لا مزيد عليهما.

وبعد ان اورد كثيرا من الروايات والطرق والنقول من مصادره وآراء أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل عقب على ذلك بقوله:

"فهذا الاختلاف فيه كما نراه في مولده ووفاته وما حكاه عنه أبو جعفر تميم بن محمد التميمي من أنه كان في سنة 311 هـ ابن ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة يقتضي أنه أدرك جملة عمر النبي صلى الله عليه وسلم، بل يقتضي أنه ولد قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذكر الهجيمي نص على أنه ولد في خلافة ابي بكر وانه عاش إلى سنة ست وسبعين وأربعمائة، وما ذكره شيخنا الصالح ابو علي بن ابي صالح من وفاته تخالف ذلك بمدة لا يمكن الغلط فيها إلا لمن يخبر عن تخمين وذلك كله ماينافي الثقة

[1]: ورد اسمه في الرحلة: ابو علي بن ابي صالح التلاليني.

بأمر هذا الرجل المعمر، ولولا أن بعض الأحاديث التي أوردها الصفاقسي، وإن كانت التي أوردها الهجيمي أكثر، لقلت هما رجلان وبالجملة إن صح شيء من أمر هذا الرجل فالاعتماد على ما قاله أبو جعفر التميمي، فإنه جليل معروف، ولست اعرف الهجيمي، وقد رَمَي أبو طاهر السلفي بهذه الأحاديث وشبهها من الأحاديث التي يرويها المسمون بطيور أَنس[1]، ونعلم في ذلك بيتين له فأجاد وهما[2]:

(الطويل)

أحاديث ابن نسطور[3] وقيس[4] ويغنم[5] * * وبعد اشج الغرب[6] ثم خراش[7]

ونسخة دينار[8]ونســــخة تـــربــه * * ابي هدية القيسي[9] سبه فَراش

ثم ختم تلك المناقشة بقوله:

"وقد أشبعنا القول هنا في أمر هذا المعمَّر طلبا للكشف عن أمره بما لعلك لا تجده مجموعا في غير هذا الموقع، والله ينفع بالنية في ذلك ويسلك بنا اوضح المسالك وانفعها للسالك.

وزيادة على ما في هذا النص من الفوائد الحديثية فإن فيه دلالات تاريخية وعقدية لمن يهتم بذلك وهي أمر مشاركة أبي الدنيا في وقعة صفين والهجرة من المشرق إلى طنجة بالمغرب في زمن علي رضي الله عنه إثر تلك الواقعة المشهورة، ولكن مهما كانت النتائج التي لا يمكن استخلاصها من ذلك فإن ابن رشيد لا يترك الأمر يمر دون تمحيص أو

---

[1]:وهي إشارة إلى الوضاعين في الحديث، والذين لا يعرج عليهم ولا يفرح بعلوهم وروايتهم شبه الريح، وإنما يكتب حديثهم للتعريف به. انظر أزهار الرياض 345/2.

[2]: نفسه

[3]: نسطور وابن نسطور هو نسطور الرومي وقيل جعفر ابن نسطور هالك اولا وجود له أبدا، ميزان الاعتدال ج: 4 ترجمة 2002.

[4]: لم يبين ابن رشيد اسمه كاملا، انظر المغني في الضعفاء ص: 527 خاصة ترجمة: 5065: قيس ابن تميم الكلابي المعروف باشج ركابي أمير المؤمنين علي، دجال.

[5]: يغنم بن سالم بن قنبر يضع الحديث على أنس. المغني 760/2 ترجمة 7216.

[6]: الاشج المغربي كذاب طرقي المغني ترجمة 751 وترجمة 7451 كذاب دجال- ابو الدنيا الاشج المغربي طرقي ويعضهم سماه ابا الحسن علي بن عثمان البلوي وبكل حال فالاشج المعمر كذاب. ميزان الاعتدال ج:522/4.

[7]: خراش بن عبد الله يروي عن أنس وحفيده خراش كذاب الميزان 2445/4.

[8]: متهم الميزان 2246/4.

[9]: ابو هذبة القيسي ساقط متهم المغني 29/1 ترجمة 199 ثقة صالح حديث الميزان 2188/4.

تدقيق، ولهذا كفانا، بتعليقه السابق، مؤونة الرد على ما قد يزيد في مثل هذه الأمور من الأوهام.

ومن خلال بعض هذه المناقشات الواردة في الرحلة نستنتج أنها تتميز بالإحاطة والتدقيق والاستفادة من كتب الجرح والتعديل والعلم بالرجال ونقدهم، ثم إننا نلاحظ فيها كثيرا من الآراء المختلفة للعلماء والمقارنات المفيدة والترجيح بين أوجه النظر والاستعانة بالتاريخ وعلم المؤتلف والمختلف في الحديث، ونجد فيها بعض الاستنتاجات الحسنة التي ينفرد بها ابن رشيد، وذلك إما لحصوله على تلك النوادر لنفسه وإما لاتصاله الشخصي بالشيوخ الذين لديهم تلك المصادر والمؤلفات التي يعز وجودها عند غيرهم، وأما الخاصية الأخرى فهي أنه كان يروي عن شيوخه الأجلاء فيمحص رواياتهم ولا يقبلها على علاتها، ومن هنا نستخلص أيضا أن المغرب كان في هذه الفترة يحتوي على محدثين مشهورين مطلعين على التراث الإسلامي أحسن اطلاع وهذا ما ندركه مثلا عند قراءة رحلات العبدري والتجيبي والبلوي وما أوردوه من مناقشات لبعض المسائل الحديثية وغيرها وتدقيقهم فيها. وبالرغم من أنه ليس في أجزاء الرحلة الموجودة كثير من مسائل الجرح والتعديل، إذ لم يرد فيها سوى 35 مسالة تقريبا تعطينا مع ذلك صورة واضحة عن منهجه ومستواه في ذلك العلم، إلا أن ما في الرحلة من تقويم شيوخه بالتعديل والجرح وما توافر لدينا من كتبه مثل كتاب إفادة النصيح وما اشتمل عليه من التراجم وكتاب السنن الأبين وما فيه من الاسانيد والمقارنات والمفاوضات[1] كل ذلك يبرز لنا القيمة الحقيقية لما أنتجه ابن رشيد في هذا الفن.

---

[1]: السنن الابين ص: 2.

ج- ابن رشيد الفقيه

كان من أكبر الفقهاء الذين اتصل بهم ابن رشيد: ابوبكر بن حبيش وأبو العباس ابن الغماز وابو القاسم بن زيتون وابو العباس الكتاني وابن دقيق العيد وابو المعالي الاصبهاني، ولهذا أورد لهم في تراجمهم بعض المناقشات الفقهية والأصولية المفيدة. ويظهر من خلال تلك المناقشات ان ابن رشيد لم يكن يكتفي بإيرادها فحسب وإنما كان يعقب على أغلبها بالشرح والإيضاح والمقارنة بين بعض المذاهب، وذلك على طريقة ابن رُشْد في كتابه بداية المجتهد. وبما أن ابن رشيد كان يلتقي بالعلماء والفقهاء من المالكية في المغرب والشافعية بمدينة مصر والقاهرة والإسكندرية ومن الحنفية بالشام (من دمشقيين وبغداديين) ومن الحنبلية بالحرمين الشريفين، فلا شك في أنه كان لهذه المذاهب كلها آثر في شخصه وتكوينه العقلي وفي أحكامه كما نجد ذلك عند صاحبه أبي حَيَّان النحوي الغرناطي نزيل القاهرة، فقد كان يرى رأي الظاهرية أولا ثم تمذهب للشافعي بعد ذلك[1] بل إن هذا هو الذي دفع بعض من ترجم لابن رشيد إلى القول بأنه كان على مذهب أهل الظاهر بينما كان في الحقيقة مالكي المذهب. ولكنه من ذلك لم يكن يتعصب لأي مذهب التعصب الأعمى، ويتجلى ذلك في بعض المناقشات الفقهية مثل تفصيل قوله في الطواف وذكر الشاذوران[2]، فقد أشار إلى انه لا توجد هذه التسمية ولا ذكر مسماها في حديث ولا عن صحابي ولا عن أحد من السلف المتقدمين أو المتأخرين فيما علم، وما ذكر منه عند الفقهاء المالكيين كأبي محمد بن شأس في جواهره وما تبعه فيه أبو عمرو بن الحاجب إنما نقلا ذلك من كتب الشافعية إذ لا تعرفه المالكية ولا يعرفه أهل النقل والأثر إلا ما وقع في كتب الشافعية، ولو لم يكن لابن رشيد إلمام واسع بالمذاهب وتمرس بدقائقها لما أدلى لنا بهذا الرأي.

---

[1]: نفح الطيب: 296/3.

[2]: الشاذوران هو القدر الذي ترك في عرض الأساس خارجا عن عرض الجدار خاليا من البناء، وان قريشا لما رفعوا الأساس بمقدار ثلاثة أصابع من وجه الأرض نقصوا عرض الجدار عن عرض الأساس الأول فبقي ذلك القدر من عرض أصل الجدار جزءا من البيت العتيق المأمور بطوافه خارجا عن الجدار المرتفع وهو طالع لكي لا يظهر عند الحجر الأسود، وقد أحدث عنده في زمان ابن رشيد شاذوران وأن يصعده الجاهل فيمشي بطوافه عليه فيبطل طوافه- الرحلة 21/5. وأخبار مكة 309/1.

ولما كان الأندلسيون والمغاربة على مذهب مالك فإننا نجد أن العلماء في هذه الفترة كانوا يحاولون تحديد المذهب والرجوع إلى كتب الغزالي التي كانت تعد ثورة انقلابية على كثير من المفاهيم والآراء[1]. فابن رشيد كان قد اتصل ببعض الشيوخ الذين كانوا يحملون في وطابهم كل مؤلفات أبى حامد الغزالي كأبي جعفر اللبلي الذي كان من مروياته: كتاب إحياء علوم الدين، وقد سمع كثيرا منه على ابن أبي عبد الله الازدي وحدثه بجميعه عن أبي محمد الحجري[2] عن أبي بكر بن العربي[3] عن مؤلفه. ثم ان أبا جعفر هذا كان قد حمل جميع كتب الإمام الغزالي بهذا الطريق[4]، ونفهم من ذلك أن الغزالي وكتبه كان محط آمال الرواة والمفكرين والفقهاء بالرغم من إحراق بعض مؤلفاته ومحاربتها في فترة معينة. ونجد في الرحلة إشارات كثيرة إلى الغزالي منها خبر قراءة أبي جعفر اللبلي العقيدة النظامية[5]، وهي في أصول الدين[6]، على أبي عبد الله الازدي على ابي محمد الحجري على ابن العربي على الغزالي مؤلفها[7]. وابن رشيد كان يـُجِلُّ الغزالي ويقدره ويحفظ له من شعره أيضا فقد أنشده بعض أصحابه شعرا للنجم الاسرائيلي يصف كحالا يكحل أرمد وسيما ومنه:)(الكامل)

أو كلما كلت سيوف جفون مـــن * * سفـــكت لـــواحظه الدمـــاء سننتها

فعقب عليه ابن رشيد بقوله: وقد سبق إلى هذا المعنى الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله وكان كثيرا ما ينشده في مجالس وَعظِهِ:(الطويل)

وهاتـــــفه في البان تـــملي شجونها ... الابيات[8]

وقـــوله:(الكامل) دبت عقـــارب صدغه في خده[9]

---

[1]: انظر كتاب عصر المنصور الموحدي لمحمد الرشيد ملين ص: 258.
[2]: ترجم له ابن رشيد في كتابه إفادة النصيح 78- 95.
[3]: أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي (تقديم ص: 5).
[4]: الرحلة 30/2.
[5]: العقيدة النظامية لأبي المعالي أمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478)، كشف الظنون 1159/2.
[6]: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة للجويني ط: 1385/1 ص: 46.
[7]: الرحلة 30/2.
[8]: الرحلة 48/3.
[9]: الرحلة 116/6.

ويظهر ذلك أيضا في قوله برؤية مقدمة في الترجيحات لأبي بكر الخطيب تأسيا بالإمام حجة الإسلام وعلم الإعلام أبى حامد الغزالي في تصديره للمستصفى[1].

ثم إن الاتجاه العام في الرحلة أُسوة بما تقدم، هو الاهتمام بالاصلين: الكتاب والسنة القاضية على الكتاب.

ولنا في دراسة الرحلة تناول لبعض المسائل الفقهية الواردة فيها لنرى مذهب ابن رشيد فيها أكثر وضوحا.

---

[1]: الرحلة 89/3، والمستصفى من علم الأصول للغزالي ص: 11- 18.

د: ابن رشيد والتصوف

بحكم اتصال ابن رشيد أيضا بمن لهم شهرة في ميدان التصوف وقدم راسخة فيه كأبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني وأبي محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي ومحمد بن عبد المنعم بن الخيمي وأبى التقي صالح بن سليمان بن شوشن وأبي عبد الله القيسي السلاوي وعفيف الدين سليمان التلمساني وعبد السلام بن مزروع البصري وابي اليمن عبد الصمد بن عساكر ومكين الدين عبد الله بن منصور بن الاسمر وأبي العباس الاشعري وأبى محمد المرجاني وأبى محمد الطبري، ولباسه الخرقة من القسطلاني والخلاسي[1]، فإن ذلك يرينا جانبا آخر من جوانب مقومات شخصيته وثقافته. ولكن بالرغم من الاتصال الوثيق بأولئك الشيوخ لا ينبغي أن نعده صوفيا مشهورا وإنما نعده من المتصوفين أو المتشبهين وذلك لِـمَحَبَّتِهِ إياهم وصحبته لهم[2]، فقد اتصل ابن رشيد في مدن الشام بأمراء الطريق المشهورين آنذاك وكان لهم إلمام بما كان رائجا في فارس وما جاورها في الوقت الذي كانت فيه مدرسة ابن عربي تعرف انتشارا في مدن العالم الإسلامي شرقا وغربا، ولهذا نجد مثلا في سلسلة الروايات التي أوردها ابن رشيد لبعض الشيوخ رجالا مشهورين كأبي العباس أحمد بن محمد بن ميمون المالقي المعروف بابن السكان وهو الأديب المحدث الفقير الصابر[3] وعبد المحسن بن فرامرز الخفيفي الابهري العالم العارف الزاهد الصوفي الشافعي[4] وأبي الفرج بن الجوزي الواعظ الذي قاوم شذوذ الصوفية وأنكر خروجهم عن حدود الشرع[5] وأبي عمر احمد بن محمد الطلمنكي المعافري الأندلسي الواضح في الزهد والعبادة والقديم في الطريق[6] وعز الدين محمد بن أبى القاسم السلمي أوحد دهره، وفريد عصره ولسان الشريعة وسيد علماء الطريقة[7] ومجد الدين أبي زكرياء الاصبهاني الذي صحب أبا نعيم الاصبهاني وتتلمذ طريقا وتحقيقا على أبى عبد

---

[1]: انظر التعريف بهؤلاء في تراجم من لقيهم من الشيوخ والأصحاب.

[2]: عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردي ط:1، 1966، انظر الفرق بين الصوفي والمتصوف والمتشبه. باب 7 ص: 65.

[3]: الرحلة 66/2 والذيل والتكملة سفر 1 قسم 2 ص: 521 ترجمة 768.

[4]: الرحلة 111/3، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي 314/8، ترجمة 1219.

[5]: الرحلة في أماكن منهاج : 62/2- 46 خاصة، وج: 6/3- 13- 14- 81 و115 خاصة .ج:106/6 ج:65/7 وانظر كذلك ذم الهوى لأبي الفرج بن الجوزي ط:1962/1 ص: 8. وانظر ابن خلكان 140/3 ت:380.

[6]: الرحلة 53/2 وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: 423 ترجمة 961 انظر مصادر ترجمته هناك.

[7]: الرحلة 12/6.

الله الهروي[1] وغير ذلك مما له اتصال بالطريق ولباس خرقة التشريف أو خرقة التعريف من شيوخ مشهورين مذكورين في سلسلة رواية الأخذ لأبي محمد الخلاسي[2] والفقيه الزاهد أبي بكر محمد بن إبراهيم بن الحسن الرازي المعروف بالحنيفي[3].

وبهذا نخلص إلى أن ابن رشيد عرف ومارس نماذج مختلفة ومتباينة من التصوف المعتدل والمتطرف. ولو توافر لدينا الجزء الرابع المفقود لأمكن لنا أن نرى كيف كانت علاقته مثلا بعفيف الدين التلمساني الذي رمى بكثير من صفات الغلو والإفراط في الاعتقاد[4]، فقد أخذ عنه شيئا من شعره ومروياته وسجل عنه بعض آرائه وأفكاره في الزهد والتصوف[5] ولكن الإشارة إليه في الأجزاء المعروفة ضئيلة جدا لأنه لم يورد اسمه إلا عرضا في ترجمة شرف الدين أحمد بن عبد الله الجزائري وذلك في قوله:"أنشدني لشيخنا عفيف الدين أعني عفيف الدين التلمساني...[6]" ولكنه لم يقدم له بأي وصف خلقي مثلما يفعل في تقديم شيوخه الآخرين ولو فعل ذلك لاستفدنا من حكمه عليه بذلك الوصف، ولاستنتجنا منه موقف ابن رشيد من التصوف السائد في الشام بعامة واتجاه عفيف الدين التلمساني في نظره فقد أورد له قطعة في ستة أبيات منها:

(الطويل)

إذا أومضت من جانب الحي أو همت * * فإن سليـــمي قد أميط لثامها

علــي لها أن لا أهيــم بغـــيرها * * وليــس عليها أن يدوم ذمامها

فعقب عليها بأنه لا يذكر أنها من إنشاد أحمد بن عمر الجزائري له ذلك وليتحقق أمرها وسبب شكه أنه وجد منشدات متصلة بها من إنشاد شيخه أبي بكر بن حبيش ولهذا لا يدري أي الرجلين انشدها له. والتلمساني هذا كان ممن يدعي العرفان

---

[1]: الرحلة 54/2.

[2]: الرحلة 53، 56.

[3]:الرحلة 20/3.

[4] : شذرات الذهب ج: 412/5 وفيات 690، وفوات الوفيات 72/2 ت: 179.

[5]: الرحلة 58/5.

[6]: درة الحجال 306/3 ترجمة 1396 أخذ عنه وأجاز له.

ويتكلم على اصطلاح القوم[1] وهناك من ينسببه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية، وكان أيضا حسن العشرة[2].

وبإلقاء نظرة عامة على الرحلة واتجاهها يتحصل لنا أن ابن رشيد لم يكن ليأخذ عن شيوخه وما شذ في أخلاقهم أو طباعهم والدليل القاطع على ذلك ما رأيناه في دراسة أحواله وخلقه وطبعه.

---

[1]: انظر في تعريف المعرفة وصفة العارف: كتاب اللمع في التصوف لأبي عبد الله ابن علي السراج الطوسي مطبعة بريل ليدن 1914 ص: 35- 41، وانظر مقدمة ابن خلدون ص: 473 وروضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب تحقيق عبد القادر عطاء. ط:/1387 ص: 433.

[2]: فوات الوفيات 72/2.

2-ثقافة ابن رشيد في الأدب والعلوم اللسانية وغيرها

ابن رشيد الأديب

شعـــره

أهم مصادر شعره

دراسة بعض موضوعات شعره

الشعر الديني- الاخوانيات- الحنين والشوق-

الوصف

موضوعات عامة

- قيمة شعره
- ابن رشيد البلاغي الناقد
- ابن رشيد النحوي
- ابن رشيد العروضي
- الحس التاريخي لدى ابن رشيد
- ابن رشيد الجغرافي
- ابن رشيد الخطاط

أ- ابن رشيد الأديب

لقد اشتهر ابن رشيد بكونه محدثا وفقيها وخطيبا ومفسرا، ولكنه إلى جانب ذلك كان مبرزا في الأدب شعره ونثره وما يتصل بذلك من النقد والبلاغة والعروض، لأننا عندما نطلع على مؤلفاته في ذلك نجد أنها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤلفاته في علم الحديث[1] وأن أكبر دليل على علو كعبه في هذا الميدان ما نجده في الرحلة من الاشعار الكثيرة من نظمه أو من النصوص الأدبية التي كان يجمعها ويختارها ويغوص على معانيها ولو لم يكن لديه ميل إلى الرواية وحب في الجمع والتصنيف وحظ من الذوق الرفيع لما حفلت رحلته بما يعد ذخيرة مهمة في الإنتاج الأدبي في عصره وما قبله[2]. وقد أَسهَمَتْ صحبته لعدد من الأدباء الأجلاء والشعراء المشهورين والكتاب الملحوظين والنقاد السائري الذكر[3] في توسيع معرفته واكتساب اتجاه متميز في الأدب والنقد، ثم إن إيراد تلك النصوص الكثيرة والأخبار المهمة على طريقة خاصة، جعل من رحلته مصدرا مهما يشبه إلى حد ما يتيمة الدهر للثعالبي أو الذخيرة لابن بسام الشنتريني.

وأن شخصية ابن رشيد الأديب الناقد لتظهر كذلك من خلال شعره ونثره الذين ضمنها وحلته، مما يجعل مؤرخ الحركة الأدبية للعالم الإسلامي بعامة وبلاد تونس بخاصة لا يستغني عما ورد في الرحلة من هذه الجوانب. وسنكتفي فيما يلي بمحاولة إبراز بعض المعالم الكبرى من شخصيته الأدبية.

شعـــــره:

إننا لا نعـرف لابن رشيد ديوانا شعريا مجـموعا، ولكن ما ضَمَّنَهُ مؤلفـاته وبعض المصادر التـي ترجمت له ينبئ بتعدد نماذج شعره. وتنوع موضوعاته وأغراضه[4]، فقد كان

---

[1]: انظر قائمة مؤلفاته في هذا البحث.

[2]: لعل ذلك هو الذي جعـــل لســـان الدين بن الخطيب يصفه بأنه كان محافظا على العربية ريان من الأدب، الإحاطة 136/3.

[3]: من أمثال حازم القرطاجني ومالك بن المرحل وابن عبد الملك المراكشي وابن البناء العددي وأبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الناقد وابن الحكيم الرندي الرئيس الأديب وأبي بكر القللوسي الاصطبوني العروضي وأبي اسحاق إبراهيم وأبي عبد الله بن خميس التلمسانيين وابن النحاس الحلبي وشرف الدين الجزائري وغيرهم.(انظر تراجمهم في شيوخه وأصحابه).

[4]: وقد قمت بجمع ما وصلت إليه يدي من شعر ابن رشيد وهو شعر يحتاج إلى دراسة مستقلة.

مثلا يدرس شعره وشعر غيره، ويذكر المنتوري أن أبا علي عمر بن احمد القرشي العبدري روى مقصورة حازم على أبي عبد الله محمد بن عبد الرزاق المعروف بان أبي حاج وأبي بكر ابن جزي وذلك بروايتهما عن شيخها أبي عبد الله بن رشيد[1]. وأشار المنتوري كذلك إلى أن ابن جزي روى عنه منظوماته وتآليفه[2].

أهم مصادر شعره: بعد البحث والتنقب استطعت أن أحدد أهم مظان شعر ابن رشيد واذكر منها:

- الـــــرحلـــــة: وتضم معظم ذلك الشعر، فقد ورد ما يربو على 245 (خمسة وأربعين ومائتي بَيْتٍ)[3] في 35 موضعا تقريبا وهو موزع بين النتف والمقطعات والقصائد[4].

- كتاب الاحاطة لابن الخطيب: وفيه سبعون بيتا في ثلاثة مواضع أي في مقطوعة وقصيدتين وقد نقل جل ذلك من الرحلة[5].

- ازهار الريـــــــــاض: وفيه أربعة عشر بيتا في ستة مواضع أي في أربع مقطوعات وبيتين مفردين[6].

- بغـــية الــــــــوعاة: وفيه سبعة أبيات في مقطعتين[7]

- طبقات المفسرين للداودي: وفيه خمسة أبيات في مقطعتين[8]

- درة الحـــــــــجال: وفيه ثمانية أبيات في ثلاث مقطعات[9]

- الوافـــــي بالوفيات: وفيه ستة أبيات في مقطعتين[1]

---

[1]: فهرست المنتوري 101.
[2]: نفسه ص: 220.
[3]: أي خمسة وأربعون ومائتي بيت.
[4]: انظر الرحلة 52/2، 70/3، 17/5 -20 -56، 1/6-13- 81 -83 -94 – 2/7- 3- 4 -24- 25 -27- 34- 35- 36 -38-39- 50 -51- 66 -67 -81- 94.
[5]: انظر ج: 141/3.
[6]: انظر ج: 352/2 و276 وكذا ج: 253/3 و344/4- 347 وكذا صفحات 184- 193- 232- 233.
[7]: انظر ص: 85.
[8]: انظر ص: 217 ت:552.
[9]: انظر 98/2- 99

- الاعـــــلام للمراكشي: وفيه تسعة أبيات في ثلاث مقطعات[2].

وبهذا يكون مجموع تلك الأبيات قريبا من ثلاثمائة بيت في سبعين موضعا تقريبا، وهي موزعة بين النتف والمقطعات والقصائد، ونلاحظ أن تلك المصادر مجموعة، غير الرحلة، لم تمدنا بأكثر من خمسة وخمسين بيتا، وذلك إذا استثنينا ما كان ينقله أحدها عن الآخر أو عن أجزاء الرحلة الموجودة والمفقودة.

ونظن، مع ذلك، أن ما تجمع لدينا من نماذج شعر ابن رشيد لا يمثل كل شعره، باعتبار أنه لم يضمن رحلته كل ما قاله، ولكون بعض المصادر الأخرى قد اكتفت بإيراد الأبيات القليلة منه أحيانا.

أغراض شعره: أما أغراض شعر ابن رشيد فقد تقسمتها موضوعات عديدة تتفاوت من حيث الأهمية والغزارة والقيمة الفنية ففيها ما هو خاص بالشعر الديني كالحجازيات من وصف المقامات الشريفة والعرصات الكريمة والشوق والحنين إليها ومدح النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر خلقه العظيم ووصف مثال نعله الكريمة. وكذا في الزهد والاستغفار[3].

ومنها ما هو في الاخوانيات كمدح الشيوخ والأصحاب ومراسلتهم والإجابة عن كتبهم وكذا الاعتذار وما يتصل بذلك[4].

ومنها ما هو في الوصف بأوسع معانيه[5].

وفي الحنين والشوق إلى الأبناء ورثاء بعضهم[6].

ومنها ما هو في موضوعات عامة كمدح الكتب والسفر وفي الأغضاء والتجاوز والتوقيع والألغاز وغير ذلك[7].

---

[1]: انظر: ج: 284/4 ت: 1805

[2]: ج: 2 ص: 253- 255.

[3]: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من خمسة وثمانين ومائة بيت.

[4]: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من اربعين بيتا.

[5]: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من خمسة عشر بيتا في حين اننا نجد خصائص وصفه في جميع شعره.

[6]: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من ثمانية وثلاثين بيتا.

[7]: وقد تجمع من ذلك ما يقرب من ثلاثين بيتا.

ولأجل معرفة قيمة هذا الشعر ووضعه في المكان اللائق به لابد من أن نورد بعض النماذج منه لتكون دالة على شخصية صاحبها وتعريفا بأحوال الشعر في عصره، ورصدا لما طرأ عليه من التغير والتطور وما استحدث في مبناه ومعناه باعتباره نموذجا للشعر في ذلك العصر خاصة. وسأتوخى في عرض ذلك الإيجاز والاختصار قدر الإمكان لأن هذا الشعر كما أسلفت يحتاج إلى تحقيقه ودراسته دراسة خاصة.

دراسة بعض موضوعات شعره:

من شعره الديني: تمثل الحجازيات قسما مهما من شعر ابن رشيد الديني، فمن ذلـــك ما نظـــمه بتونس عام 685 هـ، وقد دخلت أشهر الحج فتذكر أيام العَجِّ والثَجِّ[1] (17 بيتا)[2] ومنه (البسيط):

يا أشهر الحج قد هيــجت لوعاتي * * فعـبرتي لم تطق نقعا لغلاتـــي.

يا ليلة في ألال[3] قد ظــفـــرت بها * * كأنني من سروري في منامـــات

وهو يشير في هذا النموذج إلى ما كان يكنه لتلك المقامات وساكنيها من الحب والوفاء الصادقين كما يترجم عن خلقه وطبعه وكرم نفسه:

عاهدتهم أن أفي والصدق من شيمي * * أن المحب صدوق في المَـــوَدَّات

فهـمت ســـــر معانيهم فهمت به * * لما سقيت بكاســـات المصـافاة

اروم اضمـاره والـــــحال تظهره * * نـور الزجاجة لا يخـفى بمـشكـاة

ففي هذه الأبيات نجده متأثرا بطريقة الصوفية، ويتضح ذلك من خلال استعمال بعض تعابيرهم واصطلاحاتهم مثل الهيام والمساقاة بكاسات المصافاة والحال، ولعل ذلك جريا على مذهب ابن عربي الذي كان مهيمنا في هذا العصر على الشرق والغرب الإسلاميين[4]، أما من حيث المبنى فنجد أن ابن رشيد يميل إلى استعمال كثير من

---

[1]: افضل الحج العج والثج، فالعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج اسالة دماء الهدي(لسان العرب).
[2]: الرحلة 51/7.
[3]: سيأتي التعريف بالمصطلحات الجغرافية.
[4]: انظر الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه للدكتور عباس الجراري ج:143/1.

المحسنات البديعية والبيانية، فمن ذلك الجناس بين(فهمت) من الفهم و(فهمت) من الهيام، كما نجده يستغل السورة القرآنية من الناحية الفنية وذلك في البيت الأخير الذي ينظر فيه إلى قوله تعالى: الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري. الآية[1].

ومن تلك الحجازيات قصيدة قالها وقد أرق ليلة فسمع مغنيا يغني قصيدا حجازيا فشغل باله وهيج بلباله[2] فنفث نفثة المصدور، على حد تعبيره، متذكرا أيام السرور بتلك المعاهد اللائحة النور، (25 بيتا) ومنها[3](الرمل).

أهـــل ودي لا تدينوا بالصـــدود ** بـــذمـــام كـــان في وادي زرود

وخُلَـــيْص إذا وردنــــــا خلصـه ** فرعى اللــــــه أويقـــات الـــورود

وفيها يعبر عن شوقه وحنينه إلى تلك المقامات، ويتذكر أويقات الورود مستعملا صيغة التصغير تعبيرا عن ظمئه المستمر لورودها وقصر تلك المدة التي يقضيها هناك. ولا شك في أن للتصغير دلالة خاصة عند ابن رشيد وغيره من الشعراء كالمتنبي والشريف الرضي كما سنرى بعد في دراسة الشعر الوارد في الرحلة[4].

وقد تذكر ابن رشيد في هذه القصيدة كل ما يقوم به الحاج من الأعمال والشعائر، ولهذا ذكر منى والصفا والمروة وزمزم والحجر الأسود ونعمان الاراك وسلعا وقباء وغيرها من الوهود والنجود، ويظهر بعض ذلك في قوله:

وســـقى الله عهـــــــودا بمنى ** اظفرتنا بالمنى سكـــب العهـــــود[5]

كـــــم صفا موردنا في مـــروة ** والصفا بين حــــــدور وصــــعود

كم لنا مـــن شربة في زمـــزم ** بردت نيـــــــران قلــــــبي ببرود

وفيها يقول:

---

[1]: سورة النور الأية 35.
[2]: البلبال شدة الهم والوسواس.
[3]: الرحلة 51/7.
[4]: انظر دراسة شعر الرحلة.
[5]: العهد أول المطر جمع عهاد وعهود.

يا وفود المصطفى طوبى لكم * * فانعـــموا في كـــل عام بالـــوفود

ونجد الشاعر أيضا في هذه الأبيات يستعمل كثيرا من المحسنات البديعية من الجناس خاصة مثل(المنى ومنى)(والعهود والعهود)(وصفا والصفا)و(بردت والبرود).

ومنها قوله مشيرا إلى شدة شوقه إلى المدينة المنورة التي تخمد نسماتها بعض اوار ذلك الشوق ولظاه.

ان ســـرت من طـيبة لي نسمة ** اخمــــدت ما بفــؤادي من وقــود

بلــــدة مــــن حلـــها منــزلة ** حل بالبــــلدة اوســعد السعــود

وتتجلى هنا عاطفته الحارة نحو تلك المقامات الشريفة وشدة شوقه إليها، ونلاحظ كذلك ما فيها من استعمال مصطلح من مصطلحات منازل القمر وهو(سعد السعود) إشارة إلى موقع تلك المناسبة من نفسه وابتهاجه بها. وقد خمس هذه القصيدة صديقه أبو عبد الله بن الحكيم، وظن ابن رشيد أنه لم يكلمها لعارض السفر، وهذا يدلنا على أن شعره كان يتناوله الشعراء بالدرس والنسج عليه وذلك لبلاغته وجودته ولما يحمله من المعاني الشريفة والبليغة.

ومن تلك القصائد أيضا ما أنشده بعد ما وصل إلى بلده، سبتة مُتَشَوِّقًا مُتَشَوِّفًا إلى تلك المعاهد، وذاكرا بعض الأفعال المرجو قبولها بتلك المشاهد العظيمة(55 بيتا) منها[1](الطويل)

أقــــول إذا هب النســـيم المعطر ** لعل بشـــيرا باللقـــــاء يبشر

وعل الصبا مـرت على ربـع جيرتي ** فعن طيـــبهم عرف العبير يعـبر

وإن كان كثير من الصور الواردة في هذه القصيدة قد أوردها في القصيدتين السالفتي الذكر، فإن ابن رشيد قد نوع في طريقة التعبير وسلك مناحي أخرى من الأسلوب، حتى لم يعد هذا المكرور ممجوجا ولا ذلك المألوف معهودا. وإن هذا التكرار

---

[1]: الرحلة56/7 والاحاطة 138/3، ولاحظ الاختلاف في كثير من كلماتها، في المرجعين، وينبغي التنبيه أيضا على أن محقق الإحاطة لم يشر إلى ذلك أو انه لم يطلع على القصيدة في الرحلة ...... المصدر الرئيسي شعر ابن رشيد.

في المضمون مع اختلاف القصائد، والتوسع في صيغ التعبير ليدل على أن هذا الموضوع قد ملك على ابن رشيد نفسه وعقله حتى شغف به شغفا كبيرا فاستغرق عليه شعوره وفكره. وما يلاحظ فيها أيضا ولوعه بالتجنيس مثل قوله (عَلَّ، عَلَى)(الرَّبع، والعَبِير، يُعَبِّر) وكذلك كثرة ورود حرف العين بصفة تثير الانتباه، وذلك بأن حروف الحاء والعين والهاء والهمزة تحمل دلالة الحزن والهم والغم.

ومما أبدع فيه وصاغه على طريقة أهل التصوف قوله في موسم عام 687 هـ وقد سمع ما هيج شوقه المقلق من النداء على سفر بعض المراكب إلى بلاد المشرق(56 بيتا) ومنه[1](البسيط).

أهوى الحجاز وإن لم يـــمس لي وطنا * * ولم يـــكن أهـــله أهـلي وجيراني

طاف السقاة على شرب الهوى فدعوا * * باســـمي فلباهم دمـعي وأشجاني

قالـــوا الشراب فقلت الدمع أغناني * * قالوا الندامى فقلت الوجـد ندماني

قالـــوا النهوض فقلت العدم أقعدني * * قالـوا التصبر قلـت الشـوق أفناني

كـــم ذا يطـــوف فيلـــقانـي * * لقـــى ولا خمر إلا دمـعي القاني

فلا شك أن ابن رشيد أعطانا صورة واضحة عن مدى أثر تلك الذكرى في نفسه وعقله حتى صار فؤاده جذوة من الشوق والحنين لا تنطفئ وقُودها، بل انه يذكر بالصور التي عبر عنها بعض الصوفية في أشعارهم لتمثيل المواقف والأحوال كالهوى والوجد والصبر والفَنَاء والخمر، هذا بالإضافة إلى الحوار الذي أضفى على القصيدة نوعا من الحياة والحركة وكذا ما فيها من الناحية الفنية من التجنيس مثل قوله يلقاني، لقى، القاني وهو من البديع المرغوب فيه.

وبعد أن استعرض كعادته جل تلك المقامات والمشاعر عرج على طيبة وساكنها محمد صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه ويحييه:

---

[1]: الرحلة 67/7.

أهـــــدت لنـــــا طيــبة أرجا* * نسيـمه نم عـــن روْح وريحان

وحــين لاحــت لنا مـن طيبة قبـب * * زواهر هـــي والجـــوزاء سيان

ملنا نحييه والاجـــلال يــوقفـــنا* * والشوق يزعج مــا يثنيه من ثان

فَظَـلْتُ اهــتز من وجد ومــن وله* * والدمع ما بين تسـكاب وتهتان

من ذا يرى ريــح محبوب فيصبو عن* * لثم وتصفير خد فعـــل ولهان

وفي طيبة نلت ما قد طَابَ من أمـل* * تجني ثمار الأماني قطفـــها دان

علـــيه مـــن ربنا أزكى تحيته* * ما غرد الطير في أفياء أفْنَـــان

فزيادة على ما في هذه الأبيات من المناحي البلاغية والأخذ من أفكار الصوفية ومواجدهم فإن فيها أثر الأسلوب القرآني والاقتباس من غرر آياته مثل قوله بالروح والريحان الذي نم عن نسيم طيبة، والقطوف الدانية التي تجني من ثمار الأماني ولو استظهرنا القصيدة كاملة لأبرزت لنا غير ذلك مما يحمد ويستجاد شكل ومضمونا.

ومما ذكره أبو العباس المقري[1] ان القاضي عياضا قال في معرض زيارة الرسول صلى الله عليم وسلم، منشدا لنفسه أبياتا أجاد فيها غير أن بيتا فيها ضعيف المعنى ينافي ما قصده من تفخيم الزيارة وتعظيمها وهو قوله(الكامل) :

لولا العوادي والأعادي زرتكم* * ابــدا ولو سحبا على الوجنات[2]

فجعل العوادي والأعادي تصد عن زيارة الحبيب، والحبيب إذا تمكنت محبته من القلب لا يصد عن زيارته شيء ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه ثم أردف المقري قائلا : ألا قال عياض كما قال ابن رشيد (الطويل):

---

[1]: ازهار الرياض ج:183/4- 184- 193- 232- 233.

[2]: انظر كتاب الشفا للقاضي عياض، باب 3 فصل7، وذلك في تعظيم أمره صلى الله عليه وسلم ولزوم توقيره وبره ومنها:

يا دار خيـــر المرسلين ومن به * * هدي الانام وخـص بالآيات

لاعفرن مصـــون شيـــبي بينها * * من كثرة التقبـيل والرشفات (ص132، 133)

هو القصد إذ غنت بنجد حداتنا * * وإلا فـمـا نجد وبدر وَرَيَّاهُ

وتـــا الله لو ان الأسنة أشرعت * * وقامت حروب دونه ما تركناه

وزاد المقري مستخرجا ما في بيت ابن رشيد من الصور البلاغية بقوله: ولقائل أن يقول: إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية فالمعتبر فيما كان من هذا القبيل معناه لا لفظه، والمجاز من جهته أظهر.

ونستخلص من ذلك التعليق أن ابن رشيد وفق في المعنى السابق بما لا مزيد عليه من التوضيح. ومن سوء طالعنا أنه لا يوجد بين أيدينا إلا هذان البيتان ويحتمل أن يكونا ضمن إحدى قصائد، الحجازية الطويلة:

ومما يتصل بالشعر الديني أيضا ما قاله ابن رشيد في مثال النعل الكريمة، فقد أنشد القاضي أبو البركات البلفيقي قال: أنشدني الفقيه الخطيب أبو عبد الله ابن رشيد لنفسه في تمثال نعـــل النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رآه بدمشـــق في دار الحـــديث الاشرفية (5 أبيات)[1] (الطويل):

هنيئا لعيـــني ان رأت نعل أحمد * * فيا سعد جدي قد ظفرت بمقصدي

وهي مشهورة:

ولا شك في أن هذه الأبيات في الجزء الرابع المفقود الذي يشتمل على أخبار رحلته إلى الشام ودمشق، ونجد ابن رشيد في هذه الأبيات لا يجتزئ برؤية أثر من آثار النبي صلى الله عليه وسلم إذ لا يعتبر نفسه قائما إزاءه بالواجب إلا عندما يقبله ليجد تلك اللذة الروحية التي لا تَعْدِلُهَا لَذَّةٌ ولا يطفئ أوارها حتى ذلك التقبيل الذي يزيده شوقا وهياما:

وقبلتها أَشفي الغليل فـــزادني ** فـــيا عجبا زاد الظَّمأ عند موردي

فلله ذاك اللثـــم فهـــو ألذ من ** لمى شفة لميا وخـــد مـــــورد

---

[1]: بغية الوعاة 85، وازهار الرياض 366 والاعلام للمراكشي 3/252- 253.

ثم إن رؤية هذا الأثر الشريف تقوم في ذهنه معلما تاريخيا يؤرخ به حدثًا من أهم الأحداث وذكرى من أعز الذكريات وذلك لما كان هذا الأثر حافزا على تفتيق قرائح كثير من الشعراء فأجادوا في تصوير العواطف النبيلة نحو النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن شعره في الاستغفار أن أبا العباس المقري وجد بخط القاضي اليزناسني نصا وقف فيه على إجازة ابن رشيد لست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي مؤرخة بغُرَّةِ محرم عام 721 هـ الذي توفي فيه:(الطويل)[1].

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

فابن رشيد وأثق من أن الله يغفر الذنوب جميعا، إلا أن يشرك به فهو التواب الرحيم والعفو الغفور. وإننا لا ندري أجاء هذا البيت مفردا أم ضمن قصيدة. ورغم وجود بيت ثان يشفع وثره فإن الدلالة على شرف المعنى فيه أقوى ما تكون، لأنها مقتبسة من أنوار القرآن الكريم وهديه. ويمكن أن ننظر إلى قوله"(الخطاء) بشيء من التأمل والإمعان، لأن ذلك يلفت نظرنا إلى بعض تنبيهات ابن رشيد على صيغة المبالغة الواقعة في قوله تعالى(وما ربك بظلام للعبيد)[2].إذ لم يكتف بكونه مخطئا حتى جعل نفسه خطاء ليأتي عفو الله على قدر ذلك.

وصفوة القول في شعره الديني، وفي مقدمته حجازياته، ان قصائده تتفاوت من حيث الطول والقصر، وان لغته فيها سهلة في الغالب، ولكنها تتميز في معظمها بكثرة المحسنات البديعية،كما تتفاوت في قيمتها الفنية أما عن مقدمة بعض القصائد فنلاحظ أن ابن رشيد يضمنها شيئا من معاني النسيب أو الغزل مثل قوله في وصف ليلة بعرفات (البسيط).

---

[1]: انظر دراسة الشعر الديني في دراسة الرحلة وأزهار الرياض 253 ص: 425 وما بعدها).
[2]: انظر صفحة 96 من هذا البحث.

إظـــلامها لعس اصباحها شنب * * بل كلها سحر بادي المســـــرات

وغالبا ما يحشر فيها كثيرا من أسماء المواقع والمشاعر التي يزورها الحجاج. وتمتاز أيضا، زيادة على ذلك، بالصدق في التعبير عن التجربة وحرارة العاطفة واستلهام روح القرآن الكريم والسنة المشرقة ومعاني المتصوفين والزهاد، وهي ميزات مناسبة للشعر الديني بعامة.

الاخـــــوانيات: ومما يصور بعض جوانب العلاقات الاجتماعية والإنسانية شعر الاخوانيات الذي يبرز فيه الشاعر ما يكنه من الاعجاب والتقدير إما للشيوخ وإما للأصحاب، ونحن عندما نبرز هذا اللون في شعر ابن رشيد فإننا نقصد بها تلك العلاقة الوطيدة بينه وبين ذلك الجمع الغفير ممن لقيهم وأثروا فيه تأثيرا كبيرا سواء في تكوينه العلمي أم الخلقي. وفي هذا الصدد نذكر له بعض ما أجاب به شيخه أبا الحسن ابن رزين، وذلك لما أراد السفر من تونس(البسيط)[1]:

مستظهـــر بك ذخرا منجبا كرما * * أبهى وأشرف مكـــسوب ومذخور

بزت مآثـــرك الباهي ترفعــها * * فبان تقصير مكتـــوبي ومسطوري

فقد التزم فيها ايراد الباء والراء كما التزمهما شيخه ابن رزين في رسالة كان قد خاطب بها ابن رشيد.

وإذا كان هذا اللون من الصنعة معروفا عند الحريري في مقاماته فإنه صار في عهد ابن رشيد أكثر شيوعا وأشد تعقيدا، فقد اهتم كثير من الشعراء بالألوان المستحدثة من الألاعيب اللفظية ورصف الكلمات على أشكال مخصوصة حتى أصبحنا نجد قصيدة معجمة كلها أو مهملة كلها أو بعضها مهملاً وبعضها الآخر معجماً أو إهمال حرف معين أو ما سوى ذلك من ألوان البديع[2].

---

[1]: الرحلة 6/80- 81.

[2]: مقامات الحريري: المقامة المراغية ص: 49 والمقامة الرقطاء ص: 358 وانظر مطالعه في الشعر المملوكي ص: 181 وما بعدها.

ولكن ذلك قد يحدو بالشاعر إلى الخروج عن المقصد الاسني بسبب التكلف، فتأتي المعاني أقل جودة من الألفاظ التي لم يرد الشاعر إلا رَصْفُهَا على شكل معين كما رأينا في بيتي ابن رشيد.

ومما قـــاله في مـدح شيخه ابي بكر بن حبيش يشكره على ماله علـــــيه من فضل (13 بيتا)[1] (الطويل):

وصلـــــت ابا بكر غريبا لتُونُسا * * فاقررت عينا بالقـــدوم لتؤنِسَا

وقابلتموني بالقبــــــول تفضلا * * فأنسيتني ذكر اغـــترابي مؤنسا

فهو يذكر ما قابله، به ابن حبيش من الترحاب والتأنيس والمصادقة حتى توطدت العلاقة بينهما وتكررت زيارة أحدهما لمنزل الآخر وتتابع السمر والجلوس للمذاكرة آناء الليل وأطراف النهار، ولم يجد ابن رشيد ما يكافئ به شيخه الجليل إلا قوله:

فشكر ابي بكر علي فريـــــضة * * اؤديه في وقـــت الصباح وفي المسا

أؤسس حمدي والبيـــان بناؤه * * واردف مـــــدحي مردفا ومؤسسا

ويشير إلى ما كان يمتاز به ابن حبيش من الاختصاص بأمداح النبي صلى الله عليه وسلم حتى اشتهرت له في ذلك قصائد كثيرة من مخمسات ومسدسات وغيرها:

واحرزت فضل السبق أول شـــأوه * * فكل بليـــغ أو بديع به ائتسى

بقيـــــت لمدح المصطفى ناظما إذا * * تنفس صبح أو إذا الليل عسعسا

وبالرغم من قصر القصيدة نجد أن ابن رشيد قد ملأها بكثير من ألوان البديع كعادته، إذ لا يكـــاد يخــلو مــن ذلك: مثل قولـه(لتونسا ولتونسا)(والمقابلة بالقـــبول)(والبيان وبناؤه)(وأؤسس ومؤسسا)(وحمدي ومدحي)(وأردف ومردفا) وغير ذلك من النظر إلى معاني القرآن الكريم. فقد اقتبس منه تنفس الصبح والليل إذا عسعس. وفي تلك الأبيات أيضا إيراد لمعاني العَرُوضيّين واصطلاحاتهم كالتأسيس والإرداف.

---

[1] : الرحلة 5/2. والعهد المملوكي للدكتور بكري شيخ أمين. ط: 2، 1979.

ومن تلك المدح أيضا قطعة ذكرها ابن رشيد بمناسبة تبسط أبي القاسم بن زيتون يوما في مجلسه، فلذت له المذاكرة، وكانت غايته إذا تبسط في المسائل الأدبية أن تبلغ به الاريحية فينشد من شعر نفسه، فإذا انتهى الى ذلك اقصر وراجع وقاره ولهذا فقد كان أنشد قصيدا على حرف الراء صنعه في توجهه إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فرام ابن رشيد أن يستفيد منه فلم يمكنه من ذلك فقال له: يكون ذلك في وقت آخر ثم قال لابن رشيد: بلغني أنك تنظم فرد عليه أن نعم، لقد صنع المملوك شيئا في مخاطبتكم. فدفعه إليه، ولكن ابن رشيد لم يورد منه سوى ثمانية أبيات منها: (البسيط)[1]:

أمـــام هـــــدي للعلـــم والعـمل * * فزان حسـنا طُلَى الأيام والأُوَل[2]

قد اقسم الفضل طـوعا أن يهيم به ** فـــــبر فهـو عليه حد مشتمل

وقد أورد فيها كثيراً من خلال هذا الشيخ وصفاته التي طار صيتها غربا وشرقا، ولقد طبقت شهرته الآفاق نبلا ومعرفة وورعا فبالإضافة إلى ما في هذه القصيدة من معان جليلة فقد ضمنها بعض المعاني العلمية من فقه وأصول مثل القسم والبر به والحد المشتمل[3].

وبما أنه لم يأت إلا بجزء منها فإن ذلك يفسر لنا أن شعره لا يزال مفقودا بعضه أوجله.

ومما يسلك له في مضمار الاخوانيات أيضا ما قاله في أثناء إقامته بحضرة تونس، وذلك لما مرض صاحبه أبو الفضل التجاني مرضا شديدا أشفى منه على الموت ثم تداركه الله وفرج عنه وكان ابن رشيد يتردد إلى زيارته، فغاب عنه يوما لعذر منع فلما رجع لعيادته عتب عليه مغيبه فانشده في ذلك وكتبه له(بيتان)[4] (الطويل).

---

[1]: الرحلة 13/6 و24/7.
[2]: الطلى ج: طلية : العنق.
[3]: الحد الحقيقي شرطه أن يشتمل على جميع ذاتيات الشيء: المستصفى للغزالي ص: 22 ، وانظر أيضا الأحكام في أصول الأحكام للآمدي: الترجيحات الواقعة بين الحدود الموصلة إلى المعاني المفردة التصورية ج: 89/4.
[4]: الرحلة 24/7.

ابا الفضل عذرا عن مغيبي بالأمس * * فإن لم أعد جسما فقد عدت بالنفس

وما غبت إلا أن عينـــي لم تطق * * مشاهدةً عدوى الكسوف على الشمس.

وإن هذين البيتين لينمان عن صفاء الود والإخلاص بين ابن رشيد وصاحبه فقد جرد من شخصيتهما روحين تقومان بما تعجز عنه الأشباح من التجاوب والتواصل، ثم أن تشبيه ابي الفضل بالشمس التي اعتراها كسوف ذلك اليوم ليدل على دقة الوصف وحسن التخييل، إذ لا يطاق النظر إلى ذلك المشهد الرهيب الذي يصاب فيه الناس بالخشوع والخوف، ولقد كان ابو الفضل حقا ....في علومه وعقله وهيبته ولهذا قال فيه ابو بكر بن حبيش "واصل الغاية"، وذلك تنويها بما يملكه من الصفات النبيلة والحميدة.

وفي هذا الصدد نذكر أيضا أنه لما مرض ابو الفضل التجاني جرت بينه وبين ابن رشيد مراسلة فكتب كل منهما للآخر، وكان مما ورد فيها لابن رشيد ثلاثة أبيات[1] (الطويل):

رعى الله من يرعى الحقوق لصحبه* * ويهـــدي إليهم شكره عبق العرف[2]

ملكـت أبا الفضل النفوس بأسرها * * فعامـــلتها بالعـفو فضلا وبالعرف[3]

ولاقيت أعراض الزمـــــان مظاهرا* * بدرع من التقوى وأخرى من العرف[3]

وهي من لزوم ما لا يلزم، لأنه أتى بكلمة العرض في أبياتها الثلاثة ولكنها مختلفة الدلالة والمعنى، وهذا من باب الاشتراك أو التجنيس،[3] ورغم ما في الأبيات من تكلف وصنعة فيها معنى جليل يشير إلى صفات الإنسان الصابر إذا ما ابتلاه ربه، ويعامل الناس بالعفو ويرعى الحقوق، وكانت هذه الخصال كلها مجتمعة في أبي الفضل التجاني، ويظهر صدق ابن رشيد كذلك في أنه لم يصف صاحبه إلا بما فيه.

---

[1]: الرحلة 25/7.

[2]: العرف بفتح العين ريح العود وبضمها المعروف وبكسرها الصبر عند المصيبة، مثلثات قطب تحقيق د. رضا السوسي ليبيا تونس 1978. ص: 63.

[3]: انظر العمدة لابن رشيق ج: 96/2. (رجوع اللفظين إلى حد واحد).

الوصف: أما الجانب الوصفي في شعر ابن رشيد فيمكن أن نرصده في جميع موضوعات شعره ولكننا نختار له نموذجا من وصف الطبيعة مثل قوله يصف صحن المسجد الأعظم بتونس وقد عمه المطر وأوقدت فيه المصابيح فانعكست فيه طرائق من ضيائها تبهر العيون(بيتان)[1](المتقارب):

كأن انعكاس الشعاع بصرح * * أجاد الحيا صقله بانسكابه

سيوف نضار بدرع لجين * * مساميرها ما طفا من حبابه

ففي هذين البيتين من حسن التشبيه ودقة في التمثيل ما يدل على أن صاحبنا كان يسحره جلال الطبيعة فيعبر عنه بما يضفي عليه جلالا وهولا وروعة ولهذا اختار ما يناسب ذلك من الوزن المتقارب والألفاظ التي لها دلالة خاصة في التعبير عن انسكاب الماء وفيضان النور على ذلك المسجد.

وحضر ابن رشيد مرة في نزهة مع بعض الأصحاب وفيهم أبو الفضل التجاني، فرأوا شجر الكُمَّثْرَي قد نثر نوره على ثرى الدوحة فظهر منه بساط حسن وسأل ابن رشيد صاحبه ابا الفضل أن ينشد في ذلك فقال مرتجلا[2] (السريع):

ودوحة تنظم أزهارها * * في الأرض نظم الدر في السلك

كأنما الأشجار من شغلها * * تنثر كافورا على مسك

ثم أنشد بعد ذلك ابن رشيد مرتجلا أيضا[3] (المتقارب):

وزهر كزهر النجوم تبدى * * فأهدى لنا بهجة وسرورا

تساقط بين الرياض كعقد* * تقطع سلكا فعاد نثيرا

وأنشد غير ذلك في تلك النزهة المثيرة لهذه المرتجلات في وقت غاب كاشحه وفصل بهر واضحه وهو القدر المشترك بين مارس وأبريل آخر ذاك وأول هذا[1].

---

[1]: الرحلة 50/7.
[2]: الرحلة 39/7.
[3]: الرحلة 39/7.

ونلاحظ في هذه الأبيات كذلك مدى قدرة ابن رشيد على الارتجال وإتيانه مع ذلك بما يستجاد.

وبما أنه كان يركب البحر كثيرا ويستأنس بمنظره في سبتة والمرية وفي رحلته إلى المشرق فإنه لما انبسط عليه مرة ضوء القمر ليلة البدر أثار ذلك المنظر خوالج نفسه وحرك هواجسه فأنشد يقول[2]: (البسيط).

انظر إلى البـــدر قد مدت أشعته * * على خضـــارة حتى ابيض أزرقه

والريح قد صنعـت درعا مسامرها * * حبــــاب برق بدا للعين رونقه[3]

<u>الحنـــين والشـــوق:</u> ومما أجاد فيه أيضا ابن رشيد موضوع الحنين والشوق، فقد كان في تنقلاته ورحلاته في الشرق والغرب لايريم يفكر في أسرته التي كانت ساكنة في سبتة، وكانت تراسله ويراسلها ليعرف كل منهم أحوال الآخر في غيابه الذي كان يطول أحيانا، ففي عام 685 هـ وافاه كتاب من أولاده من سبتة، فهاج فكره وشغل خاطره فذكرهم يقول...(10أبيات) منها[4](المتقارب).

أتـاني كِتَابُ فـراخ صـــغـار * * فعـــذب بالي وأتعب فكـــري

وكدت أطـــير اشتياقا ولكـن * * عدتـــني عواد رمتـــني بنكر

فقصت جنــاحي وحصت رياشي * * فما أستطيـــع نهوضا لوكري

وان تصويره أبناءه فراخا صغارا ليدل على موقعهم في نفسه، ويدفعنا إلى إثارة نوع من الشعور والعاطفة نحوهم كما فعل الحطيئة قبله فهو يذكر أولاده مصورا ما يحول بينه وبينهم من المسافات الطوال وانتشار الأعداء وقطاع الطرق في البر والقراصنة في البحر:

---

[1]: لم يشر ابن رشيد إلى ذكر مثل هذا التاريخ إلا نادرا في الرحلة وذلك لأجل تبيين مناسبة ذكر الازهار في فصل الربيع.

[2]: الاعلام للمراكشي 253/3.

[3]: درة الحجال 98/2: حباب ماء يروق العين رونقه.

[4]: الرحلة 50/7.

وكيف السـبيل للقياهـم * * وعـرب ببر وعجـم ببحر

فبالله حسبـي ونعم الوكيـل * * ففي يـده كل نفـع وضُـرّ

ولكن ابن رشيد يسلم أمره دائما إلى الله ويرضى بالقدر خيره وشره، لأنه واثق من أن بعد العسر يسرا، ولأن اليسرين لا يغلبهما عسر واحد كما جاء في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة:

رضيت بحالي فمـالي اعتراض * * وأسلمت وجهي وفوضت أمـري

إذا اشتد أمـر تلاه انفراج * * فيسران لا يغلـبان بعـسر

وتظهر تلك العاطفة الصادقة أيضا في ما يكنه لأولاده من الحب الشديد، ولهذا لما اختطفت يد المنون أحد أولاده بكى عليه بما يذيب الصخر حنانا ورقة لأنه كان يتوق أن يحقق به أمله ويرى فيه ما يقر به فؤاده وعينه (28 بيتا) ومنه[1](الطويل):

شباب توى شابت عليه المفارق* * وغصن ذوي تاقـت إله الحدائق

وهو ينظر في هذه القصيدة إلى كثير من المعاني التي صاغها ابن الرومي في داليته المشهورة التي بكى فيها ولده الأوسط. ويذكر ابن رشيد في ذلك ما يعرض من الاصابة بالعين، وقد ورد في الحديث النبوي أثر العين والرقية منها[2]، ويظهر ذلك في قوله:

على حين راق الناظرين بسوقه * * رمته سهـام للعـيون رواشق

فما أخطات منه الفؤاد بعمدها* * فلا أبصرت تلك العيون الروانق

وحين تدانى للكمـال هلا له * * ألم به نقـص وجدت مواحق

وقد قال ابن الرومي في هذا المعنى:

على حين شمت الخير من لمحاته * * وآنست من أفعـاله آية الرشد

وقد أنجزت فيه المنايا وعيدهـا * * وأخلفت الآمال ماكان من وعد

---

[1]: الاحاطة 141/3.

[2]: شرح صحيح مسلم للنووي(الطب والمرض والرقى) ج: 14 ص: 169 وانظر المعجم المفهرس للألفاظ الحديث النبوي ج:4 ص: 453.

وهو يخاطبه بصيغة التصغير لدلالتها الخاصة في نفسه، فهو ليس ابنا، ولكنه بني، ولهذا تكون ذكرياته لائطة بالقلب أكثر من غيرها:

ولا مثـــل فقدان البني فجـــيعة * * وإن طـــال ما لجـت وجلت بوائق

وهو يتمثله في كل شيء ويتردد إليه صداه في كل وقت وحين بل إن كل ما حوله يذكره به:

فأين التفـت فالشخص للعين ماثل * * وإن استمع فالصــوت للأذن طارق

وإن أدع شخـــصا باسمه لضرورة * * فإن اسمـك المحبوب للــنطق سابق

فاعجب لهذا الالتفات البليغ،

وإن تقـرع الأبواب راحة قـــارع * * يطـــير لهـــا قلب لذكـــرك خافق

ولا يملك بعد ذلك إلا أن يسلم عليه سلام الوالد الذي لا يستحلي بعد ولده، لذة الحياة ولا مباهجها:

عليـــك سلام الله ما حن ساجع * * ومـــا طلعت شمـس وما ذر شارق

وما هَمَعَتْ سحـــب غواد روائح * * وما لمعـــت تحـدو الرعود بوارق

وقد نظر في ذلك المعنى الى قول ابن الرومي :

عليك ســــلام الله مني تحـــية * * من كل غيث صـــادق البرق والرعد

وإذا كنا نعرف كثيرا من أشعار المراثي البديعة في الأدب العربي، فإن هناك ماله أثر كبير في النقش مثل بكاء أبي ذؤيب الهذلي أولاده السبعة[1] أو رثاء ابن عبد ربه لولده[2] أو غيرهما ممن أجاد في ذلك[3]، فإن ابن رشيد لا يقل عن هؤلاء في حسن التصوير وجودة التخييل.

---

[1]: العقد الفريد لابن عبد ربه 253/3.

[2]: نفسه ص: 250- 258.

[3]: نفسه ص: 236- 311(القول عند المقابر) (ومن رثى ولده) وانظر :كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي ج:26/1 وغير ذلك. وكذا زهر الاداب للحصري 928/2.

وبذلك يمكن أن نقول أن قصيدة ابن رشيد في بكائه ولده تعد من بين الغرر في الأدب العربي لما فيها كذلك من حرارة العاطفة وصدقها وخلوها من المبالغة، والرثاء عند ابن رشيد كما لاحظنا أكثر استلزاما للصدق، لأنه استطاع أن يشركنا في حزنه لما عرفنا أنه حزين حقا[1].

موضوعـــات عامة:

وقد وردت لابن رشيد بعض النتف والمقطعات في موضوعات عامة كمدح الكتب والتوقيع عليها ومدح السفر والتغرب والاغضاء والتجاوز وفي الألغاز وغير ذلك.

فمن ذلك ما جاء له في مدح كتاب المختصر الوجيز المسمى بالبدر المنير في علم التعبير لأبي العباس أحمد بن أبي الفرج بن سرور المقدسي، وقد دفعه له مؤلفه بثغر الاسكندرية فوقع عليه ابن رشيد[2].

(الرجز): أبـدى شـــهاب الدين بدرا نيرا * * متـــوالي الإشراف والإسرار

يبدي من الرؤيا خبـــيئة سرها * * حتـــى يصير كرؤية الابصار

ولا شك في أن لهذا الكتاب أثرا في ثقافة ابن رشيد من حيث علم تعبير الرؤيا فقد كان طلب من مؤلفه أن يستنسخه له، فتم له ذلك ولكن بعد التماطل والارجاء، وينبغي التنبيه على أن ابن رشيد جلب هذا الكتاب إلى المغرب بعد استنساخه مباشرة، وبهذا يكون من بين المصنفات التي كان يتنافس الناس في اقتنائها وجلبها إلى الآفاق لنفاستها وأهميتها.

ولما كان السفر والترحال من شروط استكمال الثقافة عند العلماء والمحدثين، فإن لابن رشيد نظما مشهورا في ذلك[3] (الطويل):

تغـــرب ولا تحـــفل بفرقة موطـــن * * تفـز بالمنى في كـل ما شئت من حاج

فلولا اغتراب المسك ما حَلَّ مفـرقـا * * ولولا اغتراب الدر ما حل في التـــاج

---

[1]: انظر كتاب ثقافة الناقد الادبي للدكتور محمد النويهي ط:1 القاهرة 1949 ص : 338 (مفهوم الرثاء).

[2]: الرحلة 36/7. وهو من الكتب المتوسطة في علم التعبير. كشف الظنون 231/1.

[3]: أزهار الرياض 253/3، درة الحجال 99/2، لاحظ بعض الاختلاف في الرواية.

وقد كان هذا المعنى شائعا بين كثير من الشعراء، ويقصد ابن رشيد بذلك الفوائد العامة من الرحلة وأغراضها عند المحدثين خاصة، فالرحلة تثير عزائم الشباب حتى يتخطوا الصعاب وليتمكنوا من الجوانب العلمية وينشروا العلم الذي حصلوه ويوسعوا ثقافتهم العامة ويسهموا في تنمية الفضائل والكمالات في النفس وكسب الصداقات الجديدة الخالصة[1].

وقد قال أبو تمام:

وطـــــول مقام الــمرء في الحي مخلق * * لـــديبـــــاجته فاغـــــترب تتجدد

فإني رأيت الشــــمس زيــدت محبة * * إلى الناس أَنْ لَيْسَتْ عليهم بسرمد

وله في ما يدل على كرم النفس والتجاوز والاغضاء والحلم[2](الطويل)

إذا نـال من عرضي حسود يغض بي * * فأجزيه إعراضـــا يزيد شجــــاه

أزيــــد على الاغضاب حلما كعنبر * * يزيد على الإحــــراق طيب شذاه

ولا شك في أن خلة ابن رشيد وخلقه وطبعه تذكرنا بصبر معاوية وعمر بن عبد العزيز والأحْنَفِ بن قيس وحلمهم وهذا ما يفسر بعضهم أن ابن رشيد كان يتحمل كلف العامة والخاصة كما ورد ذلك في تحليات تراجمه.

ولما شاع في هذا العصر ذلك اللون الأدبي من الألغاز والاحاجي والجنوح إلى الصناعة اللفظية لإظهار طول الباع في اللغة، فإننا نجد أثر ذلك في ثقافة ابن رشيد، فقد كان ينظم في الألغاز التي كان ينشد بعضها لابنه أبي القاسم ليتمرن على هذا الفن ويشحذ فكره بها. ومن ألغازه في الباب قـــوله[3](المجتث).

---

[1]: انظر كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص: 24- 28.
[2]: الرحلة 70/3.
[3]: الرحلة 35/7.

يــا مــن له فــضــل فــهم * * يهــدي رعــايا وصيــدا

مــا ردف قــولي مــريــدا * * لســتر اجْعَــلْ وصيــدا

والوصيد هو الباب نفسه

ونستخلص من دراسة بعض شعر ابن رشيد ان له نفسا طويلا في القصائد الدينية والحجازية خاصة، وهي بالرغم من كونها ترديد لمعاني من سبقه، فيها بعض أساليب التفنن في القول، وصياغة المعاني القديمة في صور أكثر استمالة وإغراء، بل إننا نجد بعض ظهور ذلك الشوق إلى العرصات الكريمات مقتبسة من أنوار بعض شيوخه كابي بكر ابن حبيش وأبي القاسم ابن زيتون التونسيين، وأبي اليمن بن عساكر نزيل الحرم الشريف وما كان سائدا في عصره في ظل بني مرين الذين شاعت في عهدهم قصائد المديح النبوي الشريف والاحتفال بمولده في أيام يعقوب ويوسف خاصة[1] وكذا في تونس في عهد بني حفص[2]. وقد سبك ابن رشيد كل ذلك في لغة سهلة لا يعتريها الغموض أو الإبهام إلا حين يتكلف سجعا أو تجنيسا، فيضطر القارئ إلي قدح زناد فكره لاستجلا ء المعنى الحقيقي من اللفظ المشترك.

ونجده أيضا يلتجئ في بعض المقطعات إلى لزوم مالا يلزم من إيراد حروف معينة أو إهمال بعضها وإعجام أخرى[3] وذلك جريا على ما شاع في عصره من الأشكال الشعرية المستحدثة، وهذا ما يدل على أن ذخيرته اللغوية كانت وفيرة، ولعل ذلك هو الذي دفع الشعراء في هذا العهد إلى الالتجاء إلى تلك الصناعة بعد أن قل المحصول في المعنى، والوقوف عاجزين عن الإبداع في كثير من المجالات التي سُبِقُوا إليها.

وأما البحور التي نسج عليها شعره فهي الطويل والبسيط والكامل. والرمل والوافر والمتقارب والسريع والمجتث والمضارع والرجز. وغالبا ما كان بحر الطويل في قصائده الحجازيات ومثال نعل النبي الكريمة وفي المدح والرثاء، وذلك مما يناسب جلال الموقف وعظمته، ولهذا جاءت قصائدها طويلة أو أوفر من غيرها. ونلاحظ أنه كان

---

[1]: ورقات للأستاذ محمد المنوني ص:265- 268.

[2]: نفسه ص: 278.

[3]: الرحلة 81/6 قطعة في مدح أبي الحسن بن رزين ...

يستعمل بحر المجتث في الألغاز فقط، وبما أنه بحر قصير، وهو أصل جميع البحور، فإنه لا يصلح لغير الاطراب والامتاع[1]، ولهذا خص به ابن رشيد موضوع الألغاز التي يتفاكه بها الناس ويتنادرون في المجالس والمداعبات ونحوها كما كان يداعب ولده قبيل النوم. ومن البُحُور التي نسج عليها أيضا بحر المتقارب، فقد استعمله في المدح والوصف والحنين والشوق ورغم أن فحول الشعراء يتحامونه، نجد أن ابن رشيد كان يقصد فيه والغالب في ذلك أنه كان يراعي نوع الموضوع الذي ينظم فيه ليأتي مناسبا له وذلك مثل وصف النهر والمطر والضوء، ونلاحظ في جميعها اندفاعا وانسياقا وراء النغم كما يندفع التيار في غير ما توقف[2] وهذا ما نلاحظه في شعره في بعض النزهات أو غيرها مثل قوله (المتقارب)[3].

ونهر كـــذوب اللجـــين وشاه * * نُضُـــارُ ذُكَـــاءٍ بكف النسيم

أو مثلما رأينا في وصف انعكاس الشعاع في صحن المسجد الأعظم بتونس وقد عمه المطر.

وإذا كانت هذه بعض الملاحظات العامة فإنه لا يمكن استقصاء جميع الخصائص والمميزات من حيث المبني والمعنى إلا في دراسة مستقلة، لأن الغرض من هذه النبذة هو إبراز جانب من جوانب ثقافة ابن رشيد المتعددة فحسب.

قيمة شعره في الميزان النقدي: كان ممن تصدى لنقد شعر ابن رشيد الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي قال عنه أنه كان يتكلفه، ولا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض[4]، وذكر أبو العباس المقري قولا للقاضي أبي البركات البلفيقي بأن شيخه ابن رشيد كان يقرض الشعر على تكلف، ويظهر من خلال هذين الحكمين النقديين الصادرين من شاعرين وكاتبين عظيمين، أن ابن رشيد لم يكن في مستوى الشعراء المعترف لهم بالإجادة في هذا الميدان. وهناك من كان يرى أنه لم يزل في الأدب متوسط الطبقة برغم

---

[1]: المرشد إلى فهم أشعار العرب 98/1.
[2]: المرشد إلى فهم أشعار العرب 312/1، وانظر الرحلة 38/7.
[3]: الرحلة 38/7.
[4]: الإحاة 138/3. أزهار الرياض 384/2.

الكثرة الكاثرة مما روى من أدبيات عصره ممن لقيهم وساجلهم من الأدباء والبلغاء[1].
ومع ذلك فإن شعره لم يخل من الجيد البديع كما سبق أن أوضحنا، وما يؤكد هذا الرأي أن صاحبه الأديب الشاعر أبا الفضل محمد بن علي التجاني قد وصفه بسر أرباب الأدب وذلك بعد أن خبر شاعريته وحسن بديهته في الإجازة والارتجال. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على جميع قصائده لمسنا غزارة معانيه وتعدد صوره الشعرية.

نثر ابـــن رشـــيد:

كان ابن رشيد، كما سلف في ترجمته، يـُجَوِّدُ النثر ويتبصر مواقع حسنه، وفي مؤلفاته التي بين أيدينا، كالرحلة[2] وإفادة التصحيح[3] بعض ما يدل على ذلك، ولو وصلت إلينا كتبه الضائعة مثل الإضاءات والإنارات في البديع، وحكم الاستعارة وخطبه، وشروحه وتعليقاته على كتب أبي المطرف ابن عميرة وابن الابار[4]، لافادتنا في استجلا ء طريقته في ترسله ومعرفة موضوعات نثره، ولأَمَاطَتْ اللثام عن بعض جوانب النثر الفني في القرن السابع الهجري.

وينبغي أن نذكر أن هذا العصر يمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور النثر وذلك لما بولغ فيه من الميل إلى البديع والاسراف فيه والحرص عليه. وممن اشتهر نثره، وكان له صلة بابن رشيد، مالك بن المرحل[5] وعبد العزيز القبتوري[6] وابن الحكيم الرندي[7] وابن خميس الحجري التلمساني[8] وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي[9] وأبو بكر ابن شبرين[10].

---

[1]: ذكريات مشاهير - عبد الله كنون عدد 18 ص: 7.
[2]: انظر الرحلة 2/7- 3- 4- 38- 39.
[3]: انظر صفحات 1-2-5.
[4]: انظر مؤلفاته بعد ص: 188 من هذا البحث.
[5]: الاحاطة 320/3.
[6]: انظر كتاب رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، إنشاء خلف الغافقي القبتوري ص: 53 وما بعدها.
[7]: الاحاطة 46/2.
[8]: الاحاطة 557/2
[9]: النبوغ المغربي 175/2.
[10]: نفسه

وإذا عرف لبعض هؤلاء رسائل ديوانية وغيرها فإننا لا نعرف لابن رشيد في الرحلة إلا تلك الرسائل التي كان يتبادلها مع بعض شيوخه وأصحابه، ولهذا سنرجئ الحديث عن خصائص نثره إلى حين دراسته في الرحلة.

ابن رشيد والنقد والبلاغة:

إن شخصية ابن رشيد الناقد والبلاغي تظهر كذلك من خلال بعض أحكامه وآرائه التي كان يصدرها هنا وهناك في تقويم بعض النصوص أو التعليق عليها.

وفي دراسة الرحلة سنعرض لبعض آرائه البلاغية والنقدية ونضعها حيث ينبغي أن توضع على ضوء ما عرفنا من مسألة التأثر والتأثير. فابن رشيد كان ممن أخذ عن أبي الحسن حازم القرطاجني وتتلمذ عليه وشرح له بعض كتبه حتى صار كل ما يتمثله من المسائل البلاغية أو النقدية مستوحى من أفكاره[1].وقد انتفع بما أودعه في مؤلفاته، إذ لما وقف ابن رشيد وأبو عبد الله بن القويع التونسي على قوانين حازم القرطاجني، وعياها وصار كل ما يقرآنه أو ينظرانه من الكلام البليغ أو البديع، أمثلة لتلك القوانين. ومن خلال ما تجمع لدي من بعض الاصطلاحات البلاغية والنقدية ومن الآراء القليلة، نستطيع أن نصنف ابن رشيد في مدرسة معينة في هذه الحقبة المهمة من تاريخ النقد الأدبي.

وقد وجدت أن بعض من أرخ لهده الفترة ودرس حركة النقد فيها لم يدرس ابن رشيد لينظر إليه نظرة من تأثر بحازم القرطاجني وشرح كتبه، ومن هؤلاء الدارسين إحسان عباس[2] ومحمد رضوان الداية[3] ومحمد علي سلطاني[4] والدكتور عبد العزيز قلقيلة[5] وغيرهم[6]، ولكن جاءت أخيراً دراسات رائدة للدكتور عَلاّل الغازي والدكتور علي لَغزِيوي وغيرهما، لتسد هذا النقص.

---

[1]: الرحلة 117/6.

[2]: تاريخ النقد الأدبي عند العرب بيروت ط: 1971/1.

[3]: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس بيروت ط: 1968/1.

[4]: النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه دمشق 1972.

[5]: النقد الأدبي في المغرب العربي القاهرة 1973.

[6]: النقد الأدبي في العصر المملوكي ط:1972/1.

ابـــن رشيـــد النحـــوي:

إن المدرسة المغربية الأندلسية كانت تعرف أيام ابن رشيد شيوخا مبرزين في علم النحو واللغة، ومن هؤلاء أبو الحسين بن أبي الربيع، وأبو الحسن بن الضائع الكتامي الخضار وأبو إسحاق الغافقي ومحمد ابن عبد الرحمان المالقي وأبو القاسم القبتوري وأبو بكر القللوسي وما لك ابن المرحل وغيرهم[1].

وفي هؤلاء من كان يمثل مدرسة نحوية معروفة لها صيت طائر في الشرق والغرب، وآراء معروفة في المحافل اللغوية والمجالس العلمية كابن أبي الربيع الذي كان حامل لواء النحو في المغرب والأندلس، وكان أيضا أستاذا لشيوخ المشارقة وأبرزهم بهاء الدين ابن النحاس الذي كان يعترف بفضله، حتى إن كتبه كانت تصل إليه وإلى غيره من الشيوخ في القاهرة والإسكندرية والشام[2]، وعلى هذا الشيخ الجليل تعلم ابن رشيد في سبتة علم النحو وعلى يده تخرج، فقد قرأ عليه كتاب سيبويه[3]، ويرجح أن يكون قرأ عليه من مؤلفاته المهمة كتاب القوانين وكتاب الكافي، ومعنى هذا أن ابن رشيد تعلم النحو وأسس العربية في بلده حتى إنَهُ كان قبل القيام برحلته ذا اتجاه خاص في هذا الميدان، ولهذا قال فيه صاحبه ابن الطواح:"ان نحوه يميل لنحو شيخه ابن أبي الربيع، وهو بعيد عن فك معنى كلام الامامين أبي عبد الله بن هشام[4] وابن عصفور". وهذا الكلام الذي قاله ابن الطواح لا ينبغي لنا أن نأخذه على عواهنه، فقد يكون ذلك الحكم سريعا لا يعتمد على الروية والتبصر، وقد يكون مبنيا على دوافع أخرى نفسية تمليها المنافسة والمعاصرة التي تجعل أحيانا من القرين خصما يعمد إلى التقليل من قدره والغض من شأنه بل وغمز علم شيخه ابن أبي الربيع، ويظهر ذلك في قوله بمناقشته في أمور العربية فوجد أنه لم يكن هناك أي لم يكن بذاك الذي يعتد بعلمه ولا بآرائه، ومهما يكن أمر هذا الحكم وملابساته، فإن ابن رشيد قد ترعرع في بيئة علمية أساسها النحو واللغة العربية والعلوم الإسلامية وغير ذلك مما ينشأ عليه طلاب العلم في تلك السن المبكرة.

---

[1]: لكل هؤلاء تراجم في شيوخه وأصحابه. في هذا البحث.
[2]: الرحلة 23/3، وانظر ما قال عنه ابن النحاس عندما اتصل به لأول مرة في ترجمته ممن لقيهم بمصر.
[3]: الرحلة 23/3.
[4]: سبك المقال لابن الطواح ص: 97.

ولا شك في أن بقاءه في تونس تلك المدة الطويلة جعله يوسع أفقه في كثير من الميادين العلمية والأدبية خاصة، ولهذا يكون لاتصاله هناك ببعض النحاة أيضا أثر كبير، ومن آولئك الذين كانوا يتمتعون بذلك الأفق الواسع في اللغة والنحو أبو الحسن حازم القرطاجني وأبو جعفر اللبلي الفهري والشرف الجزائري وأبو عبد الله السلاوي وأبو العباس احمد بن يوسف السلمي الذي كان جماعة لكتب ابن عصفور وكذا ابن أَندارس المتطبب.

ولما ذهب إلى المشرق ولقي من أعلام النحو فيه مثل ابن النحاس الحلبي وابن مزروع البصري وابن حيان الغرناطي، لا شك في أنه تأثر أيضا بهؤلاء وآرائهم، وهنا لا يمكن أن نغفل عن الأصول الثقافية الأندلسية المغربية لابن النحاس الحلبي وابن حيان،فابن النحاس قد تأثر بابن أبي الربيع كما سبق، واما ابن حيان الذي كان يلقب بأمير المؤمنين في النحو فكان أيضا تلميذا لابن الربيع وأستاذا مبرزا في القاهرة بعد أن خلف مشيخة ابن النحاس في أستاذية النحو. ومعنى هذا أن تكوين ابن رشيد في هذا الميدان متواصل متكامل العُرَا والحلقات منذ أن كان في سبتة إلى أن صار في القاهرة ودمشق والحرمين. ولو وصل إلينا كتابان من تأليفه، وهما تقييد على كتاب سيبويه وتلخيص قوانين ابن أبي الربيع، لا تَّضَحَ لنا أكثر اتجاهه. وسنطلع في دراسة الرحلة على شيء من ذلك.

ابن رشيد العروضي

كان ابن رشيد عارفا بعلم العروض والقافية، وقد أَسْهَمَ بإنتاجه في ذلك[1] إذ إنه لما التقى بأشهر العروضيين وصحبهم استفاد منهم ومكن معرفته في هذا العلم، وكان ممن أفاده في ذلك أبو الحسن بن الخضار الكنامي ومالك ابن المرحل وابن عبد الملك المراكشي وابن البناء العددي وأبو بكر القللوسي، وأبو عثمان بن سعيد بن جون المراكشي. وسيتبين لنا من خلال دراسة الرحلة ذلك الاهتمام الذي أولاه لهذا الفن، وسنعرض لدراسة بعض المصطلحات العروضية هناك، وننبه على ما ورد له مختلفا أو مؤتلفا بالمقارنة باصطلا حات العروضيين المشهورين في عصره وقبله.

[1]: الرحلة 2/6.

الحس التاريخي عند ابن رشيد

أشار ابن الخطيب في الإحاطة إلى أن ابن رشيد كان حافظا للأخبار والتواريخ[1]. وبالرغم من أننا لا نعرف له كتابا يستقل بالتاريخ فَإننا نجد في الرحلة عناية تامة بهذا الفن واهتماما كبيرا بضبط تواريخ الإجازات والتحمل وذكر بعض الأحداث وتحديد تاريخ الولادة والوفاة لكثير من الشيوخ الرواة، وقد يذكر تاريخ اليوم والشهر والسنة والمكان الذي حصل فيه ذلك. ثم إن طبيعة التراجم من صميم التأريخ وبها سميت كتب الوفيات والطبقات.

وإذا استقرأنا التواريخ الخاصة بإجازات ابن رشيد ورواياته ولقائه بشيوخه وسماعاته منهم، وتواريخ حلوله بالمنازل في الطريق ومغادرته لها، ألفينا ما يقرب من(300) ثلاثمائة إشارة تاريخية وأغلبها مذكور باليوم والشهر والسنة وفيها ما هو محدد بالمساء أو الليل أو الصباح أو الضحى كما هو عليه الحال في رحلته من دمشق على الحرمين بخاصة[2].

وأما التواريخ العامة التي تهم شيوخه وغير ذلك من الإجازات لهم وذكر شيوخهم وذكر الوفيات والإفادات والقراءة وتاريخ الانشادات فيقدر عددها بنحو(450) خمسين واربعمائة تاريخ. وهذا كله يفسر لنا أن لابن رشيد حسا تاريخيا ينبغي أن يعتبر في الضبط والتوثيق والرواية. وسنورد في الرحلة قوائم بذلك.

ابن رشيد الجغرافي:

لم يكن لابن رشيد في رحلته اهتمامات كبرى بالمسائل الجغرافية كوصف العمران من المدن والقرى والحصون والآثار والقلاع والمدارس والمساجد ووصف الطبيعة من الجبال والوديان والمياه والشعاب والواحات والمنازل وغير ذلك من ذكر المسافات، ولكن إشاراته إلى ذلك كانت قليلة بالنسبة إلى ما ورد فيها من المعارف الأخرى، والسبب في ذلك ظاهر، فقد جعل ابن رشيد من رحلته أساسا لبرنامج شيوخه، ولهذا يغلب عليها هذا الطابع. ولكن ما يلفت انتباهنا هو أنه لم يبدأ في الوصف الدقيق للمعالم الجغرافية

---

[1]: الاحاطة 138/3.
[2]: الرحلة 2/5-3.

إلا عندما سار من الشام إلى الحرمين[1] إذْ أخذ يدقق ويحدد ويفصل وينقد ويصوب ما قاله الاقدمون في تعيين المقامات والمشاعر[2]، ولعل ذلك لما أراد به من التعبير عما تثير فيه مرابع الحجاز ومقاماته وأركانه من شوق في نفسه لقضاء فريضة الحج، ولهذا كان اعتناء خاصا بالوصف والضبط لمعالم الحج والطريق إليه، لأن ذلك كان يتصل اتصالا وثيقا بمعرفة مسائل الحج وفرائضه[3]. ففي المسافة ما بين دمشق والحرمين لم يغفل عن ذكر القيسارية على ضفة النهر[4]ولا بصرى وأسوارها وآثارها القديمة وأبوابها المنحوتة من الأحجار[5] ولا تبوك وزروعها وعينها وصهريجها الكبير المبني بالحجر وكذا ماءها العذب الطيب المبارك وأصل شجرتها الذي يتبرك به[6]. ولا المدينة المنورة وجدرانها ومبانيها[7] ولا مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة[8] وما يتصل بذلك من المسائل الفقهية[9].

ولو استعرضنا أجزاء الرحلة الخمسة الموجودة لوجدنا أن أربعة منها[10] تكاد تخلو من الإشارات الجغرافية لولا ما ورد في الجزء الثالث مثلا من ذكر منار الاسكندرية[11] وعمود الصواري[12] بها أو ذكر الغَرّاف وهو نهر بالعراق[13] أو ذكر المسافة بين الإسكندرية وطلموش[14]. وأما الجزء الخامس فهو الوحيد الذي خصه ابن رشيد بتلك الإشارات السالف ذكرها. وبالرغم من ذلك يظهر من خلال تلك الإشارات أن لابن رشيد معرفة تامة بالعلوم الجغرافية ويضيف إلى ذلك دقة في الوصف وضبطا لما يعرض له من المسائل.

وسنحاول في دراسة الرحلة الإلمام بما ورد فيها من أسماء المواضع وكيف ضبطها ابن رشيد وعلق عليها بما أَغْفَلَهُ بعض المؤرخين والجغرافيين المشهورين.

---

[1]: الرحلة 1/5.
[2]: الرحلة 3/5.
[3]: الرحلة 8/5- 17- 20- 21- 22-23-24-25.
[4]: الرحلة 2/5.
[5]: الرحلة 4/5.
[6]: الرحلة 3/5
[7]: الرحلة 3/5.
[8]: الرحلة15/5.
[9]: انظر دراسة الرحلة بعد
[10]: الجزء الثاني والثالث والسادس والسابع ويرجح أن يكون كذلك الجزء الأول وبعض الجزء الرابع المفقودان.
[11]: الرحلة 21/3.
[12]: نفسه.
[13]: الرحلة 10/3.
[14]: الرحلة 21/3

ابـــن رشيد الـــخطاط

كان من بين صفات المحدث المبالغة في تحسين الخط وتجويده[1]. وقد قيل: الخط الحسن يزيد الحق وضحا، وقيل: جودة الخط إحدى الحسنيين. وان أكثر الراحلين تجتمع في حالتهم صفتان وهما إجادة الخط ودقته[2]. ولما كان ابن رشيد محدثا ورحالة فقد اجتمعت فيه تلك الصفات السالفة الذكر، ولهذا وصفه ابن الخطيب بأنه كان بارع الخط[3] وقال صاحبه ابن مبارك مخاطبا إياه في قصيد:

فيا ابن رشيـــد ذا الفخار محمدا * * وباســمك أضحى الوصف فيه محبسا

لقد طابق اسما منك معنى حويته * * كما طابـق الروض الشـــذا المتنفسا

وفيها يقول:

ولم تقن إلا در لفـــــظك حلية * * ولم تَكْـــسُ إلا وشـــي خطك ملبسا[4]

ومن عنايته بذكر الخط والخطاطين وأخبارهم أنه أورد كثيرا من أسمائهم وأوصافهم في تضاعيف رحلته، بل انه كان يحدد مقدار إجادتهم ويذكر مرتبتهم ويضعهم في درجتهم اللائقة بهم[5]

ومن الأوصاف الواردة في تلك الخطوط: الجيد والحسن والبارع والدقيق السريع، ومن خلال هذه المصطلحات ندرك مدى معرفته بأسرار هذه الصناعة ودقائق هذا الفن[6].

---

[1]: أدب الاملاء والاستملاء للسمعاني ص: 65.
[2]: نفسه 165- 169.
[3]: الاحاطة 135/3.
[4]: الرحلة 6/2-7.
[5]: 9/2- 12- 13- 61- 66.
71/3- 100- 107- 123.
5/9- 14- 79.
3/6- 14- 53- 57- 61- 65- 68.
وغير ذلك.
[6]: في كشف الظنون ج:707/1، وكتاب العمدة في الخط للهيتي، والاقتضاب لابن البطليوسي ص: 67 أوصاف شتى لأنواع الخط وفضله، وفي كتاب أحكام صنعة الكلام ص: 45 حديث في رتبة الخط. وانظر كذلك نهاية الارب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ج: 14/7 و3/9 وكذلك صبح الاعشى في صناعـــة الانشا لأبي العباس القلقشندي 440/2 و1- 2- 3.

فمِمَّنْ ذكر لهم الخط البارع: الشرف بن الإمام الجزائري[1] وأبو إسحاق بن أبي الوليد التجيبي[2] وأبو إسحاق بن حبي القرموني[3] وأبو الفضل التجاني[4] وأبو العباس بن القصير[5].

وممن له الخط الجيد احمد بن عثمان الشافعي[6] وعلم الدين أخو ابن العمادية[7] وشرف الدين بن الصواف[8].

وممن لهم الخط الحسن أبو الوليد محمد بن احمد الكاتب[9] وأبو بكر القسطلاني[10] وابن العطار[11] وأبو إسحاق إبراهيم الفأسي[12] وأبو صادق القرشي[13] وسارة الحلبية[14] وابن خميس التلمساني[15] ونجم الدين بن صَصْرى[16] وأبو الحسن القيطاجي[17] وأبو العباس بن الحاج[18].

وذكر أن شيخه ابن السراج كان بصيرا بأدق الخطوط مع كونه ناهز المائة سنة[19].

وهناك من كان يُسْرِعُ في الخط ويجيده إجادة تامة كأبي إسحاق إبراهيم الفأسي نزيل الحرمين[20].

---

[1]: الرحلة 53/6.
[2]: الرحلة 12/2.
[3]: الرحلة 104/6.
[4]: الرحلة 5/7.
[5]: الرحلة 9/2.
[6]: الرحلة 14/5.
[7]: الرحلة 3/3.
[8]: الرحلة 79/5.
[9]: الرحلة 87/3.
[10]: الرحلة 84/3.
[11]: الرحلة 68/6.
[12]: الرحلة 8/5.
[13]: الرحلة 71/3.
[14]: انظر من لقيهم بفاس. ترجمة 22.
[15]: انظر من لقيهم من أصحـابه.
[16]: انظـر من لقيهم في دمشق.
[17]: الرحلة 111/6.
[18]: الرحلة 34/7.
[19]: ابن السراج نزيل بجاية انظر قصته في الذيل والتكملة سفر 1 ق1 ص: 370.
[20]: الرحلة 8/5.

وأشار إلى أن شيخه جمال الدين ابن الظاهري كان له خزائن لكتبه حسنة ظريفة كتب الكثير منها بخطه الذي له حظ كبير من الإتقان والإجادة[1].

هكذا كان ابن رشيد لا يَفْتُرُ عن وصف شيوخه بحسن النقل والضبط ونعت الكتب بغاية الحسن والجمال كلما أنس منها ذلك. ولعل ذلك ما يقال عن أعاجيب الخطوط بأنها على كثرتها، واختلافها وأصولها الواحدة، تختلف باختلاف شخوص الناس مع اجتماعهم في الصفة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه[2].

ومما يدل على معرفته بأسرار الخط وصناعته وامتلاكه أدواته قوله بالكتابة يوما بأطراف مقط كان عنده في حين لم يحضر القلم المبري وذلك في مجلس شيخه جمال الدين ابن الظاهري، فكتب به حرصا على التحصيل ثم تداركه بعد ذلك بالتوضيح والابانة[3].

ومن أخبار الخط والوراقة ما ذكره من أن الكاتب الأديب أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الجذامي المعروف بابن العطار القرطبي الرحالة الشاعر المجيد البليغ والأديب المتقن كان حسن الخط رائق الوراقة ومتقنا بخزانة السلطان بتونس، ولم يزل بها وراقا إلى أن رحل عنها في حدود سنة أربعين وستمائة إلى المغرب[4] وممن كان يعرف أيضا بفن الوراقة وإتقان صناعتها شيخه ابن درادة[5] .

---

[1]: الرحلة 97/3.

[2]:أدب الكتاب للصولي ص: 43.

[3]: الرحلة 123/3. وانظر أيضا ما يتصل بقط القلم والمقط: أدب الكتاب للصولي ص: 109- 110.

[4]: الرحلة 68/6.

[5]: الرحلة 100/3، وانظر أيضا ما كتبه الأستاذ محمد المنوني عن فن الوراقة في مجلة المحاضرات الثقافية عدد 1 ص: 270.

المبحث السادس : أثر شيوخ ابن رشيد في تكوين شخصيته

لقد لقي ابن رشيد أكثر من خمسين ومائتين من الشيوخ والأصحاب الذين تنوعت بلادهم واختلفت مذاهبهم وطبائعهم وتباينت مستوياتهم العقلية والفكرية والثقافية، ولهذا لا بد أن يكون قد تأثر بهم قليلا أو كثيرا، ونلاحظ أنه كان يقومهم بكثير من الأوصاف التي تميز شخصياتهم من حيث التكوين العلمي والنفسي، وقد تأتى له ذلك بفضل الصحبة المخلصة والملاحظة الدقيقة والخبرة الحسنة التي ساعدته على سبر أغوار الطبائع وتحليلها. وان كل ترجمة من تراجم أولئك الشيوخ مصدرة بوصف معين من أوصاف تتعلق بالعلم أو العمل أو الخلق، وما أكثر تلك أوصاف وأشدها اختلافا من ترجمة لأخرى، وهي غير واردة من أجل التهويل والتفخيم، وإنما هي صفات لها دلالات حقيقية على الموصوف. ونورد فيما يلي شيئا منها على سبيل المثال لا الحصر.

الشيخ- الفقيه- الصالح- الفاضل- المرضي الصوفي- البصير بصناعة العربية المتحلي بحلى الصوفية

وهو رضي الدين ابوبكر القسنطيني[1]

الاجل- الفقيه- المسند - أحد الشيوخ الفضلاء الثقات- الخيار

عبد الرحمان بن يوسف المزّى (ابن خطيب المرة[2])

الفقيه – المعمَّر- الإمام- العالم- الزاهد- الورع- مفتي الإسلام- بقية السلف الكرام- أحد الشيوخ المسندين- قديم السماع

صفي الدين خليل المراغي[3]

الأديب البارع- الإمام – العالم- الصوفي- الفاضل-المعمَّر- الحسن السمت والصمت

شهاب الدين ابن الخيمي[4]

---

[1]: الرحلة 36/3.
[2]: الرحلة 36/3.
[3]: الرحلة 48/3.
[4]: الرحلة 44/3.

القاضي- الرئيس- صاحب ديوان الاحباس	أبو الحسن ابن أبي الكوم الثعالبي[1]
شيخ من العامة- له سماع صحيح- رغب الناس في الأخذ عنه لغرابة اسمه	ذو النون الاسعردي الشراربي[2]
الإمام الأوحد- رئيس النظار المتأخرين- شمس الملة والدين- ناصر السنة- فخر الأئمة- تاج الملة -كبير المتكلمين- حكم المتناظرين- إمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات والقواعد الصوفيات- ذو التصانيف البديعة والتدقيقات الرقيقة	ابو المعالي محمد بن محمود الاصبهاني[3]
الشيخ الجليل- المسن- الفقيه- الصالح- العارف	عبد الواحد بن علي القرشي الحنبلي[4]
الشيخ الأجل- نائب الحسبة	أبو العباس الاعلاقي[5]
المتقن الوراقة- رئيس المؤذنين بالجامع الحاكمي	أبوعبد الله ابن درادة القرشي[6]
الشيخ المحدث – الصوفي- الأديب - المصنف- المفتي المشهور المذكر	قطب الدين أبو بكر القسطلاني[7]
الشيخ المحدث- المعمر- الثقة- الفاضل- رحلة الديار المصرية- كان سمحا بالقراءة عليه- حسن اللقاء- كثير البر- دائم البر لمن يلقاه- انفرد بإجازة حماد الحراني وابن كليب	عز الدين عبد العزيز الحراني[8]

---

[1]: الرحلة 85/3.
[2]: الرحلة 86/3.
[3]: الرحلة 88/3.
[4]: الرحلة 90/3.
[5]: الرحلة 93/3.
[6]: الرحلة100/3.
[7]: الرحلة 107/3.
[8]: الرحلة 111/3.

الإمام الأوحد- العالم- العلامة- المجتهد- مفتي الإسلام- ذو التصانيف الجليلة- والمباحث الدقيقة- مدرس المذهبين المالكي والشافعي- بقية الاعلام	محمد بن علي ابن دقيق العيد[1]
الفقيه- الأديب- الكاتب -البليغ- الحافظ- الناقد- العلامة- المتفنن- الحلو الشمئل- والمنازع	أبو بكر محمد بن حبيش[2]
الأديب- الكاتب- الناظم المكثر- الخطاط البارع- تحول غربا وشرقا- صحب الأدباء والشعراء- وخاطب وخوطب	أبو العباس ابن القصير[3]
الشيخ الفقيه- الفاضل- الحسيب- الأصيل- ذو البيت النبيل- والمجد الاثيل- الكاتب البارع- الضابط المتفنن	أبو الوليد محمد التجيبي ابن الحاج[4]
الأديب- الحسيب- الفاضل- الكامل- أحد الأدباء الفضلاء- والرواة السراة- المقدور عليه- الصابر على الفقر المدقع- مع سراوة ونزاهة وسخاء نفس- ربما استعمل في بعض الشهادات المخزنية- وربما كتب عن بعض خدام صاحب افريقية المتحمل المتجمل	أبو الحسن علي بن محمد بن رزين[5]
الأديب- الناظم- له سماع- وإجازات- وخط بارع- يشهد في المكوس	أبو عبد الله ابن التونسي[6]

[1]: الرحلة 58/3.
[2]: الرحلة 1/2- 34/6.
[3]: الرحلة 9/2.
[4]: الرحلة 10/2.
[5]: الرحلة 64/6.
[6]: الرحلة 3/3.

المتطبب- شيـــخ في أخلاقه شكاسة- وكبر- وعدم فهم- له أسمـــعة- وإجـــازات صحيحة	أبو عبـــد الله الشـــرابي
الأديب – البارع- الكاتب- الحافل- المتفنن- الفاضل- الكامل- ابرع الجماعة أدبا- وأوسعهم طلبا- حافظ- لافظ- جمع أنواع الحسن أجمعها- وحاز من كل فضيلة ابدعها- له خط رائق- وخَلْقٌ وخُلُقٌ- تروقك ذاته- وتشوقك أدواته- نجيب- ذو عفاف وكفاف- يتصرف كيف شاء في الروية والارتجال- مديد الباع- فسيح المجال- مشارك في فنون الطـــلب: في النحو واللغة والبيان والكتابة والخطـابة – له تحصيل لمعرفة التاريخ وأيـام النـــاس ومشـاركة في الرواية والــدراية	أبو الفضل محمد بن علي التـــــجانــــــي[1]

ويخلص لنا من ذلك ما يقرب من(130) ثلاثين ومائة من الأوصاف في جميع أنواع المعرفة وسمات الخلق والطباع وسائر المهن والأعمال. فأما أغلبها فخاص بأصحاب الحديث، وقد ورد لهم ما يقرب من (80) ثمانين وصفا وفي أهل الأدب (70) سبعون وصفا ولأهل التصوف والصلاح (30) ثلاثون، وللمفسرين والفقهاء وأهل العلم بالخلافيات والعارفين بالمذهب عشرون وللقضاة والرؤساء (10)عشرة وكذلك العدديون والمتكلمون والمقرئون ولغيرهم من النحاة واللغويين(7) سبعة أوصاف وللقراء والخطباء والمؤرخين العروضيين والخطاطين وأهل الفقر والتجريد والوراقين بعض الأوصاف المختلفة.

ونورد فيما يلي مجملا بأسماء أولئك الشيوخ بعد تصنيفهم حسب الفن العلمي الغالب عليهم، وترتيبهم حسب الحروف(أ- ب- ت) مع إثبات اسم المدينة التي كانوا يدرسون بها ليسهل البحث عن تراجمهم في دراسة الرحلة. وينبغي التنبيه أيضا على أن

---

[1]: الرحلة 5/7.

معظم هؤلاء الشيوخ كان مشاركا في أكثر من فن. بل أن فيهم من كان مبرزا في كثير من العلوم كما سيتضح عند التعريف بهم بعد. وعندما يظهر لنا مقدارهم ومدى اهتمامهم بفن معين سندرك من ذلك تلك العلاقة الوطيدة بالاتجاه العلمي الخاص بابن رشيد وأثر شيوخه فيه.

المحدثون

اسم الشيخ	البلد	اسم الشيخ	البلد
إبراهيم بن احمد الغافقي	سبتة	سليمان بن حمزة المقدسي	دمشق
إبراهيم اللوري الرعيني	دمشق	صالح بن محمد بن شوشن	تونس
أبو بكر بن أبى الزبير المصري	دمشق	عبد الحميد بن الزجاج البغدادي	الحرمان
أبو بكر بن احمد التميمي	إسكندرية	عبد الرحيم بن إبراهيم الفركاح	دمشق
أبو بكر بن احمد المقدسي	دمشق	عبد الرحمان بن إبراهيم المقدسي	القدس
أبو بكر بن خليل	مكة	عبد الرحمان بن أحمد المقدسي	دمشق
أبو بكر يوسف المنذري	مصر	عبد الرحمان بن سليم ابن العمادية	إسكندرية
احمد بن أبى بكر الزبيدي	إسكندرية	عبد الرحمان بن محمد البعلبكي	دمشق
احمد بن أبى بكر العسقلاني	مكة	عبد الرحمان بن محمد الزجاج البغدادي	مكة
احمد بن فرح اللخمي	دمشق	عبد الرحيم بن محمد الزجاج	المدينة
احمد بن أبى الفرج المقدسي	اسكندرية	عبد السلام بن محمد بن مزروع	المدينة
احمد بن سالم بن صصري	دمشق	عبد الصمد بن عساكر الدمشقي	مكة
احمدبن عبد الرحمان النابلسي	دمشق	عبد العزيز بن إبراهيم الجزيري	سبتة
احمد بن عبد الكريم الاعلاقي	القاهرة	عبد العزيز الحراني	مصر
احمد بن محمد الاشعري	تونس	عبد الله بن أبى الزين الكاتب المصري	مصر
احمد بن محمد ابن الظاهري	القاهرة	عبد الله بن خير القرشي	إسكندرية
احمد بن هبة الله بن عساكر	دمشق	عبد الله بن سليمان اللقاني	مكة
إسماعيل بن الفراء المرداوي	دمشق	عبد الله بن محمد التقي عبيد	القاهرة
تمام بن محمد الحنفي	دمشق	عبد المحسن بن فارس الابهري	دمشق
ثابت بن علي العسقلاني	دمشق	عبد المنعم بن يحيى النابلسي	القدس
حسين بن داوود السهروردي	دمشق	عبد المؤمن بن خلف الدمياطي	القاهرة
ذو النون بن عمر الاسعردي	مصر	عطية بن ساجد بن أبى الحسن	إسكندرية
زينب بنت احمد الدمشقية	دمشق	علي بن أبى صالح التلاليني	نفيس
زينب بنت عبد اللطيف البغدادي	القاهرة	علي بن أحمد البخاري	دمشق
زينب بنت محمد البغدادي	دمشق	علي بن احمد القاسيوني	دمشق

زينب بنت مكي الحراني	دمشق	علي بن احمد الغرافي	إسكندرية
سارة الحلبية	فاس	علي بن احمد المقدسي	القدس
علي بن الافتخار المقدسي	القدس	محمد بن عبد الخالق بن طرخان	إسكندرية
علي البديع	حرم الخليل	محمد بن عبد الملك اليونيني	بعلبك
علي بن عيسى اليزني الحميري	إسكندرية	محمد بن عطاء الله بن الخطيب	إسكندرية
غازي الحلاوي	دمشق	محمد بن علي النابلسي	نابلس
فاطمة بنت إبراهيم البطائحي	المدينة	محمد بن منصور الأنصاري	إسكندرية
مثقال بن عبد الله الفرجوني	إسكندرية		
محمد بن احمد الكلاعي	تونس	محمد بن أبى بكر التنوخي	إسكندرية
محمد بن اسماعيل بن الانماطي	القاهرة	مسعود بن احمد الحارثي	القاهرة
محمد بن حسن البوني الشرابي	إسكندرية	يحيى بن احمد بن الصواف	إسكندرية
محمد بن الحسين القرشي	مصر	يوسف بن الشقاري	المدينة
محمد بن خالد الحموي	دمشق	يوسف بن صلاح الدين الحنفي	القدس
محمد بن عاصم الرندي	مصر		

الفقهاء

إبراهيم بن احمد الجزري	تونس	احمد بن النعمان	تونس
إبراهيم بن احمد بن فرح	غرناطة	جماعة بن يحيى الحلبي	تونس
إبراهيم بن محمد الفاسي	المدينة	خليل بن أبى بكر المراغي	القاهرة
أبو بكر بن يربوع	سبتة	أبو الوفاء اللخمي	القاهرة
أبو القاسم بن أبى اللبيدي	تونس	عباس بن محمد التجيبي	غرناطة
احمدبن عبد القادر الدمراوي	إسكندرية	عبد الحميد بن عمران الطرابلسي	تونس
احمد بن عبد الله الدمشقي	نابلس	عبد الرحيم بن يوسف المزي	القاهرة
احمد بن عبد الله الطبري	مكة	عبد العزيز بن حسن التميمي	المهدية
احمد بن عمر الجزائري	تونس	عبد العزيز بن علي كحيلا	بجاية
احمدبن عيسى بن قطران	بلبيس	عبد الله البسكري	تونس
احمد بن اسماعيل المروش	تونس	عبد الواحد بن احمد الحنبلي	القاهرة
احمد بن محمد بن الغماز	تونس	عبد الوهاب بن عبد السيد	طرابلس

الاسم	المكان	الاسم	المكان
احمد بن محمد الخزرجي	تونس	عبد الوهاب بن يوسف البجائي	تونس
احمد بن محمد المرسي	تونس	علي بن عبد الكريم الدمشقي	بلبيس
علي بن عيسى بن أبي الكوم	مصر	محمد بن عبد الرحيم بن أبى العيش	تلمسان
		محمد بن عبد الرحيم السعدي	
عمر بن عبد المحسن بن	مكة		دمشق
الصواف		محمد بن عبد الكرين بن درادة	
القاسم بن أبى بكر بن زيتون	تونس	محمد بن خميس الاصطبوني	القاهرة
القاسم بن عبد الله بن الشاط	سبتة		الجزيرة
		محمد بن عبد المعطي بن هريرة	الخضراء
أبو القاسم الفحصبلي	بونة	محمد بن علي بن دقيق العيد	تونس
القاسم بن يوسف الجذامي	روندة	محمد بن عمر الشريف الكركي	القاهرة
محمد بن إبراهيم البلفيقي	سبتة	محمد بن مالك بن المرحل	مصر
محمد بن إبراهيم السلاوي	تونس	محمد بن محمد بن الخضار الكتامي	مالقة
محمد بن أبي العسقلاني	مكة	محمد بن محمد بن علي	سبتة
محمدبن أبى عبدالوهاب	تونس		تونس
الكلاعي			
محمد بن احمد الأنصاري	تونس	محمد بن محمود الاصبهاني	القاهرة
محمد بن احمد التجيبي	تونس	منصور بن احمد المشذالي	بجاية
محمد بن احمد حيان	تونس	موسى بن عبد الله التجيبي	تونس
محمد بن احمد بن صالح	بجاية	يحيى بن احمد بن منظور	سبتة
محمد بن احمد بن الغماز	تونس	يوسف بن عبد الله الحنفي	دمشق
محمد بن احمد بن النعمان	تونس	يوسف بن محمد بن اندارس	تونس
محمد بن الحسين الارموي	دمشق		
محمد بن الحسن القسطلاني	مصر		

المتصوفون والزهاد

أبو بكر بن عمر القسنطيني	القاهرة	عيسى بن يحيى الأنصاري	القاهرة
ثابت بن علي العسقلاني	مصر	محمد بن احمد الخراساني	القاهرة
شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي	القاهرة	محمد بن القسطلاني	القاهرة
صواب الصلاحي	القاهرة	محمد بن حاتم الدلاصي	القاهرة
عبد الرزاق بن إبراهيم بن اللخمي	مصر	محمد الدكالي	سوسة
عبد الله بن الحسن ابن القاهري	القاهرة	محمد بن عبد الرحمان بن سامة	مصر
عبد الله بن محمد المرجاني	مكة	محمد بن علي بن قطرال	تونس
عبد الله بن يوسف الخلاسي	تونس	محمد بن مكي الصفار المطرز	القاهرة
عبد الولي بحتر البعلبكي	القاهرة	يوسف بن إبراهيم الجذامي	تونس
علي الحنبلي	نابلس		
عيسى بن الحسن ابن القاهري	القاهرة	يوسف بن علي السماط	المهدية

المقرئون

احمد بن موسى البطرني	تونس	عبد الله بن منصور بن الأسمر	إسكندرية
احمد بن نصير بن نبا	القاهرة	علي بن عبد الله الرماني	تونس
إدريس بن محمد الانصاري	سبتة	علي بن يوسف السفاح	رندة
عبد الرحيم بن عبد المنعم	مصر	محمد بن احمد بن الصائغ	مصر
عبد الكريم الحلبي	القاهرة	محمد بن عياش الخزرجي	مالقة

الأدباء والكتاب

إبراهيم بن أبي يحيى التلمساني	سبتة	عبد الواحد بن مبارك	تونس
إبراهيم بن اسماعيل القرموني	تونس	عبد الواحد بن الطواح	تونس
احمد بن عثمان الشافعي	مكة	عتيق بن عتيق العامري	القاهرة
احمد بن عبد الله بن سلبطور	المرية	أبو عمرو بن سعيد القرشي	منرقة
احمد بن عبد الله العزفي	سبتة	أبو الحسين بن قراقش	مالقة
احمد بن القاسم بن القصير	تونس	علي بن إبراهيم التجاني	المدينة

احمد بن محمد بن اللـــبان	تونس	علي بن عمر الشاطبي	تونس
احمدبن محمد بن نخيل الحميري	تونس	علي بن محمد الخزرجي	إسكندرية
حـــــازم القـــرطاجني	تونس	علي بن محمد بن رزين	تونس
خلف بن عبد العزيز القبتوري	سبتة	علي بن محمد القيجاطي	تونس
سعيد بن جون المراكـــشي	إسكندرية	عمر بن إبراهيم التجاني	تونس
سليمان بن علي التلمساني	دمشق	عيسى بن لب البلنسي	تونس
عبد الرحمان بن القويـع	تونس	فضل بن علي بن رواحة	بلبيس
عبد العزيز ابن رأس الحجلة	تونس	القاسم بن محمد الهوزني	غرناطة
عبد الكريم بن علي الشافعي	مصر	مالك بن المرحل	سبتة
عبد الله بن عثمان بن حكم	منرقة	محمد بن الإمام	غرناطة
عبد الله بن محمد الطــبري	تونس	محمد بن أبي تميم الحميري	تونس
عبد الله بن محمد بن هارون	تونس	محمد بن أبي القاسم الانصاري	تونس
محمد بن أبى القاسم الحسني	سبتة	محمد بن عيسى	تونس
محمد بن أبى القاسم اللواتي	تونس	محمد بن علي التجاني	تونس
محمد بن إبراهيم البلنسي	تونس	محمد الجابي البزاز	إسكندرية
محمد بن إبراهيم الانصاري	مصر	محمد بن محمد الصائغ	المرية
كمحمد بن احمد التجاني	تونس	محمد بن القويع	تونس
محمد بن حسن بن حبيش	تونس	محمد بن يحيى بن همشك	تونس
محمد بن حكم بن عقيل	مصر	محمد بن يوسف الجزري	إسكندرية
محمد بن عبد الحميد	مصر	محمود بن سليمان الحلبي	دمشق
محمدبن عبدالرحمان بن الحكيم	رندة	مخلد بن بقي	تونس
محمد بن عبد الله بن جزي	غرناطة	موسى بن عبد الله بن عاصم	رندة
محمد بن عبد الله بن خطاب	تلمسان	نصير بن احمد المنياوي	حمامة
محمد بن عبد المنعم الخيمي	مصر	يحيى الرنداحي	ملقة
محمد بن عبيدة	سبتة	يوسف بن احـمد بن طاووس	شقر
محمد بن خميس التلمساني	سبتة	يوسف بن عبد العالي القماح	اسكندرية
محمدبن عمر بن الدراج	سبتة	يوسف بن علـي الطرطوشي	سبتة

النحاة

احمد بن يوسف السلمي	تونس	محمد بن إبراهيم بن النحاس	مصر
احمد بن يوسف الفهري اللبلي	تونس	محمد بن يوسف بن حيان	القاهرة
عبيد الله بن أبي الربيع	سبتة		

التاريخيون

احمد بن إبراهيم بن الزبير	سبتة	القاسم بن محمد البرزالي	دمشق
احمد بن محمد الغرناطي	تونس	محمد بن عبد الملك المراكشي	سبتة

العروضيون

احمد بن البناء المراكشي	مراكش	محمد بن احمد القللوسي	مراكش
علي بن محمد الخضار الكتامي	سبتة		

ومن خلال هذا المجمل يتبين لنا أن عدد شيوخ ابن رشيد وأصحابه اللذين لهم اختصاص بالعلوم الشرعية(170) سبعون ومائة تقريبا، وفيهم (77) سبعة وسبعون في الحديث و(62) اثنان وستون في الفقه و(21) واحد وعشرون في التصوف والزهد والصّلاح و(10) عشرة من المقرئين.

وأما في العلوم الأدبية واللغوية وغيرها فعددهم (78) ثمانية وسبعون تقريبا. وفيهم(66) ستة وستون من الأدباء والكتاب، و(5) خمسة من النحاة و(4)أربعة تاريخيين و(3)ثلا ثة عروضيين.

وبهذا يكون مجموع أولئك الشيوخ قريبا من خمسين ومائتين.

وينبغي أن ينظر إلى هذا التقسيم باعتبار الجانب الغالب على الشيخ، لأن معظمهم، كما أسلفت، كان مشاركا في كثير من العلوم والفنون. فقد كان ابن رشيد مثلا يروي من الأدبيات عمن لهم اختصاص بالحديث أو التصوف أو الفقه مثل العفيف التلمساني الصوفي وسارة الحلبية المحدثة وعبد الصمد بن عساكر الإمام الزاهد المجاور بمكة وابن حيان الشاطبي المحدث وأبي محمد بن مبارك الصوفي. واذكر في هذا الصدد ان اهتمام ابن رشيد بتلك الأوصاف السالفة الذكر وإيراده لها بكثرة في ترجمة شيخ من

الشيوخ، واهتمامه بعبارات التنويه والإعجاب، وكذا طول الملازمة، وتبادل الزيارة وكثرة الأخذ والاستشهاد بآرائه وأقواله، كل ذلك له اعتبار في تأثر ابن رشيد بهم. ويظهر ذلك مثلا في ترجمة أبي الفضل التجاني وأبي بكر بن حبيش وأبي الحسن الغرافي وأبي محمد الخلاسي وأبي جعفر اللبلي وأبي الحسن بن رزين وعز الدين الحراني وتقي الدين بن دقيق العيد وأبي اليمن بن عساكر.

ومن خلال دراسة الرحلة وغيرها من المؤلفات نجد أن أهم من تأثر به في علوم الحديث: أبو إسحاق إبراهيم بن احمد الغافقي الذي قرأ عليه بسبتة في سنيه الأولى. وأما في الشرق فكان أبرزهم الغرافي وأبو إسحاق اللوري وأبو بكر القسطلاني والشرف الدمياطي وابن البخاري وجمال الدين بن الظاهري.

وأما في الفقه والأصول فقد تأثر بأبي الحسن بن الخضار الكتامي وصديقه ابن الشاط. وبعد قيامه بالرحلة كان أهم من لقيه في هذا الشأن عبد العزيز بن كحيل وناصر الدين المشذالي والقاسم بن زيتون وأبو العباس بن الغماز وابن دقيق العيد وأبو المعالي الاصفهاني.

وأما في القراءة فقد تأثر أيضا بأبي الحسن بن الخضار، ثم مكن معرفته في ذلك بعد ان اتصل بابي العباس البطرني ومكين الدين بن الأسمر.

أما في الأدب فقد قرأ في سبتة في حداثة سنه على خَلَف القبتوري ومالك بن المرحل ثم اتصل في رحلته بألمع الأدباء والعلماء كحازم القرطاجني وابن حبيش وابن هرون القرطبي وأبى عبد الله بن القويع والشرف الجزائري وابن أبي تميم الحميري وابن رزين وابن الخيمي وابن النحاس وأبي الفضل التجاني.

وكان أول من أخذ عنه النحو وتأثر باتجاهه أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي بسبتة ثم اتصل بعد ذلك بأبي جعفر الفهري اللبلي وابن النحاس وابن حيان الغرناطي.

وأما علم العروض فقد قرأ مبادئه على أبي الحسن بن الخضار ثم اتصل بعد ذلك بأكبر العروضيين كأبي بكر القللوسي وابن البناء العددي.

وفي دراسة الرحلة سنتناول أولئك الشيوخ والأصحاب بشيء من التركيز لمعرفة مدى أثرهم في ابن رشيد.

المبحث السابع : تلاميذ ابن رشيد

وهؤلاء تلاميذ ابن رشيد الذين أخذوا عنه في الأندلس والمغرب، وذلك في غرناطة والمرية ومالقة ورندة وفاس، وقد اقرأهم في شتى المعارف والفنون، وفي مختلف الكتب مثل رحلته ملء العيبة والسنن الابين له وكتاب الأربعين له وصحيح البخاري والروض الانف للسهيلي ورسالة ابن زيد القيرواني والشاطبية وغير ذلك.

ونستخلص من ثقافة أولئك التلاميذ مستوى ثقافة العصر، ومنهاج التعليم في الغرب الإسلامي وقتئذ، ونلحظ من خلال ذلك أيضا مستوى المراكز الثقافية في هذه البلاد وتنوع المعارف فيها من التفسير والحديث والفقه والكلام والأدب واللغة والنحو والتصوف والرياضيات والطب والكيمياء.

وفي هؤلاء التلاميذ رحالون قاموا برحلاتهم إلى المشرق فشارك بعضهم أستاذهم ابن رشيد في شيوخه وأصحابه قراءة وإجازة. وفيهم كتاب وشعراء وذوو الرئاسة والقضاء والنيابة والوجاهة والمؤلفون والأساتذة والخطباء والخطاطون، ونلاحظ أيضا أن اغلبهم كان مشاركا.

وينبغي أن نذكر أنه لو توافر لدينا الجزء الخاص بالشام من الرحلة، لاعطانا فكرة عامة عن مجالسه العلمية بدمشق أو صورة عامة من التلاميذ الذين كانوا يدرسون عليه بها.

وسنرى في هذه المجموعة من التلاميذ أمثلة مهمة للمستويات العلمية والثقافية في القرن الثامن الهجري.

1- إبراهيم بن أبي العاصي

هو إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان التنوخي، أبو اسحق، وكان خطيبا مقرئا مجودا مدرسا للعربية والفقه، آخذا في الأدب والتفسير، وكان ظريف الخط، له شعر وسط قريب من الانخطاط[1] أصله من جزيرة طريف ونشأ بغرناطة وبها توفي سنة 726 هـ. وهو الذي تولى عرض كتاب ابن رشيد: السنن الابين، وهو المسمى أيضا

---

[1]: الاحاطة 374/1.

بالناسخ في تعاليق ذلك الكتاب. وقد أنجز ذلك في منتصف شهر رمضان سنة 702هـ. وكان صاحب النسخة هو أبا عبد الله الخزرجي الذي ينوه به المؤلف[1].

2- إبراهيم التسولي

إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبى بكر بن أبى يحيى التسولي التازي المالكي كان قاضيا، فصيح اللسان سهل الألفاظ فاضلا من صدور المغرب، مشاركا في العلم متبحرا في الفقه، وكان وجيها عند الملوك، صحبهم وحضر مجالسهم، واستعمل في السفارة، وهو شارح رسالة أبى زيد ومقيد المدونة، وكان يحضر مجالس ابن رشيد العلمية. لقيه ابن الخطيب بغرناطة وأخذ عنه[2].

3- ابن تميم اليفراني المكناسي

هو أحمد بن عبد الرحمان(عبد الرحبم) بن تميم اليفرني الشهير بالمكناسي وهو أخو أبي الحسن الطنجي شيخ أبي عبد الله السطي. وكان المكناسي هذا أستاذا وفقيها، يرحل إليه الناس من فاس للأخذ عنه[3]. وتوفي سنة 753هـ.

4- ابن خيرون الشاطبي

هو احمد بن عتيق بن احمد بن محمد بن احمد بن يوسف بن خيرون الازدي الغرناطي المعروف بالشاطبي، أبو جعفر، وكان قاضيا ببرجة، حافظا للنوازل، وهو الاديب الشاعر الموثق الحافظ للآداب، الذاكر لكثير من التاريخ[4].

5- ابو بكر بن جُرَي

احمد بن محمد بن أبي قاسم بن محمد بن احمد بن عبد الله بن جُرَيّ (بالجيم والراء مصغرا)، وهو أديب عارف بالفرائض والعربية وشارح الالفية[1]. قرأ على ابن رشيد

---

[1]: السنن الابين. 59. وانظر أيضا درة الحجال179/1 ونيل الابتهاج 37- 38 وبغية الوعاة 185 والكتيبة الكامنة 32 وغاية النهاية 24/1 وأعلام المغرب العربي 110/1 ترجمة 116.

[2]: الاحاطة 372/1، نيل الابتهاج 89- 90، جذوة الاقتباس 85/1، درة الحجال 179/1، تاريخ قضاة الأندلس 136، شرف الطالب 80، لقط الفرائد 202، شجرة النور 1 ط: 220، هدية العارفين 15/1، إيضاح المكنون 557/1 جامع القرويين 488/2، اعلام المغرب العربي 119/1 ترجمة 123.

[3]: الجذوة 122/1، نيل 69، درة 46/1 لقط 206، شجرة 218/1، فهرس، مخطوطات خزانة القرويين 151/1.

[4]: درة الحجال 137/1 ترجمة 167، لقط الفرائد 195.

كتابه الأربعين وتآليفه، وناوله جميعها، وقرأ عليه كتاب المغني عن الحفظ للحافظ أبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي، وكتاب الروض الانف ومقصورة حازم القرطاجني.

6- ابن أبي جبل المعافري

احمد بن محمد بن سعيد بن علي بن محمد بن مالك المعافري الغرناطي وكان عارفا بالأحكام الشرعية والقضايا الدينية، وله حذق بصناعة العربية، وكان سابق حلبة زمانه في الأدب، أجاز له من أهل المشرق بعض شيوخ ابن رشيد كناصر الدين المشذالي وابن النحاس الحلبي وعز الدين الحراني، توفي سنة 726 هـ[2].

7- ابن شعيب الجزنائي

احمد بن محمد بن شعيب الجُزْنَائي الفاسي، رُحْلَة الوقت، التعاليمي الأديب النباتي البارع الخط الحافظ المشارك المتهتك في علم الكيمياء، له دراية بعلم الأدب خاصة، وكان حافظا للشعر، وذكر أنه كان يحفظ عشرين ألف بيت للمحدثين، والغالب عليه العلوم الفلسفية وقد مقت لذلك وتوفي سنة [3]749.

8-أبو العباس بن يربوع

أحمد بن محمد بن أبي العيش بن يربوع السبتي، أبو العباس كان كبير المنصب من أهل اليقين والمشاركة، غاية في الوقار، حسن السمت، والتعاظم مع الظرف، وكانت له عند السلطان حظوة. أجاز له بعض شيوخ ابن رشيد كابن دقيق العيد والشرف الدمياطي والضياء السبتي[4].

---

[1]: الدرر الكامنة 293/1 ترجمة 742. وفهرست المنتوري 4-6- 63- 64- 68- 291. اللمحة البدرية 128.

[2]: الاحاطة 193/1، درة الحجال 136/1 ترجمة 166، الدرر الكامنة 107/1 ترجمة 39، الكتيبة الكامنة 67 ترجمة 34، لقط الفرائد 182 وفيات 426 أوصاف الناس36.

[3]: الاحاطة 72/1، نثير الجمان 225- 245، نيل الابتهاج 68، درة الحجال 45/1 جدوة الاقتباس 120/1، المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص: 248-295، أوصاف الناس 106، لقط الفرائد 202، جامع القرويين 488/2، أدب الفقهاء 7، الاعـــــلام للمراكشي 214/2 ترجمة 191، الأدب المغربي 227، دعوة الحق عدد 6 س: 14(1978) ص: 181 بقلم الدكتور كمال شبانة، المناهل 15/2 بقلم ذ عبد الله كنون.

[4]: الدرر الكامنة 291/1 ترجمة 739.

9- أبو العباس الطنجالي:

أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف .. بن عمر الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة كان كاتب الشروط أصيلا وجيها، ثم ترك ذلك واقتصر على الخطابة والإمامة بمالقة، صحب ابن الخطيب إلى العدوة فَبَلا منه فضلا وسذاجة. وقد شارك أستاذه ابن رشيد في بعض شيوخه كابن أبي الربيع وابن الغماز وابن دقيق العيد توفي سنة 764 هـ[1].

10- أبو العباس الزواوي

احمد بن محمد الزواوي شيخ القراء بالمغرب الذي لا يجارى، أخذ العلم عن مشيخة فاس حتى أصبح له علو في السند. وعمل فهرسة مقروءاته ومروياته في مجلدة سمعها منه أبو عبد الله محمد بن محمد السلاوي وكانت له نوادر حسنة، وروى عن ابن مروان الشريشي وأبي جعفر ابن الزبير وتوفي سنة 749 هـ أو 750 هـ[2].

11- ابو البقاء البلوي

خالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة المشهورة تاج المفرق، وكان فاضلا كثير التواضع[3].

12- ست العرب الحضرمي

ست العرب الحضرمي عبد المهيمين الحضرمي، وقف القاضي اليزناسني على إجازة ابن رشيد لها مؤرخة بِغُرَّة محرم سنة 721 هـ[4].

---

[1]: الدرر الكامنة 180/1 ترجمة 463، وج:251/1 ترجمة 645.
[2]: المسند الصحيح 110، جذوة الاقتباس 122، درة الحجال 94/1، والتعريف بابن خلدون 20، 45 وفيات الونشريسي 119، نيل الابتهاج 68، غاية النهاية 125/1- 138، الدرر الكامنة 289/1 ترجمة 733.
[3]: الجدوة 186/1، الدرة 262/1، نهاية الاندلس 468، فهرسة مخط خ.ق 79/2.
[4]: ازهار الرياض 355/2.

13- ابن ليون التجيبي

سعيد بن احمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بابن ليون التجيبي أبو عثمان المربي، الزاهد العالم الناصح الذي تزيد تآليفه على المائة. ومما يحكى عن بعض كبراء المغاربة أنه رأى رجلا طُوّالاً، فقال لمن حضر مجلسه: لو رآه ابن ليون لاختصره إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب وهو مولع بالتدوين والتأليف. وله شعر رائق ولد سنة 681 وتوفي سنة 750 هـ[1]

14- ابن شعيب القيسي

عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن محمد القيسي، أبو زيد وأبو القاسم من أهل المرية يعرق بابن شعيب، الفقيه الجليل المحدث الرواية الصالح والخطيب بجامع المرية. وقد لخض كثيرا من الكتب وله تآليف كثيرة حسنة، كان له إسناد واعتناء بالرواية وحط من الضبط. أخذ عن أبي عبد الله بن الكماد وأبي القاسم بن الشاط وابن الزبير ولد سنة 673 هـ وتوفي سنة 737 هـ[2].

15- ابن مسلم القصري السبتي

عبد الله احمد بن مسلم القصري السبتي، روى عن ابن رشيد رحلته وكتابه الأربعين[3].

16- ابن الملجوم

عبد الله احمد بن أبي العباس بن الملجوم. أجاز له ابن رشيد وسمع منه عام 710 هـ[4].

---

[1]: طبقات المالكية 519،النفح 58/8، 302/3، الدرر 86 ت 24 نيل الابتهاج ص: 123الدرة 292/3 ت 1374، لقط 240، اوصاف الناس 29.
[2]: درة الحجال 73/3، نيل الابتهاج165.
[3]: فهرسة المنتوري 63- 64.
[4]: فهرسة مخطوطات خزانة القرويين 272/1.

17- ابن أشعت الرعيني

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن اشعت الرعيني الصوفي الفقير الارشدوني من كورة رية، الخطيب القاضي الصالح الحسن السمت الحسن النفس والقاضي الوزير له حظ من الطلب والفقه والقراءة والفريضة توفي سنة 739 هـ[1].

18- أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي

عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي. وهو جامع رحلة ابن رشيد الشيخ الرئيس، والإمام المحدث المبرز في الأدب والتاريخ واللغة والعروض وغير ذلك وهو صاحب القلم الأعلى بالمغرب، شارك أستاذه، ابن رشيد في كثير من شيوخه في المغرب والمشرق كابن أبي الربيع، وابن منظور وابن الشاط والقللوسي وابن الدراج وابن المرحل والشرف الجزائري وابن الغماز والناصر المشذالي وابن هارون والخلاسي وابن الظاهري وابن عساكر وابن النحـــاس ولد سنة 676 هـ وتوفي سنة 749 هـ في الطاعون[2].

19- عتيق بن مقدم اللخمي

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي الغرناطي الزاهد الصالح الصوفي الفقير، له طريقة في الخصوصيات والتخلي والعزلة والانقطاع، وكان إلى ذلك حسن السمت مليح الظرف طلعة شارك ابن رشيد في صحبة ابن الشاط[3].

20- علي بن عتيق القرشي

علي بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي الغرناطي، الصالح الصوفي الفقير، وهو كلف بطريق الصوفية، شارك ابن رشيد في التلمذة علي بن

---

[1]: الاحاطة 459/3.
[2]: الاحاطة 11/4، شرف الطالب 80، الاعلام للمراكشي 388/8، بغية الوعاة: 116/2- 117، نثير الجمان 223.
[3]: الاحاطة 196/4.

أبي عبد الله بن صالح والخلاسي والدمياطي وابن دقيق العيد وابن الظاهري والغافقي وابن المرحل وأبي إسحاق التلمساني وغيرهم[1].

21- أبو الحسن بن الجياب

علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الانصاري رئيس الكتابة والإمام في الفرائض، المتوقد الذهن والعارف بالقراءات والحديث المتبحر في الأدب وعلوم اللغة والعربية والتاريخ، وهو ذو الوزارتين، شارك ابن رشيد في صحبة ابن الشاط وابن المرحل وابن الزبير وابن الغماز وابن صالح الكناني وابن هارون القرطبي والمشذالي ولد سنة 673 هـ توفي سنة 749 هـ[2].

22- ابوحفص القرشي العبدري

عمر بن احمد بن عمر القرشي العبدري، روى عن ابن رشيد كتاب الأربعين حديثا عن أربعين شيخا عن أربعين مصنفا لأربعين عالما من أربعين طريقا إلى أربعين تابعا عن أربعين صحابيا بأربعين اسما من أربعين قبيلا في أربعين بابا، وذلك قراءة لبعضها ومناولة لجميعها عن ابن رشيد عن أبي عبد الله بن صالح الكناني سماعا لجميعها عن ابن الابار، وحدثه بجميعها ابو بكر بن جزي عن أبي عبد الله بن رشيد عن ابن صالح[3].

23- أبو القاسم التجيبي

القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي صاحب الرحلة المشهورة (مستفاد الرحلة والاغتراب) وهو الذي ألف هذه الرحلة على طريقة رحلة ابن رشيد وزاد عليها فهرسا لشيوخه، شارك ابن رشيد في كثير من الاعلام المشارقة كابن دقيق العيد والشرف

---

[1]: الاحاطة 197/4.

[2]: الاحاطة 125/4، نثير الجمان 239، الكتيبة الكامنة 183، لسان الدين بن الخطيب 33- 35، درة الحجال 234/3ت: 1254، اللمحة البدرية 89، أوصاف الناس 57، نفح الطيب 223/3 و364/7-369-377، معجم المؤلفين 201/7 لقط الفرائد 202، نهاية الأندلس 465 إيضاح المكنون 481/1 مجلة الثقافة المغربية ع 4 صفر 1391 ص: 131 بقلم د. محمد كمال شبانة.

[3]: فهرست المنتوري 62.

الدمياطي والضيـــاء السبتـــي وابن النحاس وغيرهم. ولد سنة 670 هـ وتوفي سنة 730 هـ[1].

24- ابو عبد الله الآيلي

محمد بن إبراهيم بن أحمد الآيلي العبدري التلمساني، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره وأصله من شمال مجريط بالأندلس، كان أبرع أهل عصره في فنون الحكمة، وكان ينثال عليه الطلبة حتى انتشر ذكره أخذ عن ابن البناء وأخذ عنه ابن خلدون. ولد سنة 681 وتوفي سنة 757هـ[2].

25- ابن الصفار المراكشي

محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي، إمام القراءة في وقته، الف في ذلك تأليفا، وأحضره أبو عنان، وكان يعارضه القرآن وهو الذي غسله لما مات توفي سنة 761 هـ أو 762 هـ[3].

26- السياري البياني

محمد بن إبراهيم بن محمد السياري ويعرف بالبياني من أهل غرناطة، كان حسن الطريقة، واقرأ الفقه ودرسه عمره، وهو مشارك في العربية والفرائض والأصول، قرأ عليه ابن الزبير وابن الشاط وابن الزيات وتوفي سنة 753هـ[4].

27- أبو الحسن السبتي التلمساني

محمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني السبتي الدار الغرناطي الاستيطان، ويعرف بالتلمساني كان يقوم على كتاب الله حفظا وتجويدا طيب النغمة راويا محدثا إخباريا أديبا شارك ابن رشيد في الأخذ عن القبتوري وابي اسحاق الغافقي وابي عبد الله بن

---

[1]: مستفاد الرحلة 36. انظر مجلة العرب السعودية ج1، 2 س11. 1976 ص: 54.

[2]: البستان لابن مريم 214، نيل الابتهاج 252، الدرر الكامنة 375/3، التعريف بابن خلدون 21- 23، جذوة الاقتباس 302/1، ابن بطوطة 331 لقط الفرائد 208، اعلام الجزائر188 فهرست المجاري 261- 269 نفح الطيب 167/7، الاعلام للمراكشي 367/4.

[3] الدر الكامنة 881/4، نيل الابتهاج 254، الاعلام للمراكشي 410/4 ترجمة 609 لقط الفرائد 211، معجم المحدثين والمفسرين 29.

[4]: الديباج 296- 297، درة الحجال 49/2 ت: 2/49 ت: 494، الدرر الكامنة 295/3.

الخضار وابن الزبير والخلاسي وابن الغماز وابن أبي اللبيدي والشرف الدمياطي وابن النحاس وابن دقيق العيد صحب عبد المهيمن الحضرمي. توفي سنة 760هـ[1].

28- ابن عبد الملك الفشتالي

محمد بن احمد بن عبد الملك الفشتالي قاضي الجماعة بفاس الخطيب العالم المفتي المدرس، وهو شيخ أبي الوليد بن الأحمر[2].

29- أبو بكر بن الزيات الكلاغي

محمد بن أحمد بن علي الزيات الكلاعي. كان مشاركا في فنون الأدب والعربية فقيها فرضيا ذا معرفة بالوثائق والأحكام، واستعمل في السفارة، اقرأ ببلده بليش مدة فانتفع به[3].

30- ابن شقرال الطرسوني

محمد بن احمد بن فتوح بن شقرال اللخمي من سكان المرية وغرناطة، كان قيما بالعربية والنحو واللغة، مشاركا في الاصلين والقراءات. توفي سنة 729 هـ[4].

31- ابن جزي الكلبي

محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن جزي الكلبي الغرناطي صاحب كتاب القوانين الفقهية وغيره من الكتب المهمة وهو من ذوي الاصالة والنباهة في غرناطة، وكان جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس والمحاضرة، خطيب المسجد الأعظم ببلده، وله فهرست كبيرة اشتملت على جملة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، وله شعر حسن توفي سنة 741 هـ[5].

---

[1]: الاحاطة 200/3.
[2]: نثير الجمان 23، المسند الصحيح 75، بيوتات فاس الكبرى 68، أبو الوليد بن الأحمر 116.
[3]: الاحاطة 138/2، بغية الوعاة 131، نيل الابتهاج 240.
[4]: الاحاطة 23/3، فتح المتعال، بغية الوعاة 15، نيل الابتهاج 233، الدرر الكامنة 73/3 ت:22، درة الحجال 75/2، نفح الطيب282/3 ولقط الفرائد 184.
[5]: نفح الطيب 368/7 و28/8- 54، سلوة الانفاس 222/3، الكتيبة 46 ت 7 الديباج 295 فهرس الفهارس 224/1، طبقات المفسرين للداودي 447/2 إيضاح المكنون 144/1- 314- 447- 473، معجم المؤلفين 275/8. فهرس مخطوطات جامع القرويين 332/2- 511. والمجموعة النبهانية 326/4.

32- ابن قطبة الدوسي

محمد بن احمد بن محمد الدوسي الغرناطي بعرف بابن قطبة وهو شيخ الفقهاء والموثقين صدر أرباب الشورى، ونسيج وحده في التخلق والعدالة، مجبول على المشاركة، مطبوع على الفضيلة، أجازه جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة ولد سنة 669 هـ وتوفي سنة 738[1].

33- ابن خميس الانصاري

محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله.... بن أبي بكر بن خميس الانصاري الخطيب بمسجد الجزيرة الخضراء والقاضي بها، وكان مشاركا لما تغلب العدو على الجزيرة الخضراء انتقل إلى سبتة وخطب بها إلى حين وفاته. وقد قرأ ابن رشيد بغرناطة عند قدومه عليها، أجاز له ناصر الدين المشذالي، وأخذ بسبتة على أبي عبد الله الحضرمي وابن حريث وأبي القاسم التجيبي المحدث توفي سنة 750هـ[2].

34- أبو القاسم الشريف الحسني

محمد بن احمد بن عبد الله... ويرفع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان حامل راية البلاغة والبيان، رحلة الوقت مبرزا في علوم اللسان والبديع والعروض، وهو صاحب كتاب رفع الحجب المستورة ولد سنة 697 هـ وتوفي سنة 760 هـ[3].

---

[1]: الاحاطة 159/3، لقط الفرائد 191، نقير فرائد الجمان 318.
[2]: الاحاطة 184/3، لقط الفرائد 177.
[3]: الاحاطة 181/2، نيل الابتهاج 290، بغية الوعاة 16، نثير الجمان 231،فهرست الرصاع 119 قضاة الأندلس 171 ، ذكريات مشاهير كنون عدد 21، فهرست مخطوطات خزانة القرويين 522/1، النبوغ المغربي 211/1 و253/3، البحث العلمي عدد 26 ،1976 ص: 125 (سبتة الأسيرة)بقلم ذ. محمد بن تاويت وبن خلدون 401/7.

35- أبو بكر ابن شبرين

محمد بن احمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي بن شبرين، من أهل سبتة، وهو الشيخ الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البارع الخط، كتب لأمير المسلمين محمد بن نصر. سمع على ابن رشيد بغرناطة، وقرأ على المشذالي وأبي العباس الغبريني وابن الزيات وأبي القاسم الكلاعي وغيرهم ولد سنة 674 هـ وتوفي سنة 747 هـ[1].

36- محمد بن البردعي

وكان فقيها وردت إشارة أخذه عن ابن رشيد في كتاب ازهار الرياض وذلك بصدد مناقشة أبى العباس المقري نسخة من نسخة كتاب الشفا للقاضي عياض، والتعريف بأبي القاسم عبد الرحمان الازدي واتهام ابن رشيد وتلميذه البردعي بالقصور والغلط في إيراد بعض الأخبار[2].

37- ابن مشتمل البلياني

محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن يوسف الاسلمي ويعرف بابن مشتمل البلياني وهو من أهل المرية، وكان قيما على القراءات والنحو والأدب، وكان جيد الشعر والكتابة، ولي قضاء غربي مالقة وناب في شرقيها. أخذ عن ابن رشيد بغرناطة. وأجاز له ابن أبي الزبير وابن فضيلة وابن سيد بونة ولد سنة 668 هـ بشقر وتوفي سنة 736 هـ[3].

---

[1]: الاحاطة239/2، النفح 55/8، الكتيبة 166، الدرر 166/4، أوصاف الناس 37 اللمحة البدرية 47 وفيات الونشريسي 115 درة الحجال 86/2 جذوة الاقتباس 383/2، لقط الفرائد 199،معجم المؤلفين 317/8، النبوغ 169/2 و 73/3 سلسلة مشاهير كنون 17، والمرقبة العليا 153.

[2]: ازهار الرياض 14/3-16.

[3]: الاحاطة 364/2، الدر 62/2 ت 18، البغية 94، الدرة 76/2 ت 519 أوصاف 134، نيل الابتهاج 235، فهرست المنتوري 223.

38- ابن عثمان الرعيني السراج

محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الأندلسي الفاسي المعروف بالسراج، كان شيخا فقيها محدثا راوية مسندا، وهو الحاج الرحال توفي سنة 778 هـ[1].

39- أبو عبد الله الكرسوطي

محمد بن عبد الرحمان بن سعيد التميمي الكرسوطي من أَهل فاس، وهو نزيل مالقة، الشيخ الفقيه المتكلم الغزير الحفظ المحدث، قرأ على الجماعة بالمغرب والأندلس، وله تآليف حسنة وأخبار طريفة ولد سنة690 هـ[2].

40- أبو بكر بن منظور القيسي

محمد بن عبد الله بن منظور القيسي من أهل مالقة، وكان بصيرا بالشروط، ولي القضاء بجهات كثيرة، قرأ على ابن أبي السداد الباهلي والطنجالي وابن المرحل، ولبس خرقة التصوف من أبي عبد الله الاقشري الفاسي وقرأ على أبي الحكم من منظور ابن عم أبيه وشيخ ابن رشيد، وعلى أبي عبد الله بن الكماد[3].

41- العواد الرعيني

محمد بن عبد الولي الرعيني الأستاذ المعروف بالعواد، الصالح العابد عَلَمُ أعلام القرآن في التجويد، له معرفة بطرق روايته، أستاذ ابن الخطيب وجاره الالصق، لم يتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه قرأ على أبي جعفر بن الزبير وعلى أبي جعفر الجزيري الضرير، ولد سنة 680 هـ وتوفي سنة 750هـ[4].

42- أبو عمرو بن المرابط

محمد بن عثمان بن يحيى بن احمد بن عبد الرحمان بن ظافر الغرناطي وهو الذي حرج لشيخه ابن رشيد أربعين تساعيات، وفيها تخليط، فكأنه ليس بالمتقن رحل

---

[1]: نثير الجمان 23، فهرست المنتوري 55، الجذوة 235/1، الدرة 270/2، نيل الابتهاج 271- 272، اوصاف الناس 74، شجرة النور 236.

[2]: الاحاطة 130/3، النفع 204/8، الجذوة 222/1.

[3]: الاحاطة 170/2.

[4]: الاحاطة 33/3.

وسمع كثيرا من الشيوخ كالشرف الدمياطي والحافظ المزي، ولد سنة 680 هـ وتوفي سنة 752هـ[1].

43- ابن الفخار الإلبيري

محمد بن علي بن أحمد الخولاني أبو عبد الله، والفاضل التقي المنقبض، إمام اعلام البصريين من النحاة لا تشذ عنه حجة، وهو إمام حافظ، وكانت له إلى ذلك مشاركة في غير صناعة العربية كالقراءة والفقه والعروض والتفسير، وكذا مدرسا بالمدرسة النصرية وهي جامعة غرناطة التي أنشأها أبو الحجاج يوسف(733- 755) توفي الخولاني سنة 754 هـ[2].

44- ابن علي الحاج الجزولي

محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي، المعروف بابن أبي الحاج من أهل فاس، ووالي قضاء الجماعة بها، والخطيب بجامع القرويين، وكان من أولي المعرفة بالحديث بصيرا بالقديم من القريض والحديث، وأما الإنشاء فكان يصوغ منه ما يشاء، وهو من أهل البيت الرفيع والعلم والفقه، له رحلة إلى المشرق، توفي سنة 758هـ[3].

45- ابن أبي امامة الدكالي

محمد بن علي بن عبد الواحد بن أبي امامة الدكالي المغربي المصري، نزيل مدينة فاس، وكان أستاذا نحويا شاعرا مؤرخا، وهو المدرس الحاج الرحال كان يحضر مجلس ابن رشيد، وأخـــذ في رحـــــلته عن تقي الدين ابن دقيق العيد وغيره، توفي سنة 720 أو 723 هـ[4].

---

[1]: الاحاطة562/1، نيل الابتهاج 240، طبقات الحفاظ للسيوطي 527، ذيل تذكرة الحفاظ 359 الدرر الكامنة 229/4، خلاصة تاريخ الأندلس 128.

[2]: الإحاطة 35/3، لقطا لفرائد207.

[3]: المسند الصحيح 44- 45- 63، فهرست المنتوري 101، نفاضة الجراب 6- 63 جذوة الاقتباس 229/1-ت 201، نثير الجمان11، جنى زهرة الآس 64، بيوتات فاس الكبرى 50 ت 60، روضة النسرين 26، المرقبة العليا 135، شرف الطالب 82، لقط الفرائد 209، وفيات الونشريسي 122، البحث العلمي يناير 65 غ 4- 5 ص:89- 90: بقلم ذ عبد القادر – زمامة ...وانظر أيضا نيل الابتهاج 249 وجامع القرويين 493/2.

[4]: جذوة الاقتباس 295/1، جامع القرويين 485/2، معجم المحدثين 34.

46- ابن أسود الغساني

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن عمر اسود الغساني من أهل حمة وشق من عمل المرية الغربي، كان من أهل العلم والدين، ذا تحقيق بضبط القراءات وعناية بعلم العربية، ومشاركة في غير ذلك من علوم السنة والآداب وكان قد أقام مدة بسبتة يتعلم القرآن والعربية، ولد سنة 688 هـ وتوفي سنة 748 هـ[1].

47- البيـــــاسي

محمد بن علي بن يحيى بن علي بن سلمة الانصاري البياسي الغرناطي. أخذ الشاطبية عن ابن رشيد سنة 673 هـ[2].

48- الصـــــيرفي

محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي، وهو من أهل النبل والظرف. وكان قد كتب عن ابن رشيد[3].

49- أبو البركات البلفيقي

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي السلمي أبو البركات المشهور بابن الحاج، الفقيه القاضي الخطيب، وهو من بيت العلماء والمحدثين والحفاظ، ورجل الحديث وأسد رجاله، وعلامة العلم وفارس مجاله وهو أيضا من أعلام القضاء توفي سنة 373 هـ[4].

50- أبو عبد الله المعمم

محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم الساحلي الانصاري أبو عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمعمم، كان يشغل بالتجر حتى صار ذا جاه عريض، وكان مع ذلك

---

[1]: الاحاطة 96/3، جذوة الاقتباس 297/1.
[2]: غاية النهاية 209/2- 219.
[3]: نفاضة الجراب 67.
[4]: فهرست المنتوري 14- 17- 18- 28- 21- 28- 44- 50- 61، المرقبة العليا 165 طبقات المالكية 601، غاية النهاية 63/2، أوصاف الناس 28، نثـــير الجـــمان 156 الكتيبة الكامنة 127، نفح الطيب 391/7، الاعلام المراكشي 418/4 ت: 618.

مليح الشيبة بادي الوقار نبيه الرتبة، رحل إلى المشرق مرتين وخطب بسبتة وولد سنة 648 هـ وتوفي سنة 745هـ[1].

51- ابن بيبش العبدري

محمد بن محمد بن بيبش العبدري من أهل غرناطة، وكان متضلعا من العربية مشاركا، له معرفة بالطب، وكان يتعيش من التجارة بالكتب، سكن سبتة وأقرأ بغرناطة ولد سنة 680 وتوفي سنة 753 هـ[2].

52- أبـــو بكر البلوي

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي من أهل المرية صدر الوزراء، شائع المشاركة، وكان أحد الشيوخ من طبقته أديبا لوذعيا صاحب دعابة، تكررت له الولاية بالديوان غير مامرة توفي سنة 738 هـ[3].

53- ابن بكر الاشعري

محمد بن يحيى بن محمد بن بكر بن سعد الاشعري المالقي أبو عبد الله ويعرف بابن بكر، من ذرية أبي موسى الاشعري، كان من صدور العلماء واعلام الفضلا ء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا أصيل النظر واضح المذهب، له رحلة إلى المشرق لقي فيها جماعة من المصريين والشاميين والحجازيين كشرف الدين الدمياطي وغيره ولد سنة 674 هـ وتوفي سنة 741 هـ[4].

54- أبو زكرياء الدكالي السبتي

يحيى الدكالي السبتي أبو زكرياء الفقيه الحافظ الذكي كان زعيم أهل سبتة في الفقه ذاكرا للمسائل عارفاً بالأصول ذا حظ صالح من الأدب أنيق الخط صحيحه، قيل

---

[1]: الاحاطة 191/3.

[2]: الاحاطة 27/3، نفح الطيب 302/7و308/8، درة الحجال 39/2 ت: 485.

[3]: الاحاطة 218/3.

[4]: الاحاطة 176/2 ثم نيل الابتهاج 237، بغية الوعاة 114، المرقبة العليا 141- 147، لقط الفرائد 124، البحث العلمي 26. ص: 130 (سبتة الأسيرة) قسم 2. للأستاذ محمد بن تاويت.

ان خطه لا يحتاج إلى مقابلة وكان أبو زكريا ذكي الطبع ذا نوادر وطرف. وقد لازم ابن دقيق العيد وصحبه كثيرا، وكان يتكلم على العمدة من تأليفه[1].

55- أبو زكرياء ابن عزفة

يحيى بن عبد الله بن محمد بن احمد... ابن عزفة اللخمي أبو زكرياء وأبو عمرو كان قيما على طريقة أصحاب الحديث رواية وضبطا وتقييدا وتخريجا مع براعة في الخط، وكان شاعرا مجيدا مطبوعا، ذا فكاهة وحسن مجالسة، رأس بسبتة بعد إجازته البحر من الأندلس نائبا عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق له رحلة إلى المشرق. ومن شيوخه ابن الشاط وابن الزبير والمشذالي والقطب القسطلاني، ولد سنة 677 هـ وتوفي سنة 719 هـ[2].

56- أبو زكرياء ابن رشيد

يحيى بن محمد بن عمرو بن رشيد، روى عن أبيه ابن رشيد صاحب الرحلة التي نحن بصدد دراستها، كتاب الروض الانف للسهيلي عرضا من حفظه عليه عن أبي الحسن بن الخضار الكتامي[3].

57- أبو الحجاج الساحلي

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري المعروف بالساحلي من أهل غرناطة الفاضل الصالح الحسن المشاركة، كان نائبا في الخطابة وإماما، وهو صدر في حملة القرآن، حج ولقي المشايخ واعتنق الرواية والتقييد وانتفع بلقائه، ولد سنة 667 هـ وتوفي سنة 752 هـ[4].

58- أبو الحجاج المنتشافري

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن احمد بن احمد الجذامي المعروف بالمنتشافري من أهل رندة، كان حسن اللقاء والعشرة، ذاكرا للأخبار سيال الطبع كاتبا

---

[1]: درة الحجال 322/3 ت : 1448.
[2]: الاحاطة 340/4.
[3]: فهرست المنتوري ص: 68.
[4]: الاحاطة 404/4.

شاعرا طلعة، وكان قاضيا برندة ثم بمربلة ثم وفد على غرناطة وكانت له مشاركة في الأدب وإليه انتهت رئاسة الأحكام ومن نظمه:(الكامل)

أدب الفتـــــى في أن يــرى متيقظـا * * لأوامــــر مِنْ رَبِّــهِ ونـــــــواهي

فــإذا تمســـك بالهـــوى أهون به * * فالحبل منه إن تيـــقن واهـــــي

ومن شيوخه ابن خميس الجزيري وأبو عبد الله الحضرمي وأبو اسحاق الغافقي وابن الشاط والمشذالي وابو القاسم البلفيقي وغيرهم[1]،

[1]: درة الحجال 349/3 ت: 1488، الدرر الكامنة 479/4، الاحاطة، 377/4 نفح الطيب 359/10، أوصاف الناس 43.

المبحث الثامن من مكتبة ابن رشيد

إذا أشرنا إلى بعض ذخائر مكتبة ابن رشيد، فإننا لا نريد من ذلك إحصاء لجميع كتبها، ولكننا نقصد بذلك أن نأتي على ذكر بعض أصنافها وأنواعها وتعيين شيء من ذوقه ومشربه فيها، لأن مكتبته في الحقيقة صورة لعقله وفكره وشخصيته. فقد تكون تلك المكتبة زاخرة بكثير من النوادر التي لا يحصيها العد، وذلك بحكم أنه كان على اتصال وثيق بمكتبات شيوخه وأصحابه الاجلاء، وكان يستنسخ منها ويخبرونه فيما شاء من نوادرها أو يستميلهم في كتبها عنهم، ثم أنه كان يتحين أيام البيع المشهور في أسواق الكتب ليشتهي منها نوادر ونفائس واعلاقا، ولهذا كله أيضا لابد أن تكون مكتبته متنوعة المعارف والفنون لتشتمل على كتب التفسير والحديث والفقه وما يتصل بالدراسات الإسلامية خاصة، كما كان يوجد فيها كتب الأدب واللغة بصفة عامة. وأن معنى قولنا مكتبة لا نعني بذلك التحديد والإحصاء، وإنما نقصد به ما أشار إليه ابن رشيد نفسه في سياق الرحلة بقوله"دفع إلي فلان من..."أو"كتبته" أو"نقلت منه" أو ما أشبه ذلك من التعابير.

وإليك بعض أسماء تلك الكتب مرتبة على حروف المعجم.

- **الآيات الكبرى للفخر بن الخطيب:**[1] لما التقى ابن رشيد بالشرف الجزائري بتونس دفع إليه نسخة منه وكان مكتوبا على ظهره ما نصه: قرأ علي هذا الكتاب الإمام المحقق العلامة شرف الدين الجزائري، وكرر قراءته قراءة تدبر وتحقق[2]. ويسمى هذا الكتاب أيضا الآيات البينات[3]. وقد روى ابن رشيد عن أبى القاسم بن زيتون كتاب بلوغ الأماني والغايات في شرح الآيات البينات للفخر بن الخطيب مما شرحه وأوضحه الإمام سراج الدين الارموي[4].

---

[1]هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الطبرستاني(543- 606).ووفيات ابن خلكان 248/4- 252.

[2]: الرحلة 59/6.

[3]: الرحلة 15/6 وهدية العارفين 107.

[4]: الرحلة 15/6.

- **أمالي نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الزاهد**: كان السفر قد أعجل ابن رشيد عن نقل جزء منه بجملته. وقد سَمِعَهُ ابن رشيد أيضا على أبي الفضل الدميري وأجازه له ولأولاده، وذلك إثر صلاة الجمعة 26 رجب 684 هـ بفسطاط مصر[1].

- **الاقتراح في بيان الاصطلاح**[2]: وهو في علم الحديث من تأليف ابن دقيق العيد، وهو مما أجازه لابن رشيد[3].

- **البدر المنير في علم التعبير**[4]: انظر كتاب المختصر الوجيز بعد.

- **تحفة عيد الأضحى**:لأبي القاسم زاهر بن طاهور بن محمد الشحامي النيسابوري[5]. وهو جزء حسن فيه اسانيد، وكان لابن رشيد منه نسخة[6].

- **التكملة في وفيات النقلة**[7]: لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم المنذري. ناول جمال الدين بن درادة لابن رشيد هذا الكتاب وهو في مجلدين، وكان بخط هذا الشيخ، وقد قال له: "اروه عني بحق املاء مؤلفه علي"وقال ابن رشيد:"كانت مناولته لي الكتاب المذكور في 23 رجب 684 هـ بمسجده بالقاهرة وكتب الكثير بخطه وهو حسن الوراقة[8].

- **تعليق** لأبي الطاهر السلفي في ذكر من اسمه ذو النون المصري: نقل ابن رشيد من خط وقف فيه على تعليق لأبي الطاهر السلفي أفاد فيه بمن اسمه ذو النون المصري[9]، وهم آباء الفيض ذو النون بن إبراهيم الاخميمي ذو الاشارات والرموز الشريفة، وذو النون بن احمد بن صالح بن عبد القدوس الاخميمي المقرئ المصري، وذو النون بن

---

[1]: الرحلة 105/3.
[2]: كشف الظنون 135/1، وهوكتاب في أصول الحديث، مختصر.
[3]: الرحلة 61/3 و64/5.
[4]: الرحلة 36/7 وكشف الظنون 231/1.
[5]: وهو محدث خراسان روى عن الكنجرودي والبيهقي، رحل في طلب الحديث وخرج نحوا من ألف مجلس ولكنه كان يخل بالصلاة فتركه جماعة توفي سنة 533هـ، شذرات الذهب 102/4.
[6]: هدية العارفين: تحفة عيد الفطر لأبي القاسم زاهر بن طاهر.
[7]: الرحلة 29/5، وكشف الظنون 2019/2 وهدية العارفين 586/1 وهو ذيل على وفيات ابن الفضل، حققه أستاذ عواد معروف. النجف 1968- 1969.
[8]: الرحلة 100/3.
[9]: الرحلة 87/3.

احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المصري الاخميمي المعروف بالقصار، وذو النون بن يحيى بن علي الاخميمي، وأبو بكر ذو النون بن سهل الاسنائي المصري. وزاد ابن رشيد اسم ذي النون ولكن ليس بالمصري وهو ذو النون بن محمد بن عامر الصائغ الراوي عن أبي احمد العسكري كتاب الأمثال المشهور[1].

- **الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد بن حميد:** وجميع الموافقات[2]، وقد قرأها ابن رشيد على شيخه أبى محمد القرشي الهاشمي وضاق الوقت عن تعليق جميع الجزء، ونقل منه شيئا من الأحاديث الثلاثيات والموافقات في اسم شيخه بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس[3].

- **جامع الترمذي:**قرأه ابن رشيد على محمد بن الخيمي الشاعر الصوفي في مجالس آخرها يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من رجب سنة 684 هـ وذلك بمشهد الحسين رضي الله عنه[4]. ونقل ابن رشيد كتابه من نسخة بخط أبي الفتح الكروخي[5].

- **جزء** فيه أحاديث عوال خماسيات الاسناد تخريج أبي جعفر يحيى بن عبد الله المكي من أصول سماعات الشيخ الإمام أبى الحسين احمد بن المنقور وقد كتب ابن رشيد ذلك الجزء بجملته عن شيخه ثابت بن علي العسقلاني[6].

- **جزء** فيه أحاديث عوال مخرجة من مسند الشافعي قرأه على شيخه أبي صادق القرشي، وضاق الوقت عن نسخ الجزء بكامله[7].

- **جزء** فيه أحاديث مصافحات للائمة قرأه ابن رشيد على شيخه أبي صادق القرشي يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ، وجملتها سبعة أحاديث. وقد ختم الجزء بحكاية

---

[1]: الرحلة 87- 88.
[2]: كشف الظنون 522/1: هو عبد بن حميد الكشي توفي سنة 249.
[3]: الرحلة 90/3.
[4]: الرحلة 44/3.
[5]: هو أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل القاسم المجاور بمكة(462هـ 548 هـ) معجم البلدان، ياقوت الحموي 458/4.
[6]: الرحلة 84/3.
[7]: الرحلة 72/3.

وإشارة على العادة، وكتب ابن رشيد منه الجزء بكماله، ووقع له فيها وهم في حديثين منها أوردهما ابن رشيد في رحلته ونبه على ذلك الوهم[1].

- **جزء** نبيل لابن الصلاح تكلم فيه على حديث الرحمة المسلسل وطرقه وقوائده، وهو جزء مملوء فوائد وغرائب بالنفع عوائد[2].

- **جزء** صنفه أبو اليمن بن عساكر خصه بالنعل الكريمة. وكانت بين هذه النسخة والنسخة التي نقلها ابن رشيد بعض اختلاف وكانت تلك النسخة مسموعة عليه[3].

- **جزء** من فوائد أبى الحسين بن بشران، سمع ابن رشيد على الخطيب تقي الدين أبى عبد الله القسطلاني خطيب جامع عمرو بن العاص قطعة من الجزء الثاني من تلك الفوائد، وناوله جميع الجزء بحق سماعه لجميعه من سبط السلفي بسنده[4].

- **جزء منتقى من الغَيْلاَنِيَّات:** لما أراد ابن رشيد السفر إلى الشام كتب له عز الدين الحراني كتبا إلى أمراء الطرائق وإلى بعض أهل دمشق فانتفع بكتبه، ودفع له جزءا جبيرا انتقاه من الأجزاء المعروفة بالغيلانيات ليسمعه على أصحاب ابن طبرزد[5] فبلغ الغرض من ذلك[6].

- **جزء** منتقى من خط صاحب ابن رشيد سعد الدين مسعود الحارثي الحنبلي من مسند الإمام الشافعي، وقد كتبه من خط منتقيه[7].

- **حديث ابن علوان:** وهو أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي الإمام العالم، كتب ابن رشيد هذا الجزء بكماله وعارضه، وهو جزء حسن[8].

---

[1]: الرحلة 75/3- 76: والحديثان هما: العائد في هبته كالعائد في قيئه، وحديث غسل الجمعة واجب.
[2]: الرحلة 51/3.
[3]: الرحلة 45/5 وانظر أيضا أزهار الرياض 261/3- 262.
[4]: الرحلة 83/3.
[5]: ابن طبرزد هو أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر... موفق الدين المحدث البغدادي المشهور ويعرف بالدارقزي: ابن خلكان 452/3 ت: 499 وشذرات الذهب 26/5.
[6]: الرحلة 97/3، وانظر عن الغيلانيات كشف الظنون 1214/2.
[7]: الرحلة 82/3.
[8]: الرحلة 26/5.

رسائل ابي عبد الله المريي واستفتاؤه: كتب ابن رشيد عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الانصاري المريي أبوه المصري الدار بعض رسائله، ومن ذلك استفتاء كان أنشأه بسبب عرض له وأمل اعرض عنه فما بلغ منه ما أمله وقد أورده في الرحلة[1].

- **روح الشحر وروح الشعر:**لأبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن الجلاب الفهري: لما اتصل ابن رشيد بأبي الحسن بن رزين اعاره كتاب روح الشحر بخطه في مسودة تخريجه، ونقل منه فوائد، وأعاره كذلك كتابه الذي عارض به روح الشحر وسماه جنى الزهر وسنى الدرر وهو اكبر منه حجما ونقل منه فوائد[2].

- **السداسيات والخماسيات** المخرجة لأبي محمد بن عتاب: وقد قرأها ابن رشيد على أبي الحسن الغرافي وهو يمسك على أصل سماعه ويعارض به نسخته منها بتاريخ 25 جمادى الأخرى 684 هـ[3].

- **كتاب القربة** لابن بشكوال: نقلها ابن رشيد من اصل حصلت فيه شروط النقل بالإجازة[4].

- **اصل عتيق من كتاب البيوع:** كان الشيخ أبو بكر بن حبيش قد سمع صحيح البخاري في اصل عتيق من رواية أبي ذر الهروي بخط الصمغ بن راشد بن اصبغ اللخمي الذي كتبه بمكة شرفها الله وسمع فيه على أبي ذر. ولما صار ذلك الأصل إلى ابن رشيد حمد الله تعالى على حصوله عليه لانه أصل نفيس نادر[5].

مجالس أمالي الجُرْجَاني اليزدي التقى ابن رشيد بابي بكر القسنطيني في 25 رجب 684 هـ قرأ عليه الجزء المحتوي على المجالس الأربعة من امالي الجرجاني رواية الرئيس أبي عبد الله القاسم بن الفضل عنه وكانت لابن رشيد منه نسخة هي اصل سماع أبي علي الحسن بن احمد بن يوسف الاوقي شيخ أبي بكر القسنطيني[6]. --

---

[1]: الرحلة 70/5.
[2]:الرحلة 67/6، انظر في تحقيق اسم هذا الكتاب نفح الطيب 2: 320 و172/4- 335- 472 خاصة و ج: 470/5- 544 خاصة. والشحر بكسر الشين المعجمة هو الشط: لسان العرب مادة شحر.
[3]: الرحلة 13/3.
[4]: الرحلة 7/3 وقد طبعت أخيرا.
[5]: الرحلة 21/6.
[6]: الرحلة 36/3.

- **المختصر الوجيز** المسمى بالبدر المنير في علم التعبير لجمال الدين أبي الفرج المقدسي وكان قد دفعه إليه بالإسكندرية وانتسخ له عنده وأذن له في حمله وجلبه إلى تونس[1].

- مشيخة أبي الصفاء خليل المراغي: التي أخرجها له صاحب ابن رشيد سعد الدين الحارثي، وقد قرأ عليه منها وضاق وقت السفر عن استيفائها نسخا وقراءة ثم على منها ما تيسر منه[2].

- **مطالع الأنوار** على صحيح الآثار، فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري. لما اتصل ابن رشيد بصاحبه ابن الحكيم برندة عرض عليه خزانة كتبه مخيرا له فيما يقع عليه اختياره لينعم بهبته له فاختار كتاب **مطالع** الأنوار[3].

- **المعجم في أصحاب القاضي أبى علي الصدفي:** لأبي عبد الله ابن الابار وقد قرأه ابن رشيد **على** أبي الحسن بن رزين في الأصل الذي كتبه ابن الابار بخطه. ونقله من خط المحدث الفاضل أبي عبد الله بن الجلاب[4].

- **كتاب معرفة أنواع علم الحديث** لابن الصلاح وقد كتب عليه متمثلا :

لكل اناس جوهـــر متنـــافس* * وأ**نت** طراز الآنســـات الملائح[5]

- **مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد** في الانتصار لابن الابار في قوله:

ادرك بخيلك خيل الله أَنْدَلُسَا (القصيدة)

وقد جمع في ذلك الأديب التاريخي أبو الحجاج البياسي مجموعا حسنا سماه زجر النابح وردع الجامح. وقف عليه ابن رشيد وكتبه وهو جزء مفيد[6].

---

[1]: الرحلة 36/7.
[2]: الرحلة 48/3 مكرر.
[3]: الرحلة 59/7: ورد هذا الكتاب باسم مطالع الأنوار وذلك في الهامش فقط ولكن لم يَنْسُبْهُ، ويُرَجَّحُ أن يكون كما أسميته أعلاه وقد اختصره الفقيه ابن قرقول من كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض. وانظر كشف الظنون ج: 496/4 و497. وذكر لصاحب بغية الملتمس كتاب مطلع الأنوار لصحيح الآثار انظر ص: ز وكتاب مطالع الأنوار مخطوط في خزانة الجامع الكبير بمكناس في خط جميل رائع.
[4]: الرحلة 69/6.
[5]: الرحلة 51/3.
[6]: الرحلة 24/7.

المبحث التاسع تآليف ابن رشيد

كانت تآليف ابن رشيد كثيرة ومتنوعة، منها ما هو في الحديث النبوي الشريف، وما هو في الأدب والنقد والبلاغة وفي العروض والنحو والأحكام والعقائد وفي الفهارس والمشيخات.

وفي هذه التآليف ما هو في مجلدات عدة وما هو في مجلد واحد، وفيها الخطب والرسائل والردود. وفيها ما هو تام وما لم يكمله، وفيها الموجود والمفقود.

ويتضح لنا من كثرة تآليفه انه كان مشاركا ذا ثقافة موسوعية على طريقة كثير من المؤلفين في القرنين السادس والسابع خاصة.

ومن كتبه التي تَعَرَّفْنَاهَا من خلال تراجمه وما ورد من أخبارها في رحلته وفي الكتب والفهارس ما يلي:

أ- في الحديث:

أ- رحلته الموسومة بملء العيبة بما جمع من بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، وهي مملوءة بالأحاديث وذكر الرجال والاسانيد العديدة التي روى بها أمهات كتب هذا الفن. فلقد ذكر فيها جمعا غفيرا من الرواة والمسندين والمحدثين، وضمنها قدرا حسنا من الأحاديث ومسائل من النقد والجرح والتعديل وهذا كله يجعلها مصدرا مهما في هذا الباب.

ب- افادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح وهو مطبوع بتحقيق الدكتور الحبيب بلخوجة

ج- السنن الابين والمورد الامعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنن، وهو مطبوع كذلك بتحقيق للدكتور الحبيب بلخوجة وذلك سنة 1977.

د- ترجمان التراجيم في إبداء مناسبة تراجم البخاري ولكنه لم يكمله ويستمد منه كثير من شراحه. قال الكتاني في فهرس الفهارس: أطال فيه

النفس في إبداء المناسبات في تراجم البخاري[1].

هـ- المقدمة المعرفة في علو المسافة والصفة[2].

و- ايضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب[3].

ز- الصراط السوي في اتصال سماع جامع الترمذي[4].

ح- جزء فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان[5].

ط- استدراكات كثيرة على تراجم كتاب البخاري لناصر الدين ابن المنير أغفلها أواسشكلها فتركها فنازعه ابن رشيد في بعض مطابقاته التي أبدى فيها ابن رشيد ما يسلمه المنصف ولا ينكره إلا المتعسف[6].

ي-كتاب الأربعين حديثا، وقد قرأه أبو زكرياء السراج[7] صاحب الفهرست.

ب- تخريجات في الأحكام: بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو أَلَمَّ بِهِ فَمَا تمه ولا كَمَّلَهُ:

جاء في الرحلة[8] أن لأبي محمد عبد الحق كتاب الأحكام الشرعية في ست مجلدات، وقد وضع عليه ابن القطان(ت 628 هـ) كتابه المسمى بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، وأشار الذهبي إلى حفظه وقوة فهمه، ولكنه وصفه بالتعنت وعدم الإنصاف، وأشار الكتاني أيضا في الرسالة المستطرفة[9]. إلى تعقب هذا الكتاب في توهم عبد الحق تلميذه أبو عبد الله المواق في كتابه الذي سماه المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال

---

[1]: الدرر الكامنة 229/4 وأزهار الرياض 350/2 ودرة الحجال 201/4 وفهرس الفهارس 332/1.
[2]: ازهار الرياض 350/2، الوافي بالوفيات 284/4، والاعلام للمراكشي 252/3.
[3]: الوافي بالوفيات 284/4:(ايضاح المذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم الصاحب).
[4]: الوافي بالوفيات 284/4.
[5]: نفسه.
[6]: الرحلة 95/3، وانظر فوات الوفيات 194/2 ترجمة 55.
[7]: فهرست المنتوري 63.
[8]: الرحلة 11/5.
[9]: الرسالة 178، وقد نبه صاحب الرسالة على أن المواق هذا ليس بشارح مختصر خليل خلافا لما قد يتوهم. وانظر ترجمة ابن المواق في الاعلام للمراكشي 234/4، ولا حظ نسبة كتاب بغية النقاد إلى ابن المواق في كتاب كشف الظنون 251/1.

وما انضاف إليه من تتميم وإكمال، وقد عجب القصار من إدراكه وبراعة نقده إلا انه اخترمته المنية ولم يبلغ من تكميله الامنية، فتولى تكميل تخريجه مع زيادات تتمات وكتب ما تركه المؤلف بياضا أبو عبد الله ابن رشيد فسماه بغية النقاد النقلة... ويظهر ابن رشيد في هذا الكتاب محدثا ناقدا عارفا بالرجال وعلم الجرح والتعديل[1].

ج: في العقيدة:

إماطة الاذية الناشئة من سباطة الشوذية[2]

د: في الأدب والبلاغة والنقد

أ- أحكام التأسيس في أحكام التجنيس[3]

ب-إيراد المرتع المريع لرائد التسجيع والترصيع، وهو الإضاءات والانارات في البديع[4]. وهو ينظر إلى كتاب المنهاج لحازم.

ج- حكم الاستعارة[5].

د- ولابن رشيد خطب وقصائد كثيرة[6].

هـ ولا نغفل ايضا عما تشتمل عليه الرحلة من النصوص الأدبية كالقصائد الشعرية والمناقشات في مسائل البلاغة وغير ذلك من الرسائل.

---

[1]: وقد عثر الأستاذ الباحث الشيخ محمد إبراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على قطعة يفترض أنها من كتاب ابن رشيد، ورقمها بالاسكريال هو: 1749. وانظر كذلك كتاب علم العلل في المغرب من خلال بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتب الأحكام لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، وهي أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية العليا من إعداد الأستاذ إبراهيم بن الصديق تحت إشراف فضيلة فاروق النبهان(1981) وانظر كذلك الحركة العلمية في سبتة من خلال القرن السابع وهي رسالة تقدم بها الأستاذ إسماعيل الخطيب تحت إشراف فضيلة الدكتور عبد السلام الهراس لنيل دبلوم الدراسات العليا لسنة 1980- 1981.

[2]: الذيل والتكملة سفر 1 قسم 1 ص: 44، وانظر عن الشوذية محاضرة لفضيلة محمد بن شريفة، وانظر عن الشوذي كتاب البستان لابن مريم ص: 68.

[3]: أزهار الرياض350/2، والاعلام للمراكشي 252/3.

[4]: ازهار الرياض 350/2 ودرة الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي 252/3، وانظر مقدمة السنن الابين للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ص: 57.

[5]: بغية الوعاة 85، والوافي بالوفيات 284/4.

[6]: الوافي بالوفيات 284/4، لم أعثر على شيء ذي بال من خطبه، وأما شعره فقد مر الكلام عليه.

و- وله شروح وتعليقات على كتب الضبي وابن الابار[1].

هـ: في العروض:

أ- وصل الفوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي شرح ما فيه كتاب القوافي لشيخه أبي الحسن حازم القرطاجني[2].

ب- جزء مختصر في العروض، وقد أورده في الصفحات الأولى من الجزء السادس من رحلته مُعَرِّفًا فيه بأَلْقَابِ الزحاف والعلل[3].

و: في النحو:

أ- تقييد على كتاب سيبويه، وقد كتبه أيام قراءته على الأستاذ أبي الحسين بن أبى الربيع بسبتة.[4]

ب- تلخيص القوانين في النحو، وهو تلخيص لكتاب أستاذه أبي الحسين بن أبي الربيع كذلك[5].

ز:في الفهارس والمعاجم

1- تعد رحلته نوعا من أنواع الرحلات المصنفة في الفهارس زيادة على أنها رحلة علمية.

2- برنامج أبى الحسين بن أبى الربيع وهو تاريخ شيوخه ودراسته لتلميذه ابن رشيد[6].

3- الاستدعاء وفي ذكر لكثير من شيوخه مختصرا من الرحلة[7]

---

[1]: المراد بالضبي أبو المطرف بن عميرة، انظر تاريخ الفكر الأندلسي لا نخل بالنثيا ص: 318 وله في الرحلة شيء كما سيظهر في دراستها.

[2]: ازهار الرياض 350/2، ودرة الحجال 201/4 والاعلام للمراكشي 252/3

[3]: ازهار الرياض 2: 350درة الحجال 201/4 والاعلام للمراكش. 252/3 وانظر مقالا كتبه الأستاذ سعيد اعراب بعنوان أبو الجيش الأنصاري وعلل الاعاريض دعوة الحق سنة 12 عدد 3 و5.

[4]: درة الحجال 201/4 الاعلام للمراكشي 252/3.

[5]: بغية الوعاة 85.

[6]: تاريخ الادب لبروكلمان ج: 367/5، وقد أشار إلى المتحف البريطاني رقم 665. والاسكريال رقم 1785 رقم 3.

[7]: خزانة القرويين مخطوط رقم 7(خروم). وقد حقق الطالب عبد اللطيف جيلاني استدعاءات الإجازة لابن رشيد وناقش أطروحته يوم 2003/1/16 بإشراف الدكتور محمد بن عبد الرحمان الصقلي الحسيني(كلية الآداب، فاس) شعبة الدراسات الإسلامية.

القسم الثاني

دراسة الرحلة

المبحث الأول

وصف أجزاء الرحلة

موضوعها

خط سير ابن رشيد فيها

1- وصف أجزاء الرحلة

لقد اختلف الذين ترجموا لابن رشيد والذين تحدثوا عن رحلته في تحديد عدد أجزائها، ولم يقر رأيهم في ذلك على شيء ثابت، ولعل مرد ذلك إلى أن بعضهم سمع عنها، وبعضهم الآخر قرأ أجزاء منها، وفيهم من انتفع بها بعد أن اطلع عليها كلها ونقل منها. وهناك سبب آخر للخلاف، وهو أن بعضهم قد يكون اطلع على الأصل ومنهم من اطلع على نسخ منقولة من الأصل، ومن الطبيعي أن تختلف النسخ في عدد أجزاء كل منها كما يقع ذلك عادة في الكتب القديمة وحتى الحديثة التي تتعدد طبعاتها ويختلف إخراجها ونشرها.

أما عبد الحي الكتاني فقد بلغه أن بمكتبة الاسكوريال ببلاد اسبانيا عدة مجلدات منها ما هو بخط المؤلف وربما يخرج من مجموعها نسخة كاملة أو أكثر[1]. وأما أبو سالم العياشي فقد رأى منها عدة أجزاء بمكة عند شيخه أبي مهدي الثعالبي، وكانت في.وقف المغاربة برباط الموفق[2]. وأما أبو العباس المقري[3] وصلاح الدين الصفدي[4] وابن القاضي[5] فيذكرون أن فيها أربعة أجزاء. واما ابو المحاسن الحسيني[6] وخير الدين الزركلي[7] فيذكران أنها ستة مجلدات وقد وقف الحسيني عليها بمكة وعلق منها فوائد واستفاد منها الحديث المسلسل بالنحاة. وأما عبد السلام بن سودة فيقول ان فيها سبعة اجزاء ولا يعرف بالضبط وجود نسخة كاملة بالمغرب[8].

ومهما يكن امر اختلاف هذه الآراء، فإننا لا نَرُدُّ رواية هؤلاء ولا نفندها وذلك بحكم ان الرحلة كانت مطلوبة مرغوبا فيها من علماء المشرق والمغرب على السواء، ولا شك في أن بعضهم انتسخها لنفسه أو طلب انتساخها من غيره.

---

[1]: فهرس الفهارس 332/1: وقد أكد ذلك المرحوم الأستاذ العلامة محمد بن تأويت الطنجي في حديث خاص مع بعض أساتذتنا.

[2]: رحلة العياشي 238/2.

[3]: ازهار الرياض 350/2.

[4]: الوافي بالوفيات 284/4.

[5]: درة الحجال 97/2.

[6]: ذيل تذكرة الحفاظ 355.

[7]: الاعلام قاموس تراجم 7 ص: 205.

[8]: دليل مؤرخ المغرب الاقصى 372/2.

وبهذا يستطيع ان يجعل منها ما شاء من الاجزاء أو المجلدات: اربعة أم ستة أم سبعة، ولكننا متأكدون بأن في هذا اعتسافا ظاهرا على ما أراده ابن رشيد أن يكون شكل كتاب رحلته وهيئته وتقسيمه، وذلك لأن بين ايدينا نسخة من جمع صاحبه وتلميذه الفقيه ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي الذي قابل الرحلة وضبطها مع مؤلفها ثم اكتسبها لنفسه واكتتبها ولم يحملها أحد عنه حتى حملها ولا عرف أحد من الفضلاء سواه ما عرف من فضلها[1]. فقد جعلها ابن رشيد سبعة أجزاء وكذلك جمعها صاحبه الحضرمي في سبعة أجزاء كاملة. ولأجل التأكد من ذلك لابد من اعطاء نظرة موجزة عن كل جزء وفحواه. فما كان موجودا منها يدل على نفسه وما كان مفقودا دلت عليه إشارات العلماء والأصحاب والطلبة والنقلة في مختلف الاعصار والامصار.

أ: القسم الأول من الجزء الأول (أو الجزء الأول) وهو مفقود:

رأى ابن رشيد أن يكون الجزء الأول قسمين، فأما القسم الأول منه فمفقود وأما القسم الثاني الذي يدل عليه فموجود، ويظهر ذلك من خلال ما كتب عليه(الثاني من الأول). وبما أن هذا الجزء في قسمين فإنه يتخرج من الرحلة سبعة أجزاء كاملة.

ولما كان هذا القسم مفقودا، فإننا نجهل أخبار انتقال ابن رشيد من المرية إلى تونس، وكيف نظم هو وصاحبه ابو عبد الله بن الحكيم رحلتهما، وقد يكون المؤلف مشيرا في هذا الجزء إلى المنهج الذي سار عليه في الرحلة، وضابطا في عدد أجزائها وما تحتوي عليه[2]. ويحتمل أيضا أن يكون متفقا مع صاحبه على الاستفادة من الوقت وذلك بالاتصال بأكبر عدد ممكن من الشيوخ المنتشرين في العالم الإسلامي آنذاك، ولهذا سبقه ابن الحكيم إلى الحرمين، فلقي شيوخا لم يتسن لابن رشيد الاستفادة منهم. ونجده مثلا يروي لابن رشيد كثيرا من الانشادات التي تلقاها من أبي اليمن عبد الصمد بن عساكر رُحْلَة الوقت في الحرم الشريف. وبفقدان هذا القسم نجهل كذلك ما إذا كان قد رسا في ثغور شمال افريقيا ومدنه في المغرب والجزائر من غير تلمسان وبجاية وبونة التي زارها فعلا ، ونحن نعلم أن هناك بعض المراسي المشهورة التي كانت تستقبل الرحالة الواردين

[1]: الرحلة 4/6.
[2]: سنلاحظ أنه ذكر شيئا من ذلك في الجزء السابع (انظر التعريف به في هذا البحث).

عليها من الأندلس والمغرب كقسنطينة وهنين[1]، ولكن الأخبار المبثوتة في بعض التراجم تدلنا على أن ابن رشيد كان في تلمسان التي لقي بها أبا عبد الله محمد بن ابي العيش الخزرجي وابا بكر بن خطاب، وانه زار كذلك مدينة بجاية التي لقي بها عبد العزيز بني مخلوف المعروف بابن كحيلا ، وابا عبد الله الكناني الشاطبي المعروف بابن صالح وابا علي منصورا المشذالي[2]، ولقيه فيها ابو البقاء خالد البلوي صاحب تاج المفرق[3]. وقد حصل كل ذلك في الصدور[4] أما مدينة بونة فقد زراها في الورود ولقي الرئيس الفحصبلي[5].

ولأجل هذا لا يسعنا إلا إلقاء نظرة عامة عن الشيوخ المشهورين في هذا العصر لأنهم يشكلون الهيئة العلمية التي كان لها اتصال وثيق بتونس والاندلس من جهة وبغيرها من العواصم الإسلامية في الشرق من جهة اخرى وبذلك نستطيع أن نقول بان ابن رشيد لابد أن يكون قد اتصل بهم أو بأكثرهم أو أن يكون أخذ عنهم أشياء كثيرة تتعلق بالحديث والأدب والفقه. وغير ذلك، لأن مدينتي تلمسان وبجاية خاصة كانتا زاخرتين بالعلماء والشيوخ. وبإلقاء نظرة عامة على عنوان الدراية للغبريني ورحلة العبدري وكتاب البستان لابن مريم وكتاب تاريخ الجزائر العام ومعجم أعلام الجزائر وغيرها، نستطيع أن نتعرفَ بعضَ أولئك الشيوخ ومنهم: ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخزرجي الشاطبي(ت: 691 هـ)[6]، وابو القاسم السجلماسي[7]وابو إسحاق بن بهلول الزواوي (ت: 686 هـ)[8]وابو محمد بن عثمان التميمي(ت:720)[9] وابويوسف الزواوي المنجلاتي(ت: 690)[10] وابو الحسن عبيد الله بن يحيى الازدي (ت: 691)[11] وابو علي بن باديس القسنطيني الذي التقى به العبدري[12] وابو العباس

[1]: رحلة البلوي تاج المفرق 53/1 وانظر دعوة الحق عدد 2 سنة 3 بقلم الأستاذ محمد الفاسي وكذا البيئات العلمية والفكرية للدكتور بلخوجة ص:1-2.
[2]: ازهار الرياض 348/2.
[3]: تاج المفرق 150/1.
[4]: وانظر من ترجم لهم في بجاية وتلمسان بعد.
[5]: ستأتي تراجم أولئك وغيرهم بعد.
[6]: عنوان الدراية 126.
[7]: نفسه 132.
[8]: نفسه 182.
[9]: نفسه 214.
[10]: عنوان الدراية 226، ومعجم اعلام الجزائر 205.
[11]:عنوان الدراية 121.
[12]: رحلة العبدري 32، معجم 68 نيل الابتهاج 109.

الملياني(ت:715 هـ)[1] الذي فر إلى المغرب فأكمل دراسته بمراكش وأغمات وأحمد بن عمران البجائي الذي أخذ عن منصور المشذالي شيخ ابن رشيد[2] واحمد بن إبراهيم البجائي(ت: 704 هـ)[3] ومحمد ابن سليمان الزواوي (ت: 717 هـ)[4] وعبد الرحمان بن محمد القسنطيني الفقيه العارف بالأنساب والتاريخ[5] وابو الحسن علي بن عبد الكريم التلمساني[6] وابو عبد الله بن العطار(ت:707 هـ)[7] وابو الحجاج يوسف بن سعيد ابن يخلف الجزائري[8]، ومن هؤلاء ايضا ابو العباس الغبريني(644- 704) صاحب عنوان الدراية، وبالرغم من ان الغبريني هذا ذكر انه سيعرف بعلماء المائة السابعة ببجاية لم يذكر اسم ابن رشيد في كتابه ولو في إشارة خفيفة، مع ان ابن رشيد، وان لم يذكره في اجزاء الرحلة الموجودة، فإنه ذكره في الاستدعاء[9]. وبهذا لابد أن يكونا قد التقيا في بعض حلقات العلماء أوجرى بينهما حديث في مسألة من المسائل، ولولا ذلك لما ذكره ابن رشيد في الاستدعاء السابق ذكره بل قد يحتمل ان يكون ذكره في هذا الجزء أو ساق له بعض الأخبار فيه.

وقد يكون هذا القسم أيضا متضمنا لبعض المعارف الموجودة في تلك الكتب السابقة الذكر وان يحتوي أخبارا أدبية كثيرة وشيئا من المسائل الحديثية والفقهية وغير ذلك من الإشارات إلى مسائل الزهد والتصوف وأهله. وإن كان العبدري في رحلته يهون من شأن كثير من المعارف في هذه البلاد وقتئذ إلا أن هناك روايات مفيدة وأخبارا طريفة في غير ذلك من الكتب، ولما كان منهج ابن رشيد مختلفا عن السابقين في الرواية والتدوين فإننا نفقد ذخيرة مهمة من الأخبار والإنشادات والتراجم الرئيسية والثانوية لشيوخ أغفلهم المؤرخون قبله وبعده، والدليل على ذلك ما كان يورده من التراجم لغير الشيوخ الذين التقى بهم كابي محمد عبد الحق بن ربيع[10]، وقد افادنا بذلك ابن قنفد القسنطيني

---

[1]: معجم اعلام الجزائر 31.
[2]: نفسه 32.
[3]: نفسه 52.
[4]: نفسه 73.
[5]: نفسه 87.
[6]: نفسه 115.
[7]: نفسه 179.
[8]: نفسه206.
[9]: الاستدعاء ص:2.
[10]: انظر ترجمته في عنوان الدراية 85، ومعجم اعلام الجزائر 81 وشجرة النور ص: 201 ترجمة 684.

كان ينقل من الرحلة مباشرة[1] ونجد صاحب درة الحجال كذلك ينقل من الرحلة مباشرة وخاصة من هذا الجزء المفقود ذلك مثلما فعل في ذكر أخبار صاحب ابن رشيد محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم الازدي[2]. ونستفيد أيضا من معجم اعلام الجزائر أن ابن رشيد ذكر في رحلته أن شيخه ابا علي منصور بن احمد المشذالي كبير فقهاء المالكية والمشارك في علوم العربية والمنطق والجدل رحل في صغره إلى مصر وقرأ على شيوخها[3].

وصفوة القول في هذا الجزء أنه لو كان متوافرا لدينا لاعطانا صورة واضحة عن الحركة العلمية للأندلس وشمال افريقيا ولا سيما المغرب الأوسط.

ب: القسم الثاني: من الجزء الأول(أو الجزء الثاني من الرحلة):

وفي هذا الجزء اربع وثلاثون ومائة صفحة، وهو خاص بتونس وشيوخها وقد ترجم فيه ابن رشيد لثلاثة عشر شيخا وهم: ابو بكر بن حبيش وخصه ب 16 صفحة- وابو العباس القصير (صفحتين)- وابو الوليد محمد بن احمد التجيبي الشهير بابن الحاج(14 ص)- ومحمد الازدي الطبري(8 ص) وابو العباس البطرني(1ص)- وابو حيان الشاطبي(13 ص)- وابو جعفر الفهري اللبلي(14 ص)- وابو البركات موسى التجيبي المعروف بالقمجي (14 ص)- وابو عبد الله السلاوي(6 ص)- وابو يعقوب الجذامي الشاطبي(صفحتين ونصف)- وابو التقى صالح البلنسي المعروف بابن شوشن (صفحة واحدة)- وابو محمد الخلاسي(24 ص ونصف)- وابو عبد الله بن أبي تميم الحميري(18 ص). وهذا الجزء بخط المؤلف[4]، وفيه بعض الحواشي والهوامش والتعليقات المفيدة.

ويعد هذا الجزء مصدرا مهما للحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرن السابع، لأنه خاص بتلك المدينة العلمية المشهورة التي كانت تؤوي المهاجرين من الأندلس وفيهم العلماء وذوو الحرف والمهن ويظهر كذلك من أسماء المترجم لهم فيه أن أغلبهم من الأندلس، أو أن أصولهم منها، ويدلنا ذلك على نشاط الرحلة من الأندلس والمغرب إلى بلاد المشرق بعامة وبلاد تونس بخاصة، لأن هؤلاء الراحلين كانوا يجدون في تونس خير

---

[1]: أنس الفقير وعز الحقير 101.
[2]: درة الحجال 94/2.
[3]: نيل الابتهاج 344- 354 ومعجم اعلام الجزائر 196، وانظر كيف مونه العبدري ص: 227.
[4]: الرحلة 1/2 وفهرس الفهارس 332/1 ودعوة الحق عدد2 سنة 3 ص: 37.

موئل لهم، ويغلب على هذا الجزء الطابع الأدبي من رواية الشعر وأخبار الأدباء وفيه بعض النظرات عن الزهد والتصوف كما نجد ذلك في ترجمة ابي محمد السلاوي وأبي محمد الخلاسي وابن شوشن. وفي الكتاب أيضا ذكر لكثير من المصادر والكتب. وأهم تراجم هذا الجزء ترجمة أبي بن حبيس وأبي حيان الشاطبي وأبي محمد الخلاسي وأبي عبد الله ابن أبي تميم الحميري.

وأما عدد سطور هذه النسخة فيتراوح ما بين سبعة وعشرين واثنين وثلاثين سطرا، ومعدل كلمات سطوره اثنتا عشرة كلمة تقريبا.[1]

جـ ـ الجزء الثالث:

وفي هذا الجزء خمسون ومائتا صفحة، وهو خاص بمصر والقاهرة والاسكندرية وعلمائها وشيوخها وتاريخ الحركة الفكرية والعقلية بالديار المصرية في القرن السابع الهجري. وقد ترجم فيه ابن رشيد لأزيد من أربعين شيخا وهم:

أبو عبدالله محمد بن ساطر البوني الشرابي(3 ص)- وأبو عبد الله التونسي(ثلث صفحة)- وعلم الدين ابن منصور الهمذاني الشافعي(ثلث صفحة)- ومثقال الحبشي البزاز ثلث صفحة- وابو بكر محمد ابن منصور الانصاري(3 ص)- ومكين الدين ابن الاسمر(4 ص) وابو عبد الله محمد بن مكين الدين بن الخطيب(صفحتين)- وضياء الدين الخزرجي(ص5) ويوسف بن هلال التميمي (ثلث صفحة)- وابو الحسن الغرّافي(24 ص) وأبو عبد الله بن عقيل(4 ص)- وبهاء الدين ابن النحاس(17 ص)- وابوبكر بن الانماطي(10 ص)- وابوبكر القسنطيني(16 ص)- وابن الخيمي(11ص)- وصفاء الدين المراغي(20ص)- وابن دقيق العيد(13 ص)- والتقي عبيد(10 ص)- وشعبان الخلاطي(أربع صفحات ونصف)- وابو صادق القرشي(13 ص)- وعماد الدين الاصبهاني(7 ص)- وزينب البغدادي (4 ص ونصف)- وابو عبد الله السلامي(3 ص)- وابو عبد الله القسطلاني(صفحة واحدة)- وابو بكر ثابت العسقلاني(صفحتين ونصف)- وبهاء الدين الحلبي(صفحتين ونصف)- وابو محمد الشراريبي(5 ص)- وابو المعالي الاصفهاني(3 ص)- وابو محمد القرشي الحنبلي(4 ص)- والاخوان ابو عبد الله وابو

---

[1]: ورقم هذه النسخة بالاسكريال هو 1736، وتوجد نسخة مصورة منها في خزانة معهد مولاي الحسن بتطوان. وينبغي التنبيه كذلك على أن هذه النسخة كان يملكها أحمد بن علي المنجور وولده.

موسى المعروف ابوهما بابن القاهري(صفحتين)- وابو العباس الأعلاقي(4 ص)- وابو عبد الله الخراساني(صفحة واحدة)- وضياء الدين السبتي(3 ص)- وابو العباس ابن الظاهري(6 ص)- وجمال الدين ابن داردة(3 ص)- وابو البدر بن الزين(3 ص)- وابو احمد البعلبكي(8 ص ونصف)- وابوبكر القسطلاني(14 ص ونصف)- وعز الدين الحراني(21 ص ونصف).

وهذا الجزء يغلب عليه طابع الحديث ولكنه لا يخلو من الروايات الأدبية كما في تراجم بهاء الدين بن النحاس وابن الخيمي وابي بكر القسطلاني وفيه ايضا بعض المناقشات المفيدة في الفقه والاصول، وبعض النظرات في التصوف والزهد وذلك في تراجم ابي المعالي الاصبهاني والصفاء المراغي وابن دقيق العيد والعز الحراني بخاصة. وفيه كذلك ذكر لكثير من مصادر التراث لا سيما كتب الحديث واسانيده العوالي وبعض المناقشات المفيدة في الجرح والتعديل والتعريف بالرجال ونقدهم.

ونجد أن أهم تراجم هذا الجزء هي الخاصة بتاج الدين الغَرَّافي والقسنطيني وابن الخيمي والمراغي وابن دقيق العيد والقرشي والقسطلاني والحراني.

وبما أن هذا الجزء مبتور من أوله وآخره فلا شك أنه سقطت منه بعض التراجم والفوائد. وبسبب ذلك تكون قد ضاعت منه أخبار سفر ابن رشيد من تونس إلى الاسكندرية، إذ لا ندري شيئا عن ذلك أكان عن طريق البر أم البحر. ولكن بالرجوع إلى الشيوخ الذين رتبوا ترتيبا حرفيا نجد أن هناك من عثر عليه في بعض المصادر والمراجع[1].

أما عدد سطور صفحات هذه النسخة فخمسة وعشرون سطرا، ومعدل ما في كل سطر عشر كلمات[2].

[1]: نبه ابن رشيد في آخر الجزء السابق على أن هذا الجزء يبتدئ بقوله:"كان سفرنا من تونس كلأها الله تعالى..."

[2]: رقم هذه النسخة بالاسكوريال هو 1739 وتوجد منه نسخة مصورة بخزانة معهد مولاي الحسن بتطوان ونسخة بالخزانة العامة بالرباط، وهذه النسخة الأصلية لهذا الجزء قد ضاعت قبل هذا التاريخ.

د ـ الجزء الرابع:

وهذا الجزء مفقود أيضا، وبذلك لا ندري كم أقام ابن رشيد في الديار المصرية، ولا متى حل بدمشق التي زراها والتقى فيها بعلمائها ومشايخها ولا كيف دَرَّسَ في مدرسة هناك.

وأخباره عن مدة بقائه بالشام قليلة جدا، ولم أظفر عنها من المعلومات والتواريخ إلا بالنزر اليسير. ومن ذلك قوله:"أهل هلال شوال ليلة الجمعة 684 هـ، وكان سفرنا من ظاهر دمشق يوم الاثنين 11 شوال 684 هـ بعد مبيتنا بالقيسارية ثم توجهنا مع الركب إلى بصرى متوجهتين إلى الحرمين"[1].

وكل ما توافر لدي من الشيوخ والأصحاب الذين التقى بهم في الشام أي في دمشق وبيت المقدس ونابلس وحرم الخليل وبعلبك، مصدره تلك الكتب التي كانت تنقل من الرحلة كدرة الحجال خاصة أو الدرر الكامنة، ويقرب مجموع ذلك من خمسين شيخا وصاحبا، وبالرغم من فقدان هذا الجزء نستطيع أن نهتدي إلى بعض المعلومات الضرورية. فإذا كانت مجالس ابن رشيد الأخيرة بمصر مع ابي العز الحراني في حدود غرة شعبان 684 هـ. فإننا نستنتج أنه بقي بالشام ما يقرب من شهرين كاملين، وهذه مدة كافية لأن يلتقي فيها بالشيوخ الذين كانوا كثيرين بدمشق خاصة والشام عامة، وأن يلمع نجمه هناك ويخصصوا له مقعدا للاقراء بالمدرسة القحفازية[2].

ومع ذلك فإن ابن رشيد لم يحظ بلقاء بعض الشيوخ الذين كان يأمل الاستفادة منهم، ويظهر ذلك في قوله:"ومما أفادني صاحبنا ورفيقنا في هذه الوجهة الكريمة المقرئ الفاضل الصالح ابو محمد عبد الله بن سليمان اللقاني فيما اطلعنا عليه من ثبت أسمعته بدمشق إذ كان قد أقام بها مدة طويلة بعد قفوله من الحج معنا، فتمتع بلقاء كثير ممن لم يقدر لنا لقاؤه أو الاستكثار مما عنده"[3].

وقد أفاده رفيقه اللقاني هذا ببعض هؤلاء الذين فاته اللقاء بهم أو الذين لقيهم وذكره بهم[4] ومن هؤلاء: تاج الدين الفزاري البدري الشافعي، وأخوه شرف الدين ابو

---

[1]: الرحلة 2/5.
[2]: انظر عن هذه المدرسة كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي(المدرسة 114).
[3]: الجزء الخامس من الرحلة 34.
[4]: انظر شيوخه بالشام (دمشق حرم الخليل، القدس نابلس بعلبك من هذا البحث).

العباس أحمد وقد سمعا على ابي عمرو بن الصلاح، وتقي الدين أبو إسحاق بن غالب الحضرمي، والفقيه الرحال ابو العز الفضل بن علي بن عبد الواحد القرشي، والمحدث ابو عبد الله الصفار الاسفرائني، وجمال الدين ابو الحسن الصوري، وابو عبد الله بن الكميت الحراني، والحافظ تاج الدين ابو الحسن محمد بن ابي جعفر بن علي القرطبي ونجم الدين ابومحمد ابن سالم الدمشقي، وهذان سمعا من ابن صدقة الحراني ومن جمال الدين ابن محمود العسقلاني. وغير هؤلاء[1].

وقال ابن رشيد:"وكل ذلك لصاحبنا ابي محمد في تسعة عشر مجلسا أولها يوم الاحد 2 رمضان وآخرها يوم الأحد 8 شوال من عام 686 هـ بقراءة علم الدين البرزالي صاحب ابن رشيد.

ومعنى هذا أنه لم يلتق بهؤلاء الشيوخ كما هو واضح من تصريحه بذلك. ولكن إذا ألقينا نظرة بسيطة على كتب التراجم كشذرات الذهب والنجوم الزاهرة والبداية والنهاية وكتاب الدارس في تاريخ المدارس وكتاب تاريخ علماء بغداد وكتاب فوات الوفيات والوافي بالوفيات ومعجم المؤلفين والدرر الكامنة وغيرها، ألفينا ان دمشق كانت تعج بالعلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء في مختلف المدارس والخوانق والربط والمساجد والجوامع ودور القرآن والحديث، ويحتمل أن يكون اتصل بهم أو بأكثرهم وذلك بناء على ما كانوا يدرسونه في حلقات علمهم وتخصصهم في تلك العلوم التي يميل إليها ابن رشيد. ومن أولئك: شهاب الدين الصقلي(645- 725)، وزين الدين الفارقي(703-633) وصدر الدين بن الوكيل(665- 716) والكمال بن الزملكاني(666- 727) وكمال الدين بن الشريشي(653-718)، وجمال الدين بن المزي (654- 742)، وشمس الدين بن الكمال(607-688)، وشرف الدين بن قدامة(638- 695)، وكان هؤلاء يدرسون في دار الحديث الاشرفية المشهورة التي رأى فيها ابن رشيد مثال النعل الكريمة[2]. ومنهم شرف الدين بن سباع الفزاري(630-705)[3] والحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى الثعلبي الربعي الشافعي(655-723)[4] وإمام

---

[1]: الرحلة 35/5.

[2]: انظر تراجم هؤلاء في كتاب الدارس في تاريخ المدارس 19/1.

[3]: نفسه: المدرسة الناصرية رقم 23 وكان مدرسا بدار الحديث الناصرية.

[4]: المدرسة الاتابكية الشافعية رقم 27

الدين القزويني(653-996)[1] وجمال الدين بن القلانسي(669-731)[2] وبرهان الدين ابن الفركاح(660-728)[3] وابو محمد هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي(731)[4] ورشيد الدين الفارقي (598-689)[5] وعز الدين الفاروثي(614-692)[6] وشعبان بن ابي بكر بن عمر الاربلي(624- 711)[7] وابو الوليد الاشبيلي[8](643- 728) وغيرهم.

ومن خلال معرفتنا لخلق ابن رشيد العلمي وحرصه على لقاء العلماء والشيوخ فإننا نستبعد أن لا يكون اتصل بأغلب هؤلاء أو ببعضهم، وان يكون قد أورد أخباراً عمن اتصل بهم وغير ذلك.

ولكن الذين تحقق لدينا انه اتصل بهم في دمشق:

ابو اسحاق اللوري وابو بكر بن المحتال المقدسي وابن ابي الزبير الكاتب المصري وابو العباس بن صصري وشهاب الدين ابن نعمة المقدسي وشهاب الدين بن فرج اللخمي وشرف الدين احمد المقدسي وابن الفراء المرداوي وتمام الحنفي وثابت الوزان وحسين الشهرزوري والزيانب الثلاثة وهن المقدسية والبغدادية والحرانية وسليمان المقدسي وسليمان التلمساني وعبد الرحمان المقدسي وعبد الرحمان الفزاري وعبد الرحمان الحنبلي وعبد المحسن الابهري وابو الحسن القاسيوني وعلي بن البخاري وغازي الحلاوي والقاسم البرزالي وابو عبد الله الارموي وابو عبد الله بن حمدون ومحمد بن عبد الرحيم المقدسي وابو الثناء الحلبي ويوسف الاذرعي[9].

وأما من لقيهم في حرم الخليل فمنهم: نور الدين ابو الحسن البديع.

وفي بيت المقدس:

---

[1]: نفسه المدرسة 34.
[2]: نفسه.
[3]: نفسه المدرسة البدرائية رقم 35.
[4]: نفسه المدرسة الصارمية رقم 55.
[5]: نفسه المدرسة الظاهرية البرانية 62.
[6]: نفسه.
[7]: نفسه المدرسة الناجية الحنفية 93.
[8]: نفسه المدرسة المالكية 140.
[9]: انظر ضبط أسماء هؤلاء الشيوخ في ذكر فهرستهم بعد.

عز الدين ابو الفرج المقدسي وعبد المنعم النابلسي وابن نعمة المقدسي وابن الافتخار المقدسي وابو الحسن الغرافي ومالك الأوحد.

وفي نابلس:

ابو العباس احمد بن عبد الله الدمشقي وابو الحسن الحنبلي وجمال الدين النابلسي وعماد الدين النابلسي.

وفي بعلبك شرف الدين اليونيني.

ولعلنا بعثورنا على هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم قدم راسخة في كثير من الفنون والمعارف كالأدب والحديث والتصوف والفقه نكون قد عرفنا شيئا عن الجزء الرابع المفقود، ومع ذلك ينقصنا طريقة ابن رشيد ومنهجه في نقد الرجال وتقويمهم، وتلك النقول المفيدة من مختلف المصادر القديمة، والأخبار التاريخية والروايات الكثيرة وأخبار الكتب وإيراد الإنشادات الطريفة وغير ذلك مما عرف عنه بله ما قد تكون دمشق تحتضنه في ذلك الوقت من المذاهب الفقهية والكلامية والطرائق المختلفة التي أشار إليها، كما سبق ذكره، لما اتصل بجمال الدين ابن الظاهري[1].

ومن المحتمل أن يكون هذا الجزء حافلا أيضا برواية الحديث ومناقشة مسائل العقيدة والتصوف زيادة على رواية الاشعار التي تتصل بذلك. ونحن نستقرئ ذلك من خلال طبيعة بعض أولئك المترجم لهم، ومن خلال ما كان سائدا في الشام آنئذ من الصراعات العقدية والمذهبية. بل ان فقدان هذا الجزء قد سبب في ضياع كثير من المعارف التي تهم الشام بعامة وفلسطين بخاصة ودمشق بصفة أخص. وبالرغم من أن هناك تذييلات على كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، فلا شك أن رحلة ابن رشيد، لو توافر لدينا هذا الجزء، تكون أحسن تلك التذييلات وأغناها وأشملها، لأنه لم يكن يهتم بالجانب الفهرسي فحسب بل كان يستطرد إلى كثير من الموضوعات التي لا تكون في الحسبان، ويأتي بغرائب وطرائف نكت في جميع الفنون والفهوم ويكفي بما سبق، أن يكون هذا الجزء واضحا شيئا ما.

---

[1]: الرحلة 97/3.

ثم انه يفترض أن يكون هذا الجزء ضخما كالجزء الثالث الخاص بمصر أو الجزء السادس الخاص بتونس بل أوفرها تراجم ومعارف.

وهناك ملاحظة ينبغي أن نذكرها في كتاب درة الحجال لابن القاضي وهي أنه كان يأتي بتراجم كثيرة من هذا الجزء، ولكن يلاحظ فيها نوع من الاختصار الشديد والتلميح المخل، ولا ندري سبب ذلك، ألكون ذلك الجزء مشهورا بين الناس، أم اطلع هو عليه اطلاعا مبتسرا عاجلا ولم يكن له الأخذ منه بتأن وتؤدة، أم كان يأخذ من مختصر الرحلة المفقود كذلك، ونحن على كل حال ليس بين ايدينا ذلك الكتاب ولا مختصر الرحلة وقد يكون ابن القاضي ينقل من الاستدعاء الذي تعرض فيه ابن رشيد للشيوخ باختصار. ومهما يكن فإن لابن القاضي الفضل الكبير في إيراد تلك التنبيهات المفيدة[1].

هـ ـ الجزء الخامس:

ويشتمل هذا الجزء على باقي رحلته من دمشق إلى الحرمين الشريفين: المدينة المنورة طيبة ومكة المكرمة المشرفة، واداءه لفريضة الحج ورجوعه إلى المدينة المنورة ووداعها يوم الأحد 28 ذي الحجة إلى مصر والقاهرة مرة أخرى ثم إلى الاسكندرية. وفي هذا الجزء ثلاثة وستون ومائة صفحة وهو مبتور أيضا من آخره، وقد ترجم فيه لثمانية وعشرين شيخا وهم:

أبو محمد بن الزجاج(في صفحتين)- وفاطمة البطائحي(2ص)- والأخَوَان الزجاجيان عبد الرحيم وعبد المجيد(5 ص)- وابو اسحاق الفاسي(2 ص) وابو محمد عبد السلام بن مزروع البصري(8ص)- ويوسف الشقاري(2 ص)- واحمد بن عثمان الشافعي (صفحة واحدة)- وابومحمد المرجاني (نصف صفحة)- وابو علي الصواف (12 ص)- والاخوان العسقلانيان محمد واحمد (10 ص)- وابو اليمن بن عساكر(44 ص)- ومحب الدين الطبري(6 ص) والاخوان الزجاجيان مرة أخرى (5 ص)- وابو الحسن التجاني(صفحة واحدة وبضعة اسطر)- وجمال إلدين بن الظاهري مرة أخرى(صفحتين) وقطب الدين القسطلاني مرة أخرى(6 ص)- وابو صادق القرشي مرة أخرى(صفحتين) وتقي الدين ابن دقيق العيد مرة أخرى(4 ص)- والفتى الطواشي(نصف صفحة)- وابو محمد عبد الكريم الشافعي (3ص) – والشريف الكركي(5 ص)- وابن اللخمي المعروف

[1]: لاحظ كثرة ورود ذكر اسم كتاب درة الحجال في الشيوخ الذين لقيهم ابن رشيد في الشام بعد.

بالسكان ثلث صفحة)- وابو عبد الله الانصاري المربي(8 ص)- وابن حبان النحوي (5ص)- وابومحمد بن خلف القرشي(3ص)- وشرف الدين بن الحسين ابن الصواف(صفحتين)- وابو الحسن التجاني مرة أخرى (صفحة واحدة وثلث) وجمال الدين الجابي البزاز.

وهذا الجزء المذكور بخط المؤلف، وفيه هوامش وحواش مفيدة وفيه اهتمام كبير بذكر المقامات الشريفة وتحديد مواقعها وضبطها قصد تصحيح بعض الأوهام التي كانت سائدة آنذاك سواء من حيث المواضع أو في عرض المسائل الفقهية ومناقشتها. أما جانب الحديث النبوي فيغلب أيضا على هذا الجزء وإن كان فيه كثير من الانشادات الشعرية التي قيل جلها في الشعر الديني من المديح النبوي ووصف العرصات الشريفات.

ويعد هذا الجزء صورة واضحة عن الحياة الفكرية والعقلية بالحرمين الشريفين خاصة وغيرهما من مصر والقاهرة.

وأهم التراجم التي يحتويها هي ترجمة ابي اليمن ابن عساكر والشريف الكركي وابي عبد الله الانصاري المربي.

ويبلغ عدد سطور صفحات هذه النسخة 27 سطرا ومعدل كلمات كل سطر ثلاثة عشرة كلمة[1].

و: الجزء السادس:

ويحتوي على خمس وثلاثين ومائتي صفحة وفيه ذكر بعض ما جرى لابن رشيد على ظهر بحر الاسكندرية واخباره في طرابلس والمهدية ومدينة تونس خاصة. ويمكن اعتبار هذا الجزء أيضا صورة للحياة الفكرية والعقلية لتونس وما جاورها. وقد ترجم فيه لخمسة وثلاثين من الشيوخ والأصحاب وهم:

ابو عثمان سعيد بن جون المراكشي(في بضعة أسطر)- وابن عبد السيد(بضعة اسطر)-وابو فارس التميمي(6 ص)- وابو القاسم بن زيتون اليمني(13 ص)- وابو العباس ابن الغماز(20 ص)- وابو يعقوب الجذامي (صفحة ونصف)- وابو القاسم ابن ابي

---

[1]: رقم هذه النسخة بالاسكوريال هو: 1680 وتوجد نسخة مصورة منها في معهد مولاي الحسن بتطوان. وكان يملك هذه النسخة احمد بن علي المنجور، وسيدي احمد الونشريسي.

اللبيدي (4 ص) – وابن عبد القادر البجائي(12 ص)- وابو بكـر بن حَبِـيش مرة أخرى(38 ص)- وشرف الدين ابن الإمام الجزائري(18 ص)- وابو اسحاق الخزرجي الجزري(صفحتين وثلث)- وابو العباس بن يوسف الفهري مرة أخرى(ثلث صفحة)- وابو الحسن بن ديسم(صفحة وثلث)- وابو الحسن بن رزين (39 ص)- وابو العباس الفهري مرة أخرى(3 ص)- وأو عبد الله بن هارون القرطبي(نصف صفحة)- وابو عبد الله السلاوي مرة أخرى(6 ص)- وابن رأس الحجلة(صفحتين)- وابن أبي القاسم اللواتي(نصف صفحة)- وابو العباس الكتاني السلمي(13 ص) وأبو العباس بن القصير مرة اخرى(5 ص ونصف)- وابن هريرة(نصف صفحة)- وابو عبد الله ابن أبي القاسم الانصاري(3 ص)- وابن همشك(صفحتين)- وابو الشمل العجيسي الحلبي(صفحة ونصف) وابو العباس بن نخيل الحميري (4ص)- وابو اسحاق القرموني المعروف بابن حبي(11 ص)- وابو العباس المروش(3 ص)- وابو القاسم الكلاعي(نصف صفحة)- وابو الحسن القيجاطي(صفحتين ونصف)- وابوالقاسم محمد بن علي الانصاري(صفحة واحدة)- وابو يعقوب بن أنْدَارس(صفحة واحدة)- وابو العباس المرسي(3 ص)- وابوالكرم الحميري(صفحة واحدة)- وأخوه الاصغر(3 ص)- وابو عبد الله ابن القويع.

وهذا الجزء أيضا من خط المؤلف وفيه هوامش وتعليقات مفيدة ويحتوي على تراجم واسعة عن كثير من الشعراء الذين كانت تحتضنهم تونس التي كانت تعج بالواردين عليها من كل حدب صوب وذلك من الأندلس خاصة كما سبق في الجزء الثاني، ولهذا نجده حافلا بالقصائد والمقطعات في شتى الاغراض والموضوعات وبهذا يكون غالبا عليه الجانب الادبي لأن جل من ترجم فيه من الأدباء والشعراء واللغويين والنحاة.

وفيه ايضا بعض النصوص النثرية لابن رشيد وابي بكر بن حبيش وابي الحسن بن رزين، وفيه كذلك شيء عن العروض والتعريف بأهم اصطلاحاته، أما ما يتصل بالحديث فلم يرد فيه إلا النزر اليسير.

وأما أشهر التراجم الواقعة فيه فهي لأبي بكر بن حبيش وابن رزين وابي العباس الكتاني السلمي وابن زيتون وابي العباس بن الغماز.

أما عدد سطور صفحات هذه النسخة فسبعة وعشرون وفي كل سطر اثنتنا عشرة كلمة تقريبا[1].

ز: الجــزء الســابع:

ومعظم هذا الجزء يتعلق بتونس وذكر لقاء ابن رشيد بأبي الفضل التجاني خاصة وأخبار الأسرة التجانية ومنها أبو حفص عمر وابو الحسن. وفيه ايضا قفول ابن رشيد من تونس إلى الوطن وذكر بعض الأخبار عن مالقة ورندة وسبتة.

ويحتوي هذا الجزء على أربع وثلاثين ومائة صفحة، خص منها لأبي الفضل التجاني مايقرب من تسعين صفحة، وهي حافلة بالإنشادات الشعرية والروايات الأدبية واللغوية وغيرها، وفيه كذلك تراجم لابن عياش وابن عاصم الاسدي وابنى ابي الايسر الجذامي. ويحتوي أيضا على أخبار تاريخية وتراجم ثانوية كترجمة أبي العباس ابن الحاج النحوي وأبي القاسم بن الطيلسان وأخباراً واشعارا لحازم القرطاجني وابن الآبار وابن الصابوني وغيرهم. ويعتبر هذا الجزء ديوانا مهما لرواية الشعر لشعراء مغاربة ومشارقة.

ثم إن فيه نصا مهما يقوم مقام المقدمة في الجزء الأول المفقود وهذا النص يوضح لنا كثيرا من المسائل الغامضة في منهج ابن رشيد وطريقته في رحلته. ويتجلى من خلال الدراسات الأدبية قيمة هذا الجزء وأهميته. أما جانب الحديث فيه فضئيل جدا إذ لم يرد فيه إلا أربعة أحاديث.

2- تحقيق بعض النصوص والتراجم المفقودة من الرحلة

علمنا أن أجزاء الرحلة الموجودة يتخللها بعض النقص في أولها وآخرها، وان القسم الأول من الجزء الأول والجزء الرابع مفقودان وبهذا فإننا نعدم تراجم مهمة لعدد من الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم ابن رشيد في شمال إفريقيا ومصر والإسكندرية والقاهرة والشام.

ولكن بالاستقراء والمطالعة، يتبين لنا أن هناك بعض المراجع التي جعلت من رحلة ابن رشيد مصدرا لها في نقل تلك التراجم وإيراد النصوص وتعليق الفوائد منها.

---

[1]: ورقم هذه النسخة في الاسكوريال:1737، وتوجد منه نسخة مصورة في خزانة معهد مولاي الحسن بتطوان. وكان يملك هذه النسخة محمد بن محمد بن هلال الذي وقع عليها بشيء من الشعر.

وقد حاولت أن آخذ فكرة عن هؤلاء الشيوخ بالاطلاع على أخبارهم في كتب أخرى مثل كتب التراجم والطبقات كطبقات الحنابلة والحنفية والمالكية والشافعية.

وإذا علمنا أن هناك تراجم لشيوخ مشهورين في ذلك الوقت في بعض كتب الطبقات والتاريخ فإن فيهم من ورد ذكره في كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، والجواهر المضيئة لأبي الوفاء القرشي والفوائد البهية في تراجم الحنفية للمهندي، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب والكتيبة الكامنة والطالع السعيد وهدية العارفين وغاية النهاية. وكذا كتاب البغداديون أخبارهم ومجالسهم لإبراهيم الدوري وفهرس الفهارس والدرر الكامنة وتذكرة الحفاظ وشذرات الذهب، وطبقات المفسرين للداودي، وحسن المحاضرة وشجرة النور الزكية وبغية الوعاة والرسالة المستطرفة، وتاج التراجم لابن قَطَلُوبْغَا والبدر الطالع وطبقات الشافعية للشوكاني، وطبقات الشافعية للسبكي وطبقات الفقهاء لطاش كبرى زادة وكتاب العبر وذيوله، وتاريخ علماء بغداد للسولامي والنجوم الظاهرة والبداية والنهاية وغير ذلك مما يطول ذكره.

ففي هذه الكتب كلها تراجم لبعض أولئك الشيوخ أو فيها على الأقل صورة حية عن الحياة الثقافية والفكرية لذلك العصر في بلاد المشرق خاصة.

وينبغي أن ننبه كذلك على مسألة أخرى في تحقيق بعض النصوص وهي أنه قد وردت في كتاب درة الحجال نصوص تتعارض روايتها وما هو موجود في الأجزاء الباقية بالزيادة أو النقصان أو التحريف.

ونورد فيما يلي بعض النصوص والإشارات والتراجم التي توجد في مظان الكتب التي كانت تأخذ من الرحلة وتنقل منها حتى نستطيع أن نتمم بها بعض ما ضاع بسبب فقد الجزئين السالفي الذكر وتتميم ما بتر من الأجزاء الأخرى.

ومن هذه الكتب:

أ- درة الحجال لابن القاضي.

ب- رحلة العياشي.

ج- فتح المتعال للمقري.

د- نفح الطيب له.

هـ- أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطييني.

و- أنس الساري والسارب لأبي عبد الله السراج المعروف بابن مليح.

ز- طبقات القراء لابن الجزري.

ح- جذوة الاقتباس لابن القاضي.

ط- فهرس ابن غازي.

درة الحجال:

ونجد أن هذه التراجم التالية لا يوجد بعضها في أجزاء الرحلة الموجدة وبعضها وقع فيه الاختلاف والتحريف:

أ- ترجمة أبي طالب الابهري الذي أجاز لابن رشيد سنة 684 وهو العابد المجتهد[1].

ب- ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله القيسي السبتي وكان رجلا لا يوثق بقوله إلا أنه يوجد شيئ بخطه من إجازاته[2].

ج- ترجمة ابي بكر القسطلاني: وقد ورد بعض الاختلاف في رواية الشعر الذي اخذه عن شيوخه: ومن ذلك مثلا قصيدة مخمسة وردت في كتاب درة الحجال ناقصة مضطربة بينما توجد واضحة كاملة في الجزء الثالث من الرحلة ومطلعها:

أردت من زمني جودا يفيد جدا * * فضن عني لما ارجوه مجتهـدا

فقلت مذلم اجد حرابنيل نـدى * * لاجهدن على أن أرى أحـدا

وأنثني غائبا عن قرب من بعدا

وهذا الاضطراب اعترى كذلك قصيدة ابن العريف التي مطلعها:

---

[1]: درة الحجال 161/3 ت:1125.

[2]: درة الحجال 259/2 ت: 745.

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم

أدنى إلى النفس وهمي ومن نفسي[1]

د- ترجمة أبي الحسن علي بن ابي البركات عيسى بن موسى اليزدي الحميري كمال الدين، أحد ولد سيف بن ذي يزن وقد أجاز لابن رشيد بالاسكندرية في 9 جمادى الأولى 684[2].

هـ- ترجمة أبي الماضي عطية بن منصور بن ابي الحسن، وهو من موالي الاسكندرية أخذ عنه ابن رشيد سنة 684 هـ[3].

و- ابو الحسن الغرافي شرف المحدثين، توجد له ترجمة أولى في الجزء الثالث[4] ولكنه لم ترد له ترجمة ثانية فيمن لقيهم ابن رشيد ببيت المقدس كما ذكر ابن القاضي، ويمكن أن يكون ذلك سهوا منه[5].

ز- ترجمة ابي عبد الله بن الحكيم: أورد له ابن القاضي نصا لا يوجد في أجزاء الرحلة المعروفة وذلك في قوله: ومما أورده ابن رشيد في رحلته... وفي قوله: كتب صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الحكيم في القبة التي بها قبر أمير المؤمني أبي الحسن السعيد:

انظر إليَّ ففي اليوم معتبر   البيـــــتين[6].

ح- ترجمة ابن الخيمي ونلاحظ فيها بعض الاختلاف في رواية الشعر، ومعنى هذا أن الجزء الثالث، وصاحب الدرة كان كل منهما يتصرف في النقل من الأصل، وأغلب الظن أن نسخة ابن القاضي أكمل من النسخة الموجودة[7].

---

[1]: درة الحجال 220/1ت: 313 والرحلة 313/3 والرحلة 110/3 وانظر أيضا ابن العريف في درة الحجال 1:220 ترجمة 319.

[2]: درة الحجال 213/3 ت: 1221.

[3]: درة الحجال 179/3 ت: 1155.

[4]: الرحلة 10/3.

[5]: درة الحجال 215/3 ت:1224.

[6]:نفسه 95/2ت : 531.

[7]: نفسه6/2- 14 ت: 450 والرحلة 44/3 ولاحظ كيف ورد اسم ابن الديثي واضحا في الرحلة محرفا في الدرة بابن البريشي.

ط- ترجمة بهاء الدين ابن النحاس: وفيها بعض اختلاف في الرواية كذلك: فقد وردت في الدرة اشعار لا توجد في الجزء الثالث المعروف.[1]

ب- ترجمة محمد بن يوسف بن عبد الله الجزري، وقد أورد له صاحب الدرة شعرا ونسبه إلى من رواه لابن رشيد ولكن ذلك لا يوجد في الجزء المعروف. أيضا وذلك في قوله:(الوافر) تأمل قد هند في التثني(الأبيات).

ويظهر هناك أيضا تصرف الذي نسخ الجزء الثالث وإخلاله بالأمانة العلمية، وبهذا يمكن أن نتهم هذا الجزء بالنقص وعدم الضبط والمقابلة[2].

ويلاحظ أن هذه التراجم ينبغي أن تكون في الجزء الثالث من أجزاء الرحلة إلا ترجمة ابن الحكيم التي تدرج في الجزء الأول المفقود.

رحلة العياشي (أو ماء الموائد)

لقد أورد العياشي في رحلته كثيرا من النقول، ومعنى هذا أنه كان قد قرأ النسخة التي كانت في مكتبة الحرم الشريف، ويرجح أن تكون كاملة لما فيها من إفادات بعضها لا يوجد في أجزاء الرحلة المعروفة ومن تلك النصوص:قصة إسلام إبراهيم بن سهل الاسرائيلي[3]، وترجمة أبي عبد الله محمد بن احمد التجاني[4] ونقول مختلفة من الاشعار والبلاغة والنقد[5]، وترجمة ابي بكر بن يربوع[6] وترجمة أبي العباس بن الحاج النحوي[7]، ووصف موافاة ابن رشيد وركبه المَغْيَرة (بسكون الغين المعجمة وفتح الياء المثناة) بعد يَنْبُع، وما يتصل بذلك من وصف المنازل[8] وذكر رحيله من موضع يسمى نخيلا إلى موضع يسمى بالقباب، وغير ذلك من المسائل الفقهية[9] وذكر مناقشة أصولية في الظن الخاطئ والترجيحات[10] وشعر ابي الفضل بن شرف:(الوافر)

---

[1]: درة الحجال 3/2 ت: 448 والرحلة 29/3.
[2]: درة الحجال 19/2 ت: 490.
[3]: رحلة العياشي 251/2- 252.
[4]: نفسه 252/2.
[5]: نفسه252/2- 253- 254.
[6]: نفسه 253/2 والرحلة 89/6.
[7]: نفسه 252/2 والرحلة 34/7.
[8]: نفسه 240/2 والرحلة 57/5.
[9]: نفسه 241/2.
[10]: نفسه 242/2 والرحلة 65/5.

ولم أجزع لهول الموت لكن * * * بكيت لقلة البـاكي عليًا

(الابيات[1])

ومن ذلك مسألة اعطاء العمالة وكراهتها[2] وقصة الجدي الذي كتبت في جبهته كلمة محمد[3] وقصة النعمان التي تنسب إليه الريحانية المعروفة[4] وذكر بيان في وصف بعض الطفيليين[5]، وما أنشده أبو حيان لأبي اليمن بن عساكر لنفسه وذكر بعض المسائل البلاغية كالتورية والكناية[6].

ويلاحظ أيضا أن أغلب هذه النقول من الجزء السادس وبعضها من الجزء الثاني والخامس والسابع، ويبلغ عدد تلك النقول من رحلة العياشي أربعين مسالة تقريبا.

فتح المتعـــــال :

وأورد صاحب الفتح بعض النقول من الرحلة مثل اقتراح ابن رشيد تسمية نظم ابي الربيع بن سالم الكلاعي بنتيجة الحب الصميم وزكاة النثير والنظيم بدلا من المنثور والمنظوم[7] وقول ابن رشيد أن الكعبة المعظمة كالإمام والطائف كالمأموم يقف عن يمين الإمام إن كان وحده[8]. وأورد ما ذكره ابن رشيد عن مثال النعل الكريمة[9]، وما جاء من المناقشات الأدبية والنقدية بين ابن رشيد وابن عبد الملك المراكشي في شعر مالك ابن المرحل[10].

وينبغي التنبيه على أن هذه الفوائد تندرج في الجزء الرابع الخاص بالشام، وسبب ذلك أن ابن رشيد لما دخل دار الحديث الاشرفية بدمشق رأى مثال النعل الكريمة وأنشد في ذلك الأبيات المعروفة، ثم أنه لا بد أن يكون قد جمع ما يتصل بذلك في هذا الجزء.

---

[1]: نفسه 246/2.
[2]: نفسه 250/2.
[3]: نفسه 251/2.
[4]: العياشي 252.
[5]: نفسه 242/2.
[6]:نفسه 243/2، 244 والرحلة 153/5.
[7]:فتح المتعال 5.
[8]: نفسه باب 1.
[9]: نفسه باب 2 وباب 3.
[10]: نفسه باب 3، وانظر ما نبه عليه الدكتور محمد بن شريفة في تحقيق الذيل والتكملة من الحواشي المفيدة سفر 1 قسم 1 ص:44، 331، 333، 334، 336، 337، 338، 412، 521.

نفـــح الطـــــيب:

وفي ذلك الكتاب أيضا نقول كثيرة عن الرحلة، ومن ذلك ما ذكره عن اعتناء ملوك الموحدين غاية الاعتناء بالمصحف العثماني، وأورد في ذلك كلاما بجملته لابن رشيد[1]، وترجمة ضياء الدين الخزرجي وشعره"[2]. وماأنشده ابن رشيد لابن حيان النحوي لنفسه[3] وما حدث به أبو حيان من خبر التاجر أبي عبد الله البرجوني بمدينة عيذاب[4] من بلاد السودان وترجمة أبي عبد الله التجاني وما وصفه به قريبه ابو الفضل التجاني في كتابه الحلى التجانية[5]، وما ذكر ابن رشيد عن ابي المطرف بن عميرة[6] وتعريفه بابن حبيش[7] وذكر وقوف ابن رشيد وابن الحكيم بعباد تلمسان على قبر السعيد وقصة ذلك[8]، وذكر شرح ابن رشيد لقوافي ابي الحسن حازم[9].

ونلاحظ أن أغلب هذه النقول من الجزء الخامس وبعضها من الجزء الأول المفقود وذلك فيما يخص ابن الحكيم.

أنس الفقير وعز الحقير:

ذكر صاحب الانس ان ابن رشيد ذكر ابا محمد عبد الحق ربيع الانصاري البجائي في رحلته[10]، ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون قد اثبت له شيئا من أخباره وإنتاجه الفكري، وان تكون ترجمته مهمة كما ذكر له ابو العباس الغبريني من الأخبار الحسان[11].

ونلاحظ أن صاحب الانس كان ينقل من الجزء الأول أو القسم الأول من الجزء الأول المفقود الخاص بذكر انتقاله من المرية إلى تونس.

---

[1]: النفح 600/1- 615.
[2]: النفح 195/2 والرحلة 8/3.
[3]: نفح الطيب 583/2 والرحلة 75/5.
[4]:نفح الطيب 583/2 والرحلة 76/5
[5]: نفح 121/4.
[6]: نفسه 496/4.
[7]: نفسه 311/4.
[8]: نفسه 225/5.
[9]: نفسه 481/5.
[10]: أنس الفقير 101.
[11]: الغبريني 85.

أنس الساري والسارب:

ونقل ابن مليح من خط ابن رشيد ما قاله الخطيب الزاهد أبو عبد الله بن برطلة المرسي:(الطويل).

أرى العمر يفنى والرجاء طويـل * * * وليس إلى قرب الحبـيب سبيل

الأبيات الأربعة[1].

وما اخذه ابن رشيد عن شعبان الصوفي بسنده إلى الاصمعي[2].

ويظهر أن صاحب الانس كان ينقل أيضا مباشرة من الرحلة، ويرجح أن يكون ذلك من القسم الأول المفقود.

طبقات القراء لابن الجزري:

وما نقله ابن الجزري من الرحلة خبر ابي محمد قاسم بن فِيُّرْ الشاطبي الضرير ورحلته واقرائه لقصيدته المشهورة (الشاطبية) بالقاهرة[3].

جذوة الاقتباس:

وما نقله ابن القاضي أيضا من الرحلة ترجمة احمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن هارون العارف بأصول الفقه واصول الدين مشاركته في العربية[4].

فهرس ابن غازي:

وجاء في الفهرس[5] عن الدعاء بعد الطعام ما يلي:

"حدثني ابو البركات البلفيقي مناولة عن الخطيب المحدث ابي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري عن أم أحمد زينب بنت احمد المقدسية عن أبي حفص عمر بن ابي بكر بن طبرزد، والسند مرفوع إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال:"دعا رجل من الانصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو

---

[1]: أنس الساري 84 وانظر ما علقه الأستاذ محمد الفاسي على هذه الأبيات.
[2]: نفسه 84 والرحلة 70/3.
[3]: طبقات القراء 22/2.
[4]: جذوة الاقتباس 136/1.
[5]: فهرس ابن غازي ص: 94، بتحقيق محمد الزاهي، الدار البيضاء 1979.

قال يديه، قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن ابلانا، الحمد لله حمدا غير مودع ولا مكافئ ولا مكفور ولا مستغني عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الظلال وبصر من العمى وفضلني على كثير من خلقه تفضيلا. الحمد لله رب العالمين. انتهى. رواه النسائي: وفضل على كثير.

ولا شك في أن هذا الحديث منقول من الرحلة من الجزء المفقود[1] الذي يضم ترجمة أم أحمد المقدسية وتسمى زينب.

ولأجل تكوين فكرة عامة وأكثر وضوحا عن أجزاء الرحلة وأهم ما تحتوي عليه من المعارف نورد تصميما مختصرا لكل منها على حسب من لقيه ابن رشيد من الشيوخ والأصحاب، ويتسنى لنا من خلال ذلك ملاحظة طبيعة الجزء وفحواه أولا وتكوين الشيخ أو الصاحب وميله إلى فن معين من فنون المعرفة ثانيا. وقد ركزت الاهتمام على أهم الفنون العلمية من الحديث والجرح والتعديل والفقه والشعر والنثر والنقد والكتب وبعض العلوم الأخرى.

[1]: أي الجزء الرابع. انظر من لقيهم ابن رشيد في دمشق. بعد.

المبحث الثاني: المضامين العامة للرحلة في الأجزاء الموجودة

الجزء الثاني:

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	كتب	علوم أخرى
ابن حبيش	70 بيتا	4	/	2	56	
ابن القصير	32					
التجيبي	27			2	16	
الشريشي	49					
البطرني	3					
ابوحيان الشاطبي	132			1		منطق.فلسفة
الفهري اللبلي	45			اسانيد غريبة	102	
القمجي	16			12.طرق اندلسية	14	
السلاوي	5			1	32	تصوف
الجذامي				1	27	اخبارسبتية
ابن شوشن				1	9	
الخلاسي	40			8.بعض لمسلسلات	25	خرقة التصوف
الحميري	305	نصوص	أدبية			
المجموع:= 13	620	4		28	286	

الجزء الثالث:

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
الشرابي				1	1	3	
ابن التونسي				1	1	6	
علم الدين مثقال						4	
الحبشي					1		
ابوبكر الانصاري				2	1	4	
المكين الاسمر	4 أبيات			4	2	11	
ابن الخطيب				3		4	
الساعدي	72		/			11	
التميمي	2		/				
الغرافي	6			21	8	33	استطرادات
ابن عقيل				2		3	
ابن النحاس	51	2		16	5	26	لغة
ابن الانماطي				11	3	30	
القسنطيني				1		3	
المزي				21	2	15	
ابن الخيمي	50		/	9		11	
المراغي	18			17		25	
ابن دقيق العيد	8			3		24	فقه
انقي عبيد				7		18	
الخلاطي	12	/	/	1		5	
ابو صادق القرشي	5			19		14	
الصفار المطرز				5		13	
زينب البغدادي				5	1	4	
الدلاصي				3		5	
القسطلاني				1		4	
العسقلاني	8			1		6	
الثعلبي				3	1	4	

الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
الشراريبي				3		7	
الاصبهاني	2					12	
الهاشمي				5		8	
ابن القاهر				2		3	
الاعلاقي				4		4	
التلمساني				1			
الضياء السبتي	2			3		7	
ابن الظاهري				12		17	
ابن درادة				1		7	
ابن ابي الزين				4		4	
البعلبكي				2		3	
الدميري		/		6		17	
القطب القسطلاني	37 بيتا			3		23	
العز الحراني	11			17		15	
المجموع: =40	288			221	26	370	

الجـــزء الخـــامس:

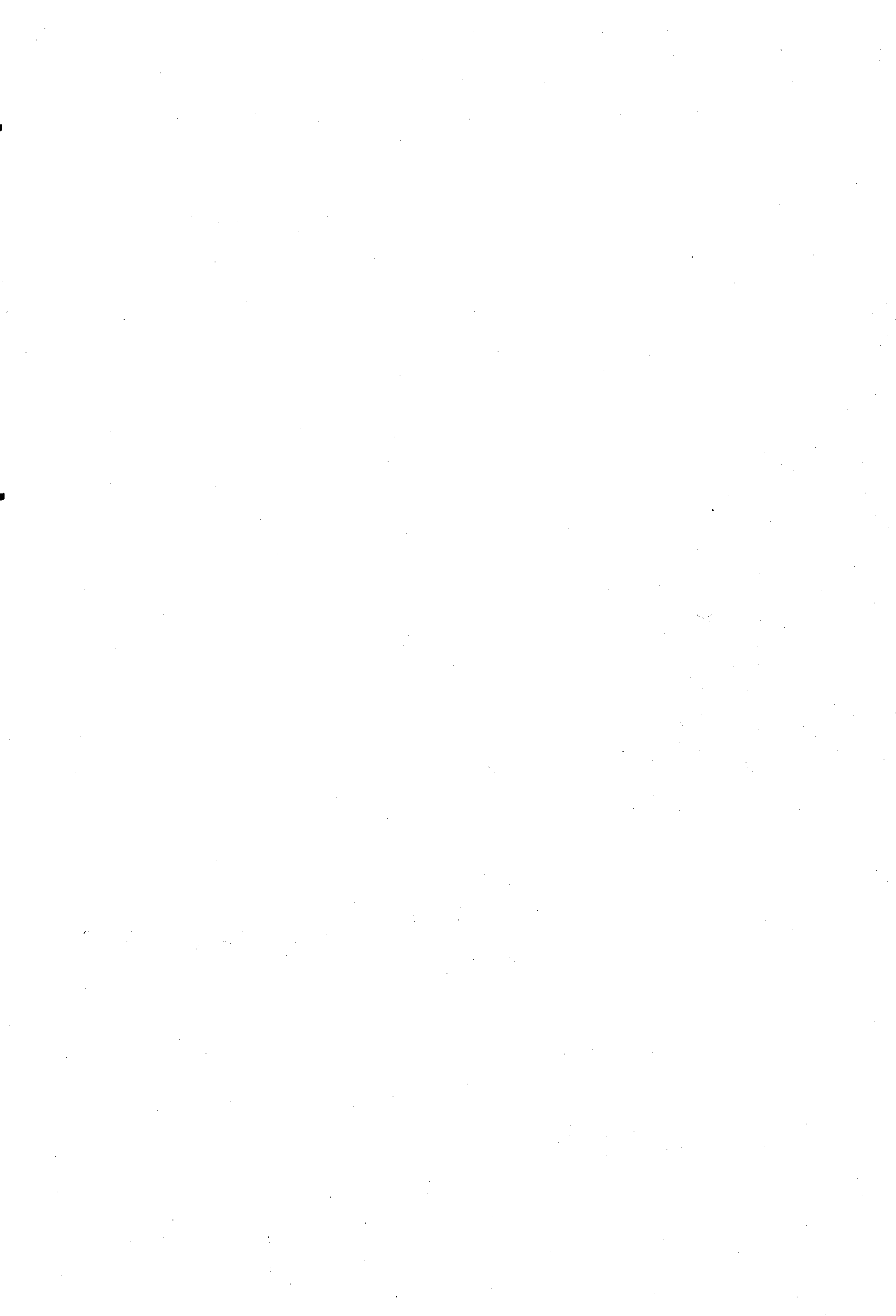
الشيخ	شعر	نثر	نقد	حديث	جزء	كتب	علوم أخرى
فاطمة البطائحي				4		3	
الرجاجيان	15 بيتا			8			فقه
ابو اسحاق الفاسي				1		3	فقه
ابن مزروع				9		13	
احمد الشافعي				2			
	19			4		23	فقه
العسقلانيان				11		7	
ابو اليمن بن عساكر	600		خطب	3		21	
الزجاجيـــان	16			3		2	
ابن الظاهـــري				4		1	
القطب القسطلاني				3		9	
القرشـــــي				2		5	
ابن دقيق العيد			1	1		4	
صواب الصلاحي	11			1			
ابومحمد الانصاري			/				
الشريف الكركي	4			2		9	تفسير
السكان اللخمي	4					1	
ابو عبد الله المربي	4		2			2	
نصير المنيـــاوي	70						
ابن حيـــان	50						
ابن خلف القرشي				5			
ابن الصواف				4			
ابو الحسن التجاني	15						
البزاز	15						
المجموع: = 24	820			67		109	

الجزء السادس:

الشيـــــخ	شعر	نثر	حديث	جزء	كتب	فقه	بلاغة
	50 بيتا						
ابن جون المراكشي							
ابـن الحـــضار							
ابو فارس التميمي					2		
ابن السمـــاط	53						
ابن زيتـــون	11		1	1	10	/	/
ابن الغمـــاز	43		4		46		
الجذامـــــي			1		2	/	
ابن ابي اللبيدي			3		6		
ابن عبد القادر البجائي		/	4		19	/	
ابن حبيش	350		9		14		
الشرف الجزائري	53	/			17		
ابو اسحاق الخزرجي	17				14		
اللبلي الفهري							
ابن ديسم	7						
ابن رزين	230	5	5		57		
اللبلي الفهري	46	1					
ابن هارون					2		
السلاوي	8				12		
ابن رأس الحجلة	23						
اللواتي	7						
الكتاني	86				26		
ابن القصير	31						
ابن هريرة	3						
الانصاري محمد بن أبي القاسم	13						
ابن همشك	8				17		
العجيسي الحلبي	11				7		
الحميري	71						
ابن حبي	213				13		
المروش	28				4		
الكلاعي	6						
القيجاطي	54						
الانصاري ابو القاسم محمد	18						
ابن اندارس	14						
الانصاري أحمد المرسي	69						
الحميري	14						
اخوه	4						
ابن القويع	21						
المجموع: =37	1409	8	22		268		

الجزء السابع:

الشيخ	شعر	نثر	حديث	كتب	علوم أخرى
أبو حفص التجاني	95 بيتا	1		1	نقول ومجالس
ابو الفضل التجاني	1330	4	2	23	
ابو الفضل الفحصبلي				1	
ابوزكرياء الرنداحي					
ابو الحسين بن قراقش					
ابن الحكـــيم				1	
ابن عيـــاش	61	1	1	1	نحـــو
ابو الحسن السفاج					
ابو عمرو بن عاصم					
ابوالقاسم بن الايسر			1		
المجموع:= 10	1486		4	27	
المجموع العام لأهم العلوم	4629		345	295	



المبحث الثالث: موضوع الرحلة ومنهج ابن رشيد فيها.

لقد دأب المؤلفون العرب على ذكر منهجهم الذي يسيرون عليه في مقدمات مصنفاتهم، وبما أنهم كانوا يلزمون أنفسهم به إلزاما، فإنهم غالبا ما كانوا يحترمون ذلك المنهج في مضمون كتبهم، ويحرصون على تطبيقه، ويسيرون على ضوئه وهديه بصدق ووفاء حرصا على الأمانة العلمية وهذا ما فعله ابن رشيد في رحلته، ومع أنه ليس بين أيدينا الجزء الأول الذي قد يكون مصدرا لتلك المقدمة التي يرسم فيها المنهج والطريقة بصفة أوضح وأكثر تفصيلا وتدقيقا، فإننا نجد له في الجزء السابع نصا يفيدنا ببعض ذلك المنهج وتلك الطريقة.

وإننا نفترض ذلك بناء على أن ابن رشيد كان يقدم لبعض كتبه بمنهج ولو مبسط لتوضيح مضمونها، وهذا ظاهر في مصنفه السنن الأبين[1] الذي قسمه إلى مقدمة وبابين، وأشار إلى ذلك باقتضاب واختصار ولكنه حرص على تطبيق منهجه فيه. ثم ان افتراضنا أن ابن رشيد كان قد كتب تلك المقدمة لا ينفي أنه اثبت بعضها أول الأمر واستغنى عن بعضها الآخر ليوضحه في آخر الكتاب فيكون بذلك قد ذكر شيئا عن أجزاء رحلته مثلا والدافع إلى القيام بها ثم ترك مسائل مهمة لها اتصال وثيق بمضمون الرحلة إلى آخر الكتاب لتكون خلاصة أو استنتاجا. ولهذا كتب مستدركا وموضحا ومعللا .

ولأجل معرفة منهجه لابد من إيراد ذلك النص لنستفيد منه شيئا عن طريقته وما ضمنه رحلته من الفوائد والمعلومات رأى أنه قصد إلى تركه وإهماله. ولهذا كان يقدم ذلك بأسلوبه الواضح المعتمد على الوصف ويستعمل الصيغ التي لها مدلول الفعل الماضي الذي يفيد التقرير لما تم فعله. وكان في الإمكان تلخيص ذلك النص ولكن لأهميته ودلالته القوية على نفسية صاحبه وروح الرحلة، ثم لما فيه من بعض النظرات المعتبرة في كتب الأدب والنقد، لذلك كله اخترت إيراد ذلك النص بصيغته:

"قال ابن رشيد[2]:" ولما أنعم الله سبحانه بتيسير الغرض من هذا التقييد الذي تسنى ببركة التوجيه لأداء المفترض، سنح ببالي أن بعض ما ذكر فيه قد يعترضه من اعترض ممن لا يفرق بين الجوهر والعرض، فرأيت أن أبين كيف وقع الحال فيما اشتمل

---

[1]: السنن الأبين 15-16.

[2]: الرحلة 64/7.

عليه من الحل والترحال فأقول، والله في العفو والصفح المسؤول، أنني لم أكن قصدت به مقصد التصانيف المهذبة، ولا التآليف المرتبة، وانما قيدته بحسب ما يسر لي مما كنت كتبته على ظهور الكتب وفي بطون البطائق مما قيد للتذكار بتلك المعاهد اللائحة الأنوار، فقصدت أن أضم بِدَدَهُ، واجمع عدده، وأكثره وقع على غير روية بل وفى ما سمحت به السجية، فبحسب ذلكم ربما وقع فيه من أسماء الشيوخ مقدما من غيره أحق بالتقديم منه، ومؤخرا من حقه أن يؤخر غيره عنه[1]. وربما وقعت(كذلك أيضا[2]) التواريخ في قراءتي على من قرأت عليه أو سمعت منه أو أخذت عنه[3]، وكل ذلك كتب على حسبما تيسر من غير روية ولا تنقيح. وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان، ويعز وجوده على ذي البحث والتنقير والافتنان، من مسائل حديثية وأصلية وأدبية وبيانية بعضها منقول عن أئمتنا وأشياخنا وبعضها مما فتح الله فيه من فضله العميم ، وافاضه من طوله الجسيم مما هو في ظني لم اسبق إليه ولا زوحمت عليه. والحمد لله والشكر لَهُ.

وفيه أيضا مواضع من الاسانيد والمتون وافادات ذوات العقول وقع الغلط فيها من غيري في سند أو متن، فما علمت وجه الصواب فيه أوضحته وأقمت صولبه، ونبهت على أني أصلحته، وبعض بقي على حاله مغفلا ، فكتب مغفلا وضبب عليه، أو جعلت في الحاشية علامة(نظر) ترشد إليه فمن وقع له وجه الصواب في ذلك فليدركه بفضل حلمه وسعة علمه وكذلكم ان وقع خطأ من قبل في خط أو نقل، فلينبه عليه على طريق الاتصاف بالانصاف وعدم التعسف والاعتساف بحول الله. وكذلك من وصفته من شيوخنا وأصحابنا بصفة أو حَلَّيْتُهُ بحلية فلم اتجاوز في أوصافهم بل جئت بما هو أقرب إلى انصافهم وان سلك في بعضها على عادة أهل الأدب من الشعراء والكتاب، (فما قلت إلا بما علمت سعد). وشهد لهم من له مالهم من السؤدد والمجد. ولم اذكر منهم من لعله أنبهم عليَّ ذكره إلا النادر ممن عرف أمره ولم أورد عنه الا شيئا من نظمه أو ما أنشده لي من غيره، وأشرت إلى التنبيه على أحوالهم من غير إفصاح وذلك مغن عن الإيضاح. وقصدت بذكرهم أن أتذكرهم فأوالي لهم الاستغفار وأسأل لهم العفو من المنعم الغفار،

---

[1]: وذلك مثلما وقع في ترجمة أبي الحسن الغرافي الرحلة 10/3.

[2]: كتب ما بين القوسين في الهامش.

[3]: هكذا وردت تلك الجملة.

وأيضا ليكونوا في حلبة قوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش معهم أنيسهم ورحمة الله واسعة ومغفرته شاملة جامعة والله واسع عليم.

وكذلك وقع فيها من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتبه وإنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف مناقشة الحساب و...[1]الجواب يوم بعثه من رمسه فأقول والله الموفق أني تحاميت فيه كثيرا مما يقبح ولا يحمل من وجوه التوريات وإن كانت تَرَائِبُها بالبيان حاليات، والشعر أنما بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن وإن كان على غير ذلك في الظاهر، وإنما الأعمال بالنيات[2].

وقد ضمنت هذا المجموع من الأحاديث النبوية والغرائب الأصلية والفقهية واللطائف الأدبية والنكت العروضية[3]، ما أرجو أن يشفع فيما تضمن من غير ذلك ويثقله في الميزان، ووراء ذلك كله رجاء العفو والغفران من الملك الديان.

وتضمن من حكم الاشعار ومدح النبي المختار وما يعفي على ذلك النزز الواقع فيه من غيره إن شاء الله.

وقد أتى بمثل ما أوتيت به من أبيات الغزل الغريبة، والفاظ التورية العجيبة غير واحد من ائمتنا وشيوخنا، وليسوا مدفوعين عن باب الورع من المتقدمين والمتأخرين، وكتبهم وفوائدهم وفرائدهم مملوء بذلك، وفيهم الاسوة وبهم القدوة، كالقاضي ابي علي الصدفي وجماعة من شيوخه وكالقاضي عياض وجماعة من شيوخه وكالخطيب البغدادي، وأبي عبد الله الحميدي والحافظ السلفي[4]وغيرهم من الاعلام، وقد نبهت أثناء الواقع منه في هذا التعليق على مواضع من ذلك واشرت على ما سوغه الفقهاء من تلك المسالك

---

[1]: كلمة غير واضحة.

[2]: كتب في الهامش (ولذلك قال بعضهم وقد سئل عن سماع الغناء...) والخط غير واضح.

[3]: كتبت هذه الجملة في الهامش.

[4]: كتب إمام هذا السطر في الهامش وللقاضي أبي بكر بن العربي في ذلك افسح مجال في الروية والارتجال(انظر المغرب في حلي المغرب 225/1).

وحسبه[1] قول زاهد الفقهاء من التابعين أبي عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[2] الشائع في الناس وقد جمع فيه اسماء السبعة الفقهاء:(الطويل).

أحبك حبا لا يحبك مثله * * * قريب ولا في العاشقين بعيد (الأبيات)

وانا ابين قصدي، بإيرادهم ذلك فأقول لما كان فهم الكتاب العزيز وكلام النبي صلى الله عليه وسلم متوقفا على فَهم تفنن العرب في وجوه بلاغتها وفنون فصاحتها ولذلك قال عمر رضي الله عنه: عليكم بديوان العرب فإن فيه فهم كتابكم وشحذ ألبابكم. قالوا وما ديوان العرب يا أمير المؤمنين؟ قال شعرها. وكان للعرب طرائق في البلاغة والفصاحة فجاء الإسلام فازدادوا هُمْ ومن بعدهم دقائق وفوائد، فوافق ما استفادوه من كتاب الله وسنة نبيه. فولدوا من ذلك فنونا عجيبة واساليب غريبة، ثم لم يزل المولدون كذلك هلم جرا إلى زماننا فأبدوا من الغرائب والعجائب ما تقف دونه الخواطر. واتوا من ذلك بالسحب المواطر. قصدت أن أبين تلك التفننات وأورد ما يخف من تلك التصرفات، ليرى ما خص به هذا اللسان العربي، ليكون عوضا للأفكار على ما تستثيره من كوامن أسرارها وربما اهتدت إلى المحال التي نقلت منها واستنتجت عنها فتقضي من ذلك العجب. هذا المتنبي يقول:(الخفيف)

وإذا كـانت النفوس كبارا * * * تعبـت في مـرادها الأجـسام

وهذا إذا تؤمل مأخوذ من قوله عليه السلام لما نزلت عليه:"ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"فقام عليه السلام حتى قرحت قدماه فقيل له في ذلك. فقال افلا اكون عبدا شكورا؟ وذلك أن عبادة التكليف يطيقها القلب والجوارح، وعبادة الشكر إنما يقوم بالمستطاع منهما القلب.وأما الجوارح فتنفسخ دونها. وإذا كان المقصود هذا وكل ينتوجه له وجب بحسب الناظر صار هذا الإيراد من قبيل المندوب لا من قبيل المكروه، ونية المؤمن أبلغ من عمله، وقد سمع بعضهم"السعتريري" فغشي عليه، وفهم من ذلك "اسع تَرَ بري"[3] وكذلك سمع بعضهم(وجه مليح وشارب أخضر)، فتواجد فسئل

---

[1]: كتبت هذه الفقرة في الهامش.

[2]: انظر عن ابن مسعود : التاريخ الكبير للبخاري مجلد 5 قسم 1 ج: 3 ص: 385 ت: 1239. قيل للزهري أكان عبيد الله يقول الشعر؟ قال وهل يستطيع الذي به الصدر أن لا يشعر؟. وانظر عنه أيضا حلية الأولياء 188/2 ت:174.

[3]:جاء في كتاب اللمع في التصوف لأبى نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي في باب وصف المشايخ في السماع:"وسمعت يحيى بن الرضا العلوي ببغداد يقول: وكتب لي هذه الحكاية بخطه قال:سمع ابوحلمان الصوفي رجلا يطوف وينادي ياستعري فسقط وغشي عليه فلما أفاق سئل عن ذلك وقال سمعته يقول اسع تربري قال الشيخ رحمه

بعد فن فهمه فقال:الوجه الجميل وجه ذي الجلال، وانا في المحبة شارب خضر أي غير متمكنِ المكانة[1]. وقد حكى الحافظ أبو الفضبل محمد بن طاهر المقدسي المحدث الصوفي قال: واخبرنا ابومحمد التميمي ببغداد قال:سألت الشريف ابا على محمد بن احمد بن ابي موسى الهاشمي عن السماع فقال:ما ادري ما اقول فيه غير أني حضرت بِدَارِ شيخنا ابي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة تسعين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبوبكر الابهري شيخ المالكيين وابو القاسم الداركي شيخ الشافعي وابو الحسن طاهر بن الحسين شيخ اصحاب الحديث، وابو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وابو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه ابو بكر الباقلاني في دار شيخنا ابي الحسن النميمي شيخ الحنابلة، فقال ابو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم، ومعهم ابو عبد الله غلام بابا، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن وربما قال شيئا، فقيل له قل لنا شيئا، فقال وهو يسمع:(البسيط)

خَطَّتْ اناملها في بطن قرطاس * * رســالـــــة بعبيــر لا بأنفـــاس

ان زر فديتك من غير محتشم * * فإن حــــبك لي قد شاع في الناس

فكان قولي لمن أَدَّى رسالتهـا * * قفي لأمشــي عـلى العينين والرأس

قال ابو عَلي فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن اقتي في هذه المسالة بحظر ولا إباحة.

قلت: وقد وقفت على هذه الحكاية في كتاب تلبيس ابليس لابي الفرج بن الجوزي[2] قال فيها: وقد أنبأنا ابو زرعة بن محمد بن طاهر عن ابيه، وذكرها ونقص منها ذكر أبي بكر الباقلاني رحم الله الجميع. وقد أنبأنا عن الجوزي بجميع ما عنده رُحْلَةُ

فكذلك قال المشايخ الذين هم العلماء بهذا الشان وأهل الفهم بهذه القصة أن السماع على حسب ما يقر في القلوب من حيث شغله ووقته وحضوره ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدي إلى أبي خلمان سمعه من حيث وقته وشغله.
اللمع ص: 289. وانظر مثل هذه المعاني كتاب المحاضرات لأبي علي اليوسي بعنوان: تَدَبُّر العقل في أسرار الكون، وتذوق الصوفية معاني الأبيات والإشارات وتأويلها حسب المقومات. 2/415-416-433 وهو من البحوث النفيسة.

[1]: كتبت فوق هذه الكلمة اشارة على الهامس وفيه:"ورأت بعض الفقهاء المتشردين شيخا من الصوفية في بعض المساجد وشاب يغنيه أبياتا من جملتها:
.........فصاح الشيخ وتوجد ورمى بنفسه إلى الأرض. قال فقلت له: ايها الشيخ تسمع من الشعير ما شاء الله ولم يظهر عليك الطرب العظيم إلا عند هذا البيت السخيف أي معنى ظهر لك فيه؟. فقال إن كنت تسمع الجواب بحسن ظن قلت لك وإن كنت تسمعه مع سوء الظن فلا يفيد".

[2]: كتاب تلبيس إبليس ص: 240 طبعت دار الكتب العلمية

مصر والشام أبو العز الحراني وابو الحسنن...[1] رحمهما الله. وقال القاضي ابوبكر بن العربي رحمه الله في عارضة الاحوذي له[2]. ولا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع، وإن كانت فيه الخمر ممدوحة بصفاتها الخبيثة من طيب راحة وحسن لون إلى غير ذلك مما يذكره من يعرفها، فقد مدح فيها كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

بانت سعـاد فقلبي اليوم مَتْبُـــولُ

إلى قوله في صفة الخمر: كأنه منهل بالراح معلول (انتهى)".

ثم أتى ابن رشيد بعد ذلك بكلام اتركه لتعذر قراءة بعض كلماته بسبب ما وقع فيه من التلف، وملخص ذلك الانتصار لرأيه في مفهوم الغزل وتمثيله في ذلك بالعلماء المتقدمين والمتأخرين الذين أتوا به في معرض التورية ووجهوه حسب النية الصالحة، فاستعرض لتأييد مقالته، ما وقف فيه على ما لبعض الشيوخ المعتمدين كالإمام الشريف ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحسني الاسكندري بلدا في كتابه الذي جمع فيه اشعاره الغزليات واحتج بذلك مبتدئا بالصحابة ومن بعدهم، وضرب لذلك مثلا شعر ابي المعالي الجويني وابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري المذهب الذي كان على تمسكه بالظواهر كان شافعيا ثم انتقل إلى القول بالظاهر وكذا ابو عمرو بن يوسف بن محمد بن عبد البر النمري الذي كان ظاهريا ثم صار مالكيا مع ميل إلى فقه الشافعي في مسائل لا ينكر له ذلك[3]. ومثل ابن رشيد ذلك بغزليات الفقيه ابي الوليد بن حزم الوزير، وابي الصلت امية عبد العزيز بن امية الاندلسي كما ورد في كتاب الحديقة، وما ينسب إلى ابن سناء الملك أو ابن الساعاتي والفقيه الإمام الزاهد ابي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي فإنه مع فقهه المبين وزهده المتين كان يسمع من ينشده أبيات للوأواء الدمشقي ومنها:(مجزوء الكامل).

---

[1]: كلمة غير واضحة.
[2]: عارضة الاحوذي 287/10.
[3]: التمهيد لابن عبد البر 1/بسط.

قمـــر أتـــى من غير وعد * * في ليلة طـــرقت بســـعد

الأبيات[1].

وبعد هذه النبذة نستعرض المنهج العام الذي سلكه ابن رشيد في رحلته وذلك في عرضه للتراجم وما يتعلق بها من إيراد المعارف والأخبار.

إذا القينا نظرة عامة على تلك التراجم وجدنا انها تتفاوت طولا وقصرا وأهمية، ومع ذلك يجمعها منهج يكاد يكون متفقاً في أغلبها، فهو يقدم المترجم له يقوله:وممن لقيناه بمدينة كذا..

وبعد ذلك يورد له وصفا من أوصافه الخلقية والعلمية ويذكر اسمه كاملا وقد يأتي له بسلسلة النسب التي ترفع إلى الجد الواحد والعشرين[2] أو الاثنين والعشرين[3]، وقد يحقق له اسمه إذا رأى في ذلك رفعا للالتباس أو الوهم، ثم يذكر علاقته الخاصة بذلك الشيخ من الصحبة والقراءة والأخذ والإجازة له ولأولاده وأخواته، ويفصل فيما أخذه عنه من الأحاديث والأشعار وما رواه عنه في الكتب والفرائد، ونلاحظ أنه يحرص في أغلبها على روايتها بالسند المرفوع إلى قائل ذلك الحديث أو منشد الشعر أو مؤلف الكتاب. ثم أنه لا يقبل تلك الروايات على علاقتها وإنما يناقش الحديث ويذكر علله وغير ذلك مما رأيناه في دراسة شخصيته محدثا. ويختار من الأشعار ما لطف معناه وشرف كما سيتضح لنا من خلال دراسة الشعر الوارد في الرحلة، ويعتني بإيراد كل ما يتصل بتلك المسائل التي يناقشها ولهذا يستطرد أحيانا إلى ذكر مسائل من التفسير أو الجرح والتعديل أو البلاغة والنقد والفقه والجغرافية وغيرها، وكل ذلك بطريقة لا تبعث على الملالة كما قد يظن بسبب طول الرحلة واتساعها. ونلاحظ أنه كان يميل إلى أن يأتي ببعض الغرائب سواء في الحديث أم الحكايات أم الأوصاف، ويحرص على أن ياتي بكثير من الفوائد التي قال أنه لم يسبق إليها ويظهر ذلك في كثرة النقول من المصادر التي يعز وجودها، والطريقة الخاصة في صحبة العلماء.

---

[1]: الأبيات في الرحلة 66/7. وقد ورد منها ثمانية أبيات ومن المحتمل ان تكون قصيدة وهي مبتورة بسبب فقدان الجزء الأخير من الكتاب.

[2]: انظر ترجمة ابي الحسن عيسى بن ديسم الذي يرفع نسبه إلى ابن عوف الزهري الرحلة 63/6. وترجمة 86 من هذا البحث.

[3]: وذلك في ترجمة ابي الحسن الغرافي الذي يرفع نسبة إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه الرحلة 10/3. وترجمة 128 من هذا البحث.

المبحث الرابع: خط سير ابن رشيد في رحلته.

لأجل معرفة خط سير ابن رشيد في رحلته نورد له هذا المجمل الذي نبين فيه تاريخ الذهاب والإياب وأهم المدن والمواضع التي حل بها وزارها وبعض الطرق التي سلكها وكل ذلك مستخرج من الرحلة أو الكتب التي درستها أو نبهت عليها.

واذكر في هذا الصدد ان ابن رشيد لم يكن يهتم كثيرا بتاريخ حله بالمواضيع وترحاله منها كما مر في دراسة شخصيته جغرافيا، ولهذا نجهل كثيرا من التفاصيل المهمة الضرورية.

الذهـــــاب

الزمن	المكان	ملاحظات
أوائل سنة 683 ما بين محرم 683 وآواخر ربيع الأول 683	ابتداء الرحلة من مرسى المرية بالاندلس. انتقاله بين مدن شمال افريقيا بالمغرب الاوسط كتلمسان وبجاية وبونة[1]	برفقة الوزير ابن الحكيم في الجزء الثاني المفقود
الثلث الأخير من ربيع الأول 683 وشهر ربيع الثاني683	انتقاله ما بين تونس وطرابلس	
أواخر جمادى الأخرى 683	انتقاله ما بين مصر والقاهرة والاسكندرية وبلبيس وطلموش	
آواخر شعبان 684	توجهه إلى الشام والإقامة في دمشق والقدس وبعليك وحرم الخليل وغيرها	ولا ندري تفصيل ذلك بسبب فقدان الجزء 4
الجمعة 1 شوال 684	سفر ابن رشيد من ظاهر دمشق على موضع يسمى ميدان الخطى	
الاثنين 11 شوال 684 (عصرا)	الخروج من دمشق إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والمبيت بموقع يسمى القيسارية على ضفة النهر	
الثلاثاء 12 شوال 684 (سحرا)	الشروع في الرحلة إلى بصرى ولقاء منازل على الطريق	لم يذكرها ابن رشيد

[1]: وقد نبهني الأستاذ عبد القادر زمامة إلى ان ابن رشيد زار تلمسان مرتين انظر التفصيل في مجلة المناهل عدد 22 ص: 550- 551.

الجمعة 15 شوال 684	نزوله ببصرى والاقامة هناك ليتجمهر الناس لاستقبال الصحراء ليومي السبت والأحد 16 و17 شوال 684	وصف دورها بأنها منحوتة من الحجر
الاثنين 18 شوال 684 (ضحاء)	استقبال الصحراء والرحيل من بصرى إلى وادي الأزرق	لم يلق أحد من أهل العلم
الأربعاء 20 شوال 684 (مساء)	موافاة وادي الازرق والإقامة هناك يومي الخميس والجمعة 21- 22 شوال 684	
السبت 23 شوال 684 (ضحاء)	الرحيل إلى جنار المعصم	وهو موضع يرفع منه الماء
الخميس 28 شوال 684	للوصول إلى جفار المعصم والاقامة فيه يوم الجمعة	ويزدحم الناس هناك وقد رأى ابن رشيد قدوم الركب الشامي في ستين الف راحلة والبغال والحمير
6 ذي القعدة 684(ظهرا)	موافاة تبوك	ويعبئ الناس فيه الجيش ويتزين الرجال والفرسان بالأسلحة ويسيرون وتسير خلفهم الرواحل ويشتغلون فيه بالتعبئة بالحطب حتى تظهر كأنها مراكب بحرية وذلك لتعذر الحطب بأرض تبوك إلا على بعد منها اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في تعبئة الجيش
الجمعة 7 ذي القعدة 684	الإقامة بتبوك إلى يوم 8 من ذي القعدة	
ذي القعدة 684(ربع الليل الأخير)	الرحيل إلى طيبة	خفت الركاب واهتاجت القلوب ولمع البرق من آفاق طيبة تلك الساعة ما كان أطيبها
الأحد 23 ذي القعدة 684 (ضحاء)	النزول بطيبة	أخذ الناس منازلهم واغتسلوا وكحلوا للقدوم على الضريح الطاهر، فلله

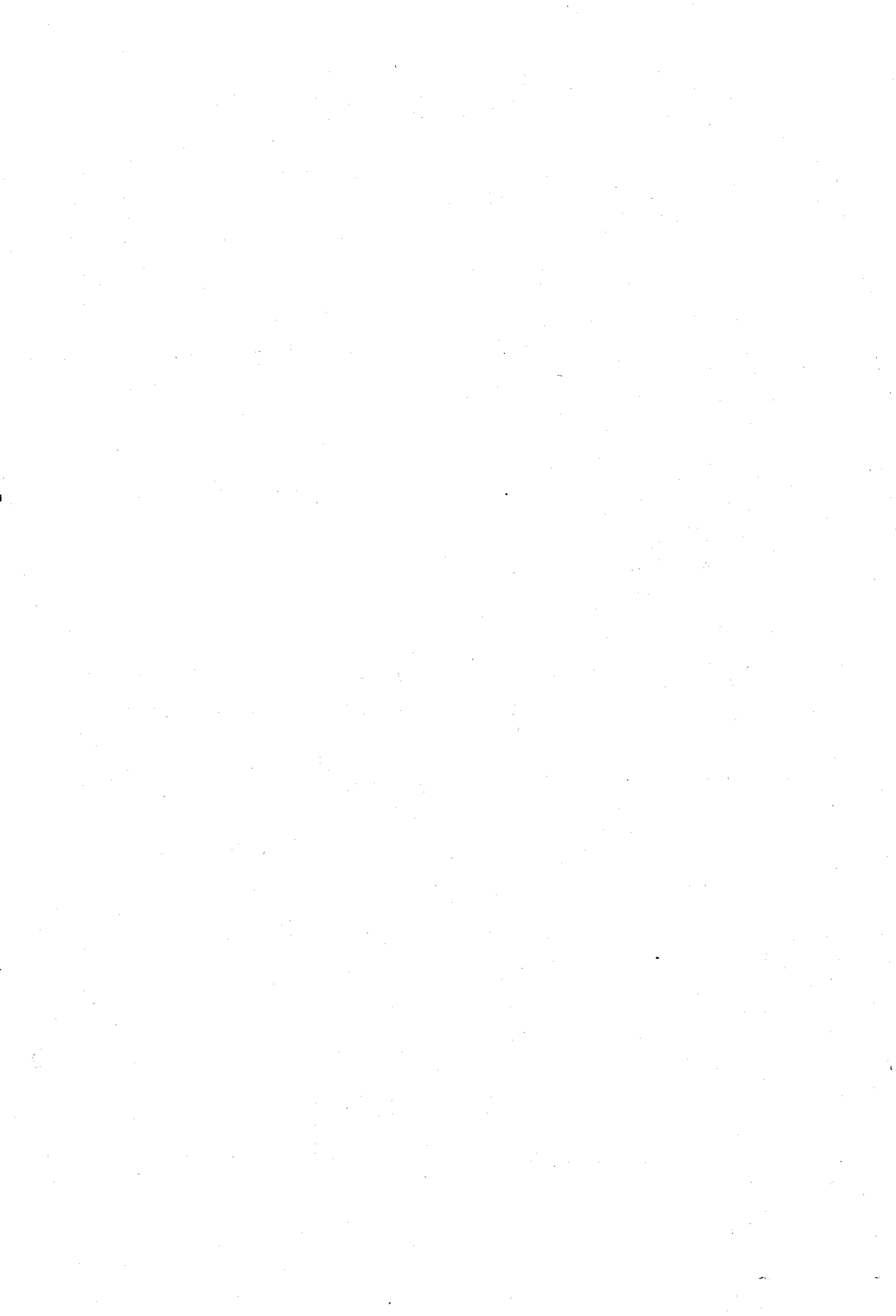
		ما ابدع ذلك اليوم، وفيه ذهب الناس لزيارة المدفن والبقيع، بقيع العرقد المعروف بحش كوكب.
السبت 29 ذي القعدة 684(غدوة)-(ظهرا)	الوصول إلى وادي الصفراء موافاة بدر	وفيه قصب وزروع وبطيخ ودبا وقطاني
الأحد 30 ذي القعدة 684	الرحيل من وادي الصفراء	
1 ذي الحجة 684	الوصول إلى رابغ	وهو موضع احرام
الاربعاء 3 ذي الحجة 684	الوصول إلى خليص	
ذي الحجة 684 (الربع الأول من الليل)	موافاة بصرى	
ذي الحجة 684(الليل الآخر)	الرحيل من بصرى إلى مكة	استقبال أهل مكة وأطفالها للركب في يوم نزل فيه المطر الوابل(مع ابن الحكيم)
الأحد 7 ذي الحجة 584	التوجه إلى منى ثم إلى العقبة	رؤية العجب: وهو إيقاد الشموع بالجبل الواقع وسط عرفات المعروف بألال، وهنا لقي ابن الحكيم وابا محمد المرجاني، وقد استنكر ابن رشيد ذلك
الاثنين 8 ذي الحجة 684 (ليلا)	الذهاب إلى عرفات والمبيت بها ومن مكة إلى منى	
10 ذي الحجة 684		يوم النحر
الخميس والجمعة 11 و12 ذي الحجة 684	بعد طواف الإفاضة	الإشارة إلى حادث منع أصحاب البيت له من الدخول إليها إلا بعد إعطاء ما يرضيهم
14 ذي الحجة 684		الاستعداد لقفول ابن رشيد من الحج

الإيـــــاب

الزمـــــن	المكـــان	ملاحظـــــات
28 ذي الحجة 684	توديع مكة المكرمة(الاستعداد)	وقد أودعوها الأرواح ورحلوا بالأشباح
الأربعاء 1 محرم 685 (ليلا)	توديع مكة المكرمة إلى موضع يسمى مطرح الغزالة	
الأربعاء 1 محرم 685 الخميس 2 محرم 685	السفر إلى وادي الصفراء النزول في مكان لم يسم له	
الجمعة 3 محرم 685	الوصول إلى ينبع	كان اليوم قائظا وكاد الناس يموتون عطشا وقد أقبل المغنون على الركب بالترحيب (والعامة تقول الينبُوع)
السبت والأحد 4-5 محرم 685	البقاء بينبع	لأجل الاستراحة
الاثنين 6 محرم 685 (ظهرا)	الرحيل من ينبع	
8 محرم 685	موافاة المغيرة	وبها مـــــاء
الخميس 9 محرم 685 (ليلا)	مغادرة المغيرة	
الجمعة 10 محرم 685(طلوع الشمس)(ظهرا)	موافاة الحوراء التوجه إلى منازل منها الوجه سلمى عيون القصب	فيها واد فيه شجر الاراك وما رد للشارب وكان اليوم يوم عاشوراء وهناك تلقاهم القادمون من الشام بالدقيق والتبن والخروب
محرم 685	نزوله بالقاهرة ومصر	
الجمعة 22 صفر 685	الانصراف عن مصر	وابن رشيد شاك من الرمد(والله آمل الشقاء والعافية)
الأربعاء 27 صفر 685	الوصول إلى الاسكندرية من مصر إلى القاهرة	والحالة من الرمد مشتدة، وقد منعه ذلك من استيفاء أغراض عدة
الثلاثاء 4 ربيع الأول 685	التوجه إلى الاسكندرية	ولم يكن توجهه إلها عازما على التغريب ولكن لأخذ كتب كان أودعها هناك
27 ربيع الأول 685	سفره في بحر	برفقة الوزير ابن الحكيم

	الاسكندرية	
أواخر ربيع الأول 685	سفره في طبرق، ومرسى هوارة وصحراء برقة	مرسى هوارة المعروف بقصر احمد
1 ربيع الآخر 685(غدوة)	موافاة مدينة طرابلس	البقاء فيها إلى يوم الأربعاء
الأربعاء 3 ربيع الآخر 685 (ضحاء)	السفر من طرابلس	وهي بلد حسن وفيها ناس فضلاء، وقد أشار إلى الخوف من العدو البحري
10ربيع الآخر 685 (منتصف الليل)	موافاة المهدية	مدينة حسنة ولكنها مخربة
الخميس 14 ربيع الثاني 685	عزمه على السفر من بلاد تونس إلى بلاد المغرب	
16 ربيع الآخر 685(ضحاء)	البقاء في المهدية والسفر منها	
16 ربيع الآخر 685(بعيد العصر)	الوصول إلى سوسة	وهي مدينة أصابها الخراب كالمهدية
الأربعاء 17 ربيع الآخر 685 (صباحا)	السفر من سوسة إلى الحمامات	المبيت عند عجوز صالحة، والإشارة إلى اكتراء الحمير لاستعمالها
18 ربيع الآخر 685 (ضحاء)	السفر من الحمامات والمرور على المياه والقرى	في جو من الأمن والاطمئنان
الجمعة 19 ربيع الآخر 685 (قبل طلوع الشمس)	السفر من دار العجوز الصالحة والوصول إلى تونس	وكان هو وصحبه أول من دخل بابها وتلقاهم هناك الأصحاب لما سمعوا بوصولهم
العشر الأخير من رمضان 685	المكوث بتونس	وذلك مع رفيقه ابن الحكيم لعدم وجود جفن (مركب) للسفر فيه
دخول عام 686 يوم الأحد	البقاء بتونس	وعزمه على السفر مع مجموعة من الأصحاب
الخميس 14 ربيع الثاني 686	الإقلاع من تونس والرجوع إلى الوطن	وذلك في مركب النصرانيين، وفيه تجار مسلمون، في جو من الاضطراب
السبت 7 جمادى الاولى 686	الدخول إلى بونة	والحال قد تفاقمت بين التجار

		وصاحب المركب
الخميس 12 جمادى الاولى 686	الدخول إلى مرسى اشتورة	وقد أقام فيه يوما أويومين
الأحد 22 جمادى الأولى 686 (عشاء)	الوصول إلى مرسة برشك	وفيه ذكر العدو قصمه الله، وخبر استيلاء العدو على جفن الدلائي وخبر تغير الريح على المركب
الثلاثاء 1 جمادى 2	الوصول إلى جهة نارجة	بعد أن ساعدت الريح بعض مساعدة
الثلاثاء 1 جمادى الثانية686 (بعد الظهر)	موافاة مرسى مرية بلش مالقة ومنها إلى بزيانة	وقد تغيرت الريح، فنزل من في المركب مع بعض الأصحاب. ثم سار في البر وبات تلك الليلة بالمنزل المعروف ببزليانة
الأربعاء 2 جمادى الأخرى 686	موافاة مالقة	لقاؤه صاحبه ابا زكرياء الرنداحي، ووصول إلى ابن الحكيم الذي كانت بينهما معاهدة ومعاقبة أنه ان تمكن له دخول الأندلس مايتوجه على بلده إلا بعد الاجتماع به
الخميس 10 جمادى 2	المبت بقصر بثيرة	بعد مالقة والتوجه إلى ابن الحكيم
الجمعة 11 جمادى 2 (اثر صلاة الجمعة)	موافاة رندة	
الجمعة18 جمادى 2 (بعد صلاة الجمعة)	انصرافه من رندة	
الجمعة 20 جمادى2 686	الوصول إلى الجزيرة الخضراء	
الاثنين 22 جمادى 2 (ضحاء)	انتهاء السفر والوصول إلى الوطن	
692 هـ	موافاته غرناطة	بعد تعيينه للخطابة بعد قضاء سنوات في سبتة
706هـ	قدوم ابن رشيد من الأندلس إلى سبتة زائرا	



المبحث الخامس: أهم المصادر التي كان يرجع إليها ابن رشيد وينقل منها في رحلته

ما أكثر تلك المصادر التي كان ابن رشيد يذكرها في رحلته، وما أهمها وأشملها لمختلف العلوم والفنون التي تحتفظ لنا بالتراث. وإذا تجاوزنا في إيراد أسماء هذه المصادر فإننا نعتبر:

1- أن جميع شيوخه وأصحابه الواردة أسماؤهم في الرحلة مصادر مباشرة لأغلب نصوص الرحلة، لأنهم هم الذين كانوا يمدونه بالإنشادات والروايات والفوائد والأخبار.

2- وأن جميع الكتب الواردة فيها بغض النظر عن النقل أو الأخذ منها أو تعيينها، كذلك مصادر لتلك النصوص لأن لها اتصالا وثيقا بثقافته وثقافة أولئك الشيوخ والأصحاب، وهي التي كانت تحدد لهم اتجاهاتهم وتخصصهم في فن معين من المعرفة، ومن تلك الكتب كان ينقل هؤلاء الشيوخ ومنها يروون وفيها كانوا يدرسون.

3- وان أسماء الأشخاص والكتب التي جمعتها في هذه الجداول تعد من أهم المصادر التي كان ابن رشيد ينص على النقل منها وينبه عليها في معرض الإحالات أو إيراد التعليقات والإفادات.

أ ـ كتب الحديث والفقه والتفسير

وَالأُصُول والأحكام والزهد والتصوف والتعبيير

الكتاب	الرحلة	المؤلف	ملاحظات
اتخاذ المنبر	94/3	ابو القاسم بن هبة الله بن عساكر	
اختلاف قول مالك وأصحابه	58/3	ابو عمر يوسف بن عبد البر النبي الأندلسي	
الأربعين	67/3 و18/6	ابو عبد الله القاسم بن الفضل بن محمود الثقفي	
الأربعين حديثا من رواية المحمدين المخرج من صحيح البخاري لابن مسدي	26/5	تخريج ابي بكر محمد بن علي بن ياسر الانصاري الجياني	قسمه إلى أربعة فصول في كل فضل عشرة أحاديث وحكاية
الأربعين السباعيات	103/3- 111- 6/1	ابو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوي	
ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة	110/3و111	المؤلف ابوبكر محمد بن احمد القسطلاني	وقد بين فيه طرق لباس الخرقة
أرجوزة في أصول الفقه(في الفرائض)	61/7	ابواسحاق ابراهيم بن فرقد	
الارشاد	110/3- 111	ابو يعلى الخليلي	
الاستيعاب	46/2 و68/3	ابو عمر بن عبد البر	
الأطراف	12/5	ابو القاسم ابن عساكر	
الاعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه	66/3 101/6	ابوبكر محمد بن احمد الحازمي	وهو من أجل الكتب ومقدمته المهمة في الترجيحات خاصة انظرص(7- 23)
اكمال المعلم	22/6	القاضي عياض	
الامـــالي	96/3- 100	ابو الحسن بن ميلة	
الامـــالي	5/3	ابو الفتح نصر المقدسي	
الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء	54/5 مكرر	ابو عبد البر النمري	
إيثار النقل لآثار	82/6	محمد بن احمد بن الجلاب	

الفضل			
البدر المنير في علم التعبير	36/7	ابو العباس بن سرور المقدسي	وهو المختصر الوجيز الجليل
تحفة عيد الأضحى	28/5	زاهر بن طاهور الشحامي	
التذكرة	58/3	ابو محمد مكي	
ترتيب الرحلة	23/5	ابو عمرو بن الحاجب	
التصحيح	37/5 مكرر	ابو حاتم بن حبان البستي	وهو التقاسيم والأنواع في الحديث
تلبيس ابليس	65/7	ابو الفرج ابن الجوزي	
التمهيد	11/5	ابن عبد البر النمري	
التمييز	12/5	مسلم	
التمييز	12/6	ابو داوود النسوي	
الجامع للمصنفات الجوامع	10/5	ابو موسى الرعيني الرحال	
جزء	80/3	ابو اسحاق إبراهيم بن ديزيل	
جزء	122/3	ابن عـــرفة	
جزء الصوت	103/3	ابو البركات الدميري	فيه الأحاديث التي ذكر فيها الصوت
جزء(الانتزاع)	106/3	مالـــك	
جزء	57/6	ابو الحسين احمد بن محمد بن العلاء	
الجزء الأول من الفوائد المنتقاة الغرائب العوالي عن الشيوخ الثقات	19/3 مكرر	رواية الشيخ ابي طاهر محمد بن عبد الرحمان بن العباس المخلص.	
جزء	74/5	ابو القاسم عبد الرحيم بن طلحة الانصاري	ذكر فيه الأحاديث الواردة في الحمام
جزء من الغيلانيات	97/3	ابو بكر محمد بن عبد الله الشافعي	كتبه ابن الظاهري لابن رشيد إلى أمراء الطرائق
جزء من الخِلَعِيَّات	80/5	ابو الحسن علي الخلعي	الجزء العاشر
جزء العشرين الصحاح	105/3	رواية الحسن احمد بن زريق المخزومي	تخريج خلف الواسطي
جزء فيه حكايات	70/3	عبد الملك الاصمعي	
جزء من حديث	102/3	ابو العباس محمد بن يعقوب	

		الاصم	
جزء فيه كرامات الحرالّي	41/2	جمع تلميذه السلاوي	شيخ ابن رشيد
الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة	29/2 و21/5- 23	ابومحمد ابن شأس	أبدع فيه مذهب مالك
حلة الناسك في صفة المناسك		ابو عمرو ابن الصلاح	
الخلعيات	21/3- 73	ابو الحسن الخلعي	
الدلائل(في الحديث)		قاسم بن ثابت السرقسطي	
سباعيات	119/3	ابو بكر بن العربي	وطرر عليها
سنن	4/2- 44	ابـــوداوود	وانظر ايضا 5/3 و50/5
سنن	45/2- 46	الترمـــذي	
سنن	120/3	ابن مـــاجة	
الشامل(في أصول الدين)	21/5- 23	الامام الجويني	اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعي على الإطلاق
شرح البخاري		حاتم الطرابلسي	الأصل العتيق
شرح البخاري	22/6	ابو محمد الصفاقسي	يعتمد عليه ابن رشيد
صحيح	5/2	البخاري	35/3- 11/6- 19- 21
صحيح	51/3	مسلم	بلغ ابن رشيد ان ابن الصلاح علق طررا مفيدة على صحيح مسلم استعان بها يحيى النوواي في شرحه لصحيح مسلم ولكنه لم يقف عليه
الصريح من فرع الصحيح	23/5	ابو عمرو بن الحاجب	
الصعفاء	6/3- 13	ابو الفرج بن الجوزي	
عارضة الاحوذي	65/7	ابو بكر بن العربي	
كتـــاب	65/5	ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي	الذي جمعه في أسماء ما احتوى عليه الصحيحان من الرجال
كتـــاب	20/5	الشافعية	
الكشاف	66/5	الزمخشري	

المآخذ	11/5	ابن المواق	مَرَّ ذكره (انظر كتيب ابن رشيد)
الحفال السامية			
المجالس الخمسة	66/3	ابو الطاهر السلفي	املاها بسلماس مطبوعة 1994
المختصر الوجيز	36/7	المقدسي	انظر(البدر المنير)
مطالع الأنوار	59/7	المؤلف ابن قرقول؟	اختاره ابن رشيد من مكتبة ابن الحكيم
المعجم الصغير	35/3	الطبراني	
المعجم الكبير	124/3	الطبراني	
معرفة أنواع علم الحديث	49/3 13/2	ابن الصلاح	انظر 33/5 و11/6
الملخص	44/2	القابسي	انظر 26/6- 27- 54 مكرر
المنتقى	79/3	ابو عبد الله بن خلفون	
المنتقى(في الأحكام)	122/3	ابن الجارود النيسابوري	
نصرة المذهب	24/5	ابونصر بن الصباغ	
النصحية	26/6	ابوجعفر الداودي	
نهاية الطالب في تحقيق المطالب	89/3	ابو المعالي الاصفهاني	وهو مقدمة لكتاب المحصول تأسيا بمستصفى الغزالي
النهــاية	20 -18/5	؟	لم ينسبه

ب: كتب الأدب واللغة والنحو

شعـــــر	70/6	ابن خفاجة	
شعـــــر	75/5	ابن الرومي	
شعـــــر	40/7	ابي الحسن حازم	
شعـــــر	25/7	المتنبي	
كتاب النصوص	20/6	صاعدالربعي البغدادي	ويجدر بنا أن ننبه هنا على أن هذا الكتاب ليس في حكم الضياع لأنه أورد له قصة طريفة في الرحلة مثلما ذكر في جذوة المقتبس 223 والنفح 4/ 48 ومعجم الأدباء لياقوت 281/11 والمعجب للمراكشي 51 وغير ذلك بل انه قمطبوع الآن.
الكامل	32/2و85/6	المبرد	
مسودات	37/6	ابي الحسن حازم	
المشرق في محاسن أهل المشرق	3/7	ابن سعيد	
المغرب في حلى المغرب	28/7	ابن سعيد	
كتاب	1/2و19/3	سيبويه	
مؤلفات	92/6	ابن عصفور	وقد ذكر ابن رشيد اغليها
الكافي في الإفصاح		ابو الحسين بن ابي الربيع	
الكافي	21/3	ابن الانباري	
الوافية بنظم الكافية	90/3	ابن الحاجب	

جـ: المعـــاجـــم

البارع	17/5	ابو علي القالي	
الصحاح	32/2 و17/5	الجوهري	
مختصر العين	68/3	الزبيدي	
مشارق الانوار	50/3	القاضي عياض	في الحديث
معجم ما استعجم	3/5	ابوعبيد البكري	

د: الفهارس والمشيخات

برنامج	51/5	محمد بن هشام	ابو بكر الصحفي
برنامج	16/6 -18	ابو الربيع بن سالم	
التكملة في وفيات النقلة	100/3	زكي الدين المنذري	الحافظ(النسخة بخطه)
رجال موطأ مالك	29/5	محمد بن يحيى	الجـــــزار
كتاب الطبقات	90/6	ابو البعاس الغرناطي	المفسر التاريخي
فهرست	27/2	ابوجعفر الفهري اللبلي	جمع فيها اسمعته وقف عليها ابن رشيد وعلق منها اكثرها وفيها اسانيد لا يوجد أكثرها بهذه البلا د المغربية
فهرست ابي بكر بن حبيش	4/2	جمع ابي العباس الاشعري	34/6
كراسة	28/6 -29	ابن عبد القادر البجائي	حررها ابن رشيد في
الكني	78/3	ابن عبد البر	
الكني	79/3	مسلم	
معجم مشيخة	9/5	ابو عبد الله ابن مسدي	جمال الدين الحافظ
معجم مشيخة القاضي	64/6-69	ابن الآبار	
ابي علي الصدفي	75/6	القضاعي	
مشيخة اجازة	2/3	الشرابي المتطبب	
مشيخة	3/3	ابو القاسم الهمداني	عبد الرحمان بن سليم
مختصر(مختصر) مشيخة من مشيخة ابي علي التجيبي	20/6	ابو عبد الله التجيبي	نزيل تلمسان

هـ: كتب التاريخ وما يتصل بها

التاريخ	35/6	ابن الأثير	
تاريخ اصبهان	97/6	ابو نعيم الاصبهاني	85/3 و11/3- 98
التاريخ	-12/3 76	البخاري	الرحلة 112/3 وكشف الظنون 288/1.
تاريخ بغداد	12/3	ابن البخاري	
تاريخ حلب	112/3	ابن العديم	بغية الطالب في تاريخ حلب انظر 11/5
العجالة(في الانساب)	6/3	ابوبكر الحازمي	
كتاب مكة	18/5	ابو الوليد الازرقي	
كتاب	57/5	محـــمد بن عيد الحميد ابن الصباح	
مقبرة وعلة	20/3		التي دفن فيها السلفي وابو بكر الطرطوشي وابن هزمر

و: المحدثون والأدباء وغيرهم ممن اعتمدهم ابن رشيد في رحلته

ومن أسماء المحدثين والفقهاء والقضاة والمفسرين والأدباء واللغويين الذين وردت اسماؤهم في الرحلة، والذين لهم اعتبار فبها، ممن كان ينقل ابن رشيد مباشرة من كتبهم، أو يرجع إلى آرائها أو يثبت نصوصا من كتاباتهم: ابن عبد السلام(عز الدين)[1]وابن عزيز[2] ومحمد ابن عبد الله بن عبد الحكم[3] الفقيه المالكي المصري، والزمخشري[4] وابو بكر بن نقطة الحنبلي[5] وابو الحسن القابسي أمام علم الحديث في وقته[6]، وابن القاسم[7]وابو الربيع بن سالم وكتاباته[8] والازرقي[9] وابو زكرياء النووي[10]وابن الحاجب[11] وابوعبد الله محمد بن احمد بن كلبون الذي كان يقرأ ابن رشيد بخطه[12] وابوالحسن اللخمي[13] والشافعي[14] والقاضي ابو الطيب[15] وابو محمد ابن شأس[16] وابو حامد الاسفرايني[17] وخليل بن بدران الحلبي الذي قرأ ابن رشيد بخطه[18] وعلي بن حسن بن جعفر بن احمد التفليسي[19] والقاضي عياض[20] ومالك بن انس[21] وابن المواز[22] وابن المواق[23] وابو نصر الصباغ[24] ومحمد بن عبد الحمبد بن الصباح[25] وابن

---

[1]: الرحلة 59/3.
[2]: 19/5.
[3]: 19/5.
[4]: نفسه.
[5]: 18/3- 66- 103.
[6]: 38/2 و24/5.
[7]: 58/3.
[8]: 35/6
[9]: 19/5.
[10]: 24/6
[11]: 18/5- 19
[12]: 86/3
[13]: 19/5
[14]: نفسه
[15]: 22/5
[16]: 18/5
[17]: 22/5
[18]: 43/3.
[19]: 108/3.
[20]: 59/3 و22/6.
[21]: 53/6
[22]: 19/5
[23]: 11/5
[24]: 22/5
[25]: 57/5

السكيت[1] وابو الحسين البسطي (ابو الجيش الانصاري)[2] وابن الابار[3] وابن عميرة[4] وابن الجلاب[5] وشرف الدين ابو محمد التلمساني الاصولي.[6]

ومن بين اصحاب ابن رشيد الذين يلحقون بعداد اولئك: ابنا حيان النحوي والشاطبي وابن سامة الدمشقي وابن عاصم الرندي وابن عبد الملك وابن المرابط وابن مبارك وابن الحكيم وسعد الدين الحارثي وابو العباس الاشعري وابن جون المراكشي[7].

---

[1]:

[2]:2/6

[3]: 6/6 -49

[4]: 26/2

[5]: 75/6

[6]: 89/3

[7]:انظر تراجمهم في أصحابه وشيوخه.

المبحث السادس: ذكر من لقيهم ابن رشيد من الشيوخ والأصحاب

وفيهم شيوخه واصحابه بمدينة سبتة وفاس- ومراكش- والجزيرة الخضراء- والمرية- ورندة وشقر- وغرناطة- ومالقة- ومنورقة -وبجاية وبونة - وتلمسان - وتونس- وسوسة- والمهدية واطرابلس- والاسكندرية- وبلبيس- وحمامة مصر- والقاهرة- ومدينة مصر - وحرم الخليل- ودمشق- ونابلس- والمدينة المنورة- ومكة المكرمة.

أ - ذكر من لقيهم ابن رشيد بسبتة.

1- ابو اسحاق التلمساني (609- 697هـ)

هو ابو اسحاق إبراهيم بن ابي يحيى بن ابي بكر بن عبد الله المربي التلمساني الانصاري البسطي[1]، استوطن غرناطة ثم رحل إلى مالقة ثم على سبتة وتزوج بها أخت مالك بن المرحل. وصفه ابن رشيد بالشيخ الفرضي الأديب البليغ المتقن المحقق الفاضل الفقيه الشاعر. وكان إلى جانب ذلك (عارفا بعقد الشروط) مُبرِّزا في العدد ونظم الفرائض وهو ابن ثمانية وعشرين سنة، وخبر منه ابن عبد الملك في تكراره عليه حضور ذهن وتواضعا وحسن إقبال وبرا، وتحاملا في هيئته ولباسه يكاد ينحط عن الاقتصاد حسن المألوف والمعروف بسبتة[2].

لما وافى ابن رشيد سبتة قافلا من الحج كتب إليه ابو إسحاق في الجواب عن الاستدعاء الذي كتبه ابو الفضل التجاني لابن رشيد ليأخذ به إجازات الشيوخ والأصحاب[3]، وقد تناوله منه إن لم يكن سمعه وهو:

انا سكيت حلبة قد أجـــابوا * * * فاجازوا ما استوهبوا من أجازه

(الخفيف) (15 بيتا)[4].

وقد أخذ التلمساني عن الشلوبين وابن عصفور وابن عميرة وابي بكر محرز وروى البخاري سماعا عن ابن مودود الفارسي عن الحمامي عن ابي الوقت السجزي، وله من المؤلفات التلمسانية المشهورة في الفرائض وله شعر وكتب[5].

---

[1]: الرحلة 49/7.
[2]: الاحاطة 326/1.
[3]: الرحلة 46/7.
[4]: انظر هذا البحث ص: ......ومجلة المناهل عدد 17 ص: 97(ذ محمد المنوني).
[5]: فهرست الوادي آش 31، نيل الابتهاج 90- 91 واختصار الأخبار 18 ودرة الحجال 177/1 ترجمة 228، البستان 55-56، معجم المصنفين 573/4 السنن الابين (مقدمة)55. هدية العارفين 13/1. ايضاح المكنون 513/2 شجرة النور 202/2 ترجمة 695 معجم اعلام الجزائر 9 . اعلام المغرب العربي للأستاذ عبد الوهاب بن منصور 107/1 ترجمة 111. دعوة الحق ع:1 س: 12 1968 : 125(ذ محمد المنوني).

2- ابو اسحاق الغافقي (646- 716 هـ)

إبراهيم بن احمد بن عيسى الغافقي الاشبيلي البلفيقي استاذ الطلبة وامام الحلبة، والمحدث الضابط الراوية الحسيب. وقال عنه ابن حيان الشاطبي العالم الزاهد الأكمل الفقيه الفاضل[1]، وكان فريد قطره وواحد عصره وعمدة طلبة الموثقين لما استفاده في مجلسه من فنون العلوم، وقد دون في علم العربية وغيرها كتبا نافعة، وله تقاييد حسنة في علم العربية[2].

اتصل به ابن رشيد وروى عنه وكان يسميه بصاحبه[3]، ومن الافادات التي اخذها عنه قول ابن دقيق العيد: "ما وقفت على كتاب من كتب الحديث وعلومه المتعلقة به سبقت بتأليفه وانتهى إليَّ إلا أودعت منه فائدة في هذا الكتاب، أي كتاب الالمام في أحاديث الأحكام إلا ما كان من كتاب التاريخ الكبير للإمام أبي عمر الصوفي فإنني لم اره"[4].

وقد لازم الغافقي أبا الحسين بن أبى الربيع بسبتة وتصدر بعد وفاته للإقراء في مكانه، وأخذ القراءات فيها عن ابن الخضار الكتامي وروى عن المسند المسن أبي عبد الله بن سليمان، والأديب الفرضي مالك بن المرحل والقاضي أبي عبد الله بن عمران.

وكان يعتمد عليه ابو القاسم الوازروالي في قراءة القرآن، وعلى الخطيب ابي جعفر بن الزيات من أهل بلش مالقة. وعليه كان اعتماد شيخ النحاة بحضرة غرناطة الاستاذ ابو عبد الله الخولاني[5]. وممن قرأ عليه ابو عبد الله الوادي آش[6] وغيره.

وسمع الغافقي على محمد بن عبد الرحمان بن جوبر والقاضي محمد بن عبد الله الازدي السبتي والحافظ ابي يعقوب المحاسني السبتي وابي بكر محمد بن مشليون.

---

[1]: الرحلة 23/2.
[2]: درة الحجال 176/1 ترجمة 227.
[3]: الرحلة 62/3.
[4]: الرحلة 62/3 وانظر كشف الظنون 158/1. وكتاب الإلمام مطبوع الآن.
[5]: الرحلة 62/3 وانظر فهرست الوادي آش 29.
[6]: وانظر عنه أيضا الوادي آشي 29 والمرتبة العليا 133 ونيل الابتهاج 249 بغية الوعاة 74- 82- 177- 319. وشذرات الذهب 38/6 ودرة الحجال 176/1 والمنهل الصافي18/1، غاية النهاية 8/1، والدرر الكامنة 13/1 وذيل العبر 9/17 والمنهل الصافي 18/1، ودول الإسلام 170/2 وروضات الجنات لمحمد الخوانساري45/1- 75 ومعجم المؤلفين 7/1 واعلام المغرب العربي 109/1 ترجمة 114.

3- ابو بكر بن يربوع

هو ابو بكر بن يربوع الكلبي الشريشي، وصفه ابن رشيد بالفقيه الكاتب المتفنن.

وحكى ابن يربوع له قال:"بعث إلى جدي الفقيه الأديب الطبيب ابي بكر بن رفاعة رحمه الله صاحبه الوزير الأديب ابو عمر بن ابي محمد رئيس مدينة شريش إذ ذاك، يجبن فكتب إليه جدي ابو بكر[1].

(السريع)

قــد أقســم الجبن على حرد * * لا ينثني عن صحبه الزيد

ومنها واختصموا في حكم إيمانهم * * وغلبــوا الاوحد في المجد

فوجه الدرمك[2] يقضي لهم * * بالـجمع في مــائدة الحمد

اكرم به مــن حاكم فاضل * * قد اوتي الحكــمة في المهد[3]

وقد علق ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله:"وهذا من السهل البديع الممتنع الرفيع".

4- ابو العباس العزفي (707و708هـ)

ابو العباس احمد بن ابي طالب[4](عبد الله بن محمد)[5] العزفي من بيوتات سبتة، الأديب الحسيب وقد ورد ذكره في الرحلة عرضا بمناسبة إنشاد ابي حيان الغرناطي لبعض شعر ابي اليمن عبد الصمد بن عساكر، وذلك لما بعث إليه أحد أصحابه فتى اسمه محمد يستدعي منه الختمة فوجهها إليه وكتب معه:

---

[1]: الرحلة 98/6.
[2]: الدرمك: الدقيق النقي الحُوّاري، ويقال الدرمق أي الخبز الحوارى (لسان العرب، أساس البلاغة)
[3]: انظر رحلة العياشي253/2 واختلاف الرواية.
[4]: الرحلة 75/5.
[5] : درة الحجال 11/1 ترجمة 7 وانظر أيضا عنه ذكريات مشاهير كنون ص: 5 وبرنامج الرعيني (مقدمة ص: ع). وفهرست التجيبي72.

(الكامل)

مولاي ان محمدا وافى إلى * * علياك بالركن الحكيم رسولا

علقت به روح الأمين صبابة * * فعلـــيه نــزل حبه تنزيلا

وهذا المعنى ينظر إلى ما انشده ابو العباس العزفي بنفسه:

(مجزوء البسيط)

وعــدتني أن تزور يا أمـــلي * * فلــم أزل للـطريق مرتقبا

حتى إذا الشمس للمغيب دنت * * وصيَّرت من لجيـــنها ذهبـا

أيأسني البدر منك حين بـــدا * * لأنـــه لو ظهرت لاحتجبـا

5- أبو العلا الانصاري

هو ابوالعلا ادريس بن محمد بن موسى الانصاري، وصفه ابن رشيد بالأستاذ المقرئ، وقال له أنه استفاد منه وقرأ عليه كثيرا في جملة كتب، ولكنه لم يقدم له بترجمة، ولم يحدد مكان القراءة ولا زمانها ويرجح أن يكون ذلك في سبتة أيام الصبا، لأن ما اورده ابن رشيد من هذا الخبر ليس إلا تقييدا من تقاييد رحلته[1].

ويروي ابو العلا عن الجد للأم الخطيب ابن جعفر بن يحيى والقاصي ابي محمد بن حوط الله وغيرهم.

6- خلف القبتوري

ابو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف القبتوري الاشبيلي الغافقي، وصفه ابن رشيد بشيخ الكتاب وخاتمة أهل الآداب، وشيخنا أبي القاسم[2] الكاتب البليغ الفاضل من له في صناعة الأدب القدم والقدم والرسوخ[3] وبشيخنا البليغ الناظم الناثر[4].

---

[1]: الرحلة 16/2.
[2]: الرحلة 24/2.
[3]: الرحلة 46/7.
[4]: وفتح المتعال باب 3.

كتب القبتوري لأمير سبتة لأنه كان له في الترسُّل باع مديد ونظم رائق مع التقوى والخير[1]، وكان محدثا ونحويا ولغويا[2].

لازم ابن رشيد خلفا وافاده من أدبه، شعره ونثره ونحوه، وقد اتصل به من قبل الرحلة وبعدها لوثوق العلاقة بينهما. ومن الإنشادات التي افاده بها ما قدمه له لما وافى ابن رشيد سبتة وطنه من قصيدة يستجيز ابا الفضل التجاني وقد التزم فيها ما لايلزم:(الوافر)

البي من أهاب لأن يجـــازى * * ابا الفضل المعجز ان يجازا

(15 بيتا)[3]

وبما ان الجزء الأول من الرحلة ليس بأيدينا فإننا نفقد كثيرا من أخباره وشعره، ونستدل على ذلك بما اورده صاحب كتاب فتح المتعال نقلا عن الرحلة.

قال:"قال ابن رشيد رحمه الله:ولما وافيت سبتة بلدنا حماها الله عائدا من وجهتي أَرَيْتُ ذلك المثال شيخنا... ابا القاسم القبتوري، فنظم في ذلك قصيدا وكتبه لي بخطه واسمعه لي من لفظه:(الطويل)

تبصر تمثالا لنعل مشت بها * * لخير الورى طرا واسناهم قدم

(31 بيتا)[4].

وقد أخذ القبتوري عن ابي الحسن الدَّبَّاج وابي الحسين بن ابي الربيع وغيرهما، وأجاز له جماعة من اهل المشرق[5] وروى عنه سعيد الحميري المالقي[6]. وله تصانيف

---

[1]: الدرر الكامنة 85/2- 86.
[2]: رسائل ديوانية من سبتة 36.
[3]: الرحلة 46/7 والمناهل عدد 17 ص: 89:"الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية:ذ المنوني"
[4]: فتح المتعال باب 3-4.
[5]: درة الحجال 262/1 ترجمة 394.
[6]: نفسه 297/3.

ومنظومات رواها المنتوري صاحب الفهرست عن ابن فرج عن الوادي آشي عن القبتوري[1]، وروى عنه الحضرمي جميع رحلة ابن رشيد[2].

7- ابوفارس الجزيري (617 - ...)

هو عبد العزيز بن المحدث الفقيه إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان الجزيري نسبة إلى جزيرة شقر، التلمسيني المولد السبتي الاستيطان الهواري[3].

وصفه ابن رشيد باسند شيوخ بلده الذين أدركهم مولد ولده محمد وأشهرهم ثقة وعدالة وأحسنهم سمتا وصمتا، الشيخ الفاضل العدل، وهو من صدور أعيانها[4].

وقد ظفر ابن رشيد من سماعه لصحيح البخاري بإسناد لا نظير له في بلاد المغرب جلالة رجال واتصال سماع وعلو صفة، مع أنه لا يَخْلُو من علو مسافة، وكان مما رغب غليه كذلك اسماع ابنه محمد فاجاب على ذلك، وكان سماع ابن رشيد وابنه في أصل ابي محمد التجيبي القبطي السرقسطي المعروف بملاطس وابو فارس يمسك اصله الذي بخط ابيه وفيه سمع على شيخه ابي مروان الباجي، وروى عنه كذلك الخبر المرفوع إلى ابي محمد التميمي الذي يقول قيه:"يقبح بكم ان تستفيدوا منا ثم تذكروننا ولا تترحمون علينا فرحم الله جميع من حملنا عنه ورحم من ترحم علينا[5].

وسمع الجزيري على ابي الحسن الغافقي الشاري[6] بقراءة ابي الحسن الرعيني كتاب الجامع للبخاري وكان في الأصل العتيق الذي يعز نظيره وهو أصل الرواية المحدث المتقن ابي بكر بن خير الذي بخط أبيه[7].

---

[1]: فهرست المنثوري 211.
[2]: وانظر عنه المشتبه في الرجال للذهبي 521/2، والواجي آشي 43 ونيل الابتهاج 9 وبغية الوعاة 315 ونفح الطيب 352/3 وشجرة النور 216 وروضات الجنات 288/4.
[3]: إفادة النصيح 5- 7- 114.
[4]: نفسه 7-9.
[5]: نفسه 113.
[6]: افادة النصيح 105.
[7]: فهرست ابن خير 94.

وسمع الموطأ على والده، والبخاري على ابي الوليد الباجي والترمذي على ابي عمر العبدري، وأجازه من المشرق ابن الحاجب وابو الحسن علي البغدادي النجار المعروف بان المقير، وابن الصلاح وغيرهم[1].

8- ابو الحسين بن ابي الربيع (ت 688 هـ)

عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن ابي الربيع القرشي الاموي العثماني الاشبيلي نزيل سبتة، وصفه ابن رشيد بشيخنا إمام النُّحَاة وصدر العلماء السَّرَاةِ[2]، وبالإمام الاوحد العالم المتبحر رضي الله عنه[3]. وكان بعض أكابر علماء الشرق يسميه بسيدنا أبي الربيع وذلك كبهاء الدين ابن النحاس الحلبي المشهور[4] وقد كان إلى ذلك مفسرا ومقرئا وأستاذ الاساتذة في عصره[5]وإمام النحويين وأُسْوَة الفرضيين[6].

لم ترد ترجمة خاصة بهذا الرجل في أجزاء الرحلة المعروفة لفقدان الجزء الأول، كما أن المادة المتصلة به فيها ضئيلة جدا، وردت فقط بمناسبة اتصال ابن رشيد بابن النحاس وبمجلسه العلمي بقاهرة مصر يوم الأحد 7 رجب 684 هـ عندما سأله عن ابن ابي الربيع وعما أخذ عنه، وقد تبين بفضل ذلك أن ابن النحاس أخذ هو أيضا عنه بطريق غير مباشر كما يفهم من عبارة ابن النحاس:"أيعيش سيدنا ابو الحسين بن ابي الربيع؟"، قال ابن رشيد: قلت نعم فقال: ذلك شيخنا إفادة بوصول كتابه إلينا أو بوفادته علينا أو معنى هذا يعني شرحه لكتاب ايضاح الفارسي المسمى بالكافي في الافصاح[7]. وورد له ذكر في الرحلة وفي ترجمة ابي الحسن بن رزين الذي ذكر له حكاية جرت بين ابي زكرياء بن الغليظ وأبي ذر الخشني إذ كان يداعب أحدهما الآخر على الطريقة الأدبية فذكرت هذه الحكاية ابن رشيد بما وضعه ابن ابي الربيع في كتابه قوانين العربية ومسالة نسيانه باب القسم وسقوطه كما سقط كتاب السلم للقاضي ابن عبد الوهاب، فاستحسن ابن ابي الربيع نباهة ابن رشيد وقال له بما يعني أنه سيكون كاتب

---

[1]: وانظر عنه ايضا افادة النصيح 7-50- 103- 109- 111- 113- 114- والوادي آشي 94، والسنن الابين: تمهيد 24 والصفدي 285/4 ت: 1805.

[2]: الرحلة 49/7.

[3]: الرحلة 82/6.

[4]: الرحلة 23/3.

[5]: البغية 81- 9

[6] : اختصار الاخبار 16.

[7]: الرحلة 23/3. وانظر جزءاً من كتاب الكافي: في خزانة الجامع الكبير بمكناس.

ذلك الباب[1]. كما ورد ذكر ابن ابي الربيع في الرحلة أيضا بمناسبة قول مالك ابن المرحل شعرا على لسانه في إجازة ابي الفضل التجاني[2].

وقد اتصل ابن رشيد بإمام النحاة اتصالا وثيقا، فقرأ عليه بسبتة في حداثة سنه ما يقرأ طلاب العلم والعربية مثل القرآن الكريم وذلك بالقراءات السبع بكتاب التيسير لأبي عمر الداني وقرأ عليه الجمل للزجاجي والايضاح للفارسي والكتاب لسيبويه.

وقد كان ابن ابي الربيع ذا صيت ذائع داخل المغرب وخارجه وذكر أنه لم يشذ عنه مسالة في النحو، وصنف عِدَّةَ كتب منها شرح الإيضاح والملخص للقوانين الفقهية للجزولي وشرح كتاب سيبوبه، وقيد تقييدا حسنا عليه، وكتاب الجمل في عشر مجلدات[3]، وتأثر بأستاذه الشلوبين وفاق جميع تلاميذه فكان أنجبهم وأفصحهم مما جعل أستاذه يرشحه ليتصدر لأشغاله ويساعده.

ومن أساتذته ابو الحسن الدباج، وابن هارون التيمي وابن بقي المقرئ بسبتة وغيرهم ممن ذكر في برنامجه.

وأما تلامذته فلا يحصون عدا ومنهم: ابن الشاط وابن عبيدة وابن عبد الملك وابو الطيب السبتي مختصر شـــرح الايضاح وابو جعفر الكلاعي السبتي المالقي المحدث(ت 725) وابو اسحاق الغافقي.

وابن حبان النحوي ومحمد بن إبراهيم السبتي المالكي(ت 695)، وابن الفخار الاركشي ومحمد الاشعري المالقي وابو طالب القنجائري(ت 713) وابو اسحاق السبتي القصري وابن شعيب وابو البركات البلفيقي واحمد الرصافي (ت 736) وابن مسون وابو عبد الله الشرادي.

---

[1]: الرحلة 82/6.

[2]: الرحلة 49/7 وانظردراسة الشعر بعد.

[3]: انظر عن ابن ابي الربيع هدية العارفين 649/1 والجزء الأول من الكافي له خزانة جامع القرويين برقم 512 وكتاب القوانين له برقم 513 والجزء الأول من الكافي في الجامع الكبير بمكناس. وانظر أيضا المنتخب النفيس من شعر ابن خميس ص: 25 وبروكلمان 367/5 وفهرست الفهارس 333/1 ونفح الطيب 374/3 وورقات للأستاذ محمد المنوني 319 ودرة الحجال 70/3 ترجمة 990 والاعلام للمراكشي 245/3 ومعجم المؤلفين 236/6 وفهرست أبي عبد الله محمد بن محمد المجاري مخط بالخزانة الملكية(مجموع 2/1578 ومجلة البحث العلمي ع: 10 س: 4 ص: 22 ذ. محمد المنوني والثقافة المغربية ع:5 س: 1971 ص: 100 ذ. محمد المنوني.

9- ابو الحسن بن الخضار الكتامي(ت 680 هـ)

ابو الحسن علي بن محمد بن الخضار الكتامي الضرير الاشبيلي وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام الاوحد في العروض والقافية[1] وورد في الرحلة وصفه بالمقرئ[2] وكان الى ذلك من جملة العلماء محكما للقراءات وحفظها ونحويا ماهرا حسن التصرف في علم الكلام وأصول الفقه وافر الحظ منه[3]. وهو من تلمسان واحد من مقرئيها المشهورين انتقل منها على سبتة وزاول فيها عمله، وفيها لقيه ابن رشيد وسمع عليه العروض والنحو وغير ذلك، وبهذا يكون الكتامي وابن ابي الربيع من الأساتذة الاجلة الذين لهم أثر كبير في شخصيته في سنيه الاولى في سبتة وذلك من حيث التمكن من العلوم اللسانية كالأدب واللغة والعروض خاصة.

ومما قرأ عليه كذلك حرز الأماني في القراءات

10- ابو القاسم بن الشاط

هو القاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الانصاري السبتي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المتفنن[4] وبصاحبنا الفقيه الجليل صدر الأصحاب وقدوة أهل الآداب والأخذ من كل فن من العلوم باللباب[5]، وكان يسمى أيضا بعمدة المحققين[6] والفقيه الاجل الاعرف، والشيخ الفاضل الاخلاق الحسن القبول والمؤانسة[7] والعارف بالأصلين والفروع والفرائض والحساب[8].

لما وافى ابن رشيد سبتة وطنه عرض الاستدعاء الذي كتبه ابو الفضل التجاني، على جماعة أشياخه وأصحابه فكتب فيه جميع أدبائهم ومن بينهم ابن الشاط:ومنه (الخفيف)

---

[1]: الرحلة 6/6.

[2]: الرحلة 45/2.

[3]: الذيل والتكملة سفر 5 قسم 373/1 وروضات الجنات 518/5 و289 وبغية الوعاة 204/2.

[4]: الرحلة 16/2.

[5]: الرحلة 47/7.

[6]: الفروق لشهاب الدين القرافي 1/1.

[7]: درة الحجال 270/3 ترجمة 1324.

[8]: درة الحجال 270/3.

أيها المستجيز هاك الإجـــارة * * فاقتـــبس نورها وراع الوجازة

(22 بيتا)[1].

وقد أخذ ابن الشاط عن الحافظ المحاسبي واجازه ابن البراء وابن ابي الدنيا وابن الفخار وابن الطباع وابن أبي الربيع وابن الحباب وابن شبرين واجازه ابن هارون. وروى عن ابن مشليون والابذي وممن تفقه عليه الاصيلي[2] وابن مسون الامي[3]. وهوممن جمع فهرستا لأبي الحسين بن ابي الربيع[4] وله تآليف مفيدة[5].

11- مالك ابن المرحل(604- 699 هـ)

أبو الحكم مالك بن عبد الرحمان بن المرحل، كان ابن رشيد يصفه بشيخنا أبي الحكم، وبشيخنا الأديب الشهير شيخ الأدباء وإمام الشعراء البارع الفارع[6].

وكان ابن المرحل ذا العلوم والآداب والقراءات وغيرها[7]، شاعرا مطبوعا رقيقا سريع البديهة رشيق الألفاظ ذاكرا للآداب واللغة، تحرف بصناعة التوثيق وولى القضاء مرات، وهو شاعر المغرب[8].

لما اصحب أبو الفضل التجاني صديقه ابن رشيد استدعاء بخطه ليأخذ به خطوط الشيوخ والأصحاب كان ممن كتب في ذلك ابن المرحل وذلك على لسان شيخه ابي الحسين ابن أبي الربيع وهو لابن رشيد مناولة وإجازة إن لم يكن سماعا:

اكرم الله مستجـــيزا اتانا * * منه شعر سَامَى السماك وجازه

(26 بيتا)[9]

---

[1]: الرحلة 47/7- 48 المناهل ع: 17 ص: 92 (ذ. محمد المنوني).
[2]: نيل الابتهاج 126.
[3]: درة الحجال 58/2.
[4]: فهرست المنتوري 111 وفهرس الفهارس 331/1 ونيل الابتهاج 138.
[5]: درة الحجال 51/1، هدية العارفين 829/1- 830 ومعجم المؤلفين 105/8 ونهاية الأندلس سفر 467/4 ومعجم سركيس 118/1، دليل مؤرخ المغرب الأقصى 345/2/2، طبقات المالكية 520 فهرست الوادي آشي 116.
[6]: الرحلة 49/7.
[7]: فهرست الوادي آش 91.
[8]: جذوة الاقتباس 327/1.
[9]: الرحلة 49/7 والمناهل ع: 17 ص: 95- 96 ذ. محمد المنوني وانظر الأدبيات في هذا البحث.

وكان بين ابن المرحل وابن عتيق الثعلبي مهاترات وملح[1] وله ديوان وأرجوزة في نظم كتاب التيسير معارضة للشاطبية ونظم كتاب الفصيح وغير ذلك[2].

وشيوخه كثر منهم ابن الفحام وابن بقي والدباج والشلوبين وغيرهم كابن أبي الربيع الذي أخذ عنه هو وابنه محمد. أما تلامذته فهم أيضا جم غفير منهم ابن الزبير وابن مسون (محمد بن يوسف الامي)[3] ولهذين علاقة بابن رشيد[4].

12- ابو القاسم البلفيقي

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن الحاج السلمي البلفيقي.

ورد في كتاب إفادة النصيح لابن رشيد خبر وفاة أبى عبد الله بن شريح باشبيلية في يوم الجمعة منتصف شهر شوال 476، وكانت ولادته رضي الله عنه في سحر عيد الأضحى 372، وقد صلى عليه ابن شريح وحضر جنازته الرشيد بن المعتمد[5]. هذا ما قرأه ابن رشيد بخط ابي اسحاق وافاد بذلك ابنه ابو القاسم صاحب الترجمة[6].

وبما أن أبا القاسم هذا كان ممن قرأ القرآن بالقراءات السبع، والرافضين لزي الطلبة، فإنه كان قد لبس الخشن وبالغ في الانقباض وانقطع إلى الله يرباطات سبتة وجبالها وكانت له كرامات. ولو توافرت لدينا ترجمة ابن رشيد له في أحد أجزاء الرحلة المفقودة لعرفنا جوانب أخرى من شخصيته[7].

---

[1]: جذوة الاقتباس 181/1.

[2]: هدية العارفين 1/2- والوادي آش 91.

[3]: نفسه وانظر نفح الطيب 279/5(مناقشة مسألة ماذا بينه وابن ابي الربيع مجلة الثقافة المغربية عدد5 دجنبر 71 ص: 100 (ذ. محمد المنوني).

[4]: درة الحجال 58/2. وانظر أيضا ما يتصل باخباره وشعره ومؤلفاته :الاحاطة 307/3. فتح المتعال باب 3 جذوة الاقتباس 327/1. سلوة الانفاس 29/3 بغية الوعاة 271/2 غاية النهاية 36/2 الدارس في تاريخ المدارس 29/1 شجرة النور ترجمة 697، بروكلمان 136/5، الزركلي 138/5. ذكريات مشاهير 40/8 خلاصة تاريخ الاندلس 128، النبوغ 225/1، دعوة الحق ع:10 س:3 ص:36 بقلم الأستاذ محمد الفاسي.

[5]: افادة النصيح: 54.

[6]: وابن أبي القاسم هوابو البركات تلميذ ابن رشيد: المرقبة العليا 164.

[7]: وله أخبار في نفح الطيب 471/5- 487، والاعلام للمراكشي 196/3- 325 وفهرست الوادي آشي 82 والاحاطة 3/ 248 والعبدري 250- 252 وغاية النهاية 28/2.

13- ابو عبد الله الكميلي

محمد بن ابي عبد الرحمان الكميلي قاضي ازمور، وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في صدد ذكر أبي العباس المقري أخبار قرية بليونش القريبة من سبتة، ومن قال فيها شعرا:وكان من ذلك ما انشده أبو عبد الله الكميلي لابن رشيد : (مخلع البسيط)

بليونش كلها عـذاب * * * فالمشي في سبلها عقاب

يكنفها شامخ منـيف ** * كأنـه فوقهـا عقاب

واننا لا نعلم أين لقيه بالتحديد ولكن نرجح ذلك بمدينة سبتة ويمكن أن يكون ابن رشيد أخذ عن الكيملي بعض الإنشادات الشعرية وغير ذلك مما يتصل بالعلوم الفقهية[1].

14- ابو عبد الله بن ابي القاسم الحسني

وصفه ابن رشيد بصاحبه الشريف بن الشريف[2]، ولكن ابن رشيد لم يفرد له ترجمة خاصة، وإنما أورد له ذكرا مختصرا، فقد ذكر اسمه في صدد إيراد فائدة عنت في الطواف، فبعد أن أشبع القول في هذه المسألة، وذلك بذكر حال الكعبة وبنائها في الجاهلية، وتفصيل القول الشاذوران، وعرض آراء كثير من الفقهاء في مختلف المذاهب، ذكر اسمه على طريقته في الاستطراد إلى الأخبار الثانوية.

وكان ابن رشيد يتصل به ويستفيد منه ويغرف من بحر علمه الواسع ومن الافادات التي عنت لابن رشيد في رحلته وذكرها فيها ما يتعلق بتقبيل الحجر الأسود دون صوت، فقد حضر ابو عبد الله بن ابي القاسم الحسني بمكة عند الشيخ محمد الطبري[3] فحادثه مستفتيا في تلك المسألة فذكر له التقبيل من غير تصويت فقال المستفتي أني لا أستطيع، قال فأطرق الشيخ ثم ارتجل أبياتا منها:(الطويل)

---

[1]: ازهار الرياض 35/1.
[2]: الرحلة 25/5
[3]: الرحلة 25/5.

وقـــالوا إذا قبلت وجنة من تهـــوى

فلا تسمعن صــوتا ولا تعــلن النجـوى

(الأبيات الثلاثة)[1]

15- ابو بكر بن عبيدة (706)

ابو بكر بن عبيدة الانصاري الاشبيلي نزيل سبتنة.

وصفه ابن رشيد بالأستاذ المقرئ والأديب النحوي البارع[2]. ووصفه ابو القاسم الانصاري بالشيخ النحوي الاديب الأنبل[3] ويعدأبوبكر هذا ايضا من أولئك الذين أجابوا عن استدعاء أبي الفضل التجاني التونسي، وقد نقل ابن رشيد من خطه في ذلك(الخفيف)

أيها المبتغي الاجــازة حــدث * * عــن أخيكم محــمد بالإجــازة

(14 بيتا)[4]

وقد قرأ ابن عبيدة بالسبع على ابي الحسن الدباح، وأخذ عن ابن فضيلة المقرئ وابن المحلي السبتي، وابن ابي الربيع وأكثر عنه[5].

وقرأ عليه عبد المهيمين الحضرمي وابو القاسم بن سلمون الكناني الغرناطي الشروطي[6]. وله شعر ونثر[7].

16- أبو عبد الله بن الدراج

محمد بن عمر بن محمد بن الدراج الانصاري التلمساني الســـبتي وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأديب الكاتب البارع، وكان ذا خط رائع وفضل ذائـع متقنا

---

[1]: انظر الأدبيات ص: 532 وما بعدها

[2]: الرحلة 48/7.

[3]: اختصار الأخبار 18.

[4]: الرحلة 48/7 والمناهل ع: 17.

[5]: غاية النهاية 182/2 والوادي آش 36.

[6]: نيل 125.

[7]: انظر بعض أخباره في بغية الوعاة 170/1 . ولقط الفرائد 165 وفيات 706.والبحث العلمي عدد 10 سنة 1967/4 ص: 22- 37 (المصادر الدفينة في تاريخ المغرب. ذ. محمد المنوني).

متفننا[1].وقـــــال عنه ابو القاسم الانصاري : انه الشيخ الفقيه القاضي المحـــــدث الكـــــاتب الأديب الأبرع[2].

وكان ابن الدراج هذا من اولئك الذين اجابوا ايصا عن استدعاء ابي الفضل التجاني التونسي الذي طلب اجازات الشيوخ والأدباء.(الخفيف)

حسن در نظمتوه استجـــــازه * * * فقد احل استرقاقنا واستجازه

(25 بيتا)[3]

وقد أورد الوادي آشي اسم ابن الدراج في فهرست شيوخه[4].

قرأ ابو عبد الله على ابي يعقوب المحساني وابي الفضل بن محمد بن فضيلة وغيرهم[5].

17- ابن خميس الحجري التلمساني(625- 807هـ)

محمد بن عمر بن عمر... بن خميس الحجري الرعيني التلمساني.

ليس بين أيدينا ما أضافه ابن رشيد لابن خميس من الأوصاف الخلقية والعلمية بحكم فقدان الجزء الأول من الرحلة. ولكن ابن خميس هذا كان نسيج وحده، زهدا وانقباضا وأدبا وهمة، حسن الشيبة جميل الهيئة عاملا على السياحة والعزلة عالما بالفرق قائما على العربية والاصلين طبقة الوقت في الشعر وأقدر الناس على اجتلاب الغريب[6] ووصفه ابن خاتمة بأنه من فحول الشعراء وأعلام البلغاء[7].

وقد التقى ابن رشيد في بلده سبتة التي كانت تجمع كثيرا من فحول الشعراء. وكان ابن خميس معجبا بشخصية ابن رشيد، ولعل ذلك لالتقائهما في كثير من الصفات والخلال كما يظهر من وصف المقري وابن خاتمة له، ولهذا مدحه ابن خميس في قصيدة طويلة(80 بيتا) منها: (المتقارب)

---

[1]: الرحلة 49/7.

[2]: اختصار الأخبار 21.

[3]: الرحلة 49/7- 50.

[4]: فهرست الوادي آشي 85.

[5]: درة الحجال 248/2 ت: 721.

[6]: ازهار الرياض 301/2- 304. درة الحجال.

[7]: نهاية الأندلس قسم 4: 463- 464.

أطـــار فـــؤادي برق أَلَاحــــا * * * فما هـــز بعد لو كان جنـــاحا

ويا ابن رشد تعـوذت مـــن * * * هواه فقد زدت فيـــه افتضـــاحا

بهرت رجال الحديث اقتداء * * * وفقت رجال الكـــمال اقـــتراحا

فما ان جليس إذا قلـت لا * * * أو ان خطيب إذا لحت لاحـــا

وهي قصيدة بديعة[1]

ولرسوخ قدم التلمساني في النحو واللغة كانت تجري بينه وبين ابي أبي الربيع مناقشات لغوية ونحوية باجتماع عيون الطلبة وأحذقهم لفك كثير من غوامض النحو ومشكلاته[2] ولا شك أن ابن رشيد كان من اولئك الطلبة. ومن بين الشيوخ الذين اشتركا فيهم ابن دقيق العيد وابن عيشون وابن الحاج، ومن الطبلة ابن عبد الرزاق وابن ليون وقد التقى العبدري[3] أيضا بأن خميس وأورد له اخبارا حسانا في رحلته. وكان هذا يفتخر بلقاء حازم القرطاجني. ومن اصدقائه ابن حمدون وأبو زكرياء بن عصام. وقد جمع له الحضرمي شعره كما جمع لابن رشيد رحلته[4].

18- ابن عبد الملك المراكشي

ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي التاريخي صاحب الذيل والتكملة. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل المتفنن الأديب المحدث المتقن الضابط الناقد[5].

وكان المراكشي إلى ذلك مسندا وشاعرا ولغويا وعروضيا نبيل الأغراض عارفا بعيد التصرف[6] وكان ابن رشيد يجتمع به في سبتة، وتجري بينهما مناقشات علمية مفيدة،

---

[1]: المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس. جمع ذ. عبد الوهاب بن منصور ص: 89- 95.
[2]: نفسه 30.
[3]: العبدري 13.
[4]: وينظر في بعض أخباره: نفح الطيب 57/6 و280/7 – 297 ونفاضة الجراب 21 وبلغة الامنية 176 والدرر الكامنة ت: 4173. وفيض العباب 105 وطبقات المالكية 585. والاعلام للمراكشي 199/3 ومعجم المؤلفين 92/11 وأزهار الرياض 297/2. والتعريف بابن خلدون 40. تاريخ الجزائر العام 59/2. والاعلام للمراكشي 199/3. والزركلي 776 والبحث العلمي ع: 26 س: 13ص: 123 سبتة الأسيرة ذ. محمد بن تاويت .
[5]: الرحلة 2/6.
[6]: المرقبة العليا 130.

ومن ذلك ما افاده، يوما أن بعض الادباء صنع نظما عجيبا في العروض، ولكنه لم يمكنه منه إلى أن افاده بذلك ابو عثمان بن سعيد بن جون المراكشي[1].

وكانت بينهما مناقشات أدبية ونقدية مشهورة[2].

روى المراكشي عن الرعيني وصحبه كثيرا، واخذ عن ابن الضائع وابن عتيق والمزدغي وابي القاسم العزفي والابهري وابن خميس وابن المرحل وابن ابي الربيع وابن القطان وابي اسحاق التلمساني وابن الزبير.

وممن أخذ عنه ابن البناء المراكشي وابن الدهان[3].

19- ابو عبد اله بن الخضار الكتامي

محمد بن محمد الكتامي التلمسيني المعروف بابن الخضار.

وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه العدل[4] الثبت[5] والحاج المحدث الفقيه الفريد[6]. وكان ابن الخضار هذا عارفا بعلوم الحديث[7] لأنه لقي أشهر من عرف بذلك مثل ابن الصلاح المشهور الذي لقيه بدمشق سنة 634 هـ وسمع عليه، وسمع كذلك عن ابن مميل الشيرازي الدمشقي قاضي دمشق[8] وسمع كذلك على ابي مروان الباجي وتقي الدين ابن عبد المنعم الدمشقي[9].

وقد كان ابن الخضار من مصادر ابن رشيد في كتابه ابن النصيح وفي الرحلة فمما افاده به اخبار ابي مروان الباجي وابن مميل الشيرازي[10] ومما أفاده به كذلك قراءته

---

[1]: الرحلة 3/6 وانظر العروض في هذا البحث.

[2]: فتح المتعال باب 3 والنقد في هذا الباب، والذيل والتكملة سفر 1 قسم 1: 330.

[3]: مقدمة الذيل والتكملة بتحقيق الدكتور محمدبن شريفة سفر 1 قسم 1 وانظر كذلك عن المراكشي: اوصاف الناس في التواريخ والصلات 108 ووفيات الونشريسي 98 وفيات 703 ولقط الفرائد 163 وفيات 703 وفهرست مخطوطات خزانة القرويين 191/2 والاعلام للمراكشي 331/4- 355 ودعوة الحق عدد 4-5-6. 1959 بقلم ذ. محمد عابد الفاسي. ومقدمة احسان عباس في الذيل والتكملة س: 4-5.

[4]: افادة النصيح 98-101- 104.

[5]: نفسه

[6]: الرحلة 67/6.

[7]: درة الحجال 263/2.

[8]: افادة النصيح 115.

[9]: درة الحجال 263/2.

[10]: افادة النصيح 98- 115- 118.

وسماعه كتاب معرفة علوم الحديث على ابي عمرو بن الصلاح مؤلف الكتاب وهو من اجل المصنفات اعتمدها ابن رشيد في الرحلة[1].

20 ابو الحكم بن منظور (686هـ)

هو ابو الحكم يحيى بن ابي جعفر احمد بن يحيى بن منظور الاشبيلي السبتي. وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه العدل الفاضل الحسيب[2] وهو الشيخ الولي الصالح[3] وأحد مصادره في كتاب افادة النصيح.

ومما أخبره به قال: أخبرني بعض أصحابي قال: لما كان ابو مروان الباجي قاضيا تحاكم عنده خصمان وحضره جماعة من الشهود وعندما اقبل عليه قام ابو مروان رحمه الله وقال للشهود الذين حضروه افصلوا الحكم بينهما، ودخل ابو مروان إلى منزلة وفصلوا الحكم بينهما فقيل له في ذلك، فقال بيني وبين احدهما تغير فخشيت ان حكمت عليه أن يجد في نفسه علي شيئا لمكان التغير.

وقد أخذ ابن منظور عن محمد بن خلف بن صاف اللخمي وكان فاضلا كثير التعفف والانقباض[4].

ولقي ابن منظور ابا الحكم الزبير الاصغر بسبتة عنه محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن غصن الشدادي القصري[5] وكذلك إبراهيم بن محمد بن علي التنوخي المعروف بابن ابي العاصي[6].

---

[1]: الرحلة 67/6 و65/5 ومقدمة ابن الصلاح ص: 4 وفهرست التجيبي.
[2]: افادة النصيح 97 وانظر ترجمة جده ابي القاسم ص: 56.
[3]: درةالحجال 328/3 ت: 1442.
[4]: درة الحجال 228.
[5]: غاية النهاية 47/2.
[6]: درة الحجال 179/1. لقط القراء وفيات 706. وفهرست التجيبي 23.

21- ابو الحجاج الطرطوشي(740هـ)

يوسف بن ابي الحسن علي بن محمد الانصاري الطرطوشي.

وصفه ابن رشيد بصاحبنا الاديب البليغ الناظم الناثر ذي الفضائل والمآثر[1] وبالاديب الكاتب[2]، وكان الطرطوشي صدرا من صدور زمانه فكاهة ودعابة ومعرفة فسيحة، مطلق الاعنة في الأدب[3]. وكان أيضا ممن كتب جوابا عن استفتاء ابي الفضل التجاني ومما أنشده وكتبه له بخطه إلا بيتا واحدا الحقه فأملاه عليه وكتبه:(الخفيف)

يا وحيـــدا آياته في المعالي * * لمجــاريه اظهرت اعجازه

(21 بيتا)[4]

وكان الطرطوشي أيضا من مصادر ابن رشيد في رحلته لأنه كان يورد له إنشاداته وفوائده، ومن ذلك ما أنشده له ملغزا في رباعي (مجزوء الرجز)

ما اسم لـدى العـد سداسـي * * وهـو إذا شـئـــت خـــماسي[5].

وقد كتب عن الطرطوشي ابو عبد الله محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله الصيرفي بمراكش، وكان صديقا لابن الخطيب[6].

---

[1]: الرحلة 48/7.
[2]: الرحلة 73/5.
[3]: اوصاف الناس 105.
[4]: الرحلة 48/7.
[5]: الرحلة 73/5 (حاشية)
[6]: نفاضة الجراب 67. وينظر بعض أخباره في معجم المؤلفين 318/13 والبحث العلمي ع: 10 س:4 ص: 22 (المصادر) للأستاذ محمد المنوني – ودعوة الحق عدد1 س: 12 ص: 123(المولد النبوي ذ. محمد المنوني) ودعوة الحق ع: 6-7 س: 14 ص: 180 (اوصاف الناس د. كمال شبانة).

ب: ذكر من لقيه بفـاس

22- سارة الحلبية

سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية نزيلة المغرب، وهي الشاعرة الاديبة الشيخة.

ويظهر من اسمها أنها من أسرة العالم الشهير ابي عمرو بن الصلاح صاحب المقدمة السائرة الذكر، ولهذا لابد أن يكون لها نصيب كبير من الرواية والعلم.

وكان بينها وبين ابن رشيد مساجلة شعرية، ومما قال فيها:

(السريـــع):

ســـــرى نســـــيم من حمى سارة ** عـاد به كل حـــمى عـاطرا

فأجابته بقولها: (السريع)

وافـــى قريض منكم قد غـدا ** ببعض أوصافــكم ذاكـــرا

ايا ابن رشيد يا ابن الرشد يـا ** من لم يزل طي العلا نـــاشرا

خذها فدتك النفس يا سيدي ** وكن لمن نظمها عـــــــاذرا

لم تســـتطـــع أنثى بتقصيرها ** بان تجاري ذكرا ماهـــــــرا

لازلـــت تحيي من رسوم العـلا ** ما كان منها قبلكم داثـــرا[1]

وكانت سارة متقنة للوراقة وتكتب بخط مستحسن[2].

جـ: ذكر من لقيهم بمراكش

23- ابوبكر القللوسي (707 هـ)

محمد بن احمد بن ادريس بن مالك بن عبد الواحد من أهل اصطبونة[1] ويعرف بالقللوسي ويلقب بالفأر. وصفه ابن رشيد باحد أصحابنا المغربيين الأديب النحوي

---

[1]: جذوة الاقتباس 434/2 وجامع القرويين 491/2.
[2]: المحاضرات الثقافية 207/1(الوراقة المغربية ذ. محمد المنوني). الزركلي 112/3.

العروضي[2]، وكان يسأله في المسائل العروضية وينشده من شعره الرائق. ومن تلك المسائل ما نبه عليه ابن رشيد ان أبا الحسن البسطي (ابا الجيش الانصاري) لم يذكر لعروض السريع إلا ستة اضرب على مذهب ابي الحسن الاخفس وابي اسحاق الزجاج. وأما الخليل فلها عنده سبعة اضرب فسأل ابن رشيد صاحبه العروضي ان يتم له ما نقصه الانصاري الضرب الاصلم[3] فأجاب.

ومما أنشده القللوسي لابن رشيد في مشروط كيف وصفه (البسيط)

لا تنكرن تشاريطا بوجنته ** فانها أثر الْأَلْحَاظِ والفكر

وطالما جرحت باللحظ صفحته ** والجرح ليس له بد من الأثر

وذلك بضم جيم الجرح وفتحها).

وللقللوسي تآليف في الفرائض والتاريخ وفيما تعرف به الأوقات[4] وأرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد، وله شرح الفصيح.

وقرأ القللوسي على ابي الحسين بن ابي الربيع ابي القاسم الحصار وابي جعفر بن الزبير، وهو تلميذ ابن البناء المراكشي في العروض.

24- ابن البناء المراكشي654- 721و723 هـ

ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان الآزدي المراكشي الشهير بابن العددي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المدرك المحقق[5] ونوه به وبصاحبه ابي القاسم بن الشاط بقوله:"لم ار عالما بالمغرب إلا رجلين ابي البناء بمراكش وابن الشاط بسبتة".

ويعد ابن البناء أيضا من مصادر الرحلة لأنه كان يستفيد منه ابن رشيد في علوم شتى، كالأدب والعروض خاصة. وما يدل على أنه كان يكاتبه ويعرض عليه بعض المسائل المعقدة قوله:وكنت عرضت عليه ابيات ابي المطرف بن عميرة:

---

[1]: نيل الابتهاج 301 وانظر معيار الاختيار(اسطبونة ص: 51 ورحلة الأندلس. حسين مؤنس(استيبونا ما بين مالقة والجزيرة الخضراء. ص: 256.

[2]: الرحلة 31/3 و4/6.

[3]: انظر العروض من هذا البحث.

[4]: الاعلام للمراكشي 337/4. درة الحجال 26/2- نيل الابتهاج 301 جذوة الاقتباس 288/1 لقط الفرائد 166. البغية 1/ 220 ذكريات كنون ع:33 ص:6.

[5]: الرحلة 26/2. انظر الشعر في هذا البحث وابو المطرف بن عميرة 241.

فضل الجمال على الكمال بوجهه....الأبيات[1].

وتكلمت معه في قوله فما مقصوده بالسفسطة فكتب لي بخطه بعد انصرافه ما نصه: قد يكون مقصوده بالسفسطة إيضاح احوال المخدوعين من المدعين محبته، فقوم يحبونه لكماله وجماله، وقوم يحبونه لنغم طربه وسحره فهؤلاء مخدوعون فيه لا ينالون منه إلا الغثاء والآخرون يمتعهم بالنظر إليه، فهذا وجه والله أعلم[2].

25- ابو علي صالح التلاليني

هو ابو صالح عبد الحليم بن يحيى بن موسى التلاليني الايلاني. وصفة ابن رشيد بشيخنا الفقيه الصالح[3] وهو العالم التاريخي الزاهد الورع، جمع الله له بين العلم والعبادة، فاشتهر بالعفاف واقتصر مناع الدنيا على الكفاف، مع الانقباض عن أهل الدنيا والحلول من الورع في الدرجة العليا[4].

لم يشر ابن رشيد إلى مكان اللقاء به ولا إلى الزمان الذي حصل فيه ذلك، وإنما ورد اسمه عرضا في ترجمة ابي الحسن الغرافي، وذلك في صدد تحقيق اسم علي بن عثمان ابن خطاب المعروف بابي الدنيا[5]. ولكن ابن القاضي يذكر أنه نزيل نفيس[6] في جنوب المغرب، ومعنى هدا أن ابن رشيد التقى به هناك أو في مراكش. ويفهم كذلك من كلام ابن رشيد والنص الذي ساقه له أنه استفاد من شيخه أبي صالح ما يتصل بعلوم الفقه والحديث.

---

[1]: الرحلة 26/2. انظر الشعر في هذا البحث وابو المطرف بن عميرة 241.

[2]: انظر بعض من ترجم له وأورد أخباره: الدر الكامنة 278/1، والبدر الطالع 108/1 وسلوة الأنفاس52/2، وجدوة الاقتباس 73/1، ونيل الابتهاج 65 والاعلام للمراكشي 375/1، وفهرست الرصاع 116 وشرف الطالب 77، وفيات 721، لقط الفرائد 180، وفيات 723، هدية العارفين 104/1، الزركلي 22/10، كشف الظنى 1411/1، شجرة النور 216ت : 759، الاستقصا 179/3، النبوغ 213/1 و263/2/2 وذكريات كنون ع: 32 دائرة المعارف الإسلامية 1/ 102 وجامع القرويين 2-380- 485، البحث العلمي ع: 11-12 ص: 29 ل. كنون معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب 17.

[3]: الرحلة 15/3.

[4]: درة الحجال 30/3 ت: 925.

[5]: انظر الجرح والتعديل في هذا البحث

[6]: من وريكة إلى نفيس 35 ميلا، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبي عبيد البكري ص: 154(الطريق من مدينة اغمات إلى رباط قور) وانظر معلمة المدن والقبائل ملحق 2 للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ص: 364.

د: ذكر من لقيه بالجزيرة الخضراء

26- ابن خميس الانصاري الاسطبوني(613- 688 هـ)

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن ابي بكر ابن خميس الانصاري الاسطبوني نزيل الجزيرة الخضراء.

كان ابن خميس هذا حافظا للفقه حاضر الذكر في النوازل أديبا شاعرا حسن الخط، وكان إماما بالجامع الأعظم من الجزيرة الخضراء بعد أن انتقل إليها سنة 635 أو 636 هـ.

وردت إشارة رواية ابن رشيد عليه في الذيل والتكملة لابن عبد الملك[1] وأغلب الظن ان ترجمته في الجزء الأول المفقود وأنه أخذ عنه الفقه وما يتصل به.

روى ابن خميس عن ابن عمه ابي عمران وابن الفحام وابن ابي وابي موسى السلوي وروى عنه من اصحاب ابن رشيد ابو بكر القللوسي، وهو قريبه. وابن عبد الملك المراكشي.

هـ : ذكر من لقيهم بالمرية

27- ابن شلبطور(608- 704 هـ)

أبوجعفر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي المريي، ويعرف بابن شلبطور، وهو من اهل المرية وأعيانها في الرياسة والوزارة والأدب والكتابه والمشاركة في العربية واللغة، وزيادة على ذلك كان من تلك الأسرة المشهورة بقيادة الأساطيل والنشاط البحري مع حظ وافر من صناعة الطب. ولا نجد له ترجمة في الأجزاء المعروفة إلا ما ورد له من الذكر في بعض تراجم ابن رشيد[2]. وقد لقيه وقيد عنه نظمه لأنه كان ماهرا في الشعر وروايته.

أخذ ابن شلبطور عن أبي القاسم بن الأصفر الحارثي وهارون اليهودي طبيب ابن الرميحي[3].

---

[1]: الذيل و التكملة 312/6 ترجمة 806.
[2]: ازهار الرياض 349/2 ودرة الحجال 125/1 ترجمة 152 والاعلام للمراكشي 51/3.
[3]: وانظر عنه لقط الفرائد وفيات 703.

ابو الحسن علي بن محمد بن الخضار الكتامي

انظر الترجمة عدد 9

ابو عبد الله بن الحكيم انظر من لقيهم بِرُنْدَة

الترجمة عدد 31

28 – ابن الصائغ الامي (698هـ)

ابو عبد الله محمد بن محمد بن لب بن عبد الله الامي المريي ويعرف بابن الصائغ. ولي الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالمرية في حدود الشبيبة، واستمر على ذلك إلى وفاته، وناب عن بعض الفقهاء بها، وشوور بها وافتى وكان يتكلم على موطأ مالك، وله رحلة إلى المشرق وتدريس في المدرسة الصالحية بمصر[1]. ولا نعرف له ترجمة في الأجزاء المعروفة إلا ما ورد في ترجمة ابن رشيد في درة الحجال[2] وازهار الرياض[3] والاعلام للمراكشي[4] ويحتمل أن يكون أصحاب الكاتب الثلاثة السابقين نقلوا ذلك عن الجزء المفقود، ولا بد أن يكون ابن رشيد قد قرأ على ابن الصائغ كتاب الموطأ وغيره، لأنه كان بحر معرفة لا يغيض وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض[5].

قرأ ابن الصائغ على ابن القاسم بن الاصفر، وأجاز له ابوالربيع ابن سالم وابو الحسن بن قطرال، وروى عنه ابن سلمون الكناني وابنه القاضي ابومحمد.

و: ذكر من لقيهم برندة

29- ابو الحسن بن السفاج

علي بن يوسف بن علي العبدري[6] الغرناطي[7] ويعرف بابن السفاج.

---

[1]: درة الحجال 61/2 ترجمة 504.
[2]: و97/2 ترجمة 532
[3]: ازهار الرياض 349/2.
[4]: الاعلام 295/5.
[5]: اوصاف الناس في التواريخ والصلات 50.
[6]: الرحلة 60/7.
[7]: الذيل والتكملة سفر 5 قسم 1 ص: 425 وانظر عنه ايضا مقدمة السنن الابين لابن رشيد لكاتبها د. بلخوجة ص: 54. والاحاطة 310/4.

وصفه ابن رشيد بالشيخ المقرئ والخطيب الصالح المبارك الفاضل، وقد لقيه بمدينة رندة وأجاز له ولأودلاه ابي القاسم وعائشة وامة الله وذلك في أواخر جمادى 686 هـ و وذكر له بعض شيوخه.

ويظهر من خلال مركزه العلمي أن ابن رشيد اخذ عنه القراءة وما يتصل بالزهد والتصوف.

ومن شيوخ السفاج الإمام المقرئ أبو الحسن الدياج، قرأ عليه بالقراءات السبع، وسمع عليه كتاب الكافي لابي عبد الله بن شريح وأجاز له. ومنهم ابو الحسن بن قطرال وأجاز له. ومن تلاميذه ابن سلمون الكناني.

30- ابو القاسم ابن الايسر الجذاني القرميني

القاسم بن ابي حجاج يوسف بن احمد بن يوسف الايسر الجذامي ويشهر ابوه بالقرميني وابن الايسر.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه الخطيب الفاضل الكاتب والأديب الحافل والمحدث المسند بن الشيخ الفقيه الجليل المحدث الصالح الزاهد الورع الفاضل. وكان ابن الايسر من اهل العلم والصلاح والزهد ويشهر بالكرامات واجابة الدعوات. وله اتساع في الروايات وتقدم في علوم القرآن والحديث والفقه والاصول والتصوف واللغات والنحو والأدب، وكان قاضي بلده ثم تزهد وترك بلده. وكان خطيب قصبة رندة أيام لقاء ابن رشيد له. وربما كتب عن بعض الوزراء وله معرفة بالرقانة وحظ صالح من الكتابة وله مصنفات مفيدة[1].

اتصل به ابن رشيد بمدينة رندة وذلك بمنزل صاحبه ابن الحكيم وسمعه عليه كثيرا وقرأ عليه الموطأ والأحكام لعبد الحق وصحيح مسلم والسيرة، وذلك في 15 جمادى الأولى 686 هـ وأجاز له يوم 17 وروى عنه حديث: إنما الأعمال بالنيات وقال أن له مصنفا فيه حظ وافر من كنابة المتأخرين.

أما شيوخه فكثير ومنهم الفقيه أبو العباس(ابوجعفر) العزفي وأبو جعفر القنجـائري الصوفي المعروف بابن مطرف، وأبو الفتوح العبدري الصوفي والفقيه

[1]:الرحلة 62/7. ومقدمة السنن الابين ص: 55

الأصولي. وابو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي القرطبي قاضي الجماعة. وابوالحسن سهل ابن مالك الفقيه. وعلي بن إبراهيم بن علي الشريش المحدث الحافظ المعروف بابن الفخار وابو الحسن بن قطرال وابوالقاسنم بن ربيع المقرئ. وابو الحسين بن عاصم الرندي وابو علي الشلوبين وابو الحسن بن الدباج وابو الفتوح بن عمر بن فاخر العبدري وابو اسحاق ابن محمد بن عبيد.

ومن تلاميذه سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنائي الغرناطي[1]

31- ابن الحكيم الرندي(660- 708 هـ)

بدر الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح اللخمي الرندي المعروف بابن الحكيم.

أورد ابن رشيد اسمه في الرحلة في أكثر من خمسة وعشرين موضعا، وفي كل مرة يضيف إليه وصفا من الأوصاف التي تجله وتبين مكانته ومقداره وجوانب شخصيته القوية، وقد تحصل لنا من تلك الأوصاف الكثيرة ما ملخصه: رفيقي[2]، ورفيقنا[3]، وصاحبنا[4]، المكرم وولينا المعظم المحترم الوزير الفاضل[5] الجليل الماجد الأصيل[6]، الحسيب[7] الحافل الاحفل[8]، الأديب[9]، الكاتب[10]، البليغ نادرة الزمان ودارة عقد الإخوان[11]، البارع[12]، الكامل[13]، ذو الوزارتين[14]، حفظ الله مجده[15]، وحفظ عهده[16]،

---

[1]: الاحاطة 310/4. وانظر أيضا عن ابن الايسر: فهرست التوجيبي 33.
[2]: الرحلة 31/7.
[3]: 18/2- 46-58
[4]: 26/2
[5]: 53/7
[6]: 31/7 و 62/2
[7]: 109/6
[8]: 18/2 و 45/5
[9]: 109/6 و 62/5
[10]: 58/2 و 6/2 و 45/5
[11]: 2/6 و 31/7
[12]: 62/5
[13]: 12/7
[14]: 26/2
[15]: 6/2
[16]: 126/5

وذخيرة الاخوان وصدر الاقران، ووصفه ابن الخطيب بأوصاف عدة تنم عن نبله وشرفه[1]، وترجم له ترجمة واسعة وأورد شيئا من شعره الرائق[2] وكذلك فعل المقري في نفح الطيب وازهار الرياض[3].

كان ابن رشيد وثيق الصلة بابن الحكيم وذلك من وجوه عدة منها أنهما ترافقا في رحلتهما المشهورة، وحضرا معا حلقات كثير من الشيوخ ولهذا كانت مَشْيَخَتَاهُمَا متشابهتين. ثم ان ابن الحكيم كان وليه المعظم بل انه كان يقوم بخدمته[4]، ثم أنه يعد مصدرا مهما من مصادر رحلته في كثير من الأخبار والأشعار والفوائد. والدليل على ذلك بعض هذه النقول التي أوردت أرقام صفحاتها في هذا الثبت. وان في الرحلة كثيرا من المذاكرات والمساجلات بينهما، فقد مدح ابن رشيد صاحبه بقوله:(المتقارب)

ايا حائز العلم نوعا فنوعـا * * ولو حـــل مـــحلا قصـــيا

(8 أبيـــات)[5]

فأجابه ابن الحكيم بقوله (المتقارب).

ايا من تحلى حلي المعالي * * وفي رتب العز اضحـــي عليا

(16 بيتا)[6]

بعد أن وافى ابن رشيد مالقة يوم الاربعاء 2 جمادى الثانية 686 هـ بعث إليه صاحبه ابن الحكيم بمكتوب يذكره بالمعاهدة والمعاقدة التي فحواها: أن لا يتوجه ابن رشيد إلى بلده إلا بعد الاجتماع به. كانت تلك المعاهدة معقودة بتونس كما هو مثبت في الرحلة[7].

---

[1]: الاحاطة 444/2
[2]: نفسه 452/2
[3]: نفسه 444/2 والنفح 373/3 و411/4 و12/8 وازهار الرياض 340/2- 347.
[4]: 53/7
[5]: الرحلة 2/6 وانظر الأدبيات.
[6]: الرحلة 2/6 وانظر الأدبيات.
[7]: الرحلة 53/7.

وكان من فضل ابن الحكيم أنه كان يروي كثيرا من الأشعار ويجمعها ويزود بها صاحبه كما فعل في ترجمة شيخهما ابي اليمن بن عساكر[1] وشعر ابي المطرف بن عميرة[2].

ومن اهم الشيوخ الذين رويا عنهما ابو عبد الله الحميري والقطب القسطلاني وابن عساكر وابن حبيش وبهذا لابد أن تكون رحلتاهما متشابهتين في المنهج والغرض[3].

32- ابن عاصم الاسدي(605- ...)

ابو عمرو موسى بن الفقيه الجليل والخطيب الفاضل المحدث المقرئ ابي الحسين عبيد الله بن عاصم الاسدي.

وصفه ابن رشيد بالوزير الجليل والحسيب الأصيل والماجد الفاضل والمبارك الطاهر[4]. وهو أحد أعيان بلده وصدورهم، له سماع قليل وإجازات عالية صحيحة. التقى به ابن رشد يوم 18 جمادى الاخرى 686 هـ بعد رجوعه من الحج وأجاز له جميع مروياته ولأولاده وأنشد عليه بعض شعر العِماد الاصبهاني:(الوافر):

أجزت القوم ما راموه مني * * بمالي عندهم من حسن ظني

مجازاتي ومســـموعي فإني * * أذنت لهـم بأن يرووه عـــني

(5أبيات)[5].

وأخبره بأبيات ابي عمرو ميمون بن خطاب المعروف بابن خبازة وذلك في سقوط القُبَّة الحمراء بمراكش:(البسيط).

انظر الى القبة الحمراء ساقطـــة * * لما رأت مضر الحمراء عن كـــثب

ويقول فيها:

وإنما سجدت لما سهت وغـدت * * فوق الظلال فكانت أعجب العجب

---

[1]: الرحلة 36/5 وما بعدها، فقد أنشد له ما يقرب من 600 بيت.
[2]: الرحلة 26/2.
[3]: انظر اخبار ابن الحكيم ايضا في الدرر الكامنة 459/3 والنفح 20/3- 373 و411/4 ودرة الحجال 93/2 واللمحة البدرية 47 ووفيات الونشريسي 99 وفيات 707 ولقط الفرائد وفيات 707 وابن خلدون 248/7 ونهاية الاندلس عصر 4 ص: 462- 463 ومقدمة السنن الابين 54- 55. والمجموعة النبهانية 436.
[4]: الرحلة 60/7.
[5]: الرحلة 60/6 ح.

وهي طويلة ولكن لم يورد منها سوى خمسة أبيات فقط[1].

كما أخبره بحكاية غريبة مسندة الى عمر بن عبد العزيز مفادها أن رجلا سأله أن يريه موقع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فيما يرى النائم جسد رجل يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة قد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله عز وجل خنسه[2].

ومن شيوخ ابن عاصم ابو العباس العزفي الذي اجازه سنة 616 هـ، ومحمد بن محمد بن زرقون سنة 610 وابو الحسن الغساني المعروف بابن العشاب سنة 613 هـ وابو عمر بن سالم المالقي سنة 615 هـ وابو علي عمر بن عبد المجيد الازدي سنة 635 وابو بكر محمد بن مسدي سنة 625 هـ ومحمد بن عمر بن نصر السلاوي سنة 636 هـ.

وبعث ابن عاصم لابن رشيد مكتوبا فيه شيوخه الآخرون ومنهم ابو عبد الله اللبلي وابو عبد الله بن عمرو الانصاري وأبو الفتح الرندي والفقيه ابو علي (كذا) بن دحية[3].

ز: ذكر من لقيه بشقر

33 ـ ابن طاووس النحوي (720هـ)

ابو الحجاج يوسف بن احمد بن طاووس النحوي من اهل جزيرة شقر، كان إماما في العربية والطب، وهو آخر الاطباء بشرقي الاندلس، وكان الى جانب ذلك عارفا بكتاب سيبويه، وآخذا من اهل زمانه وبعلوم الآوائل، وله من المؤلفات: الإيجاز في الطب.

اتصل به ابن رشيد وكان له صاحبا، ولابد أن يكون لكل منهما أثر في الآخر ما دام يجمع بينهما علوم العربية والنحو[4].

---

[1]: الرحلة 61/7 وأشار ابن رشيد على أنها طويلة، أثبتها في مكان آخر غير الرحلة.
[2]: نفسه.
[3]: وانظر عنه ذكريات كنون عدد 7 ومقدمة السنن الابين ص: 54- 55.
[4]: بغية الوعاة 421 ودرة الحجال 354/2 وهدية العارفين 557/2.

ح: ذكر من لقيهم بغرناطة

34 ـ ابواسحاق بن فرج الفهري

إبراهيم بن إبراهيم بن احمد بن فرج الفهري.

وصفه ابن رشيد بالفقيه الصالح العابد[1] وقرأ عليه بعد قفوله من الحج بحضرة غرناطة ـ حماها الله ـ كتاب الإيضاح والبيان في العمل بالظن المعتبر شرعا بالسنة الصحيحة والقرآن[2] وأذن له في روايته عنه عن مؤلفه إذنا له ومناولة، وكتب له خطه بالإذن في الرواية بجميع ما رواه أو ألفه من نظم أو نثر.

35 ـ ابو جعفر بن الزبير(708 هـ)

احمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير ابي الحسن بن الحسن بن الزبير ابن عاصم ابن مسلم بن كعب الثقفي العاصمي. كان ابن رشيد يسميه بالشيخ الأستاذ المقرئ المحدث[3]. وكان ابن الزبير هذا علامة حافظا نحويا، جمع وصنف وحدث بالكثير، وانفرد بالافادة ونشر العلم وحفظ الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه[4].

وهو أستاذ القراء الثقة العمدة[5]، وله نظر في الرجال[6] وهو الإمام[7] الذي تخرج عنه كثير من العلماء والشيوخ، وكان محرر اللغة وأفصح عالم رآه ابن حيان[8].

وبعد ابن الزبير من مصادر معارف ابن رشيد في كتابه افادة النصيح، فقد أخبره مكاتبة من غرناطة قال:"قال لي شيخنا ابو الحسن الغافقي: ولا دخل على قوس باب سبتة أزهر منه(يعني ابا محمد الحجري)[9] وبهذا يكون اتصال ابن رشيد به.

---

[1]: الرحلة 66/2.
[2]: لم يشر ابن رشيد الى مؤلفه وقد يكون محمد بن خلف الاوسي المتكلم برأي الاشعرية: الاحاطة 166/3.
[3]: افادة النصيح 79.
[4]: البدر الطالع 33/1- 34.
[5]: شذرات الذهب 16/6.
[6]: تذكرة الحفاظ 1484/4 ترجمة 1169.
[7]: طبقات الحفاظ للسيوطي ت: 1137
[8]: الدرر الكامنة 84/1 ت: 232.
[9]: افادة النصيح 79- 80 وانظر ايضا عن ابن الزبير الاحاطة 188/1 والذيل والتكملة س: 1 ق: 1 ص: 39 ت: 31 وفيات الونشريسي 100 وفيات 707. لقط 167. المنهل الصافي 191/1 ت: 107 كشف الظنون 1735 الوادي آشي 76. معجم المؤلفين 138/1.

36 ـ عباس التجيبي

ابو الفضل عباس بن الوليد محمد بن احمد التجيبي[1] وهو ابن اخي ابي اسحاق ابن ابي الوليد التجيبي[2].

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفاضل الحسيب الاصيل ولكنه مع ذلك لم يستجزه إذ لم يكن له علم بشيء من الرواية ولا كان يذكر ذلك.

37 ـ القاسم الهوزني

ابو محمد القاسم بن محمد الهوزني الاشبيلي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الاديب الحسيب اللغوي وكان له حظ من تعبير الرؤيا، ويأتي من ذلك بغرائب وعجائب ولم يكن تمكنه في العلم بذاك[3].

قال له ابن رشيد: من أين لك هذا فقال له:"كنت رأيت باشبيلية وأنا صبي صغير احمل على عنق الغلام، فيما يرى النائم كأني على روضة النبي صلى الله عليه وسلم ورأيت في جانبها طاقا اتقاصر عن ادراكه والناس يتواردون عليها فيدخلون ايديهم في ذلك الطاق ويخرجون للأمام يلتقمونها فرمت ذلك فلم تدركه يدي فآخذت قصبة وجعلت ابل اسفلها ترابا قد علق بها، فالتعقه ثم أعيد ذلك العمل مرات، واستيقظت وقد وعيت الرؤيا فقصصتها على أبي فقال هل علمت أمك ذلك قلت لا، قال واستدعى غلاما لنا فحملني على عنقه مع ابي رحمه الله إلى الشيخ الكبير المشهور باشبيلية المعروف بالخَنْتَمِي وكان يأتي في التعبير بأمور يعجز عن إدراك فهمها، فقصصتها عليه فقال يا بني: التراب تراث وهذا القدر الذي نلت من ترابه صلى الله عليه وسلم نزر يسير، وأنك توتى حظا من علم التعبير فصدق تأويله رحمه الله.

---

[1]: الرحلة 24/2.

[2]: انظر ترجمة ابي الوليد محمد بن احمد في من لقيهم بتونس

[3]: الرحلة 49/5 مكرر.

38 ـ ابن الإمام

ابو عبد الله محمد بن الإمام، وصفه ابن رشيد[1] بصاحبنا الثعالِيمِي الإمام المحقق، وقد أورد اسمه عرضا بمناسبة إنشاده ابيات أبي المطرف بن عميرة:

فضل الجمال على الكمال بوجهه بوجهه الأبيات[2].

ابن الحكيم الرندي

انظر من لقيهم برندة (الترجمة عدد 31)

39 ـ ابو القاسم بن جزي(741 هـ)

محمد بن أبي محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي الكلبي. وصفه ابن رشيد بالوزير الأجل الحسيب الأصيل المعمر.

كتب ابن جزي عام 682 هـ بخطه لابن رشيد قال:"أنا الوزير الجليل الحسيب الأصيل أبو الحسن محمد بن الفقيه القاضي أبي بكر بن جابر بن ذي النون التعلبي فيما كتب لنا بخطه سنة خمس وستمائة، وذلك بالسند المرفوع الى أنس رضي الله عنه قال: كان يعجبنا يجيء الرجل من أهل البادية فيسأله، يعني صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل فقال: رسول الله متى قيام الساعة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اين السائل عن الساعة فقال الرجل انا يا رسول الله، فقال وما أعددت لها؟ فقال والله ما أعددت كبير عمل ولا صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب[3]".

ط: ذكر من لقيهم بمالقة

40 ـ ابو الحسين بن قراقش

وصفه ابن رشيد بأنه كان من بعض أصحابه ورفقائه، وهو الوزير الأجل الحاج[4] الذي مكنه ابو عبد الله بن الحكيم من مكتوب كريم يذكر فيه ابن رشيد بذلك العهد

---

[1]: الرحلة 26/2.
[2]: انظر ترجمة ابن البناء.
[3]: الرحلة 38/2.
[4]: الرحلة 53/7.

ويطالبه بالعقد الذي كان بينهما بتونس وهو أنه ان تمكن له دخول الاندلس حرسها الله ما يتوجه على بلده إلا بعد الاجتماع به. ولهذا انتدب ابن قراقش لهذه المهمة. وهذا يفسر لنا مدى العلاقة الوطيدة بين ابن رشيد ورفيقه أبى الحسين الذي كان حريصا على جمع شمل الأصحاب ولم شعثهم، ولهذا أقام ابن رشيد عنده أياما فأكرم نزله إلى أن وصل المركب إلى مالقة ليتسنى الاتصال بوليه المغظم وأخيه المكرم ابن الحكيم.

ولا شك أن ابن قراقش كان رئيسا وأديبا كابن الحكيم، ويجمع بين هؤلاء العلم والسياسة، ويمكن أن يكون قد جرى بينهما وبين ابن رشيد مجالس أدبية ومفاوضات في غير ذلك من فنون العلم.

41 ـ محمد بن مالك بن المرحل(710 هـ)

محمد بن مالك بن عبد الرحمان بن المرحل المالقي، وردت إشارة اجازته لابن رشيد في درة الحجال[1] ولكن لم يورد اسمه في من لقيهم بمالقة في الجزء السابع الذي ترجم فيه لبعض شيوخه بها، ويحتمل أن يكون خصه بترجمة في الجزء الأول المفقود. وقد قال ابن حجر العسقلاني أنه كان إماما في الشروط[2]، وبما أنه كان ابن الشاعر المشهور والاديب الكبير مالك ابن المرحل، فلا شك أنه قد تأثر في فن أو أكثر من الفنون التي كان يتقنها ابوه. وقد أخذ المالقي أيضا عن ابن السراج وابن فرتون والشلوبين وابن ابي الربيع والدباج والازدي[3].

42ـ ابو عبد الله بن عياش الانصاري القرطبي

محمد بن عياش بن محمد بن احمد بن خلف بن عياش الانصاري الخزرجي القرطبي نزيل مالقة. وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الفاضل المقرئ الراوية المسند المعمر اليقظ[4].

لقيه ابن رشيد بمالقة في 7 جمادى الثانية 686 هـ وسمع عليه مروياته ومسموعاته، وأجاز له ولأولاده، وما قرأه عليه كتاب زهرات البساتين[5] وناوله جميع

---

[1]: درة الحجال 264/2 ترجمة 758.
[2]: الدرر الكامنة 152/4 ترجمة 402.
[3]: انظر شيئا عن أحواله في فهرست الرصاع 120.
[4]: الرحلة 54/7 والسنن الابين (تمهيد) ص: 54.
[5]:لأبي القاسم بن الطيلسان انظر الذيل والتكملة س: 5 ق: 2 ص: 566.

الكتاب وقرأ عليه الخبر المرفوع إلى عمر رضي الله عنه قال:"من زافت عليه دراهمه فلا يحالف الناس[1].

وقرأ عليه طرائف أدبية لطيفة كقصة اللصوصية بالنسيئة وقرأ عليه فوائد نحوية كأول واضع علم النحو"وكذا الخبر المرفوع الى ابي هريرة في شأن شد الحجر على البطن من الجوع، وكذا حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين مجلس يدعو الله ومجلس يتعلمون العلم ويعلمونه... الحديث وكذا الخبر المسند إلى مخلد بن عبد الرحمان أنه سمع اباه عبد الرحمان بن احمد بن بقي يقول:"الاجازة عندي وعند ابي وجدي كالسماع". وقد أورد له ابن رشيد في الرحلة شيئا من اجازاته ومقروءاته، فمن اجازه ابوه وصهره ابو القاسم بن الطيلسان وابو القاسم ابن بقي فلما سمع على ابن الطيلسان كتابه الزهرات ومختصره اقتطاف الانوار وكتاب الإشارة والالماع وكذا مشيخته وغير ذلك. وممن اجازه ايضا سهل ابن مالك وابوعبد اله القرشي[2]. وقد اورده الوادي آشي في فهرسته[3].

43 ـ ابو زكرياء الرنداحي

وهو صاحب ابن رشيد القائد الاجل الافضل[4]، وكان الرنداحي هذا ايضا من رجال القيادة الذين كانت لهم صلة ابن رشيد بهم وطيدة كابن الحكيم وابن قراقش وصاحب الترجمة، إذ لما وافى مالقة ضحوة يوم الاربعاء 2 جمادى الاخرى 686 هـ اجتمع به فأنزله وأكرم نزله وأقام عنده أياما الى أن ذهب الى صاحبه ابن الحكيم الذي كان بينه وبين ابن رشيد تلك المعاقدة السابقة الذكر.

ي: ذكر من لقيهم بمنرقة

44- ابو عمرو بن حكم وابناؤه

ابوعمرو بن الرئيس الجليل ابي عثمان سعيد بن حكم القرشي صاحب ثغر منرقة. لما اتصل ابن رشيد بقطب الدين القسطلاني بالقاهرة المعزية دفع له يوما استجازة برسم

[1]: انظر الخبر في لسان العرب مادة (زيف).
[2]: الوادي آشي 90 والمرقبة العليا 148.
[3]: الوادي آشي 90 والمرقبة العليا 148.
[4]: الرحلة 53/7.

بني الرئيس ابي عمرو المذكور صاحب ثغر منرقة واسماؤهم يحيى وسعيد ومحمد. فكتب القسطلاني:"أجزت لهم احيا الله بالسعادة حمدهم وامات بالكمد ضدهم[1].

45ـ ابومحمد مولي ابن حكم

عبد الله مولى الرئيس ابي عثمان بن حكم. وصفه ابن رشيد بالقائد الاجل الفاضل[2]. لقيه ابن رشيد وانشده أبيات عبد الله حكم بن سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي التي كتبها إلى الفقيه ابي عبد الله القضاعي كذلك لما بعث إليه ابياتا منها:(الكامل)

يا طول فخر قضاعة بآخيـــها   مـــاذا افاد من العلوم بنـيها

اهدى إليهم من نتائج فكـــره   حللا يحلي بالهدى مهديـــها

فبحقه يدعـى ابو عبـــد الإلـــــــه مـــؤرخا ومـحدثا وفقيها

فيجاوبه ابو عبد الله بابيات منها:

أزرى بقولي في قريش قـــوله * * * يا طول فخر قضاعة بأخيها

ك: ذكر من لقيهم ببجاية

46ـ ابوفارس بن عمر ابن مخلوف ابن كحيلا

(602ـ 685 أو 686هـ)

عبد العزيز بن علي بن عمر بن مخلوف القيسي الشهير بابن كحيلا من أهل تلمسان. وهو الفقيه المالكي المحدث والقاضي الحافظ والذاكر لمتون الحديث المتقن والفصيح اللسان والعبارة الحسن الإشارة. له عكوف على التدريس ودؤوب عليه، وكان يُعْرَفُ بخزانة مالك رضي الله عنه.

---

[1]: الرحلة 108/3، عنوان الدراية 254 المغرب 469/2 واختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد ص: 28

[2]: الرحلة 76/6.

أخذ عنه ابن رشيد ببجاية ولم يتعين لنا الا أن ما أخذه عنه لفقدان الجزء الخاص بذلك ويرجح أن يكون اعتماده عليه في العلوم الفقهية والحديثية وما يتصل بالزهد والتصوف.

أخذ ابن كحيلا عن ابن محرز ببجاية، وبها لقي ابا الحسن الحرالي الزاهد الصالح واخذ عن ابيه وعن ابن زيد البزناسني وابي الحسن بن ابي نصر.

وممن أخذ عنه محمد بن يعقوب المنجلاتي الزواوي وأبو محمد بن علوان الاديب وإبراهيم المطماطي. ومن تلاميذه ابو العباس الغبريني الذي حدثه بكتاب الرسالة للقيرواني والتبصرة للخمي[1].

47ـ ابو عبد الله ابن صالح ابن رحيمة

(614 ـ 690 هـ)

محمد بن احمد بن محمد الكناني الشاطبي المعروف بابن رحيمة نزيل بجاية. وصفه ابن رشيد بشيخنا الخطيب الصالح[2] وكان خطيب بجاية وشيخها وهو اعلى الناس سندا بالشاطبية. وقد وردت عنه اشارة في الرحلة وذلك في صدد انشاد الشيخ ابي العباس ابن الغماز لنفسه مما صنعه في بوم عيد بعض اصحابه، واكبر ظن ابن رشيد أنه أبو عبد الله بن صالح صاحب الترجمة:(الحفيف)

لبـــس البرنس الفقيه فباهى * * * وراى أنه المليـح فتـاهـا

لوزليـــخا رأته حين تبدّى * * * لتمنت أن يكـون فتـاهـا.

ويعد ابن صالح هذا أيضا من أحد مصادر ابن رشيد في كتابه إفادة النصيح فقد أنبأه بحكاية المرأة المستحاضة وكانت من الصالحات، وملخص ذلك أنها لما سمعت بموت ابي محمد الحجري أشفقت الا تحضر الصلاة عليه ودفنه لما رجت في ذلك من الثواب، فاستجيبت دعوتها في رفع تلك الحيضة الشديدة[3].

---

[1]: انظر بعض أخباره في عنوان الدراية 316، والبستان لابن مريم 66، وشرف الطالب 74 وفيات 685، ونيل الابتهاج 233، وأنس الفقير 276، ودرة الحجال 117/3 ترجمة 1057، والاعلام للمراكشي 251/8، وشجرة النور 202 ترجمة 693، والحلل السندسية للسراج 692/1، ومعجم المؤلفين 123/2.

[2]: الرحلة 25/6.

[3]: افادة النصيح 93 وانظر كرامات أبي محمد الحجري في ص: 78.

وممن روى عنه الشاطبية أساتذته وشيوخه: ابن الابار وابن برطلة وابن قطرال.

وشيوخه كثير منهم ابن السراج واليعمري وابن فيرة وابن البراء والسوسي وابن عميرة وغيرهم[1].

ويعد ابن صالح فيمن لقيهم العبدري وقرأ عليهم برنامجه وغيره[2]. ومن تلاميذه ايضا ابوالعباس الغبريني[3].

48ـ ناصر الدين المشذالي

(632- 731 هـ)

ناصر الدين ابو علي منصور بن احمد بن عبد الحق المشذالي مدرس بجاية. وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام المفتي[4]. ولم يرد للمشذالي ذكر كثير في الاجزاء الموجودة، ويحتمل أن يكون قد عرف به في الجزء الأول الفقود. وما ورد من أخباره أن ابا القاسم ابن زيتون كان يمسك بأصل الموطأ عند سماعه على ابي عبد الله بن ابي الفضل المرسي، وهو الاصل الذي سمع فيه ناصر الدين على ابن ابي الفضل[5].

ومن ذلك ما حكم المشذالي ان القاضي ابا محمد عبد الوهاب قال: "النضح مستحب"[6]. وذكر صاحب معجم اعلام الجزائر، نقلا عن الرحلة ان المشذالي رحل في صغره إلى مصر مع أبيه فقرأ بها وتَهَذَّبَبْ اخلاقه ورقت طباعه، وقرأ على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره، وأقام في رحلته نيفا وعشرين، ثم رجع بعلوم جمة من الاصول والفقه والادب والكلام والتصوف وأقبل على العبادة والاقراء[7].

أخذ المشذالي عن ابي عبد الله المرسي والقطب القسطلاني وغيرهما وممن أخذ عنه العبدري وابو موسى المشذالي وابو عبد الله الباهلي والغبريني وخلق كثير[8].

---

[1]: بغية الوعاة 79- 100. وانظر ايضا عن ابن رحيمه روايات كثيرة في فهرست أبي القاسم التجيبي.

[2]: العبدري 27.

[3]: عنوان الدراية 104 وانظر عن ابن رحيمة: الذيل والتكملة 231/6 ترجمة 672 ونثير الجمان 23- الوادي آشي 99. غاية النهاية 254/2. شرف الدين الطالب 75 وفيات 699. فهرست المنثوري 62 شجرة النور 202.

[4]: الرحلة 11/6- 33.

[5]: 11/6

[6]: الرحلة 33/6

[7]: 195/6.

[8]: وانظر عن المشذالي: مقدمة ابن خلدون 431 وفهرست التجيبي 206.

ل: ذكر من لقيهم ببونة (عنابة)

49 ـ ابو الفضل الفحصبلي

القاسم بن محمد بن عبد السلام الفحصبلي، وصفه ابن رشيد بالفقيه وبقاضي البلد ذي البيت الأصيل والسلف القديم.

لما وصل ابن رشيد إلى مدينة بونة قاعدة بلاد العناب كان ذلك اليوم يوم السبت 7 جمادى الاولى 686 هـ، والحال قد تفاقمت بين التجار وصاحب المركب، فغلب صاحب المركب على أسلحة التجار وسلبها منهم وثقفها عنده. وفي هذه الاثناء اجتمع ابن رشيد بقاضي البلد واجتمع ايضا بوالي البلد وكان من الموحدين، وكانت له سياسة وفضل فحاول الإصلاح بين الطائفتين، وأشار على ابن رشيد بالدخول بينهم في ذلك فلم تتم الحال في ذلك اليوم، وبعد ذلك توقف الأمر وصلحت الحال. وقد اقام ابن رشيد هناك أياما وتكرر الاجتماع بالقاضي واستجازه في جميع مروياته فاذن له في ذلك لفظا وذلك يبوم الاربعاء 11 جمادى الاولى وذكر له أنه أخذ عن جمع وافر منهم ابو علي الجياني الذي قرأ عليه الموطأ، ومنهم ابو عبد الله الببغا.

ولأبي الفضل رحلة إلى البيت الحرام وجمع في ذلك كتابا مفيدا. ولم يتمكن ابن رشيد من تعرف احواله الاخرى لأنه سافر يوم الخميس 12 جمادى الاولى 686[1].

م: ذكر من لقيهم يتلمسان

50 ـ ابن ابي العباس الخزرجي (710 هـ)

محمد بن عبد الرحيم بن ابي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان، لم تتوافر لدينا المعلومات الكافية عما قد يكون ابن رشيد اخذ عنه، إلا أنه ورد في كتاب البستان لابن مريم رواية تدل على أنه كان يحضر خطبه، فقد قال محمد بن محمد القرشي التلمساني الشهير بالمغربي أنه سمع الامام ابا عبد الله الآبلي[2] العبدري يقول[1]:"سمعت ابا عبد الله

عنوان الدراية 200. بغية الوعاة 301/2. نيل الابتهاج 345. درة الحجال 9/3. طبقات المالكية 524. شجرة النور 217 ترجمة 764. فهرست الوادي آشي 91. الدرر الكامنة 2 ترجمة 4847. غاية النهاية 28/2. شرف الطالب 77 وفيات 731. معجم اعلام الجزائر 195 ورقات للاستاذ المنوني 313.

[1]: الرحلة 52/7.

[2]: انظر ترجمته في تلاميذه.

ابن رشيد يقول: سمعت ابن ابي العيش بتلمسان يقول في خطبته: من يطع الله ورسوله فقد رشد "بكسر الشين"وكان الطلبة ينكرون عليه فلا يرجع فلما أقبل ابن رشيد من رحلته دخل على الأستاذ ابن أبي الربيع بسبتة هنأه بالقدوم وقال له رشدت يا ابن رشيد[2].بكسر الشين أيضا.

51- ابن خطاب المرسي(686 هـ)

أبو بكر محمد بن عبيد الله بن داوود بن خطاب، وكان كاتبا وشاعرا كتب لأمير المؤمنين ابي عبد الله بن يوسف الغالب.

لقيه ابن رشيد بتلمسان وروى عنه شعره ومنه قصيدته التي أولها[3]:

(الطويل)

سرى البدر فارتاع الفؤاد لومـــضه * * فبتُّ وجفني لم يذق طعم غمضــه

تبـدي كعـرق فـي الغمامة نابــض * * يــدل على سقمي تواتر نبضـــه

وبما أن الجزء الأول مفقود فإن معارفنا عنه فيها ستظل في هذه الحدود.

لقي ابن خطاب كثيرا من الشيوخ ببلده مرسية كأبي بكر محمد بن محمد المعافري الشهير بالقرشي وابي علي الحسن بن عبد الرحمان الكتاني الشهير بالرفاء والفقيه ابي بكر بن محرز وغيرهم. وروى عن ابن جَهْوَر وابي بكر المعافري وابن عميرة، واجاز له ابو الربيع بن سالم[4].

---

[1]: البستان 159.

[2]: رشدت بفتح الشين وكسرها لغتان صحيحتان حكاهما يعقوب في الاصلاح ص: 217 وانظر عن ابن ابي العيش نيل الابتهاج 332، واظن أنه وقع سهو في كتابة وفاته لأنه جعلها سنة910 هـ وكذلك فعل صاحب كتاب شجرة النورص: 274: 1019 وانظر معجم أعلام الجزائر 155. وانظر عنه بحثا مفيدا للاستاذ عبد القادر زمامة. المناهل: 224 و551

[3]: تاج المفرق للبلوي 1/60- 150.

[4]: رحلة العبدري ص: 17 واللمحة العبدرية 30- 33 والذيل والتكملة 332/6 ترجمة 873. والبحث العلمي عدد 10 س: 1967/4 ص: 22 ذ. محمد المنوني. وانظر أيضا البحث العلمي عدد 8 س: 1966/3 ص: 129(رسائل ابي بكر بن الخطاب): المصادر الدفينة في تاريخ المغرب للأستاذ محمد المنوني. وانظر فصل الخطاب في ترسيل ابي بكر بن خطاب مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط رقم 4605.

ن: ذكر من لقيهم بتونس

52 ـ ابواسحاق الخزرجي

إبراهيم بن احمد بن محمد الانصاري الخزرجي الجزري[1].

وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام العالم المتفنن في انواع المعارف، شيخ الشيوخ وبغية اهل الرسوخ، اتصل به بتونس وقد اقعده، السن عن التصرف لضعفه، ولكن لم تكن به زمانة بل كان صحيح المذهب والعقل والبديهة غير انه يغلب عليه النسيان حتى يذكر بالشيء فحينئذ يفيض فيه ويستذكره. وكان هذا الشيخ بحرا في علوم العربية والبيان وأصول الفقه والمنطق واصول الدين وغير ذلك، وقد أخذ عنه علماء العربية ونجباؤها[2] وله تآليف حسنة تلفت اوأكثرها بموته لأنه لم يخرجها من مسواداتها في حياته وتركت بعد وقاته لرداءة خطه ودقته. ومن أهم كتبه السباحة في بحري البلاغة والفصاحة. ورفع عن المظالم عن كتاب المعالم، وقدتكلم فيه مع ابي المطرف بن عميرة في المسائل التي تعرض فيها لكتاب المعالم للفخر ابن الخطيب[3]. وذكر له ابن رشيد ثلاثة عشر كتابا من مؤلفاته الجليلة النفيسة وهي في النحو والـجدل وعلــوم القرآن وغير ذلك واشـــاد به مع أنه ـ كما قال ـ الان عديم الذكر.

وقد روى عنه بعض شعره وشعر غيره، وممن أخذ عن الخزرجي ابو الفضل التجاني وابوعبد الله بن الحكيم وغيرهما.

53 ـ ابواسحاق بن حبي القرموني

إبراهيم بن الشيخ الاديب الكاتب ابي الوليد اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن بكري الأيادي ثم القرموني المالقي نزيل تونس[4]. وصفه ابن رشيد بالشيخ الكاتب الاديب الحسيب الفاضل الكامل الرواية المسند، ناسق حساب الحسب وسامق ذرى الادب وسابق السراة النجب وكذلك كان ابوه. وقد لقيه بتونس وسأله الإجازة له ولبنيه في جميع مروياته ومرتجلاته، وأن يسمي بعض شيوخه ويتحفه ببعض

---

[1]: الرحلة 62/6.
[2]: بغية الوعاة 406/1.
[3]: انظر تفصيل ذلك في كتاب ابو المطرف ابن عميرة ص: 297- 298.
[4]: الرحلة 104/6.

فوائده، فكتب بخطه الإجازة التي أثبتها ابن رشيد في الرحلة بنصها ويقول في اولها: "سألتني أيها السيد الجليل والصاحب الخليل الذي بز في ذكائه ونحوه على الخليل أن اجيزك وبنيك السعداء أقر الله لهم انسان عينك..."

وقد تفنن ابن حبي في تلك الرسالة بما يدل على أنه كان يجيد النثر ويتبصر مواقع حسنه.

ومن شيوخ القرموني: الحافظ الناقد الورع الزاهد المتبتل ابو بكر حميد بن ابي محمد القرطبي الشهير وغيره ممن عرض عليهم كثيرا من الكتب كالشهاب والفصيح والاشعار الستة والجمل والتلقين والمقامات وشعر حبيب. ومما قرأه على أبي بكر الاشبيلي: القرآن الكريم بالاحرف السبعة. وممن كتب إليه بالإجازة ابو عبد الله الاستجي المالقي.

وفي ترجمة ابن حبي هذا فوائد كثيرة إذ فيها رواية اشعار بديعة وشيء من الأسئلة والأجوبة، وفيها نصوص مهمة من الشعر الذي قيل في نكبة الحسين، وهي اشعار قيلت في التذييل على بيتي أبي الفرج ابن الجوزي[1].

54- ابو القاسم بن ابي اللبيدي (600- 686)

ابو الفضل ابو القاسم بن حماد بن ابي بكر اللبيدي الحضرمي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه والخطيب الحسيب الصالح المبارك اليقظ المعمر خطيب قصبة السلطان وخطيب الأعياد[2]. وقد أضاف ابن ابي اللبيدي خطيب تلميذه ابن رشيد في منزله واحتفل به، وقرئ عليه وهو يسمع جميع ملخص القابسي[3] في جمادى الاولى 686 هـ وغير ذلك من الحديث والأخبار الحسان، وقد أتى ابن رشيد في ترجمته ببعض التنبيهات المفيدة فمن ذلك تنبيهه على أنه لا يعتمد الاملا ء على الحفظ، لأن الحفظ خوان والإنسان موكل به النسيان، وجاء ذلك في صدد نقد سند أبي محمد بن عتاب في سماعه ملخص القابسي لأنه وهم في بعض سنده، بسبب ذلك ومن ذلك قول ابي القاسم

---

[1]: الرحلة 107/6. وورقات للاستاذ محمد المنوتي 316.
[2]: الرحلة 26/6 وفهرست الوادي آشي 14.
[3]: الملخص بفتح الخاء وكسرها كما بينه ابن رشيد في الرحلة 27/6. وكان ابو الحسن يقرأ كتابه بكسر الخاء ويجعله فاعلا يريد أنه لخص المتصل من حديث مالك.

حمزة بن محمد الكناني :"إذا اختلف الناس عن مالك فالقول ما قال ابن القاسم:"ومنها نص ما الفاه بخطه:"قال الشيخ ابو عمران الفاسي بقي على الشيخ ابي الحسن القابسي حديث واحد لم يخرجه وهوحديث (يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة) ويه يتم جميع ما في الملخص عشرون وخمسمائة حديث".

وقد قرأ ابن ابي اللبيدي كتاب الملخص علىابي زكرياء البرتي في أواخر شوال 623. وممن قرأ عليه إجازة ابو سعيد فرج بن قاسم بن لب الثعلبي الاندلسي الغرناطي. وأخذ عنه حيدر بن يوسف بن عبد الملك[1].

55 ـ ابوالعباس المروش

احمد بن ابي الطاهر اسماعيل بن احمد الربعي ويشهر بالمروش[2].

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه والكاتب الاديب واحد من المبرزين من عدول تونس والمعدودين في شيوخها وهو ذو السمت الحسن والحائز من المروءة على اقوم نهج وأوضح سنن.

اتصل به ابن رشيد بتونس وأسمعه من حفظه القصيدة الشقراطسية. للتوزري[3] وتخميسها[4]. وانشده شيئا من شعره ومنه:

(الطويل)

الا خــبروا ما للنَّسِيم إذا ســرى * * لتلكــم ووافانــا شممـناه عنبرا

وأنشده من قصيد ومطلعه: (الكامل)

طاب الزمان وذا الشتاء قد انقضى * * وأتى الربيع مكفرا عما مضــى

هذي الخمائل كالجمائل بهــــجة * * والنهر فيها كالحسـام المنتضــى

---

[1]: انظر بعض أخبار اللبيدي في طبقات المالكية 496 وغاية النهاية 29/2.
ورحلة التجاني 83. ورحلة العبدري 243. وفي نيل الابتهاج 110 ذكر لبعض تلامذته مثلا. وورقات 314.
[2]: الرحلة 109/6.
[3]: رحلة العبدري 45- 49.
[4]: انظر تخميسها في رحلة العبدري 49- 51.

56- ابن معط شرف الدين الجزائري

(610- 686 هـ)

ابو العباس احمد بن عبد الله بن عمر بن الامام الجزائري ويشهر بابن معط. وصفه ابن رشيد بالفقيه القاضي الاديب الفاضل، أحد المسندين الفضلا ء والبارعين من رواة الأدباء مع براعة الخط والتفنن في أنواعه على الطريقة المشرقية. وكان يكتب العقود التي ترفع لأمير المؤمنين بتونس بثبات اهلة الشهور في ليالي الارتقاب، وكان طيب المجالسة كثير الانشادات وله العناية الفائقة باقتناء نفائس الكتب بخطه البارع، وكانت له رحلة إلى المشرق في فتاء سنه، واشتهر هناك بنبل وذكاء حتى كان يعرف بالشريف النحوي[1]، وهو العالم الصالح الكامل[2] وكان حسن الصورة لطيف المزاج[3].

وتعد ترجمة ابن رشيد لشرف الدين الجزائري ترجمة حافلة بالاخبار الحسان، فقد قرأ بخط فوائد كثيرة[4] وانشده كثيرا من الاشعار. ومماروى عنه كتاب المحصول لفخر ابن الخطيب والآيات الكبرى له، واخبره أنه صحب ابا محمد الشارمساحي. وممن أخذ عنه ابن الامام في رحلته: ابن هبة الله بن سلامة المعروف بابن الجميزي، ودخل بغدادوسمع على أصحاب ابي الوقت السجزي ومنهم ابو عبد الله الزبيدي، وابو المنجي ابن اللتي وابو الحسن علي بن روزبة الذي سمع عليه البخاري عام 633 هـ وسمع كذلك على ابي الفرج بن الجوزي وعبد اللطيف بن القبطي وابي الحسن القطيعي وابني دحية وابي نصر ابن هبة الله الشيرازي ورشيد الدين العطار وابي عبد الله السلمي وابي عمرو بن الحاجب.

ويقول ابن رشيد ان ما يدل على عناية الجزاري بتقييد الفوائد أنه نقل الكتاب الملقب بالمحرر الوجيز في دقائق النحو للفخر ابن الخطيب.

---

[1]: الرحلة 53/6.
[2]: شجرة النور 65/1 ترجمة 679.
[3]: بغية الوعاة 137 ومعجم أعلام الجزائر 26.
[4]: انظر مثلا قصة كتابي المثال السائر والفلك الدائر في هذا البحث(الكتب) وانظر عن الجزائري ورقات 315.

57 ـ ابو العباس بن القصير

أحمد بن القاسم الاشبيلي القرار نزيل تونس[1] ويعرف بابن القصير. وصفه ابن رشيد بالاديب الكاتب الناظم المكثر الخطاط البارع المتجول شرقا وغربا، كان له بتونس حانوت يقعد بها لمجالسة الادباء ويستقضي منها حوائجه. لقيه ابن رشيد بتونس وانشده من شعره الذي كتب به إليه ابي القاسم المزياتي[2].

وقد صحب ابن القصير كثيرا من الادباء والنبلاء وخاطب وخوطب[3].

58 ـ ابو العباس بن نخيل الحميري

احمد بن محمد بن احمد بن نخيل الحميري. وصفه ابن رشيد بالأديب الكاتب الحسيب الفاصل[4]. لقيه بتونس مقدمة من الوجهة الكريمة بعد أن قصده إلى منزله مع صاحبه الفاضل ابي الفضل التجاني، فتلقاهما بالبر والترحيب وذلك في 16 ربيع الاول 686 هـ، وقد انشده من شعره ونقل بعضه من خطه، وافاده بكثير من الأخبار منها ما جرى بين الحميري وابي عبد الله بن عين الفُولة من ذكر شعر ابن خفاجة في تشبيهه الهلال[5]. وانشده الحميري بلفظه شعرا رائقا ثم نقله بخطه. وله اشعار حسان كان يرتجلها ومنها (المجثت):

الحال حال زمان قد شاع في الناس مقته

والـمرء فيه على ما يعطَى من الحظ وقته

59- ابو العباس ابن الغماز (619- 693هـ).

أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن سعد بن سعيد بن مخلوف بن الغماز الانصاري الخزرجي البلنسي نزيل تونس وقاضي الجماعة بها[6] وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه احد الفضلاء العقلاء والمنفذ لاحكامه في القضاء والبصير بالنوازل

---

[1]: الرحلة 9/2.
[2]: انظر شعر المديح في الرحلة.
[3]: سبك المقال 99.
[4]: الرحلة 102/6.
[5]: الوصف في أدبيات الرحلة.
[6]: الرحلة 16/6.

العارف بالوثائق وعقد الشروط مع حسن الخلق والطلاقة في الوجه[1] وكانت له صلابة وسياسة ووقوف مع الحق. وكان في مدة ولايته ببجاية بعض ظلمة العمال[2]. وكان ابن الغماز حبيرا نزيها كاملا ، زين الحملة والرواة، وهو العالم الذي كان يأخذ بالاسماع والابصار[3].

لقيه ابن رشيد بتونس وتكرر اللقاء به، وقرأ عليه كتاب التقصي لابن عبد البر النمري(26) في ربيع الأول 686 وسمع عليه الاربعين لابن ودعان رواية السلفي وسمع عليه مفاوضة القلب العليل للكلاعي[4]. وكتاب اسماء مشيخته وسمع عليه صدرا من كتاب الاستيعاب في ربيع الثاني 686 هـ والاربعين للثقفي وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وبرنامج الكلاعي وذلك بقراءة ابن الحكيم. وسمع عليه ايضا قصة كتاب الفصوص[5] والاربعين للشيباني في جمادى الاولى 685 هـ وذلك مع صاحبه ابن حيان الشاطبي وسمع عليه قطعة من البخاري بقراءة صاحبه ابي العباس الكتاني الذي كان يحب المباحثة ويحرك لها، وكذلك الفرائض من الموطأ وغير ذلك من الكتب النفيسة

وكان ابن الغماز إمام الفريضة والنافلة متميزا بالعدل، وكان ابن رشيد يجتمع إليه بسقيف منزله ويقرأ عليه وكان في سمعه نقل وقال ابن رشيد ان ابن الغماز كان يصطلح الناس لتنقل خصوماتهم حتى ربما بقي بعض الاحيان في مجلس القضاء قاعدا لا يتحاكم اليه أحد. ومن شيوخه ابو الربيع بن سالم الكلاعي وابن خيرة وابن السراج وابن طرخان وعز الدين بن عبد السلام واسماعيل القسطلاني وابن عبد العظيم المنذري[6] وخلق. وممن أخذ عنه: الغبريني وابوالحسن التجاني وابن سلمون الكناني[7] وغيرهم[8].

---

[1]: نقلا عن طبقات ابي العباس الغرناطي.
[2]: عنوان الدراية 129.
[3]: العبدري 240 ونيل الابتهاج 64.
[4]: مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل لطريقة ابي العلاء المعري في ملقى السبيل. انظر الذيل والتكملة س: 4 ص: 168 وإيضاح المكنون522.
[5]: انظر الكتب من هذا البحث.
[6]: درة الحجال 79/1.
[7]: نيل الابتهاج 125 وعنوان الاريب للنيفر 67/1.
[8]: وانظر عن ابن الغماز سبك المقال 54- 112، وفهرست الرصاع 94. والذيل والتكملة س:4 ص: 13- والاعلام للمراكشي 223/3، وتاج المفرق 66/1، ومستودع العلامة 32، ونفح الطيب 72/6، وشرف الطالب 75 وفيات 693، وتاريخ الدولتين 53 وغيرهما، فهرست الوادي آشي 3، وورقات 314، وطبقات المالكية 490، والزركلي 22/10، وشجرة النور 673 ص: 199، وتاريخ المغرب العربي 121 ومجلة الاصالة العدد الخاص ببجاية س: 4 ع: 26 وفهرست التجيبي 126.

60 ـ ابو العباس الغرناطي(ت: 690 أو 692 هـ)

احمد بن محمد القرشي الغرناطي صاحب كتاب الطبقات[1] وصفه ابن رشيد بصاحبنا المفسر التاريخي. ويعتبر الغرناطي هذا مصدرا لابن رشيد في أخبار شيخهما ابي القاسم بن زيتون[2] وابي العباس بن الغماز[3]. وكان الغرناطي اعلم الناس بالكتب المصنفة وأحفظهم لاسمائها وكانت له فصاحة لسان وعذوبة بيان، وأشاد به الغبريني في ترجمته له فقال أنه كان ممن لا يشك في حفظه واتقانه في نقله[4]، وكان قد تولى القضاء بمواضع من الاندلسي وصنف تاريخ قومه وقرابته[5] وشرح المستصفى للغزالي وممن أخذ عنه ابو العباس الغبريني[6].

61ـ ابو العباس بن اللبان

احمد بن محمد بن اللبان. ورد اسمه عرضا في ترجمة صاحب ابن رشيد ابي الفضل التجاني[7]. وقد أنشد شيئا من الشعر لجده لأمه الكاتب الجليل الاوحد أبي بكر ابن النجار.

62ـ ابو العباس بن لب المرسي

احمدبن محمد بن لب الانصاري المرسي. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الاديب الفاضل المقرئ المجود المتقن الحسن الإيراد، قارئ الأمراء وصدر القراء[8]. لقيه وتجدد اللقاء به وسمع عليه بقراءة صاحبه ابي العباس الاشعري، وسمع عليه من انشاداته الشعرية الكثيرة ومن ذلك ما قاله في مدح الرئيس ابي عبد الله ابن ابي طاطو الشيخ: (البسيط)

---

[1]: الرحلة 16/6.
[2]: الرحلة 9/6.
[3]: الرحلة 9/6.
[4]: عنوان الدراية301 ترجمة 672.
[5]: هدية العارفين 102/1.
[6]: شجرة النور 199/1.
[7]: الرحلة 37/7 هامش.
[8]: الرحلة 113/6.

شمــل السعــادة بالاسعاد منتظم * * فالانـــــس مكتـمل والدهر مبتسم

بيوم يمن شموس الانـــس طـالعـة * * بــــه علينـــــا وجود الجود منسجم

(وهي طويلة 58 بيتا)

وأنشده اشعارا لنفسه ومنها يودع بعض العمال(الكامل)

سفرت سعودك عن سنا الاسعاد * * وقضـــــى لك الانـــجاح بالانـجاد

وله اشعار طريفة في الألغاز

63ـ ابو العباس الاشعري ابن السكان

احمد بن محمد بن ميمون الاشعري المالقي ويعرف بابن السكان[1]. وصفه ابن رشيد بصاحبنا المحدث الاديب[2] والفقيه الفاضل[3] الراوية[4] وهوممن يعجب فهمه وذكاؤه ويبهر فضله وحياؤه[5]. ويعد الاشعري ايضا مصدرا من مصادر ابن رشيد لأنه كان ينقل من خطه، وكانت بينهما صداقة متينة، ويحضران المجالس الادبية وتجمع بينهما النزهات مع الحسباء البلغاء في تونس البديعة[6]. وقدجمع الاشعري فهرستا للاستاذ ابي بكر بن حبيش وكتب ايضا جميع تآليفه[7].

64 ـ ابو العباس البطرني (637- 710 أو 713هـ)

احمد بن موسى الانصاري البطرني[8]. وهو صاحب ابن رشيد المقرئ المجود الصالح الفاضل الراوية المسند المفيد مقرئ القرآن ذي الرواية الواسعة في الحديث المبرز في الدين على اقرانه، ويقول عنه صاحب شجرة النور بأنه شيخ الشيوخ بتونس وعمدة

---

[1]: نيل الابتهاج 68.
[2]: الرحلة 44/6- 114. و108/3.
[3]: الرحلة 113/6.
[4]: الرحلة 3/2.
[5]: العبدري 267 ونيل الابتهاج 68.
[6]: انظر النزهة التي جمعت بين ابن الحكيم الاشعري والمرسي وابن المبارك وما قالوا فيها من الاشعار وذلك في آخر ثلث ربيع الاول 684 هـ. الرحلة 60/2- 61.
[7]: الرحلة 44/6 والذيل والتكملة س: 1 ق: 2 ت: 768 ص: 21، ونفح الطيب 46/5.
[8]: الرحلة 20/2.

أهل التحقيق والرسوخ بها[1]. وقد التقى به في 23 ربيع الآخر 684 وروى عنه شعر ابي القاسم بن نوح حين خروجه من بلنسية:(الكامل)

لازلت تصحبك السلامة حيثما * * * يممت في غرب البلاد وشرقها

فقـــلوبنا لك مصفيات ودادها * * * ولئن ملكت قلـوبـنا فبحقها

ضمنت لك الشيم التي خولتها * * * الا يكون سـواك مـالك رقها

وكان ابن رشيد مشاركا للبطرني وابن عبد الله بن الغماز في حلفات الشيخ ابي العباس بن الغماز العلمية المشهورة.

ومن شيوخ البطرني ابو عمر بن شقر وابو عبد الله بن برال، وممن أخذ عنه جماعة كابن عبد السلام وغيره[2].

65 ـ ابو العباس بن النعمان

وصفه ابن رشيد بشيخنا الفقيه القاضي المشاور[3]. وقد ورد ذكره عرضا في ترجمة ابي العباس بن الغماز وكان يحضر مجلسه مع ابنه ابي عبد الله محمد بن العباس بن النعمان وما دار في إحدى تلك المجالس من انشاد ابي عبد الله لبعض الشعراء المجيدين (البسيط)

حتى إذا طَاحَ عنها المرط من دهش

واخل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضـاء الجو فالتقطت * * * حبات مُنْتَشَر في ضـوء منتظم

فظلت الثم عيـنيها ومن عجب * * * اني اقبل اسيافا سفكن دمي[4]

---

[1]: شجرة النور 205/1 ت: 71 والعبدري 275 ولاحظ الاختلاف في سنة الميلاد.

[2]: شجرة النور 205/1، والحلل السندسية للسراج 594، وانظر أيضا الحلل ص: 1048 خاصة و266- 595 والدرر الكامنة 322/1 ت: 811 جعل وفاته سنة 703 والعبدري 275 وفهرست الوادي آشي 47 ورقات 315 فهرست التجيبي ص: 16.

[3]: الرحلة 25/6.

[4]:وانظر عنه ايضا فيض العباب الخزانة الملكية رقم 3267 ص: 99- 75.

66- ابوجعفر اللبلي(613- 691 هـ)

احمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي. وصفه ابن رشيد بالاستاذ المقرئ اللغوي النحوي المتفنن أحد مشاهير أصحاب أبي علي الشلوبين[1] والمصنف المجيد الامام العالم[2]. وقد لقيه وتجدد اللقاء به وخصه بثلاث تراجم حافلة بفوائد حالية بفرائد جمة أولاها وهي الاهم عند وروده على تونس وَالاخريان عند الصدور من الوجهة الكريمة[3] واجازه جميع مروياته في 27 ربيع الاول 685 هـ. وقد وقف على فهرسته التي جمع فيها اسمعته وعلق منها اسانيد لا يوجد أكثرها بالبلاد المغربية. وكان ابن رشيد يتحامى بعض الأحيان حضورمجلسه لضجر في خلقه وخفته وصعوبة خلقه مع أنه كان أحد المشهورين الاعلام. وقد سمع اللبلي اباعلي الشلوبين والدباج وابا اسحاق البطليوسي وروى عن ابن خلفون وأخذ بسبتة عن ابن رحمون وببجاية عن ابي عبد الله الازدي وغيرهم كثير.

وله مصنفات عدة منها شرح الفصيح واختصاره وله كتاب في التصريف ضاهى به كتاب ابن عصفور. وأما مروياته فكثيرة منها الباهج في القراءات وحرز الأماني وغريب الحديث للهروي والاحكام الصغري لابن عبد الحق والروض الانف والشهاب والشمائل . والاشارة للباجي. والارشاد ومختصر السلالقية وعوارف المعارف والاحياء وقوت الفلوب وكتاب سيبويه والايضاح والتكملة والذيل والتكملة واللمع والايضاح وأصول ابن السراج والفصيح وأدب الكاتب والمثلث والكامل وكفاية المتحفظ والمقامات وغير ذلك كثير[4]. وعندما حدد اللقاء به اجازه ولأولاده وأخذ يغشى معه مجالس ابن الغماز[5]، ولما لقيه للمرة الثالثة اسمعه العقيدة العمرية وأنشده من شعره في تسبيح الباري، وقد قال عنه الغبريني أنه لم يستفد بالمشرق علما لأنه لا ما ارتحل إلا بعد الاستاذية ولهذا اقتصر على ما علم[6].

---

[1]: الرحلة 27/2 و84/6.

[2]: الرحلة 63/6.

[3]: انظر تراجمه في المراجع اعلاه.

[4]: الرحلة 27/2- 35.

[5]: الرحلة 65/6.

[6]: الرحلة 84/6 عنوان الدراية 300 وانظر أيضا سبك المقال 71 وبغية و الوعاة 402/1 ونفح الطيب 406/2 وروضات الجنات 100/1- 304 نيل الابتهاج 80 ورحلة العبدري 43- 44، ودرة الحجال 38/1، وهدية العارفين 1/ 100 والحلل السندسية للسراج 831/1، وفهرست الوادي آشي 18 وشجرة النور الزكية 198 ترجمة 670، وكشف

67ـ ابو العباس الكتاني

احمد بن يوسف بن يعقوب السلمي التونسي شهر بالكتاني وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأستاذ النحوي[1] الأديب الفاضل والفقيه الأجل[2] والفقيه الشاعر[3] والذي له اختصاص بالأستاذ ابن عصفور[4] وذلك بعد أن حصل كثيرا من تصانيفه ولكن لم يكن مع ذلك تام التحصيل لصناعة النحو، ولكنه يشارك ويذاكر وكان يجتمع به مع ابن رشد عند شيخهما ابن الغماز بسقيف منزله.

وقد أنشده الكتاني شعرا لنفسه وشعرا لابن عصفور ولغيرها. ونفهم مما سبق من قول ابن رشيد ان الكتاني هذا لم يكن تام التحصيل أنه لما ذكر له كتب ابن عصفور الكثيرة استدرك عليه ابن رشيد أهمها ومنها كتابه ضرائر الشعر[5] وشرح كراس الجزولي الذي ابتدأه هووأكمله ابو الحسن الابذي فجاء التكميل أحسن من الابتداء.

ومما سمعه ابن رشيد بقراءة الكتاني على ابن الغماز مفاوضة القلب العليل لأبي الربيع الكلاعي. وكان الكتاني هذا مِمَّن التقي بهم ابن الطواح وترجم لهم[6].

68- ابو الشمل الحلبي (629- .....)

ابو الشمل، وأبو عسكر جماعة بن يحيى بن مهنى بن كباب العجيسي المسيلي نزيل تونس ويشهر بالحلبي لطول سكناه بها في رحلته الى المشرق. وصفه ابن رشيد بالفقيه المدرس المتفنن بباب المنارة بالمدرسة المبنية خارج باب تونس[7]، وكان حسن البحث في الفقه على طريقة الجدل[8]. لقيه ابن رشيد ولم يأخذ عنه، وكان يحضر معه بعض الأحيان مجلس ابن زيتون ثم كتب إليه مجيزا بعد انصرافه عن تونس غير مرة في جميع ما يجوز له وعنه روايته. وكان الحلبي هذا قد صحب بتونس القاضي ابا العباس الغماري[9]، الفقيه

الظنون 1674، والزركلي 260/1، وبروكلمان 350/5، ومعجم المؤلفين 212/2، وورقات 314، ومجلة الاصالة (عدد خاص ببجاية) سنة 4 عدد 26. وفهرست التجيبي96.

[1]: الرحلة 17/6 و34/6.

[2]: الرحلة 89/6.

[3]: الرحلة 21/6

[4]: أورد له ابن رشيد افادات حسنة ومسائل نحوية مهمة 91/6.

[5]: فوات الوفيات 110/3، والممتع في التصريف 1 /4.

[6]: سبك المقال 71- 72.

[7]: الرحلة 101/6.

[8]: الرحلة 102/2.

[9]:توفي الغماري سنة 682 انظر شجرة النور 201 ترجمة 691.

الجليل والقاضي النبيل الذي رحل أيضا إلى المشرق وأخذ عن عز الدين بن عبد السلام وانتفع به.

ومن سماعات الحلبي صحيح مسلم علي نظام الدين البلخي إمام الحنفية بحلب وصحيح البخاري على ابن الطفيل الحلبي، وكتاب الاعتبار للحازمي على ابي المجد اسماعيل بن هبة الله الموصلي وسنن ابي داوود على ابي اسحاق الدمشقي وغيره والموطأ علىابن العجمي بجامع حلب وكتاب نصرة الصحاح لأبي الفرج الثقفي وغير ذلك.

ومن شيوخه أيضا ابو عبد الله القزويني وسيف الدين بن طُغْريل المحسني، وقد سمع عليه الغيلانيات وأبو الحسن بن خشنام وابو الحجاج الدمشقي وغيرهم.

69 - حازم القرطاجني(608- 684هـ)

ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم الانصاري بن الحسن بن محمد بن خلف بن هني الدين المالكي النحوي التونسي مولدا والقرطبي منزلا. وصفه ابن رشيد بشيخنا بحر البلغاء وحبر الأدباء[1]، وأورد ذكره في مواضع تزيد على العشرة وذلك في صدد مناقشته للمسائل الأدبية والبلاغية والنقدية، ومن ذلك قوله إن وضع الحروف في الكلام كالرباطات في الجسد التي تجمع العضل إلى المعظم[2] وفي مقارنته بين ابن حبيش وحازم، فقد كان أبو الحسن يفخم كلام نفسه بينما كان ابوبكر يخفي محاسن كلامه ولكل منهما نظر سديد[3]، وأورد له قصيدة في نكبة الحسين[4]، ثم أن ابا الحسن كان يعجب بقول أبي الفضل التجاني وأورد له في ذلك شعرا[5] وأنشده ابو الفضل قصيدة مطولة يمدح فيها ابا زكرياء ابن أبي حفص[6].

---

[1]: الرحلة 90/3 و40/6 و7/6 وانظر درة الحجال 254/1.
[2]: الرحلة 90/3.
[3]: الرحلة 80/6.
[4]: انظر نكبة الحسين في دراسة الشعر. وانظر الديوان ص: 22.
[5]: الرحلة 6/7.
[6]: الرحلة 31/7- 32 و40/7.

وقد تاثر ابن رشيد بحازم وباتجاهه البلاغي والنحوي، ولهذا شرح له بعض كتبه[1]، وذكر ابن القويع أنه لما وقف على قوانينه رعاها حتى صار كل ما يقرؤه وينظره من كلام بليغ أو بديع يصير كله له أمثلة لتلك القوانين[2].

وقد أخذ حازم عن جماعة يقرب عددهم من الف شيخ وأخذ عنه الكثير كذلك. وله مؤلفات حسنة مفيدة[3].

70- صالح بن شوشن(573- .....)

أبو التقى صالح بن محمد بن سليمان البلسي المولد الشهير بابن شوشن وأصله من طرطوشة، ونزل تونس وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الولي المعمر أحد الأولياء الأتقياء وقال فيه:"لوتشاغل بالسماع لكان عنده من ذلك ما يفرح، ولكن السماع رزق"دخل عليه ابن رشيد فكان قد بلغ غاية من الهرم فقرأ عليه حديثا من ثلاثيات الإمام البخاري إيثارا التخفيف عليه، ثم أجازه جميع رواياته ولأولاده وجماعة من الأصحاب منهم أبو حيان الغرناطي[4]وروى عنه حديث:"كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب".

وقد قرأ عليه الوزير ابن الحكيم أيضا سبعة أجزاء من ثمانية من كتاب البخاري، وقرأ ابن شوشن كتاب الترمذي على ابي الربيع الكلاعي والبخاري والاستيعاب والسيرة والموطا على ابي الحجاج الابكي وبعض الموطا على ابن واجب وحرف نافع على ابن سعادة[5].

---

[1]: انظر كتب ابن رشيد

[2]: الرحلة 17/6.

[3]: وانظر بعض أخبار حازم ومؤلفاته وأشعاره في قصائد ومقطعات، وديوانه بتحقيق ذ عثمان الكعاك ومنهاج البلغاء وكتاب إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (دراسة كتاب المناهج الأدبية)، والعبدري 258 ونفح الطيب 316/3-341، أزهار الرياض 172/3- 173- 177- 178- 184، شجرة النور ترجمة 667 الفارسية 251 وكشف الظنون 1870 وهدية العارفين 260/1 وشذرات الذهب 386/5 وسبك المقال 92 ز، وروضات الجنان 227/4، والاعلام المراكشي: 106/3 ترجمة 377، معجم المؤلفين177/3، بروكلمان 113/5، ورقات 316 الحلل السندسية للسراج 1/ 440- 549- 1028. والبرهان للزركشي 311/1.

[4]: الرحلة 45/2- 46 ودرة الحجال 30/3 ترجمة 924 وفيها أنه ولد سنة 591.

[5]: وانظر بعض أخبار ابن شوشن في الذيل والتكملة سفر 4 ص: 135 ترجمة 256 والحلل السندسية 837/1.

71- ابن أبي الدنيا الصدفي (606- 684هـ)

ابومحمد عبد الحميد بن ابي البركات بن عمران بن ابي الدنيا الصدفي الطرابلسي[1]. وصفه ابن رشيد بالعالم العامل رئيس الفقهاء في عصره وقاضي القضاة والفقيه الجليل العالم المشاور المفتي، وهو معروف بالعلم والدين والورع والفضل.

وصل ابن رشيد الى تونس وابن ابي الدنيا بحالة مرض شديد فقصد بعض الطلبة المشتغلين بالرواية هناك وكان له اتصال به، فسار معه إلى منزله فاستأذن ودخل وتركه في ذكان أسطوانِهِ فمكث ساعة وخرج إليه وقال له أن الشيخ بحالة لا يدخل عليه فيها وقال ابن رشيد:"وما نصح في ذلك ولا اراه صدق في استئذانه" لأنه بلغه أن الشيخ كان في تلك الأيام حريصا على لقاء من وصل من المغرب في المركب راغبا فيمن يستجيزه أوياخذ عنه أويسمع منه. وفي الغد عاد ابن رشيد لينظر من يتوسل إليه ليدخله عليه فألفى الشيخ وقد وضع في مصلاه فحضر جنازته واشتد اسفه علىعدم اللقاء به"إنا لله وإنا إليه راجعون". ولابن أبي الدنيا تصانيف في أصول الفقه وأصول الدين ونظم ونثر، ولي قضاء الجماعة بتونس محمولا عليه وبلغ ابن رشيد أنه لم يحكم إلا اياما قلائل، وقيل إنه دعا الله أن لا يحكم بين اثنين فأجيب[2].

72- ابو زيد بن القويع

عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان بن عبد الجليل بن يوسف القرشي الهاشمي النونسي ويعرف بابن القويع[3] وهو أخو ركن الدين محمد بن القويع المشهور. وصفه ابن رشيد بصاحبنا الأديب الحسيب، وقد لقيه بتونس وسأله أن يكتب له شيئا من نظمه البديع ومنه (البسيط).

1: الرحلة 65/2.

2: وانظر بعض أخبار ابي الدنيا في عنوان الدراية 122، والديباج 159 ورحلة التجاني 251 وتاريخ طرابلس لابن غلبون 175 وعنوان الاريب 69/1 والحلل السندسية 1040/1 وطبقات المالكية 485 ومعجم المؤلفين 99/5 ودرة الحجال161/3 وتذكرة الحفاظ 224/2/2.

3: الرحلة 16/6.

لله ما بفـــؤادي من هـوى رشـــإٍ * * من حسنه فتــن الاذهان والمقل

يبدي لنا خــــــده والبـــدر قابله * * بدرا تلفـــع في برد من الخـجل

يغار بدر الدجى من حسنه فـــيرى ** يصفر من حسد كالخائف الوجل

وله ايضا (البسيط):

لله ليلة أنس قد بلغـــت بهـــا * * ما شئته من وصال الشـاذن الغزل

بتنا بها نتعاطى الرَّاحَ صـافيـــة * * من كف ظبي به الألباب في شـغل

يديرها تارة صرفا وآونـــــــة * * يشجها بلمـــى أحـلى من العسل

73- ابن رأس الحجلة الجعدي

أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الجعدي المعروف بابن رأس الحجلة[1] وصفه ابن رشيد بالأديب الناظم الفاضل محب الأمراء والافاضل والمتولي بعض الخطط(الحسبة) بتونس، فخبر منه فضلا وأدبا وتواضعا ونبلا. وكان يتردد إلى منزله متفضلا ومؤنسا ويمده بأيكار أفكاره، ويتحفه بأحلى وأمتع نوادره وطرفه، إذا كان ينشده لنفسه، ويحكي له نوادر من غيره ومن غير ذلك ما حكا، للشيخ الفقيه المتفنن المطرف أبو بكر ابن يربوع الشريشي الكلبي من حكاية الجُبْن والدرمك السالفة الذكر. ثم انشده أشعارا أخرى لنفسه بديعة، ومنها ما حكاه لابن رشيد قال: حضر بعض الطلبة عند الأمير أبي حفص وطلب منه أن ينظم الشعراء له بيتا قبل أخر هذين البيتين وبيتا بعده على طريق التعجيز:

والبيتان المذكوران هما(البسيط):

إن قلت غبـــت فقلبي لا يصــــــدقني* * إذ أنت فيه مدى الأيام لم تغب

أو قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب * * وقد تحيرت بين الصدق والكذب

فقال ابن رأس الحجلة (البسيط):

[1]: الرحلة 16/6.

بل أنـت محتجب عن ناظري فـإذا * * لم تبد لي ظلت في وجد وفي كرب

فالقرب والبعد في وقت مما عجب * * حاضر غائب من أعـجب العجب

وهذا يدل على حسن شاعريته وحضور بديهته وقدرته على الاتيان بالسهل الممتنع[1].

74- ابومحمد البسكري

وهوصاحب ابن رشيد الفقيه النحوي[2]، وقد ذكره عرضا في ترجمة ابي عبد الله الطبري الشريشي الذي أخبر ابن رشيد بأنه كان جالسا مع جماعة بموضع سكناه من بيوت مكة وهومستلق نائما وابومحمد البسكري قائم فاستيقظ الطبري وقال أنه رأى تلك الساعة في ذلك الموضع عينا تنبع وقطرا ينزل عليها من السماء ثم أخرج ابومحمد البسكري السبحة من كمه وقال: هذا هو الذي رايت، وكان للبسكري سبحة مخفية وهو يذكر الله سرا، قال ولم يزل على ذلك وعاد الى ذكره وقد علق ابن رشيد على ذلك بقوله: هذا حسن جدا وصحيح في التأويل.

75- ابومحمد الطبري الشريشي

عبد الله بن ابي عبد الله محمد بن السليم الازدي الطبري الشريشي وصفه ابن رشيد بصاحبنا الاديب الحسيب الصوفي الفاضل، واحد النجباء النبلاء، تصوف وتعبد وتزهد وتطور ولبس خرقة الصوفية وتخلق بأخلاقهم[3]، وكان فقيها[4] ملحوظا. وذكر عنه ايضا كان ممن سهلت عليه تلاوة القرآن مع حسن الإيراد، يأتي منه على الكثير في الزمن اليسير، وكان الناس يصحبونه على اختياره لا على اختيارهم، ويتصرف في غالب أحواله كما يريد، وكان يقول انا محبوب لذاتي فمن ارادني صبر على تصرفاتي، أونحوهذا وله نظم جيد في المغرب وشعر على الطريقة الزجلية، يتصرف بها على الطريقة الصوفية. صحبه ابن رشيد وتوجه معه برسم الحجاز وذلك برفقة الشيخ الفاضل الفقيه المشار إليه في وقته ابي محمد المرجاني، وكان يصغي اليه وهم يسيرون على ظهر البحر أوهم قاعدون

---

[1]: الرحلة 89.
[2]: الرحلة 20/2.
[3]: الرحلة 17/2 و35/7.
[4]: الرحلة 37/5- و108/6.

بفرشة المركب العليا فيصغي إليه المرجاني ويقبل عليه بكليته، وكان طيب النغمة مع بحة في صوته. ومن شعره البديع (الطويل):

تصفح صفاح الكائنات فإنهـا * * من الملك الأعلـى إليك رسائل

وقدخط فيهاان تأملت خـطها * * إلا كل شيء ما خلا الله باطل

وقد ضمنه شطرا من بيت لبيد بن ربيعة السائر

وله غيره من غير ذلك اشعار لطيفة.

وقد ابتدأ الطبري القراءة بسبتة على الشيخ ابي اسحاق الغافقي لما انتقل عن شريش ثم ارتحل إلى تونس وتمم بها قراءته.

76- ابن هارون الطائي القرطبي(603- 702هـ)

ابومحمد عبد الله بن محمد هارون بن محمد بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي. وصفه ابن رشيد بشيخنا الاديب الكاتب[1] المسند المعمر[2]. اتصل به بتونس وقرأ عليه أحاديث وصدرا من كتاب الامالي لابي علي القالي وناوله جميعه بمنزله وذلك في شهر رجب685 هـ. وأجاز له ولبنيه، وأذن له في كل ما يحمله على الشروط المتعارفة.

وقد سمع الطائي جميع كتاب الكامل للمبرد على القاضي ابي القاسم بن بقي، وجمع كتاب اللالئ المجموعة من باهر النظام وباعر الكلام في صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وممن أخذ عنه الوادي آشي[3] وابن زيتون وابن عبد السلام وابن هرون التونسي[4]

---

[1]: الرحلة 44/6 و15/2 و3/5.
[2]: الرحلة 10/5.
[3]: الوادي آشي 16.
[4]: شجرة النور 199 ترجمة 675، وانظر ايضا عنه تاج المفرق 69/1 وفهرست 101، ورحلة العياشي 256/2، وسبك المقال 91، والديباج 143، وورقات 314، والمسند الصحيح 44- 45، ودعوة الحق ع:9- 10 س:1966/9 ص: 103 ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي ذ. محمد المنوني.

77- ابومحمد الخلاسي(610- 697).

ابو محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الزاهد الفاضل وأحد الأولياء الأتقياء مع التواضع والخمول على معرفة الناس بقدرة وفضله وتكاثرهم عليه[1]. وقال فيه العبدري: الناسك المنقطع الفاضل الكامل(الخفصي) الاندلسي من أهل التمسك بأخلاق السلف الصالح[2]. وكان ممن سمع الاندلس ثم رحل وحج. اتصل به ابن رشيد بتونس وأنشد عليه كثيرا من الفوائد والاشعار وكتب عنه بعض الاحاديث المسلسلات[3]، وقرأ عليه المقدمة المحسبة المحتسبة بتوصية ذوي الخرق المنتسبة لابن مسدي[4]، ثم ألبسه طاقية على رأسه وألبسه كذلك الخرقة وذلك في ربيع الثاني 684. وأورد له في رحلته سماعاته الكثيرة كصحيح مسلم والاكتفاء لأبي الربيع الكلاعي[5] والمقدمة لابن مسدي وموالي ابن الدباغ وكتاب المغني عن الحفظ، ومن سماعاته أيضا جميع القواعد للقاضي عياض عن ابن عجلان القيسي، وكذلك الموطأ والشهاب والشمائل والمصافحة لابن العربي. وروى الخلاسي عن ابي مروان عبد الملك الشقوري القاضي ببلنسية وذلك سنة 674 هـ[6]. وممن قرأ عليه ابن سلمون الكناني الغرناطي العارف بالشروط[7].

78- ابن الطواح

عبد الواحد بن محمد بن الطواح صاحب كتاب سبك المقال لفك العقال. لم أجد ذكرا لابن الطواح في الرحلة إلا أن ابن الطواح هذا ذكر ابن رشيد في كتابه وقال: ومن الأصحاب الذين لقيتهم ووفدوا على بلدنا الفقيه... محمد بن رشيد السبتي... ذاكرته في العربية زمان الصبا ولم يكن هناك، وكان شيخه ابا الحسن بن ابي الربيع[8] ولكنه قال " وانشدني رحمه الله في الجامع المعظم عام 687 هـ بيتين يخاطب بهما ابا الفضل التجاني رحمه الله وكان مريضا بحمى قَابَلَّ وهما:

1: الرحلة 46/2.

2: انظر فهرست الاجاديث مثل مسلسل اطعمنا وسقانا ومسلسل المشابكة.

3: العبدري 244.

4: وقد أثبتها ابن رشيد في الرحلة بنصها.

5: سمع على ابن الربيع الكلاعي ولم يجزه: الوادي آشي 15.

6: درة الحجال 44/3 ترجمة 945.

7: نيل الابتهاج 125 وانظر عنه ايضا ورقات 315.

8: انظر ابن رشيد النحوي وترجمة ابي الحسين بن ابي الربيع فيمن لقيهم بسبتة من هذا البحث ترجمة 8.

أبا الفضل عذراً عن مغيبي بالامس (البيتين)[1].

ونلاحظ أن هذا التاريخ الذي أثبته ابن الطواح غير دقيق لأن رحلة ابن رشيد انهاها سنة 686 هـ، ولا نظن أنه رجع إلى تونس في هذه السنة وقد يكون ذلك سهوا من الكاتب أوالناسخ[2].

ومن شيوخ ابن الطواح الذين التقى بهم: ابو علي السماط وابن العطار التونسي وابن خلف القيسي وابوالحسن الرماني وابو الحسن التجاني وابوبكر بن حبيش وابو عبد الله التجاني وابو الحسن البودري الهواري وابو زكرياء اليفرني وابو القاسم بن عميرة وابن شيلو النحوي وابن هارون القرطبي وحازم القرطاجني وابو عيد الله بن تميم وابن القصيرة. ومن اصحابه ابن عبد السلام والقديدي ونجد في هذه المشيخة من اشترك فيه مع ابن رشيد كابن السماط والرماني والتجاني وابن حبيش وحازم وابن تميم.

79- ابو محمد بن مبارك

عبد الواحد بن محمد بن مبارك وهو صاحب ابن رشيد وصديقه الاديب النحوي[3] والفقيه[4] الفاضل المبارك الاكمل[5] والصوفي[6] والكاتب النبيل[7].

ويعد من أصفياء ابن رشيد واصدقائه الذين يدرج اسمهم في مصادر معارفه في الرحلة، فقد ورد ذكره أكثر من خمس عشرة مرة تقريبا، وكلها في معرض الفوائد والأخبار الأدبية. ويعد ابن مبارك أيضا تلميدا خاصا بأبي بكر بن حبيش الذي كان لا ينظم شعره إلا في توحيد الباري تعالى وتسبيحه أومدح- نبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ولهذا كان إذا خوطب يجيب عنه تلميذه ابن مبارك.

وعنـــــدما ألبس أبو محمد الخلاسي تلميذه ابن رشيد خرقة التصوف المباركة في 9 ربيع الثاني 684 هـ حضر القراءة ولبس الخرقة هذا الفقيه. وكان ابن رشيد وأصحابه

---

[1]: انظر دراسة الشعر.
[2]: سبك المقال 90.
[3]: الرحلة 5/2- 58.
[4]: الرحلة 6/2 و39/7.
[5]: الرحلة 56/2.
[6]: الرحلة 60/2.
[7]: الرحلة 47/6 و45/6 و37/7.

ومنهم ابن مبارك تقوم بينهم مساجلات ومكالمات أدبية كثيرة[1] بل إنهم كانوا يصطحبون دائما إلى منزل شيخهم أبي بكر بن حبيش فينشدهم أوينشدون الطارق والتليد من الأشعار.

80- ابن عبد القادر البجائي

ابومحمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي ويشهر بابن عبد القادر. وصفه ابن رشيد بالمتفنن المدرك الصدر الأوحد واحد الفضلاء النبلاء من ذوي الفهم السديد والنظر الحديد والرأي المصيب[2] والفقيه الاوحد[3]. وقال فيه الغبريني أنه من الذين قل أن يسمح الزمان بمثلهم[4]. وكان للبجائي معرفة بأصول الدين والفقه وتصرف في صناعة المنطق. لقيه ابن رشيد بتونس وسمع عليه كتاب التلقين للقاضي ابي محمد عبد الوهاب، وسمع عليه بقراءة ابي عبد الله بن القويع جملة من كتاب معالم أصول الفقه للفخر بن الخطيب. وقرأ عليه جميع كتاب الجامع من كتاب الموطأ رواية الليثي وذلك في مجالس آخرها 19 ربيع الاول 686 هـ. ولما تكرر سؤاله عليه في كتب الاجازة لم يجب تواضعا منه فألح عليه ابن رشيد فكتب له بخطه كراسا سمي فيه مشيخة من اخذ عنهم. وقرأ عليه جميع هذه الكراسة وذلك ف 18 ربيع الاول 686 هـ. وقد أورد ابن رشيد نص هذه الكراسة في رحلته. ولما جرى الكلام بين ابن عبد القادر وتلميذه في مسألة الحلف والإيمان اللازمة وكذا في حكم النضح كان الشيخ يماشي ابن رشيد على طريقة النظر ويناقشه في غير ذلك من المسائل[5].

ومـن شيوخ البجائي ابوبكر بن محز وابو الحسين احمد بن محمد بن السراج الاشبيلي وابو الحسن علي بن ابي البجائي ولو عثمان ابن زاهر الانصاري وابو العباس بن عجلان القيسي الاشبيلي وعبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندراني وابو اسحاق بن عمر الواسطي وابو الثناء حامد

---

[1]: الرحلة 60/2.
[2]: الرحلة 28/6.
[3]: افادة النصيح 94.
[4]: عنوان الدراية 204 ونيل الابتهاج 183.
[5]: انظر دراسة الفقه من هذا البحث.

الابيـــــاري، لقــــــي ببجـــــاية ابن الآبار القضاعي. وممن روى عنه ابوزيد اليزناسني[1] وغيره[2].

81- ابو الحسن الرماني (632- 709)

علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن رمان التونسي وصفه صاحب البغية بالأستاذ المقرئ النحوي وذلك نقلا عن رحلة ابن رشيد لأنه أجاز له بعد انصرافه من تونس[3]. والرماني هذا فقيه نحوي لغوي فرضي مصحح للشواهد في زمانه دون غيره، واعرابه اجود من ذكره للأحكام والتعاليل، وكان مبالغا في طلب دنياه. وممن أخذ عنه الرماني ابو الحسن بن عصفور وابوالفضل بن البراء وابوعبد الله الشريشي وابن الابار وغيرهم. وقرأ عليه الوادي آشي يسيرا ولا يعلم هل استجازه اولا[4]، وهو ممن أخذ عنه ابن الطواح[5].

82- علي بن عمر الشاطبي

ابوالحسن علي بن عمر الشاطبي، وصفه ابن رشيد بالأديب ولكنه لم يترجم له، ولم يشر الى مكان لقائه به، وإنما أورده في أحد تقاييده في الجزء الخاص بتونس ومن لقيهم فيها، ومما أنشده الشاطبي لنفسه في وصف تمر يسمى حفصة(الكامل):

ولقد خلوت بحفصة لا ريبـة * * تخشى علي لعفتي وعفـــــافها

أشكو قساوة قلبها فيجيبنـي * * في الحين ما قد لان من اعطافها

ففضضت خاتمها ولست بآثم * * عدنية قد حرت في أوصافـــها[6]

83- ابو الحسن بن رزين (......- 692هـ)

علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر بن رزين التجيبي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الأديب الحسيب الفاضل الكامل واحد من الرواة السراة من اهل مرسية

---

[1]: انظر رأينا ترجمته في طبقات المالكية 498 ووقات 315.

[2]: بغية الوعاة 340.

[3]: فهرست الوادي آشي 44.

[4]: سبك المقال 79- 80.

[5]: الرحلة 16/2.

[6]: الرحلة 64/6.

انتقل منها قبل الدجن وسكن سبتة[1] ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس وكان مقدورا عليه صابرا على الفقر المدقع، وربما استعمل في بعض الشهادات المخزنية وربما كتب عن بعض خدام صاحب افريقية، ولكنه لم يكن يحصل من الدنيا على ما يقيم به اوده أو يعول به اهله.

دخل ابن رشيد منزله يوما عائدا وما رأى عنده ماله قيمة ولا ما يستر أهله عن أعين النظار، وكان مع ذلك متحملا متجملا، صحبه ابن رشيد بتونس وكان يوليه برا حافلا ويتردد إلى منزله في كثير من الأوقات مفيدا ومتحفا بأنواع من الآداب، واجناس من الافادات، وقرأ عليه وسمع وأجاز له جميع رواياته وكتب له خطه بذلك غير مرة وسأله أن يكتب له أسماء شيوخه فصنف في ذلك جزءا جمعه برسمه يحتوي على نحو عشرين قائمة، وقرأه عليه. وقد حكي فيه شيوخه ثم انشد عليه ما تلقاه منهم وكتب له بخطه جملة من شعره ونثره، وخاطبه وراجعه، وانشده من شعر ابن الابار وقرأ عليه معجم الصدفي وكذلك شعر ابي الحسن المقدسي الذي ختم به تأليفه: الفوائد المنتخبة (الطويل):

ايا نفس بالمأثور عن خير مرسل * واصحابه والتابعين تمسكي (الابيات).

واعاره ابن رزين كتاب روح الشحر وروح الشعر بخطه ونقل منه فوائده وكذلك الكتاب الذي عارض به ابن رزين هذا الكتاب وسماه جنى الزهر وسنا الدرر. وهو أكبر حجما منه ونقل منه فوائد، ثم انشده كثيرا من شعر غيره. وتعد ترجمة ابن رزين من ابدع التراجم واشملها وأكثرها استيعابا لكثير من الاخبار والروايات وغيرها.

ومن شيوخ ابن رزين ابو القاسم بن نبيل، وابن ابي السداد، وابو عبد الله الازدي وابو عبد الله بن الجنان وابن الابار وابو المطرف بن عميرة وابو الحسين بن السراج وابن بقي وابن فرتون وابو اسحاق البلفيقي وابو عبد الله بن ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان نزيل تلمسان، وابن برطلة الازدي وابو الحسن بن قشارش البلنسي وابو عبد الله ابن الجلاب الفهري وابو عثمان سعد بن خلف، وخلق[2].

---

[1]: الرحلة 64/6.

[2]: انظر بعض اخباره في: نفح الطيب 230/4، والعبدري 252- 255 وفهرست الوادي آشي 45، والذيل والتكملة سفر 5 قسم 1 ص: 176 وورقات 314.

84- ابو الحسن القيجاطي(659- 730)

علي بن محمد بن علي الانصاري القيجاطي، وهو شيخ ابن رشيد الفقيه الاديب ذو الخط البارع والنظم الجيد، والذي ترفع بهمته إلى معالي الأمور، فعزف عن مخاطبة الجمهور، وكان ذا تخصص وانقباض وتألم من زمانه وارتماض[1] قصده بمنزله مع صاحبه ابي الفضل التجاني واملى عليه شيئا من شعره وشعر غيره. فمن بديع ما نظمه:

(البسيط):

تأتي على المــــرء أزمــات تقنطه * * ويعـتري معها يأس فيســخطه

رضيت، ربي، بما يجزي القضاء بـه * * فالرزق تقبضه طورا وتبســـطه

الله خـــــالقنا والله رازقـــنا * * فكيف اسعى لمخلوق أوســـطه

وقوله(الطويل)

وقالوا رجوت ابن الحسين فلم تــــــصل يداك إليـه أين منـك نـداه

فقلت ينأى النجم عن كف لامـس ولم ينأ عــنه نــوؤه وهـــــداه

وله في مدح ابن البراء قصيدة مطلعها(الكامل)

اهـــدي إليه خيـــاله متعطـرا * * فغدا المحب منعمـــا مستـــبشرا[2].

وممن قرأ عليه وأخذ عنه ابي الحسن: ابو البركات البلفيقي وفرج بن لب التعلبي وابن الصائغ المري وابوجعفر الرعيني والكرسوطي[3].

85- ابو حفص التجاني

عمـــر بن ابراهـــيم التـــجاني، وهـــو اخـــو ابي الحـــسن صاحـــب ابن رشيـــــد، وقـــد وصـــــفه بالكـــاتب الاديـــب

---

[1]: الرحلة 111/6.

[2]: انظردراسة الشعر.

[3]: درة الحجال 52/1، وانظر اخباره وشيوخه في نفح الطيب 22/8. أوصاف الناس 24، بغية الوعاة 15- 60- 157- 215- 344 وغيرها، ونيل الابتهاج 211، والكتيبة الكاملة 37- ت:4، وغياة النهاية 557/1 و7/2، وهـدية العــارفين 723/1، وفهرست المجاري 245، والزكلي 131/5، ودعوة الحق ع:1 س: 1969/13 س: ص 126 (أوصاف الناس...) تحقيق الدكتور كمال شبانة.

البارع[1]، لقيه بتونس وقرأ عليه وسمع افادات واشعارا كثيرة في منزله، ومن ذلك قصة ابي العباس احمد بن اسماعيل الحريري المشهر بابن القابلة الذي كان أميا عاميا، ومع ذلك كان ناظما، ولما نمي خبره إلى المستنصر واتهم في شعره امر باختباره، وان لا يفارق حتى يخمس هذين البيتين فقال على البديه(الطويل):

هل الوجـد إلا ما حوته قلوبنـا * * وشقـت له اكـبادنا لا جيوبنا

فـمحـضرنا فيه وفيه مغيبنا * * ولما التقـينا والنوى ورقيبنا

غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم

حبيـبة قـلب لا ادين بكرهها * * لحسن صفات عز مبلغ كنـهـها

وحاولت أن آتي بشبههي وشبههـا * * فلم ار بـدرا ضاحكا قبل وجهها

ولم تر قبلي ميتا يتكلـم

وقد انشد التجاني لابن رشيد أشعارا كثيرة منها ماهو لابن جكينا البغدادي وابن التلميذ النصراني وابن التلميذ النصراني وابن الخشاب اللغوي وأبي القاسم بن المعلم وطلائع بن رزيك وابن عمارة اليمني وابن السوادي وابن غنوم، واتى في ترجمته بأخبار أدبية أخرى كثيرة[2].

86- ابو الحسين بن ديسم البلنسي(615- ....)

أبو الحسين عيسى بن لب بن محمد بن الحسين بن خلف بن أيوب بن ديسم، ويرفع نسبه، إلى ابن عوف الزهري، العوفي البلنسي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الكاتب الاديب الفاضل الحسيب السري[3]، وقد لقيه وتجدد اللقاء به، وقرأ عليه بعض شعره وذلك بخط صاحبه محمد بن حيان ومما انشده ابن ديسم (الطويل):

عراني هم لادكار احبـتي * * يراوحنـي طورا وطورا يباكر

وكل قصي الدار يذكر اهله * * ولكن كذكري ليس يَذْكُرُ ذاكر

---

[1]: الرحلة 4/7.

[2]:وانظر عنه ايضا شجرة النور وذلك في ترجمة ابن رشيد ص: 217 ت: 760، وقد وهم المؤلف في نسبة الحلى التيجانية للمترجم له لأنها لأبي الفضل محمد بن علي. عنوان الاريب 87/1، والعبدري، وقد لقيه، ص: 262.

[3]: الرحلة 63/6.

وقرأ عليه بعض الطرائف في مجاز فتيا اللحن[1].

ومن شيوخ ابن ديسم ابو الربيع بن سالم وابن خيرة وابوالحجاج بن المرينة وابو بكر بن محرز وابن السراج وابن الابار، وهؤلاء قرأ عليهم وسمع وأجازوا له. وكتب إليه جماعة من أهل المشرق والمغرب[2].

87- ابن زيتون (620 و621- 691 هـ)

تقي الدين ابو الفضل وابوالقاسم بن ابي بكر بن مسافر بن احمد بن عبد الرفيع اليمني المشهور بابن زيتون. وصفه ابن رشيد بشيخنا الإمام العالم المفتي قاضي الجماعة بتونس[3] وكان أيضا فاضلا كاملا زكيا رضيا حسيبا مفتي افريقية والمنظور بها وقطب اصولها وفروعها والمرجع إليه في أحكامها غير مدافع[4] وهو المجد المجتهد جمال علماء المغرب[5] وقد رحل إلى المشرق رحلتين. لقيه وتكرر اللقاء به وخصه بترجمة حافلة وقرأ عليه كثيرا من الفوائد، ومما سمع عليه ما يتعسر من كتاب الموطأ وذلك بمدرسة الشماعين، وكذلك جميع المختصر البديع المفيد الذي اختصره عز الدين بن عبد السلام مضمنا فيه جل مقاصد الرعاية للمحاسبي وذلك في أواخر شوال 685، وقرأ عليه كتاب أمثلة التعارضات للفخر ابن الخطيب وغير ذلك، وكان ابن رشيد يباحثه في المعاني ويسمع له ابن زيتون مالا يسمح لغيره وذلك في 24 شوال 685 وكان يسأله كذلك في مسائل عقدية وفقهية وبيانية وتفسيرية فيجيبه بما يدل على علو كعبه في شتى الفنون[6] ولهذا مدحه بقصيدة أولها:(البسيط)

أمام هدي هدى للعلم والعمل* * فزان حسنا طُلَى الايام والدول[7]

وينبغي أن نعرف أنه لم يكن يتأخر عن مجلس ابن زيتون أحد من كبراء طلبتها ولا من نبهاء فقهائها عدا ابي العباس ابن الغماز وقاضي الجماعة ابي عبد الله بن يعقوب الشاطبي.

---

[1]: انظر شعر الفكاهة في الادبيات. ص: 559 من هذا البحث.
[2]: درة الحجال 188/3 ت: 1184 ويظهر ان ابن القاضي كان ينقل معارفه عنه من الرحلة.
[3]: الرحلة 9/6- 101 و35/7.
[4]: الحلل السندسية 684/1 ونيل 222.
[5]: عنوان الدراية 114، شجرة النور 193 ت: 650 العبدري 256.
[6]: انظر دراسة الفقه.
[7]:انظر مدح الشيوخ في الادبيات.

وممن سمع على ابن زيتون ابو الفضل المرسي وعز الدين بن عبد السلام وغيرهما. وكانت الاسئلة ترد عليه من اقطار البلاد فيضع الكلام فيها في مجلسه على الطلبة ويتكلمون فيها حتى يتخلص له مراده ولهذا كثر طلابه وتلامذته كابن القويع وابن الجياب والغبريني وغيرهم[1].

88- ابو الكرم الحميري(618- ....)

محمد بن إبراهيم الحميري البلنسي الأندلسي، وصفه ابن رشيد بالشيخ[2] وقد لقيه بتونس وصحبه عند صديقه ابي العباس الاشعري الذي كان محتفيا بهما، ولكن ابن رشيد لم يأخذ عنه ولكنه وافاه خطه مجيزا بعد انصرافه من تونس، وذلك بجميع ما يجوز له عنه وعنه روايته.

وممن أخذ عنه الحميري ابوبكر بن محرز الذي قرأ عليه البخاري والموطأ، وعرض عليه رسالة أبي زيد. وقرأ على الحافظ ابي عبد بن عسكر وأجازه اجازة عامة في جميع ما يحمله ويرويه.

89- ابو عبد الله القيسي السلاوي

محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي[3]أصله من سلا وفيها ولد وبها نشأ، وهوالشيخ الصالح الراوية، خديم المشايخ الحافظ الفاضل السمح المبارك له رواية وذكر لنبذ الاداب وحفظ لكرامات الاولياء وذكر لما شاهد منها. وقد رحل الى المشرق قديما وسمع من جماعة. وخدمهم واختص بخدمة الشيخ ابي الحسن الحرالي[4]. وكان السلاوي لا يقيم الاعراب حق اقامته وربما تَضَحَّفَتْ عليه اسماء الرجال، إذ لم يكن هذا من شأنه ثم انه لم يكن يخلو من سذاجة تقرب من البله وقد اتصل به ابن رشيد وتجدد اللقاء به واستجازه فأجازه ما رواه من شيوخه وما سمع من رواية ومسموعات وأخبار واشعار. وبما أنه كان اماما بمسجد ابي بكر بن حبيش فإنه كان يجتمع به هناك مع شيخه ابي بكر فتجري بينهم مناقشات تدور حول التصوف والزهد والكرامات. وقد أنشد السلاوي

---

[1]: انظر عن ابن زيتون طبقات المالكية 486، سبك المقال 86 وغيرها الوادي آشي5، الزركلي 7/6، الاعلام للمراكشي 236/3، ورقات 314.

[2]: الرحلة 114/6.

[3]: الرحلة 41/2 و85/6.

[4]: شجرة النور 181 ترجمة 592.

لابن رشيد بعض شعر ابي الحجاج بن الشيخ، وابي القاسم بن هشام، وذكر له حكاية عن التاج الشريشي الذي كان يصحب الملك الكامل في أسفاره وأملى عليه ما سمعه على شيخه ابي الحسن الحرالي من الحكايات وما تناوله له بحق سماعه منه ككتاب الوصية لسالك طريق الصوفية وأورد من تصانيفه علم الحروف وكتابا في علم النحو سماه النافع في الاعراب وغير ذلك وأورد شيئا من أخبار ابن دحية ورحلته من بلنسية الى اشبيلية في شأن طلب علو الرواية، وما جرى له في جامع العديس فقد أتى إليه رجل فسأله عن اسم البصل في لغة العرب فقال له:(الدّوفص).

ومن شيوخ السلاوي ابو العباس الشريشي وابن المقير البغسدادي ورشيد الدين العطار وابن خروف وابو علي حسين الشاطبي وغيرهم.

90- ابو عبد الله بن ابي تميم الحميري

محمد بن ابي تميم الحميري، وصفه ابن رشيد بالشيخ المعمر والأديب الحسيب، صدر في بلغاء تونس وادبائها صاحب الفضائل الغر والمطابة المطالة والمقطعات التي هي بالزهو والعجب مختالة[1] وقد قصده مع صاحبه ابن الحكيم فوافياه متوكئا على عصاه وهو من الوهن بحيث لا تكاد تحمله خطاه، فاستفسره ابن الحكيم واستملاه شيئا من شعره فأشنده شيئا من ذلك في وصف السوداء وفي وصف المغني القبيح الصوت وفي مدح ابي عبد الله الهنتاتي في قصيدة طويلة، وتهنئته بختمة حفيده يونس وسماها رقم العذار، وأورد له شعرا في الغزل والرثاء والفخر بنسبه وحسبه، وقد افاده بذلك صاحبه ابومحمد بن مبارك. ومما أنشده ابو الفضل التجاني لابن رشيد قال: انشدني ابو عبد الله بن ابي تميم لنفسه لما حل امير المؤمنين المستنصر ببنزرت(مجزوء الرجز).

لمـــا حللتم باللـــوى * * بين ظـــلال الالـــويـــة

رأيت في بنـــــزرت ما * * لم أر فـــي افـــريقـــية

سعد السعود قاد للبـــدرة ســــعـــد الاخـــبية

وانشده غير ذلك من الاشعار الحسن الطريفة[2]

---

[1]: الرحلة 58/2.

[2]: الرحلة 35/7 انظر ترجمته أيضا في سبك المقال 97.

91- ابو القاسم الكلاعي

محمد بن الفقيه الاجل ابي عبد الوهاب الكلاعي، وصفه ابن رشيد بالفقيه الوزير الحسيب الاصيل الكاتب الفاضل وقد لقيه بتونس مقدمه من الحجاز وانشده شيئا من شعره وشعراخيه ابي محمد عبد الوهاب وكذلك لبعض الادباء ومن ذلك:

(الطويل):

تذكر متى حان أمر تخـــــافه * * ولا تـتركن يوما ركونا إلى اللـه

فما خاب عبد كان بالله واثقا * * ولا يندمن يوم المعاد سوى اللاهي[1]

92- ابو عبد الله بن ابي القاسم الانصاري

محمد بن ابي القاسم بن احمد الانصاري[2]، وهومن عداد الاصحاب الذين لقيهم ابن رشيد بتونس، وكان كاتبا وقد انشده جملة قطع من شعره، الا أن فيه ضعفا ولكنه سهل:(الطويل)

الا لـيت شعـــــري هل إليك وصول* * فيشفى محب بالغــــرام قتـيل

وهل آتيـــــــن يوما إليك مسلما * * فيشفى بتسليم جوى وغليــل

ففي الصدر اشجان وفي القلب لوعة* * تخبركم أن المحـــب علـــيل

93- ابن ابي القاسم اللواتي

هومحمدبن ابي القاسم اللواتي[3]، وهو عامي، إلا أن ابن رشيد يورد ما يفهم من أن شعره متين من جهة الاعراب، ويجود ذلك طبعه السليم، ومن ذلك(البسيط)

شبابك ولى كـــان اكبر شافـــع * * الي الا فاذهب فلي عنك مذهب

انا البدر في ليل الشبيبة مطلعي * * إذا لاح فجر من مشيبك اغرب

امالك ان يَزْجُرُكَ مِ الشيب زاجر* * به ولـــــه منـــك المـــنون تقرب

---

[1]: الرحلة 111/6.

[2]: الرحلة 99/6.

[3]: لم اتبين اسمه كاملا بسبب وقوع تلف في الورقة الرحلة 89/6.

94- ابن حيان الشاطبي(635- 718)

محمد بن احمد بن حيان الشاطبي الاوسي نزيل تونس وهو الفقيه الراوية المكثر المسند المقيد المفيد الضابط المقرئ المجود، وهوأحد المكثرين سماعا وتقييدا وتحصيلا لهذا الفن وتجويدا سمع العالي والنازل[1] وكان له قدرة على مداخلة الشيوخ واستخراج ما عندهم وقد لقيه بتونس مقدمه عليه من بلاد المغرب، وروى عنه الحديث والشعر وقرأ عليه من مسلسلات القاضي ابي بكر العربي الى قوله باب كف صافحت رسول صلى الله عليه وسلم. وقرأ عليه في 28 ربيع الأول 684 هـ بعض الاحاديث وكتب له اوزانا بخطه ومن ذلك ما أنشده ابوعبد الله المصري لنفسه في كتاب التنبيهات للقاضي عياض وغير ذلك من الاشعار الكثيرة منها ما هو في مثال النعل الكريمة ومنها شعر ابي المطرف بن عميرة في الغزل وفي مخاطبة المستنصر وغير ذلك. وتعد ترجمة ابي حيان هذا من التراجم الكاملة الغنية بالحديث والأدب[2] ومن شيوخ ابن حيان من القراء والمحدثين والادباء والفقهاء ابوعبد الله السوسي وابو محمد بن برطلة وابواسحاق بن عياش واجاز له علماء من المغرب والمشرق كابي الحسين بن السراج.

95- ابو عبد الله التجاني

محمد بن احمد بن محمد بن ابي القاسم التجاني[3] وصفه ابن رشيد بالاديب، ووصفه حفيد عمه أبو الفضل التجاني. في كتابه الذي سماه الحلى التيجانية الذي جمعه برسم صديقه الوزير ابن الحكيم قال:هو آدب الجماعة وحافظ الأداب وكاتب العلامة وعلامة الكتاب وناظم الحفاظ وحافظ اولي النظم. وأنشد له أبياتا منها (الهزج):

ولا تحـــزن ولاتقنط * * فإن الرزق مقســـــوم

فإن ضاقت بك الحال * * فتفويض وتســـليـــم

لقي التجاني ابن الابار وأخذ عنه وروى عنه كثيرا[4].

---

[1]: الرحلة 21/2.

[2]: وانظر عن ابن حيان الشاطبي: فهرست الوادي آشي 48 ودرة الحجال 245/2 ترجمة 737 والسنن الابين 29 وفتح المتعال(بعض أخباره).

[3]: العياشي 252/2.

[4]: سبك المقال 83.

96- ابو عبد الله الكلاعي ابن النجار(693)

محمدبن احمد بن عبد الله الكلاعي الدوقي[1] ويعرف بابن النجار وهو الشيخ الصالح المتصوف المحدث. ورد خبر أخذ ابن رشيد عنه في كتاب درة الحجال[2]، ويحتمل أن يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث وغير ذلك مما يتصل بالزهد والتصوف.

أخذ الكلاعي القرآن والحديث والفقه والأصول عن ابن ابي الحسن الهواري وابن برطلة، واخذ بالمشرق عن الرشيد العطار وغيره واخذ عنه الوادي آشي وأجازه اجازة عامة بشروطها وكتب خطه بذلك[3].

97- ابو عبد الله بن الغماز

محمد بن قاضي الجماعة ابي العباس احمد بن الغماز. وقد كان من العلماء العاملين والقضاة المتقين العادلين الاذكياء عمر طويلا وكان ابن الغماز هذا ممن وصفهم ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل الذكي اللبيب الفاضل ا-لحاج، وكان هووابوه حَفِيَّيْن به[4].

وكان ابن رشيد يحضر قارئا وسامعا علىابيه فيتذكر كذلك مع ابنه هذا. أخذ ابو عبد الله عن الرضي الطبري وروي عنه البخاري. وروى عن جماعة منهم ابو عبد الله الغساني المكناسي وابو عبد الله الوادي آشي[5].

98- ابو عبد الله بن النعمان

محمد بن ابي العباس بن النعمان[6] وصفه ابن رشيد الفقيه الفاضل المتفنن المشارك ابن شيخنا الفقيه القاضي المشاور. وقد انشده في مجلس ابيه لبعض الشعراء المجيدين(البسيط).

---

[1]: الوادي آشي 46 وفيه(ابن الرومي).
[2]:درة الحجال 553/2 ترجمة 736، وانظر عنه الوادي آشي 46.
[3]: الوادي اشي46.
[4]: شجرة النور 225 ترجمة 806 وطبقات المالكية 491 والرحلة 16/6.
[5]: شجرة النور 225 ترجمة 806 وطبقات المالكية 491 والرحلة 16/6.
[6]: الرحلة 25/6.

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش* * وانحل بالضم سلك العقد في الظلم

(الابيات)

99- ابو الوليد بن الحاج التجيبي

ابوالوليد محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن خلف بن إبراهيم بن لب بن خالد بن بكر التجيبي ويشهر بابن الحاج. وهو الشيخ الفقيه الفاضل الحسيب الاصيل ذو البيت النبيل والمجد الاثيل الكاتب البارع الضابط المتفنن دو الأخلاق الكريمة والذات الشريفة لقيه ابن رشيد مقدمه على تونس من بلاد المغرب وذلك بِالْمَمَرِّ الكبير وأجاز له ولبنيه في ربيع الأول 684، ونقل من خطه تسمية أشياخه في إجازته لابي عبد الله بن محمد بن حيان الشاطبي، ومن أولئك الشيوخ والده وابن مهني اللخمي والشلوبين وابواسحاق ابن هارون المرادي وابومحمد بن حزم الاموي وابوعبد الله الازدي السبتي والصالح ابو محمد اللخمي وابو عمرو عثمان التميمي وابو القاسم المصمودي السبتي والزاهد ابو الحسن المقدسي وابو الحسين ابن أبي الربيع القرشي وابوزكرياء السكوني، وممن أجاز له الإجازة العامة القاضي ابو الحسن علي بن عبد الرحمان الزهري وغيرهم. وكانت هذ الإجازة في عقب شهر جمادى الأولى 663 هـ. وقرأ عليه ابن رشيد كثيرا من الفوائد ونقلها من خطه[1].

100- ابو بكر بن حبيش

محمد بن حسن بن يوسف بن حسن بن حبيش اللخمي، أصله من سبتة وبها نشأ، وتجول ببلاد الاندلس ثم انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس واستقر بها. وصفه ابن رشيد بالفقيه الأديب والكاتب البليغ الحافظ الناقد العلامة[2] والشيخ الحافل المتفنن الحلو الشمائل والمنازع العذب المطالع والتخلصات والمقاطع[3]. وكان قد نسك وتزهد واقتصر على النظم في تَنْزِيهِ الباري تعالى، وهومتقدم القدم في صناعة البيان متمكن اليد من ناصية الابتداع[4]، ثم إن هذا الشيخ لم يصدر عنه بيت هجو قط. وقد خصه ابن رشيد بترجمتين حافلتين في الورود والصدور، وسمع منه كثيرا وأورد له كثيرا من الانشادات

---

[1]: الرحلة 10/2.
[2]: الرحلة 1/2
[3]: الرحلة 34/6
[4]: الرحلة 1/2 وانظر نفح الطيب نقلا عن الرحلة 46/6.

وبعض الاخبار الادبية والنقدية والبلاغية. وقدسبق القول ان ابن رشيد كان معجبا بحازم القرطاجني وابن حبيش[1].

ومما سمعه عليه انشاداته الكثيرة كالعقيلة الحالية والوسيلة العالية، وهي التي خمس بها معراج المناقب لابن ابي الخصال، وقرأ عليه كثيرا من تآليفه وما انشده شيوخ ابن حبيش عليه كابن محرز وابي علي الرفاء. وقرأ عليه اسانيده في برنامجه الذي جمعه له تلميذه وصاحب ابن رشيد: ابو العباس الاشعري[2].

ومن شيوخ ابن حبيش ابوالقاسم الانصاري وابوعلي الرَّفَّاء وابن سلمة الشاطبي وابن محرز وابن عسكر المالقي وابن قطرال وابن السيد المرسي وابن واجب وابن عتيق الازدي وابن ابي الغصن وابن ابي السداد وابن بُرْطُلُهْ وابن عميرة وابن غالب وسهل بن مالك. ومن اسمعته الكثيرة التيسير، والقصيدة الحصرية والجمان والمفصل والحماسة والتقريب والمحرر الوجيز، والبخاري ومسلم والبديع والسيرة والاستيعاب والتبصرة والرسالة لابي زيد والتلقين واصلاح المنطق والكامل والمقامات وفهرس ابي القاسم ابن حبيش وشعر ابن خفاجة والموطا والمستصفى وشعر المتنبي وشعر ابن وضاح وغير ذلك.

وممن أجازه ولم يلقه ابن الاصفر الحارثي والشلوبين والدباج وابن الطيلسان وابن حريرة المالقي وابن طلحة وابن عبد الصمد الخزرجي. ومن تلاميده ابن مبارك وابوالعباس الاشعري جامع فهرسته[3].

ابو عبد الله بن الحكيم

لابن الحكيم ترجمة مهمة فيمن لقيهم برندة، وبما أنه كان رفيق ابن رشيد في الرحلة فإنه كان يتصل به حينا ويفارقه حينا آخر، ولهذا وردت وترد له بعض الاشارات المقتضبة عن اخباره في اماكن أخرى.

---

[1]: انظر ترجمة حازم القرطاجني قبل ترجمة 69.

[2]: انظر ترجمته في التونسيين ص: 287 ترجمة 63 من هذا البحث.

[3]: وانظر عن ابن حبيش: نفح الطيب 121/5- 16- 46- 76، وازهار الرياض 174/5 وما بعدها وسبك المقال 65 والعبدري 18- 50- 51 وفهرست الرصاع 207، والذيل والتكملة 446/6 وهي ترجمة مقتضبة جدا. والمشتبه في الرجال 272/1 ومعجم المؤلفين 228/9، وورقات 315، الزركلي 317/6 وانظر عن ابن حبيش فهرست التجيبي ص: 181 و213.

حضر ابن الحكيم مع ابن رشيد مجالس ابي يعقوب الجذامي وابي العباس الغماز الذي كان يسمع عليه بقراءة ابن الحكيم برنامج مع ابي الربيع بن سالم وقد ورد فيه قوله:"كتاب الفصوص تأليف صاعد الربعي، ناولنيه ابو عبد الله بن هشام المصحفي عن صاعد مؤلفه.

وقد اقام ابن الحكيم معه إلى العشر الاخير من شعر رمضان المعـظم من سنة 685 هـ ولكنه لما استطال مدة المقام أزمع السفر مع جماعة من الاصحاب على طريق البر، واقام ابن رشيد بعدهم بتونس الى أن دخل عام 686 هـ، وكان دخوله بالاحد، ثم تمادى المقام إلى ان دخل شهر ربيع الآخر 686 هـ وبعد ان تهيأ المركب للمسيرغادر تونس. ومعنى هذا أنه تأخر عن صاحبه ستة أشهر وبضعة أيام[1].

101- ابوبكر بن غصن التجيبي

محمد بن ابي محمد عبد الله بن يوسف بن غصن التجيبي. وصفه ابن رشيد بالفقيه العدل الحسيب. وقد لقيه بتونس في 6 جمادى الثانية عام 685 هـ وانشده شيئا من الشعر رواية عن ابي محمد بن عبد الله البيولي الحرار عن ابي العباس بن حمير السبتي الصالح الزاهد لنفسه وكان انشده ابن حيان شيئا من ذلك لابن رشيد فلما لقي ابن غصن انشده (الطويل)

وجامع اموال علي وجه حلها* * يجود بها فضلا على كل معدم

(7 أبيات)[2]

102- ابو عبد الله بن هريرة

محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي ويشهر بابن هريرة. وهو الفقيه الاجل الانبل الافضل، واحد المتخصصين بتونس ونبلا ء ادبائها وله مشاركة في النحو والأدب والتاريخ[3] وقد قال فيه العبدري أنه ذو العناية والتهمم، خير صدوق[4].

[1]: الرحلة وانظر ترجمته فيمن لقيه برندة.
[2]: الرحلة 100/6.
[3]: الرحلة 99/6
[4]: رحلة العبدري 44.

لقيه ابن رشيد بتونس وأنشد شيئا من شعر ابي العطار القرطبي الكاتب[1]، وقد اختصر ابن هريرة كتاب الصلة البشكوالية وذلك بأن جرد منها الاعلام الذين تمس الحاجة إلى التعريف بهم ومن اعلام الادب التونسيين الفضلاء من القادمين عليها. ويرجح أن يكون الكتاب الذي جمعه في وفيات المشاهير من اهل كل فن على حد العبدري- لولا انه لم يرتب على ما ينبغي[2].

103- ابو الفضل التجاني

محمد بن ابي الحسن علي بن ابي اسحاق إبراهيم بن محمد بن ابي القاسم التجاني، كان ابن رشيد يدعوه صاحبنا الفاضل وواصل الغاية[3] في الفضل، والفاضل زاده الله من افضاله[4] والاديب البارع[5] والكاتب السري الكامل[6] والحافل المتفنن ابرع الجماعة ادبا واوسعه طلبا حافظا لافظا، وهو ذو المفاخر والمحاسن، وكان شيخه ابوبكر بن حبيش يسميه واصل الغاية وسماه ابن رشيد عاطفا على كلام شيخه"ومحرز النهاية عند البداية" إلى غير ذلك من الصفات التي لا يتسع المقام لذكرها كلها لاتساعها وتعددها.

وقد بلغ من اخلاص وده له أنه كان أيام مقامه بتونس، بعد رجوعه من الحجاز ، وذلك الزمان من أشرف ما كان يعتده من ايامه، كان يتردد كل منهما إلى منزل الاخر ويذكر أنه كان يبايته كثيرا ويذاكره ويشاعره، وقد كان يستفيد كل منهما عن الآخر ويأخذ عنه[7]. وكان ابن رشيد معجبا بأبي الفضل ايما اعجاب ولهذا خصه بترجمة لم يحظ بمثلها غيره اذ تنيف على تسعين صفحة، وان شئت قل ما يقرب من جزء كامل ضمنه ما شاء من الشعر والنثر والأخبار الطريفة الخاصة والعامة والرسائل البديعة، وفيها أخبار ابيه وجده ابي الحسن علي وابي اسحاق إبراهيم.

---

[1]: انظر شعره في الالغاز (في السكين).
[2]: العبردي 44 وانظر عنه ايضا الاعلام للمراكشي 207/3، وورقات 315.
[3]: الرحلة 12/6- 111.
[4]: الرحلة 61/6.
[5]: الرحلة 15/6.
[6]: الرحلة 40/6.
[7]: الرحلة 5/7.

ومما قرأه عليه ابن رشيد: كتابه حشر الامم الخالية ونشر الرمم البالية وهو في محفة التسويد، ثم قرأه عليه لما رآه حلل التجديد[1]. كما جمع ابو الفضل كتابا باسم ابن رشيد وصديقهما ابن الحكيم. وجمع له ابن رشيد كذلك شيئا من شعره البليغ ومنه(الخفيف).

انا من قد علمت مت حيا* * وطوتني الاداب بالنشر طيا[2]

وجمع ابو الفضل كتابا في مشيخته سماه: الحلل المضمخة في حلى المشيخة. وشيوخه يزيدون على المائتين، ومنهم ابو بكر بن حبيش وابوزيد الجمحري وابو عبد الله السيوسي وابو عبد الله القضاعي وابن برطلة وابو اسحاق التجيبي وابو العباس الحميري وابو اسحاق البلفيقي والمازري(ابو العباس) وابن ابي الدنيا الطرابلسي، وكان ابو الحسن حازم يستظرف شعره. وقد قرأه عليه الصادية المشهورة التي عارضها ابو بكر الصابوني وابن الابار وابن عريبة[3].

104- ابو القاسم الانصاري

محمد بن علي بن احمد بن إبراهيم الانصاري. وصفه ابن رشيد بالفقيه الاجل الكاتب الافضل وقد لقيه بتونس مقدمه عليها من المشرق وانشده لنفسه من قصيد(الطويل):

ذكــرتك والازهارتندي وتفتح * * وروض الثريا منها سمط موشـح
وقد طـلعت زهر النجوم كأنها * * عوائـــم في نهر المجرة تسبـــح
وصرح خـــيري الرياض بسره * * كدمعي يسري في هواك يصـــرح
وللورد ما بـــين الغصون تبرح * * كخـــدك يدمى باللحاظ ويَجْرَحُ
(58 بيتا)[4]

---

[1]: وهو التاريخ الكبير.
[2]: انظر الشعر(الشكوى من الزمان والدهر).
[3]: وانظر عنه ايضا عنوان الاريب 87/1 وسبك المقال 82 والحلل السندسية 346/1 ورحلة التجاني 285 وتاريخ الدولتين 63.
[4]: الرحلة 12/6.

105- ابوعبد الله بن قطرال

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قطرال الانصاري. وقد ورد اسمه عرضا في ترجمة ابي عبد الله السلاوي الذي أجاز له واخبره الحسن الحرالي أخذ عن ابي ذر الخشني وابن خروف وابن القطان وابي الصبر الفهري الذي لقيه في سبتة.

ويحتمل أن يكون ابن رشيد قد أخذ عنه ما يتصل بالزهد والتصوف أوتذاكر معه في المسائل التي تتعلق بذلك[1].

106- ابو عبد الله بن عيسى :

عندما جرت مذاكرة بين ابن رشيد وصاحبه ابي محمد بن مبارك وشيخهما ابي بكر بن حبيش وذلك في 28 جمادى الاولى 685.

في بعض المسائل الادبية، كان ممن حضر من اصحاب ابن رشيد ابو عبد الله بن الحكيم وابو العباس المرسي وابو عبد الله بن عبسي[2] ونستنتج من ذلك أنه كان من طبقة ابي العباس الكتاني وابن مبارك. وغيرهما ممن كان له إلمام بالأدب والفقه والزهد والتصوف ولا شك في أن ابن رشيد كان يذاكره في ذلك.

107- ابو عبد الله بن القويع(664- 738 هـ)

ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الجليل بن يوسف القرشي الهاشمي عرف بابن القويع وابن القوييع، وهو اخو عبد الرحمان السابق الذكر، ولكنه كان اصغر منه سنا وأكبر علما، وقد برع في الفهوم وتمرس في كثير من العلوم ووجهه بعد ما بقل[3]، وهو النبيه الذكي الحديد الذهن الفائق الفهم[4]، وقيل عنه انه كان يتوقد ذكاءً إذا حدث في شيء من العلوم أوتكلم في دقائقها وغوامضها[5]. وكان فريدا في فنون العلم الاصول والحديث والفقه والعروض والطّبّ والحكمة.

---

[1]: الرحلة 44/2.
[2]: الرحلة 46/6 وانظر الشعر الديني.
[3]: الرحلة 117/6.
[4]: الرحلة 28/6.
[5]: شجرة النور 208 ت: 724 والحلل السندسية 698/1.

وكان ابن رشيد يلتقي به كثيرا ويباحثه في مسائل الأدب والبلاغة المعقدة وغير ذلك[1] لأنه كان منتفعا في علم البلاغة بكتاب شيخهما حازم القرطاجني[2] بل كان يصحبه وينشده من شعره وتجري بينهما مباحثات ومشاعرات لطيفة. وقد قام ابن القوبع هذ بالرحلةالى المشرق، وكان يعرف بشيخ المالكية بالديار المصرية والشامية وكان يدرس بالمنكتمرية بالقاهرة، ويدرس الطب بالمارستان المنصوري، وكان يعتمد على كتاب الشفاء لابن سينا دائم النظر فيه[3].

108- ابو عبد الله الفرضي

محمد بن محمد بن علي المشهر بالفرضي[4]. وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل الفاضل والإمام في علم التعاليم على الإطلاق، طاف وجال في جميع الآفاق غربا وشرقا، وظن ان اصله من الأندلس التي قضي بها صدر عمره مع فضلاء اهل عصره، ثم حج ورجع الى تونس فاضلا صوفيا ملازما للصلاة بجامع الزيتونة الاعظم، فنزل بعض الخانات من المسجد مع الطهارة والعبادة والانكفاف، وكان أيضا بارع الخط حسن المجالسة. التقى به ابن رشيد وانشده من شعر ابن الساعاتي في الغزل وفيه معنى من معاني الفقه:(الطويل)

الى الله اشكو حب احور شادن * * وقعت ومالي من يديه خلاص

جرحت بلحظي خده وهوجارح * * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وغير ذلك من شعر الغزل للشاعر رضوان بن خالد المخزومي المالقي الذي انشده عليه في عام 633 هـ.(البسيط).

ابدى هواي واخفى بالصبا جسدي * * فظل ينشره طورا ويخفيه

اكرم بِهِ من مليح الجيد عاطله * * ومن مدامي ريق الثغر حاليه

---

[1]: انظر في دراسة الرحلة(البلاغة).

[2]: انظر ترجمة حازم والانتفاع بالقوانين له.

[3]: وانظر عنه أيضا نيل 232 بغية الوعاة 226/1 الدرر 229/4 درة الحجال 300/2، الزركلي 264/7، ط. الدوودي 2 ت: 570. الوافي 238/1، ايضا المكنون 527/1.

[4]: ....

ثم اورد ترجمة لرضوان هذا: وهو ابو النعيم رضوان بن خالد بن الحسين بن عبد الرحمان بن مكرم الفرضي المخزومي من اهل مالقة وهواديب جليل وشاعر جليل له عزة نفس ومعرفة الاداب. وقد أورد له بعض الشعر من غير ذلك.

وقد أورد ابن رشيد في ترجمة الفرضي بعض الفوائد ومن ذلك مسألة اختلاف العلماء في الرخص للشاعر في وصف الخدود والقدود، فمن محرم ومبيح، وقد أورد قول أبي الفرج بن الجوزي عن ابي حامد الطوسي ان ذلك لا يحرم، ثم عقب ابن رشيد على ذلك بتفصيل وتصحيح مفيدين. سمع ابن رشيد على الفرضي شيئا من شعر ابي حامد الغزالي وغيره[1].

109- ابو عبد الله بن هشمك

محمد بن ابي زكرياء يحيى بن يعقوب بن همشك السبتي، اصله من الأندلس ولد بسبتة ونشأ بها وله بها ولوع[2]. وهو الشيخ الاديب المفيد الجماعة لكتب الاديب الرحالة ابي الحسن بن سعيد. وهوأحد الحسباء ذو المنازع الغريبة والتصرفا العجيبة وكان حافظا للادب مولعا بمخاطبة صدور الناس من الامراء والرؤساء والفقهاء وقدجمع كتب ابي الحسن بن سعيد وافاداته وتصانيفه الادبية والتاريخية وجمع من ذلك ما لم يجمعه غيره، ولعله احصى جميعها على كثرة عددها، وكان لا يعير شيئا منها ولا يبخل ايضا بانتساخها من عنده بل كان يحمل ناسخا لموضع عنده ينتسخ ما أراد منها، ولكنه مع ذلك كان يسمح لابن رشيد ببعضها ويهدي إليه على عادته المعروفة بعض الأشياء، ومن ذلك مصباح من ختم وكعكة من التي تسمى الفرجلة ودجاجة مطبوخة أو بعضها، وبالجملة فإن منزع ابن همشك كان عجيبا غريبا ولهذا كان يحبه ابن رشيد ويجله ويجالسه كثيرا، ومما افاده به مما وقع له من تآليف الرحلة ابي الحسن بن سعيد كالمشرق والمغرب والمهاد ورقم الحلل ووشي الحسب والشجرة المثمرة ومصابيح الكلام والحلة السيراء والسحر المذاب والخدود الموردة وحلى الرسائل وسلوك الكلام وريحانة الادب والادب الفضي وجنى النحل وغنج المحاضرة والمقتطف والطالع السعيد والنفحة المسكية واللمعة البرقية وغير ذلك كثير[3]. وقد كتاب ابن همشك ذلك كله بخط يده، ثم استدرك

---

[1]: الرحلة 115/6.
[2]: الرحلة 100/6.
[3]: انظر بعض مؤلفاته في كتاب ابن سعيد الاندلسي ص: 172.

ابن رشيد عليه بعضها مما وقف عليه من تآليفه كالحلى البلادية والحلل العبادية، وقد وقف على قطعة منه بالاسكندرية. ومما انشده ابن همشك لابن رشيد قال: انشدني ابو عبد الله بن ثابت قال انشدني ابو زكرياء بن ابي حفص لنفسه بالجزيرة الخضراء وكان وليها في صباه:(المجتث)

تبـــا لاهــــل الـــجِدَار * * فدارهـــم شـــر دار

اذا دعــــوا للـــــــم * * لم يسمـــحوا بابتـــدار

وإذا دعـــوا الطـــعام * * جـــاؤوا بـــدار بدار

وروى عنه ذلك.

110- ابو القاسم بن بقي

مخلد بن بقي. من بيت بني بقي. وصفه ابن رشيد بالاديب الحسب والناظم البارع ذي الخط البديع وكان قد تصرف وتطور. لقيه بتونس وصحبه وسمع منه بعض شعره الذي يقوله على البديهة. وانشده ابو الفضل التجاني شيئا مما انشده ابن بقي هذا وذكر له أيضا ما تلقاه عنه من النثر البديع. ومن بديع نظمه:(الطويل)

وما كان ظني أن تخـــون مودتي * * ولا أن تـــرى غيري أعز وأكرما

ومن لم يصب أصلا فـــإن فروعه * * وان اثمـــرت حلوا تحول علقما[1].

111- ابو البركات القمجي(610- .....)

موسى بن القاضي ابي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن احمد التجيبي المرسي عرف بالقمجي[2] وهو صهر صاحب ابن رشيد ابي عبد الله بن حيان الشاطبي، وعنده لقيه. وصفه بالشيخ الفقيه الحسيب الاصيل العدل الفقيه. وقد لقيه في شهر ربيع الاول والثاني 684 هـ فانشده في أوائل لقائه به وحكى قال: حضرة في منتزه مرسية مع الزاهد

[1]: الرحلة 100/6.
[2] : الرحلة 35/2.

ابي العباس بن مكنون عام 636 هـ فرأى اهتزاز أغصان الثمار وتمايلها فقال مرتجلا :[1](الكامل)

حارت عقول الناس في ابداعها * * أَلِسُكْـرِهَا أم شـكـرها تتـأود

فيقول ارباب البطـالة تنثـني * * ويقـول اربـاب الحقيقة تسجد

قال ابوالبركات فقلت ما الذي يدل على أنها في وصف الثمار فقال لي: وطئ انت لها. قال فقلت وانشدها لي ومنها:

يا من اتى متنزها في روضـة * * ازهـارها من حسنـها تتوقد

انظر إلى الاشجار في دوحاتها * * والريـح تنشق والطيـور تغرد

فترى الغصون تمايلت اطرافـها * * وترى الطبور على الغصون تعربد

ومما انشده ابو البركات لنفسه قال صنعتها في النوم واستيقظت منه وادمعي معي تسيل فقيدتها في الحين، وقد اسقط ابن رشيد بيتين منها لفساد قافيتهما: ومنه(المجتث)

مضـى الزمـان وولى * * ولم افارق عيـوبـي

فالعمـر لا شـك فان * * فحق لي بالنـحـيـب

والعفو منـك الاهي * * ارجوك محـوذنـوبـي

فانـت رب كـريم * * لكـل عبد مـنـيـب

فلا تخـيـب رجائـي * * يا سيدي يـا حبيبي

ومما قرأه عليه احاديث المصافحة لابن عربي وذلك في 9 ربيع الثاني 684 هـ وقد أورد له في ترجمته بعض الاحاديث في علو التنزيل وهي من ثلث المصافحة.

112- ابويعقوب بن عقاب الجذامي(613-.....)

يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن عقاب الجذامي من اهل شاطبة، وهو الشيخ الصالح المجود الفاضل الصوفي الذكي التقي[2] والفقير الصوفي المتخلق[1] وقد لقيه في

---

[1]: نبه ابن رشيد على ان البيتين ليس لابن مكنون وانما هما لأبي زيد الفاسي وقد تمثل بهما ابن مكنون الرحلة 35/2.
[2]: الرحلة 44/2.

الورود والصدور بتونس وأجاز له ولاولاده ولجماعة من الاصحاب وقرأ عليه شيئا من كتاب التيسير، وجميع ثلاثيات البخاري وذلك في اواخر شهر ربيع الأول 684 هـ، وكتاب الشمائل للترمذي في 19 رمضان 685 هـ.

وكتب له الجذامي ما قرأه على الشيوخ ومن ذلك الكتاب العزيز على ابي القاسم الانصاري المشهر بالولي، وكذا القرآن الكريم والحديث الشريف على ابي عيسى لب بن حسن التجيبي البلنسي، وقرأ على جده للأم أبي عبد الله بن مالك المعافيري، وقرأ بشاطبة على ابن قطرال كتاب الشمائل والجامع للترمذي والموطأ والبخاري ومسلما والدارقطني وسنن ابي داوود والسيرة والاستيعاب والشهاب والمغازي لابن حبيش، والتقصي والملخص. ولقيه ايضا بمراكش وسمع عليه واجازه. ولقي بمرسية وشاطبة الزاهد ابا عبد الله بن قاسم. ومرسية ابن ابي السداد وابن محرز وابا بكر القرشي، وبغرناطة سهل بن مالك وابن ابي الاشعري وابا عبد الله محمد بن سعيد الانصاري المعروف بالحصار والاستاذ المالقي ابا صالح محمد بن محمد بن محمد. وصَحِبَهُ الى سبتة ولازمه. ولقي بسبتة ابا الحسن بن الخضار، وبمراكش ابا البركات عمر بن مودود، وقرأ عليه البخاري والتيسير ورسالة القشيري، وأول كتاب حلية الاولياء والموطا، ولقي ابا اسحاق اللوري وقرأ عليه الرسالة. والرعاية للمحاسبي ومقامات الهروي وبعض تفسير ابن عطية وغير ذلك من كتب الرقائق. وصحب ابن سبعين إلى بجاية وسبتة. ولقي ابن وضاح وغيرهم[2].

113- ابو يعقوب بن اندراس: 726و729 هـ)

يوسف محمد بن احمد بن اندارس الاموي الاندلسي الاصل التونسي النشأة[3] والطرسوني المرسي[4]، وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الجليل المتفنن الطبيب الماهر والاديب الحسيب، أحد الفضلاء أصحابنا ونجبائهم ومن ذوي المروءات وممن جمع له فضل الذات والأدوات. كانت له مشاركة حسنة في الرياضيات والمعقولات مع حظ من المنقولات ومشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب الذي برع فيه، ويجمع إلى

---

[1]: الرحلة 25/6.

[2]: وانظر عن الجذامي: رحلة العبدري 271 وقد سمع عليه وناوله بعض الفوائد وفهرست الوادي آشي 38.وانظر أيضا فهرسة التجيبي 30.

[3]: الرحلة 12/6.

[4]: الديباج 360.

ذلك كله كرم النفس وحسن الانس، وزاده مألف الفضلاء، وكان اصحابه يبيتون فيه ويتذاكرون في أنواع العلوم ويتبارون في فنون المنثور والمنظوم.

وقد التقى به عند مقدمه من المشرق، وانشده من رائق شعره، ومنه في وصف مؤذن حسن الصوت والوجه:(الكامل)

ومـــؤذن أمسى بجامع تونس* * يسبي بحسن اذانه مـــن فيه

فالعين تبصر روضة في وجهه* * والاذن تسمع مزمرا من فيه

وقد اشتغل ابن اندارس على ابي القاسم بن زيتون وتفقه بابن عبد القادر الزواوي[1].

س: ذكر من لقيه بسوسة

114- ابو عبد الله الدكالي

وهو الشيخ الفقيه الصالح الولي التقي المنقطع[2]. وقد التقى به ابن رشيد لما وافى مدينة سوسة يوم الثلاثاء 16 ربيع الآخر 685 هـ عشية، فرأى منه رجلا فاضلا وأمر الدكالي بإنزال ابن رشيد وصحبه في الرباط المعد هناك، وبعث لهم من الطعام ما كفى وأغنى. وسمع منه قوله:انه صاحب ابا الصَّفَاء خالص بن مهدي الاندلسي، وصحب ابو الصفاء ابا العباس القنجائري. ولم يزد على ذلك لأنه سافر صبيحة يوم الاربعاء 17 ربيع الآخر.

ع: ذكر من لقيهم بالمهدية

115- ابوفارس التميمي

عبد العزيز بن الشيخ ابي علي حسن التميمي[3] وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الخطيب المبارك، إمام مسجد المهدية وخطيبه، وبه لقيه وأخبره أنه سمع جميع الموطأ رواية الليثي على ابي الصفاء خالص بن مهدي الاندلسي وذلك في سنة 639 هـ. وسمع

---

[1]: الديباج المذهب لابن فرحون 360 ودرة الحجال 350، ومعجم المؤلفين 328/3.
[2]: الرحلة 9/6.
[3]: الرحلة 7/6.

عليه كذلك قصيدة الشاطبي. وقرأ التميمي فصيح الثعلب على محمد بن محمد التجيبي الشاطبي في 643، وسمع عليه كذلك مقصورة ابن دريد.

وقد أفاد أبو فارس تلميذه ابن رشيد بغير ذلك، ولكن ابن رشيد كان وقتئذ شاكيا من الرمد الذي منعه من الكتب واستيفاء الغرض.

ولم يكن في المهدية آنئذ من يلقى الشيوخ سوى ابي فارس هذا وابي يعقوب بن السماط، مع أنها كانت فيما سلف دار علم وفقه وأدب.

116- ابويعقوب بن السماط(613- 690)

يوسف بن ابي الحسن علي بن ابي مروان عبد الملك المعروف بابن السماط المهدوي، اخي الإمام الصوفي الجليل ابي علي بن السماط.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح الاديب الفاضل الصوفي[1]. وكان حريصا على لقائه فيحث عنه فلم يمكن له لقاؤه، ثم اعجله السفر فلم يقض ذلك وصلته اجازته بعد ذلك في جميع منظوماته إذ ليس عنده غيرها فيما يعلم. وكان ابن السماط شاعرا مطيلا مطنبا ونظمه بارع اخذه الناس وسمعوه عنه. ومن ذلك مأجازه لابن رشيد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم(الكامل)

اعد الحديث فليس بالمملول* * عن خير مبعوث وخير رسول

54 بيتا[2].

وقد ظهرت على ابن السماط بركات أخيه ابي علي وتمت عليه أسراره[3]

ومن أخذ عنه ابن السماط الشيخ ابو الحسن علي بن احمد نعمة المقدسي الصالحي المشهور[4].

---

[1]: نفسه.

[2]: انظر دراسة الشعر (المديح النبوي).

[3]: شجرة النور الزكية 192 ترجمة 647.

[4]: درة الحجال 349/3 ت: 1486 وانظر أيضا عنوان الاريب 77/1.

ف: ذكر من لقيه باطرابلس

117- ابن عبد السيد

ابو محمد عبد الوهاب بن ابي الحسين بن عبد السيد، وهو الفقيه الفاضل الصالح شيخ اطرابلس ورئيسها[1] وقد لقيه ابن رشيد بها ورأى منه رجلا فاضلا سريا حفيا على سنن الفضلاء تواضعا عن رفعة ومجدا عن كسب ووراثة، فأضافه وصحبه، واحتفل بهم وهيأ لهم الجفن الذي سافروا فيه ولم يمكن له السماع من الشيخ ولم يستطع كذلك استجازته بسبب اعجال السفر، ثم غادروا طرابلس يوم الخميس 14 ربيع الآخر 684 هـ.

وقد ظن العبدري أن ابن عبد السيد لا رواية له، ولمس منه ضيق الخلق ولين النظر[2].

ص: ذكر من لقيهم بالاسكندرية

118- ابوبكر فارس (.......- 685 هـ)

سراج الدين ابوبكر بن ابي العباس احمد بن اسماعيل بن فارس التميمي الاسكندراني. وصفه ابن رشيد بشيخنا[3] المحدث[4] ولم يخصه بترجمة في الاجزاء الموجودة لدينا. وقد لقيه بالاسكندرية وسمع عليه، ولما توفي يوم السبت غزة شهر ربيع الأول 685 مرورا بجنازته عليه وهو بشارع الدوقي في احد الفنادق هناك[5] ولم يمكن له حضور جنازته لما كان مصابا به من رمد ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث وما يتصل به. وقدسمع ابن فارس من التاج الكندي وابن الحرستاني[6].

---

[1]: الرحلة 3/6.
[2]: العبدري 77 وانظر ايضا الزركلي 208/3.
[3]: وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في جذوة الاقتباس 290/1 والاعلام للمراكشي 295/5 وازهار الرياض 347/2.
[4]: الرحلة 35/3.
[5]: نلاحظ أن الشوارع كانت في الاسكندرية في هذه الحقبة انظر الرحلة 77/5 ورحلة التجيبي 5-8 في قوله(شارع بين القصرين).
[6]: الرحلة 77/5 وشذرات الذهب 391/5 وذيل العبر 15 وفيات 685.

119- ابوحاتم القرشي الزبيدي

أحمد بن ابي بكر بن علي بن حاتم القرشي الزبيدي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا[1]، وقد ورد اسمه عرضا في ترجمة ابي الحسن التجاني الذي لقيه ابن رشيد بثغر الاسكندرية إذ لما أجازه ابو الحسن لفظا في جميع ما يجوز له وعنه روايته كتب ذلك عنه الزبيدي صاحب الترجمة، وكان ذلك في يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول 685 هـ. ويحتمل ان يكون قد حضر معه كثيرا من مجالس العلماء، وأن يكون قد أَمَدَّه ببعض الفوائد وذلك مثلما رأينا عند أصحابه ابن عاصم وابن سَامَةَ الدمشقي وابن عبد الحميد وسعد الدين الحارثي وغيرهم، لأن هؤلاء الاصحاب كانت لديهم معارف عامة، فتارة تجدهم بمجالس المحدثين وأخرى بمجالس العلم من الأدب واللغة، ولهذا كانوا يفيدون ابن رشيد في مجالات شتى من روايات وأخبار وغيرها.

120- شهاب الدين المقدسي(608- 688 هـ)

ابو العباس بن شيخ الإسلام جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمان بن عبد المنعم ابن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي الحنبلي[2]. وهو الشيخ الإمام العالم الصدر الكامل والمحدث الحافظ، وهو الذي دفع لابن رشيد كتابه المشهور المسمى بالبدر المنير في علم التعبير، وهومن الكتب الجليلة المعتبرة في هذا الشأن، ولا شك في أن ابن رشيد كان قد أخذ عنه الحديث ايضا، ولكن ابن رشيد ينص علىأنه أجازه في كتابه البدر المذكور.

121- ابن رافع الدمراوي (...- 690هـ)

ابو الذكر احمد بن عبد القادر بن رافع الدمراوي وهواحد عدول الاسكندرية[3]. ورد خبر لقاء ابن رشيد في كتابه افادة النصيح، وقد أخبر ابو الذكر تلميذه ابن رشيد عن ابي الفضل جعفر بن ابي الحسين بن ابي البركات المغربي قال:قرئ على ابي الطاهر السلفي وأنا اسمع قال أنشدنا ابو السمح عبد الله بن جبليان الحافظ بتستر قال:

انشدنا ابو الحسن الداوردي ببوشنج هراة لنفسه(السريع)

---

[1]: الرحلة 80/6.

[2]: الرحلة 35/7 وانظر ايضا من لقيهم بدمشق وفي دراسة الرحلة (مدح الكتب).

[3]: افادة النصيح 127.

كان اجتماع الناس فيما مضى * * يورث البـــهـــجة والســـلوة

فانقـــــلب الامـــــــر إلى ضده * * فصارت السلـــوة في الخـــلوة

قرأ الدمراوي على ابي جعفر الهمداني وروى عن ابي القاسم الصفراوي[1]

122- ابن جون المراكشي

ابوعثمان سعيد بن جون المراكشي، وصفه ابن رشيد باحد الفضلاء الادباء المحبِّين للسماع والغناء، أمره عجيب وتكوينه غريب، وله مشاركة في العروض والعربية والأدب والعدد والفرائض، وينظم ويغني مع أخلاق فاضلة وعقل جيد وعفة ظاهرة[2] وقد رحل إلى الحج قبل ابن رشيد، ولكنه عاد في المركب صحبته بعد أن التقيَا وهما على بحر الاسكندرية. إلا أن المراكشي كما يبدو لم يأخذ عن أحد في رحلته إذ لم يكن قصده من الرحلة ذلك كما يقول ابن رشيد.

وقد أخذ عنه ابن رشيد قصيدة أبي الحسن البسطي في معرفة الاعاريض[3]. أخذ ابو عثمان ببلده عن قاضي جماعتها ابي عبد الله المعروف بالشريف، كما لقي ابا عبد الله المراكشي صاحب الذيل والتكملة.

123- علم الدين الهمداني(.......- 691 هـ)

ابو القاسم عبد الرحمان (عبد الرحيم) بن سليم بن منصور الهمداني الشافعي ويلقب علم الدين وهواخو ابن العمادية المشهور الرحال المصنف وكان في ابي القاسم هذا نبل وفطانة ويقظة، وله خط جيد، وهو أحد وجوه الاسكندرية وبها لقيه ابن رشيد واجاز له ولبنيه واخواته، وأحال ابن رشيد في تسمية أشياخه على شيخه تاج الدين الغرافي[4].

سمع الهمداني من ابن رواج والصفراوي وسبط السلفي، واجازه وسمع على ابن عماد الحراني الخلعيات واجاز له وسمع على ابن دحية التقصي والملخص للقابسي واجاز

---

[1]: وانظر عنه ايضا طبقات القراء 70/1 ت: 307.

[2]: الرحلة 2/6.

[3]: انظر دراسة العروض في تحقيق هذا الاسم.

[4]: الرحلة 3/3.

له. كما استجاز له أخوه جماعة كبيرة من البغداديين[1]. ومما قرأه عليه ابن رشيد حديث الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين[2].

124- وجيه الدين ابن خلف القرشي

ابو محمدعبد الله بن خير بن حميد بنخلق القرشي، وهو الشيخ الجليل الاصيل[3] لقيه ابن رشيد بثغر الاسكندرية وسمع عليه وأجاز له ولبنيه واخواته ولمن ذكر معه في الاستدعاء وكتب خطه بذلك، وكتب في طبقة السماع صاحبه وصفيه محمود بن ابي بكر التنوخي الشافعي، ومما سمعه عليه بقراءة التنوخي: الخبر الخامس والسادس من الخلعيات[4] وذلك في يوم الأحد 2 ربيع الأول، وقرأ عليه كذلك بعض الأحاديث. سمع القرشي الأجزاء المعروفة بالخلعيات على محمد بن عماد الحراني.

125- مكين الدين الاسمر(...- 693)

أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي المشهور بمكين الدين الأسمر، وهو الشيخ المقرئ المجود، وأحد الصلحاء الفضلاء، وكان متصدرا لاقراء القرآن بالاسكندرية[5] وهناك لقيه ابن رشيد بدكان منزله وذلك يوم السبت 21 جمادى الاخرى 684 هـ، وقرأ عليه جميع المجالس الخمسية السلماسية التي املاها الحافظ السلفي بسلماس[6] سنة 506 هـ. وقد اجازه المكين ولبنيه واخواته جميع ما يجوز له روايته وكتب خطه بذلك، وروى عنه حديث (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وقد أخذ مكين الدين القراءات عن ابي القاسم الصفراوي[7].

---

[1]: وانظر ذلك في فهرس الوادي آشي، إذ أن له إجازة من أهل بغداد كابن القبيطي واخيه ص: 95.

[2]: انظر عنه درة الحجال 77/3 ت: 995.

[3]: الرحلة 75/5.

[4]: الخلعيات من تخريج القاضي ابي الحسين علي بن حسن بن حسين الخلعي الموصلي المتوفى سنة 448 وقد جمعها احمد بن حسين الشيرازي في عشرين جزءا، وهي من موالي المصريين. كشف الظنون 722/1 وانظر عنه: درة الحجال 40/3 ت: 940.

[5]: الرحلة 5/3.

[6]: سلماس بفتح اوله وثانيه مدينة مشهورة بأذربيجان. معجم البلدان. ياقوت 238/3.

[7]: وانظر عنه ايضا طبقات القراء لابن الجزري 460/1، وشذرات الذهب 421/5 وذيل العبر 15 376 ودرة الحجال 45/3 ومرآة الجنان 4/وفيات 692، وحسن المحاضرة 215/1- 216.

126- ابو الماضي عطية بن ابي الحسن(608- ....)

ابو الماضي عطية بن محمد الدين بن ابي المعالي بن ساجد بن عطية ابن منصور ابن عبد الواحد بن ابي الحسن. لم يرد له ذكر في الاجزاء المعروفة، ولا شك في أن ترجمته موجودة في الاوراق الاولى المبتورة من الجزء الثالث. ويعد ابو الماضي هذا من عوالي الاسكندرية.

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب درة الحجال[1]، ولا شك أنه أخذ عنه الاسانيد العوالي التي كان يبحث عنها ويحرص عليها، وذلك سنة 684 هـ. سمع ابو الماضي من ابن عماد الحراني السيرة النبوية والاجزاء المعروفة بالخلعيات المشتملة على العشرين جزءا، وهي من عوالي المصريين كما ذكرنا.

127- ابو الحسن التجاني

علي بن ابي اسحاق التجاني[2]. لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وتجدد به اللقاء، وقرأ عليه ما انشدته عليه والدته ابنة القاضي ابي زيد عبد الرحمان الجمحي، واسمها ست الاهل، وقد قالت ملغزة في قصيد ومنه(الطويل):

ولو أن في قلبي مكانا لسلوة * * سلوت ولكن لا سلو لهائـــم

(15 بيتا)

ثم أجاز له جميع ما تجوز له وعنه روايته وذلك يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول 685 هـ[3].

128- تاج الدين الغرافي السني

تاج الدين ابو الحسن علي بن ابي العباس احمد بن عبد المحسن.. ويرفع نسبه إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويعرف بالغرافي، والغراف بتشديد الاء نهر بالعراق من اعمال واسط، السني بكسر السين والنون المشددتين، وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل المحدث، وقال عنه:"وحقه ان يقدم ولكن اردت أن أجعله لمن لقيته بالاسكندرية مسك

---

[1]: درة الحجال179/3 ت: 1155.
[2]: الرحلة 80/5.
[3]: انظر من لقيهم ابن رشيد بطيبة بعد. ترجمة 240 في هذا البحث.

الختام ودليل التمام"[1]. وقد لقيه وقرأ عليه بعض الاحاديث وسمع عليه ثلاثيات الامام البخاري والجزء الاول من الفوائد المنتقاة الغرائب العوالي رواية ابي طاهر المخلص، وعارض جزءا من أجزاء شيخه في الحديث بالجزء الذي عنده وقابله به. ومما أذن له في روايته عنده سلسلة روايته لمسند الإمام الشافعي. وكتب عنه من الاسانيد سنده في التاريخ الكبير للبخاري. وقرأ عليه السداسيات والخماسيات المخرجة لابن عتاب وكذا الجزء المعروف بجزء ابي صالح ابن زنبور. ثم أنشده الغرافي ايضا شيئا من شعره[2].

وتعد ترجمة الغرافي من أغنى التراجم في الرحلة لأنها تشتمل على اربع وعشرين صفحة، وتحتوي على استطرادات وتعليقات مفيدة وتنبيهات وتصحيحات ومناقشات حسنة في الجرح والتعديل وغير ذلك من النصوص المنقولة. سمع الغرافي من أبي الحسن بن روزبة القلانسي، وأجاز له ابو الكرم محمد بن عبد الواحد بن المتوكل، وأنشده ابو عبد الله الدبيثي، وابو العباس بن المنير، وأبو سالم بن طلحة النصيبي الشافعي، وسمع مسند الشافعي على ابي بكر الخازن النيسابوري. و(قرأ على ابي الحجاج يوسف الفنتروسي. وممن روى عن الغرافي ابو العباس الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية[3].

129- ابو الحسن بن ذي يزن

كمال الدين ابو الحسن على بن ابي البركات عيسى بن موسى بن العابد، وهو عبد الله بن عوض بن منصور بن المتن اليزني الحميري، أَحَدُ ولد سيف ابن ذي يزن. وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال[4]. وقد لقيه بالاسكندرية وأجاز له في 9 جمادى الاولى 684 هـ، ويرجح أن يكون أخذ عنه الحديث. وما يتصل به وشيئا من مسائل الزهد والتصوف.

130- ضياء الدين الخزرجي

ابو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الدين الخزرجي الساعدي من أهل غرناطة رحل من الاندلس قديما واستقر بالاسكندرية.

---

[1]: الرحلة 10/3.
[2]: انظر دراسة الشعر.
[3]: وانظر عنه غاية النهاية 28/2، والسنن الابين 70، والوادي آشي 108، وتذكرة الحفاظ 94، والعبدري 143، وذيل العبر 704/17.
[4]: درة الحجال 213/3 ت: 1221.

وهو الشيخ الاديب الفاضل المعمر الصالح الثبت الحاضر الذهن العدْل بالديار المصرية، وكان أديبا ناظما مطيلا مطنبا، ويتصرف في حوائجه بنفسه[1].

لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وأجاز له ولأولاده واخواته جميع ما يجوز له روايته وماله من نظم ونثر، وكتب عنه بإذنه وبمحضره شيخ ابن رشد ابوبكر بن منصور، وسمع عليه حديث "الراحمون" وشيئا من شعره في ديوانه المسمى:المواجد الخزرجية، وأنشده من شعره قصيدة المسمط الذي عارض به قصيدة الحريري التي أولها:(خل ادكار الاربع).

وغير ذلك من القصائد كالقصيد الذي عارض به قصيده كعب بن زهير(بانت سعاد): وفيها يقول:

ما في سعاد قصد لنا ولا سُـــــولُ * * فـــإن قلبي عنها اليوم مشغول

ومـــا سعاد وما مقدار مــــنصبها * * حتـــى ابيت وقلبي منه متبول

سيان عـندي ان بانت وان وصلت * * فوصلـها بنصال الصد مفصول[2]

وكتب ابن رشيد بالإجازة لتعذر بصره وذلك في 8 جمادى الثانية 684.

سمع الخزرجي قبل رحلته على القاضي ابي محمد بن حوط الله، وقرأ عليه صحيح مسلم، ولقي ابا الحجاج المنصفي بمالقة ولم يسمع منه، ولقي ابا زيد الفازازي، وقرأ عليه من معشراته الحبية، وأجاز له جميع ما قاله من نظم ونثر.

وسمع بعد ذلك من جعفر الهمداني وقرأ عليه ملخص القابسي وكفاية المتحفظ في اللغة لابن الاجدابي، وسمع الملخص على ابي الخطاب بن دحية، والموطا على ابي عمرو بن دحية، وأجاز له هؤلاء[3].

131- مثقال الحبشي البزاز

أبو إبراهيم، وأبو السعادات مثقال بن عبد الله الفرجوني، مولى ابي الفضائل عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرحون الاسكندري البزاز وهوأشهر شيخ امي، ولكن له رواية.

---

[1]: الرحلة 8/3.

[2]: انظر دراسة الشعر.

[3]: انظر ترجمته في درة الحجال 213/3 ترجمة 1223.

أجاز لابن رشيد جميع رواياته مشافهة، وكان قد سأله الكتب في الاستدعاء ظنا منه أنه يكتب، فقال له مثقال:"حتى يجيء من يكتب عني" فتركه ابن رشيد وانصرف عنه ولم يقدر ان يسمع منه يروي[1].

132- ابن شاطر البوني الشرابي(621- 684هـ)

جمال الدين ابو عبد الله محمد بن ابي علي حسن بن ابي محمد بن عبد الملك ابن محمد بن شاطر البوني(بفتح الباء وسكون الواو) الشرابي (بتشديد الراء) المتطبب، وهو شيخ في أخلاقه شكاسة وكبر وعدم فهم، ولكن له اسمعة واجازات صحيحة.

لقيه ابن رشيد بالاسكندرية فأجاز له ولبنيه وكتب ذلك بخطه، ولكن لم يقرأ عليه سوى حديث واحد زهدا فيه لخلقه، وهذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت اغتسل معه صلى الله عليه وسلم من الإناء الواحد. وهو أول حديث من الاربعين البلدانية للحافظ السلفي. ووقف ابن رشيد على اجازة جماعة من الشيوخ له.

ومن سماعات الشرابي:الاربعين للسلفي والخلعيات على ابن عماد الحراني وأجاز له ابوالقاسم الصفراوي وابو البركات جعفر الهمداني وعبد الوهاب بن ظافر المعروف بابن رواج، ومحمد بن إبراهيم الانصاري المعروف بابن الجرج (بكسر الجيم وسكون الراء) التلمساني. وابوالرضا علي بن يزيد الفارسي وظافر بن طاهر بن شحم المطرز وعبد الخالق ابن طرخان القرشي وحسين بن الحسن الشاطبي وعبد العزيز بن عوف ومظفر بن الحاسب وهوسبط السلفي وغيرهم[2].

133- جمال الدين ابن التونسي

ابو عبد الله محمد بن حسن بن علي المعروف بابن التونسي. وهو أديب له نظم وسماع وإجازات وخط بارع. لقيه ابن رشيد بالاسكندرية ولكن لم ير أن يخرج عنه الحديث لأنه كان يشهد في المكوس[3].

---

[1]: الرحلة 3/3.
[2]: الرحلة 1/3. وانظر عنه درة الحجال، نقلا عن ابن رشيد، 21/2 ترجمة 461.
[3]: الرحلة 3/3.

قرأ ابن التونسي على ابي الفضل المرسي جامع الترمذي، وأكثر صحيح مسلم رواه له ابن رواج والسبط السلفي، وأجاز له ابن الجرج التلمساني، وسمع عليه كتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الموطأ ومخمسات ابن مهيب لشعر الفازازي[1].

134 – شبل الدولة ابن طرخان (605- 687)

ابو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان الاموي الاسكندراني السخاوي، الشيخ الصالح المكثر المسند، له السماع الصحيح العالي، ورد خبر ورواية ابن رشيد عنه في الدرر الكامنة وجذوة الاقتباس ودرة الحجال وغيرها[2]. ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث والمسندات العوالي خاصة.

سمع ابن طرخان ابا الحسن علي بن البناء، وابا الفتوح مباركا الجلاجلي ، وابا عبد الله بن عماد وابا محمد العثماني والحافظ ابن المفضل وطائفة[3].

135- جمال الدين ابن الجابي البزاز

محمد بن محمد بن الجابي البزاز. لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وأنشد عليه شيئا من شعره الذي يخاطب به شمس الدين ابا عبد الله بن النعمان المزالي الفاسي الذي تجول بالبلاد ونزل مصر وسمع من ابن رواج وابن المقير وغيرهما، وقد توفي قبل وصول ابن رشيد إلى الاسكندرية. وله فضائل تذكر[4]. وقد أورد ابن رشيد تلك القصيدة ومن ابياتها (الكامل):

عرج بباب المنحـــنى وقبـــابه * * واسأل أُهَيْلَ الحي عن اعرابـه

وفيها يقول:

هذا ابن نعمان الذي كل الورى * * يبغون عـــلما نازلـين ببابه

وقد نقد ابن رشيد تلك القصيدة فوصفها بعدم التلاؤم[5].

---

[1]: وانظر عنه أيضا درة الحجال 22/2 نقلا عن الرحلة.
[2]: الدر الكامنة 229/4، الجذوة 290/1 ودرة الحجال 19/2 ترجمة 459.
[3]: وانظر عنه شذرات الذهب 403/5 وحسن المحاضرة 384/1 والوافي بالوفيات 219/3 والسنن الابين 94.
[4]: الرحلة 80/5.
[5]:انظر النقد

136- ناصر الدين ابن الخطيب

ابوعبد الله محمد بن مكين الدين عطاء الله بن مظفر بن عبد الكريم بن الخطيب[1].

لقيه ابن رشيد بالاسكندرية وأجاز له ولابنه أبي القاسم وكتب الاجازة بخطه، واخبره بالأحاديث التي ابتدأ بها ابوالقاسم بن بشكوال كتاب القربة له، وقد نقلها ابن رشيد من اصل حصلت فيه شروط النقل بالإجازة وروى عنه بعض الأحاديث ومنها: "كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم[2]. بأحد المساجد هناك[3].

ولا شك في أن التنوخي هذا كان من طبقة أولئك الأصحاب المشار إليهم سابقا كسعد الدين الحارثي وابن الحميد وابن عاصم وغيرهم ممن كان ابن رشيد يستفيد منهم في جميع المعلومات والأخبار ويحضر معهم في حلقات العلماء ومجالسهم ويذاكرهم ويفاوضهم في شتى الفنون.

137- زين الدين الانصاري (635-...)

أبو بكر محمد بن منصور بن أحمد بن منصور بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحَسَن الانصاري. لقيه ابن رشيد بثغر الاسكندرية وأجاز له ولبنيه واخواته، وروى عنه حديث الحَمَّرة التي جاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهي تُعَرِّض بعد أن فَجَعُوها بفرخيها، وهذا الحديث من الاجزاء الثَّقفِيَّات، وكان ذلك بحضور شيخ ابن رشيد أبي الحسن الخزرجي الساعدي[4]، وسمع أبو بكر هَذَا الاجزاءَ الثقفيات على ابن رواج، وسمع السبط السلفي والصفراوي وابن مقرب وظافر بن شحم، وأجاز له أبو علي الحضرمي في اجزاء ابن عَلِيَّك النيسابوري[5].

---

[1]: الرحلة 7/3.
[2]: درة الحجال 22/2 ترجمة 464.
[3]: الرحلة 77/5.
[4]: الرحلة 4/3 وانظر الأحاديث.
[5]: الوادي آشي 87 والدرة 22/2 ق: 403.

138- شمس الدين الجزري (637-716؟)

أو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري ثم المصْري وينسب إلى جزيرة ابن عمر من كُوَرِ الموصل. وكان يدرس بالمعزية،ويخطب في جامع ابن طولون، وكان معيدا أيضا بالمحببة، ومدرسا كذلك بالشريفية وانتصب للإقراء، فكان لا يفرغ ساعة واحدة لنفسه، وكان يقرأ عليه المسلمون واليهود والنصارى، وصحب الجَاشَنْكِير وارتفعت منزلته، لأنه كان عالما في الفقه والأصول والنحو والمنطق والأَدب والرياضيات[1]. وقد وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال، بعد أن لقيه بالإسكندرية سنة 684 هـ وأنشدهُ من شعره. وقد أخذ عنه السبكي علم الكلام[2].

139- محمود التنوخي

محمود بن أبي بكر التنوخي الشافعي. لما التقى ابن رشيد بأبي محمد عبد الله بن خيْر بن حميد بن خلف القرشي الذي أجازه بالاسكندرية، كتب في طبقة السماع صاحب ابن رشيد وصفيّه محمود بن أبي بكر التنوخي الشافعي، وسمع كذلك عليه بقراءته الخبر الخامس والسادس من أحاديث الخِلَعِي وذلك يوم 2 ربيع الاول 684 وذلك بشارع الدُّوقي بأحد المساجد هناك[3].

ولا شك في أن التنوخي هذا كان من طبقة أولئك الأصحاب المشار إليهم سابقا كسعد الدين الحارثي وابن عبد الحميد وابن عاصم وغيرهم ممن كان ابن رشيد يستفيد منهم في جميع المعلومات والأخبار ويحضر معهم في حلقات العلماء ومجالسهم ويذاكرهم ويفاوضهم في شتى الفنون.

140- شرف الدين ابن الصواف(609- 705)

ابو الحسين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي الصواف[4] الجذامي الاسكندراني المالكي[5]. وهو الشيخ الجليل الأصيل العدل والإمام

---

[1]: الدرر الكامنة 299/4 ت: 830.

[2]: الدرة 19/2 ت: 460، وانظر شدرات الذهب 42/6 وحسن المحاضرة 549/1 والسلوك 2/ قسم1 ص: 1، والنجوم الزاهرة 221/2، ذيل العبر 63/17 وطبقات الشافعية 275/9-276، والزركلي 25/8.

[3]: الرحلة 77/5.

[4]: الرحلة 79/5.

[5]: الدرر 410/4 ت 1134.

المعمر، وكبير الشهود، لقيه ابن رشيد بالاسكندرية في 2 ربيع الأول685، وسمع عليه وأجاز له ولأولاده واخواته وجميع من ذكر معه في الاستدعاء وسمع عليه الجزء العاشر من الخلعيات.

سمع ابن الصوَّاف من محمد بن عماد الحراني، وهو آخر من حدث عنه وآخر من قرأ على الصفراوي، وسمع من جده ومن ابن عماد الحراني وغيرهما وسمع منه قاضي القضاة السبكي وجماعة[1].

141- يوسف القماح

يوسف بن عبد العالي بنىعلال التميمي القماح، وهو الشيخ الاديب[2] لقيه ابن رشيد بدكانه في الاسكندرية فأنشده قطعا من شعره، ومنه على طريقة التجنيس(الطويل).

ولما اعتدى دهـري علي وخانني* * علمــت وايــم الله أن له نبا

فحـــاربته حتى عدمت تجلدي * * وجردت سيف الصبر في وجهه نبا

وغير ذلك من شعره.

ق: ذكر من لقيهم ببلبيس

142- ابو العباس بن قطران الشروطي (.....-722هـ)

شهاب الدين أحمد بن الفقيه عيسى بن يوسف المقدسي، ويشهر بابن قطران، وهو شيخ يتشاغل بالشهادة في الوثائق، وليس له سماع ولكن حدث الناس عنه لكونه أجاز له الحرستاني والتاج المسند[3].

لقيه ابن رشيد بمدينة بلبيس واجاز له واخبره كتابة عن العدل أبي القاسم الحسين ابن هبة الله بن صَصْرَى بسند مرفوع إلى ابي الحسين علي بن المديني أنه قال"قيس بن ابي حازم سمع من ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد بن ابي وقاص والزبير وطلحة وابن شهم والبدري وابن الارت وابن شعبة ومرداس الاسلمي ومستورد الفهري وذكين ومعاوية

[1]: انظر عنه شذرات الذهب 13/6. وفيات 705. ودرة الحجال 329/3 ت 1444. وتذكرة الحفاظ 1479/4 وفيات 705

[2]: الرحلة 10/3.

[3]: الاستدعاء 8.

وعمرو بن العاص وابن حرب وابي جحيفة[1] وقيل لعلي هؤلاء كلهم سمع منهم قيس، قال نعم، ولولا ذلك لم نعده له سماعا.

قال ابن رشيد: فانظر عنايته بسماعه وتأكيده له المرة بعد المرة[2] ولكن ابن رشيد لم يبين أي قيس بن أبي حازم يعني[3] ويرجح أن يكون هو قيس بن ابي حازم البحلي الاحمسي ابا عبدالله[4].

143- ابو الحسن ابن عبد الكريم الدمشقي

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي، وكان شيخا صالحاً فاضلا ، لقيه ابن رشيد بمدينة بلبيس، وسمع عليه ثلاثيات البخاري[5]، وسمع الدمشقي على زكي الدين عبد العظيم المنذري الثلاثيات وسمع من جماعة منهم ابن ملاعب وابن طبرزد بسماعهم من ابي الوقت السجزي، وسمع ايضا على ابي الحسن ابن هبة الله بن سلامة الشافعي، وسمع من كريمة بنت عبد الوهاب القرشية وابي محمد عبد الرحمان بن ابي الفهر، وقد ذكر ذلك أبو حَيَّان، ووقف ابن الزبير على إجازته سنة 684[6].

144- جمال الدين ابن رواحة

ابو الخير فضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة ابن ابراهيم ابن عبد الله بن رواحة بن عبيد الله بن محمد بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الانصاري الخزرجي الشيخ الاجل الرئيس الاديب الفاضل، اختيار الملوك والسلاطين. اتصل به ابن رشيد بمدينة بلبيس، وأخذ عنه وأجاز له سنة 684 هـ[7] وذكر أنه أملى عليه قوله، وهومن لزوم ما لا يلزم (الوافر).

وارجو ان عجزت عـن الاماني * * امانا عن ذمامك يا إلـــهـــي

فلي ظـــن احـــققه يقينا * * برحمتك التي كل المنى هـــي

---

[1]: نقل ذلك بتصرف
[2]: السنن الابين 151.
[3]: انظر من ورد ذكرهم هذا الاسم في الاصابة لابن حجر 244/3 ت 7153 او 267/3 ت 7274 او 271/3 ت 7295.
[4]: الاصابة 271/3 ت 7295 والتاريخ الكبير للبخاري 145/7 ت 648.
[5]: الاستدعاء9.
[6]: درة الحجال 232/3 ت 1249.
[7]: الاستدعاء 6 وازهار الرياض 353/2.

واسأل منك عونا لـي على ما * * أمرت به وتركي للمنـــاهي

وأخذ ابن رواحة عن أبي القاسم بن رواحة وسمع من سعد الدين الفارقي[1].

ر: ذكر من لقيه بحماحة مصر

145- ناصر الدين المنياوي الحمامي(669- 708هـ)

نصير بن أحمد بن علي المصري المنياوي الحمامي، كان أديبا كيس الأخلاق، يتحرف باكتراء الحمامات وكان ينظـــم الشـــعر ففاق فيه اقرانه مع عاميته، وكان يستجدي به[2].

وقد وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب تاج المفرق للبلوي تلميذ ابن رشيد وذلك في معرض اجازته له في مدينة بجاية[3].

وذكره ابن رشيد في الرحلة بمناسبة ذكر استفتاء جمال الدين الانصاري المربي ابوه المصري الدار وشيخه بمصر، وكان قد انشا بسبب عرض له وامل اعرض عنه فما بلغ منه ما امل. فكتب ذلك الاستفتاء شاكيا حاله لفضلاء الديار المصرية[4]. ومن جملة من صفف جوابا عن هذا الاستفتاء ناصر الدين المنياوي، وقد وقع له في هذه المجاوبة بيت شعر استحسنه كل من سمعه لجودة نظمه وخفاء التعريض فيه وهو :(البسيط)

عين الـــمروءة في انسانها ابـــدا* * نور يرى سر أرباب المروءات[5]

ش: ذكر من لقيهم بالقاهرة

146- ابو العباس الاعلاقي(610- 696 هـ)

زين الدين ابو العباس احمد بن تاج الدين عبد الكريم بن غازي بن احمد بن عبد الله الواسطي، ويعرف بالاعلاقي، وهو الشيخ الاجل، المسند. نائب الحسبة بالقاهرة المعزية، وكان إمام المسجد، لقيه ابن رشيد بها وأجاز له ولِمَنْ ذكر معه في الاستدعاء

---

[1]: درة الحجال 263/3 ت 1312 وذيل العبر 372/15.
[2]: الدرر الكامنة 393/4 ت 1080 وفوات الوفيات 205/4 ت 5151 والرحلة 71/5.
[3]: تاج المفرق 156/1، انظر له بعض شعره هناك.
[4]: انظر نصه في الرحلة 71/5.
[5]: انظر عنه أيضا حسن المحاضرة 569/1.

وكتب خطه بذلك ولم يتمكن السماع منه لشغل عرض له إذذاك، وكان يرغب في العودة إليه غير أنه لم يتمكن من ذلك لعارض السفر. وكتب إلَى ابن رشيد مرة ثانية وثالثة، وكتب له عنه صاحبه ابو عبد الله بن عاصم ومن ذلك بعض الاحاديث التي لها علاقة بمنبر الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

سمع الاعلاقي شرف الدين ابا محمد عبد القادر البغدادي وابن ابي الصقر، وسمع منه جميع موطأ يحيى بن بكير، وسمع سبط السلفي وأكثر سماعة بقراءة ابن عبد العــظيم الــمنذري. وسمع من ابن باقا البغدادي بعض سنن النسائي وسمع عن ابن الحباب (02 وهو ابو الفضل السعدي.

147- جمال الدين ابن الظاهري (626- 696 هـ)

ابو العباس احمد بن محمد بن عيد الله الظاهري، ويعرف أيضا بابن الظاهري نسبة الى الملك الظاهر ملك حلب لا إلى المذهب. وهو الشيخ المحدث الإمام الفاضل، أحد الأجلة الفضلاء دينا وخلقا[2]، والحافظ الزاهد القدوة[3] وكان له رباط يسكن فيه وبه مكتبته التي نقل أكثر كتبها بخطه الجيد، وكان عارفا بالتفسير ونقده على مذهب أهل الرأي.

لقيه ابن رشيد لما ورد على القاهرة وقرأ عليه وسمع ومن ذلك تاريخ اصبهان لأبي نعيم، وأحاديث ابي أبي شريح، وأجاز له ما تجوز له رواياته بشرطه، وكذا لاولاده واخواته ومن ذكر معه في الاستدعاء الكبير ثم لقيه مرة أخرى بعد قفوله من الحج فسمع عليه حديث(الراحمون) وذلك في 10 صفر 685 هـ وغير ذلك من الاحاديث.

وابن الظاهري هذا هو الذي خرج للعز الحراني مشيخته، وكتبها بخطه وأمره أن يسمعها عليه، ولهذا ذهب ابن رشيد إلى الحراني فاستوفى قراءتها.

سمع الظاهري على ابن خطيب المزة سنن ابي داود، ولازم الحافظ ابا الحجاج ابن خليل، وسمع منه تاريخ اصبهان، وسمع ابن اللتي وقرأ عليه مسند الدارمي ومسند عبد بن حميد والمائة الشريحية، وسمع من ابن الجميزي مشيخته والاربعين، وروى عن ابن

---

[1]: الرحلة 71/5.
[2]: الرحلة 97/3 و59/5.
[3] شذرات الذهب 435/5 وفيات 696.

عدلان الموصلي النحوي. واخذ عن محمد بن حسن بن يوسف الفاسي نزيل حلب[1] ومن تلاميذه ابن عاصم ابن رشيد. وله مصنفات مفيدة[2].

148- شهاب الدين ابن سليمان(620- ......)

ابوالبركات وابو العباس احمد بن النصير بن نبا سليمان، وهو شيخ فاضل متواضع، له معرفة بالقراءات.

كان يسمع مع ابن رشيد كتاب الترمذي على شيخهما ابن الخيمي وهناك لقيه وسالة الاجازة فقال له أجزتك في جميع من ذكر معي قي الاستدعاء، ثم كتب له خطه بعد ذلك في استدعاء آخر، ولم يسمع منه، والفى ابن رشيد سماعه بمجلس ابن مطيع على الشيخ الشهور بالحباب وذلك بقراءة شهاب الدين، سنة 644.

ومما أخبر به شهاب الدين حديث(ما منكم من أحد ينجيه عمله...)، وحديث من حج بمال حرام) مشيء من شعر يحيى بن معاذ الرازي الذي يقول فيه:(البسيط)

عانقـــت دنـــياك مسرورا بزينتها * * وقد منعت التقى والزهد والورعا

فكـــيف ينفـع منـك العلم سامعه * * ولا يراك بهذا العلـــــم منتفـــعا

سمع شهاب الدين: ابن رواج وابن الحباب وهو ابو الفضل السعدي المشهور[3]

149- ابوبكرالقسنطيني (607- 695 هـ)

رضي الدين ابو بكر بن عمر بن علي القسنطيني نزيل القاهرة وهو الشيخ الفقيه الصالح الخير المرضي الصوفي الذي كان بصيرا بصناعة العربية ومتحليا بحلى الصوفية، متواضعا وله معرفة تامة باللغة والنحو والفقه والحديث[4]، وقد نشأ بالقدس بفلسطين ثم انتقل الى القاهرة وتصدر للاشتغال مدة، واضر بآخر عمره.

---

[1]: غاية النهارية 106/2.
[2]: انظر عنه : هدية العارفين 101/1، حسن المحاضرة 150/1، دول الإسلام 155/2 وفيات 696. طبقات الحفاظ للسيوطي 512 ت 1155، وتذكرة الحفاظ 1480/4.
[3]: الرحلة 114/3.
[4]: الرحلة 36/3.

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه الجزء المحتوي على المجالس الاربعة من امالي، ابي عبد الله الجرجاني اليزدي، وكان اللقاء في 25 رجب 684هـ.

سمع القسنطسني من ابي علي حسن الاوقي مجالس من امالي ابي عبد الله الجرجاني واجازه ابن عبد المعطي وابن الحاجب، وسمع من ابن المقير، وقرأ كتاب سيبويه على ابي الفضل المرسي، وسمع ابن عوف الزهري. وأخذ عنه ابن حيان ومدحه بقصيدة طويلة[1].

150- صفي الدين المراغي(.....- 685)

ابو الصفاء خليل بن ابي بكر بن محمد بن صديق المراغي، وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه المعمر، والإمام العالم الزاهد الورع مفتي الإسلام بقية السلف الكرام، نائب قاضي الحنابلة بالديار المصرية، وأحد الشيوخ المسندين، قديم السماع[2] لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه الاربعين للقشيري وذلك يوم الاثنين 15 رجب 684 بالمدرسة الصالحية النجمية بإيوان الحنابلة. ومرا عليه في 2 شعبان 684 فوائد منها شعر الاديب فارس بن الحسين[3]، وما انشده ابن الصلاح لنفسه في كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض[4]. وانشده من شعر يحيى بن معين ومنه (الكامل).

المال يَنْفَدُ حله وحَرَامُهُ * * يوما وتبقى في غد آثامه

انشده شيئا من شعر القاضي النعماني[5].

سمع ابو الصفاء من ابي الفتوح ابن عمروك النيسابوري، ومن ابي محمد ابن قدامة المقدسي كتاب التوابين له، وسمع من السخاوي وأجاز له روايته ومن ابي عمرو ابن الصلاح وابي نصر الجيلي، وسمع على ابن الحنبلي واجازه ومن ابن صدقة الحراني الدمشقي وابي الحسن الامدي الشافعي.

---

[1]: انظر عنه بغية الوعاة: 1/70- 71 وشذرات الذهب 434/5 ودرة الحجال 225/1 ت 328 ومعجم اعلام الجزائر 55

[2]: الرحلة 48/3 مكرر.

[3]: انظر دراسة الشعر.

[4]: نفسه.

[5]: وانظر عنه: افادة النصيح 115- 117 والاستدعاء 3 وشذرات الذهب 390/5 وحسن المحاضرة 215/1 وذيل العبر 15 ودرة الحجال 383/1 والنجوم الزاهرة 7/ وفيات 685 وذيل طبقات الحنابلة 316/2 و423 وطبقات القراء 275/1

ومن تلاميذه ابن الظاهري والمزي وابن حبان وهم شيوخ ابن رشيد وكذا ابن منير. ويعد المراغي أحد مصادر ابن رشيد في كتابه افادة النسيج.

151- ابو الوفاء اللخمي

ابو الوفاء بن الفقيه ابي القاسم بن الفقيه ابي العباس اللخمي، وصفه ابن رشيد بصاحبنا الفقيه الفاضل الاوحد[1] وقد جاء ذكره في ترجمة ابن دقيق العيد وذكر كتابه المسمى الإمام، وكان ابن رشيد قد حَكَى لأبي الوفاء قول ابن دقيق العيد:(ما وقفت على كتاب من كتب الحديث وعلومه المتعلقة به سبقت بتآليفه وانتهى إلي الا اودعت منه فائدة في هذا الكتاب، الا ما كان من كتاب التاريخ الكبير للامام ابي عمر الصوفي فإني لم اره.

152- أمُّ الفضل زينب البغدادي(......-713)

زينب ابنة الامام ابي محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وهي الشيخة الصالحة[2] والزاهدة المسندة الرحالة[3].

لقيها ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليها جزءا من حديث ابي اسحاق إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني وذلك يوم الاثنين 29 رجب 684 وأجازت له ولجميع من سمي معه في الاستدعاء، وهذا الجزء مسموع لشيخ ابن رشيد ابي بكر الاتماطي في الخامسة من عمره وذلك في سنة 614 بقراءة أبيه الحافظ أبي الطاهر. روت زينب عن أبيها أبي محمد[4].

153- شهاب الدين الخلاطي(624 - 711)

ابو البركات شعبان بن ابي الطاهر بن عمر الخلاطي الصوفي الشيخ الصالح[5] البركة[6]. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمع عليه واجازه له ولبنيه وقرأ عليه جزءا فيه حكايات عبد الملك بن قريب الاصمعي عن العرب وغيرهم وذلك يوم السبت

---

[1]: الرحلة 62/3.
[2]: الرحلة 80/3.
[3]: درة الحجال 278/1.
[4]: وانظر عنه البداية والنهاية 73/4. وفيات 713 وجامع القرويين 484/2.
[5]: الرحلة 69/3 والاستدعاء 7 ودرة الحجال 318/3 ت 1410.
[6]: شذرات الذهب 26/6 وفيات 711 والدرر الكامنة 189/2 ت 1935.

27 رجب 684 بإيوان مشهد الحسين، ومن ذلك ما ورد في الرحلة بالسند المرفوع الى عبد الملك بن قريب الاصمعي قال:(سمعت أعرابيا يقول: خير من الحياة ما إذا فقدته انقضت الحياة وشر من الممات ماإذا نزل بك أحببت لنزوله الموت) وغير ذلك من الحكايات[1].

سمع الخلاطي من ابن رواج ومن يوسف بن محمود بن الحسين.

154- الفتى الطواشي

الفتى الطواشي صواب الصلاحي السهيلي، وهو شيخ حَسَنُ البزة موقر الجلسة والأمير المحتشم البعيد الصيت[2]. لقيه ابن رشيد بالقاهرة بباب منزله وسمع عليه كتاب التوكل لابن ابي الدنيا، وكتب له خَطَّهُ مجيزا ولبنيه واخواته وسمع عليه حديث:(لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطيرتغدو خماصا وتَرُوحُ بطانا).

سمع صواب الصلاحي من سبط السلفي الحافظ[3]

155- ابن خطيب المزة (598- 687)

شهاب الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن العلم يوسف بن يحيى بن يوسف بن أحمد بن سليم الدمشقي المزي، ويشهر بابن خطيب المزة[4] وابن العلم. وهو الشيخ الاجل والفقيه المسند الفاضل، الدِّين الثقة[5] لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه مشيخته التي انتقاها له صاحبه المحدث سعد الدين مسعود الحارثي وذلك يوم 29 رجب 684. وسمع عليه جميع الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي مسموعة لشيخه المزي، وهي ايضا من عوالي البغداديين. وذكر له ابن رشيد في ترجمته بيانا مطولا للتعريف بسنده وسماعه وسماع شيخه ابن طبرزد، وروى عنه كثيرا من الأحاديث.

سمع المزي سنن ابي داود على الدارقزي ومسند ابن حنبل على ابن سعادة الرصافِي وأجاز له وسمع على ابن طبرزد واجاز له.

---

[1]: انظر عنه ذيل العبر 17 ت 706 وأنس الساري 84 نقلا عن الرحلة.
[2]: الرحلة 66/5.
[3]: ولتلر عنه ذيل العبر 17/ 36 والنجوم الزاهرة 225/8 والدارس 255/2.
[4]: الرحلة 37/3، والمزة موضع بغوطة دمشق.
[5]: الرحلة 36/3 وشذرات الذهب 401/5.

وقد تنافس الناس في سماع كتاب ابن حنبل على المزي هذا وممن سمعه عليه ابن دقيق العيد المشهور، وكان يفتخر بذلك[1].

156- قطب الدين الحلبي (663- 735هـ)

ابو علي عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحلبي المصري وصفه ابن رشيد بصاحبنا[2] الإمام العالم المقرئ المحدث مفيد الديار المصرية الذي كتب العالي والنازل. وهو الذي كتب عن الأخوين ابي محمد وجلال الدين ابني حسن بن ابي محمد ابن القاهري عندما اجازاه ولمن ذكر معه في الاستدعاء الاصغر وبما انه لم ترد له ترجمة خاصة فإنه من المحتمل أن يكون أحد مصادر ابن رشيد في الحديث وما يتصل به لأنه شرح البخاري[3] وعمل تاريخ مصر، وله في غير ذلك فهم وبصر بالرجال ومشاركة حميدة في الفقه والسيرة النبوية.

تلا قطب الدين بالسبع على ابن المليحي وسمع من ابن عماد الحراني وغازي الحلاوي وابن خطيب المزة وابن العماد والفخر بن البخاري وطبقهم.

وروى عنه ابن عمر محمد بن علي العثماني الاندلسي[4].

157- ابو سعد بن سنان

رشيد الدين ابو سعد محمد بن عبد الله بن حسن بن ابي محمد بن عبد الواحد ابن حسن بن سنان المعروف ابوه بابن القاهري. وهو الشيخ الصالح[5]، لقيه ابن رشيد بالقاهرة هو وأخاه جلال الدين ابا موسى عيسى واجازا له ولمن ذكر معه في الاستدعاء الاصغر، وكتب عنهما بذلك صاحب ابن رشيد قطب الدين الحلبي، وروى عنهما بعض الأحاديث.

---

[1]: وانظر بعض أخباره في الاستدعاء 6 ودرة الحجال 109/3 ت 10/46 والنجوم الزاهرة 76/10 وفهرس الفهارس 107/1.

[2]: الرحلة 92/3.

[3]: معجم سركيس 319/1: له كتاب البدر المنير الساري في الكلام على البخاري.

[4]: انظر عن الحلبي وأخباره: فهرست الوادي آشي 56، وطبقات الحفاظ للسيوطي 519 ت 1147 وذيل تذكرة الحفاظ 349 وطبقات الشافعية 406/10 وتاج التراجم في طبقات الحنفية 38 ت 112 وشذرات الذهب 110/6- 111 وذيل العبر 186/17 والدرر الكامنة 398/2- 399 وغاية النهاية 402/1 ودرة الحجال 152/3 والرسالة المستطرفة 198 وحسن المحاضرة 150/1 وتذييل دول الإسلام 187 وفيات 735 وكشف الظنون 301، 404 1013، 1316 والزركلي 177/4.

[5]: الرحلة 92/3.

أجاز للأخوين ابي محمد وابي موسى: الفخر الفارسي، وسمعا من عبد الرحيم ابن الطفيل الاربعين البلدانية، وأجاز لهما. وسمعا من القاضي الاشرف ابن عثمان المخزومي الاربعين البلدانية، وأجاز لهما ابن ابي الصقر وابن باقا.

158- شرف الدين الدمياطي: ابن الجامة (613- 705 هـ)

ابو محمد وابو أحمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن بن شرف أبي الحسن بن موسى التوني(من تونة) المولد الدمياطي المنشأ. وهو استاذ الحديث في المدرسة الظاهرية التي أسسها الظاهر بيبرس. واحد أكابر الشافعية، وهوعمدة النقاد حافظ الوقت العلامة[1] الحجة الفقيه النابه وشيخ المحدثين[2].

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه بعض التراجم التي عرضت له وبعدما يرجح أن يكون أخذ عنه الحديث خاصة وغير ذلك.

أخذ الدمياطي عن جم غفير منهم أحمد بن ابي بكر الاسكندراني وأبونصر بن مميل الشيرازي، واخذ عن ابي عبد الله الحلبي اللغوي.

وأخذ عنه الكثير منهم عبد المهيمن الحضرمي ابو القاسم بن سلمون الكناني وابن عيسى المالقي وابن سيد الناس اليعمري[3].

159- شمس الدين الحنبلي

ابو محمد بن عبد الواحد بن علي بن أحمد بن محمد القرشي الهاشمي الحنبلي، الشيخ الجليل المسن الفقيه الصالح العارف.

قصده ابن رشيد بمنزله بالموضع المعروف بالحكر (او الكافوري) بظاهر القاهرة وذلك في 22 رجب 584، فقرأ عليه وأجاز له ولاولاده واخواته ولكنه لم يستطع الكتب لضعف بصره فأذن له في الكتب، وقرأ عليه جميع الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد بن

---

[1]: الشذرات 12/6.

[2]: طبقات السيوطي512 ت 1134.

[3]: وانظر أخبار الشوف وتراجمه في: افادة النصيج 115 والاستدعاء4 والسنن الابين 65 والعبدري 132 والوادي آشي 97 ومستفاد الرحلة 37 والدرر 417/2 وتاريخ علماء بغداد 120 والبدر الطالع 403/1، وحسن المحاضرة 150/1. الشافعية 10/4 وفوات 409/2 والبداية والنهاية 40/14 ودرة الحجال 169/3 وتذكرة الحفاظ 1477 وطبقات المفسرين 217 والمستطرفة 138 والزركني 318/4 ودول الاسلام 164/2 وتاريخ الجامعات 93 ومعجم المؤلفين 197/6.

حميد، وجميع الموافقات وأخبره بأنه لما كان بالموصل كان على مذهب الإمام الشافعي، ولما جاء إلى الشام واجتمع بشيخه ابن قدامة وأراد الانتقال إلى مذهب أحمد اعلم شيخه بذلك.

سمع ابو محمد الحنبلي مسند عبد بن حميد المسمى بالمنتخب على ابي نصر الجيلي[1].

160- ابواحمد البعلبكي(611-......)

عبد الولي بن بحتر بن حماد البعلبكي. وهو الشيخ الصالح[2] لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه جزءا من حديث ابي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الاصم، ولم يتفق له استيفاء تعليق الجزء لعارض السفر. وقد شك في بعض أسانيد فترك كتبها حتى يكشف أمرها.

سمح البعلبكي أبا المعمر الفزويني.

161- التقي عبيد(....- 692)

تقي الدين ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عباس الاسعدي، ويشهر بالتقي عبيد. وهو الشيخ المحدث والمشار إليه من بين الحفاظ بديار مصر وكان مكثرا من الرواية، وله معرفة بالحديث، وكان حريصا على تخريج اسمعة الشيوخ[3].

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمع عليه وأجاز له ولاولاده، يوم الجمعة 19 رجب 684 وذلك في احواز جامع ابن طولون، وروى عنه مجموعة من الأحاديث، وأخبره بسماعه جزءا من المجالس السلماسية، وكتاب الاعتبار للحازمي وغير ذلك. وقد فات ابن رشيد سماع كتاب الاعتبار عليه فاسف لذلك آسفا شديدا.

سمع التقي على ابن المقير وابن الجميزي وابن الحباب وسبط السلفي، وسمع بالاسكندرية ودمياط ومصر والشام، ومن سماعاته الكفاية لابن الخطيب وأجزاء الثقفي والاعتبار وغيرها.

---

[1]: الرحلة 90/3.
[2]: الرحلة 102/3.
[3]: الرحلة 66/3 والاستدعاء 6.

162- صدر الدين القيسي

ابو يحيى عتيق بن ابي يحيى عتيق بن عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي العامري[1]. وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في ترجمة ابي الفضل التجاني الذي روى له مقطوعة شعرية ومنها:(البسيط)

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر * * عطفاك ان فتكت عيناك لي وزر

ابعـــد ما كـــان ليلي كله سحرا * * صـــيرته بالتجنـــي ماله سحر

قد رق لي في الهـوى كل الانام سوى * * من حـاز رقي فمالي عنه مصطبر

فإن شكوت له يفـــتر مبتـــسما * * عن عشـرة قد حـواها ثغره العطر

طلـــع اقاح صباح جوهـــر برد * * در حـــباب لـــجين بارق زهر

وقد علق ابن رشيد عليها بقوله: وهذه عشر تشبيهات في بيت دون ذكر المشبه به وهو مما يندر.

163- جلال الدين ابن سنان

ابو موسى عيسى بن حسن بن ابي محمد بن عبد الواحد بن حسن بن سنان المعروف ابوه بابن القاهري، وهو الشيخ الصالح. سمع عيسى على ابن الحباب. وكان شافعي المذهب[2].

(انظر ترجمة أخيه ابي محمد ترجمة 157 من هذا البحث)

164- ضياء الدين السبتي(613- 696)

ابو الهدى عيسى بن يحيى بن احمد بن محمد بن مسعود الانصاري السبتي، وهو الشيخ الصوفي والإمام الحافظ المحدث، له كلام على المعاني وهو ممن يستحضر أكثر كتاب الترمذي. لقيه ابن رشيد في القاهرة وأجاز له وكتب له خطه غير مامرة بالإجازة، وقرأ عليه بالمدرسة الظاهرية من القاهرة المعزية وذلك يوم الاثنين 8 رجب 684[3].

---

[1]: الرحلة 33/7.
[2]: الرحلة 92/3.
[3]: الرحلة 95/3.

سمع السبتي الكثير بالاسكندرية ومصر وغيرها على ابن رواج وابن الجميزي وظافر بن شحم وغيرهما من اصحاب السلفي. وسمع من ابن الطفيل الدمشقي والجعبري وابن الحباب وابي الفضل بن عبد المعطي وابن الصابوني والشهرزوري وابن المقير وأصحاب السلفي.

وقد ذكره ابن الزبير الاصغر في مشيخته[1].

165- موفق الدين التلمساني الخراساني(614- ....)

ابو عبد الله محمد بن احمد بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالخراساني التلمساني الدار، وهو الشيخ الصالح الصوفي[2].

لقيه ابن رشيد بالقاهرة وكتب له خطه مجيزا له ولأولاده واخواته، وقرأ عليه بعض الاحاديث، ثم البسه خرقة الصوفية وذلك يوم الجمعة 4 شعبان 684 هـ.

سمع الخراساني من ابن هبة الله الجميزي، والبسه خرقة التصوف وأجاز له[3]، واجاز لابن جابر الوادي آشي.

166- قطب الدين القسطلاني (614- 686هـ)

ابو بكر محمد بن ابي العباس احمد بن ابي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الميمون الميموني القسطلاني[4]، الشيخ المحدث الصوفي والاديب المصنف المفتي المشهور.

لقيه ابن رشيد بعد وروده على القاهرة، وصحبه وسمع عليه واجاز له ولاولاده واخواته وقرأ عليه بالمدرسة الكاملية، وأنشده شعرا لابن العريف وغيره وقرا عليه من كتبه مختصر العقيدة المسماة لسان البيان عن اعتقاد الجبان وذلك في مستهل شعبان 684 والبسه طاقية على رأسه في العشر الأول من شعبان 684. ولِلقسطلاني طرق في ذلك بينها في كتابه ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة.

---

[1]: وانظر عن السبتي أيضا مستفاد الرحلة 88 والوادي آشي 111 وشذرات الذهب (السبتي الشافعي) 436/5 ودرة الحجال 190/3 ت 1175(نقلا عنى الرحلة).

[2]: الرحلة 95/3 والاستدعاء 8.

[3]: وانظر عنه الوادي آشي 83 ومستفاد الرحلة 97 ودرة الحجال 263/2 ت 758.

[4]: الرحلة 107/3و 60/5.

ولما ورد سؤال على القسطلاني أجاب عليه وقرأه على ابن رشيد وكتب له خطه علي ويتعلق ذلك بالدروزة[1]. وانشده شيئا من شعره[2]. ولما لقيه عند الصدور في 7 صفر 685 روى عنه حديث(الراحمون) ومسلسل (أضافنا) وذلك بحضور رفيقه الوزير ابن الحكيم ولاشك في أن ابن رشيد قرأ على القسطلاني الحديث وغير ذلك.

نشا القسطلاني بمكة وصحب العلماء والصلحاء ولقي من الشيوخ الخفيفي الابهرسي، وابا حفص الملقب بِحَمُّورِيَة الشهرزوري وسمع منه عوارف المعارف ولبس منه خرقة الصوفية، وروى عنه ما صنفه، وسمع كتاب الترمذي على ابن البناء وصحيح البخاري على ابي الحسن القطيعي، وصحيح مسلم على ابي عبد الله المرسي ولبس خرقة الصوفية ايضا من جده.

ومن تلاميذه ابو الفتح ابن سيد الناس اليعمري وخلق[3].

167- ابوبكر الانماطي

زين الدين ابو بكر محمد بن ابي الطاهر اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الانصاري، ويشهر بابن الانماطي، وهو الحسيب الاصيل والراوية المسند[4]. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وسمح عليه واجاز له ولبنيه وكتب حظه بذلك وقرأ عليه الثلاثيات المستخرجة من مسند عبد من حميد وذلك ظهر يوم الاثنين 22 رجب 684 وقرأ عليه جميع الجزء الأول من حديث بشر ابن مطير بقراءة صاحبه ابي عبد الله بن سامة الدمشقي. وقرا عليه جزءا من فوائد ابي محمد بن ماسي، واجازه في كتاب الاربعين السباعيات المستخرجة من مسموعات الإمام هبة الرحمان القشيري.

ومن شيوخ ابن الانماطي: ابوه الذي اعتنى به، وابن ملاعب والمؤيد الطوسي وابو اليمن الكندي وابو الفتوح البكري.

---

[1]: الرحلة 112/3 وانظر نص السؤال ومعناه في التصوف بعد.

[2]: الرحلة 107/3.

[3]: انظر عن القسطلاني- درة الحجال 220/1ت 319وط. الشافعية 43/8- 44 وطبقات الشعراني 212 وشذرات الذهب 397/5 وذيل تذكرة الحفاظ 76 ومرآة الجنان 4/وفيات 686 وفوات الوفيات 300/3 ومعجم المؤلفين 299/8 وحسن المحاضرة 236/1 وتاريخ علماء بغداد 173- 175 والرسالة المستطرفة 123 ودول الإسلام 145/2 والنجوم الزاهرة 373/7 وكشف الظنون 47، 62، 470 وهدية العارفين 135/2 والزركلي 219/6.

[4]: الرحلة 31/3 والاستدعاء 7.

ومن سماعاته جزء ابن ديزبل على ابي بكر القرشي والاجزاء الخمسة من الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب على ابي محمد بن قدامة المقدسي وسمع على الحرستاني وغيره.

ومن تلاميذه ابو الفتح اليعمري[1].

168- شرف الدين الدلاصي

ابو عبد الله محمد بن ابي الجود حاتم بن هبة الله بن خلف بن داود الدلاصي المالكي، وهو الشيخ الصالح[2] الخير[3] والعابد الورع الناسك. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه جزءا فيه أحاديث منتقاة من كتاب مسند الإمام الشافعي وذلك بالمدرسة الصالحية يوم السبت 27 رجب 684 ونقل ابن رشيد جميع الجزء من خط منتقيه صاحبه سعد الدين الحارثي، سمع الدلاصي من ابن باقا البغدادي. وقرأ عليه احمد بن ابي بكر الاسكندري[4].

169- ابن دراة القرشي

جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن علي بن جعفر بن درادة القرشي، الشيخ الأجل المتقن الوراقة ورئيس المؤذنين بالجامع الحاكمي[5]. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وناوله كتاب التكملة في وفيات النقلة بخطه وذلك في 23 رجب 684. وقرأ عليه جزءا فيه مجلس من أَمَالي ابي علي محمد بن أحمد بن ميلة وذلك بقراءة صاحبه شمس الدين محمد بن سامة الدمشقي الذي قرأ على جمال الدين ابن درادة. وابن رشيد يسمع عشرة احاديث متوالية من أول الاربعين الزاهرة في الاحاديث النبوية الفاخرة المخرجة من روايات الشيخ ابي الحسن بن المقير تخريج رشيد الدين القرشي ثم أجاز له ابن درادة ولاولاده واخواته وجميع من ذكر معه في الاستدعاء سمع ابن درادة من ابن الجميزي وابن رواج وابن المقير وابن عبد العظيم المنذري، وكان عنده بخطه كتاب أسماء رجال الصحيحين لابي الفضل المقدسي.

---

[1]: وانظر عن الانماطي درة الحجال 6/2 وشذرات الذهب 388/5 وذيل العبر 15 والنجوم الزاهرة وفيات 684 .

[2]: الرحلة 72/3.

[3]: درة الحجال 16/2 ت 455.

[4]: درة الحجال 16/2 ت 455.

[5]: الرحلة 3:/ 100/3.

170- ابو الفتح ابن دقيق العيد(625- 702هـ)

تقي الدين ابوالفتح محمد بن ابي الحسن علي بن وهب القشيري المشهور بابن دقيق العيد. وهو العالم الامام الاوحد المجتهد مفتي الإسلام، ذو النصانيف الجليلة والمباحث الدقيقة، ومدرس المذهبين المالكي والشافعي[1].

لقيه ابن رشيد بالقاهرة عند الورود عليها سنة 684 بالمدرسة الصالحية، واخبره بما حدث به من مسموعاته ومقروءاته واجازاته الكثيرة، ثم أجاز له في تأليفه في علم الحديث الذي سماه: الاقتراح في بيان الاصطلاح وأجاز ايضا لاولاده غير مرة. ثم لقيه مرة ثانية عند الصدور سنة 685، وروى عنه الحديث، وأملى عليه شيئا من الشعر. وفي كلتا ترجمتي ابن دقيق العيد فوائد جليلة في التفسير والفقه والعقيدة، وهي تنم عن شخص صاحب الترجمة الواسع العلم، المتمكن من كثير من الفنون.

ومن شيوخ ابن دقيق العيد ابو الحسن ابن هبة الله اللخمي وابن المقير وابن رواج وابن الحباب وابوالقاسم بن الحاسب وهؤلاء من اصحاب السلفي وأما شيوخه من اصحاب البصيري فمنهم ابن عبد العظيم المنذري وابو الحسين القريشي وابو البقاء النابلسي ولأبي الفتح مصنفات كثيرة وجليلة.

ومن اصحابه ابو زكرياء الدكالي الحافظ الذي قدم فاسا وسبتة وصحبه كثيرا. وكان بينه وبين سعد الدين الحارثي منافرة مشهورة[2].

ومن تلاميذه ابوالفتح اليعمري وابوالطيب السبتي واحمد الاسواني وعبد الله الغرناطي الغافقي وابوالعباس الغبريني وغيرهم كثير[3].

---

[1]: الرحلة 58/3.

[2]: انظر ترجمة الحارثي عدد 174 بعد.

[3]: انظر عن ابن دقيق العيد: العبدري 138 ومستفاد الرحلة 16 والوادي آشي 85 وطبقات المالكية عدد 364 وتذكرة الحفاظ 1481/4 وطبقات الحفاظ 513 ت 1136 وشذرات الذهب 5/6 وذيل العبر 17 وفيات 702 والدرر الكامنة 4/ 210 والبدر الطالع 229/2 وطبقات ابن السبكي 207/9 ومرآة الجنان 4/ وفيات 207 والرسالة المستطرفة 180 والوافي بالوفيات 193/4 ودرة الحجال 15/2 ت 454 وحسن المحاظرة 127/1، 142/2 ودول الإسلام 161/2 والبداية والنهاية 27/4 والطالع السعيد 462 وغاية النهاية 219/2 وانس الساري والسارب 59 وكشف الظنون 125، 1170، 1157 ، 1176 ايضاح المكنون 54 وهدية العارفين140/2 وشجرة النور 189 ت 629 والزركلي 173/7 وفوات الوفيات 442/3. والمجموعة النبهانية 357/4. وجامع كرامات الاولياء 136/1 وجمهرة اولياء واعلام اهل التصوف 253/2.

171- ابوالمعالي الاصبهاني(606- 688)

ابو المكارم ابوالمعالي محمد بن محمود بن محمد بن عباد المعجلي الاصبهاني الشافعي، وهو الإمام الاوحد رئيس النظار المتأخرين وشمس الملة والدين، وناصر السنة وفخر الائمة، كبير المتكلمين وحكم المتناظرين، وإمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات، والقواعد الصوفيات، وكان صاحب التصانيف البديعة والتدقيقات الرقيقة[1].

لقيه ابن رشيد بالقاهرة ونفقته عليه في كتابه المسمى بالقواعد الكلية في خمس من الفنون العلمية: علم اللغة والمنطق والخلاف وأصول الفقه وأصول الدين. وأجاز له ولاولاده وأخواته جميع ما روى. ورأى بعضا من كتابه في الحدود والعلم بالخلاف.

وجرت بين ابن رشيد وابي المعالي مكالمة في مجلسه حول قولهم الحرف ما دل على معنى في غيره...[2]

تخرج الاصبهاني على الاثير الابهري، وله مؤلفات كثيرة ومهمة[3].

172- عماد الدين الصفار المطرز

عماد الدين ابو عبد الله محمد بن مكي بن حامد بن ابي القاسم الاصبهاني الصفار المطرز. وهوشيخ صالح، أمي لا يقرأ ولايكتب، لكن له سماع صحيح[4]. لقيه ابن رشيد بالقاهرة وقرأ عليه وأجازه ولبنيه، ومما قرأه عليه جزء ابي العالي البوسنجي، وقد أورد منه بعض الاحاديث في رحلته.

سمع عماد الدين على ابن روزبة العطار القلانسي الصوفي البغدادي[5].

173- ابن حيان الغرناطي(654- 745هـ)

اثير الدين وبدر الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي الحياني الجياني الاندلسي نزيل القاهرة.

---

[1]: الرحلة 88/3.

[2]: انظر مناقشة النحو في دراسة الرحلة.

[3]: انظر عنه النجوم الزاهرة 7/وفيات 688 ومرآة الجنان 4/ وفيات 688 وشذرات الذهب 406/5 وفيات 688 وهدية العارفين 126 ولاحظ كيف صحح ابن رشيد اسم كتاب القواعد السالف ذكره.

[4]: الرحلة 77/3 والاستدعاء5.

[5]: وانظر عنه درة الحجال 14/2 ت 451 نقلا عن الرحلة، والنجوم الزاهرة 369/7.

وصفه ابن رشيد بصاحبه الاديب النحوي والمتفنن المحدث[1].

لقيه بالقاهرة وتجدد اللقاء به، وكان يستفيد من علمه الواسع، ويمده بكثير من الروايات المفيدة في جميع الفنون، ويأخذ عنه الاحاديث والاشعار والأخبار التاريخية، وينقل من خطه، ولهذا يعد ابن حبان من أهم مصادر الرحلة ومما روى عنه شعره وما أنشده وكتبه بخطه، ومن ذلك ما انشده ابو المعالي زماخ الحمداني المِهْنمِنْدَار لنفسه بالقاهرة:(الوافر)

فلا تعجب لحسن المدح مني * * صفاتك أظهرت حكم البوادي

وقد تبدي لك المرآة شخصا * * ويسمعك الصدى ما قد تنادي[2]

روى ابن حيان عن ابي الحسين بن ابي الربيع وابي جعفر اللبلي، وابي الحسن حازم القرطاجني، وشيوخه لا يحصون عدا.

واما تلاميذه فكثير. وقد عمر فالحق الاجداد بالاحفاد. وله مؤلفات عديدة ومشهورة[3].

174- سعد الدين الحارثي(652- 711هـ)

مسعود بن احمد بن مسعود بن زيد الحارثي العراقي ثم المصري كان الحارثي معتنيا بالحديث، طلب بنفسه وكتب الكثير، وسمع العالي والنازل فاتسعت معارف، وولى مشيخة دار الحديث بدمشق ثم تركها ورجع إلى مصر ثم ولي القضاء سنة 709 وكانت له يد طولى في الصناعة والاسانيد والمتون.

---

[1]: الرحلة 75/5.

[2]: فوات الوفيات 350/4ورحلة العياشي 440/2 نقلا من الرحلة.

[3]: انظر أخبار أبي حيان في: مستفاد الرحلة 142- 143 ونفح الطيب 289/3- 314- 468 والدرر الكامنة 302/4 ت 832 والوادي آشي 54 وذيل تذكرة الحفاظ23 وفوات الوفيات 282/2 ونكت الهميان 280 وفهرس الفهارس 208/1 والنجوم الزاهرة 111/10 وبغية الوعاة 280/1 وشذرات الذهب 145/6 والرسالة المستطرفة 101 ودرة الحجال 2/ 122 ت 573 وطبقات السيوطي 538 وفهرس الرصاع 76 والفوائد البهية 125 وكتاب ابو حيان النحوي للدكتورة خديجة الحديثي. وفهرس مخطوطات جانع الفرويين 224/2 وكشف الظنون 61، 153، 1152، 1028- 1864، 1818 1958، 1986، وايضاح المكنون 101/1، 122، 583 ،605 وهدية العارفين 152/1 وأدب الفقهاء 71 والزركلي 8/ 26 ومن اهم مؤلفاته المطبوعة البحر المحيط(تفسير).

لما انتقى الحارثي جميع مشيخة ابن خطيب المزة قراها ابن رشيد عليه يوم الاثنين 29 رجب 684، ولما خرج مشيخة صفي الدين المراغي قراها عليه ابن رشيد وعلق منها ما تيسر وذلك في رجب 684[1].

ويعد الحارثي مصدرا من مصادر معارف الرحلة.

سمع الحارثي الحديث من الشيوخ الجلة كالرضى بن البرهان والنجيب وطبقتمها وسمع بدمشق من الجمال ابن الصيرفي. ومن مصنفاته شرح سنن ابي داوود في الحديث وشرح المقنع لابن قدامة في الفروع. وكان ابن دقيق العيد يغضُّ من الحارثي لقوله بالجهة، ويقال أن الحارثي هذا هو الذي اعد مسودة كتاب الإمام لابن دقيق العيد بعد أن كان اكمله[2].

ت: ذكـــر من لقيـــهم بمصر

175- ابوبكر المنذري (647- 751هـ)

ابوبكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف بن أحمد بن داود بن حميد المنذري كمال الدين بن الصباح المصري[3].

ورد في بعض التراجم أن ابن رشيد روى عن زكي الدين عبد العظيم المنذري، وذلك لا يجوز لكون المنذري هذا توفي سنة 656 هـ أي قبل مولد ابن رشيد بعام واحد[4]. وبهذا يرجح أن يكون المنذري الذي روى عنه ابن رشيد هو ابا بكر بن يوسف المنذري المصري.

روى ابو بكر عن ابيه وسمع من لاحق بن عبد المنعهم الارتاحي قطعة من دلائل النبوة، فكان آخر من حدث عنه مطلقا. وسمع من العز بين ايبك الدمياطي.

---

[1]: الحارثية من قرى بغداد.

[2]: انظر بعض اخباره في البدر الطالع 302/2 ت 547 وذيل طبقات الحنابلة 362/2 وتذكرة الحفاظ 515 ت 1143 ودرة الحجال 11/3 والبداية والنهاية 63/4 الدرر الكامنة 347/4 وشذرات الــذهب 26/6 والنهاية 63/4 الدرر الكامنة 347/4 وشذرات الذهب 26/6 ومرآة الجنان 4/وفيات 711 وحســن المحاضرة 150/1 ودول الإسلام 163/2 وكشف الظنون 28/2 وهدية العارفين 429/2 ومعجم المؤلفين 225/12 والزركلي 109/8.

[3]: الدرر الكامنة 469/1 ت 1263.

[4]: وانظر عنه سلوة الانفاس 191/2 والمراكشي 251/8 ودرة الحجال 524/4 وشجرة النور 216 ت 760.

176- ابوبكر العسقلاني الرزاز

نجم الدين ابوبكر ثابت بن علي بن عبد القوي بن القاسم العسقلاني الرزاز. وصفه ابن رشيد بالشيخ الصالح[1]. وقد لقيه بمصر يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ وقرأ عليه جزءا فيه أحاديث عوال خماسيات الاسناذ بتخريج ابي جعفر يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الله المكي، ثم أجاز له ولبنيه وأخواته وكتب عنه بذلك صاحب ابن رشيد ابو عبد الله بن عاصم الرندي. ومما أخبره به أيضا سند رواية النابغة الجعدي للنبي صلى الله عليه وسلم قوله(الطويل).

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا[2]

وملخص ذلك السند:(ابن رشيد- العسقلاني الرزاز- ابو الحسن بن المغير البغدادي – حاضر بن محمد بن حاضر سنة 640- المبارك بن الحسن الشهرزوري- أبوالحسين احمد البزاز- ابو الحسين محمد الدقاق- عبد الله بن محمد البغوي- داوود بن رشيد- يعلى بن الاشدق- النابغة الجعدي - النبي صلى الله عليه وسلم.

177- الاسعردي الحرار الشَّرَارِيبِيّ

ابو يونس، وابومحمد ذو النون بن عمر بن عباس القرشي، ويعرف بالحرار الشَّرَارِيبِيّ[3]، وهو شيخ من العامة لكن له سماع صحيح.

ويقول ابن رشيد: إن الناس رغبوا في الأخذ عنه لغرابة اسمه[4]، وتعد هذه من الالتفاتات النادرة في هذا الموضوع. لقيه بمصر وقرأ عليه بدكانه بجوفي المسجد الجامع المنسوب لعمرو بن العاص وذلك بعد عصر يوم الجمعة 17 رجب 684، بعض الأحاديث كحديث: الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه، وغيره. وكانت تلك الاحاديث قدكتبت في جزء لطيف كان عنده يقدمه للوافدين عليه.

سمع الاسعردي جزء الانصاري على الحافظ ابي الحسين يحيى القرشي، وسمع الجزء الاول من كتاب الناسخ والمنسوخ للحازمي على عبد الله الدمياطي وأخيه الحسين.

---

[1]: الرحلة 84/3.

[2]: الاغاني 8/5 والجمهرة للقرشي 33/1 والشعر والشعراء 208/1

[3]: الرحلة 86/3.

[4]: الرحلة 86/3- 87.

178- ابو الفضل الدميري (603- 695)

محيي الدين ابوالفضل عبد الرحيم بن ابي البركات عبد المنعم بن خلف الدميري. وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام الصدر العدل الرئيس المقرئ الجليل قارئ المصحف المنسوب لعثمان رضي الله عنه بفسطاط مصر وهناك لقيه وسمع عليه وأجاز له ولاولاده[1]. ومما سمع عليه جزء ابي الفتح المقدسي الفقيه، وفيه كتاب عمر بن الخطاب حين صالح نصارى أهل الشام، وقد أورده ابن رشيد بنصه. وقرئ على ابي الفضل بعض الاحاديث وهويسمع. وأخبره ببعض ذلك كتابة، وكتب له عنه صاحبه محمد ابن عاصم.

سمع الدميري من الحافظ ابي الحسن المقدسي حاكم الاسكندرية، ومن سماعه عليه الجزء الذي فيه الأحاديث التي ذكر فيها الصوت. وسمع الفخر الفارسي وأكثر عنه ولبس منه خرقة التصوف. ولبسها أيضا من شهاب الدين السهروري، وسمع ابا الحسن ابي بنت الجميزي وغيرهم.

179- ابومحمد ابن اللخمي: السكان

زين الدين ابو محمد عبد الرزاق بن عماد الدين إبراهيم بن ابي الفضائل هبه الله بن سلامة بن المسلم اللخمي الشافعي السكان المعروف بابن اللخمي. وهو الشيخ الصالح[2].

لقيه ابن رشيد بمصر مع صاحبه المحدث ابي عبد الله بن عاصم واجاز له لفظا ولكن لايشك في السماع منه.

وممن كتب له عنه أيضا صاحب ابن رشيد نجم الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الحميد وذلك في يوم 27 محرم 685.

سمع ابن اللخمي من عمه بهاء الدين وابن الصابوني الاربعين البلدانية للسلفي.

---

[1]: الرحلة 103/3.

[2]: الرحلة 70/5.

180- عز الدين الحراني (595- 686)

ابو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله الحراني، هو الشيخ المحدث المعمر والثقة الفاضل رحلة الوقت[1] لقيه ابن رشيد بمصر وقرأ عليه المشيخة التي خرجها له جمال الدين ابن الظاهري، ومجموعة من الاحاديث. وقرأ عليه صدرا من كتاب البخاري من بدء الوحي وكتاب الامان ومعهما كتاب العلم. ومما قرأه عليه أيضا شيء من شعر أبي نواس في الزهد، وشعر ابي العتاهية في وعظ الرشيد وغير ذلك.

وتعد ترجمة العز الحراثي من التراجم المهمة، إذ خصه بأزيد من ثلاث وعشرين صفحة[2]، وفيها مناقشات مفيدة في الحديث وما يتصل به من علو التنزيل وغير ذلك.

وقد انفرد الحراني بإجازة حماد بن هبة الله الحراني وابي الفرج بن كليب، وتفرد في الديار المصرية بسماعات قاضي المارستان ابن عبد الباقي ومشيخة ابن حسنون وغيرهما. ومن سماعاته صحيح البخاري على الخازن المعروف بابن البيع، واجاز له الحافظ ابن الجوزي، واجلسه في حجره، وممن اجازه ايضا ابن ملاعب والزبيدي والعاقولي المؤيد الطوسي وابن طبرزد وابو اليمن الكندي وغيرهم كثير.

رحل الناس إلى العز وتزاحموا في السماع عليه، فقد سمع عليه من شيوخ ابن رشيد: ابن دقيق العيد والحافظ التاريخي القاسم البرزلي وشرف الدين الجزائري وابوجعفر ابن الزبير.

181- ابو محمد عبد الكريم الانصاري

عبد الكريم بن علي بن محمد الانصاري الشافعي. وهو الإمام العلامة المُتَبَرِّز وإمام ائمة البيان، ويدعى آخر المتصدرين المشهورين بالديار المصرية[3].لقيه ابن رشيد بمصر جامع عمرو بن العاص. ولما عرفه بعض الادباء مكان ابن رشيد بالغ في البر

---

[1]: الرحلة 114/3.

[2]: الرحلة 119/2. وانظر عن الحراني ايضا الاستدعاء 3 وتاريخ علماء بغداد 94- 108 وتالي كتاب وفيات الاعيان ت 171 ص113 وشذرات الذهب 396/5 ودول الإسلام 145/2 وفيات 686 والنجوم الزاهرة 361/7 والبداية والنهاية وفيات 686 وتذكرة الحفاظ 97 ودرة الحجال 201/4(ترجمة ابن رشيد) وكذلك في أزهار الرياض 347/2، وشجرة النور 216 وافادة النصيح 120.

[3]: الرحلة 66/5، 67 وانظر التفسير.

والاعتناء به، وساله ان ينشده شيئا من نظمه، فقال له ليس من الادب أن أنشدك شيئا خاطبت به غيرك، وسيرد عليك مني ما يخصك. فاعجل السفر ولم يقدر له لقاؤه.

وقد حكي الانصاري لابن رشيد ما جرى بينه وبين العلم اللورقي من مكالمة في اعراب قوله تعالى (ولا ينبيئك مثل خبير)[1].

182- ابو البدر بن ابي الزين(602- 689)

نور الدين ابو البدر عبد الله بن ابي الزين الكاتب المصري. وصفه ابن رشيد بالشيخ الاجل. لقيه بمصر وقرأ عليه جميع الأحاديث التي قيدها في اسم شيخه الإمام بهاء الدين النحاس، وهي مستخرجة من مسند عبد بن حميد، وذلك بجامع عمرو بن العاص من فسطاط مصر في 26 رجب 684 هـ، ثم أجاز له جميع ما رواه ولاولاده. وقدوردت في ترجمته بعض المناقشات في الجرح والتعديل وغيرذلك.

سمع ابن ابي الزين مسند عبد حميد علي ابن الليثي بدار الحديث الاشرفية يدمشق عام 634 هـ[2].

183- ابوالحسن بن ابي الكَوْم(613- 710)

بهاء الدين ابو الحسن علي بن ضياء الدين ابي الفرج عيسى بن سليمان بن رمضان بن ابي الكَوْم التعلبي الشافعي[3].

وهو الشيخ القاضي الصدر الرئيس صاحب ديوان الاحباس بالديار المصرية، وكان من عرف به ابن رشيد صاحبه نجم الدين محمد بن عبد الحميد القرشي ومحمد بن عاصم الرندي، وقد لقيه بمصر وسمع عليه بعض الاحاديث واجازه ولاولاده واخواته، وكتب خطه بذلك في 12 رجب 684 هـ.

ومما سمع عليه حديث الجمعة واجبه، وقول ابي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم : إني اسمع عنك حديثا كثيرا ثم انساه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ابسط

---

[1]: نفسه.
[2]: الرحلة 101/3.
[3]: انظر دراسة الحديث بعد دراسة وتاريخ علماء بغداد 72 والاستدعاء 7.

رداءك... الحديث. سمع الثعلبي من والده كتاب الصحيح للبخاري، وسمع من سبط السلفي، وحدث عن الفخر الفارسي وابن باقا البغدادي وغيرهما[1].

184- غازي الحلاوي(695- 690)

ابومحمد وابو المحامد غازي الحلاوي بن ابي الفضل بين عبد الوهاب الدمشقي. وهو الشيخ المعمر الذي انتهى إليه علم الاسناد بمصر[2].

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في بعض الكتب التي ترجمت له وقد لقيه يوم 12 شعبان 684 هـ بمصر وسمع عليه بها الحديث ثم أجاز له وكتب عنه بذلك علي بن محمد بن علي بن بركات الانصاري المقرئ وذلك بحرم الخليل.

سمع الحلاوي على ابي حفص بن طبرزد وابي علي حنبل وأجازا له وكان الحلاوي صاحب الامين زكي الدين بيسبرس بن التركماني.

185- بهاء الدين بن النحاس(627- 698)

ابوعبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن ابي نصر الحلبي المشهور بابن النحاس. وصفه ابن رشيد بأحد أعلام علماء الديار المصرية في العربية والأدب والخلاف. له نظم رائق ونثر فائق وكرم ذات وفضل أدوات ومروءة ظاهرة ورواء وبهاء[3]، وهو العالم العلامة حجة العرب[4]، والمدرس بمدرسة الريحانية بدمشق.

لما وافى ابن رشيد مدينة مصر استصحب معه إلى مسجدها الاعظم أحد الفقراء السفارة يدله الطريق فبينا هو أثر صلاة العصر يتطوف في المسجد الجامع رأى فيه حلقاً بعضها لاقراء القرآن وبعضها للعلم فقال له ذلك الفقير: ادن من هذه الحلقة فإني أرى أهلها ذوي احتشام فدنا ابن رشيد منها فرأى الطلبة قد أحدقوا بهذا الإمام فسلم ودخل الحلقة وجلس وهو لا يعرف الشيخ، وكان هذا يتكلم في علم العربية فأخذ ابن رشيد

---

[1]: الرحلة 85/3 وانظر عنه ايضا الدرر الكامنة 91/3 وشذرات الذهب 23/6 وحسن المحاضرة 183/1، 388 وذيل العبر 56/17 ودرة الحجال 213/3 ت 1222 ودول الاسلام 197/2(ابن القيم).

[2]: الاستدعاء 9 درة الحجال 290/4 ت 1308 وشذرات الذهب 417/5 وذيل العبر 15 وفيات 690 ودول الإسلام 149/2.

[3]: الرحلة 23/3.

[4]: فوات الوفيات 294 وشذرات الذهب 442/5 وفيات 698.

وانظر خلق ابن رشيد ومزاحه ص: 70 من هذا البحث، وانظر مناقشة النحو في دراسة الرحلة بعد، وكذا ترجمة ابي الحسين بن ابي الربيع ص: 250 من هذا البحث. وانظر أيضا فهرست التجيبي ص: 103.

معهم بطرف مما كانوا يتكلمون فيه، فساله الشيخ: من أين قدومك. فأجابه ابن رشيد ان قدومه من جو المغرب، (يعني من داخل المغرب أو المغرب الأقصى باللهجة المصرية) فكان أول ما فاتحه به قوله: أيعيش سيدنا ابو الحسين بن ابي الربيع؟.. عرض ابن النحاس جميع كتبه على ابن رشيد أو أكثرها كتابا كتابا حتى مل، وقال له: حكمك فيها ماض، وهي مباحة لك.

وقرأ عليه بمنزله قطعة انتقاها في جزء من الثلاثيات والموافقات، وذلك في يوم الخميس 25 رجب 684هـ.

وانبأه بجميع كتاب سيبويه في ذلك اليوم. وبعد ذلك أنشده شعره ونثره[1].

سمع ابن النحاس على ابن اللّتي، وقرأ كتاب سيبويه على علم الدين اللورقي[2] وسمع من أصحاب السلفي وقرأ كذلك مسند الدار مي ومسند عبد بن حميد على ابن اللّتي وغير ذلك.

ومن تلاميذه ابوالفتح ابن سيد الناس اليعمري وإبراهيم الاسنوي وإبراهيم بن عبد الله الحكري. وله مؤلفات مفيدة.

186- جمال الدين الوطواط (632- 718)

ابو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الانصاري المربي، من أهل المرية ابوه، المصري الدار والمعروف بالوطواط الكتبي. وهو الاديب الفاضل والكاتب البارع الحافل[3] والماهر العارف بالكتب[4].

لقيه ابن رشيد بمصر وكتب عن بعض رسائله ومن ذلك استفناء كان أنشأه بسبب عرض له وامل اعرض عنه فما بلغ منه ما امله فخاطب به بعض الفضلاء شاكيا له حاله وشارحا له ما الح عليه من اقلاله، فلم يواسه بشيء من ماله فكتب ذلك الاستفناء، وهومما سمعه عليه بقراءة رفيقه ابن الحكيم.

---

[1]: انظر شعره في فوات الوفيات.
[2]: انظر عنه ايضا مستفاد الرحلة 22 وذيل العبر 399/15 وتاريخ علماء بغداد 37 ودرة الحجال 261/2 والوادي آشي وغاية القدامة 43/2 والدارس(المدرسة 105) ودول الإسلام 159/2 وهدية العارفين 139/2 ومعجم المؤلفين 219/8 وبروكلمان 297/5 وبغية الوعاة 13/1- 14. والمجموعة النبهانية 609/1.
[3]: الرحلة 70/5.
[4]: الدرر الكامنة 298/3 ت 799.

وأول ذلك الاستفتاء: (ما يقول السادة الامجاد والقادة الانجاد كنوز المفاخر ومعادن المآثر.....في متعفف متكفف......لا تمتد إليه راحة براحة ولا يجد من المواساة ما يأسو به جراحه....) ويقول في آخره:

(افتوا بمقتضى الفتوة ومُرُوا بمرتضى المروة، مفصلين محسنين على ممر الاعمار والسنين.)

وقد كتب في الجواب عن هذا الاستفتاء عدد كبير من فضلاء المصريين وادبائهم وعلمائهم، واراد ابن اللخمي جمعها في كتاب يضم نشرها، ومن بين الذين كتبوا فيه الوزير ابن الحكيم وناصر الدين المنياوي.

وللوطواط تآليف واشعار ورسائل، ومن ذلك ترسيل سمعه عليه ابن الحكيم وكان قد أنشأه بهراه، ومنها مناهج الفكر ومباهج العبر في عدد فنون المعرفة الطبيعية الفلك والجغرافية والنبات والحيوان والطبيعيات والكيمياء ويمتزج في فصوله العلم بالأدب. وله غير ذلك[1].

187- تقي الدين ابن الصائغ المصري

(636- 725)

ابو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي المصري المشهر بابن الصائغ[2].

وهو شيخ القراء الماهر والفقيه المشارك، والخطيب المشهور بفن الاقراء، وشيخ المتصدرين بمصر، وله الرحلة في الافطار للقراءة والبحث عن علو الاسناد والدراية.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في بعض المراجع التي عرضت لترجمته كالدرر الكامنة والاعلام للمراكشي وازهار الرياض. ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث والقراءة وما يتصل بهما.

---

[1]: انظر عنه هدية العارفين 143/2 والوافي بالوفيات 16/2- 18 والزركلي 187/6.

[2]: انظر عن ابن الصائغ: الدرر الكامنة 320/3 ت 862 ودرة الحجال 254/2 ت 739 وشذرات الذهب 69/6 وفيات 725 ودول الإسلام 171/2 ومعجم المؤلفين 273/8.

أخذ ابن الصائغ عن كمال الدين بن فارس الدمشقي وابي الحسن بن سالم القرشي والنجيب الحراني والحافظ ابي الحسن العطار.

اجاز ابن الصائغ لابن جابر وابن حيان.

188- ابو عبد الله القسطلاني(642- .....)

تقي الدين ابو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن أحمد القسطلاني، وهو الخطيب الفاضل، خطيب جامع عمرو بن العاص، كهل حسن[1] لقيه ابن رشيد بمصر وسمع عليه قطعة من الجزء الثاني من فوائد ابي الحسين ابن بشران، وناوله جميع الجزء، وأجاز له ولبنيه واخواته.

سمع القسطلاني من سبط السلفي وهو ابو القاسم عبد الرحمان بن ابي الحزم مكي بن الحاسب وذلك سنة 651[2].

189- ابن عاصم الرندي

ابو عبد الله محمد بن عاصم الرندي، وهو صاحب ابن رشيد ورفيقه بمصر والقاهرة، واحد مصادره المهمة في كثير من الروايات، وبعض التحقيق، إذ كان يورد اسمه من حين لآخر وينقل من خطه.

ولهذا كان ابن رشيد يصفه بصاحبه المحدث الفاضل، ويظهر ذلك من خلال دراسة بعض التراجم الواردة في الرحلة، فعندما اتصل ابن رشيد بابن اللخمي المعروف بالسكان لقيه مع صاحبه هذا[3]. وعندما لقي ابا صادق القرشي ووقف على الجزء الأول من الفوائد المخرجة من الأصول عن شيوخ القاضي أبي الحسين بن المهندي، وقف ابن رشيد 4على الأول منهما بخط أبي صادق وسماعه فيه مثبت، وعلى الجزء الثاني بخط صاحبه ابن عاصم[4]. وعندما لقي ابن رشيد ابن ابي الكوم الثعلبي حقق له اسمه وضبطه[5]، وعندما لقي العز الحراني وكتب عنه حديث: ما منكم من احد ينجيه عمله...

---

[1]: الرحلة 83/3.
[2]: درة الحجال 16/2 ت 456.
[3]: الرحلة 70/5.
[4]: الرحلة 74/3.
[5]: الرحلة 85/3.

الحديث؛ كتب عنه ابن عاصم[1]. وعندما قرأ ابن رشيد على الضياء السبتي بعض الحديث كان ابن عاصم حاضرا معه وقال أنه نقل ذلك من امالي ابن ميلة[2]. وعندما لقي ابا العباس الاعلاقي كتب عنه ما استفاد منه[3] وعندما لقي التقي عبيد وقرأ عليه سماعات ابي عبد الله الثقفي رئيس اصبهان، كان على النسخة خط ابن عاصم[4].

ويظهر من خلال هذه الاشارات أن ابن عاصم كان محدثا وحافظا ومفيدا ومقيدا، ومن شيوخ الرُّنْدي محيي الدين بن خلف الدميري شيخ ابن رشيد.

190- شرف الدين بن عقيل(608-.....)

ابو عبد الله محمد بن الرشيد عبد الحكم بن الحسن بن عقيل بن شرف السعدي الشافعي. وهو الشيخ الراوية الحسيب الاصيل الشيخ الحسن.

لما وافى ابن رشيد مصر ليلة الأحد 7 رجب 684 بعد مغيب الشفق، كان أول من لقي ابن عقيل هذا، وساله الاجازة فاجاز له لفظا ثم كتب له خطبه بعد ذلك غير مرة. وأخبره بقراءته عليه بالمسجد الأعظم (مسجد عمرو بن العاص) بقصة الشافعي ورؤيته باليمن امرأة من وسطها إلى اعلى بدنان مفترقان بأربع أياد وراسين ووجهين، ومن وسطها إلى اسفل بدن امرأة. وقد سمع ابن عقيل من جده الجزء الثاني والثالث من الخلعيات وسمع من الشيخ ابي العباس احمد بن تامتيت اللواتي وأجاز له ومن عبد العظيم المنذري والرشيد العطار ومن ابن الجميزي الاجزاء المعروفة بالفوائد المدنية وهي من تخريج ابن مسدي[5].

191- نجم الدين ابن عبد الحميد

محمد بن عبد الحميد، وصفه ابن رشيد بصاحبنا المحدث، ولكن اسمه كان يرد عرضا بصدد ذكر بعض الروايات فحسب.

---

[1]: الرحلة114/3
[2]: الرحلة96/3
[3]: الرحلة93/3
[4]: الرحلة 67/3.
[5]: الرحلة 21/3 ودرة الحجال 15/2 ت 453.

كان نجم الدين هذا أحد مصادره في بعض معارف الرحلة، إذ لما زار ابن رشيد شيخه ابن اللخمي لقيه برفقة صاحبه ابن عاصم الرندي ورفيقه ابن عبد الحميد[1]. وكذا الشأن في ضبط اسم الشيخ ابي الكوم الثعبي، فإن ابن رشيد أخذ تحقيقه عن ابن الحميد[2]. ومعنى هذا انه أن كان يستفيد منه في الرواية والضبط ويحضر معه حلقات العلماء.

192- ابن سامة الطائي(662- 708)

شمس الدين محمد بن عبد الرحمان بن سامة(بالسين المهملة) بن كوكب الطائي السرادي الحنبلي الحكمي، كان فصيحا متعبدا كيسا جيد المعرفة حافظا زاهدا ضابطا متقنا.

كان ابن رشيد يصفه صاحبنا[3]، وقد جاء ذلك في معرض ذكر بعض الأخبار التي كان يفيده بها أوينقلها عنه، وهو أحد مصادر معارفه في الرحلة كذلك.

رحل ابن سامة إلى مصر سنة 683 هـ وسمع بها على عز الدين عبد العزيز الحراني وابن خطيب المزة وغيرهما، وأخذ بالاسكندرية على ابن طرحان وجماعة، وببغداد من ابن الطبال، وأخذ عن شيوخ اصبهان والبصرة وحلب وواسط وكان ابن سامة مشهورا بالحديث بالديار المصرية[4].

وقد استفاد ابن رشيد كثيرا منه بسبب حسن اطلاعه وطول رحلته في الاقطار.

193- ابن الخيمي(602- 685)

ابو عبد الله محمد بن ابي محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد اليماني الانصاري، ويشهر بابن الخيمي. وهو الاديب البارع والإمام العالم الصوفي الفاضل المعمر الحسن السمت والصمت، وصدر أدباء المصريين في عصره[5].

لقيه ابن رشيد بمصر القاهرة بإيوان مشهد الحسين وسمع عليه ما يتصل بالأدب والحديث وأجاز له اجازة عامة ثم أجاز لبنيه كذلك.

---

[1]: الرحلة 70/5.
[2]: الرحلة 85/5.
[3]: الرحلة 44/3، 37، 100.
[4]: وانظر بعض أخبار ابن سامة في ذيل العبر 97. 43/17 وذيل طبقات الحنابلة 472/2 ومرآة الجنان 4/وفيات 708
[5]: الرحلة 87/3.

ولما كان لابن الخيمي أشعار عذبة المطالع حلوة المقاطع، فقد سمع ابن رشيد منه اشعاره وأخبارا أدبية، ومن ذلك بائيته المشهورة التي أولها :(البسيط)

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * * إليك آل التقصي وانتهى الطلب

ومنها هذا البيت الذي سار مثلا في افواه المصريين:

يا بارقا باعلى الرقمتين بـدا * * لقد حكيـت ولكن فاتك الشنب

وهي القصيدة التي وقعت فيها محاكمة طريفة بين ابن الخيمي والنجم الاسرائيلي وكان القاضي فيها الشاعر ابن الفارض، وقد أوردها ابن رشيد مع شيء من النقد والتحليل، وذكر مسائل بلاغية كالتحيل في التخيل والوصف المشترك والتكذيب والتخلص من إقامة الحجة وغير ذلك[1].

وقد سمع ابن رشيد عليه جميع ثلاثيات الإمام البخاري وذلك بقراءة صاحبه ابي عبد الله ابن سَامَةَ الطائي.

سمع ابن الخيمي جامع الترمذي على ابي الحسن بن البناء، وسمع منه الحديث الثلاثي، وليس في الجامع حديث ثلاثي غيره. وأجاز له منصور الفراوي جميع رواياته[2].

194- الشريف الكركي (.... - 688 هـ)

شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن موسى بن عبد العزيز بن محمد... ويرفع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعرف بالشريف الكركي، ولد بفاس ونشأ بها ثم رحل الى المشرق.

لقيه ابن رشيد بالمدرسة الطيبريسية مع صاحبه ابن الحكيم وجرت بينهما مباحثة في مسألة تحقيق الكسب[3]، وسمع عليه من تاليفه شرح المرشدة المسمى باللمحة المشردة في شرح المرشدة وذلك في آواخر سنة 685 هـ ثم أجاز له ولاولاده في استدعاءين. ومما رواه عنه حديث النهي عن ثمن الكلب وحديث لا تبيعوا الذهب بالذهب.

---

[1]: انظر القصيدة في فوات الوعيات 413/3 والنجوم الزاهرة 339/7 والكشكول لبهاء الدين العاملي 109/2 والأدبيات في دراسة الرحلة.

[2]: وانظر عنه شذرات الذهب 393/5 وحسن المحاضرة 244/1 وذيل العبر 15 والوافي 50/4 درة الحجال 6/2 وبروكلمان 80/5.

[3]: الرحلة 68/5.

وللشريف الكركي يسير نظم أودع بعضه في شرح المرشدة[1].

وقد اورد ابن رشيد نص تلك المرشدة واوله:

(بسم الله الرحمان الرحيم. صلى الله عليه وسلم اعلم أرشدنا الله واياك أنه واجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي...).

تفقه الشريف قبل رحلته على ابي محمد صالح بمدينة فاس، وبمصر على عز الدين ابن عبد السلام، وأقام منصرفه من الحجاز بالكرك من أعمال الشام حتى صارت شهرته بمصر بالكركي، وكان يلقي الدروس في العربية واللغة والاصلين وعلم الحساب وغير ذلك.

وروى عن ابي الفضل المرسي صحيح مسلم والموطأ عن المقدسي وكذا اختصار الرعاية للمحاسبي، وجامع الأصول في حديث الرسول لابن الأثير ورسالة التصوف عن المراغي[2].

195- ابوصادق القرشي

جمال الدين ابو صادق محمد بن ابي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي، وهو الشيخ الحدث والمسند الصدوق[3].

لقيه ابن رشيد بمصر بعد قفوله من الحج، وسمع عليه بقراءة صاحبه المحدث ابي عبد الله ابن عاصم الرندي.

ومِمَّا روى عنه:جميع الاربعين من تخريج ابي صادق لنفسه. ومما نبه عليه ابن رشيد استعمال ابي صادق في احاديث رواياته النوع المسمى من التدليس بتدليس التحميل، وقد أكثر منه المتأخرون، وكان الخطيب البغدادي يكثر منه[4]. وقرأ عليه شيئا من الحديث[5].

[1]: انظر شرح مُرشدة محمد بن تومرت لأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني الاشبيلي. دراسة وتحقيق الأستاذ يوسف احنانا. دار الغرب الإسلامي ط.1. 1993.
[2]: وانظر عنه طبقات المالكية عدد 487 وجامع القرويين 481/2.
[3]: الرحلة 63/5.
[4]: الكفاية 355- 358 ودراسة الحديث.
[5]: وانظر عن القرشي شذرات الذهب 399/5 والاستدعاء 5 ومن لقيهم بالقاهرة.

ث: ذكر من لقيه ببعلبك

196- شرف الدين اليونيني (621- 701هـ)

ابو الحسين محمد بن عبد الملك بن عمر اليونيني الازورني وهو الإمام العالم والمحدث الحافظ، والعارف بقوانين الرواية، حسن الدراية جيد المشاركة في الالفاظ والرجال[1]، وكان جليلا حسن الوجه بهي المنظر حسن السمت، عليه سكينة وله قبول من الناس[2].

اتصل به ابن رشيد، ولا شك في أنه روى عنه الحديث فيما يظهر. وكان أحد مصادره في إفادة النصيح[3].

سمع اليونيني من ابي عمرو بن السلاح وعبد العظيم المنذري وابن الجميزي والرشيد العطار وابن الزبيدي، وغيرهم.

وسمع منه كثير من الحفاظ والائمة، وأكثر عنه البرزالي والذهبي وكانت له رحلة قرأ فيها على ابن مالك تصحيحا، وقرأ عليه ابن مالك تصحيحا ورواية.[4]

خ: ذكر من لقيه بحرم الخليل

197- ابو الحسن البديع

نور الدين ابو الحسن البديع.

لقيه ابن رشيد بحرم الخليل وسمع عليه قصيدة الشاطبي وبهذا يتحصل لنا أنه كان شيخه في القراءة وما يتصل بها[5].

وقد أجاز له ابن رشيد في الاستدعاء وكتب ذلك يوسف بن داود ابن عيسى بن أبي بكر بن محمد بن أيوب الحنفي.

سمع البديع على ابي الحسن العباسي الضرير قصيدة الشاطبية.

---

[1]: طبقات السيوطي 516 ت 1143.
[2]: شذرات الذهب 3/6- 4.
[3]: افادة النصيح 24.
[4]: وانظر عنه دعوة الحق ع1س17 1975 صحيح البخاري في الدراسات المغربية.ذ محمد المنوني ص:76.
[5]: الاستدعاء 9.

ذ: ذكر من لقيهم بدمشق

198- ابو اسحاق اللوري (614- 687)

زكي الدين ابو اسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرعيني اللوري (بالراء المهملة) أصله من أعمال اشبيلية، والمقيم بدمشق.

وهو صدر الفضلاء ورأس الصلحاء، وشيخ المدرسة الظاهرية بدمشق وصفه ابن رشيد بشيخنا المحدث الاديب الصوفي الفاضل[1] والصالح الورع لقيه بدمشق وقرأ عليه وأجاز له في الاستدعاء. ومما أورد له من الفوائد ما قرأه عليه في حديث ذكر فيه اسم ابي الحسن بن رزقوية: فالنحويين يقولون رزقويه كسيبويه(بسكون الياء وفتح ما قبلها)، والمحدثون يقولون رزقويه(بفتح الياء وسكون ما قبلها) وهم يكرهون (ويه)

ثم عقب على ذلك ابن رشيد بقوله:

انما عرب ذلك النحاة حيث كرهوا تغيير الاسم العلم بادغامه وبقاه المحدثون على حاله من العجمة مع أن له نظيرا في الاعلام العربية مثل قولهم(حيوة) وهو الاسم العلم[2].

ومن الفوائد أيضا ذكر لباس اللوري خرقة الصوفية من عم ابي بكر القسطلاني المشهور الذي دخل إلى بلاد الاندلس واسمع بها الحديث. ومن ذلك لقاء ابي يعقوب الجذامي ابا اسحاق اللوري في مراكش[3].

سمع اللوري من ابن رواج وابن الجميزي وطبقتهما[4].

199- ابوبكر المقدسي: المحتال (626- 718)

ابو بكر بن احمد بن عبد الدائم بن نعمة بن احمد المقدسي ويلقب بالمحتال. كان ذا همة وجلالة وفهم، وله عبادة وأحكام، وصار مسند دهره كأبيه[1].

---

[1]: الرحلة 12/2 وافادة النصيح 30 وانظر عنه أيضا الاستدعاء 11 والرحلة 45/2، 107/3.

[2]: افادة النصيح 30.

[3]: الرحلة 45/2.

[4]: وانظر عن اللوري: الدراس في تاريخ المدارس، المدرسة 62، 19/1 والنجوم الزاهرة وفيات 687 والاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ 153 وشذرات الذهب 420/5 ودرة الحجال 169/1 ت 265 ومرآة الجنان 4/وفيات 687 واعلام المغرب العربي 106/1 ت 109.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال[2] ولكن دون تفصيل القول فيه، ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه علوم الحديث وما يتصل به، وكان ذلك سنة 684 هـ.

سمع المحتال كتاب الصحيح كله من ابن الزبيدي وسمع كذلك من ابن اللتي والناصح ابن الحنبلي وسالم بن صصرى، وأجاز له ابن روزبة.[3]

200- ابن الزبير المصري الكاتب 602-.....)

ابو بكر (ابو البدر) بن عبد الله بن ابي الزبير المصري الكاتب، اسمه لقبه.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال[4] ولكن لم يفصل القول فيه، ويرجح أن يكون أخذ عنه ما يتصل بالمسائل الحديثية، وكتب له خطّه سنة 684 هـ.

سمع ابن الزبير من عبد حميد وابن اللتي.

201- نجم الدين بن صصرى (655- 723)

ابوالعباس احمد بن المعدل عماد الدين محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن احمد بن محمد ابن مصري التعلبي الربعي الشافعي قاضي القضاة بالشام كان له يد في الانشاء والعبارة، وكان مدرسا بالعادلية والامينية والغزالية وذلك في سنوات 682 هـ- 690- 694 على التوالي وولي قضاء الشام سنة 702 هـ وغير ذلك[5].

ولابن صصرى نظم ونثر ومشاركة في الفنون[6].

سمع نجم الدين الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضي شمس الدين ابن خلكان، وتفقه بتاج الدين الفزاري، وعلى أخيه شرف الدين في النحو.

---

[1]: الدرر 438/1 ت 1158.
[2]: درة الحجال 221/1 ت 320.
[3]: وانظر عن المحتال: الشذرات 48/6 وفيات 718 وذيل ابن رجب 278/2.
[4]: درة الحجال 225/1 ت 329
[5]: الدارس في تاريخ المدارس 132/1.
[6]: فوات الوفيات 125/1.

وبهذا يحتمل أن يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث والفقه وغير ذلك من اللغة والأدب لأنه كان مشاركا[1].

202- شهاب الدين المقدسي(628- 697)

ابو العباس احمد بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي . كان متفقها في المذهب وبارعا في معرفة تعبير الرؤيا وانفرد بذلك بحيث لم يشارك فيه، ولم يدرك شأوه، وكان الناس يتحيرون منه إذا عبر الرؤيا بما يخبر الرائي بأمور جرت له، وربما أخبره باسمه وبلده ومنزله، ولو كان من بلد ناء، وله في ذلك حكايات كثيرة غريبة مشهورة وهي من أعجب العجب، وكان أيضا مدرسا في دار الحديث النورية والشامية والبرانية والغزالية[2].

ومما يتعلق بالرؤيا وتعبيرها فإن ابن رشيد لما قدم على تونس من الوجهة الكريمة جلب من الديار المصرية كتاب المختصر الوجيز من تأليف المقدسي هذا وكان قد دفعه له بثغر الاسكندرية وانتسخ له من عنده، وأذن له في حمله ولكن ذلك لم يتم بسبب إعجال السفر[3].

سمع المقدسي على عمه تقي الدين بنابلس وابن الجميزي وابي رواح وسبط السلفي، وسمع على عمه يوسف، وأجاز له ابن مندة والسهروردي وابن روزبة، وسمع منه الكثير كابن خطيب المزة والبرزالي والذهبي وابن القيم[4].

203- ابو العباس ابن فرح اللخمي(604- 699)

شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بن احمد بن محمد اللخمي الاشبيلي نزيل دمشق. كان إماما ومحدثا بارعا[5]، اقبل على تجويد المتون وفهمها ، فتقدم في ذلك.

---

[1]: وانظر عن ابن صمري شذرات الذهب 59/6 وذيل العبر: 128/17 والدرر 263/1 ودول الإسلام 175/2 والنجوم الزاهرة 253/9 والبدر الطالع 106/1 ت 64 وتذكرة الحفاظ 1441/4 ومرآة الجنان 4/وفيات 723.

[2]: الدراس في تاريخ المدارس 132/1.

[3]: الرحلة 36/7 وهدية العارفين 102/1 وانظرمدح الكتب.

[4]: وانظر عن المقدسي درةالحجال 32/1 – 34(ترجمة مكررة) وفوات الوفيات 87/1- 88 والوافي 48/7 وذيل ابن رجب 336/2 عدد 444 وشذرات 437/5 والبداية والنهاية 697/13 وفهرست الوادي آشي 24. وكتاب المقدسي مطبوع ومتداول.

[5]: نفسه 29.

وكانت له حلقة اقراء في جامع دمشق، يقرئ فيها فنون الحديث، وكان هذا الشيخ سكينة ووقارا وديانة واستحضارا[1].

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في كتاب درة الحجال. ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتصل به[2].

أخذ ابن فرح عن ابي حفص الكرماني والتنوخي والخشوعي وعز الدين بن عبد السلام، وسمع مسند ابن حنبل على شرف الدين عبد العزيز الانصاري.

ولابن فرح مؤلفات منها منظومة في أصول الحديث(من عيون التواريخ) أولها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل* * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل

وفيها ذكر لمصطلحات الحديث[3].

وله غير ذلك[4].

204- شرف الدين ابن عساكر(614- 699)

ابو العباس، وابو الفضل، احمد بن هبة الله بن احمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وهو حفيد أبي القاسم بن عساكر مؤرخ الشام المشهور صاحب التاريخ.

وهو احد مشايخ دمشق ومسنديها[5]. الذين رووا الكثير، وهو أيضا ممن تفرد باشياء[6].

ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث وبعض الأخبار وأسماء الرجال وغير ذلك. وقد وردت إشارة أخذه عنه في بعض الكتب التي ترجمت له[7].

---

[1]: ط.الشافعية الكبرى 26/8 ت 1052.
[2]: درة الحجال 36/1.
[3]: نفح الطيب 283/3.
[4]: وانظر عنه هدية العارفين 102/1 والوادي آشي 29 وتذكرة الحفاظ 1486/4.
[5]: دول الإسلام 159/2.
[6]: شذرات الذهب 445/5.
[7]: نيل الابتهاج 283.

سمع ابن عساكر علي ابي محمد القزويني، وابي الحسن بن الأثير، وسمع البخاري على ابن الزبيدي، وسمع ابا القاسم بن صصرى والسلار وأجازه المؤيد الطوسي والسمعاني وابن اللتي[1].

205- ابن الفراء المرداوي (610- 700)

عز الدين ابو الفداء اسماعيل بن عبد الرحمان بن عمرو بن موسى بن حميرة، ويعرف بابن القراء المرداوي الصالحي الاصل الحنبلي وهو الشيخ الصالح العدل[2] المسند[3] الكبير[4].

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال[5] ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث، وربما أخذ عنه أيضا بعض مؤلفاته.

سمع المرداوي الكثير من مرفق الذين بن قدامة، والحسين الزبيدي، ومن مسموعاته عليه صحيح البخاري. وسمع كذلك على ابن ابي لقمة والقزويني وابن راجح وغيرهم.

206- كمال الدين الحنفي

ابو الخير تمام بن محمد بن اسماعيل الحنفي.

وهوالمحدث الراوية[6].

روى عنه ابن رشيد واجاز له سنة 684 هـ. وقد وردت إشارة ذلك في درة الحجال.

207- نجم الدين الوزان

ابوبكر ثابت بن علي بن عبد القوي العسقلاني بن قاسم الوزان. لم يبين لنا ابن القاضي جوانب ثِقافه هذا الرجل ويغلب على الظن أن يكون متفقها في الحديث.

1: وانظر عن ابن عساكر: درةالحجال 44/1 ص: 44 وفهرست الوادي آشي 26 وتذكرة الحفاظ 1487/4.
2: الوادي آشي 32.
3: دول الإسلام 160/2.
4: الشذرات 455/5 وفيات 700
5: درة الحجال 213/1 ت 303 وذيل ابن رجب 90/2.
6: درة الحجال 230/1 ت 352.

وقد أجاز لابن رشيد يوم الجمعة 26 رجب 684 هـ[1].

208- ابو عبد الله الشهرزوري

ابو عبد الله حسين بن داود بن حسن الشهرزوري. وردت ترجمته مقتضبة في درة الحجال كذلك، وبهذا لا نعرف جوانب شخصيته بالتحديد.

لقيه ابن رشيد سنة 684 هـ، وأجاز له، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث[2].

209- زينب الصالحية

ام احمد زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن احمد المقدسية، وهي الشيخة العذراء الصالحة المسندة[3] وكانت دينة خيرة روت الكثير وتزاحم عليها الطبة، وكانت لطيفة الأخلاق طويلة الروح، ربما سمعوا عليها أكثر النهار، قانعة متعففة كريمة النفس[4].

أخذ عنها ابن رشيد بمنزلها بسفح جبل قاسيون وأجازت له سنة 684 هـ.

سمعت زينب على ابي جعفر بن طبرزد الفوائد الغيلانيات وأجازها علماء من بغداد وماردين وحلب والاسكندرية والقاهرة والشام وسمعت إبراهيم بن خليل وخطيب مردا وأحمد بن عبد الدائم.

وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعته بالإجازة[5].

210- زينب البغدادي

زينب بنت محمد بن عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وهي الشيخة الصالحة الزاهدة المسندة الرحلة.

جاءت إشارة أخذ ابن رشيد عنها واجازتها له في كتاب درة الحجال[1]، ويحتمل ان يكون أخذ عنها الحديث وما يتصل به[2].

---

[1]: درة الحجال 232/1 ت 344.
[2]: نفسه 243/1.
[3]: نفسه 278/1ت 432 وشذرات الذهب 126/6 وفيات 740(أم عبد الله زينب).
[4]: الدرر 117/2 ت 1743.
[5]: وانظر عنا أيضا كتاب جامع القرويين 484/2.

211- زينب الحراني(594- 688)

أم حمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني (بنت الكمال) الشيخة المعمرة العابدة، وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنها في درة الحجال كذلك[3]، ويحتمل ان يكون أخذ عنها الحديث وذلك سنة 684 هـ.

سمعت أم أحمد من حنبل وابن طبرزد وطائفة

وكان الطلبة يزدحمون عليها[4].

212- تقي الدين ابن حمزة المقدسي(628- 715)

ابو احمد وابو الفضل سليمان بن حمزة بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي. وهوالإمام المفتي[5] مسند الشام قاضي القضاة البارع في المذهب[6]، وكان تقي الدين هذا شيخا جليلا بهي المنظر وضيىء الشيبة حسن الشكل مواظبا على حضور الجماعات وعلى قيام الليل والصيام، له أوراد وعبادة، وكان عارفا بالفقه مطلعا على كتاب المقنع خصوصا، قرأه واقرأه مرات كثيرة، وكانت له حلقات بالجامع المظفري، وكان يذكر الدرس ذكر حسنا متقنا ويحفظه من ثلاث مرات أو نحوها. وكان قوي النفس لين الجانب متوددا الى الناس حريصا على قضاء الحوائج[7].

حدث المقدسي بثلاثيات البخاري سنة 656 هـ وبجميع الصحيح سنة 660 هـ وولي القضاء سنة 695 هـ وحضر المقدسي على ابن الزبيدي والفخر الاربلي وغيرهما. وسمع ابن اللّتي وكريمة القرشية وابن الجميزي وابن قميره.

---

[1]: الدرة 278/1 ت 433.
[2]: وانظر جامع القرويين 484/2.
[3]: الدرة 278/1 ت 434.
[4]: الشذرات 404/5 وفيات 688 والنجوم الزاهرة 7/وفيات 688 ومرآة الجنان 4/وفيات 688 وجامع القرويين 484/2
[5]: الدرة 308/3 ت 1397.
[6]: الشذرات 35/6 وفيات 715 والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب 364/2 ت 475.
[7]: الدرر 146/2 ت 1837.

وأجاز له من البغداديين: السهروردي والقليعي وابن روزبة ومن المصريين ابن العماد وابن باقا. ومن الاصبهانيين المديني والخجندي وابن مندة، ولازم شمس الدين بن عمر، وأخذ عنه الفقه والقراءة وسمع منه الابيوردي، وذكره في معجمه، وروى عنه خلق[1].

وبهذا يرجح ان يكون ابن رشيد أخذ عنه الحديث والفقه والفرائض وذلك بصالحية دمشق سنة 684 هـ.

213- عفيف الدين التلمساني(610- 690)

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي الاصل ويعرف بالتلمساني، وهو الأديب الشاعر[2]، وشعره في الذِّروة العليا من حيث البلاغة[3]، وكان يدعى العرفان ويتكلم على اصطلاح القوم، وقال عنه اليونيني أنه رأى جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة وخدم في عدة جهات[4]، وقيل أنه كان يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وافعاله.

أخذ عن ابن رشيد بدمشق وأجاز له سنة 684 هـ، ومما أنشده بسوق الكتبيين لنفسه على طريق الصوفية(الطويل)

محياك يهواه المحيا اماترى * * حشا الكأس فيه جمرة تتوقد

وغير ذلك[5].

ولو كان بين ايدينا الجزء الرابع من الرحلة لافادنا كثيرا في تحقيق ما رمي به هذا الشاعر من الزندقة او النصيرية او غير ذلك، ثم أن هذا الشعر الذي رواه عنه ابن رشيد ليدلنا على اثر ابن عربي في المشرق، ويدلنا كذلك على جوانب أخرى من المذاهب ونشاطها في الشام وما رواءها.

ولعفيف الدين مصنفات في الأدب والتصوف[1].

---

[1]: وانظر عن المقدسي البداية والنهاية 75/1 والدارس 52/1.و35/2- 37 ودول الإسلام 171/2 والنجوم الزاهرة 9/ 231 والبدر الطالع 267/1 وتالي كتاب وفيات الاعيان 89 ت 131 وذيل و دول الإسلام 171 وذيل العبر 85/17.

[2]: الشذرات 412/5(أحد زنادقة الصوفية).

[3]: الفوات 76/2.

[4]: نفسه 72/2 ت179.

[5]: بلاغة شعره لامن حيث الاتحاد الشذرات 412/5. والقصيدة في درة الحجال 307/3 ت 1396.

214- ابو الفرج المقدسي

عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الملك المقدسي[2] لقيه ابن رشيد بصالحية دمشق وقرأ عليه الحديث، ومن ذلك (طبقات أمتي خمس) الحديث[3] وذلك بصالحية دمشق سنة 684هـ.

215- تاج الدين الفركاح(624- 690 هـ)

ابو محمد عبد الرحمان بن الشيخ المقرئ برهان الدين ابي إسحاق إبراهيم بن ضياء الفزاري البدري المصري الدمشقي الشافعي الفركاح.

انتهت إليه رئاسة المذهب وهو شاب، وكان من بلغ رتبة الاجتهاد، ومحاسنه كثيرة، وكان لطيف الجثة قصيرا اسمر[4]. درس وناظر وصنف، وكان فقيه الشام شيخ الإسلام[5]. وكانت الفتاوي تأتيه من الاقطار.وقد أعاد في الناصرية، ودرس في المجاهدية، وكان حسن العشرة كثير الصبر قنوعا.

وقد ورد ذكر لقاء ابن رشيد بالفركاح في الجزء الخامس من الرحلة: قال ابن رشيد وفقه الله: وقد كنت لقيت بدمشق عام 684 هـ تاج الدين.... الفركاح، وهوأحد أعلام فقهاء دمشق وعلمائها، لقيته بجامع دمشق الاعظم، فاعلمت به وسلمت عليه، ولم يقض منه سماع ولا إجازة فيما علمت الآن، والسماع رزق، وكان ذلك لما لزمه من المرض بدمشق ما قطعني عن نيل اماني بها إلى أن عجل رحيل الحجاج، والله المحمود والمشكور على كل حال[6]. وبالرغم مماصرح به ابي رشيد من عدم السماع والاجازة منه فإنه من المحتمل أن يكون قد اورد شيئا عن أخباره في الجزء الرابع المفقود، وذلك على عادته في الاستطراد والتقاط الفوائد من هنا وهناك[7].

---

[1]: وانظر عن عفيف الدين: هدية العارفين 40/1 وتالي كتاب وفيات الاعيان ت 122 ص: 82 وكشف الظنون 266، 802، 1034، 1264، 1828، 1829، 1891، وغيرها. ومرآة الجنان 297/4 والنجوم الزاهرة 29/8- 30 والبداية والنهاية 326/13 والاعلام للزركلي 193/3 وإيضاح المكنون 232/2 ومعجم المؤلفين 270/4 وابروكلمان 55/5.

[2]: انظر ترجمة ابن رشيد في اعلام المراكشي 251/8.

[3]: الرحلة 52/5.

[4]: فوات الوفيات 263/2 ت 247.

[5]: شذرات الذهب 413/5 وفيات 690.

[6]: الرحلة 35/5.

[7]: وانظر أخبار الفركاح في النجوم الزاهرة 217/8 وذيل العبر 32/7 وغاية النهاية 33/1 ودول الإسلام 149/2 وفيات 690 وتالي كتاب وفيات الاعيان ت 182 ص: 118 وطبقات الشافعية 60/5 والزركلي 64/4.

216- فخر الدين البعلبكي(611- 688 هـ)

ابومحمد، وابو بكر عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن نصر الحنبلي البعلبكي، وهو شيخ دار الحديث النورية، كان يفتي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وعبادة وزهادة، ويشتغل بالعلم مع الطلبة، وكان عنده سكون ويقرأ الحديث بفصاحة[1].

لقيه ابن رشيد بدمشق واورده في الاستدعاء[2]، ويحتمل أن يكون قرأ عليه الحديث والأصول.

قرأ البعلبكي القرآن على خاله صدر الدين عبد الرحيم قاضي بعلبك. وسمع عن أبي المجد القزويني وابن اللتني والناصح ابن الحنبلي. وحفظ كتاب علوم الحديث وعرضه من حفظه على مؤلفه تقي الدين ابي عمرو ابن الصلاح. وقرأ الأصول وشيئا من الخلاف على السيف الآمدي والنحو على ابي عمرو بن الحاجب. وكان اليونيني يحبه ويقربه إليه[3].

217- ابوطالب الابهري

عبد المحسن بن فارس بن خالد بن الشهيد عبد الغفار بن اسماعيل بن أحمد الابهري.

ورد خبر إجازته لابن رشيد في درة الحجال، ولكن لم يفصل القول في اخباره[4]. ولا شك في أنه أخذ عنه الحديث والمسائل التي تتعلق بالزهد والتصوف وذلك سنة 684هـ.

218- ابو الحسن القاسيوني

ابو الحسن بن ابي العباس القاسيوني.

وردت إشارة لقاء ابن رشيد إياه في كتابه افادة النصيح وذلك في ترجمته لأبي محمد الحموي[1]:

---

[1]: الشذرات 404/5 وفيات 688.
[2]: الاستدعاء 10.
[3]: وانظر عن البعلبكي ايضا الدارس في تاريخ المدارس 87/1، 111.
[4]: الدرة 161/3 ت 1125.

(أنبأنا كتبا- إذلقيته- ابو الحسن القاسيوني عن ابي طاهر ابن ابي اسحق ابن ابي الفضل الجيروني عن ابي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن ابي الوليد سليمان بن خلف أنه قال: ابومحمد الحموي شيخ ثقة).

ولا شك في أنه قرأ عليه الحديث وما يتصل به.

219- الفخر ابن البخاري(595- 690)

فخر الدين ابوالحسن علي بن شمس الدين ابي العباس احمد بن عبد الواحد بن احمد بن عبد الرحمان بن اسماعيل بن منصور السعدس المقدسي المعروف بابن البخاري. وصفه ابن رشيد بالعالم الخطيب[2] مسند الدنيا والذي تفرد في الدنيا بالرواية العالية، وآخر من كان في الدنيا بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال ثقات[3]. وكان فقيها زاهدا عابدا مسندا مكثرا وقورا صبورا على قراءة الحديث مكرما للطلبة ملازما لبيته مواظباعلى العبادة، وكان من بيت العلم والحديث والرواية، وكان رحلة الدنيا في زمانه إذالحق الاصاغر بالاكابر والاحفاد بالأجداد وقد حدث نحوا من ستين سنة، وحفظ المقنع وعرضه على مصنفه موفق الدين بن قدامة(ت 616) وكان ابن البخاري فاضلا كامل العقل متين الديانة ويحفظ كثيرا من النوادر والملح والطرف.

ولا شك في أن ابن رشيد عندما التقى به واخذ عنه الحديث والاسانيد العالية روى عليه مشيخته[4].

وممن أجاز للبخاري: ابن اللبان والصيدلاني وابن الجوزي وابن رواح وهوآخر من حدث عن ابن طبرزد بالسماع.

وسمع على ابن البخاري عن الاكابر شرف الدين الدين الدمياطي وابن دقيق العيد وسعد الدين الحارثي وسليمان المقسي وكل هؤلاء شيوخ ابن رشيد ومصادره في رحلته، وكذلك حدث عنه ابن سيد الناس اليعمري.

وله تآليف في الحديث وغيره[1].

---

[1]: افادة النصيح 34.
[2]: نفسه 14- 18.
[3]: الشذرات 415/5- 416 ودول الإسلام 149/2.
[4]: انظر تراجم ابن رشيد في الاعلام للمراكشي ودرة الحجال والبدر الطالع وغيرها.

220- علم الدين البرزالي (625- 735هـ)

ابومحمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي الاصل الدمشقي الشافعي.

وصفه ابن رشيد بصاحبنا[2]. وقد ورد اسمه عرضا في ذكر ثبت سماع ابي محمد اللقاني صاحب ابن رشيد، وهو الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه المحدث المجد في الطلب، وكان رأسا في صدق اللهجة والأمانة، وصاحب سنة واتباع ولزوم الفرائض خيرا متواضعا حسن البشر، فصيح القراءة مع عدم اللحن[3]، وكان مدرسا بدار الحديث النورية[4].

والبرزالي هو المؤرخ أحد الاربعة الذين لا خامس لهم في هذه الصناعة[5] وقدمدحه الذهبي فقال:(الكامل)

ان رمت تفتيش الخـــزائن كلها * * وظـهور اجـزاء بدت وعوالي

وتفوق اشياخ الوجود وما رووا * * طالع أواسمع معجم البرزالي[6]

ولا شك في أن ابن رشيد أخذ عنه الحديث والتاريخ وغير ذلك من المسائل الفقهية.

سمع البرزالي ممن لا يحصى كثرة تفقه بتاج الدين الفزاري وأكثر عنه وانتفع به المحدثون من زمانه إلى آخر القرن.وللبرزالي تآليف مفيدة[7].

221- ابو عبد الله الارموي(610- 713)

---

[1]: انظر عن ابن البخاري. هدية العارفين 714/1 وذيل طبقات الحابلة 327/2 عدد 334 وتاريخ علماء بغداد 135 والبداية والنهاية 13 وفيات 690 وذيل العبر 368/15 والمستطرفة 142.

[2]: الرحلة 35/5.

[3]: فوات الوفيات 196/3 ت 396.

[4]: الدارس (المدرسة 21) 112/1- 113.

[5]: طبقات ابن السبكي 381/10 ت 140/6.

[6]: البدر الطالع 51/2 ت 372 وطبقات السيوطي ص: 522 ت 1151.

[7]: انظر عن البرزالي هدية العارفين 830/1 ودرة الحجال 277/3 ت 1337 وفهرست الوادي آشي 72 وتذييل دول الإسلام 189 وفيات 739 وشذرات الذهب 122/6 وفيات 739 والدرر الكامنة 237/3 ت 609 وذيل تذكرة الحفاظ 353 ومرآة الجنان 303/9 وذيل العبر- 209/17 وكشف الظنون 1735 ومعجم المؤلفين 124/8.

محمد بن الحسين الارموي، وصفه ابن رشيد بسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الكبير إمام العصر وفريد الدهر، تاج الدنيا والدين شيخ شيوخ المسلمين أعلم علماء العالمين[1].

وقد ورد ذكره عرضا في ترجمة شرف الدين الجزائري، وذكر كتاب المحرر للفخر ابن الخطيب وذلك في قوله:

(لقدوجدنا مكتوبا بخط سيدنا... الارموي أمتعنا الله ببقائه ما نصه: نقلت هذه النسخة (المحرر في دقائق النحو للفخر بن الخطيب) وهي نسخة سقيمة جدا، ولعل كاتبها كان نقاشا أميا لا يعرف ماينقشه، ولا حد لتصحيفها وتحريفها، ولو كان ذلك محدودا محصورا لأصلحناه، ولكنه لما كان ذلك متجاوزا الحد تركنا التصحيفات بحالها، فلا ينقل منها إلا مستبصر متحرز كتبه محمد بن الحسين الارموي حامداً الله ومصليا على محمد وآله).

وبهذا يكون ابن رشيد آخذا عنه علوما شتى[2].

222- ابو عبد الله بن حمدون الحَمَويّ

فخر الدين، ومجد الدين ابو عبد الله محمد بن خالد بن حمدون الحموي. جاء خبر أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال[3]، وورد اسمه في الاستدعاء له، وقد أجازه سنة 684، ولكن صاحب الدرة لم يفصل القول فيه كعادته في تراجم رحلة ابن رشيد.

سمع الحموي من ابن اللّتّي وابي بكر محمد بن مسعود بن عزوز البغدادي.

223- شمس الدين المقدسي (607- 688)

محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان المقدسي الحنبلي السعدي الصالحي.

---

[1]: الرحلة 61/6.

[2]: انظر عن الارموي: الوادي آشي 89 ودرة الحجال 299/2 ت 841 وذيل االعبر 17 ت 715 ومعجم المؤلفين 9/ 244.

[3]: درة الحجال 23/2 ت 465.

كان هذا الشيخ معتنيا بالحديث، وكان يدرس الفقه بمدرسة عمه الشيخ ضياء الدين، وهو شيخ الحديث أيضا بها وبدار الحديث- الاشرفية بسفح جبل قاسيون. وكان زاهدا كثير الخير، له قدم راسخة في التقوى، ووقع في النفوس، و حدث نحوأربعين سنة.

اتصل به ابن رشيد بدمشق بالمدرسة الصالحية، وأجاز له وذلك سنة 684 هـ، وقد جاء ذلك في كتاب درة الحجال، وليس بين أيدينا ما رواه عنه، ويحتمل أن يكون قرأ عليه الحديث خاصة وغير ذلك من مسائل الزهد والتصوف. ومن ذلك ما أنشده في بعض اصحابه:(الطويل)

دمشـــق لنـــا شوق إليها مبرح * * وإن لج واش أوألح عـــذول

بلا د بـــها الحصباء در وتربها * * عبير وانفاس الرياح شمـــول

تسلسل فيها ماؤها وهو ومطلق * * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد ضمنها بعض مصطلحات الحديث[1].

حضر شمس الدين على ابن الحرستاني والكندي، وسمع ابن ملاعب وابن ابي لقمة والشيخ موفق الدين والقزويني وابن صباح وابن الزبيدي وقيل أنه سمع ببغداد على المهذب وابن مندة[2].

وقد تمم تصنيف الأَحكام الذي جمعه الحافظ ضياء الدين وهو أبوه[3].

224- أبو الثناء ابن فهد الحلبي

(725 -644)

شهاب الدين ابو الثناء محمود بن سليمان بن فهد بن محمود الحلبي الحنبلي. وهو الإمام العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ[4] الذي فاق أهل عصره وأربى على كثير ممن

---

[1]: درة الحجال 23/2 ت 466.
[2]: ذيل ط. الحنابلة 322/2.
[3]: وانظر عنه الدارس 49/1 والشذرات 405/5.
[4]: فوات الوفيات 82/4 ت 508.

تقدمه في جودة شعره[1]، وعلامة الأدب وعلم البلاغيين، وكاتب الدست (السر) المعيد بدمشق الشام، وكتب بخطه الأنيق كثيرة واشتغل بالفقه[2].

لقيد ابن رشيد ووصفه بالفقيه الإمام العلامة والرئيس القاضي[3] ولو توافرت لدينا ترجمته في الجزء الرابع المفقود لاستفدنا- على الارجح- شعراً غزيرا ونظرات أدبية ونقدية وبلاغية كثيرة، يمكن اضافتها إلى ما رأيناه في ترجمة أبي الحسن حازم القرطاجني وابي بكر بن حبيش.

وما يدلنا على ان ابن رشيد استفاد من علمه ما أورده ابن الاحمر في كتابه أن ابا الثناء الحلبي هذا انشده في سنة سبع وثمانين وستمائة[4] بطريق المدينة:(المتقارب)

وصلنا السرى وهجرنا الديارا * * وجئناك نطوي إليك القفارا

الأبيات[5]

وقد سمع منه ابن رشيد تلك القصيدة وأنشدها في دروسه على تلاميذه – الاندلسيين والمغاربة[6].

225- ابن عطاء الله الحنفي

بدر الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء الله الاذرعي الحنفي الصالحي، وهو العالم الفاضل، له مشاركة تامة في العلوم.

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في درة الحجال ولكن دون تفصيل ذلك، وفيها أنه أخذ ابن رشيد عنه بدمشق واجاز له جميع ما يرويه عن أشياخه وكتب له خطه سنة 684 هـ[7].

---

[1]: البدر الطالع 295/2 ت 539.

[2]: شذرات الذهب 69/6 وفيات 725.

[3]: نثير الجمان 190.

[4]: اظن أن ذلك وهم، بل سنة 684.

[5]: نفسه 190 وكتاب: ابو الوليد بن الأحمر 137.

[6]: وانظر عن أبي الثناء: الوافي 12/5 والدرر 324/4 ت 886 وذيل العبر 140/17- 141 والزركلي 48/8 وذيل ابن رجب 78/2 وهدية العارفين 407/2 وكتاب حسن التوسل بتحقيق اكرم عثمان وتاريخ النقد لزغلول سلام 275/2 وفهرست مخطوطات خزانة القرويين ص/138.

[7]: الدرة 344/3 ت 1478.

تفقه ابن عطاء على أبيه قاضي القضاة عبد الله الاذرعي وعلى محمود الحصيري[1].

ض - ذكر من لقيهم بالقدس

226- ابو الفرج ابن قدامة المقدسي(655- 732 هـ)

عز الدين ابوالفرج عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي الحنبلي[2].

وردت إشارة لقاء ابن رشيد به في بعض المراجع التي ترجمت له كأزهار الرياض وغيره.

كان أبو الفرج فرضيا زاهدا قدوة فقيها عالما متواضعا صالحا على طريقة السلف. وكان عارفا بمذهب أحمد، وله فهم ومعرفة تامة بالفرائض. وكان فيه تودد وانطباع وعدم تكلف. حج مرات عديدة، وسمع من ابن عبد الدائم وغيره.

ولما حج مع الشيخ ابن أبي عمر كمل عليه قراءة المقنع بالمدينة المنورة[3]. وسمع كذلك على الكرماني وابي بكر الهروي[4].

أجاز المقدسي لابن جابر الوادي آشي[5].

227- ابو الذكاء القرشي (.....-687)

عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي الشافعي[6].

كان مفتيا ومفسرا وفقيها فاضلا وخطيبا في المسجد الأقصى لقيه ابن رشيد بالقدس وسمع عليه، وكتب السماع عنه الحافظ ابن بدران.

سمع أبو الذكاء من داود بن ملاعب صحيفة سماع تخريج الإمام الدارقطني وسمع كذلك من أبي عبد الله بن البناء وأجاز له أبو الفتح المندائي وطائفة.

---

[1]: وانظر عنه الفوائد البهية ص: 228 وتذكرة الحفاظ 1481/4.
[2]: أزهار الرياض 349/2 وشجرة النور 216 (ترجمة ابن رشيد).
[3]: الشذرات 100/6.
[4]: الدرر 321/2 ت 2274.
[5]: الدرة 109/3 ت 1045.
[6]: الاستدعاء 10.

228- ابو الحسن المقدسي (617- 699)

ابو الحسن علي بن أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي، قيم جامع الجبل، عذبه التَّتَار ومات شهيدا[1] وكان المقدسي صالحا كثير التلاوة[2].

ويرجح أن يكون ابن رشيد أخـــذ عنه الحديث وذلك حسب الكتب التي ترجمت له.

سمع ابو الحسن من ابن الزبيدي وابن اللتي وابن الجميزي وبقي مدة قيم جامع قاسيون[3].

229- ابن الافتخار المقدسي

ابو الحسن علي بن الافتخار بن إبراهيم المقدسي وقد ذكر ابن القاضي ان ابن رشيد أخذ عنه واجتمع به في بيت المقدس سنة 684 هـ، ولكن لم يبين جوانب شخصيته، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وعلومه[4].

أخذ المقدسي عن أحمد بن الحسين الفارقي.

ابو الحسن الغرافي السني

تاج الدين ابو الحسن علي بن الإمام المحدث أحمد ابن عبد المحسن بن أحمد ابن محمد المعروف بالغرافي وهو شرف المحدثين. أورد له ابن رشيد ترجمة واسعة في الجزء الثالث من الرحلة[5] وذلك عندما لقيه بالاسكندرية، ولكن ابن القاضي يشير إلىأنه اجتمع به في بيت المقدس سنة 684 هـ[6]، وقد يكون ذلك وهما، ويظهر ذلك في أن بعض النسخ التي حقق بها كتاب درة الحجال أوردت مكان لقائه فارغا.

---

[1]: الدرة 229/3 ت 1242.
[2]: الشذرات 451/5.
[3]: تذكرة الحفاظ 1487/4 وانظر تراجم ابن رشيد في ازهار الرياض وسلوة الانفاس ونيل الابتهاج والاعلام للمراكشي وشجرة النور وغيرها.
[4]: درة الحجال 215/3 ت 1225.
[5]: الرحلة 10/3.
[6]: درة الحجال 215/3 ت 1224.

ومهما يكن من أمر فانظر ترجمته فيمن لقيهم بالاسكندرية (الترجمة 128 من هذا القسم).

230- مالك الأوحد

ابو يعقوب يوسف بن عبد الملك الناصر صلاح الدين بن داود بن الملك المعظم عيسى بن ابي بكر محمد بن أيوب الحنفي لقيه ابن رشيد ببيت المقدس عندما قدمها زائرا، وسمع عليه، وذلك بتاريخ 25 شعبان 684 هـ[1].

وقد أجازه ابن رشيد في الاستدعاء وكتب عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي جعفر القرشي الزهري الشافعي الخطيب بالقدس الشريف.

سمع مالك على ابن اللتي المائة الشريحية بسماعه من ابي الوقت الهروي بسنده، وكتب إليه مجيزا من بغداد جماعة منهم القطيعي والزبيدي وغيرهما.

ظ: ذكر من لقيهم بنابلس

231- جمال الدين المقدسي (694 هـ)

جمال الدين ابو العباس احمد بن عبد الله الدمشقي.

كان فقيها ذكيا مناظرا بصيرا بالطب، درس وأعاد، وكان فيه لعب ومزاح[2].

وردت إشارة أخذ ابن رشيد عنه في الاستدعاء له[3]، وقد لقيه بنابلس وقرأ عليه بلفظه، ويرجح أن يكون أخذ عنه الحديث والفقه والأصول وما يتصل بالمذهب.

سمع الدمشقي من ابن الصلاح وابن عبد السلام، وأجاز له أبو علي الجواليقي.

232- ابو الحسن الحنبلي

مجد الدين أبو الحسن، وهو أخو شهاب الدين الحنبلي، وكان شيخا صالحا صوفيا[4]. وقد ورد ذكره في الاستدعاء ويرجح أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتعلق

---

[1]: الاستدعاء 10 ودرة الحجال 344/3 ت 1477.
[2]: ذيل العبر 380/15.
[3]: الاستدعاء 11.
[4]: الاستدعاء 10.

بالزهد والتصوف، وقد أجازه وكتب محمد ابن محمد بن مسلم بن يوسف بن المسلم القرشي الشافعي.

233- جمال الدين النابلسي

ابو عبد الله النابلسي، قاضي نابلس. لقيه ابن رشيد فيها وقرا عليه بلفظه عام 684 هـ وقد ورد ذلك في الاستدعاء ويحتمل أن يكون أخذ عنه الفقه والحديث. سمع النابلسي عن ابي جعفر الحنبلي[1].

234- عماد الدين النابلسي (657- 711 هـ)

ابو المعالي محمد بن علي النابلسي، الدمشقي العدل المرتضى المسند، كان حسن الديانة.

لقيه ابن رشيد بنابلس وسمع عليه يوم الاثنين 28 شعبان 684 هـ[2]، ويحتمل أن يكون أخذ عنه الحديث وما يتعلق بالفقه، وقد أجاز له ابن رشيد في الاستدعاء وكتب علي بن عبد الرحمان بن عبد المنعم.

سمع عماد الدين من الشاغوري وكريمة وجماعة حضورا. ومن السخاوي وابن قميرة وسمع على ابن صصرى وموسى بن عبد القادر، وعلى الحسين بن المبارك الزبيدي ثلاثيات البخاري ومسند الإمام الشافعي[3]. وقد خرج له صاحب العبر معجما كبيرا.

ظ ـ ذكر من لقيهم بالمدينة المنورة

235- أبو اسحاق الفأسي

ابو اسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى الفأسي(بتسكين الهمزة تسكينا حيا)[4] المنسوب إلى مدينة فاس، والمقيم بالمدينة المنورة، وكان شيخا صالحا فقيها مالكيا فاضلا بارا حسن البشر جميل اللقاء حاضر الذهن كريم الخلق معروف الدين والفضل[5].

---

[1]: الاستدعاء 11.
[2]: الاستدعاء 10.
[3]: الشذرات 74/6 وتذكرة الحفاظ 1495/4.
[4]: ضبطه ابن رشيد كذلك امنا من الاشتراك: الفاسي والفارسي.
[5]: الرحلة 9/5.

التقي به ابن ابن رشيد بمدينة النبي طيبة، وقد أقعده الكبر عن التصرف، فقرأ عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري في 24 ذي القعدة وقرأ عليه حديث (كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب).ومما سمعه ابو اسحاق مُوَطَّأَ الليثي على ابن مسدي[1] وأجاز له، واخبره ابو اسحاق أنه لما جاء ليسمع عليه ذلك قال له: لزمتني يمين أن لا أسمعه الا بعشرة دنانير عينا، فقال له: لو جعلت على الناس في سماعه عشرة فلوس لزهدتهم فيه. ولم يكن عنده ما يعطيه فجاء بعض بني الدنيا ليسمعه عليه فبعث ابن مسدي إلى ابي اسحاق فسمعه معه.

وقد علق ابن رشيد على هذه القصة بقوله: وهذه جُرَحَة الا ان يتأوَّل عليه انه قصد بذلك تنفيق العلم[2].

ومما سمعه ابو اسحاق ايضا موطأ الليثي على ابي عبد الله محمد بن عمر القسطلاني بسماعه من شرف الدين ابن ابي الفضل المرسي.

236- احمدبن عثمان الشافعي

احمد بن عثمان بن عمر الشافعي المصري.

وصفه ابن رشيد بخطيب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وإمامه، والشيخ الخطيب والأديب اللغوي ذي الخط الجيد[3].

وقد لقيه بالمدينة شرفها الله تعالى في 25 دي القعدة 684 هـ وقرأ عليه ثلاثيات الإمام البخاري وأجاز له ولنيه، وكتب خطه بذلك. ومما قرأ عليه حديثين وهما: كان جدار المسجد عند المنبر وحديث: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.

قرأ الشافعي على شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي والمكي بن إبراهيم.

---

[1]: هومحمد بن يوسف بن موسى الازدي المهبلي الاندلسي الغرناطي، ارتحل الى حلب ودمشق ومصر وتونس وتلمسان، وله معجم توفي سنة 663. تذكرة الحفاظ 1448/4 وطبقات الحفاظ 504 ت 1118.

[2]: انظر هذه القصة أيضا في كتاب ذكريات مشاهير. ذ. كنون(ابن رشيد ص: 38).

[3]: الرحلة 14/5.

237- ابو القاسم بن الزجاج

ابو القاسم عبد الحميد بن احمد بن محمد بن الزجاج البغدادي، وهو الشيخ الفاضل الجليل[1].

(انظر الترجمة التالية لابن أخيه عفيف الدين ابي محمد عبد الرحيم)

238- عفيف الدين ابن الزجاج(612- 685)

ابو محمد عبد الرحيم بن محمد بن احمد بن الزجاج البغدادي.

وكان شيخا فاضلا وإماما عالما ومفتيا للمسلمين، وبقية السلف[2]، وفقيها حنبليا زاهدا وسنيا أثريا عارفا بمذهب أحمد[3].

لقي ابن رشيد ابا محمد بن الزجاج وابن أخيه ابا القاسم عبد الحميد بن احمد ابن محمد وذلك بمدينة طيبة زادها الله طيبا بعد أن لقيهما للمرة الاولى بوادي الازرق، ثم تبوك. ومما قرئ عليهما وهو يسمع عند علامة الجدار الجوفي الاصلي قبل الزيادة من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، قصيد ابي عبد الرحمان الشحامي الذي أوله:(الكامل)

لاصلين عل النبـــي مـــحمد * * أبدا كـــما يرضي وآل محمد

خير الصحابة في الورى أصحابه * * واعـــز بيـــت اهل بيت محمـد

الأبيات....

وكان ذلك في عشي يوم الاثنين 24 ذي القعدة 684 هـ. وفي مجلس مبارك كريم لورود ذكر البنبي صلى الله عليه وسلم كثيرا في ذلك القصيد. وذلك يذكر ابن رشيد بما قاله في إحدى قصائده الحجازيات:

اعد حديـــث احبابي علي فما * * يمل سمـــعي منـــه بالاعادات[4]

---

[1]: الرحلة 6/5.
[2]: الرحلة 6/5.
[3]: شذرات الذهب 391/5.
[4]: انظر شعر ابن رشيد قبل.

ومما قرا عليهما ايضا جزء ابي العالي وثلاثيات البخاري وبعض الاحاديث.

كان الزجاجيان يرويان عن ابن روزبة وابي الحسن القطيعي وسمع عفيف الدين من ابي الفتح بن عبد السلام وابي محمد العبرتي وروى مسند الدارمي على ابن اللتي وابي نصر الجيلي، واجاز له من دمشق أبو القاسم الحرستاني ومن حلب عبد اللطيف الهاشمي وابو البقاء العكبري[1].

239- عفيف الدين البصري

ابو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن احمد بن عزاز البصري الحنبلي جار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الإمام والمحدث الفاضل الثقة الفرضي والنحوي[2] لقيه بالمدينة المنورة وأجاز له ولاولاده، ولمن ذكر معه في الاستدعاء وكتب خطه بذلك، وسمع عليه الخبر الأول من حديث ابن شاذان في 26 ذي القعدة 684 هـ عند الجدار الجوفي من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسمع عليه بعض الأحاديث.

روى عفيف الدين عن جماعة يحيى بن ابي السعود بن ابي القاسم المؤتمن[3]. وسمع من ابي الحسن المبارك بن محمد بن مزيد بن هلال الخواص، ومن فضل الله الجيلي، وسمع منه ابو الحسن بن جابر بن علي والقاسم البِرْزَالي والكازروني الصالحي ببغداد وابو بكر عبد الله الصنهاجي[4].

240- ابو الحسن التجاني

علي بن إبراهيم بن محمد التجاني.

وهو أحد صدور طلبة تونس ومقرئيها ومبرزيها في العربية والأدب، والناظم الناثر الحافل[5]، ويبلغ من سرعة النظم وسهولته مبلغا لم ينته أحد من أهل زمانه إليه مع

---

[1]:انظر بعض أخبار عفيف الدين في تاريخ علماء بغداد 84 وذيل العبر 15/وفيات 685(عبد الرحيم) والنجوم الزاهرة 361/7 والرسالة المستطرفة 161 وقد أوردت بعض المصادر اسمه(عبد الرحمان).

[2] : الرحلة 9/5.

[3]: الواد آشي 96.

[4]: انظر بعض أخبار البصري في: تاريخ علماء بغداد 93 وشذرات الذهب 435/5 وذيل العبر 334/2- 441.

[5]: الرحلة 56/5و 79/5.

ما جبل عليه من حسن الخلق، حتى يقال أنه لا يظهر عليه أثر الغضب لولا أنه يعرف ذلك لحمرة تعتريه في وجنته.

وكان قد قدم مكة قبل قدوم ابن رشيد إليها، لقيه وتجدد اللقاء، لما قرأ ابن رشيد مكتوبا في وجه الخزانة الكريمة، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة، والتي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه صلى الله عليه وسلم- هذين البيتين المكتوبين ببياض في سواد:(الطويل).

سعدتم به يا زائـــرين ضريحه * * امنـتم به يوم المعـاد من الرجـــس

سلمتم وأصبحتم بأكناف طيبة * * فطوبى لمن يضحي بطـيبة أو يمسي

سال صاحبه ابا الحسن أن يزيد عليهما فقال مرتجلا :(الطويل)

قفوا سلموا هذا ضريح محـمد * * أما تبصرون اسنى من الشـــمس

فصلوا عليه واســألوا وتوسلوا * * إلـــى الله بالمـبعوث للجن والانس[1]

ولما دخلا الروضة الكريمة سال ابن رشيد التجاني أن ينشد له شيئا لنفسه في المعنى فأنشد له وكتب ذلك رفيقهما ابو عبد الله ابن الحكيم:(الطويل)

أقول إذا ما نحن صرنا بطيبـة * * نزلنا بحمد الله بالمنـزل الرحـب

نزلنا بمغنى اكرم الخلق كلهم * * قرأنا عليه اليوم مغـفرة الذنـب

وابو الحسن هذا هو والد ابي الفضل التجاني صاحب ابن رشيد الذي خصه بترجمة حافلة[2].

وكان التجاني حافظا لدرر من الشعر وراويا لكثير منها[3]

241- فاطمة البطائحي (625 - 711)

أم الخير وأم محمد فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلبكي. وصفها ابن رشيد بالشيخة الصالحة الكاتبة[1] وكانت دينة متعبدة مسندة[2].

[1]:انظر رواية ذلك في رحلة العبدري 205.
[2]: انظر بعض شعره الرقيق في عنوان الاريب 87/2.
[3]: العبدري 258.

لقيها بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم لما قدمت في ركب الشام زائرة حاجة وذلك بمسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكتب خطها بالإجازة له ولبنيه، ومن تسمى معهم في الإجازة وذلك بمحضر ابنها، وكانت تسدل جلبابها على وجهها حياء وصونا.

قرأ ابن رشيد على الشيخة أم الخير بعض الأحاديث كحديث (لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار).

سمعت البطائحي على الحسين بن مبارك الزبيدي صحيح البخاري وذلك مرات، وسمعت صحيح مسلم علي ابن الحصيري شيخ الحنفية، وسمعت من ابن رواحة. وممن أخذ عنها السبكي[3].

242- عماد الدين الشقاري (606-699 هـ)

أمير الحاج، ابو نصر، ابو الحجاج يوسف بن ابي نصر بن ابي الفرج بن ابي نصر بن الشقاري.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الجليل الفاضل[4]، وأمام الروضة المشرفة. وقد لقيه بالمدينة المنورة بعد أن قدمها زائرا في ركب الشام وسمع عليه وأجاز له ولبنيه ولمن ذكر معه في الاستدعاء، وكتب خطه بذلك في 24 ذي القعدة 684 هـ. وقرأ عليه جميع ثلاثيات البخاري بسماعه على ابن الزبيدي، وبعض الأحاديث. ومما أخبر به ابو نصر انه سمع جامع البخاري بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ابي عبد الله الزبيدي كرتين، وأنه سمع عليه جزء ابي الجهم وغير ذلك.

وقد حدث الشقاري بالصحيح مرات وحج مرات وتوفي زمن التتار[5].

---

[1]: الرحلة 5/5 والدرة 264/3 ت 1315.
[2]: الشذرات 28/5.
[3]: انظر بعض أخبارها في ذيول العبر: 60/17 والدرر الكامنة 220/3 ومرآة الجنان 4/وفيات 711.
[4]: الرحلة 13/5.
[5]: درة الحجال 348/3 ت 1484 وانظر رحلة التجيبي مستفاد الرحلة 380.

أ.أ. ذكر من لقيهم بمكة المكرمة

243- ابو بكر بن خليل

وصفه ابن رشيد بشيخنا[1].

وقد ورد ذكره عرضا في الرحلة عندما أورد حديث(الملتزم[2] موضع يستجاب فيه الدعاء) وذلك في ترجمة رضي الدين وعلم الدين العسقلانيين[3].

قال ابو بكر بن خليل:(ما دعوت الله فيه بأمر مهم إلا استجاب لي) وقال ابن رشيد أنه دعا الله هناك في أشياء من خير الدنيا والآخرة فعجلت الإجابة في بعضها أثر قدومه، وهو يرجو الإجابة في الباقي بحول الله وفضله.

244- علم الدين العسقلاني

احمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني المكي وهو اخو رضي الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني.

لقيهما ابن رشيد بمكة وذلك يوم 7 ذي الحجة 684 هـ وسمع من علم الدين خبر الحجر الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم، واجاز له ولبنيه[4].

245- محب الدين الطبري

(611 أو 615- 694)

ابو العباس احمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري ثم المكي.

وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه المحدث والإمام المصنف العالم العابد، وأحد العلماء الفضلاء[5]، وهو شيخ الحرم وحافظ الحجاز بلا مدافعة[6].

---

[1]: الرحلة 28/5.

[2]: بكسر الزاي، ما بين الحجر الأسود والباب ويقال له المدعى والمتعوذ سمي كذلك لالتزامه الدعاء والتعوذ. معجم البلدان 190/5.

[3]: الرحلة 25/5 ترجمة 244 من هذا البحث.

[4]: الرحلة 25/5.

[5]: الرحلة 49/5 مكرر.

[6]: طبقات الشافعية الكبرى 18/8- 19.

لقيه بالحرم الشريف وطلب منه السماع والإجازة لما ضاق الوقت عن ذلك أجاز له بخطه، باستدعاء رفيقه الوزير ابن الحكيم. وقد أجاز له ما رواه وألفه على العموم. واجاز لابنه ولجماعة من الأصحاب. وأخيرا ابن الحكيم صاحبه ابن رشيد، عن شيخهما ابي اليمن بن عساكر أنه قال: لم ار المحب في وقت من الأوقات إلا في عمل من صلاة أو طواف أودعاء أوتعليم علم أو تصنيفه أونحوها.

ومن مرويات المحب الطبري، وهي لابن رشيد منه إجازة وافاده بها عنه رفيقه ابن الحكيم: الطبقات التي صنفها ابو الفرج ابن الجوزي، وأنشده ابن الحكيم ما قاله الطبري من شعره مخاطبا الكعبة شرفها الله ومن ذلك:(الطويل)

وقائلة هل يجمل النوم مع وصلي * * ومثلك محسود على الوصل من مثلي

وللمحب كتب كثيرة ومفيدة[1].

ابو القاسم بن الزجاج

ابو القاسم عبد الحميد بن احمد بن محمد بن الزجاج البغدادي.

انظرترجمته ص: 404 ت 237 من هذا البحث وذلك فيمن لقيهم بالمدينة المنورة.

ابو محمد بن الزجاج

ابو محمد عبد الرحيم (عبد الرحمان) بن محمد بن أحمد بن الزجاج البغدادي.

لقيه ابن رشيد بوادي الازرق ثم تجدد اللقاء في المدينة المنورة، ثم لقيه أيضا في مكة المكرمة مع اخيه ابي القاسم عبد الحميد بن احمد السالف ذكره، وذلك في14 ذي الحجة 684 هـ وبصحبة الوزير ابن الحكيم. ومما أخبرهما به ابو محمد: حديث اعتنامه صلى الله عليه وسلم بالعمامة السوداء يوم فتح مكة، وحديث دهن رأسه صلى الله عليه وسلم بالطيب وغير ذلك[2].

---

[1]: وانظر عن المحب هدية العارفين 1091/1 وشذرات الذهب 4/5 و425 والمنهل الصافي 82/1 ت 184 وذيل العبر 382/15 والبداية والنهاية 13/ وفيات 694 والنجوم الزاهرة 74/8 وطبقات السيوطي 510 ت 1131 والدرة 336/2 ت 931 ودول الإسلام 153/2. ومرآة الجنان 4/وفيات 694 والزركلي 153/1 والسنن الابين 78 ومعجم المؤلفين 13/1،363/298 وبركلمان 219/6 وكتاب ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى طبع 1947 دار الكتب العراقية.

[2]: الرحلة 54/5.

246- ابو اليمن بن عساكر(614- 686 هـ)

أمين الدين، ابو اليمن، عبد الصمد بن الوهاب بن أبي البركات الحسين بن محمد بن عساكر الدمشقي الشافعي نزيل الحرم الشريف،[1] وهو الإمام الزاهد المجاور بمكة[2] والمحدث[3].

صاحب التوجه والصدق والشاعر المجيد والمدرس بالمدرسة النورية[4] لقيه ابن رشيد بمكة المكرمة وأجاز له، وقد خصه بترجمة حافلة بأخبار مهمة ومفيدة، وانشادات حسنة المنازع رائقة المطالع، ولما كان ابو عبد الله بن الحكيم قد لقي هذا الشيخ أيضا وروى عنه كثيرا، فإنه كان مصدرا مهما لمعارف ابن رشيد في ترجمته وأخباره، وهو الذي أنشد عليه جل تلك الإنشادات، ومن خطه كان ينقل ما تناوله من يد الشيخ ابي اليمن[5]، ومن خطه كذلك قرأ ابن رشيد على شيخه ابي اليمن، وكذلك قرأ بخطه ما أنشده صاحبهما أثير الدين أبو حيان الغرناطي ما أنشده جار الله أبو اليمن[6]، ولهذا جاءت تلك الترجمة، التي اشترك فيها ثلاثة رواة مشهورين، مستفيضة زاخرة بكثير من فنون العلم حتى ملأت ما يقرب من خمسين صفحة.

ومما أذن ابن عساكر لابن رشيد في روايته عنه في الجملة كتاب التصحيح المسمى بكتاب التقاسيم والأنواع لابي حاتم بن حبان البستي.

وممن أفاد ابن رشيد بذكر بعض شيوخ ابن عساكر، صاحب ابن رشيد، ابو عبد الله اللقاني.

وله شعر كثير ومنه في وصف كتاب(الطويل).

وجـــاء ت إليـــنا من لدنك رسـالة * * على فترة في آيِهَا الذكر محكـــم

اخط يـــراع أم قنا الخط أشـــرعت * * يراع لها قلب الكمي المصمـــم[7]

---

[1]: الرحلة 29/5.

[2]: شذرات الذهب 395/5.

[3]: فوات الوفيات 328/2 ترجمة 282.

[4]: الدارس في تاريخ المدراس 160/1 مدرسة 21.

[5]: الرحلة 34/5.

[6]: الرحلة 48/5.

[7]: انظر بعض شعره في دراسة الشعر من هذا البحث ونفح الطيب 350/10 وفوات الوفيات 328/2.

ومن شيوخ ابي اليمن: محمد بن الحسين القزويني، وابو الحسن بن هبة الله وجده وابو الحسن السخاوي وابو عبد الله الحسين الاربلي وأجاز له أبو روح عبد العزيز البزار الصوفي وابن الصلاح وتقى الدين الصريفني وابو عبد الله الصفار الاستفرائني وابو عبد الله القسطلاني.

ومن تلاميذه ابو عبد الله ابن الحكيم وابن حيان وابومحمد الطبري وقد سمعوا منه مقدمة ابن الصلاح وأجازهم فيها وكذا في كتاب شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود.

ولأبي اليمن تصانيف في الحديث وغيره[1].

247- ابومحمد اللقاني

ابو محمد عبد الله بن سليمان اللقاني، وصفه ابن رشيد بصاحبنا ورفيقنا في الوجهة الكريمة، الفاضل الصالح[2] وكان اللقاني هذا قد اقام بدمشق مدة طويلة بعد قفوله من الحج مع ابن رشيد وصحبه، وسمع وقرأ على شيوخ كثير ممن لم يقدر لابن رشيد السماع عليهم، وقد اطلع صاحبه بثبت أسمعته بدمشق ومنهم تاج الدين الفزاري وتاج الدين ابو اسحاق الصريفني والحافظ الشريف ابو علي السكري وابو عبد الله الاسقرائني وغيرهم كثير[3].

248- ابومحمد المرجاني(633- 699)

عبد الله بن محمد المرجاني، وصفه ابن رشيد- بالشيخ الزاهد الفاضل[4] والصالح الفقيه[5] والصوفي المشار إليه بافريقية في وقته[6].

لقيه بخيف منى بعد صلاة العصر وذلك يوم الاثنين 8 ذي الحجة 684 هـ، وكان المرجاني قد وصل مع الجماعة من تونس، ولما وصلوا جميعا أشار المرجاني بموافقة

---

[1] : هدية العارفين 574/1 وفوات الوفيات 328/2. وانظر عن ابي اليمن أيضا. تاريخ علماء بغداد 87، 96 وابن فهد 81، 83 والبداية والنهاية 3 وفيات 686 ومرآة الجنان 4/وفيات 686.

[2] : الرحلة 35/5.

[3] : انظر التعريف باجزاء الرحلة في هذا البحث.

[4] : الرحلة 16/5.

[5] : الرحلة 25/5.

[6] : 17/2.

الجمهور في التوجه تلك الليلة إلى عرفات والمبيت بها، فكان ذلك الرأي رأيا مباركا ولما اراد ابن رشيد أن يقدم له راحلته وعزم عليه في الركوب ابى إلا أن يسايره إلى عرفات فوضع يده في يده وساروا جميعا إلى عرفات فوافوها عند غروب الشمس، فذهب هو مع صحبه لموضع نزوله، وانفرد ابن رشيد مع صحبه.

قد عرفنا أن ابن رشيد توجه مع ابي محمد الطبري الشريشي الصوفي وكان المرجاني يصغي إليه وهو على قرشة المركب العليا[1].

وكانت بين المرجاني ورضي الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر خليل العسقلاني(شيخ ابن رشيد بمكة)- مذاكرات فقهية وأصلية، أما العسقلاني فكان شديد المعارضة حر النظر، وله فضل الجدة في المناظرة، وتعرضا لإيراد الشبه بينهما كان ابو محمد المرجاني بعيدا عن طرق المناظرة[2] ومناقب المرجاني تحتمل مجلدا[3].

249- ابو علي بن الصواف(690- ....)

عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصواف نزيل الاسكندرية، وصفه ابن رشيد بالشيخ الفقيه العالم الزاهد الورع[4]، وقد لقيه في الحرم الشريف مع ثلاثة نفر من صحبه وكان لهم رفيق شديد الدُّرْبَة حسن المعرفة بالطريق وبتلك الأماكن الشريفة فصحبهم ابن رشيد للاقتداء بهم، وكان الشيخ ابو علي يقول لهم اسلكوا الطريق الوسط يعني التي في طريق النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يسلكون نعم الطريق فإذا غلبهم شدة الزحام تعلقوا بالجوانب إلى أن بلغوا مزدلفة بعد مغيب الشفق.

ولما قال ابن رشيد لابن الصواف أنه ليس على وضوء أشار عليه باتباع الحكم الشرعي[5]. ولما كان شديد الظمأ أخرج ابن الصواف زميزميه صغيرة جدا تخفي تحت ابط

---

[1]: انظر ترجمة الشريشي عدد 75 من هذا البحث.
[2]: الرحلة 25/5.
[3]: شذرات الذهب 451/5 وفيات 699 وانظر عن المرجاني أيضا طبقات الشعراني 272 وذيل العبر 408/15 وسبك المقال 54 وفهرست الرصاع 91 والفارسية 153 ودول الإسلام 159/2 وشرف الطالب 75 ومرآة الجنان 4 687/4 (ترجمة وافيه) وشجرة النور 193 ت 652 وتاريخ المغرب العربي 87.
[4]: الرحلة 19/5.
[5]: انظر دراسة الرحلة (الفقه).

الحامل فشربوا على كثرتهم، وما عاين ابن رشيد بركة ولا كرامة ظاهرة لأحد من شيوخه في سفره إلا تلك، وتكررت تلك الكرامة في عدم الحاجة إلى التيمم[1].

قرأ ابن الصواف ببجاية ثم ارتحل إلى المشرق وكان بارعا في الجواب على الفتيا، فإذا أفتى ترجح قوله على كل قول[2].

250- رضي الدين العسقلاني

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن خليل العسقلاني المكي، وصفه ابن رشيد بالفاصل العامل العالم الفقيه المفتي[3]. لقيه وأخاه الصالح المبارك علم الدين أحمد المكي وذلك بمنى وعرفات من الحرم الشريف، وَقَدَّمَا لَهُ من الطعام المعد للخروج علىعادة أهل مكة في الاحتفال بذلك بحسب استطاعتهم.

وقد تذاكر رضي الدين مع ابن رشيد في مسائل فقهية وأصلية وكان شديد المعارضة[4].وسمع علي العسقلاني بدارهما في 7 ذي الحجة 684 هـ (حديث الراحمون)، وقرئ على رضي الدين، وابن رشيد يسمع، كتاب الاربعين من رواية المحمدين لابي بكر الانصاري الحياني وغير ذلك من الأحاديث.

سمع العسقلانيان من ابن عساكر الدمشقي.

ابو عبد الله بن الحكيم

ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم[5].

التقى ابن رشيد مرة أخرى بابن الحكيم وذلك بمكة بعد أن أخذ عن بعض الشيوخ كابن عساكر الذي روى كثيرا انشاداته لابن رشيد[6].

[1]: انظر الكرامات في دراسة الرحلة، وبمعنى كراماته في عنوان الدراية ص: 180.
[2]: معجم اعلام الجزائر 124.
[3]: الرحلة 25/5.
[4]: انظر ترجمة المرجاني عدد 248 من هذا البحث.
[5]: انظر من ترجم لهم برندة.
[6]: انظر ترجمة ابي اليمن بن عساكر فيمن لقيهم ابن رشيد بمكة ترجمة 246 ص: 384 من هذا البحث.

رقم الإداع القانوني : 2003/1708
ردمك : 2-81-826-9981

مطبعة إليت
الهاتف : 45/46/47 41 81 037

رحلة ابن رشيد السبتي

أبي عبد الله محمد بن عمر

دراسة وتحليل
الدكتور أحمد حدادي

الجزء الثاني

1424 هـ / 2003 م
منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية



القسم الثالث

من أدبيات رحلة ابن رشيد

وفي ذلك مباحث:

- المبحث الأول : الشعر
- المبحث الثاني : النثر
- المبحث الثالث : البلاغة والنقد
- المبحث الرابع : النحو
- المبحث الخامس : العروض

المبحث الأول: (الشعر)

وفيـــه: مقدمـــة

- مقدار ذلك الشعر
- طبيعة هذا الشعر
- موضوعاته.

مقدمة:

إن أبرز سمة للاختيارات الشعرية الواردة في الرحلة هي غزارتها وتنوعها، فهي صورة لثقافة القرن السابع الهجري بخاصة ومصدر للتراث العربي الإسلامي بعامة. فهؤلاء الشعراء الذين جادت قرائحهم بذلك الشعر كان فيهم الأدباء والكتاب واللغويون والمحدثون والفقهاء والمتصوفة وغيرهم ممن كانت له مشاركة في أكثر من فن من فنون العلم والمعرفة، ولهذا جاء ذلك الشعر ممثلا لمشاربهم وأهوائهم وأذواقهم، ومصورا لاتجاهات عصرهم والتيارات السائدة فيه، ثم إن هذا الشعر يمثل كثيرا من العصور والأقطار العربية إلى زمن صاحب الرحلة، فإذا أحصينا مثلا الشعر الوارد بروي الدال: ألفيناه للشعراء التالية أسماؤهم حسب أمصارهم[1]:

- فمن الأندلسيين: أبو محمد بن برطله، وأبو عبد الله ابن الجنان، وأبو عبد الله الدراج، وسعيد بن حكم، وأبو المطرف بن عميرة، وأبو العباس المرسي، وأبو الحسن بن عصفور، وأبو العباس بن القصير، وأبو الحسن بن رزين، وأبو العباس التطيلي، وأبو اسحق الخزرجي، وأبو عبد الله بن الابار القضاعي، وأبو عبد الله بن الجلاب، وأبو عبد الله بن الحكيم، وابن حيان الغرناطي، وأبو الحسن القيجاطي، وأبو بكر بن يربوع، وأبو الحسن بن خروف، وأبو العباس بن الغماز، وأبو الحسن حازم القرطاجني، وأبو يعقوب ابن اندراس، ومحمد بن عيشون، وأبو بكر بن محرز، وأبو العباس الجهارني المالقي الجراوي، وأبو عمران الزاهد.

- ومن المغاربة: ابن رشيد وأبو زيد الفازازي، وضياء الدين عيسى الأنصاري السبتي، ومالك بن المرحل، والقاسم بن الشاط.

- ومن الجزائريين أبو عبد الله ابن أبي تميم الحميري.

[1]: في هذا التقسيم شيء من التجاوز، لأن كثيرا من الأندلسيين غادروا الأندلس واستوطنوا المغرب والجزائر وتونس وبلاد المشرق وفي بعض المشارقة من أصلهم من المغرب كالقسطلاني الذي أصله من بلاد الجريد، وفي بعض التونسيين من أصلهم من المغرب الأقصى كأبي بكر بن حبيش وأبي الحسن بن رزين الذين أنجبتهم سبتة، وممن استوطن القاهرة وأصله من فاس ضياء الدين السبتي.

- ومن التونسيين أبو القاسم بن زيتون، وأبو بكر بن حبيش وأبو الفضل محمد ابن علي التجاني، وعبد العزيز بن رأس الحجلة، وناصر الدين الحصري، وأبو عبد الله بن مبارك.

- ومن المشارقة: ابن جكينا البغدادي، وابن جني، والوأواء الدمشقي، وطرفة بن العبد البكري، وأبو اليمن عبد الصمد بن عساكر، وابن زماخ المهمندار، وأبو عبد الله المرزبان الكرماني، وأبو الطيب المتنبي، وأبو محمد السراج البغدادي وقطب الدين القسطلاني، وأبو تمام، وابن خميس الجوزي، وأبو حامد الغزالي، وابن الرومي، وشهاب الدين محمد بن الخيمي، وأبو حفص عمر بن الفارض، وأبو طاهر السلفي.

مقدار الشعر الوارد في الرحلة

أما ما ورد في أجزاء الرحلة الموجودة من الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات والقصائد فيقرب عددها من ستمائة[1]، ومجموع عدد أبياتها يربو على ستمائة وأربعة آلاف بيت وذلك في أغراض مختلفة وهي:

في الحديث والمحدثين	40 بيتا	تقريبا	في	12	موضعا
في المديح النبوي	480 "	"	"	16	"
في الحجازيات والمقام النبوي	230 "	"	"	27	"
في الزهد	300 "	"	"	45	"
في الزهد والاستغفار والتسبيح	100 بيت	تقريبا	في	10	مواضع
في الاكتحال ومأساة الحسين	175 "	"	"	22	موضعا
في الحكمة	55 بيتا	"	"	23	"
في الألم والشكوى والفراق والحنين والشوق والوداع	320 بيت	"	"	48	"

[1]: إني استعملت هنا كلمة التقريب اعتبارا للقصائد المنفردة من الأجزاء المعروفة، وهي موجودة في المراجع التي كانت تنقل منها وفيها ما يزيد على مائة بيت شعري.

في وصف الدهر وتغير الزمان	50 بيتا	"	"	12	"
في الشيــب والشبــــاب	30	"	"	10	مواضع
في الرثـــاء	80	"	"	15	موضعــا
في المدح (مدح الأشخاص والكتب)	1100 بيت تقريبا	في		104	موضــع
في الفخـــــر	48	"	"	9	مواضــع
في الحــــرب	150	"	"	4	"
في الهجاء والعتـــاب	13	"	"	3	مواضــــع
في التهنئة	80	"	"	3	"
في الغزل والنسيب	360	"	"	14	موضــعا
في الألغاز	30	"	"	25	"
في الإجازة في معاني العلوم كالنحو	170	"	"	13	"
والحروف والحساب والفقه والمنطق والقراءة وغيرها	40	"	"	14	"

في وصف: النزهة والرياض والزرع والكتابة ونعم الله والشمس والقوس والسكين والشمعة والمسجد والدولاب ونزول المطر ... والمداعبات والطرف والملح وغير ذلك: أكثر من 700 بيت.

وأما عدد الشعراء الذين نسب إليهم شعرهم فيقرب من خمسين وثلاثمائة شاعر، وهناك نتف ومقطعات كثيرة لم تنسب إلى أصحابها وذلك في أزيد من أربعين ومائة موضع، ومعنى هذا أنه لو حققت تلك الأبيات لأصبح عدد أولئك الشعراء قريبا من خمسمائة شاعر.

ويمكن القول أيضا انه لو توافر لدينا ما فقد من أجزاء الرحلة لاجتمع لدينا أكثر من ستة آلاف بيت في أغراض مختلفة ولإعطاء دليل على ذلك نجد أن أبا العباس المقري أفادنا ببعض النصوص التي كان ينقلها مباشرة من الرحلة وضمنها كتبه مثل

كتاب فتح المتعال[1] وأزهار الرياض[2] ونفح الطيب[3]، ثم ان ابن القاضي أفادنا كذلك ببعض تلك النصوص والتراجم، مما يدلنا أيضا على أنه كان ينقل منها[4]، ثم ان هناك بعض الشيوخ الذين ورد ذكرهم في كتاب عنوان الدراية وكانوا معاصرين لابن رشيد، وفيهم من تحقق اللقاء بهم وفيهم من يحتمل أن يكون اتصل بهم أو ذكرهم في القسم الأول من الجزء الأول، فأما الذين لقيهم فعلا فهم: مؤلف عنوان الدراية نفسه (توفي 704 هـ)[5] وأبو محمد بن مخلوف بن كحيلا (ت 602-686 هـ)[6] وأبو عبد الله بن صالح بن رحيمة الكنـدانـي (ت 699 هـ)[7] وكان شاعرا مجيدا، وأبو القاسم بن زيتون (ت 691 هـ)[8]، وأبو علي منصور المشذالي (ت 731 هـ)[9]، وأبو جعفر اللبلي[10]، وعبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي[11] وأبو العباس بن الغماز (619-693)[12]. وأما الذين يحتمل أن يكون التقى بهم فهم: أبو الحسن ب يحيى الأزدي[13] (601-991)، وأبو عبد الله الخزرجي الشاطبي (691 هـ)[14]، وأبو اسحق الزواوي (686 هـ)[15] وأبو محمد بن عثمان التميمي (720 هـ)[16] وأبو يوسف الزواوي (690 هـ)[17].

وفي رحلة العبدري ذكر لأمثال ابن خميس الحجري الشاعر المشهور وابن خطاب وغيرهم.

---

[1]: فتح المتعال باب 3.
[2]: أزهار الرياض 263/3.
[3]: نفح الطيب 394/2 و 338/3 – 378 و 218/6 و 791/7 و 12/3 24-31.
[4]: درة الحجال 220/1 ترجمة 319 و 3/2 ترجمة 48 و 19/2 ترجمة 460 و 93/2-96 ترجمة 531 و 6/2-14 ترجمة 450.
[5]: الاستدعاء لابن رشيد 1.
[6]: عنوان الدراية 91.
[7]: نفسه 126.
[8]: نفسه 114.
[9]: نفسه 200.
[10]: نفسه 308.
[11]: نفسه 122.
[12]: عنوان الدراية 129.
[13]: نفسه 121.
[14]: نفسه 126.
[15]: نفسه 182.
[16]: نفسه 214.
[17]: نفسه 300.

وفي رحلة البلوي كذلك ما يفيد أن الأندلس وشمال افريقيا كانتا تحتضنان كثيرا من الشعراء الذين طار صيتهم غربا وشرقا.

ومن الإفادات المهمة ما ذكره ابن قنفذ القسطنطيني في كتابه أنس الفقير من أن ابن رشيد ذكر أبا محمد عبد الحق بن ربيع البجائي[1] وأثنى عليه، معنى هذا أن ابن رشيد كان يجمع المعلومات المهمة عن الحركة الفكرية والثقافية بالمغرب الأدنى والأوسط والأقصى في عصره، ويترجم لكل من اشتهر ذكره في الأدب والحديث والفقه وغير ذلك. ولهذا نقول ان الجزء الأول قد يكون فيه أيضا شعر كثير اسوة بالجزء الثاني والخامس والسادس والسابع كما ذكرنا. وكل هذه الأجزاء تحتوي على ذخيرة مهمة من الشعر الذي يمثل درة يتيمة في تاج مفرق الأدب العربي عامة والمغربي خاصة وإلا فأين شعر أولئك الشعراء الكبار أمثال أبي اسحق التلمساني ومالك بن المرحل وابن الشاط وأبي عبد الله الصنهاجي المعروف بجمعة وأبي القاسم القبتوري وأبي بكر عبيدة وأبي عبد الله الدراج وأبي الحجاج الطرطوشي وابن خميس الرعيني وابن البناء العددي وابي بكر القللوسي العروضي، وابن الحكيم الرئيس الكاتب الرندي المشهور وابن عاصم الأسدي وأبناء ابن حكم القرشي صاحب ثغر منرقة وغيرهم ممن كان يدور في فلكهم، ونجد بعض ذكرهم في الرحلة أو اختصار القدح المعلى وعنوان الدراية ونفح الطيب وأزهار الرياض وغير ذلك من الكتب.

وانطلاقا من هذا الافتراض يمكن القول ان الجزء الرابع المفقود لو وقع بين أيدينا لقرأنا فيه كذلك كثيرا من الشعر لشعراء شاميين وغيرهم، وقد عرفنا أن بعض الذين لقيهم أمثال ابن رواحة وعفيف الدين التلمساني وأبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الأديب الناقد وغيرهم. قد كانوا شعراء ورواة للشعر وناقدين له، وحتى إذا لم يكن جل الذين لقيهم في الشام شعراء وأدباء، فإنهم كانوا محدثين في الغالب الأغلب، ولكن لا ننسى أنهم كانوا يروون كثيرا من الشعر الديني في المديح النبوي والزهد والتصوف وغير ذلك كما نجد عند العفيف التلمساني، بل انهم كانوا يتذوقون الأدب والشعر الرفيع،

---

[1]: أنس الفقير وعز الحقير 101، وينبغي أن ننبه على الخطأ الذي وقع في تاريخ وفاة ابن ربيع وهو 675 بدلا من 777 ما ذكره صاحب الأنس وأحسبه، سهوا، وانظر أيضا طبقات المالكية 201 ترجمة 684 وعنوان الدراية 85 وما قاله عنه ابن الابار في كتاباته الأدبية والصوفية.

ويؤرخون للحركات الفكرية لعصرهم. وفي كتب طبقات الحنابلة وفوات الوفيات والوافي بالوفيات وذيل العبر والدرر الكامنة والبدر الطالع وغيرها من المعاجم وكتب التاريخ ما يجعلنا نقتنع أنه لو وصل إلينا الجزء الرابع من الرحلة لأتحفنا فيه ابن رشيد بكثير من الشعر الذي جمعه وانتقاه وضمنه ذلك الجزء.

وإذا أردنا إحصاء تقريبيا كميا مفصلا لشعر الرحلة ينبغي أن نشير إلى أن فيها أبياتا مفردة ونتفا وقطعا وقصائد قصيرة ومتوسطة وطوالا.

فأما عدد ما ورد فيها من الأبيات المفردة فيقرب من ثمانين بيتا. ومن النتف ما يربو على مائتي نتفة.

وأما القطع ذات الأبيات الثلاثة فيزيد عددها على 120 قطعة

وأما " " الأربعة فتقرب " من 70 "

وأما " " الخمسة فيزيد " على 40 "

وأما القطع ذات الأبيات الستة فيقرب عددها من 30 "

وأما القصائد " " السبعة " " " 15 قصيدة

وأما " " الثمانية " " " 12 "

وأما " " التسعة " " " 10 قصائد

وأما " " العشرة " " " 5 "

وأما القصائد التي يتراوح مقدار أبياتها ما بين أحد عشر بيتا وعشرين بيتا فيبلغ عددها ستا وثلاثين قصيدة وهي تتوزع كالتالي:

2	(قصيدتان)	ذواتا	11	بيتا
3	قصائد	ذات	12	"
7	"	"	13	"
4	"	"	14	"

5	"	"	15	"
3	قصائد	ذات	16	بيتا
5	"	"	17	"
3	"	"	18	"
1	قصيدة واحدة	"	19	"
3	قصائد	"	20	"

وأما القصائد المتوسطة التي يتراوح مقدار أبياتها ما بين عشرين وتسعة وثلاثين بيتا فيبلغ عددها ثمانية وعشرين قصيدة وهي توزع كالتالي:

4	قصائد	ذات	21	بيتا
2	قصيدتان	ذواتا	22	"
3	قصائد	ذات	24	"
3	"	"	25	"
3	قصائد	ذات	26	بيتا
1	قصيدة واحدة	"	27	"
1	قصيدة واحدة	"	20	"
2	قصيدتان	ذواتا	20	"
4	قصائد	ذات	30	"
1	قصيدة واحدة	"	31	"
1	قصيدة واحدة	"	34	"
1	قصيدة واحدة	"	35	"
1	قصيدة واحدة	"	37	"

1	قصيدة واحدة	"	38	"

وأما القصائد الطوال التي تربو أبياتها على أربعين فيبلغ عددها ثلاث عشرة قصيدة توزع كالتالي:

1	قصيدة واحدة	ذات	42	بيتا
2	قصيدتان	ذواتا	46	"
1	قصيدة واحدة	ذات	52	"
1	قصيدة واحدة	ذات	53	بيتا
1	قصيدة واحدة	"	54	"
2	قصيدتان	ذواتا	56	"
1	قصيدة واحدة	ذات	59	"
1	قصيدة واحدة	"	66	"
1	قصيدة واحدة	"	77	"
1	قصيدة واحدة	"	92	"
1	قصيدة واحدة	"	100	بيت
1	قصيدة واحدة	"	177	بيت

ولتكوين فكرة واضحة عن توزيع هذا الشعر في الأجزاء الخمسة الموجودة نجد أن في الجزء الثاني بضعة أبيات مفردة (ست أبيات) وما يزيد على ستين نتفة وما يربو على مائة قطعة وما يقرب من عشرين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وثمانية وسبعين بيتا.

وفي الجزء الثالث بضعة أبيات مفردة (خمسة أبيات) وعشرون نتفة وما يزيد على أربعين قطعة وخمس قصائد يتراوح عدد أبياتها ما بين عشرة وسبعة وثلاثين بيتا.

وفي الجزء الخامس ما يربو على عشرين بيتا مفردا وما يقرب من أربعين نتفة وعشرين قطعة وثلاث وعشرين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وسبعة وسبعين ومائة بيت.

وفي الجزء السادس ما يقرب من عشرين بيتا مفردا وتسعين نتفة وما يقرب من عشر ومائة قطعة وست وخمسين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبعة وسبعة وستين بيتا.

وفي الجزء السابع ما يقرب من ثلاثين بيتا مفردا ومائة نتفة وسبعين قطعة وسبع وأربعين قصيدة يتراوح عدد أبياتها ما بين سبع ومائة بيت.

ومن خلال هذه الصورة يتجلى لنا، كما بينا، أن الأجزاء: الثاني والسادس والسابع يطغى عليها الجانب الأدبي لما تحتوي عليه من الأبيات والقصائد وبعض النصوص النثرية والنظرات النقدية.

وأما الجزء الثالث فيغلب عليه جانب الحديث لما يحتوي عليه من الروايات والأسانيد.

وأما الجزء الخامس فيمثل الحد الوسط بين الجانبين الجانب الأدبي وجانب الرواية في الحديث وغيره.

طبيعة هذا الشعر

أـ توثيق الرحلة لشعر القدامى

كان ابن رشيد يتلقى هذا الشعر بطرق مختلفة، فهو تارة ينقله من أمهات الكتب والدواوين، وأخرى يرويه عن شيوخه وأصحابه وهو يكتب عنهم أو يكتب عنه أحد أصدقائه، وأخرى يكتبه له هؤلاء الشيوخ والأصحاب بخط يدهم، ولهذا يستعمل عبارات معينة في ذلك مثل قوله: كتب إلي وكتب لنا[1] وأنشدني[2] وأنشدنا[3] وأنشدني

[1]: الرحلة 6/2 من شعر صاحبه ابن الحكيم و 23/2 شعر ابن عساكر أبي اليمن عبد الصمد.
[2]: الرحلة 18/2 من شعر ابن الحكيم.
[3]: الرحلة 17/2 من شعر صاحبه أبي محمد الطبري الشريشي الصوفي.

بلفظه ونقلته من خطه[1] أو من إملائه علي[2] أو كتبه لي بخطه[3] أو قرأت على ...[4]، وأنشدت بلفظي على الشيخ ...[5] ومما قرئ على الشيخ من قبله وأنا أسمع[6] ومما أمر بكتبه إلي... وأنشدني بعضه إن لم يكن كله[7]، وأنشدني فلان بقراءة فلان[8]، ومن نظم فلان مما أجازه لنا ونقلته مما قرئ عليه وصحح بخطه عليه[9]، وغير ذلك من العبارات التي تدل على حسن الضبط والتوثيق والتثبت من الرواية ونسبة الشعر إلى قائله والحرص على سلامة السند فيه فقد كان غالبا ما يقدم للأبيات بالسند المرفوع إلى راويها أو قائلها وذلك تأثرا بمنهج المحدثين وطريقتهم في التحمل والرواية توخيا منه الأمانة العلمية وحفظ الأثر والتراث من شائبة النحل والانتحال والتزيد. وبذلك يكون كثير من هذا الشعر موثقا توثيقا ذا قيمة كبرى في مجال التحقق، وهذا فضل المحدثين على الشعر والأدب بعامة.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أيضا أن هناك من وردت لهم أشعار كثيرة في نتف ومقطعات وقصائد مما يمكن أن يؤلف في حد ذاته ديوانا أو شبه ديوان، ونجد مثل ذلك عند أبي الفضل التيجاني وأبيه أبي الحسن، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا ديوان أسرة التيجانيين[10] وكذا عند أبي بكر بن حبيش[11] وكل هؤلاء في تونس، ونجد مثل ذلك أيضا عند أبي اليمن بن عساكر المقيم في الحرم الشريف، وذلك في قصائده الحجازيات الحافلة بالمعاني السامية والتشبيهات الرائعة[12] والعواطف الحارة التي سبكها في قول سهل وأسلوب بديع، ولهذا جاء ذلك الشعر ذا ماء ورواء.

---

[1]: الرحلة 6/102-103 شعر أبي العباس الحميري.
[2]: الرحلة 3/30 املاء بهاء الدين بن النحاس لشر لسنبلي.
[3]: الرحلة 2/23 رواية أبي حسان الشاطب لشعر خميس الجوزري وانظر أيضا 2/60 و 6/97.
[4]: الرحلة 3/50 رواية الصفي المراغي لشعر فارس بن الحسين.
[5]: الرحلة 3/74 رواية أبي صادق القرشي لشعر ابن السراج اللغوي.
[6]: الرحلة 3/8 شعر ضياء الدين الخزرجي.
[7]: الرحلة 3/9.
[8]: الرحلة 6/82 إنشاد ابن رزين بقراءة أبي الفضل التجاني.
[9]: الرحلة 6/84 نظم أبي العباس اللبلي في تسبيح الباري.
[10]: الرحلة 7/ترجمة أبي الفضل الوافية والحافلة. (7/5-51).
[11]: الرحلة 2/1 والحلة 6/34.
[12]: الرحلة 5/30.

وبما أن كثيرا من هذا الشعر الوارد في الرحلة أخذه ابن رشيد عن شيوخه وأصحابه مباشرة بواسطة الإملاء أو النقل من خطوطهم ودواوينهم، كما بينا، ثم انه كان ينقل بعض الشعر القديم مسندا إلى أصحابه، فإن الرحلة تكون أهم مصدر لذلك الشعر لمن أراد توثيقه وتصحيحه وضبطه وتحقيقه، والدليل على ذلك أننا عندما نطلع على تراجم كثير من أصحابه وشيوخه لا نعثر على شعرهم في الكتب والفهارس والمعاجم التي ترجمت لهم أو عرضت لذكرهم، وحتى إذا وجد شيء من ذلك فإنه قد يعتريه شيء من النقصان والتحريف في مواضع كثيرة، ولقد صدق ابن رشيد عندما قال:

"وإن كنت أودعته من الفوائد ما لعله لا يحصره ديوان، ويعسر وجوده على ذي البحث والتنقير والافتنان"[1].

ومصداقا لذلك نورد بعض النصوص التي تؤيد قول ابن رشيد وتدلنا على أن الرحلة مصدر حقا للتراث الشعري، وهي عاملة على حفظه وتوثيقه.

- فمن ذلك قصيدة أبي الحسن حازم القرطاجني (الصادية) ومطلعها (الطويل)[2].

منى النفس تدني منكم والنــوى تقصي　　فكم ذا نطيع الدهر فيكم وكم يعصى

وفيها مائة بيت.

فقد وردت في الرحلة كاملة مضبوطة لم يسقط منها كلمة واحدة، بينما وردت في الديوان[3] أقل تحقيقا وضبطا، وفيها حذف لبعض الكلمات، والراجح أن محقق الديوان لم يرجع إلى كتاب الرحلة لأجل التوثيق والتحقيق، ولهذا أسقط منها بعض الكلمات وأشطار البيت، وأورد الدكتور بلخوجة هذه القصيدة أيضا كاملة موثقة لانه نقلها من الرحلة مباشرة، وبهذا تعتبر محققة تحقيقا علميا، ثم إن ابن رشيد نقلها مباشرة من مصدرها لأنه رواها عن أبي الفضل التجاني الذي قرأها على شيخه العلامة أبي الحسن حازم في مدح الأمير أبي زكرياء بن أبي محمد بن أبي حفص.

---

[1]: الرحلة 6/7.
[2]: الرحلة 40/7.
[3]: الديوان بتحقيق د. عثمان الكعاك ص: 22 وانظر قصائد ومقطعات ص: 146 نقلا عن الرحلة.

- وهناك قصيدة مخمسة لأبي بكر زكرياء بن قطب القسطلاني ومطلعها (البسيط)

أردت من زمني جودا يفيدا جـدا   فضن عنـي لما لأرجوه مجتهـــدا

فقلت مذ لم أجد حرا ينيل نـــدى   لأجهدن على أن لا أرى أحـدا

وأنثنـــي خاليا عن قرب من بعـــدا

فقد وردت هذه القصيدة في الرحلة كاملة وفيها تسع مخمسات واضحة الخط، مقروءة ومضبوطة[1]، بينما وردت في درة الحجال[2] وقد سقطت منها كلمات كثيرة لدرجة أنها لا يستقيم لها وزن ولا معنى بسبب كثرة الخلط والتقديم والتأخير في أبياتها بدون مسوغ يذكر، ولعل السبب في ذلك أن صاحب الدرة كانت له نسخة سقيمة من الجزء الثالث ضاع أصلها الذي توجد منه نسخ أخرى أقل سقما مثل تلك التي بين أيدينا، ولولا ذلك لكانت أبياتها تامة، لأن ابن رشيد روى تلك القصيدة عن شيخه إنشادا من لفظه، وقرأها أيضا عليه، وفي ذلك توثيق وضبط لا مزيد عليهما[3].

- وهناك قصيدة لأبي نواس في الزهد ومطلعها (الطويل)[4]

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل   خلوت ولكن قل علـــي رقيـــب

فقد ورد منها في الرحلة تسعة أبيات كاملة، بينها لم يورد محقق الديوان سوى ثلاثة[5]، ثم ان صاحب الديوان لم يذكر المناسبة والظروف المحيطة برواية تلك القصيدة، بينما نجد في الرحلة ذكر المناسبة وتمهيدا لها بقصة مما يضفي عليها جوا من حسن التأثير والوقع في النفس، وقد وردت في الرحلة على هذه الصفة: "قال ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل رضي الله عنه يوما فسمعته يقول: كنت في البصرة في بعض مجالس العلماء، فرأيت من شعره في الزهد فأنشأ يقول: القصيدة .. ".

---

[1]: الرحلة 113/3.
[2]: الدرة 221/1 ترجمة 319.
[3]: الرحلة 113/3 والدرة 221/1 التي أشار محققها إلى أن في بعض نصوصها كلاما مطموسا (انظر الحاشية).
[4]: الرحلة 117/3.
[5]: الديوان ص: 615. بتحقيق وضبط وشرح د. أحمد عبد المجيد الغزالي مطمر 1953 القاهرة.

فمن خلال هذا النص نستفيد فوائد جلى منها إضافة أبيات جديدة للقطعة الموجودة في الديوان لتصبح بذلك قصيدة، ومن ذلك الاستفادة بأن أبا نواس كان يعقد مجالس للعلم عامة والزهد والدين خاصة، فقد قال فيه إسماعيل بن نوبخت: "ما رأيت قط أوسع علما من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه..."[1]. ثم إن هناك سؤالا يتبادر إلى ذهننا وهو: أين شعر أبي نواس في الزهد؟ إذ لم يصل إلينا منه سوى ثلاثين قطعة تقسمت بين قصيدة قصيرة ومقطوعة ونتفة في ستة عشرة صفحة لا غير وذلك في ديوان يشتمل على ثلاثين وسبعمائة صفحة، ألم تكن قصائده في الزهد جرى لها ما جرى لهذه القصيدة التي بين أيدينا. مع شهرة ديوانه الذي لم يصل إلينا منه إلا اليسير؟. وقد قال فيه ابن خلكان: "ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه"[2] ولو لم يكن أبو نواس بهذا القدر من العلم والقدرة على القول في الزهد والتصرف والنصح العام لما كانت له مواقف مشهورة ومشهودة في المسجد الجامع بحضرة الخطيب[3] والمأمون والحسن البصري وغيرهم.

- ومن ذلك قطعة لأبي اسحق بن خفاجة كان قد أعدها لتكتب على قبره، فقد ورد منها في الرحلة[4] ستة أبيات ومطلعها (الطويل).

خليلي هل من وقفة بتــــألم على جدثي أو نظـرة بترحــــم

وكذلك وردت في ديوانه بتحقيق السيد مصطفى غازي[5] ولكن للرحلة فضل السند الذي يقول فيه: "قرأت على الكاتب أبي الحسن بن رزين قال: سمعت على الكاتب أبي عبد الله الابار قال: وأنشدنا أبو الربيع، يعني ابن سالم قال: أنشدنا أبو رجال بن غلبون بمجلس شيخنا الخطيب أبي القاسم بن حبيش قال: أنشدنا أبو اسحق بن خفاجة لنفسه وأعدها لتكتب على قبره: القصيدة ..."

---

[1]: وفيات الأعيان 96/2.
[2]: نفسه.
[3]: نفسه 96-97.
[4]: الرحلة 70/6 وانظر التصوف الإسلامي لزكي مبارك ص: 26-27.
[5]: الديوان ط. الاسكندرية 1960 القصيدة 300 ص: 363.

وينبغي الإشارة إلى أن الديوان الذي حققه كرم البستاني لم يورد هذه القطعة أصلا [1].

وبهذا تكون الرحلة مصدرا مهما من مصادر التحقيق إلى جانب تحفة القادم وتاريخ بغداد ومجلة المشرق التي اعتمدها المحقق السابق الذكر[2].

- وإذا نظرنا مثلا في ديوان ابن دقيق العيد[3] وجدنا أن محققه يعلق على القطعة التي مطلعها: (الطويل)

أتينك والآمال تسري إلى مدى　　　بعيد أراه باصطـناعـك يقرب

بقوله:

"انفرد برواية هذه القطعة ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار في ممالك الأمصار، القسم الثالث من الجزء الثالث".

بينما نجد أن ابن رشيد قد أورد هذه القطعة في رحلته وبهذا يسقط قوله بانفراد الرواية، ثم ان شهاب الدين العمري متأخر عن ابن رشيد، فقد ولد سنة 700 وتوفي سنة 740هـ، وبهذا تكون الرحلة المصدر الأول لهذه القطعة، والمسالك هو المصدر الثاني لها، هذا إذا أعطينا الرحلة الأولوية التاريخية.

- وإذا نظرنا في ديوان أبي العتاهية[4] وجدنا أن رواية الصولي عن أبي العتاهية للبيت المفرد: (البسيط)

أفنى شبابك كر الطرف والنفس　　　فالدهر ذو غرر والدهر ذو خلس

وذلك في شأن دخول أبي العتاهية على الرشيد ووعظه وبكائه

---

[1]: مكتبة صادر بيروت 1951.

[2]: الديوان ص: 363 ولاحظ اختلافا يسيرا في: البت الأول لتألم ولترحم وفي البيت الأخير: عبرة المترحم في الرحلة. وفي الديوان دمعة المترحم.

[3]: كتاب ابن دقيق العيد حياته وديوانه مكتبة الدراسات الأدبية 18.

[4]: الديوان ص: 230.

- رواية في غير محلها، لأن مناسبة هذه القصة تليق بالقصيدة التي مطلعها: (البسيط)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وإن تمنعت بالحجاب والحرس

وقد ذكر منها الديوان ثمانية أبيات، وذكر منها ابن رشيد ثلاثة.

وإني أستبعد الرواية الأولى وأقر الثانية - حسب رأي ابن رشيد - لأن في الثانية عناصر النصح والإرشاد وتمهيدا وتفصيلا واشتمالا على عناصر أخرى كثيرة تدل على أنها قيلت في نصح الرشيد، بينما لا تتوافر تلك العناصر كلها في البيت المنفرد السابق الذي يشتمل على نصح عام لا يجزئ[1] ولهذا نرجح رواية ابن رشيد على رواية الديوان الحالية.

- ونقول مثل ذلك فيما ورد لقصيدة ابن رشيد نفسه في كتاب الإحاطة لابن الخطيب[2]، فقد ورد منها في الرحلة خمسة وخمسون بيتا وكذلك في الرحلة، ولكن نص القصيدة فيهما مختلف اختلافا كبيرا[3]، وبما أن محقق الإحاطة لم يرجع إلى النص في الرحلة، فإنه لم ينبه على ذلك الاختلاف، وكان من الواجب عليه إثبات ذلك، لأن نص الرحلة أولى بإثباته والتنبيه عليه.

ومن خلال هذه الملاحظات يتبين لنا أن الرحلة مصدر مهم لتحقيق التراث القديم، ومنبع ثر له، وذلك فيما يخص القرن الخامس والسادس والسابع بعامة، ومصدر لا مثيل له للتراث الأدبي لتونس خاصة. ثم إن رحلة ابن رشيد ورحلة التجاني ورحلة العبدري قد عملت على سد ذلك النقص الكبير.

ولهذا ينبغي أن نقدر حق القدر شعر ابن أبي تميم الحميري وشعر التجانيين وابن حبيش وابن زيتون وروايات ابن حيان الشاطبي وحازم القرطاجني وابن عميرة وغيرهم كثير.

---

[1]: الرحلة 115/3.
[2]: الإحاطة 138/3: أقول إذا هب النسيم المعطر.
[3]: انظر شعر ابن رشيد وقد وقع الاختلاف بينهما في ما يقرب من 25 موضعا.

وفي هذا الصدد ينبغي أن نذكر بعض السمات لذلك الشعر فأما السمة الأولى فهي: إيراد ابن رشيد لنصوص لم ترد إلا في الرحلة، أو وردت في مصادر أخرى ولكنها مفقودة أو نادرة جدا[1] وهذا مهم جدا فلولا الرحلة لضاع شعر كثير.

وأما السمة الأخرى لجانب من هذا الشعر فهو ما وقع فيه من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية، ولعل هذا غريب أن يصدر من أمثال الفقهاء والمحدثين وأهل الورع، ولكن ابن رشيد يسبقنا إلى الجواب عما قد يتبادر إلى ذهننا من تساؤلات فيقول:

"وكذلك وقع فيها من الأشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتبه أو إنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف مناقشة الحساب ... يوم بعثه من رمسه، فأقول والله الموفق، أني تحاميت فيه كثيرا مما يقبح ولا يحمل وجوه التوريات، وان كانت ترائبها بالبيان حاليات، والشعر إنما هو بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن وإن كان على غير ذلك في الظاهر وإنما الأعمال بالنيات".

وانطلاقا من هذا النص نستطيع أن نقول ان ابن رشد كان يختار النصوص الأدبية والقطع الشعرية اختيارا خاضعا لمقاييسه الخاصة، ولم يكن حطاب ليل، أو يخبط خبط عشواء، ولهذا لم يورد في رحلته إلا ما هو مهذب خال من الصفات المخلة في رأيه، وقد قال ابن عبد ربه: "اختيار الكلام أصعب من تأليفه"[2]، وقال أفلاطون: "عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم"[3].

ثم إن هذه الاختيارات الشعرية دالة على شخصية ابن رشيد وعقيلته ومستواه الفكري ومذهبه وذوقه، ثم إنها ترينا أيضا جانبا مهما من اتجاهه النقدي ـ وهو الأهم ـ في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الأدب العربي بعامة والمغربي بخاصة.

---

[1]: انظر مثلا شعر أبي اليمن بن عساكر، وشعر الآثار والمدن من هذا البحث.
[2]: العقد الفريد 1/25-26.
[3]: نفسه 1/26.

ومما يدلنا على حسن اختياره وتهذيبه وترك ما قد ينافي الخلق العام قوله: "لنا عن ابن البراء غير ذلك مما لا يليق ذكره"[1] وقوله: "وأنشدنا ابن أبي تميم الحميري قطعتين وأتركهما"[2]. ويفهم من سياق الكلام أنه فعل ذلك لتجاوز شعره حدود اللياقة الأدبية وأن فبه اعتسافا للخلق العام المهذب، ذلك الاعتساف الذي يجفوه الطبع السليم والذوق النظيف.

وإننا لا نعدو الصدق إذا قلنا إن أغلب ما يوجد في الرحلة يعد من عيون الشعر العربي، لما فيه من المعاني الشريفة والأوصاف البديعة الرائعة والمجازات والاستعارات التي لها مكانتها اللائقة في علوم البلاغة والبيان.

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال وهو: لماذا ضمن ابن رشيد رحلته تلك الأخبار الأدبية الكثيرة والأشعار الغزيرة؟ أيريد من ذلك أن تكون ديوانا مثل تلك الدواوين التي تغني صاحبها عن كتب غيرها مثلما صرح بذلك أبو اسحق الحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب؟ [3] أم انه أراد به أن تكون من أمهات الكتب التي تضم كل ما يحتاج إليه الأديب من كاتب وشاعر في تلك الحقبة المهمة التي يجب أن يخلد إنتاجها الفكري في كتاب مهم مثل كتاب الرحلة هذا؟. إننا لا ننفي ذلك بل ربما أقررناه واعتبرناه، ففي الرحلة حقا منهل ثر لذوي المشارب الأدبية وغيرها، ولهذا يحق لها ولرحلة العبدري والتجيبي والبلوي أن تفتخر كلها بهذه الخاصية.

ثم إننا نعتبر هذا أنه الوجه الحقيقي للرحلة والسمة الواضحة لها، ولهذا إذا أردنا أن نوجه الرحلة توجيها أدبيا لا يتعذر علينا لك، بل ان من أراد أن يطلع على الحركة الأدبية في تونس خاصة فما عليه إلا أن يقرأ الجزء الأول والسادس والسابع ليجد ضالته.

---

[1]: هو أبو القاسم بن علي بن البراء التنوخي المهدوي قاضي الجماعة، انظر الرحلة 92/6 وشجرة النور 191/1 ترجمة 640. وقد ورد في الرحلة أن ابن البراء هذا، على شهرته وجلالته تغيرت حاله بعد ولاية القضاء، فقد وصفه ابن الخباز بالنزق، وهذا أقل ذميم أخلاقه في رأيه. وابن الخباز تلميذ ابن البراء، وانظر أيضا شجرة النور 192/1 ترجمة 644.

[2]: الرحلة 58/2.

[3]: زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحق الحصري القيرواني ط1 1953 ص: 2.

ب- القصائد الطوال:

قبل دراسة موضوعات هذا الشعر وأغراضه العامة، نذكر شيئا عن القصائد الطوال الواردة في الرحلة، ونعرف بها حسب رويها من الهمزة إلى الياء، وقد أردنا التنبيه عليها هنا لما فيها من بعض السمات المتميزة.

وقد وقع الاصطلاح على تلك القصائد التي يبلغ مجموع أبياتها الأربعين، بأنها طويلة ترجيحا لما اختاره ابن رشيد في رحلته، وإن كان بعضهم يقترح لطول القصيدة ما هو أزيد من ذلك في أبياتها[1].

ونذكر أن لابن رشيد شيئا من التجوز في بعض المصطلحات العروضية مثل قوله للنتفة التي لا تزيد على البيتين مقطوعة وذلك في ذكره لبيتي أبي المعالي محمد بن اسرائيل الدمشقي (المنسرح)[2]:

يزيد في الشـــمعة الــمقط إذا * * ينقصها النار قــوة الـحــــرق

يقــطف منـــها شقـيـــفة فــإذا * * مــا طفــئت الفيت بــلا ورق

وسمى كذلك غيرها من النتف مقطعات وذلك في ذكر قول الشريف أبي الحسن الموسوي الطوسي بن دفتر خوان (الرجز)[3]

وشمــعة مقطـــها كأنـــها   إذ أثـــمرت نـــوارة زهــــراء

يقص كلب الماء منها تــوتة   حمرا ويلقيها لهـــم ســـوداء

---

[1]: الرحلة 8/8: أورد ابن رشيد القصيد المسمط لضياء الدين أبي ابن الخزرجي الساعدي من أهل غرناطة ومطلعه:
هون بأهل البدع   والهجر والتصنع   ولذ بأهل الورع
ثم قال وهي طويلة عددها أحد وأربعون بيتا تقيدت بجملتها في غير هذا الموضع.
وهذه القصيدة معارضة للقصيدة الواردة في مقامات الحريري:
خل ادكار الاربع   والمعهد المرتبع
والظاعن المودع   وعد عنه ودع
المقامة الخمسون البصرية ص: 596 وانظر بعض هذه القصيدة في نفح الطيب 395/2 نقلا عن الرحلة ويلاحظ في ذلك بعض الاختلاف في رواية الأبيات.

[2]: الرحلة 3/7.

[3]: نفسه.

وإني أورد شيئا من أبيات تلك القصائد معرفا بمطلعها وآخرها، لان الشاعر غالبا ما يحرص على حسن الديباجة وروعة الخاتمة، ثم أردف ذلك بذكر بعض الأبيات التي أرى أنها تستحق الذكر وذلك إما لجمال معناها وإما لحسن تخييلها وتصويرها وتشبيهها المناسب وأسلوبها الرائق أو غير ذلك مما له وجه من اوجه الاستحسان في مقام البيان، وحسبي في كل ذلك الاختصار والإتيان بالأهم وإن كان الاختصار عادة يخل بكثير من الأغراض التي يرجى تحقيقها واستيفاؤها.

فمن تلك القصائد الطوال قصيدة الرجز للفقيه النحوي أبي جعفر اللبلي في تسبيح الباري، وقد أجازها لابن رشيد الذي نقلها مما قرئ عليه، وصح ذلك بخطه عليه، ومطلع القصيدة:[1]

ومعجزات كلها شهيرة   قد دونت في كتب كثيرة

وأحصيت في عبرة مذكورة   وأسندت صحيحة موفورة

وجاءت في ثلاث وعشرين مزدوجة تتكون من ستة وأربعين بيتا.

وتشتمل هذه القصيدة على معان متداولة معروفة في موضوعها منها ذكر لصفات الله تعالى وأفعاله من العلم والقدرة والسمع والبصر وجلاله وعلوه عن الزمان والمكان وتنزهه عن الوصف بالجوهر والجثمان، وتدبيره للكون وما فيه، والعالم بما يحويه، وهو سبحانه ممهل العصاة ذو العفو والرحمة، غافر للذنوب والزلات ذو فضل على الناس، وهو باعث للرسل ومؤيدهم بالمعجزات والحجج الصحيحة الواضحة.

ولا نجد في هذه القصيدة مغالاة في الاعتقاد ولا تعقيدا، وإنما نجد أهم معانيها في كتب التفسير والتوحيد والعقائد متداولة.

وزيادة على أن أبا جعفر اللبلي مشهور برسوخ قدمه في اللغويات والنحو فإنه يبدو لنا هنا متصوفا في غير تطرف ولا إغراق، لأنه كان مطلعا على كثير من الكتب المشهورة في الأصول والتصوف[2] كالاحكام لعبد الحق[3] ومؤلفات المازري والميانشي

---

[1]: الرحلة 84/6.
[2]: انظر ترجمته في الرحلة 27/2.
[3]: الرحلة 28/2.

ومؤلفات أبي بكر الخطيب وسيف الدين الآمدي[1] ورسالة القشيري في التصوف[2] وكتب الغزالي والسهروردي وأبي طالب المكي[3].

ولا شك في أن لهذا التراث من الفكر الإسلامي أثرا في أبي جعفر اللبلي، ومع ذلك لا نجد رموزا ولا إشارات غامضة تستعصي على الفكر.

أما الأسلوب الذي صاغ به اللبلي هذه القصيدة فهو أسلوب سهل لا تعقيد فيه، إلا أن اللبلي كان يستعين ببعض الصور البديعة والبيانية وبعض التشبيهات والاستعارات المقتبسة من أنوار القرآن الكريم وغيره مثل قوله: (الرجز)

فكل ما في العالم العلوي   من ملك أو عرش أو كرسي
أو أنجم أو كـوكب دري   وكل ما في العالم السفـــلي
فكـله بمعـــزل عن القـــدم   وكله مخترع بعد العــــدم
وكــله أنشــأه باري النــسم   إلاهنا وربنــا محيي الرمــم

وصفوة القول إن الشاعر صاغ هذا التسبيح العجيب ذا المعاني الواضحة بأسلوب وكلمات أكثر فهما وإدراكا.

ونذكر أن أبا جعفر كان مشتهرا في ميدان الفقه والنحو واللغة والتاريخ[4] وأن له بعض التآليف في الأذكار وعقيدة في علم الكلام[5]، ويحتمل أن تكون هذه القصيدة منقولة من أحد تآليفه في ذلك العلم ولهذا أسمع ابن رشيد من لفظه وحفظه عقيدة سماها العقيدة العمرية في الاعتقادات السنية، ونقلها ابن رشيد في رحلته في صفحتين[6]، ويظهر من تلك العقيدة أن مذهبه في الصفات على طريق السنة في قوله خاصة: "سميع لجميع المسموعات بصير لجميع المرئيات، مدرك لجميع المدركات، متكلم بكلام قديم أزلي ليس

[1]: الرحلة 29/2.
[2]: الرحلة 30/2.
[3]: الرحلة نفسه.
[4]: عنوان الدراية 300.
[5]: هدية العارفين 100/1: له عقيدة المؤمن في علم الكلام.
[6]: الرحلة 84/6.

بحروف ولا أصوات، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه[1] ويظهر لنا أيضا أن اتجاهه العقدي في هذه القصيدة وتلك العقيدة واحد.

ومن تلك القصائد الطويلة قصيدة لأبي الفضل التجاني وقد أسمع ابن رشيد إياها من لفظه وكتبها له بخطه البديع وهي في المدح ومجموع أبياتها أربعة وخمسون ومطلعها (الكامل)[2]

روض كما شـاء الربيـع مدبـج   وأزاهـــر مسكيـها يتـأرج

وآخر أبياتها:

أهديتها مثل العروس وحليـها   تلك الحلى وجميل قصدي هـودج

لا زلت في حـل وفي سفـر تـرى   ما تبتـغيه ولا أخـافك مرهـج[3]

وقد جعل لها مقدمة من ثلاثة وعشرين بيتا، وهي حافلة بأوصاف الرياض ومحاسن الأباطح والغياض ما ينسى بإشاراته إشارات الجفون المراض

ومن أبيات تلك المقدمة:

والارض تكشف للعيون جمالها   مثل العروس لبعلها تتبرج

وقد اكتست من سندسي نباتها   حللا تريك الحسن مما ينسج

والزرع والنعمان في أثنائه   بسط يزين حشوها ويبهرج

والزهر في أعلى الثمـار كـأنه   زهر وتلك علـى الحقيقة أبـرج

وقد حشر فيها أوصافا أخرى وتشابيه وصورا بديعة استعارها من العرائس وأعطاف الغواني والعقود والدمالج ومناظر الربا في فصل الربيع، وأتى فيها كذلك بأوصاف الخدود والعذار وغير ذلك حتى جعل كل بيت من أبيات تلك المقدمة ميدانا من ميادين لا ترى فيه إلا طبيعة صامتة أو ناطقة بلسان حالها، وقد تذكرنا تلك الأوصاف بديباجة البحتري وابن خفاجة ووصفهما للطبيعة ثم خص الأبيات، الأخرى، وهي واحد وثلاثون بيتا، بأوصاف الممدوح الخلقية والخلقية، ومن أبياتها:

---

[1]: الرحلة نفسه.
[2]: الرحلة 7/7.
[3]: الرهج: الغبار والشغب.

ذات معظـــمة ومـــجد طائـــل وحلى مكـــرمة وحســـن مبهج
صَحت مقدمـتنا الأصـــالة والجدا عند القيـــاس فَلِمْ لَا يُنْـــتج
ما عن رأيـــنا قـــبل رؤية كفـــه كفا بها لجـج النـــدى تـــترجرج
إن ضل عن سبل الفضائل سالف فله إلى سبـــيل الفضـــائل مـــنهج

وفيها يقول:

هـــو مـــن تفـــتح بابه للمرتجي فلـــذاك بـاب ثنـــائه لا يرتج
وأنارت الامداح لمـــا صغـــتها حلـــيا به، فالـــحق فـــيها أَبْـــلَجُ
أهديتها مثل العروس وحـــليهـــا تلك الحلى وجميل قصـــدي هَـــوْدَجُ

وفي هذه الأبيات معان مألوفة عند القدماء والمحدثين، ولكن أبا الفضل التجاني، لما أوتيه من الشعر وإحساس مرهف، جعلنا نتصور الممدوح غير ما ألفناه، هذا زيادة على ما فيها من الصياغة الجيدة والمعاني المنطقية والفقهية (صحة المقدمتين، القياس، النتيجة، الحق الأبلج) وهذا يدلنا على أن الشاعر كان متمكنا من اللغة والبلاغة وذا اطلاع على فنون القول وذا إلمام بالعلوم العقلية والنقلية.

ومنها قصيدة قالها ابن القصير (أبو العباس) يرثي بها اشبيلية "ردها الله إلى كلمة الإسلام"[1] وفيها خمسون بيتا، وتعد من الدرر الفريدة والجواهر اليتيمة في الشعر العربي، بل إنها من النصوص النادرة والوحيدة في هذا الموضوع ومنها (المتقارب)

أسل من دموعك مدرارها وساجل من الارض أنهارها
وبح بالخفايا ونح شاكيا فلن تحمد اليوم إضمارها
ابعدك يا حمص من سلوة لنفس غدوت لها جارها
فقد جـــار دهـــري عليها فلـــم يَـــذَرْ جارهـــا لا ولا دارهـــا

ويقول في آخرها بعد مدح أبي خالد المرتضى

وأظهـــر بالـــرغم إقبـــالهـــا وإن رامت الـــروم إدبـــارهـــا
ولكـــنه لا يـــرد الفـــتى أمـــور الســـماء وأقـــدارهـــا

---

[1]: الرحلة 97/6.

وتعد هذه القصيدة من أكثر أشعار النكبة أثرا في النفس ومن أبياتها المؤثرة خاصة:

أينساك يا حمـــص ذو لـوعة   وهل تـــترك الطـــير أوكارهـــا
فيا أيها الخطـب رفقـا فقـــد   هتكـــت الحـــياة وأستـــارهـــا

وقوله:

وكن نادبا حمـص أم البـــلا   د وأنـــس العبـــاد وأفكـــارهـــا
فقد أذهـــب الـــدهر أخيارها   واسكـــنها اليـــوم أشـــرارهـــا

وفيها صور هائلة لمأساة المسلمين في الأندلس، واستيلاء الروم على أموالهم وأرضهم وما يملكون وهول استبدال الكنائس بالمساجد والنواقيس بالأذان.

ولكن ما يؤخذ على الشاعر: حثه على البكاء والندب والقعود وذلك خلافا لابن الابار الذي كان يذكي الهمم والعزائم بقصيدته المشهورة[1]. (البسيط)

أدرك بخـــيلـــــك خـــيـــل الله أندلســـا. الأبيات

ولعل ضخامة المصاب وروح اليأس المهيمنة، بل واختلاف الظروف والشخصيات والمسؤوليات، هي التي جعلت الشاعر يحس بذلك الشعور الذي لا أمل فيه لاسترجاع أرض الأندلس السليبة لأنه اعتبر ذلك أمرا من السماء مقدورا لا يمكن رده، وقضاؤه لازب لا معقب لحكم الله فيه[2].

ومن تلك القصائد ما كان كتبه أبو محمد عبد الله بن هارون الطائي القرطبي على أول جزء من كتاب اقتطاف الأنوار واختطاف الأزهار من بساتين العلماء الأبرار لمؤلفه أبي القاسم ابن الطيلسان، وذلك في مدح نسقه وما اشتمل عليه من اللطائف والمعارف، ويشتمل القصيد على أحد وأربعين بيتا يقول في أوله (الكامل)[3]

طالعت منها روضـة معـطارا   أحيـت مـآثر جددت آثـــارا
صحفا متى فتحت أوراقا لها   خلت الكمـائم فتحت أزهارا

---

[1]: انظر شعر النكبة في دراسة الرحلة.
[2]: انظرها في أزهار الرياض 3/207-210.
[3]: انظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ص: 643 ونهاية الأندلس العصر الرابع ص: 544-546.

القلب منها يجتني نوارها والعين فيها تجتلي الأنوارا

ويقول في آخره:

لكن عسى الرحمن يعظم أجرنا وثوابنا ويخفف الأوزارا

ويشفع المختار فينا المصطفى وينيلنا جنات عدن دارا

وقد أطال ابن هارون في مدح الكتاب وذكر خصائصه وما يحتوي عليه وكذا في مدح صاحبه ووصفه بالضبط في الإسناد والتقييد، وكان قد كتب من هذه القصيدة واحدا وعشرين بيتا فقط ابتدأها بالمطلع السابق وختمها بقوله:

جازاه رب العرش خير جزائه عنها وبُوِّئَ في الجنان قرارا

ولكن لما طلب منه بعض الأصحاب الذين وقفوا عليها، ذكر قرطبة (جبرها الله) والزيادة في ذلك أضاف لتلك القصيدة عشرين بيتا أخرى فاكتملت واحدا وأربعين، وأول هذه الزيادة:

أبقى لأهل العلم من آثارهم ما يملأ الاسماع والابصارا

جمهورهم أبناء قرطبة وإن ذهبت فقد أبقت بذاك فخارا

ويح الانام وويحها إذ عوضت منهم على رغم الورى كفارا

كم قد تلوا وجلوا بها أنوارهم ليلا فصار الليل ثَمَّ نهارا

وتعد هذه القصيدة من أهم القصائد التي تمثل شعر النكبة كذلك، لما لها من المعاني الرقيقة، ثم إنها تصور مكانة الكتاب في المجتمع الإسلامي، وما أمتن العلاقة بين ذكر كتاب ثمين ومدينة عزيزة كانت تحتضن التراث الإسلامي العزيز في ذلك العصر الذهبي. وانظر كيف زاوج ابن هرون بين هذين المعنيين، وكان ذلك الشاعر الذي نبه ابن هرون على الزيادة يرى بنور عقله ورهافة حسه تلك المناسبة بين ذكر الكتاب ومفاخره وبين ذكر قرطبة شمس العواصم وأم الكتب الأمهات، وكان ذلك الشاعر يرى أن القصيدة التي لا تبكي المجد الاثيل والتراث الاصيل والحضارة العربية والفخر السامق، قصيدة تافهة لا أثر لها ولا ينبغي أن تخلد.

ومن تلك القصائد قصيدة لابن رشيد ومطلعها (الطويل)[1]

أقول إذا هب النسيم المعطــر لعل بشــيرا باللقـــاء يبشــر

وفيها ستة وخمسون بيتا، وقد مر ذكرها في عرض شعر ابن رشيد[2]

ومنها القصيدة الصادية لأبي بكر محمد بن أحمد الصابوني الاشبيلي في مدح الأمير أبي زكرياء، وقد قالها باشبيلية قبل وفاته على حضرة تونس ومطلعها (الطويل):[3]

شخصت لعزم البين فاخترمت شخصـي

زيادة وجـد تنهــك الجسم بالنغــص

وقد أورد منها ابن رشيد في رحلته ثمانية عشر بيتا فقط وذلك نقلا عن ابن الابار في كتابه تحفة القادم، وذكر ابن الابار أن لها معارضات كثيرة أثبتها مستوفاة في كتابه إيماض البرق، ومن المحتمل أن تكون قصيدة ابن الصابوني طويلة ليصل عدد أبياتها إلى المائة بيت. ونستفيد ذلك من قول ابن رشد من أن ابن الابار كان يفصل بين ما ينقل منها بقوله: "يقول فيها "و"منها" ثم إن أبا الحسن حازما القرطاجني وابن عريبة لما عارضها أطالا قَصِيدتَيْهِمَا حتى وصلت قصيدة الأول مائة بيت وقصيدة الثاني أزيد من تسعين بيتا. ثم إن ابن رشيد لم يطلع على كتاب ايماض البرق الذي أشار إليه ابن الابار والذي يذكر فيه أنه سيأتي فيه بشيء من القصائد المعارضة لتلك القصيدة، ولا شك في أنها تكون مستوفاة هناك، وقياسا على ما جاء في قصيدة حازم القرطاجني وقصيدة ابن عريبة (92 بيتا)، وكل منهما معارضة لها، نستنتج أن قصيدة ابن الصابوني تكون بهذا الطول أو ما يقارب.

وتعد هذه القصيدة من الغرر الفريدة والدرر اليتيمة لما اشتملت عليه من البراعة والغرابة الإبداع، وإن كان أغلب ألفاظ أبياتها صعب الفهم والإدراك، كما أن ابن الصابوني اختار قافية ذات روي صعب يتحاماه الشعراء وهو حرف الصاد[4] ولهذا امتلأت

---

[1]: الرحلة 66/7.
[2]: انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.
[3]: الرحلة42/7، وذكر صاحب الوفيات منها بيتين. 285/3
[4]: المرشد إلى فهم أشعار العرب 60/1: "والصاد من القوافي النفر وهو قتب أشرس".

بكثير من الكلمات المستثقلة مثل الخرص والشقص والبخص والنحص والرعص والفرص وغير ذلك.

ومن أراد أن يدرك هول هذه الألفاظ وجرسها الثقيل على الاسماع فعليه أن يطلع على قصيدة حازم القرطاجني أو ابن عريبة الطويلتين لأنهما كانا قد نهلا من حوضها وَعَلًّا ولكن بالرغم من هذه الهنات القليلة تشتمل على صور بديعة وتشبيهات نادرة ومعان حسنة ومن أبياتها:

وقد كنت سلطانا عليها محكما فما نلت للرقبى سوى خلس اللص
كان الليالي لم تكن قط أرخصت بنيل المنى من ذلك البشر الرخص

وفيها يقول مادحا أبا زكرياء الحفصي

سأقتص للملك الهمام شكيتي فيبسط لي في صرفها يد مقتص
أبي زكرياء المهذب من أبي محمد النامي بمجد أبي حفص
أمير يُطِيعُ الله من قد أطاعه ويعصي حدود الله من أمره يعصي

فقد جاء بهذه المبالغة التي قرن بها طاعة الرب بطاعة عبده، ونرى مثل هذا عند ابن هانئ الأندلسي وغيره.

ومن معانيه الحسنة قوله:

فكم تحرص الدنيا لتحظى بِوُدِّهِ فيصرف وجه الزهد عن رغبة الحرص
يشيد أركان المعالي براحة بناء العلا من سعيها محكم الرص
وتضطر أوصاف المحامد عنده إلى خرس الوصاف أو كذب الخرص
ستذكرني آفاق أندلس بما جلوت بها من رائق حسن النص
فقد بخست بالغمط حقي كأنها رأت أن عين الشمس تلحق البخص[1]
وأهوى إلى ذاك الجناب ركائبي بكل نحوص عندها السهل كالنحص[2]
إلى أن أرى وجها إذا شمت برقه رأيت جبين البدر مكتمل القرص

[1]: بخص عينه: أغارها.
[2]: النحص: أصل الجبل.

ومن عارض هذه القصيدة[1] أيضا ابن الابار، وإن كان قد أتى كذلك بالأبيات الثمانية عشر، فلا شك أن القصيدة أطول من ذلك أنه لم يرد منها في الرحلة سوى أربع مقتطفات فصل كلا منها بكلمة (منها)، ومن المحتمل أن تكون هذه القصيدة طويلة كقصيدة حازم وابن عريبة، ويقول فيها:

أتجحد قتلي ربة الشنف[2] والخرص وذاك نجيعي في مخضبها الرخص

ومنها:

وفيت لحرصي في هَوَاهَا فخانني وقدما أصيب الناس من قبل الحرص
تلوت على بدر التمام لِثامها إذا الوشي زرته على الغصن والدعص
سقى الله دار المزن دارا قصية على الشد والتقريب والوخد والنص
يسائل عن نجد صباها معا شر وأسأل عن حمص النحامى واستقصي
ولو كنت موفور الجناح لطار بي إليها ولكن خصه البين بالقص

وقد ضمنها بعض المعاني الأصولية والفقهية مثل قوله:

خلافته الوت بكل خلافة كذلك بطلان القياس مع النص

ومنها:

تناهى إليه العلم والحلم فانثنت
تشيد بعلياه ثناء ولا تحصي
وما اشتبهت حال الملوك وحاله
ألم تر أن الفضل ليس من النقص

ولم تتوافر لدى ابن رشيد هاتان القصيدتان بأكملهما لأن ابن الابار لم يورد منهما إلا ما نقله ابن رشيد، فلو تمكن من ذلك لكتبهما أسوة بقصيدة حازم وابن عريبة.

[1]: الرحلة 42/7. والديوان.
[2]: الشنف: القرط الأعلى.

ومن عارض تلك القصيدة الأديب المحدث أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي المهدوي المعروف بابن عريبة. وقد أورد له ابن رشيد من قصيده ثلاثة وتسعين بيتا ومطلعه[1]:

أشار لدى التوديع بالعنم الرخص

وبان فلا أهلا ببان ولا دعص

ومن أبياته المشتملة على التجنيس:

وما رمت حتى ظن أني رمة برامة وقفا بين آرامها الخمص

ويقول في آخرها:

وقلت لنفسي اهني هناءك واسعدي

بما نلت من عفو الامامة واختصي

وفي العتب ما يضحي دليلا على الرضا

وفي اليأس ما يمسي سبيلا إلى الحرص

وقد قصد الشاعر إلى توالي بعض الحروف المعينة في البيت الأخير

ويقول:

فلله ما أدنى علي ظلاله واحنى أياديه على أفرخي الخمص

وفي هذه القصيدة أيضا خصائص القصائد السالفة الذكر، وبما أنها كاملة فإن تسلسل الاغراض باد عليها ومتوافر فيها، فقد بدأها بالغزل والنسيب في نحو من أحد عشر بيتا، ثم انتقل إلى ذكر نجد والحمى والعذيب، ووصف طبيعتها في نحو اثني عشر بيتا ثم خلص إلى المدح ومنه، وقد ضمنه بعض المعاني الفقهية:

[1]: الرحلة 43/7.

إذا أوجب التأويل تقريظ منعم

فذاك الذي يستوجب الحمد بالنص

من آل أبي حفص أحق بما شدا حبيب بن أوس في ابن طوق وفي حفص

إذا قلت جودي يا سجاياه أو عدي

حباه فعمي بالمحامد أو خصي

وكم رهصت عظمي الخطوب فلم أجد

سوى يده البيضاء آسية رهصي

ومن تلك القصائد قصيدة أبي الحسن حازم الذي يمدح بها الأمير أبا زكرياء بن أبي محمد بن أبي حفص، وتشتمل على مائة بيت ومطلعها:[1]

منى النفس تدني منكم والنوى تقصي

فكم ذا نطيع الدهر فيكم وكم يعصي

وآخر أبياتها:

فما تمطل الدنيا بدين من المنى سعودك تستقضيه منها فتستقصي

وتعد هذه القصيدة من بدائع حازم لأنه برع فيها براعة يقل نظيرها وذلك لاختياره لها رويا غريبا وهو حرف الصاد، ولما جاء فيها كذلك من الحروف الاسلية (ص س ز) التي يقرب عددها من ستين ومائتي حرف، ولما فيها من صور المدح التي جعلت من أبي زكرياء رجلا ذا صيت ذائع في مشارق الارض ومغاربها.

عقائل قد عزت على كل خاطب ولو حليت عقد الثريا لدى النص

أرادت وحيدا في الملوك فلم تجد كيحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص

أمير لاقدام السعود تقدم إليه واقدام العدا عنه في نقص

وبحر تهيم المكرمات به فما لها الدهر من خل سواه ولا خلص

[1]: الرحلة 40/7 والديوان 22 وقصائد ومقطعات 146.

سموتم إلى العليا بطول قوادم فمن ذا يساميكم بأجنحة حص

تراث الهدى فيكم وما لسواكم من الناس فيه من نصيب ولا شقص

بما حزتم من هدي أفضل صاحب وأكرم مختص بأكرم مختص

أبي حفص البحر الخضم الذي طما فمد بلا جزر وزاد بلا نقص

به أصبح المهدي قد شد أزره كما شد أزر المصطفى بأبي حفص

ومنها:

أسام الردى روض المنايا ذبابه

وقال لصغرى النمل آثاره قصي

عسى الله أن ينتاش أندلسا بها

ويأخذ فيها للهدى أخذ مقتص

قواف كمحض الود تَزْدَادُ رونقا

وحسن على استخلاصه وعلى المحص

فلاحت بجيد المجد أسنى قلادة

وفي خاتم العلياء أبهى من الفص

وبحكم اختيار حازم روي الصاد فإنه أورد فيها كثيرا من الكلمات العسيرة الفهم والمستعصية المعنى، وقد سبقت الإشارة إلى مثلها.

ومن القصائد الطوال قصيد أبي بكر بن حبيش الذي مطلعه (الخفيف)[1]:

حيث روض النعيم بالانس يجنى

وعروس السرور بالسعد تجلى

ويشتمل على ثلاثة وخمسين بيتا.

[1]: الرحلة 46/6 ورحلة العياشي 239/2 نقلا عن ابن رشيد.

ومناسبتها أن ابن رشيد لما حل بالينبوع، كان ذلك اليوم شديدا قيظه والعطش فيه بالغا غايته والتعب نهايته، وحين نزل هو وأصحابه بخارج تلك المدينة أقبل المغنون بهذه الأبيات:

أيها القادمون أهـــلا وســـهلا كيف نجد وكيف بان المصلـــى[1]

فعلقت هذه الأبيات بذهن ابن الحكيم، ولما وصلوا إلى تونس ذكرا هذه القصة لأستاذهما ابن حبيش، وطلب منه ابن الحكيم أن يذيلها ففعل ذلك منعما مفضلا .

ومن الطوال أيضا قصيد أبي بكر بن حبيش ومطلعه:

يا خير من هـــو للاله رســـول أنت الشفيـع وجـاهك المأمـــول

وفيه ثلا ثة وخمسون بيتا[2].

ومن تلك القصائد قَصِيدُ أبي يعقوب بن السماط الذي أوله:

أعد الحديث فليس بالمـــلول من خير مبعوث وخـــير رســـول

وفيه خمسون بيتا[3]

ومنها قصيد أبي العباس أحمد بن محمد بن لب المرسي يمدح الرئيس أبا عبد الله بن أبي طاطو الشيخ، وفيه ستون بيتا ومطلعه (البسيط):[4]

شمل السعادة بالاسعاد منتـــظم فالأنس مكتمل والدهـــر مبـتسم

ويقول في آخره وقد ضمنه بعض معاني النحو:

فالله يبقي مدى الأيـام مدتـــهم في خفض عيش ورفع ليس ينجزم

ومن ذلك قصيدة أبي عبد الله بن أبي تميم الحميري في مدح أبي عبد الله بن يونس الهنتاتي، ويهنئه بختمة حفيده يونس واعذاره وسمى هذه القصيدة رقم العذار[1]، وفيها ثمانية وسبعون بيتا، يقول فيها:

---

[1]: انظر القصائد الحجازيات والدراسة من هذا البحث.
[2]: الرحلة 45/6 وانظر قصائد لمديح.
[3]: الرحلة 7/6 والدراسة من هذا البحث.
[4]: الرحلة 114/6 والدراسة.

لست أنسى مهابة أدهشتني حين عاينت محفل الاعيان
ومقام الحفيد يونس فيهم ساحبا ذيله على سحبان
مرة منشدا وأخرى خطيبا بلسان أمضى شبا وسنان

ومنها قصيدة ابن رشيد في الشوق إلى الرحلة إلى المشرق، وفيها ستة وخمسون بيتا.[2]

هاج أدكاري لنعامى بنعمان فبت ينجدني وجدي وتحناني

ولأبي اليمن بن عساكر بعض القصائد الطويلة كبائيته التي يبلغ عدد أبياتها أربعة وخمسين ومائة بيت، وداليته التي تصل إلى أربعة وتسعين بيتا، وميميته التي مجموع أبياتها سبعة وثمانون بيتا. وسنذكر شيئا عنها في شعر الحجازيات[3].

وسننبه في دراسة الشعر على بعض القصائد الأخرى عندما يقتضي الأمر ذلك.

وينبغي أن نذكر أن ابن رشيد لم يتوخ إيراد كثير من القصائد الطوال، وذلك خوفا من الإطالة والخروج عن الغرض الذي كان يرمي إليه، ولولا ذلك لاجتمع له في الرحلة شعر غزير لا يحصره العد، ولأصبحت ديوانا عظيما لشعر العرب، ولهذا كان يكتفي غالبا بذكر كلمة "منها" أو بكلمة "من قصيد"، ليعلمنا انه يختصر ويلخص ما استطاله، ومثال ذلك ما أورده لمدرك الشيباني[4] من قصيدته المزدوجة الطويلة (الرجز) "من عاشق ناء هواه داني". ولم يزد على ذلك الشطر من البيت إلا قوله (القصيدة بجملتها). وإنه لم يوردها بتمامها لشهرتها غالبا.

أما تمام ذلك البيت فهو: ناطق دمع صامت اللسان

وتمام المزدوجة:

---

[1]: الرحلة 58/2 ص:
[2]: الرحلة 67/7 والدراسة من هذا البحث.
[3]: الرحلة 37/5 مكرر والدراسة من هذا البحث.
[4]: الرحلة 70/6.

معذب بالصد والهجران موثق قلبي مطلق الجسمان

وفي القصيدة خمسون مزدوجة كما ذكرها ياقوت الحموي[1].

ومن ذلك قوله: وأنشدني ابن حبيش من قصيد (البسيط)[2]

عمرتم عمر نوح تأنسون إلى سام من القدر أو حام من القدر

فهو لم يذكر سوى هذا البيت، ولا نعلم كم في هذه القصيدة من أبيات، وهي على كل حال أكثر من سبعة.

وقال أيضا[3]:

"وأنشدت عليه وأظنه من قصيد"، ولكنه لم يذكر سوى أربعة أبيات منها: (الطويل)

أعدت له ما كان أذهب دهره من العز والأوطان والمال والأهل

ومما يدلنا أيضا على أنه لم يكن يورد من القصائد الطوال إلا قطعا قوله[4]: "ومن ذلك أول قصيدة أبي عبد الله الاستجي التي كتبها لأبي اسحق القرموني يجيزه بها" ومطلع القصيد (الطويل):

بدأت باسم الله والحمد والشكر على فيض آلاء تجل عن الحصر

وقد قال بأن أول هذه القصيدة يتركب من تسعة أبيات، وبهذا لابد أن تكون طويلة إن لم تكن طويلة جدا.

ومن ذلك ما أنشده أمير المسلمين لما فتح مالقة[5] (البسيط)

استشعر الأمن إن الخوف قد ذهبا

القطعة.

---

[1]: انظر كاملة في معجم الأدباء 19/136-145.
[2]: الرحلة 2/8.
[3]: نفسه.
[4]: الرحلة 6/105-106.
[5]: الرحلة 6/106.

فقد أشار أيضا إلى أن القصيدة تزيد على ثلاثين بيتا، بينما لم يذكر منها في الرحلة سوى تسعة أبيات ولم يذكر أيضا اسم قائلها.

ومن ذلك أيضا ما كتب به أبو اسحق القرموني من بجاية إلى أهل مالقة (أعزه الله) من قصيد (البسيط)[1]

ذكرت مالقة ذكـــرى أخ شغف فكدت أذهب بين الوجد والكلف

فعقب ابن رشيد عليها بقوله: "وهي أزيد من أربعين بيتا"، بينما لم يورد منها سوى أربعة أبيات. وبما أن هذه روايات القرموني التي راعى فيها الاختصار والإيجاز، وأراد بها أن تكون عجالة يفيد بها تلميذه ابن رشيد، فإننا نستشف من خلالها أن هناك أخبارا كثيرة وروايات مستفيضة وقصائد طوالا وقصارا ينبغي البحث عنها في مظان الكتب لاستكمال معارف الرحلة التي نجدها ضاربة جذورها في مضامين التراث من الكتب التاريخية والأدبية ودواوين الشعر والرسائل.

ومن ذلك قوله:[2] "وأنشدنا شيخنا ضياء الدين أبو الحسن الخزرجي الساعدي قصائده من قيله وأمر أن يكتب لنا بعض شعره ودفعه إلينا فمما قرئ لي عليه وأنا أسمع قصيده المسمط الذي عارض به قصيدة أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

خل ادكار الاربع" وهي خمسة وأربعون بينا في كتاب المقامات[3]

ومن ذلك قوله:[4]

"ومما أمر بكتبه إلي ضياء الدين الساعدي وأنشدني بعضه إن لم يكن كله وأذن لي فيه قصيده الطويل الذي عارض به قصيد كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

---

[1]: نفسه.
[2]: الرحلة 8/3.
[3]: مقامات الحريري 6 و5.
[4]: الرحلة 9/3.

ثم ذكر مطلع القصيدة في خمسة عشر بيتا، إذا جاز أن نسمي ذلك مطلعا وأول أبياته: (البسيط)

ما في سعاد قصد لنا[1] ولا سول   فإن قلبي عنها اليوم مشغول

ثم قال بعد ذلك المطلع:

ثم تمادى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مطيبا ودعا الإحسان فلباه مجيبا وأتى بأعلام معجزاته متبعا الطيب بالطيب وجائدا بعد الجود بالصيب ناسجا على منوال الإحسان ... إلى أن نيف على ثلاثين ومائتي بيت".

ولكن ابن رشيد لم يذكر من هذا القصيد الطويل سوى ثلاثين بيتا ذكر من مطلعه خمسة عشر، واستدرك بقوله: نجزت وتمامها مكتوب في غير هذا الموضع. ولكننا لا ندري ذلك الموضع، أيعني كتبه أم كتب غيره، وقد أشار إلى مثل ذلك في قصيدة ضياء الدين الخزرجي بأنها تقيدت في غير الرحلة.

ومن ذلك ما أنشده ابن رشيد على أبي العباس بن القصير مما كتب به إلى أبي القاسم المزياتي من قصيد (مجزوء الرمل)

ضعت ما بين أناس   كلهم للعهد ناس
أنت للآداب نور   لالتماس واقتباس
فاق لفظا رق معنى   كرجاء بعد يأس

فهو لم يذكر من ذلك سوى سبعة أبيات منها الأبيات السابقة، ويرجح أيضا أن تكون طويلة.

وهنا تبادر إلى ذهننا سؤال وهو: لماذا كل هذه الإحالات والتنبيهات إلى أن كثيرا من القصائد الشعرية مكتوبة في غير الرحلة؟ لا شك في أن هذا يجعلنا نزعم أن هناك مؤلفا آخر لابن رشيد قد يكون جمع فيه كثيرا من الاختيارات والانشادات

[1]: هكذا جاء هذا البيت، ولا يستقيم وزنه إلا بقولنا: ما في سعاد لنا ... البيت.

الشعرية، وكان هذا المؤلف بين أيدي الناس، ولهذا كلن يعوج القراء عليه ليجدوا فيه ما لم يرد ابن رشيد أن يعيد ذكره في الرحلة ليطيلها بذلك.

ج بعض سند ابن رشـــــيد

في رواية الشعر

إنه لمن نافلة القول التذكير بفضل المحدثين وعملهم الخطير في تصفية التراث الإسلامي من الأوشاب، وهذا ما دفع الأدباء واللغويين كذلك لان يحذوا حذوهم، وخير دليل على ذلك أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الأغاني وابن قتيبة في مؤلفاته. وبما أن ابن رشيد كان محدثا وأديبا ولغويا فإنه اتبع سننتهم المأثورة وطريقتهم المحمودة، وفيما يلي ذكر لشيء من سند ابن رشيد في رواية شعر القدامى، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:[1]

سنده في شعر أبي العتاهية

قرأ ابن رشيد على

عز الدين عبد العزيز الحراني على

أبي علي أحمد بن الحسن النجار قراءة عليه ببغداد، قال

نا أو بكر بن أبي طهر القاضي قال

نا أبو علي محمد بن عبد الله الزينبي قراءة عليه، وأنا أسمع

نا المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حميد الجريري في الإجازة قال

أنا الصولي[2]

نا عون بن محمد[3]

نا محمد بن أبي العتاهية قال

---

[1]: الرحلة 116/3.

[2]: أبو بكر محمد بن يحيى صاحب كتاب أدب الكتاب.

[3]: عون بن محمد الكندي يروي عنه الصولي: أدب الكتاب ج2 ص: 194 والموشح للمرزباني ط.مصر 1965 ص: 24 .538)

قال الرشيد رضي الله عنه لأبي عظني قال: أخافك، قال أنت آمن فأنشده أبي:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس إذا تسترت[1] بالحجاب والحـرس

واعلم بأن سهام[2] الموت قاصـدة لكل مـدرع منــا[3] ومتـــرس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على يبـس[4]

قال فبكى الرشيد رضوان الله عليه حتى بل أكمامه.

سنده في شعر أبي نواس[5]

ابن رشيد: قرأت على شيخنا

أبي العز عبد العزيز الحراني في سنة 684 قال أخبركم

ضياء بن أحمد بن الحريف، قراءة عليه وأنت تسمع ببغداد فأنعم

قال

أنا أبو بكر بن أبي طاهر البزاز قال

أنا الشيخ والدي رحمه الله قال

أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ المعروف بابن

الحمامي قال

أنا أبو بكر محمد بن الحسن النقاش قال

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل رضي الله عنه يوما فسمعته يقول: كنت في البصرة في بعض مجالس العلماء، فرأيت شيخا فقيل أبو نواس، فقلت أنشدني شيئا من شعرك في الزهد، فأنشأ يقول:

1: الديوان ص: 230: إن تمنعت ـ فما تزال سهام ـ في جنب مدرع منها ـ اليبس

2: نفسه.

3: نفسه.

4: نفسه.

5: الرحلة 117/3.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل   خلوت ولكن قل علي رَقِيبُ

الأبيات التسعة.

سنده في شعر ابن خفاجة[1]

ابن رشيد: قرأت على الكاتب

أبي الحسن بن رزين قال سمعت على الكاتب

أبي عبد الله بن الابار قال أنشدنا

أبو الربيع بن سالم قال أنشدنا

أبو رجال بن غلبون بمجلس شيخنا الخطيب أبي القاسم بن حبيش

قال أنشدنا

أبو اسحق بن خفاجة لنفسه وأعدها لِتُكْتَبَ على قبره:

خليلي هل من وقفة بتألم   على جدثي أو نظرة بترحم   الأبيات

د- موضوعات الشعر الوارد في الرحلة

سنذكر فيما يلي نماذج من أبيات الشعر المفردة والنتف والمقطعات والقصائد، وذلك لمعرفة بعض معانيها وإعطاء الدليل على أن ابن رشيد كان يختار من مقال الشعر ما يناسب المقام ويقتضيه الحال.

وينبغي التنبيه على تقسيم هذا الشعر إلى موضوعات رئيسة من الشعر الديني وما يتفرع منه من المديح النبوي كمثال النعل الكريمة وما قيل في الحج والحجيج والحديث النبوي الشريف وشرف أهله، ونكبة الحسين والزهد والتصوف.

وبعد ذلك نخلص إلى أغراض أخرى كالمدح والفخر والرثاء والهجاء والاستصراخ والغزل والنسيب والشكوى من الدهر وغير ذلك مما يتصل بالسخط والرضا

[1]: الرحلة 70/6 والديوان 361، وقد سبق التنبيه على ما فيه من الاختلاف عن رواية الرحلة.

والرجاء والخيبة، وبعد ذلك نذكر شيئا عن الوصف وما يتعلق بنظم العلوم، والنوادر والألغاز.

1ـ الشعر الديني

لقد عرف الشعر الديني على مر العصور ازدهارا عظيما سواء في الغرب الإسلامي أم شرقيه، وذلك لعوامل كثيرة ومتشعبة، بعضها يرجع إلى شعور المسلم نحو بعض المواقف التي تعد مهمة بالنسبة لعقيدته وتاريخه ووضعه في مجتمعه، وبعضها الآخر يرجع إلى ما كان يعانيه العالم الإسلامي من غارات الأعداء وهجوم القراصنة على شواطئه مع ما يصحب ذلك من السلب والنهب، وما كان يتعرض له المسلمون من محاولات استئصال شأفتهم من الأندلس، وما كانت عليه دول الإسلام من الفتن والحروب الداخلية، وما كان يعانيه المسلم من غربة وضياع وخوف وقلق على مصيره، وشعوره بظلم الحاكمين وتمزق المحكومين ومغامرة المغامرين والمتمردين، ولهذا فاضت القرائح بذلك الشعر لتعبر به حينا عن الشعور نحو بعض القيم المقدسة وحينا آخر عن ذلك الجو القلق، أو ليكشف عن تلك النفوس المضطربة اليائسة.

وهذا الشعر قد يسمو تارة ويعلو إلى درجة الإجادة عندما يطبعه الصدق والعمق والأصالة، وقد يسف وينحدر إلى درك يعود به بهرجا لا غناء فيه ولا ماء ولا رواء. حتى إن ابن خلدون لاحظ ذلك الاسفاف بالنسبة لبعض أنواع الشعر لدى كثير من شعرائه فقال: "كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب، ولا يحذق فيه إلا الفحول، لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة"[1]. وبالرغم من ذلك نجد في قصائد المديح لأبي بكر بن حبيش ونبويات أبي اليمن بن عساكر نوعا من الحذق والإجادة والإبداع[2]، أما في هذا العصر فقد انتشر الأدب الصوفي وبلغ ذروته في الشرق والغرب، لأن الطرائق الصوفية أصبحت منتشرة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي وفي الشرق خاصة إذ طبعت ثقافة القرن السابع بفكر أمثال محيي الدين بن عربي[3] وأبي الفرج ابن الجوزي وابن الفارض وجلال الدين الرومي والسهروردي وسعدي الشيرازي وأبي محمد

---

[1]: ابن خلدون 504/1.
[2]: الرحلة 36/5 وما بعدها.
[3]: الصوفية بين الأم واليوم. د. سيد حسين نصر ط1 1975 ص 117.

المرجاني وأبي اليمن بن عساكر وأبي بكر القسطلاني وعفيف الدين التلمساني وابن الخيمي، وكل هؤلاء كانوا قادة للفكر ورؤساء لمذهب معين أو اتجاه خاص في العقيدة والتصوف وغير ذلك.

وننبه على أنه قلما نجد في هذه الفترة عالما أو طالبا لم يقل شعرا، ولم يعبر عن عواطفه الدينية، لأن أكثر الصوفية والزهاد النساك كانوا من أقطاب البيان والأدب، وذوي قدرة فائقة على قول الشعر والإبداع فيه[1].

ويمكن دراسة هذا الشعر الديني في أنواع كثيرة منها:

أ- في المديح النبوي

ب- في الحديث وشرفه وأهله

ج- في مثال النعل الكريمة

د- في نكبة الحسين

هـ - في الحج والحجيج

و- في مذهب المالكية

ز- في الجهاد

ح- في الزهد والاستغفار والصلاح

ط- في النسيب والتصوف

أ- المديح النبوي

إذا كان لمديح النبوي فنا معروفا في الشرق منذ فجر الرسالة المحمدية، فإن هذا الفن قد عرف كذلك في الغرب الإسلامي منذ عهد المرابطين والموحدين، ولكنه اتسع ميدانه وأصبح ذا شان يذكر في ظل المرينيين، إذ برزت طرائقه واتضحت قسماته في هذا العهد، بينما نجد أن قصائد التشوق إلى زيارة الضريح الشريف معروفة قبل ذلك بأمد

---

[1]: التصوف الإسلامي لزكي مبارك 53.

بعيد، وقد شاعت الأمداح النبوية بعد سقوط قواعد الأندلس واختلال أمور الموحدين السياسية والاجتماعية، أما قصيدة المولد النبوي فلم تظهر إلا في أوائل القرن السابع الهجري[1]، فقد ظهرت في الأندلس القصيدة الطويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها ذكر لصفاته ومعجزاته والتذرع إليه للشفاعة يوم الحساب. وفي هذا العهد أيضا كثرت قصائد المعارضة بين الشعراء. وفي النصف الثاني من هذا القرن، وهو عصر ابن رشيد، كثرت قصائد المديح واتسمت بالصنعة والتكلف، ولهذا شاعت المخمسات والمسدسات والمعشرات والقصائد الملتزمة لحروف المعجم. ولا شك في أن القدر الوارد في الرحلة من أشعار المديح النبوي وما يتصل به من القصائد الحجازيات التي يزيد عدد أبياتها جميعا على سبعمائة بيت لتدلنا حقا على الأهمية التي كانت لهذا الفن والعناية الكبرى المولاة له بصفة عامة، وفي ظل بني العزفي بسبتة وبني مرين بصفة خاصة.

فمما ورد في الرحلة[2] من قصائد المديح النبوي، ما أجاز به أبو يعقوب يوسف ابن أبي الحسن عل بن أبي مروان المعروف بابن السماط[3] ــ أبا عبد الله بن رشيد الذي حرص على لقائه وبحث عنه، ولكن لم يمكن له ذلك بسبب اعجال السفر فوصلته إجازته بهذا القصيد ومطلعه (الكامل):

أعد الحديث فليس بالمملول   عن خير مبعوث وخير رسول

وهي قصيدة طويلة مؤلفة من خمسة وخمسين بيتا ابتدأها بالتشوق إلى سماع حديثه ورؤية ضريحه صلى الله عليه وسلم، وذلك بتكبد أهوال الرحلة إليه بيثرب، ثم ذكر الشفاعة وتطرق إلى ذكر معجزة الإسراء والمعراج وجهاد الكفار وأخبار الأنصار، ثم ختم القصيدة بذكر صفاته وأخلاقه الكريمة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته رضوان الله عليهم، ومن أبياتها:

واملأ مسامعنا بطيب حديثه   فهو الشفا لحر كل غليل

---

[1]: دعوة الحق س9 ع 9-10 .1960 ص: 97 بعنوان: ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي للأستاذ محمد المنوني. وانظر دعوة الحق س12 ع1 1968 ص: 117 بعنوان المولد النبوي الشريف في المغرب المريني للأستاذ محمد المنوني وكذا كتابه ورقات ص 265-286.

[2]: الحلة 7/6.

[3]: هو أخو أبي الحسن على بن السماط المشهورة بتصوفه وإمامته. انظر شجرة النور 152/1 ترجمة 647، أخذ عن البرقي، وكان شعره رائقا جيدا قصره على مدح النبي صلى الله عليه سلم فلم يوجد له في غير ذلك شعر إلا النزر التافه.

وادأب عليه مصليا ومسلما فكذا أتى في محكم التنزيل
فرحا بمغناك المقدس تربه فرح المحب مبشرا بقبول

ومن بديع قوله:

وتهزني من طيب طيبة نفحة فيطيب لي حبي وجر ذيولي
وإذا أسأت تأدبي بحماكم عفوا فإني غبت عن معقولي

ويقول فيها:

من ذا يرى حرم الحبيب فيهتدي لتميز المعلوم والمجهول
قمر له هضبات مكة مطلع والروضة الفيحاء أفق أفول

وختمها بقوله:

هذا الفخار ومن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيل
وعلى أولي الألباب طرا أن يروا بذل النفوس له أقل قليل
وعليه من ذي العرش كل محبة وعلى صحابته ذوي التفضيل
ما أمرع الروض الحيا وتضوعت ريا نسيم في الغدو عليل

وقد علق ابن رشيد على شعر ابن السماط فوصفه بأنه نظم بارع أخذه الناس عنه وسمعوه منه، وجله أو كله في أمداح النبي صلى الله عليه وسلم وهو مطيل مطنب[1]، ومعنى هذا أن له قصائد كثيرة في هذا الغرض. وحسب الأبيات السابقة الذكر يظهر أنه كان طويل النفس مجيدا بليغا تطبع بعض أبياته روح التصوف مثل قوله: "وإذا أسأت تأدبي بحماكم ... البيت" وكانت هذه السمة غالبة على الشعر المشرقي بتأثير مذهب ابن عربي الشائع.

ومن قصائد المديح النبوي البديعة أيضا قصيدة صاحب ابن رشيد بتونس ورفيقه في توجهه معه برسم الحجاز: الفقيه الصوفي الفاضل أبي محمد عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن السليم الأزدي الطبري الشريشي المتزهد المتطور. فقد أنشد لابن رشيد قصيده الذي مطلعه (الطويل)[2]:

---

[1]: الرحلة 7/6 وشجرة النور 182/1.
[2]: الرحلة 17/2.

محاسن أنوار تروق إذا تجلى وآيات أوصاف تفوق إذا تتلى

وهي تتألف من خمسة وعشرين بيتا، وذكر فيها أصله صلى الله عليه وسلم ونسبه وصفاته ومعجزاته ومقامه بين الأنبياء وفضل الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم. وتخللت أبياتها مصطلحات التصوف والمنطق، مما يدل على بعد شأو هذا الشاعر في ميدان الشعر والتعبير عن مكامن النفس واستقراء التاريخ، وفيها أيضا ذكر للنعل الكريمة وإيراد لبعض معاني العلوم كالنحو والمنطق وغيرهما ومن أبياتها

تحلى بها المختار من آل هاشم فما ظلمة إلا بأنواره تجلى
فشرفت العقل السليم محاسن كما شرفت آيات أوصافه النعلا
وكمل فخر الأنبياء فخاره فكانوا له وضعا وكان له حملا
فكان دليلا للكمال مكانه فصار كذلك الحرف والنقط والشكلا
فما قوله لو بالضمير يقولها ليفعلها إلا ويسبقها فعلا
عليم بما قد كان أو هو كائن ولكنه شاء أن يعرف الجهلا
يعاين فيه كل جود طبيعة فتألم منه النفس أن يسمع البخلا

وفيها من معانيه الطريفة والبديعة:

أتى بعد كل الأنبياء زمانه فهذا هو البعد الذي يسبق القبلا

وختمها بقوله:

سدلنا ذيول التيه فخرا بحبه وفي غير هذا الحال لا نرتضي السدلا
لقد كان ذكر المصطفى وثناؤه فكان لدى الافواه مستعذبا سهلا
وكل جديد لا محالة للبلى وذكر رسول الله في الدهر لا يبلى
نواصل فيه كل حين صلاتنا ولم لا ورب العرش من قبلنا صلى

ومن سمع هذا السحر الحلال لابد أن يعذر أبا محمد المرجاني الصوفي وهو يقبل على سماع الطبري الشريشي هذا، لأنه كان يصادف هوى في كل نفس[1]، ويثير أريحية الشعراء السائرين في هذا المهيع، وقد صادف شعره هوى في نفس المرجاني لأنه يجمع بينهما الاتجاه الواحد والعب من منهل الزهد والتصوف، لأن الطيور على أجناسها تقع.

[1]: انظر ترجمتي المرجاني والطبري في شيوخ ابن رشيد بتونس والرحلة 17/2.

وفي الرحلة من لهم نفس طويل في هذا الميدان كأبي اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر[1] الذي أجاز لابن رشيد كثيرا من شعره، وكان أبو اليمن زاهدا مجاورا بمكة صالحا خيرا ومشاركا في العلم بديع النظم لطيف الشمائل صاحب توجه وصدق[2] وله قصائد طوال بديعة منها ما كتبه لابن رشيد ومنها ما أخبره به صاحبه أبو عبد الله ابن الحكيم، ومن ذلك قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ومطلعها (الطويل)[3]

أرحها على ربم فقد جاوزت كشدا[4] وانجد بلاغا فقد بلغت بها نجدا

وفيها أربعة وتسعون بيتا. وقد وصف فيها رحلته إلى ضريحه صلى الله عليه وسلم وما لاقاه فيما من الوعثاء، وحالة نفسه وتشوقه، وذكر الشفاعة والدعوة وحاله مع الكفار ورجاء الوقاية من عذاب جهنم وغير ذلك مما يتصل بالدعاء والاستغفار. وقد استعان في ذلك بالبديع من التجنيس وصوره والاقتباس من القرآن الكريم والأخذ من الحديث النبوي الشريف. ومما ورد فيها من الأبيات:

فألق العصا بين العقيق إلى قبا إلى أحد واجعل لها أحدا حدا

هي الدار نعم الدار أشرب حبها قلوب محبيها فهاموا بها وجدا

فأخرج من في النار من كان مؤمنا ولم يبق إلا من استوجب الخلدا[5]

فمن ذا له جاه لديه كجاهه ومن ذا الذي أجدى علينا كما أبدى

أتاهم بقرآن ليرشدهم به[6] فردوا عليه القول كفرا به ردا

يبشر ذا تقوى وينذر من طغى وعيدا لمن يخشى ومن يرتجي وعدا

فيا ضلة الأحلام ظلوا بجهلهم عكوفا على الأصنام قد عبدوا ودا

وكم آية دلت وكم من دلائل بصدق رسول الله أوضحت الرشدا

---

[1]: الرحلة 37/5.
[2]: شذرات الذهب 395/5 وفوات الوفيات 328/2.
[3]: الرحلة 41/5.
[4]: كشد: موضع بين مكة والمدينة (حاشية المخطوط من الرحلة).
[5]: ينظر إلى قوله تعالى: ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد. فصلت 28 وانظر حديث: كل خالد في ما هو فيه: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 59/2.
[6]: انظر سورة الجن الآية 2.

وكم من بـــراهين تواتـــر نقلـــها ... بتخصيصه نصا قد انتـــقدت نـــقدا

أعد ذكـــره بالله يا ذاكـــر اسمـــه ... علـى كبد المشتـــاق إن له بَـــرْدا

أيا رَبِّ أوردنا، حـــنانيك، حوضـه ... لنسق شراباً مازج المسك والشـــهدا

وانعم برؤيـــاه عـــيونا مشوقـــة ... لرؤيـته واجعل لـــنا عنـــده ودا[1]

وهبنا يقيـــنا من عـــذاب جهنـــم ... وتســـديدا يكن دونـــها ســـدا

ولا تخرجنا عند الحســاب وهننـــا ... بإكرام مثوانا وهيئ لـــنا رشـــدا[2]

ويقول فيها:

مدحتك يا خير الـــبرية أرتجـــي ... به منك قربـــا لا أرى بـــعده بعـــدا

ويظهر لنا من قراءة قصيدة ابن عساكر أنها ملحمة دينية رائعة لأنها ضمت كثيرا من خلجات النفس وتعبيرات شتى عن الشوق والحنين إلى تلك الديار المقدسة مثل قوله: "اعد ذكره بالله يا ذاكر اسمه ... البيت. وفيها عرض لشتى المشاهد الدينية التي تنم عن تصور أبي اليمن الواسع وإدراكه الشامل، وفيها صور رائعة مقتبسة من القرآن الكريم، بل إنه ضمنها آيات كثيرة فأضفت عليها سمة البلاغة والبيان.

وورد له في قصيدة أخرى حجازية مديح للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه (الخفيف):[3]

شمت برقا شآميا من شـــآم ... من تهام عل نوى واغـــتراب

بت تستنشق الجنوب وقد هـــبـــت بليل سـليلة الأ ثـــواب

كيف جانبتها وأنـــت محـــب ... هل محب رأيتـــه ذا اجتناب

ومن قوله مجنسا:

فاحمد الله إذ بطيـــبة طـابت ... أنت ثاو، وكنت طاب ابن طاب[1]

---

[1]: انظر سورة مريم الآية 6.
[2]: انظر سورة الكهف الآية 10. ولاحظ كيف اقتبس معاني الآيات الآنفة الذكر.
[3]: الرحلة 38/5.

بين قبر ومـــنبر أنـــت منـــها غاديـا رائحا بـــلا إغبـــاب[2]

ومنها:

أفضل المرسلين حقا بلا شكــــــــــ، وخير الورى بغير ارتيـــاب

صفوة المصطفى أفرد بـــالحبــــــــــ، وبالقرب فهو لب اللبـــاب

وفي هذه القصيدة أيضا بعض المعاني السابقة، ولكنه أضفى عليها من الأوصاف صور البرق الشآمي وجنان الخلد، واقتبس فيها من الحديث النبوي الشريف: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" ويظهر من هذه الأبيات أيضا أن أبا اليمن كان قد اخذ بسهم وافر في هذا الميدان.

ومما يتصل بالمديح النبوي ما كتبه أبو بكر بن حبيش[3] لابن رشيد بما يزدهي نظمه بنظم الفريد، وقرأه عليه ومطلعه (الكامل):

يا خير من هو للاله رسول أنت الشفيع وجاهك المأمول

وفيها ثلاثة وخمسون بيتا، وفيها يقول:

ولواؤك السامي غدا في محشـــر والظل منه على العباد ظليـــل

ومقـامك المحمود جل فقدرك المـــرفـــوع فيـــه وقولـــك المقبـــول

بك فتحت عدن ولولا أنـــت لم يشمل عصاة المؤمنين دخـــول

شرفت بمبعثه العوالم إذا غـــدا بكماله لجميعهـــا تكميـــل

والله خص الأنبـــياء بفضـله وعلى الجميع لأحْمَد تفضيـــل

يا روض طيبة طاب منك حفيل لاَ صَبْرَ عن ذاك الجمال جميل[4]

كيف التصبر عن مغان حلـــها بالأمس جبريـــل وميـــكائيـــل

ومنها هذا البيت البليغ:

---

[1]: هذا البيت ينظر على قول كثير بن كثير في عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا عمر بن الخطاب مقابل الاعراق في الطاب بالطاب. لسان العرب (ط.ي.ب).

[2]: أغب القوم و غب عنهم: جاء يوما وترك يوما.

[3]: الرحلة 45/6.

[4]: ينبغي أن يقول (جميلا) بدلا من جميل المرفوعة.

وإذا أتيـــتك زائـــــراً متشوقـــــا قصر الطريق وفي الرجوع يطول[1]

ومنها في بديع التجنيس:

والنفس أنفس ما لدي بذلتــــــها طوعا لطــاعته وذاك قلـــــيل

ومنها:

فعسى جوارك في الـــدنا ورضـــــاه فـــي

جناته وهنـــــــا انتهــــى التأمِــيل

وقد سمع ابن رشيد هذه القصيدة على ناظمها ابن حبيش وذلك في 20 جمادى الأولى 685 هـ بتونس وسمع الفقهاء الجلة أبو عبد الله ابن الحكيم وأبو العباس أحمد ابن محمد المرسي وأبو عبد الله بن عيسى.

وإذا عرفنا أن أبا بكر بن حبيش كان قد خص شعره كله أو جله بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، أدركنا ماذا يكون قدر ديوانه في ذلك، فهو المجيد أدبا ونثرا. وبما انه كان صوفيا زاهدا فلا شك أن له قصائد طويلة في ذلك الموضوع[2]، ثم إنه كان قد اعتزل القول في أغراض الشعر الأخرى، مع القدرة على القول فيها، وإذا خاطبه أحد أناب عنه تلميذه وصاحب ابن رشيد، أبا عبد الله محمد بن عبد الواحد بن مبارك الصوفي الذي كان مندوبا للإجابة عنه[3]. وعن هذا الالتزام الذي اخذه ابن حبيش على نفسه ليدلنا على الإخلاص لقضية أخذت عليه قلبه وعقله، وهي قضية الحب النبوي.

وإذا أردنا تقويم اتجاه ابن حبيش في هذا الميدان، لنقدره حق قدره، فإن ترجمة ابن رشيد الثانية له في الجزء السادس[4] لأُصدق برهان على إبراز جوانب أخرى غامضة لهذا الشاعر وذلك في قوله: "ومما قرأت في ذكر أسماء تآليف شيخنا أبي بكر، التي صدرت عنه في الامداح النبوية والمراثي الحسينية، نفعه الله بذلك كله كتبها لنا بخطه

[1]: انظر أيضا ما جرى في هذا البيت بين ابن رشيد وابن حبيش في (النقد والبلاغة).
[2]: انظر أزهار الرياض 174/5.
[3]: الرحلة 5/2.
[4]: الرحلة 5/2.

صاحبنا المحدث الأديب أبو العباس الأشعري أشعره الله لباس التقوى...[1] ثم ذكر صفحة ونصف صفحة من تلك التآليف والقصائد المفردة ومنها:

الحدائق اللسانية والطرائق الحسانية، وهي تخميس مراثي حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخميس معارضتها لابن أبي الخصال[2] وكذلك فوائد الزمان وفرائد الشقراطسية وفوائد الجمان وهي على ثماني مغصنات على القصيدة الشقراطسية، وقد ذكرها مفصلة. وكذلك العقيلة الحالية والوسيلة العالية، وهي تخميس القصيدة الفريدة لأبي عبد الله ابن بي الخصال المسماة بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب، وسبحانية النجار ورحمانية المستجار. وثراء العديم وشفاء السقيم. وبراعة المطنب وضراعة المذنب، وهي قصيدة طويلة مربعة الأبيات، والأريحيات الحجازية، وهي القصيدة التي سدسها بتسبيح الباري سبحانه وتعالى وسماها ثراء العديم وشفا السقيم، وكذا سقيا السحابة في عليا المصطفى والصحابة. وغير ذلك مما يطول ذكره بالتفصيل.

ولا ينبغي أن نغفل عن خاصية أخرى لهذه القصائد المدحية، وهي خاصية المعارضة، فكلما أخذت قصيدة بلب الشاعر عارضها بما يشبهها أو بما يزيد عليها حسنا وجمالا، ويفوقها بلاغة وبيانا.

ولما حل ابن رشيد وصحبه بالينبوع، وكان ذلك اليوم قَائِظًا أقبل عليهم المغنون بهذه الأبيات: (الخفيف)[3]

أيها القادمون أهلا وسهــلا	كيف نجد وكيف بان المصلى
كيف خلفتم العقيق وسلــعا	وقباء والنقا ومن ثم حــلا
فأجابوا لله ما كــان أهــنا	زمن الملتقى وما كان أحــلى

فعلقت هذه الأبيات، لترديدهم إياها، بحفظ ابن رشيد وصاحبه ابن الحكيم، ولما وصلا تونس ذكرا هذه القصة لشيخهما ابن حبيش وسأله ابن الحكيم أن يذيلها فأجاب

---

[1]: الرحلة 34/0.
[2]: أزهار الرياض 174/5.
[3]: الرحلة 46/0.

منعما مفصلا مطيلا ومجزلا وكتبها لهما بخطه وسمعاها تقرأ عليهما، وجعل الأبيات السابقة صدرها فقال (خمسة وخمسون بيتا)[1]

حيث روض النعيم بالانس يجنـــى وعروس السرور بالسعد تجلى
حيث دار الحبيـــب تدعى سماء والذي حجبت من الشمس أعلى
وحلى حمده من البـدر أبهى وعلا مجده من الصبح أجلى
مـــن رأى ذاك المحـــل المحلى كيـــف بالصـــبر بعد يتـحلـــى

وقد سار على هذا المهيع ملتزما فيها البديع والتجنيس خاصة وغير ذلك من الاقتباس من أنوار القرآن الكريم، ومنها:

طيبة الطيبين قدس منهـــا منزل هيئت به الخـــلد نـــزلا
ليس لي غير حب أحمد ذخـــرا ليس يبلى إذا الســـرائر تـبلـــى
هو لي في قبري وحشري كما قـد همت فيه هِمًّا وكـــهلاً وطفلا
ليس إلا محـــمد قيل فيـــه سيد الخلق وحده ليس إلا
مصطفـــيه[2] أحبـــه وحـــباه بخصال حازت من السبق خصلا
ما عسى ينتهي له كـــل مثـــن والمثاني بوصف علـــياه تتلـــى

وهذه القصيدة كما قال العياشي في رحلته[3] "سلسلة غريبة المناحي رائقة الألفاظ، عذبة المعاني" وخصوصا في أبياته الاخرى التي يستعرض فيها كثيرا من أعلام قصص الحب العفيف:

كيف يدنو إلى دنـــية دنيـــا مـــن له ذاك الـــجلال تجلـــى
أجميل ينسى بثينة أو يـــــرضـــــي بذاك الجمال دعـــدا وجمـــلا
أو لقيس لبـــانة غير لـــبنى أو يرى عروة لعـــفراء مـــثلا
أو يزيد ســـوى حبابة يـــهوى أو كثـــير عن عـــزة يتسلى
أصعب الهجر في المحبة هجـــر ذاقه الصب بعـدما ذاق وصـــلا

ومن بديع أبيات ذلك القصيد قوله:

---

[1]: انظر هذه القصيدة في رحلة العياشي239/2 نقلا عن الرحلة وقد أورد منها ستة وعشرين بيتا.
[2]: في رحلة العياشي: مصطفاه.
[3]: نفسه 240/2.

قلبوا القلب تبصروا فيه للـــروضـــــة والاقـــبر الثـــلا ثة شكـــلا

واقرأوا للوى بجدي طرســـا عفر الخد حيـــث أوطـأ نعـــلا

وقبول الصلاة والصوم إن متـــــــ، فحاوله حيث صـام وصلـــى

هاك يا ربع الأحبة منـــي أربعا أمنت محـــبك مـــحلا

ومقلتي مـــزنة وحـــبي روضـــا وقريضي ورقاء وصـدري ظـــلا

ففي هذا الجانب من القصيدة رموز وإشارات إلى ما تضمنه الأدب العربي من قصص الحب العذري، واشتمل عليه التاريخ من أحداث ووقائع مشهودة ومشهورة، بله ما فيها من صور التصوف وعبارات الوجد، مما يدل على أن ابن حبيش كان ذا أفق واطلاع واسعين على التراث العربي والثقافة الإسلامية، ولهذا كانت اللغة تنقاد له انقيادا، والأفكار تنثال عليه انثيالا لكثرة تمرسه بهذا الفن.

ويصدق على هذه القصيدة قول ابن رشيد نفسه: أن في كل بيت منها قصيدا لأن جميع أبياتها درر منظومة في سلك ذلك الشعر الجميل البديع، ومنها هذه الأبيات التي يفضل فيها مكان البقيع ويتمنى أن يضم رفاقه بعد أن تفارقه روحه:

وإذا أرمد البـــكاء جفـــوني فاحملوا لي من ترب يثـرب كـحلا

حـــلية المؤمنـــين لثم ثـــــراها يـــا إلاهـــي فلا تمتنـــي عـطلا

ليس مثل البقـيع بقعة رحمـــى فعسى أعظمـــي به ليـــس تبلـــى

وختمها بقوله حامدا ومسبحا ومصليا ومسلما:

وختام القريض حمد الاه الـــعــــرش سبحانه تعالى وجلا

وكمال الصلاة يهدي إلى أكـــمـــــل هاد ساد البرية كـــلا

والرضا عن آل الهدى ولحا الـــلـــــه غواة لم ترع لـــلآل إلا[1]

ومن القصائد التي تكتسي خصيصة أخرى من خصائص المديح النبوي من حيث الشكل، كتكرار اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ما انشده أبو محمد بن الزجاج لابن

---

[1]: الآلّ: العهد والقرابة.

رشيد بالمدينة المنورة[1] قال أنشدنا والدي أبو عبد الله لطاهر بن محمد المرزبان الشحامي لنفسه: (الكامل)

لاصلين على النبـــــي محـــمد	أبداً كما يرضى، وآل محـــــمد
خير الصحابة في الورى أصحابه	وأعزُّ بَيْتٍ أهل بَيْـــتِ مُحَـــمد

ولم يورد ابن رشيد جميع القصيد لطوله، ولكنه أجمل فحواه بقوله "ثم ذكر خلقة المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر أوصافه وأسماءه والبعثة والرسالة وإظهار الدين وإكماله وخصائص الإسلام والمعراج وإبلاغ الرسالة، ثم انتقل إلى ذكر الصحابة وحسن مؤازرتهم إياه وشرفه صلى الله عليه وسلم في القيامة وخصائصه فيها ثم قال: مضمنا قوله شعر حسان بن ثابت.

قد قال حـــسان وقولي قولـــه في مدح خير العالمين بحب محـــــمد

ما إن مدحت محـــمدا بمقالتي لكن مدحـــت مقالتي بمحـــمد

ثم انتقل إلى غرض الاعتذار فقال مسوغا لفعله من تكرار اسم النبي صلى الله عليه وسلم:

أكثرت تكراري لــذكر محـــــمد	حبا له فخرا بحـب محـــــمد
حب هو الإيمــان إيـثارا علـــىحب الورى والنــفس حـــب محـــمد	
وبذاك قد قر الـــورى ليثيبــــهم	عشرا بــواحدة إلاه محــــــمد[2]
لا يقبل الله الصــلاة من امـــرئ	ما لم يصل على النـبي محـــمد
حجب الدعاء عن السماء إذا علا	دون الصلاة على النبي مـــحمد[3]
أو ما عليه سلام مكة سلمــــت[1]	وتنكست أعناقـــها لمحـــمد

---

[1]: الرحلة 7/5.

[2]: قال تعالى:(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الأنعام 160.

[3]: وهذا ينظر إلى حديث: ما دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب، وانظر كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ السَّخاوي 95/3.

أوفوا الصلاة عليه ثمة سلموا | حتى تروا رضوان رب محمد
يا رب أكرمنا وأكرم نزلنا | واغفر لنا وارحم بحق محمد
يا رب واخصص بالكرامة عبده الـ | ـراجي لفضلك طاهر بن محمد

فهذه القصيدة عظيمة التأثير في النفس لما فيها من المعاني السامية المقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم إن هذا التكرار له دلالة قوية على تثبيت المعاني بنوع من الجرس أو الإيقاع الرتيب، ولكنه يلذ النفس والأذن، وهو يقول إن المراد بذلك التكرار تقوية المعاني الصورية وتثبيتها في العقل[2].

وهنا لا نغفل عن لون آخر من المديح النبوي الذي قد يقع في رؤيا يراها الرجل، فيقع ذلك في قلبه ويهتاج بذلك فؤاده، فيجد وجدا. وقد نظم ابن رشيد رؤيا وهو بموسطة بحر الاسكندرية في قصيدة يخاطب فيها صديقه ابن الحكيم ومطلعها (المتقارب)[3].

أيا حائز العلم نوعا فنوعا | ولو حل منك محلا قصيا

وقد شرح فيها تلك الرؤيا التي رآها كأنه يزور النبي صلى الله عليه وسلم ويدنو من القبر الشريف دنوا ويلثمه فيغمره بذلك وقار وخوف أفيضا عليه، ثم طلب من صاحب ابن الحكيم أن يعبر ذلك المنام، فأجابه بقصيدة منها[4]

فقد صح في ذاك زر كي تزا | د في الحب قدرا رفيعا سنيا
سلوكك من هديه منهجا | رضيا وقصدا سليما سريا
وشغلك دأبا بنشر الحديث الـ | ـذي قد غدا اليوم علما خفيا
وأما وقوفك من قبره | بقدر الذراع وقوفا مليا
فكونك أصبحت من علمه | بغرف الأسانيد منه مليا
سيلقاك يوم المعاد بوجه | يلوح من البشر طلقا وضيا

---

[1]: انظر نبذة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب: عيون الاثر في فني المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمري . ط2 74-1.
[2]: انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب 495/2.
[3]: الرحلة 1/6.
[4]: الرحلة 2/6.

كما قد تـخذت تقـــاه شعارا   فحيـــيت بـــرا تقيـــا زكيـــا

ففي هذه الأبيات تعبير صادق عن الرؤيا الصادقة التي رآها ابن رشيد، إذ انه لما توسم فيها شيئا ذا معنى، ورغبة في النفس أكيدة إلى رؤية المقام الشريف، ذكرها لصديقه الذي كان يفهم نفس ذلك المعنى ويشعر ذلك الشعور، وما رحلتهما إلا تحقيق صريح لتلك الرؤيا، ولهذا عبرها ابن الحكيم تعبيرا واقعيا يشرحه الحال والنية القاصدة، وهكذا نجد في قصيدة ابن الحكيم تفصيلا لكيفية آداء الفريضة آداء كان يكمن في نفس ابن رشيد وصاحبه، هذا إذا عرفنا أن الرؤيا وقعت، وهما راجعان، على ظهر بحر الاسكندرية في طريقهما إلى مدينة طرابلس، وحق لطاهرين متطهرين أن يريا في المنام ما يسمو بالنفس ويعلو بالروح إلى ذلك المقام العالي الذي راماه، فكان تحقيق الأرب وبلوغ المقصد.

ثم إننا نجد في هذا الأبيات رفعا من مقام الحديث والمحدثين كما سنرى بعد في فضلهم وشرفهم.

وصفوة القول في خصائص المدائح النبوية أن أغلبها يمتاز بالإطالة والإسهاب حتى يتسنى للشاعر أن يفرغ كل ما في كنانته من شعور بالحب للنبي صلى اله عليه وسلم وآله وشوقه إلى زيارة قبره في المدينة المنورة، وبالرغم من أن هذه المدائح النبوية تشترك في كثير من العبارات المعينة واستعمال أسلوب متشابه، وتتداول بينها كلمات متعارفا عليها، إن لكل شاعر طابعه الخاص به يرجع إلى ثقافته الخاصة وميله إلى فن معين من فنون المعرفة، ولهذا جاءت متنوعة لكل منها شخصيتها وطابعها وذوقها وطريقتها الخاصة في العرض، إذ إننا عندما نقرأ قصائد ابن حبيش، وننتقل إلى قصائد أخرى لأبي اليمن بن عساكر أو ابن السماط أو الطبري أو الشريشي، لا نشعر بالاملال وطابع التكرار، وإنما نستمتع بألوان متباينة ونستلذ طعوما ومشارب مختلفة، فبعضهم مثلا يغلب عليه التصوف، وبعضهم الآخر تستميله الطريقة الأدبية.

وأما الميزة الأخرى فهي ميزة المعارضة للقصائد البديعة والنسج على منوالها كما فعل ابن حبيش الذي عارض قصائد كثيرة لشعراء مشهورين كابن أبي الخصال ذي الوزارتين وأبي الفضل النحوي وأبي بكر بن يوسف النجار السبتي وأبي تمام وغيرهم.

وهناك خاصية التكرار لاسم النبي صلى الله عليه وسلم[1] أو تكرار شطر معين في القصيدة من أولها إلى آخرها كما فعل طاهر المرزبان الشحامي في تكرير اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك تكريما له وتشريفا. ثم إن هناك خاصية ذكر اسم المادح ضمن قصيدته كما فعل الشحامي أيضا:

يا رب واخصص بالكرامة عبده الـــــراجي لفضلك طـــاهر بن مـــحمد

ولكن أبرز ما يخص القصائد المدحية في أواسط القرن السابع وأواخره هو التصنع والتكلف وتحليتها بأنواع من الزخارف الشكلية، وإن كثرة تلك المعارضات مصداق ذلك، إذ إن الشعراء كلفوا بالتربيع والتخميس والتسديس والتعشير، وهم يطلقون في ذلك عنانهم في فنون القول، فيأتي أغلبهم بالعجب العجاب.

وأما الخصائص الفكرية والمعنوية التي تمتاز بها هذه القصائد فهي ذكر مكارم النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ومنزلته بين الأنبياء صلوات الله عليهم، وذكر تفصيل لمعجزاته والحديث عن الإسراء والمعراج، وقد يذكر فيها بعض الاخبار عن نشأته وأولويته وشيء عن بدء الدعوة الإسلامية ومراحلها الأولى وتأييد الصحابة له. وكذا شجاعته وصفاته الخلقية والخلقية وشيء عن مآتيه ومغازيه ومواقفه المشهودة المشهورة.

فهذه القصائد تملأ الأسماع بطيب الحديث وتشفي حر كل غليل وهي أيضا سبب الغيبة عن المعقول لذة وانتشاء، فالنبي صلى الله عليه وسلم يجلو الظلمات وينير بهديه القلوب، وهو فخر الأنبياء، لأنهم وضعوا الرسالات وحملها ... إلى غير ذلك من المعاني التي تضمنتها القصائد السابقة الذكر.

وقد أشار الدكتور زكي مبارك إلى أن كثيرا من القصائد التي قيلت في المديح قد مزجت بشيء من التصوف، ثم إنها غالت في بعض وجوهه[2]. ولكننا عندما نستقرئ هذه القصائد التي بين أيدينا لا نجد فيها شيئا من الغلو المستكره أو ذكر الصفات التي لا يصدقها العقل سواء من حيث الشفاعة أم ذكر مشاهد يوم القيامة التي تتصل بذلك،

---

[1]: انظر ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعدم السآمة من تكرارها: تدريب الراوي 74/2.

[2]: التصوف الإسلامي 200/1.

ولكن هؤلاء الشعراء لم يذكروا في الغالب إلا صفات مألوفة نجد لها ذكرا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ب – في الحديث وشرفه وأهله

كان للحديث وأهله شرف عظيم، لأن "علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة وأنفع الفنون النافعة، يحبه ذكور الرجال وفحولهم، ويعنى به محققو العلماء وكملتهم"[1]. وإن بعض من كتب عن الحديث والمحدثين خصهم بأوصاف كثيرة منها: خلفاء الرسول، وحملة العلم، وخير العباد، وذكور الرجال[2]، وأمناء الله، وغير ذلك من الأوصاف الجليلة[3].

ثم إن هذا العلم "يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء فيه من وجوه الوعد والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين .. وفيه قصص وأخبار ومواعظ وسير تاريخية وأحكام وقضايا وخطب وعظات وأعلام ومعجزات، وفيه تفسير وأقاويل الصحابة وآراء الفقهاء المجتهدين، وهو الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته"[4]. ولهذا اكتسب هذا العلم بلاغة وفصاحة تأتي مباشرة بعد بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه، والسنة قاضية عليه، ومقتفية سننه[5].

ثم إن للحديث فضلا كبيرا على الثقافة العربية لأنه كان من الأصول التي يستشهد بها على قواعد اللغة، ومن علومه تعلم أجدادنا منهجية خاصة في الحكم على الاخبار[6] وذلك كاتخاذ السند والتحقيق والجرح والتعديل والضبط والتمييز بين الصحيح والسقيم والصادق والكاذب من الاخبار والآراء. ولهذا كله وجد هذه العناية الفائقة في الوسط الإسلامي، إذ ألفت فيه كتب لا تعد ولا تحصى، وأفرد بدراسات خاصة تعد دررا في المنهجية واستنباط الأحكام.

---

[1]: مقدمة ابن الصلاح 3.

[2]: إفادة النصيح 4 وشرف أصحاب الحديث 70.

[3]: ذكر أبو بكر الخطيب في كتابه شرف أصحاب الحديث 45 خمسة وأربعين وصفا من أوصاف المحدثين انظر ص: 145-146 وانظر أيضا كتاب أدب الإملاء والاستملاء لأبي عيد عبد الكريم السمعاني وابن الصلاح ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري بصفة عامة وكتاب الالماع للقاضي عياض ص: 17-44 بصفة خاصة.

[4]: شرف أصحاب الحديث 7-8.

[5]: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 55/1.

[6]: الحديث النبوي لمحمد الصباغ 16.

فمما ورد في الرحلة[1] في شأن علم الحديث ما أنشده أبو الحسن الغرا في السني قال أنشدنا الحافظ أبو عبد الله محمد الدبيثي[2] ولم يسم قائله: (الكامل)

علم الحديث فضيلة تحصيلها   بالسعي والتطــواف في الأمصـار

فإذا أردت حصولها بإجــازة   فقد استعضت الصــــفر بالدينار

ففي هذين البيتين إشارة إلى أن الحديث كان يتفقه فيه بالتجوال في الآفاق والاتصال بالعلماء والسماع منهم مباشرة دون واسطة بل إن طلب علم الحديث واجب[3] على كل مسلم، وأن الرحلة في طلب الحديث فضيلة وأي فضيلة[4]، وقد روي عن يزيد بن هرون قَالَ: قلت لحماد بن يزيد: يا أبا إسماعيل هل ذكر الله عز وجل أصحاب الحديث في القرآن فقال: بَلَى، ألم تسمع إلى قوله:

"ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم"[5].

فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ويرجع به إلى من وراءه يعلمهم إياه[6]. بل إن عكرمة مولى ابن عباس كان يقول إن المقصود من كلمة "السائحون"[7] الواردة في القرآن طلبة الحديث[8].

ومما يتصل بهذا المعنى ما انشده المحدث جمال الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى القرشي لابن رشيد قال:[9]

أنشدنا أبو الفضل الهمداني قال: أنشدنا الحافظ السِّلَفِي قال أنشدنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن السراج اللغوي[1] ببغداد لنفسه (مجزوء الكامل)

---

[1]: الرحلة 11/3 والعبدري 111 والاعلام للمراكشي 211/4.
[2]: ابن الدبيثي هو محمد بن أبي المعالي سعيد (553 هـ-637هـ) محدث وفقيه ومؤرخ. انظر عه ابن خلكان 394/4 والشذرات 135/5.
[3]: الالماع ص: 6.
[4]: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ط1 1975 بيروت ص: 16.
[5]: التوبة 122.
[6]: شرف أصحاب الحديث 50-59.
[7]: التوبة 112.
[8]: شرف أصحاب الحديث 60.
[9]: الرحلة 74/3.

لله در عصـــــــابة يسعون في طلــب الفوائــد

يدعون أصحاب الحديــــــــث بهم تجملت المشاهـــد

طورا تراهم بالصـعيـــــــــد[2] وتارة في ثــغر آمــد[3]

يتتبعون من العلـــــــوم بكـــل أرض كـل شـــارد

فهم النـجوم المقتـــــدى بهم إلى سبل المقاصـــد

وقد أنشد ابن رشيد هذه الأبيات بلفظه على شيخه القرشي يوم الجمعة 26 رجب 684. ونتبين من خلالها مهمة المحدث في الحل والترحال من أجل رواية الحديث والتحقق من صحته والتثبت من ذلك، فهو تارة بأقصى الجنوب وأخرى بأقصى الشمال باحثا عن العلم والعلماء ليملأ عيبته.

ومن ذلك ما رواه ابن رشيد عن أبي عبد الله السلاوي[4] قال أنشدنا أبو الحسن الحرالي[5] لنفسه في نظم الحديث (مجزوء الكامل)

بين النبـــوة والرســـالة أمـر له من[6] الأمر ما لـــه

بيت عـــزيز لا تـــرى إلا لــرســـول به وآلـــه

ومن ذلك ما كتبه أبو عبد الله بن حيان الشاطبي لابن رشيد[7] بالسند إلى أبي القاسم بن عساكر لنفسه[8] في جمع الحديث وفضله (الكامل):

---

[1]: ابن السراج حافظ عصره وهو صاحب كتاب مصارع العشاق. روى عنه أبو طاهر السلفي، وكان يفتخر بروايته. ولد سنة 417 وتوفي سنة 521 وأكثر أشعاره في الزهد والفقه. انظر عنه معجم الأدباء 153/7 ووفيات الأعيان 357/1 ترجمة 135.

[2]: في كتاب الجزيرة للأصمعي: بعدد منازل بني عقيل وعامر قال وأرض بقية عامر صعيد والصعيد بمصر بلاد واسعة. معجم البلدان لياقوت 400/3.

[3]: بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود على نشر دجلة وينسب إليه خلق من أهل العلم في كل فن ياقوت 56/1.

[4]: الرحلة 44/2.

[5]: أبو الحسن الحرالي أندلسي زاهد له فضائل وكرامات ومناقب وبينه وبين ابن عبد السلام مسائل توفي سنة 637 هـ. شجرة النور 181 ت 592 وعنوان الدراية 145 ونفح الطيب 387/2.

[6]: كتب في هامش المخطوط: ام الامر ليستقيم الوزن وقد كتب في النص من الأمر.

[7]: الرحلة 23/2.

[8]:: هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المحدث الفقيه صاحب كتاب تاريخ دمشق المشهور. وفيات ابن خلكان 309/3 وطبقة الحفاظ للسيوطي 474 ت 1061 ومعجم الأدباء 73/13 وشذرات الذهب 239/4.

واظب على جمع الحديث وكتبه | واجهد على تصحيحه في كتبه
واسمعه من أربابه نقلا كما | سمعوه من أشياخهم تسعد به
واعرف ثقات رواته من غيرهم | كيما تميز صدقه من كذبه
وهو المفسر للكتاب وإنما | نطق النبي لنا به عن ربه
فتفهم الاخبار تعرف حله | من حرمه مع فرضه مع ندبه
وهو المبين للعباد بشرحه | سير النبي المصطفى مع صحبه
وتتبع العالي[1] الصحيح فإنه | قرب إلى الرحمن تحظ بقربه
وتجنب التصحيف[2] فيه فربما | أدى إلى تحريفه بل قلبه
فكفى المحدث رفعة أن يرتضي | ويعد من أهل الحديث وحزبه[3]

هكذا اجمل لنا ابن عساكر كيفية طلب الحديث وحثنا على معرفة علله وطرق إسناده، وبين أن السنة مستمدة نورها من القرآن الكريم ومفسرة لأحكامه ومقتبسة من جواهر معانيه، وحث كذلك على تحري العالي الصحيح، وأن لا يركن إلى النازل فيه[4]، وقد قال في معنى ذلك أيضا (الوافر)[5]:

ألا إن الحديث أجل علم | وأشرفه الأحاديث العوالي
وانفع كل نوع منه عندي | وأحسنه الفوائد في الأمالي
وإنك لن ترى للعلم شيئا | يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه | وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى | من التصحيف بالداء العضال

[1]: تدريب الراوي 159/2: الإسناد خصيصة لهذه الأمة وسنة مؤكدة بالغة وطلب العلو فيه سنة ولهذا استحبت الرحلة.
[2]: الكفاية 247: يقول الأوزاعي: لا بأس بإصلاح الخطأ واللحن والتحريف في الحديث. الكفاية 53 والحاكم 5 وابن الصلاح 130.
[3]: انظر الأبيات في السنن الابين ص: 29 نقلا عن الرحلة.
[4]: تدريب الراوي 159/2 النزول مفضول مرغوب عنه على الصواب ابن الصلاح 130، الحاكم 12.
[5]: ابن خلكان 310/3.

ثم إن منتهى آمال المحدثين في الحديث: النقل والنقد والحرص على العلو في السند، ولا يرضون بذلك بديلا ، فقد أنشد أبو الحسن بن رزين لابن رشيد ما قاله في ذلك المعنى الحافظ أبو طاهر السلفي (مخلع البسيط)[1]

ليس على الأرض في زمانـي　　　من شأنه في الحديث شأنـي

علما ونـــقدا ولا علــوا　　　فيه على رغم كـل شانــي

وهو من مشهور قوله[2]

ثم إن سنة علماء الحديث الاتباع لا الابتداع، وقد اجمل ذلك أبو طاهر السلفي في قوله (الخفيف)[3]

إن علم الحديث علم رجال　　　تركوا الابتداع للاتبـــاع

فإذا الليل جنـهم كتـــبوه　　　وإذا أصبحوا غدوا للسماع[4]

ويعتقد السلفي أن الحديث أم العلوم، بل إنه البحر الطامي الذي يغذو الأنهار، ولكن مآلها لابد إليه آئل، وقد أنشد ابن رشيد على أبي محمد الخلاسي عن أبي الحجاج المحمدي عن الزاهد ابن تامتيت اللواتي عن أبي الحسين بن الصائغ قال أنشدنا أبو طاهر السلفي لنفسه في شرف الحديث وأهله (الوافر)[5]

إذا ذكرت بحار العلم يوما　　　فقول المصطفى لا غير بحري

هو البحر المحيط وما سواه　　　فأنهار صـغار منـه تجري

---

[1]: الرحلة 70/6.

[2]: أزهار الرياض 170/3.

[3]: الرحلة 70/6. وقد انشده ابن رزين لابن رشيد، وانظر كذلك مستفاد الرحلة للتجيبي 120، وانظر كذلك فساد التقليد والفرق بينه وبين الاتباع: جامع بيان العلم وفضله ص: 133: فالتقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة. انظر الجامع 143 أيضا.

[4]: وانظر ما قاله أبو اسحق الشاطبي في الابتداع: الاعتصام 49/1. والعقيدة الطحاوية 398 وجامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي ص 56.

[5]: الرحلة 49/2.

وبهذا فإن الحديث أم العلوم لأنه أطلق المقيد وقيد المطلق، ووضح كثيرا من الأحكام الشرعية، وسن للمسلمين، بعد القرآن الكريم، سنة لا يضلون بعدها، وكيف لا وهي المقتبسة من أنواره والمستهدية بمناره.

ومن أوصاف أصحاب الحديث التي أضفاها عليهم العلماء: الصلاح[1] والعقل والعفة والوقار والجلالة وغير ذلك من الفضائل التي تجل عن الإحصاء، وهذه الصفات تتجلى لنا في هذه الأبيات التي انشدها ابن رشيد على شيخه أبي محمد الخلاسي عن أبي الحجاج المحمدي عن اللواتي عن ابن الصائغ عن ابن بشكوال عن ابن عتاب قال: أنشدني أبي قال: كان بعض علمائنا يقول إذا رأى أصحاب الحديث (الكامل)[2]

أهلا وسهلا بالذين أحبهم	وأودهم في اللـــه ذي الآلاء
أهلا بقوم صالحين ذوي تقـــى	غر الوجوه وزيـــن كل مـلاء
يسعون في طلب الحديث بعفة	وسكينــة وتــوقر وحيـــاء
لهم الجلالة والمهابة والنهى	وفضائل جلت عـن الإحصـاء
فمداد ما تجري به أقلامهم	أزكى وأفضل من دم الشـهداء
يا طالبـي علم النـبي محـمد	ما أنـتم وسـواكم بســـواء

ففي هذه القطعة بعض أوصاف أهل الحديث، وإذا تصفحنا كتاب شرف أصحاب الحديث لأبي بكر بن الخطيب رأينا فيه أوصافا أخرى كثيرة، إذ أن فيه أوصافا لايمانهم وفضلهم وأمانتهم وحمايتهم للدين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحفظهم للإسلام من الاندراس، وغير ذلك مما يجل عن الإحصاء كما قال الشاعر، أو ما ترى أنه فضله على الشهداء وميزهم عن غيرهم أنهم ليسوا وسواهم بسواء.

ويتجلى لنا من خلال هذه الأبيات المعاني مدى تدبر العلماء للحديث الذي يأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، وحثهم على طلبه وتعلمه ومكابدة الصعاب والأهوال في الحل والترحاب في سبيل معرفة العالي والنازل منه. وتمييز رجاله ومعرفة من ينبغي الأخذ عنه، لأن الحديث يبين للمسلم كثيرا من المسائل في حياته الخاصة والعامة،

---

[1]: شرف أصحاب الحديث 64.

[2]: الرحلة 48/2.

ثم إن المحدث مجانب للبدعة مُخَالِف للتقليد محالف للاتباع والاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

وقد صاغ هؤلاء الشعراء أبياتهم في مقطعات قصار ذات معنى جلي واضح دون إغراق أو غلو في استعمال الخيال والإفراط فيه، والمحسنات البديعية لم ترد فيها إلا قليلا، وهم لم يصفوا المحدثين إلا بأوصاف معقولة موجودة فعلا فيهم، وهي مأخوذة من الواقع الذي كان يعيشه المحدث ويشعر به في نفسه وشخصه ويمثله في وسطه الاجتماعي من الأمة الإسلامية.

ثم إن هذه القصائد، بالرغم من قصرها، تعطينا صورة جلية عن شخصية المحدثين وتكوينهم العقلي والفكري والنفسي، ومركزهم في الأمة الإسلامية، وقد استعمل الشعراء في التعبير عن عواطفهم نحو المحدثين أسلوبا بسيطا، يميل إلى الأسلوب العلمي، وحتى التشابيه فيه مقصورة على الواقع، لأنهم لم يصفوهم إلا بالسعي والتطواف، ويهتدى بهم كالنجوم المقتدى بهم إلى سبل المقاصد، وكفى المرء أن يعد في أصحاب الحديث وحزبهم، لأنهم يتحرون الصدق والأمانة في النقل، وهم الصالحون الأتقياء، غر الوجوه وزين كل ملاء، لهم الجلالة والمهابة، والنهى وفضائل جلّت عن الإحصاء، وأما اللغة التي استعملها هؤلاء الشعراء فهي لغة سهلة لا غرابة فيها ولا تعقيد ولا تكلف.

ج ـ مثال النعل الكريمة

إن ما يتصل بالمديح النبوي تلك القصائد التي نظمت في تمثال نعله صلى الله عليه وسلم، وقد عرف هذا النوع من التبرك بالأثر الكريم اهتماما وإقبالا عند الشعراء في الشرق والغرب الإسلاميين، ثم إنه ازدهر في ظل الموحدين والمرينيين خاصة.

ومما يدلنا على أهميته وشيوعه وإقبال الشعراء عليه أن المقري خصه بصفحات من أزهار الرياض وأفرد له كتابا هو كتاب فتح المتعال، وذكره في مواضع من نفح الطيب[1]. ومن اهتمام المؤرخين والأدباء به أيضا ما ذكره ابن عبد الملك المراكشي[2] وابن سعيد المغربي[3]، وما ضمنه بعض المؤلفين كتبهم وكراماتهم مثل كتاب نتيجة الحب

---

[1]: أزهار الرياض 226/3-282 وفتح المتعال: نصوص كثيرة منقولة عن الرحلة. نفح الطيب.
[2]: الذيل والتكملة 188/5.
[3]:اختصار القدح (ترجمة سعيد بن حكم ص: 20-25).

الصميم وزكاة المنثور والمنظوم من تأليف أبي الربيع بن سالم[1] وكذا مختصر فتح المتعال[2] وما في كتاب تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل[3].

وفي الرحلة أيضا أخبار متفرقة عن ذلك الاثر وذكر لكثير من القصائد النبوية التي تشير إلى النعل الكريمة، وتشوق الشعراء إلى رؤيته، ولابن رشيد أبيات في ذلك قالها لما دخل دار الحديث الأشرفية بدمشق[4]

ومن الأشعار الواردة في الرحلة ما انشده صاحب ابن رشيد أبو عبد الله بن حيان الشاطبي بمدينة تونس قال: أنشدني الفقيه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني التونسي (الكامل)[5] .

لمثال نعل الهاشمي محمد	جادت جفوني بالدموع الرُّعَّفِ
وبكاي من فرط الأسى ولوا نني	أقضي وحق جلاله لم أنصف
أوطأته خدي وقلت تعززي	ما شئت يا نفسي بهذا واشرفي
وتمسكي أبدا بحب محمد	فعساك أن تنجُو به في الموقف
صلى الإله عليه ما جن الدجى	وبدا النهار ولاح نجم أو خفي

ففي هذه الأبيات تكريم لمثال النعل وتأميل لدخول جنة الفردوس بسبب ذلك وفيها فكرة أخرى وهي فكرة التمرغ بترابه والتعفر به ويذكرنا ذلك بمعنى الطلل الذي يتردد في جل القصائد والمقطعات النعلية، فالشاعر يقف إزاءه خاضعا ذليلا كالعبد.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان لابن رشيد قال أنشدنا أبو الحسن ابن مناد لنفسه (الوافر)[6]

وجودت المراد له احتفالا	تأنق من أراد بذاك ذخرا
وما ذاك المراد كما دروه	من الأنفاس أو غنموه خبرا

---

[1]: نقد ابن رشيد هذا العنوان واقترح له: ...وزكاة النثير والنظيم. الرحلة 22/6. وفتح المتعال 5.
[2]: مختصر فتح المتعال 90. الخزانة العامة بالرباط رقم 1370.
[3]: مخطوط بالخزانة الملية بالرباط رقم 4440.
[4]: انظر شعر المالكية في هذا البحث.
[5]: الرحلة 25/2.
[6]: الرحلة 25/2.

ومن بديع قوله فيه:

ولكن بعـض نفسي سال نفسـا   ففـجر للـيراعة منه نهـــرا

سويداء الفؤاد لفرط شوقـــي   تـحلل واستحال فعاد حبـرا

وتمتاز هذه الأبيات أيضا بالمبالغة والإغراق في إذلال النفس وتحقيرها أمام هذا الاثر المقدس.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن أحمد التميمي (الطويل)[1]

عن العلم الحبر الامــام أبي الفضـــل

روينا نعال المصطفى سيد الرســـل

فبـادر لك البشـرى بلثم مثالهـــا

عسى أن تنال الفوز في موقف الهـول

فكم لاثم تـرب الحبيب لأنه مواطئ أخفاف الركاب أو النعــل

وفي هذه الأبيات معنى الشفاعة وتقبيل الاثر كما يقبل الحجر، وفيها الحث على ترقب مواطئ الاخفاف أو النعل للثم ترابها لأن فيه شرفا وأي شرف.

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان أيضا قال أنشدنا ابن الابار قال أنشدنا أبو الربيع ابن سالم لنفسه (الطويل)[2]

خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى   ففي كل حال يعـتريه خبـال[3]

وفيها تسعة أبيات ومنها:

وإن يـــر من آثـــاره أثــرا همت   له من غروب المقلـتين سجـــال

كـحالي وقد أبصرت نعلا مثالــها   لنعل النبي[1] الهاشمـــــي مثـال

---

[1]: نفسه.
[2]: وقد خمس بها أبو عبد الله محمد بن فرج أبياته: أزهار الرياض 226.
[3]: ففي كل يوم ...

ومنها في التعبير عن الحب المطلق للمثال وخصه بالهوى قوله وقد أبدع فيه:

ومثلته نعـل الرسـول حقيقـة   وإنـي لأدري أن ذاك محـال

ولا فرق إلا أن حـب محـمد   هدى والهوى فيمن عداه ضـلال

ومن ذلك ما أنشده ابن الابار لنفسه (6 أبيات) (الكامل) ومنها[2]

لمثال نعل المصطفى أصف الهوى   وأرى السلو خطيئة لـن تغفـرا

وإذا أصافحه وامسـح لاثـما   أركانه فمعـزرا وموقـرا

سر اعتـزازي في جـهار تذللـي   لـجلاله أثرا بقلـبي أثـرا

لـي أسـوة في العاشقين وقصدهم   لثم الطلـول لاهلـهن تذكـرا

أولا[3] أمـرغ فيه شيـبي راشـدا   وأريق دمعي وسطه مستبصـرا

ثقـة بإثـرائي من الخيـرات في   شغفي بنعلي خير من وطئ الثـرا

ويظهر لنا ابن الابار في هذه الأبيات متحليا بحلى الصوفية في هواه وعشقه وشغفه بنعلي خير الورى. وقد ضمنها كذلك معاني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وذلك في التَّعْزِير والتوقير ومصافحة المثال وجعل السلو خطيئة لا تغتفر ومما أنشده ابن الابار أيضا (الطويل)، (8 أبيات) ومنها:[4]

سجام لعمـري أدمـع وسجال   لان عز من نعل الرسـول مثـال

مثال إلى نعل النبوة يعتزي   فإعزازه لِلْحُسْنَيَيْنِ منـال

وإلى اشتراك في التـزام شراكه   وحسبي منه عصـمة ومنـال

ومعقده مما عقدت به الهـوى   فما صح عزمي إن صحا لي بـال

فَأَحْظَى بحظي من جوار محـمد   وهل بـعد تنويـل الجوار نـوال

ومن ذلك ما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو اسحق بن عياش قال أنشدني أبو بكر بن محرز لنفسه (الطويل)[5]

---

[1]: أزهار الرياض 226/3 (الرسول).
[2]: الرحلة 26/2، ذكر صاحب أزهار الرياض منها ثمانية أبيات ويلاحظ بينها وبينه يسير اختلاف، 224/3.
[3]: أزهار الرياض أفلا أمرغ.
[4]: الرحلة 26/2 والديوان وأزهار الرياض 224/3.
[5]: الرحلة 26/2.

أناظر شكلي والنـــواظر تعتـــدي إذا لم تكن عن نظرة القلب تهتدي
تأمل على الست المئين مؤرخـــا أخيـــة أخت جيلها صحب أحـــمد
ونسخة أصل كنت بعـــض فصولـه مضاف إلى كف النـــبي محـــمد
يسمونني نـــعلا وتـــلك مجـــلة عن المصطفى كانت وأكرم بمحتدي
وما ضارني اسم النعل لفظا معرفـا وإجلا ل أختي تـاج كل موحـــد

فهو يشير إلى معنى أنه، بالرغم مما يوحى به اسمه، يحل محلا أرفع من مقام التيجان المرصعة، وذلك بسبب نسبته إلى النبي صلى اله عليه وسلم.

ومما انشده أبو حيان أيضا قال أنشدني أبو الربيع بقي ابن سلام قال أنشدني غير واحد ممن سمع أبا الحسن بن سعد الخير ينشد لنفسه (الكامل)[1]

يا لاحظا تمثال نعل نبـــيه قبل مثال النـعل لا متكـبرا

وفي رواية أخرى[2]

يا مبصرا تمثال نعل نبـــيه قبل مثال النـــعل لا متكبـرا
واعكف[3] به فطالما عكفت به قدم النبي مروحـــا ومبكـرا
أو لا ترى[4] أن المحب[5] مقبل ظلا[6] وإن لم يلف فيه مخـبـرا[7]

وفي هذا الصدد لا ينبغي أن نترك ما أورده أبو اليمن بن عساكر في قصائده في مدح النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر مثال النعل، فقد أفرد لذلك جزءا خاصا منه قوله في الدعوة إلى ترك الوقوف على الأطلا ل وديار الأحبة وذلك من أجل الفناء في حب هذا الاثر الشريف (الكامل)[8]

---

[1]: الرحلة 26/2 وكذلك 23/6، ووردت كذلك في كتاب الذيل والتكملة السفر 5 قسم 1 ص 189، وبين الرحلة والذيل بعض اختلاف.
[2]: الرحلة 23/6.
[3]: في الذيل والتكملة (والثم به).
[4]: نه (أو ما ترى).
[5]: نفسه (إن الشجي).
[6]: نفسه (طللا).
[7]: وانظر ما ذيله أبو أمية بن عفير على هذه القطعة: في الذيل والتكملة
ولربمـا ذكر المـــحب حبيبـــه بشبيهه فغدا له متصورا (الأبيات)
[8]: الرحلة 45/5.

يا منشدا في رسم ربع خـــال ومناشـدا لدوارس الأطـلا ل

دع ندب آثار وذكر مآثـــر لأحبة بانوا وعصر خـــال

ومنه على سبيل التجنيس:

والثم ثرى أثر الأثير مـــحمد إن فزت مه بلثم ذا التمـــثال

بل لك الإقبال نعلي أخمـــص حل الهـــلال[1] به مـــحل قبال[2]

أثـــر له بقلوبـــنا أثـــر بهـــا شغل الخلي بـــحب ذات الخـــال[3]

وقد تفنن ابن عساكر في غير ذلك من الأبيات بما أتى فيها من البديع، وقد عرفنا أنه كان مطيلا مطنبا في نبوياته التي يضمنها بعض الأبيات التي يشير فيها إلى النعل ومثاله في مدح سيد الورى.

ومما جادت به قريحة مالك بن المرحل قوله (الطويل)[4]

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ونمنـم خد الطرس بالنقش راقمه

نبي له فضل على النـــاس كلهـم مفـــاخره مشـــهورة ومكـــارمه

رؤوف عطوف أوسع الناس رحمة وجادت عليـــهم بالنوال غمائـمه

له الحسن والإحسان في كل مذهب فآثـــاره محـــمودة ومعـــالمه

حفـــي وفي لا تمـــين وعـــوده كمـــي أبـــي لا تلـــين شكـائمه

ومنها:

أمثله في رجل أكرم من مشـى فتبصره عينـــي ومـــا أنا حـــالمه

تفيض دموعي كلما لاح نوره بكاؤك للبرق الذي أنت شائمه

فيا دمع عيني أنت تمنـــع ناظري نعيما به فارفق فإنـــك ظـــالمه

سلام عليه كلما هـــبت الصـــبا وغنت بأغصان الأراك حـــمائمه

---

[1]: هلال النعل ذؤابتها.

[2]:القبال: زمام البعير والنعل، معجم مقاييس اللغة 52/5.

[3]: أزهار الرياض 262/3، لاحظ الاختلاف في عدد الأبيات وترتيبها.

[4]: أزهار الرياض 203/3 (عشرون بيتا) وفتح المتعال باب 3 نقلا عن الرحلة، هذا لما علما بأن الأجزاء المعروفة لا يوجد فيها ذلك، وقال: أنشد بعضه صاحب المواهب اللدنية أي كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني توفي سنة 923، كشف الظنون 1896.

سلام عليه كلما افتر بارق فراقت عيون المجد بينُ مباسمه

سلام عليه ما تفاوضت الربا بزهر كان المسك تحوي كمائمه

ومما يتصل بذلك ولكنه لم يرد في أجزاء الرحلة الموجودة، ويحتمل أن يكون في الجزء الرابع المفقود، وقد ذكر أبو العباس المقري نقلا عن ابن رشيد[1] الذي قال: "لما وافيت سبتة بلدنا حماها الله عائدا من وجهتي أريت ذلك المثال شيخنا البليغ الناظم الناثر أبا القاسم القبتوري، فنظم في ذلك قصيدا وكتبه لي بخطه وأسمعه لي من لفظه: (الطويل)

تبصر تمثالا لنعل مشت بها لخير الورى طرا وأسناهم قدم

وفيها واحد وثلاثون بيتا ومنها:

وكل أخي وجد يهيج غرامه إذا ما بدا، ممن يحب له علم

وكم هائم أبلى وأذكى التياعه سنا بارق من أفق محبوبه ابتسم

وكم من محيا دارس الرسم ما أمحى جديد هوى في القلب منه قد ارتسم

ولاثم آثار ليشفي ما به بما من ثرى آثار من وده ارتسم

وقد عقب ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله:

وقد أجيبت دعوة هذا السيد الفاضل ... فلم يقره الشرق ولا فارقه التوق إلى نيل تلك البركات العميمة وإلى تلك المعاهد الكريمة، فتوجه ثانيا وحج ولم يزل بطيبة ثاويا إلى أن أصبح بها تاويا.

ويتجلى لنا من خلال هذه الأبيات والنماذج ظاهرة فريدة وهي اهتمام المغاربة والأندلسيين خاصة بهذا اللون من الشعر، ومع أننا نعرف أن مثال النعل كان محفوظا في دار الأشرفية بدمشق، كما اخبرنا بذلك ابن رشيد، فإن الشعراء المغاربة قد صاغوا منه مثالا شعريا عمموه ونشروه وبعثوا منه إلى الآفاق ذكرا سيظل الزمان يلهج به ويذكره دون ما إعياء أو ملالة، وأما ما ورد من ذكر النعل ومثاله لأبي اليمن بن عساكر في

---

[1]: فتح المتعال باب 3.

قصائد المديح النبوي فإنه لا يعد شيئا بالنسبة إلى ما ذكر[1]. ثم إن هذه الإحاطة وهذا الجمع المنظم والتصنيف في فن معين، ليجعلنا ننظر إلى هذا الشعر المنشود في هذا الفن، نظرة اعتبار وقدر، ونلحظ له مميزات شكلية وفنية، وخصائص فكرية ومعنوية.

فمن المميزات الشكلية ما نجد في هذه القصائد من تشابه وتماثل في إطارها العام، فهي تلجأ إلى ذكر كلمات معينة وتعابير متفقة في أغلبها، وتشابيه وصورا واحدة، وقد لا تتباين إلا في طريقة الصياغة التي تختلف من شاعر لآخر، ونلاحظ فيها أيضا ذكر الأطلال والنسيب، فإذا كان الشاعر القديم قد وقف على الأطلال واستوقف، وذكر الأثافي، وبكى واستبكى وندب الآثار، وعد المآثر لأحبة بانوا وعصر خال، فإن هؤلاء لم يشغل بالهم إلا النعل والمثال عن حب ذات الخال.

وفي هذه القصائد تشابيه وصور يجدر ذكرها والتنويه بها مثل قول ابن الابار:

وإذا أصافحه وأمسح لاثمـــا ... أركـــانه فمعـــزرا وموقـــرا

أو لا أمرغ فيه شيبي راشـــدا ... وأريق دمعي وسطه مستبصـــرا

أو قول ابن سعد الخير:

أو لا ترى أن المحب مقـــبل ... طللا وإن لم يلف فيه مخـــبرا

ويظهر أن اللغة المستعملة لمدح هذا المثال لغة سهلة لا تعقيد فيها ولا تكلف أو صنعة إلا ما فيها من محسنات بديعية كثيرة

مثل قول الابار:

فاحظي بحظي من جوار محمد ... وهل بعد تنويل الجوار نوال

فقد أتى باشتقاق: احْظَي وحظي، والتنويل والنوال وتكرار كلمة الجوار، وكان كثير من الشعراء يغرمون بهذا التجنيس الاشتقاقي: وهو مستحسن بديع، وهذا ما نجده عند المتنبي مثلا[2] ولكن الشاعر هنا لا يحتفل بالمحسنات البديعية بقدر ما كانت تهيمن

---

[1]: نفسه وأزهار الرياض 224/3، 282.

[2]: مثل قول المتنبي في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:

تمرست بالآفاق حتى تركتها ... تقول أماتت الموت أم ذعر الذعر (الديوان شرح البرقوقي 252/2).

عليه تلك المعاني التي يريد أن يحسن اختيارها ويبدع في إضافتها إلى الممدوح ليصور بذلك شدة شوقه على رؤية هذا المثال ويتخذه وسيلة إلى شفاء غليله بالتملي بشكله وهيئته.

أما خصائص ذلك الشعر المعنوية، فتتمثل في اللجوء إلى التقبيل واللثم لإطفاء شعلة الشوق، والاستعانة بتعابير التذلل والخشوع والبكاء وإيطاء الخدود، وذكر التشرف والشفاعة والنجاء به في الموقف وطلب الإثراء من الخيرات عند الشغف به إلى أن يصير كل هوى دون هوى النعل ضلالا وخروجا عن الهدى وسلوك خطيئة لن تغتفر. ونجد في تلك القصائد أيضا مشاهد من الجنة والنار، وإيراد بعض الصور الطبيعية، ولكن الشعور باللوعة والأسى وشدة الشوق والهوى والهوان هي التي تطبع ذلك الشعر، لأن النعل وتمثاله طريق إلى التذكير بصاحبه، وهو باب يطرق ليدخل به إلى جنة الفردوس، وبها أيضا يتوسل بصاحبها إلى الله سبحانه وتعالى[1].

د- نكبة الحسيـــــن و (الاكتحال يوم عاشوراء)

مذهب التشيع في المغرب والأندلس، وبكائيات الحسين

كانت النكبة المشهورة للحسين رضي الله عه في مقتله سببا من أسباب تفجير قرائح كثير من الشعراء الذين كانوا يكنون الحب لآل البيت في المشرق والمغرب والأندلس، ولكن هذه الحادثة المؤلمة وجدت صدى واسعا في المشرق بينما كانت في المغرب والأندلس خافتة، ولم يسمع فيها إلا بعض الأصوات تعلو هنا وهناك، وذلك بسبب تأثير التيار الأموي الذي كان يخنق كل صوت يسبب نشازا لدعوته، مثل أصوات الطالبيين. ولذلك لم يجد المذهب الشيعي تربة ملائمة في ذينك البلدين، لأن هم الأمويين كان تثبيت السنة ومذهب الإمام مالك بالغرب الإسلامي[2].

---

[1]: أزهار الرياض 225/3.

[2]: مقدمة درر السمط ص: و،ز وما بعدها. وانظر كذلك مجلة المناهل الاعداد: 11 و12 و14 و16 بقلم الدكتور عبد السلام الهراس.

وبالرغم من ذلك عرف بهذا المذهب عدة أفراد فيهم علماء المذهب وشعراء مشهورون[1].

ولم يبدأ الأدب الشيعي بصورة واضحة إلا منذ عصر المرابطين، فقد كان هناك من يبكي الحسين بشعره الرقيق المملوء بالحزن والأسى كأبي بحر صفوان بن إدريس[2]، وناهض الوادي آشي وابن المناصف وأبي عبد الله التجيبي وابن أبي الخصال الشقوري وغيرهم[3].

ولكن السمة العامة التي امتاز بها التشيع الأندلسي والمغربي هو كونه غير أعجمي، لأنه كان معتدلا بعيدا عن الغلو الشنيع، وقد عبر عبد المهيمن الحضرمي عن طبيعة حب المغاربة لآل البيت بقوله: "أحبهم حب تشرع لا حب تشيع"[4].

وبين أيدينا نص مهم يصور هذه المأساة بأجلى مظاهرها، وفي هذا النص أسماء لبعض الشعراء المغاربة الذين ندبوا أنفسهم لأجل بكاء الحسين، وذلك في مراكش التي كانت تحتضن شعراء مفلقين مثل حازم القرطاجني وأخيه علي وابن الحناط وغيرهم[5]، ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه القضية الكبرى قد تسللت إلى قصور الموحدين فتجند لها أمراؤها ليعلنوها بصفة واضحة، بل إن رشيد بني عبد المومن أمر الشعراء بالقول فيها بتلك الحضرة. وهذا ما يدلنا على أن نكبة الحسين قد أخذت مجرى آخر لا كما عرفناها من قبل ظاهرة مقموعة محاربة، وحتى إذا لم تكن كذلك فقد كانت تدب بين الأفراد دبيبا هادئا محتشما في طبقات الناس وإذا علمنا أن الرشيد الموحدي كان يقرب إليه كتابا مشهورين كأبي المطرف بن عميرة وأبي الحسن الرعيني وأبي عبد الله التلمساني وأبي زكرياء الفازازي وأبي عبد الله بن أبي عشرة وغيرهم[6] ممن سيرد ذكرهم أدركنا حقيقة هذه التيارات السائدة في أوائل القرن السابع الهجري، وذلك بالرغم من أن

---

[1]: الدرر السمط ص: ط.

[2]: وانظر أيضا حركات التشيع في المغرب ومظاهره، وهي محاضرة للدكتور عبد اللطيف السعداني في المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي ص: 243.

[3]: مقدمة درر السمط ص: ط وما بعدها. وانظر أيضا دعوة الحق ع 9-10. سنة 1966 ص: 99 (ملامح ودواوين في السيرة والمديح النبوي) (مراثي الحسين وأهل البيت. للأستاذ محمد المنوني).

[4]: مقدمة الدرر السمط ص" هـ.

[5]: الرحلة 106/6، وانظر حركات التشيع في المغرب ص: 342 وخبر ذكر ابن الخطيب في كتابه أعلام الاعلام: عادات الأندلسيين وأهل شرق الأندلس خاصة في ذكرى مقتل سيدنا الحسين من التمثيل بإقامة الجنائز وإنشاد المراثي ..

[6]: عصر المرابطين والموحدين، للدكتور عبد الله عنان ص 515.

الرشيد لم يكن كأبيه المأمون من حيث الثقافة والعلم بقدر ما كان ذكيا جريئا قوي النفس.

ومما يدلنا أيضا على انتشار هذا اللون من الشعر أنه لما لقي ابن رشيد أبا اسحق إبراهيم بن أبي الوليد بن يحيى ابن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن بتري القرموني المالقي نزيل تونس، والمشهور بابن حبي قال:[1]

"وقفت لغير واحد على تذييل البيتين المنسوبين للإمام أبي الفرج بن الجوزي، نضر الله وجهه، فاقتحمت ما اقتحموا وإن كان الأولى بهم أن يسكتوا دون ذلك النظم، ويفحموا، فإنها مجاراة الجواد بالأعيار ومباهاة الشمس بأنجم الأسحار. والبيتان المذكوران هما: (مخلع البسيط)

ولائـــم لام فـــي اكتحالـــي   يوم استبـــاحوا دم الحســـين

فقلت دعني أحـــق عضـــو   منـــي بلبـس الأسود عينـــي[2]

فذيلتها بأربعة أبيات وهي:

وكيف لا أغـــتدي وأمســـي   ســريع دمــع صريـــع بـــين

وصـــرف هـــذا الـــزمان قهـراً   قـد حَـــالَ مَا بَـــيْنَهُ وَبَيْـــنِي

لـــو كنـــت أدركت يـــوم أودى   جاهدت بالعضـــب والرديـــني

فإن نصـــر الحســـين عنـــدي   كفرض عـين وقـــرض ديـــن

وقال ابن رشيد[3]: وكان الشريف نجم الدين يونس بن عثمان الحسيني يحفظ للجوزي بيتين أنشدهما يوم عاشوراء، وقد نقدت الشيعة عليه التكحل، فقال:

ولائـــم لام في اكتحالـــــــي   يوم استحلوا دم الحســـــين

فقلـــتُ دَعْنِي أحقُّ عُضْـــوٍ مِنِّي   بِلُبْسِ الســـــوَّادِ عَيْنِـــــي

---

[1]: الرحلة 106/6، وانظر كثيرا من المعاني التي سترد في هذه الأشعار: في كتاب ذخائر العقبى لصحب الدين الطبري، وهو شيخ ابن رشيد في الحرمين، وكذا كتاب المفيد في ذكرى السبط الشهيد للعاملي. هو عبد الحسين إبراهيم. ط2 1979 بيروت ص 113-120.

[2]: أورد صاحب فوات الوفيات هذه الأبيات لابن جكينا البغدادي 320، وانظر كتاب عاشوراء عند المغاربة للدكتور عباس الجراري، منشورات النادي الجراري 16 ط 1، 1999 ص: 76.

[3]: الرحلة 107/6.

واتفق أن الشريف أنشد البيتين بحضرة مراكش في أيام رشيد بني عبد المومن، فأمر الشعراء بتذييلها، فذيلها جماعة منهم أبو محمد الحسن بن أبي الحسن بن القطان (10 أبيات) ومنها: (مخلع البسيط)[1]

سوداء طبعي تصعدت من لهيب قلبي للمقلتين

وبعد أن استعرض ما يشعر به من الحزن وجريان دموعه بدموع كالعين وتسويغ اكتحاله بالترب والجندل، ودعائه على نفسه بالمتربة إن كان اكتحل ابتغاء الزين، أعطانا صورة صادقة وواضحة عن ذلك الأسى والحزن:

نجيع دمعي وجفن طرفي صارا لذا الرزء أسودين

هذا وما الكحل غير ترب وجندل خيبة لذين[2]

ومن تلك الأبيات نستشف روح التصوف التي كانت مرتبطة بالتشيع تطبعها المشاهد المأساوية الحزينة ويزيدها هولا وروعة صور المبالغة في قوله خاصة:[3]

فكل خطب وإن تناهى غنيت عنه بالأسودين[4]

فلست ألتذ بالأماني ولا الغواني والأصفرين

اصفر وجهي به وحزني أماط مني بالأصغرين

ولعل هذه الصور مستمدة من الواقع الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية آنذاك من الحروب الأهلية والاضطرابات ومصارعة العدو وضياع الحق العربي بالأندلس، وكذا الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تسوء وتنحدر انحدارا شنيعا. ولهذا جاء هذا الشعر مؤثرا يخرج من النفس لتتلقاه النفس في لهفة شديدة. وذلك لما يحمله من المعاني الإنسانية ذات الأثر العميق في القلوب. وقد عبر ابن رشيد عن ذلك بقوله: إن هذه الأشعار ما بلغت مستوى بيتي ابن الجوزي، ولكنها في الواقع ليست كذلك، لأنها في الحقيقة تصور الملاحم المأساوية للشيعة وتعبر عن الشعور الصادق، والنفس المكلومة التي

---

[1]: الرحلة 107/6.

[2]: لعله يشير في ذلك إلى معنى الحديث الشريف: أحثوا في وجوه المداحين التراب، وقل أراد به الرد والخيبة كما يقال للطالب المردود الخائب لم يحصل في كفه غير التراب (لسان العرب: ت.ر.ب.)

[3]: الرحلة 170/6.

[4]: إشارة إلى الحديث المسلسل (أطعمنا وسقانا: والأسودان هما التمر والماء) وانظر دراسة الحديث.

خبرت الحزن والحرب والضياع وسلب الحقوق الواجبة، ولهذا فهي تمثيل لحرارة العاطفة وتصوير رائع للفاجعة التي عانى منها الشيعة وفتتت أكبادهم.

ومن ذلك تذييل على البيتين المذكورين لشعراء كثيرين وهم أبو زكرياء الفازازي وأبو عبد الله بن الحناط وأبو علي بن حازم وأخوه أبو الحسن حازم وأبو محمد غالب وأبو الحجاج بن موسى وأبو محمد العراقي وأبو القاسم بن حمدان وأبو الحسن العشبي، وأبو يوسف حجاج بن حجاج، وأبو عبد الرحمن بن زغبوش وأبو محمد الطبري وأبو الحسن بن زنون وأبو الحسن الجياني وأبو علي بن أبي ثلاثة وأبو عبد الله محمد بن يوسف المصانعي، وقد اختلف هؤلاء الشعراء بين طول النفس في التقصيد والإبانة على العواطف الجياشة مثلما فعل أبو الحسن حازم والعراقي وابن حمدان والمصانعي، وبين التقصير حيث لا تقصير في حسن التعبير واستيفاء الغرض من آداء الواجب نحو المفترض في تصوير النكبة الحسينية الكبرى.

وبالرغم من أن في هذه المعارضات شيئا من التناقل وتكرار المعاني والألفاظ وطابع الشعور الموحد، نجد لكل شاعر في الحقيقة، نفسا خاصا وشعورا منفردا وتجربة مغايرة تميزه عن الآخر، لأن الحادثة واحدة، هي مقتل الحسين، ولكن أدوات التعبير عن هذه الفاجعة كثيرة جدا، إذ إنها تشمل أدوات الحياة الدنيا كلها، ولهذا نجد فيها النجيع والتراب والكحل والزين والشين والبكاء والغرام والدمع وسقي الكؤوس وثوب الحداد والقار، وغير ذلك مما له صلة بهذا الحدث الفاجع.

ولكي تظهر لنا الصورة لهذا الموضوع الشعري الهام نختار لكل شاعر شيئا مما عبر عنه، فنكتفي بالإشارة إلى أهم معانيه، وإن كان ذلك لا يجزئ إلا بنقل ذلك الشعر كاملا ، ومعرفة ظروفه الواقعة في التاريخ معرفة محيطة.

فقد قال أبو زكرياء الفازاني (5 أبيات)[1]

غـيري بهـذا الكـلام يـرمي ... فإن مغـزاه غـير هَـيْن

لا يدخلـن العـذول جـهلا ... في الـحب مـا بينه وبيـني

---

[1]: الرحلة 170/6.

فحـــب آل النبـــي زيـــــن وبغضـــهم شين كــــل شـــين

وقد استعار الشاعر في هذه الأبيات ما يقع للمحبين من حسد الغير وترقب الرقباء وتعنيف العذال وتقريعهم.

وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن الحناط الذي عبر كذلك عن غرامه المتيم وحبه الشديد لآل البيت (5 أبيات)[1]

وحلــــة ليـــس يرتضــــيها إلا امـــرؤ قاصـــر اليـــدين

متـــيم شفـــه غــــرام كـــواه مـــنه بشعلتـــين

تصعدت من حشــــاه نــــار حريقـــها بـــين مقلتـــين

وكان ممن جادت قريحته بما يستجاد: أبو الحسن حازم بن حازم[2] (34 بيتا)، وقد صور محنة آل البيت المتمثلة في فاجعة الحسين، وذكر صورا تاريخية مهمة بين فيها أحوال الصراع بين الأمويين وآل علي، ولم يزل كذلك لا يكف عن سكب العبرات وتصعيد الزفرات، وبث الشكوى وإظهار الحداد[3]، وقد استعان في ذلك باستعارات وكنايات بليغة كعهده بها في أشعاره الرصينة وكذا إيراده لبعض الصور التي يظهر فيها الغلو مثل قوله:

أما تراها تـــسح دمعـــا كـــأن عيني بكت بعـــين

والدمـــع ممـــا يدل أن الحـــــــــداد للحزن لا لزيـــــن

وفيها يقول:

قف خليلي نبـــك حـــزنا بكـــاء قلـــب وناظريــــن

وفيها يذكر مشيرا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل سرة الحسن وثغر الحسين، ولهذا استفظع الشاعر فعل ابن حرب وما أقدم عليه.

---

[1]: وانظر مأساة العباس بن علي في كتاب المفيد في ذكر السبط الشهيد ص 106 وتشابه توارد هذا الشعر في ص: 69 و113.

[2]: انظر أيضا قصائد ومقطعات 215 ولكنه لم يذكر الأبيات كلها.

[3]: وانظر أيضا كتاب العقيدة والشريعة لجولدزيهر ص:178 وذلك في تصوير مأساة الحسين في وقعة كربلاء.

ويح ابن حرب لقد تعدى لنقـــر تـــلك الثنـــيتين

لم يـــرع لـــثم النـــبي تـــلك الـــثنيتـــين الشنيبـــتين[1]

وقال مـــا قال من كـــلام كســـته عقـــباه كـــل شـــين

وفيها يذكر شجاعته يوم كربلاء، وجلده وصبره في القتال إلى أن وافاه الأجل المحتوم[2]

لو نظـــرت مقلـــتا أبـــيه إلـــيه بـــين الكتـــيبتين

لراع منه العـــدا هزبـــرا خـــضيب كـــف ومخلـــبين

لجَالَدت دونـــه سيوف مـــا أرهفـــتها يمـــين قـــين

لابَرِحَتْ ما حيـــيت عيني تسيـــل للدمـــع واديـــين

خضبت منها أبيـــض حزنا مـــا اســـود من لون مقلتين

ومنها مضمنا قصيدته بيتي أبي الفرج بن الجوزي:

ولائم لام في اكتـــحالـــي يـــوم استـــحلوا دم الحســـين

فقلت دعني أحق عـــضو منه بلبس الســـواد عينـــي

وقد أتى الشاعر في هذه الأبيات بمعان حسان، لأنه ستطاع أن يجعل هذا الوجود شمسه وقمره حزينين بسبب مقتل الحسين رضي الله عنه وذلك في قوله بخاصة:

فليس حزن كحزن عيني وليس خطب الأسى بهين

نور الهدى غاب عن عيون إذ حـــان للســـبط يوم حين

فالشمس والبدر قد تـــوارى شمسٌ هـــدىً غير مشرقـــين

والعـــين ثكلى لم تبد كـــملا للحـــسن كـــلا ولا لـــزين

وفي ذلك المعنى يقول أبو الحسن العشبي (6 أبيات)[3]

---

[1]: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى 126.

[2]: المفيد في ذكرى السبط الشهيد 65-85.

[3]: الرحلة 108/6.

يحسبه حلـــية وزينـــا يا بعد ما بيـــنه وبيـــني

وفيها يرد حجة من يرى أنه متخذ الكحل حلية للزين، وهو يستعير لحزنه أليق الصفات وأنسبها وأجلاها:

واستمع الأمر ثم حقـــــق يَبِنْ لك الصدق دون مـــين

إن سَـــوَادي مع السُّـــوَيْدَا فـاضا مع الدمـع سائلـــين

ويقول فيها:

وانظر لشيب لم احتســـــبه تثبت مـــا بي بشاهـــدين

وأبو الحسن العشبي لم يرد أن يترك دعواه دون أن يؤيدها بحجة دامغة ولهذا أتى بهذا المعنى الفقهي البديع الذي يثبت به الأمر بشاهدين عدلين.

ومن ذلك ما قاله أبو يوسف ابن حجاج مذيلا بعدهما (6 أبيات)[1]

فهي تلاقي الأســى بدمـــع كفيض نهـــر ومـــاء عـــين

وقد جاء بصور جميلة، ويظهر ذلك في قوله إن العيْن تخبر عما في الضمير:

فكـــان حقـــا علـي أنــــي كسـوتها ثـــوب حزن حـــين

وكي أرى الدمـــع في ســـواد بصـــبغ جـــوي مـــثل اللـجين

مع أن وجـــدي وحزن قلـــبي زادا ســـوَادا في المقلتـــين

إذ كـــل ما في الضـــمير يبـــدو بالوجـــه والعـــين دون مـــين

وقال في ذلك أبو عبد الرحمن بن زغبوش قصيدا أبان فيه عن حسن التشبيه ودقة التصوير وإبداع في الوصف لخلجات النفس كذلك (7 أبيات) ومنها:[2]

أقصـــر فـــإن الـــذي تـــراه مـــن اكتـــحال بالمقلـــتين

دخـــان قلـــب قد أحرقته نـــيران حـــزن بـــغير مـــين

فصـــعدته أنفـــاس وجـــدي فـــحل منـــي بالنـــاظريـــن

---

[1]: الرحلة 108/6.
[2]: الرحلة 108/6.

ومــن رمــاد الحريــق شيبي الــــذي تــــبدى بالمفرقـــين

أما أبو محمد الطبري فقد قرن هذا الحدث بغوائل الدهر التي لا تنفك تصيب الإنسان من حين لآخر وتغوله، (3 أبيات) ومنها:

تبــت يــدا قاتلـــيه عـــمدا لو أن بالصـــبر لي يديــــن
مســـتهدف للخـــطوب قلبـي يصيبه ســـــهم كل حـــين

وأما أبو الحسن بن زنون فقد أعطانا للحزن صورا أخرى لم نعهدها عند سابقيه، لأنه يرجو أن يبدو كل ما يراه في الوجود أسود حتى تكتمل عنده صورة المأساة (4 أبيات)[1]

ولو بــودي ملأت كـــحلا كل بيـــاض في المقلـــتين
لو كان يــجدي سودت شيبا في الرأس منـــي والعارضين
لو كان يــغني جللت جــزءا من قـــرن رأســـي للأخمصين
حتى أرى كالــحديد لـــونا ما كان منـــي لون اللجـــين
فلا تلمنـــي فذا مـــصـــاب ما فيه للصـــبر من يديـــن

ومن ذلك قول أبي محمـد غالب الذي يعتبر البـكاء دينا عليه يجب أن يقضـى (9 أبيات)

إن تلتمـــس عـذر مستـــهام فلـــترجع اللـــحظ كرتـــين
تـجد مصـــابي أذاب قلبـــي فســـال جريا في المدمـــعين

وله أيضا:

إن علـــى القلـــب ناظـــرين قـــاما دلـــيلين واضـــحين
هـــذي دمـــوعي مذاب قلبي فاللون للقلب لا لذين
ولا حـــــق الرشـــــيد إلا قضيـــــت من مدمـــعي ديني

---

[1]: الرحلة 108/6.

ولأبي الحجاج بن موسى أبيات في نفس المعنى ولكن طريقته في التعبير عن ذلك مختلفة.

أقصر فماذا السواد كحلا أبديته مظهرا لزين
سواد عيني الذي تراه يسح دمعا بغير عين
فجاء طول البُكا عليه فسال في الشعر دون مين

ولأبي محمد العراقي الذي أبدع في كثير من المعاني قصيدة أتى فيها ببعض الصور النادرة والتشبيهات الحسنة (12 بيتا)[1] ومنها

كم أضرمت من شرار دمعي
حتى استحالت كجمرتين
فرمت أطفيهما بكحل فعادتا منه محمتين[2]
فالفحم أقوى على شرار يجريهما ذائبا كعين
لم أكتحل اثمدا ولكن قطرت قلبي بمقلتين
فكحل عيني سواد قلبي والقلب للحزن كاللجين

ويقول في أخرى مستعملا معنى من معاني الفقه:

فلبسهَا للسواد فرض من أجلها قيل فرض عين
سواد قلبي يمد كحلي يجري اضطرارا بمقلتين

ولأبي القاسم عبد الكريم بن عمران أبيات ترسم فيها خطا السابقين (4 أبيات):[3]

وليس زي الحداد مما يؤتى به مأتم لزين
لم يبق إلا سواد قلبي فاض نجيعا في المقلتين
شعار حزن عزوا لحسن يا بعد ما بينه وبيني

---

[1]: الرحلة 10/6.
[2]: فيها ضرورة شعرية.
[3]: الرحلة 109/6.

ولأبي العباس بن هشام في ذلك:

لم أكتـحل مـبديا ســرورا كلا ولا مظـهرا لـزين
لكـن لتـقوى علـى بكـاهـا عيني تسيـل بـكل عـين

ولأبي الحسن الجياني:

ما رابكم في سواد عـين تبكي عليه بفيـض عينـي
عيني استعارت سواد قلبـي أسعد بخلـين مسعديـن
تشـاكلا لوعـة وزيـا ما أبين الوجـد بين ذيـن
لو كان في المـوت لي خيـار قضـيت للحِـين فيه حيْنِـي

ولأبي علي بن أبي ثلاثة[1]

فهل رأيت الـسواد حسـنا إلا بفـود[2] وعـارضـين
فالكحل مـما يظن زيـنا وربـما أنـه لشـين
بل في حسين وفي أخيـه المـصـلح مـا بـين الفئـتين
أكحلها هكـذا وأبـكي ما عشت دمـعا بغير عـين

ولأبي عبد الله محمد بن يوسف المصانعي مقطوعة شعرية (5 أبيات) ومنها:

فأمر قتل الحسـين صعب علي والله غـير هَـيْن
وقد بكيت الحسين حتى وَقَّتَ حينـي من دون مـين
فإن كحلي لستر مـا بـي قد يجلب الـزين سترشـين

وله:

حزنت إذ لم أجد دفـاعا عنه بلفظ ولا يدين
له على المسـلمين حـق يلزم كـلا لزوم ديـن
وكيف لي زينة وعـيني أولى بـحزن من كل عـين

[1]: الرحلة 109/6.
[2]: الفود: جانب الرأس.

لولا اكتحالي لقيل تـذري[1] عليه دمـعا بغـير عـين
فكان كحلي لصبغ دمعـي أبلغ صبغ لشـفر عيـني

وله غير ذلك مما يظهر فيه الأسى العميق والحزن الشديد وفي قوله خاصة:

سواد قلـبي أراد يـبدي سواد عيـني في الحسـين

ولا شك في أن هذه الأشعار البليغة هزت أريحية صاحب ابن رشيد أبي عبد الله ابن الحكيم فأبى إلا أن يشاركهم شعورهم ويدلي بدلوه فيما أدلوا فقال (6 أبيات) ومنها

فما اكتحالي وحق حبي في آل بيت الهدى لزين
لكن قلبي لفرط حزني كسا سوادا لمقلتين
على سليل الهدى حسين مالي بالصبر من يدين

ومن خلال هذه الأبيات يتجلى لنا أن الحب المضمر لآل البيت لم يكن من ذلك التشيع البغيض الغالي، وإنما هو حب معتدل وأن الأوصاف والمعاني البلاغية التي صيغت بها قد بلغت مداها من حيث حسن التعبير والإجادة في التصوير، وليست مبالغاتها شنيعة ولا نابية بل هي مقبولة في عرف الأدب والدين.

وتتجلى لنا أيضا ظاهرة أخرى وهي أنه بالرغم أن هذه المأساة لم تجد لها سبيلا لأن تتسرب مبكرا إلى المغرب، هذه الأبيات التي قيلت في ظل أمير مغربي تعطينا الدليل القاطع على أنها ـ وإن خبت في فترة معينة ـ كانت كامنة كمون جمر الغضا، إذ إنّ هذا الاندفاع القوي والبروز المفاجئ لهذه المعاني التي رأيناها في شعر هؤلاء الشعراء السابقين، واجتماعهم بهذا القدر من الكثرة، وظهورهم على هذا المستوى الرفيع ليدل كذلك على أن هذه المأساة كان يعيشها المغربي والأندلسي في أعماقه عيشا متصلا ، لأن الحادثة في جوهرها تاريخية عاطفية دينية لها علاقة بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله، ولهذا كان البكاء والحنين انتصاراً لآل النبي صلى الله عليه وسلم دون مين أو تطرف أو إيغال.

---

[1]: أذرت العين تذري دمعها: صبته.

ونجد في هذه الأبيات السابقة كثيرا من الكلمات التي تدل على الاكتحال والاختضاب والاغتسال ولبس الحزن والدموع والزين والشين وعشا العين من البكاء، والسواد والبياض وتأثر الكون شمسه وقمره بما جرى للحسين، واللوعة والوجد وتمني الموت والحين وفيها ذكر لبعض الأفعال التي يؤتى بها يوم عاشوراء، وقد وردت في تلك المعاني أحاديث قد تكون موضوعة لا يحل القول بها[1]، مع أن يوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة، وصومه، لفضله، كان معروفا بين الأنبياء عليهم السلام منذ قديم الزمان[2].

وفي تلك الأبيات أيضا وحدة موضوعية بالرغم من تعدد قائليها، ولا يختلف بعضها عن بعض إلا في القليل، لأن لها كلها مصدرا واحدا وهو مصدر أبي الفرج بن الجوزي وهي معارضة لقوله. ولهذا لابد أن يحذوا حذوه ويسيروا على منواله، ويغرفوا من معانيه، ولكن مقدار اللوعة وطريقة تشخيص البلوى وأسلوب التعبير عن الحزن يختلف من شاعر لآخر من حيث الضعف والقوة، لأن بعض هؤلاء الشعراء أطلقوا عنان خيالاتهم فأتوا بالقول العجيب كما رأينا.

وقد كان لهذه الأبيات أثر في الشعر الذي أتى بعدها مثلما نجد في شعر أبي القاسم السبتي مستكتب بني الأحمر، لأن له قصيدتين سارتا على هذا المنوال في الاستعانة بالاصطلاحات التي استعملوها، والمعاني التي تطرقوا إليها واللوعة، والحزن العميق الذي أبدوه[3] وقد يكون أبو القاسم هذا اطلع على هذه المعارضات وتأثر بها ويظهر ذلك من خلال إيراده لكثير من الكلمات التي كانت تدور في أشعار هؤلاء الشعراء مثل: العاذلين والبين والقلب والهين والمقلة والعين والدين ودموع الشاهدين والوجنتين واليدين والنيرين. ومطلع قصيده (الوافر)

دعينـــي من مقال العـــاذلين وخلـــي بين تهيـــامي وبينـــي

وفيها (31 بيتا). ومما يدل أيضا على تأثره بذلك الشعر قوله:

---

[1]: كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ ابن رجب الحنبلي ص: 52.

[2]: نفسه 45.

[3]: انظر: (مأساة الحسين في الأدب الأندلسي للدكتور عبد السلام الهراس) في المناهل عدد 18 ص 300، وكتاب أبو الوليد بن الأحمر ص 238 للأستاذ عبد القادر زمامة، وكذا نثير الجمان 147 وفوائد نثير الجمان 232.

وأعرف في لحاظك ما رأت في ظبا الثقفــي قاتلة الحســين[1]

وإذا عرفنا أن أبا القاسم الشريف هذا كان صاحب ابن رشيد، ثم إنه كان ينتسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه ليس غريبا أن يبكي الحسين بكاء بز فيه أولئك الشعراء السابقين، وذلك في مثل قوله الذي ضمنه معنى من معاني الفقه:

أهيــم بـــخده وبِمَيْـسَمَيْهِ فأنسب بالحمـــى والابـرقين[2]
عقدت مع الغرام فبعــت فيه وقاري والتصــبر صفقـــتين

ومنه يذكر المشاعر والأماكن المشرفة ويضمن أبياته بعض مصطلحات الفقه والحديث أيضا:

فأحلف بالمحصب والمصلى وأعلام الصفا والمأزمين[3]
لانتصرن بالأجفان حتى تكون دموعها في الحب عوني
وحين تعرفوا كلفي وقلبي يصون السر عنهم كل صون
كففت المقلـتين ليشـهدا لــي فجرحت الدموع الشــاهدين

إلى غير ذلك من بديع قوله:[4]

ونذكر أيضا أن يوسف الثالث، ملك غرناطة، قد تأثر بهذه البكائيات التي أودع شيئا منها في ديوانه[5]. ويظهر ذلك من خلال قوله (مجزوء الرمل):

جــيرة أودوا بقلـبي يـــوم حلـــوا العلـــمين
فلـهــم منــــي ولاء واعتـــقـــاد دون مـــين
لهـــف نفســي لو شــفاني عنـــهــم عــض اليـــدين
ساعديــــني يـــا سماء بـــدمـــوع المـــرزمـــين
كربــــلا هيـــجِ كــــربي و... [6] أصـــل حـــينـــي

[1]: النثير 147 ونثير الفوائد 232.
[2]: الابرقان: منزل بعد رميلة اللوى بطريق البصرة إلى مكة.
[3]: انظر كتاب أخبار مكة للأزرقي: المحصب وجدوده 159/2. والصفا 68/1-74 والمازمين 185/2.
[4]: نثير الجمان: 149.
[5]: الديوان من تحقيق وتقديم الأستاذ عبد الله كنون. ص:132، 133، 134.
[6]: اقترح محقق الديوان أن يكون محل البياض كلمة حسين، لأنه بياض بالأصل.

بعد ضيف الـطف[1] تــطفي لوعتـــي أدمــع عيـــني
بأبـــي منهـــم وجـــوه قــدست عن كـــل شـــين
أشعــــروا الــموت جهارا وثـــووا كـــالفرقـديـــن

وفيها يذكر آل حرب وما أقدموا عليه من التنكيل بآل البيت والغدر بهم في مقتل الحسين

كيـــف أنســـى وحيــاتـــي بعـــــد نـــور الـــناظريـــن
آل حــــرب وزيـــاد خطـــبهم ليـــس بهـــين
قطعـــوا بالـــسَّمِّ قلبـــي ثـــم ثـــنوا بالـــرديـــني
وبـــدور مـــن بنيـــــهم صرعـــوا مـــا بـــين ذيـــن

وله من قصيدة أخرى يتضرع فيها ويتوسل (المتقارب)

تطـــاول لَيْلِـــيَ بالابرقـــين ونـــام الخلـــــي عن العاذلين
وبت أساجل شهـب الدجـــى بمحض النضار وذوب اللجـــين

ويقول فيها ذاكرا الشيعة وموطنهم، ومصورا حزنه الشديد على الحسن والحسين:

وخص العراقـــي من دونـــه ســـلام مشوق إلى الـــرافدين
وقولا غريـــبا عدتـــه الذنوب فأهدى هواه لقـــبر الحـــسين
لئن حل جســـمي بالمغـــربين فقد صار قلبـــي بالمـــشرقين
بسبطي نبي الهـدى أبتغـــــي وأرجو الشفاعة من دون مـــين

ومنها:

جعلـــت التشـيع في آلـــه وسائل أرجـــو بها الحســـنيين[2]

---

[1]: الطف من ضاحية الكوفة، فيها مقتل الحسين رضي الله عنه. معجم البلدان 36/4.
[2]: الديوان 134.

هـ ـ الحـــج والحجـــيج

القصائد الحجازيات

تعد القصائد الحجازية وفيرة في الأدب المغربي، وقد ألفت في ذلك موشحات وقصائد كثيرة[1]، لأن الشعراء كانوا يتوقون إلى رؤية المشاعر المقدسة كمكة المشرفة والمدينة المنورة وخَيْفَ منىً وزمزم واليَنْبُع وغيرها. وكانوا ينسجون في ذلك قصائد طوالا يشحنونها بتعابير الشوق المؤثرة إلى زيارتها ورؤية أماكن أخرى في الطريق إليها، وخلال ذلك كانوا يصفون رحلتهم الشاقة عبر الفيافي والقفار، وما كانوا يكابدونه من التعب والخوف إلى أن تبدو لهم تلك المشاهد فتبل ظمأ تلك الأشواق، وقد تزيدهم تلك الرؤية شوقا إلى شوق وتذكي فيهم أوار الحنين فيندفعون إليها اندفاعا يغيبون فيه عن عقلهم، ولهذا تراهم يسبحون ويهللون ويدعون في أحوال من الخشوع والتوبه. وقد شاع هذا اللون من الأدب في عصر المرابطين والموحدين، أما في العصر المريني فقد عرف ازدهارا كبيرا، واستقام فيه عوده وقوي. وإذا أردنا تقويم ذلك الازدهار فإن كتاب أزهار الرياض[2] ونفح الطيب[3] والذيل والتكملة[4] أرخت لذلك واحتوت على ما يشفي الغليل منه.

وأما رحلة ابن رشيد فقد أسهمت في التأريخ لهذا الفن وتخليده وإبراز جوانب من مميزاته وطابعه، إذ نجد ما يخص الأشعار الحجازيات ومقام النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما يقرب من ثلاثين موضعا، وليس اهتمام ابن رشيد بهذا الموضوع غريبا، لأن الرحلة قام بها صاحبها إلى الوجهة الوجيهة، إلى الحرمين مكة وطيبة، ولهذا كان يلفت انتباهه كل ذكر لهذه المقامات الطاهرة.

ويحرص كذلك على أن يتلقى من شيوخه كل ما جادت قرائحهم عنها أو تلقوه عن غيرهم من الأشعار فيها.

---

[1]: دعوة الحق ع 9-10 س9. 1966 ص 98 (ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي للأستاذ محمد المنوني).
[2]: انظر 230/2.
[3]: انظر ع 10 ص 294 وما بعدها.
[4]: الذيل والتكملة 294/5.

ومما ورد في الرحلة قول أبي اليمن بن عساكر في قصيد، وهو من جملة ما أجاز به ابن رشيد ومطلعه (الكامل)

يـــا من تبوأ من مشاعر مكـــة   متـــبوأ بين الصــــفا والمروة

وفيه (24 بيتا) منه[1]

وغدا يجدد في معاهد رسمها   عهد الأحبة بعد طول المدة
عهد وميثاق لهم ما قطعت   أسبابه وحباله ما رثت
فمقبل طورا وطورا ما سح   أركانها ومردد لتحية
حتى إذا ما قيل صفى سره   وتقدست أوصافه وترقت
بمواهب جادت له بعوارف   قد أشرقت أنوارها بأشعة
أضحى بعيدا عن حماه محجبا   عن باب مـــولاه بكل تعـــلة

وبعد أن وصف أبو اليمن ما يقوم به زائر المشعر الحرام من التقبيل والمسح والتحية وتصفية السر والتظهر، انتقل إلى وصف موقفه متخشعا موثقا بوثاق الذلة خاضعا متضرعا سائلا عفوا ونوالا وغاسلا ذنوبه بالدموع لعل الله يفيض عليه من رحمته

يا ويـحه قد أوثــقته حظوظـــه   في حيــث يطلق من وثاق الذلة

وفيها يقول:

واخضع له واضرع إليه وناده   متنصلا مما جنيت بذلة
وابسط له كف السؤال فإنه   جم النوال ببسط ظل النعمة
واغسل ذنوبك بالدمـــوع لعـله   أن يجتـــبيك من لدنـــه برحمة

ومن ذلك قصيدة أخرى لأبي اليمن بن عساكر وهي أيضا من جملة المجاز وفيها (23 بيتا) منها (الطويل):[2]

معاهد للأرواح فيــها معـــارف   عراك هواها إذ سقــاك فعـــلكا

---

[1]: الرحلة 44/5 مكرر.
[2]: الرحلة 45/5.

ومنها:

فجددت رسم الوصل بعد دروسه وطفت كما طاف المحبون قبلكا
يباهي بك الله الملائكـة العـلا ظفر لعمري ثم قـد جـد جدكا

وعرفت تعريف الأُلَى عرفوا الهــوى

وما أنكروا من بعد ذاك فمن لـكا

بشطي ألال ثم في سفح نابت تراوح كي يرتاح في الحب قبـلكا

وهكذا أخذ يتتبع إقامة الحاج لفرائضهم، ويصف شعورهم وأحوالهم بين المشاعر وصفا دقيقا بأسلوب جميل وعبارة سلسلة مثل قوله:

أفضت وقد فاضت عـليك إلى منـى

مواهب أسـرار بها بَـرَّ حجـكا

ومن قصائد أبي اليمن الأخرى، وهي من جملة المجاز كذلك، قصيدة تتألف من (134 بيت)، وقد أنشدها له صاحبه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم بعد أن قرأها عليه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة وذلك في شوال 684 هـ.

وقد أجاد أبو اليمن في هذا القصيد وأطال نفسه فيه، لقد ابتدأه بالنسيب وذكر الأطلال ومرتبع الهوى ومجمع الأحباب، ثم انتقل إلى وصف الرحيل بحروف كحروف قد سطرت في كتاب، وهي تهوى إلى تهامة شرقا، ثم وصف أشواقه إلى أصحابه، واستطرد إلى القول في ذكر المشاعر المقدسة وأداء الفرائض الواجبة، وبعدها انتقل إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ثم ختم القصيدة بالاستغفار والضراعة وطلب الصفح. وقارئ هذه القصيدة بيتا بيتا يجد فيها تفاصيل رائعة لكثير من الأحداث التاريخية والمواقف الإسلامية الشهيرة، والتصوير الرائع لخلجات النفس المؤمنة الخاشعة. وهي بالرغم من طولها وتداخل بعض الأغراض فيها، تبدو متماسكة مترابطة، فقد احسن

أبو اليمن التخلص من غرض إلى آخر لما أوتيه من مقدرة عظيمة على فن القول، لأنه كان "عالما فاضلا جيد المشاركة في العلوم، فهو صاحب عبادة وأدب جم غزير"[1].

ومما قاله فيها: (الخفيف)[2]

لا خلت منك مكة يا أبا الـــــــــيمن تلقى رحبا بتـلك الرحـاب

حيث تضحي وأنت لله جار ... عـــائد إليه بين ركن وبـاب

طال ما قد نعـــمت عينا بنعـــما ... ن وشطي إلال بـــين الهضـــاب

ومنها:

ثم ودعت وانصرفت تـــرجي ... عــــودة في تـــأسف واكتئاب

ظلــت تشتـــاقها وأنت تـــروح ... شوق حب إلى الأحبــة صـــابي

وقد أسهب الشاعر في ذكر فضائله صلى الله عليه وسلم وإفراده بالحب والقرب ووصف أصله وكرم نسبه وأرحامه وأصلابه وحسن خلقه وخلقه وخطابه الجزل وقوله البليغ الذي فيه الفصل من غير اغراب، وحديثه الذي يحسب درا في حسنه يتساقط من السحاب وانه:

هو نـور في لمـعة قد تراءى ... قد توارى عن ظله في حجاب

ثم إنه قد تزكى من كل ذام وعاب، وعقدت في يديه ألوية الحمد، وأحال أولو العزم على جاهه المعضلات الصعاب.

ثم وصف الإسراء والمعراج:

وإلى الله صحبة الروح أسرى ... فحـــباه بـــزلفـــة واقـــتراب

كم مَرَاقٍ إلى العـــلا قد ترقـــى

فتحت بالمنــــى له كـــل بـــاب

[1]: فوات الوفيات 382/2.
[2]: الرحلة 37/5-38.

فانتهى منتهـــــى به قد تناهـــــى
بالقضـــايا مطـــــالب الطـــــلاب

ثم ذكر من المعجزات والآيات والدلائل التي أزالت عماية الارتياب ومن ذلك:

وله البـــدر شـــق إذ ســـألوه آية عـــبرة بنـــص الكتـــاب
شاهدت قـــريش والسفر أنبـــا ء أنهم شـــاهدوه عند الإيـــاب[1]

ومنها:

وحمام على فم الغار عششـــــــن فأغشين أعين المرتاب
قد توارى من كيدهم ثاني اثنيـــــــن فكانا عن مكره في حجاب
ولكـــم آية وكم من دليـــل قد أزالـــت عماية الارتـــياب

ثم بين أن وصفه بين لكل رسول، وان نعته مثبت بكل كتاب، وهو الرؤوف بالمؤمنين، رحيم غير فظ ولا جاف ولا صخاب، ودينه عال على كل دين ومذهبه باق لغير ذهاب، ولهذا:

لا تطأ أرضه بنعل وطأها بجفون العيون والأهداب
انتشق تربه وقبله واخضع وتوسد شريف تلك القباب
وتشفع به إلى الله تسلم من عذاب خزي وخزي عذاب

ثم يعبر عن أن حبه له لا يفنيه الدهر ولا تذهبه الأيام، ثم اخذ يوالي عليه الصلاة والسلام:

إن حبي له لـــزام ولمـــا يزل الحـــب لازم الأحبـــاب
صلـــوات الله تـــترى عليـــه باقيات على مدى الأحقـــاب

ثم يختم القصيدة بطلب الشفاعة إليه لمغفرة ذنوبه والصفح عن زلاته:

---

[1]: بالهمزة للضرورة: الإرتياب.

وأَجِزْني على الصـــراط برحمـــى منك أنجو بها ويسر حسابي
فـذنوبي كثـــيرة ليـــس تحصـــى وعيوبي شتى ملأن عيابي
فـأقل عثرتي وثـــبت مـــرادي لا يزغ في مواطن الإرهاب
واعـــف عنـــي وارحم وســـامح واعتقن من النار يوم فك الرقـاب

وتعد قصيدة أبي اليمن ملحمة طويلة مسهبة عرض فيها كثيرا من صور الافتتان، لأنها أبانت عن سعة أفقه وحرارة شوقه وثورة وجدانه، وما هذه الأبيات إلا نماذج من صور نفسه التي أخلص بها لحب الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك المغاني المقدسة، وحشر فيها أيضا كثيرا من البديع مثل قوله مجنسا بين (عششن وأعشين) و(حف وحافَتَيْه) و(مذهب وذهاب) وغير ذلك.

ومما ورد في الرحلة من هذا القبيل أيضا نظم للمحب الطبري الأديب الزاهد المتصوف وذلك في قصيدته التي يقول في أولها (الكامل)[1]

الوجد يشـهد أننـي مقتـــول بهوى المحجب والغـرام كفـيل
أسر الفؤاد جميـــله وجمـــاله فالقلـب فيه كـثُيِّر وجَميـــل

وفيها يقول:

يا معهد الأحبـــاب هل من عودة ليضم فيـــها شـــملك المأهول
أو هل بتنعيم الـحمى من وقفة أو هل إلـــى وادي الاراك سبـيل
أو هل أرى من أرض مكة معلما أو يبدون لي شـــامة وطفيل[2]
أو تقبل النكباء حـــمل محـــبة لمتـــيم صـــب بـــراه نخـــول
يحلو له ســر الهـــوى وحديـــثه فيه عريـــض شـــرحه وطـــويـــل

ومن قوله:

كيف الوصول إلى الوصـال وعزة عزت فعز على المحب وصـــــول

---

[1]: الرحلة 25/5.
[2]: هذا البيت ينظر إلى قول بلال بن حمامة
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي إذخـر وجلـيل
وهل أردن يوما ميـاه مجنـة وهل يبدون لي شامة وطفيل؟
ومعجم البلدان لياقوت 35/3.

ومنها:

أرجو وآمل وصلها وصلاتها يا حبذا المرجو والمأمول

يا ويح قلبي من صــدود أحبتي ما الصد إلا للمحب قتول

أم كيف أسلو وهي غاية مطلبي إن الغــرام بعــزة لجميل

لا نلت وصلا إن تحــدث خاطـري بســـلوها أو أضمــر التــبديل

ويتبين لنا من خلال أبيات محب الدين الطبري ذلك النفس والطريقة اللذان شهدناهما عند أبي اليمن بن عساكر، وإذا عرفنا أنه كان مفتيا للشافعية ومحدثا في الحجاز ومؤلفا لكتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، فإن كثيرا من المعاني التي أوردها في ذلك الكتاب ضمنها قصيدته السالفة الذكر، ويغلب على معانيه كذلك مسحة الزهد والتصوف، وفي أسلوبه رصانة وقوة لا نجدها في شعر أبي اليمن، ثم إن تلك الإشارات والرموز التاريخية لتنم عن أفقه الواسع وفهمه المدرك لأحداث تاريخ الإسلام وظروف الدعوة الإسلامية، وغوص على جواهر المعاني وفيها إشارات إلى قصص الأدباء والشعراء القدامى كجميل وكثير وعزة وبلال بن حمامة وغيرهم.

وإذا كان من خصائص شعر الحجازيات وصف مواضع الحج، فإننا نجد أن محب الدين الطبري يذكر لنا مسالة فقهية يجيب فيها عن استفتاء مستفت، فقد حكى صاحب ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن الشريف أبي القاسم الحسني قال: حضرت بمكة عند الشيخ محب الدين الطبري فحادثه مستفت يسأله تقبيل الحجر الأسود بصوت أم دون صوت؟ فذكر له التقبيل من غير تصويت، فقال: إني لا أستطيع. قال فأطرق الشيخ ثم ارتجل هذه الأبيات: (الطويل)[1]

وقالوا إذا قبلت وجــــنة من تهـــوى

فلا تسمعن صوتا ولا تعلن النجـــوى

فقلت ومن يـــملك شــفاها مشوقـــة

إذا ظفرت يـوما بغايــتها القصـــوى

[1]: الرحلة 24/5.

وهل يَشْفِيُ[1] التقـــبيل إلا مصوتــــا

وهل يبرد الاحشا سوى الجهر بالشكوى

وإن ارتجال الطبري لهذه الأبيات البليغة دلالة واضحة على علو كعبه في فن القول وسرعة البديهة وحضور الاحكام في ذهنه والتصدي بمقنع الجواب لبعض النوازل التي تحتاج الإجابة عنها إلى حسن الفهم والخبرة والممارسة والروية والأناة وطول التفكر.

ومن صور الوجد التي تصيب حداة ركب الحج ما أخبر به أبو عبد الله العسقلاني تلميذه ابن رشيد من قصة رفع سندها إلى أبي بكر بن العربي قال[2]: سمعت محمد بن عبد الملك ابن الصوفي يقول خرجت مع أبي الفضل بن الجوهري رحمه الله مشيعين لقافلة الحجاج ومودعين لها، قال فالتفت بعد زم الرحال إلى فتى حسن الوجه شاحب اللون وهو يتبع الرواحل راحلة بعد راحلة ويتردد حتى مشى الحجاج عن أخرهم وكان يقول أثناء تردده (الطويل)[3]:

أحجاج بيـــت الله في أي هــــودج

وفي أي خـدر من خـــــدوركم قلبــــي

أأبقى رهين[4] الشوق في أرض غربـــــة

وحاديكـم يحدو بقلبـــــي مع الركــــب

فوا أسـفا لم أقض منـــكم لبانـــتي

ولم أتمـــتع بالــــجوار وبالقــــــرب

وفرق بينــــي الرحيــــل وبيـــــنكم

فها أنذا أقضـي على اثـركم نحبــــــي

---

[1]: قال ابن رشيد: هكذا قاله وهل يشفي فحرك حرف العلة للضرورة، ولا ضرورة بأن يقول وهل يبرئ وهي رديفة يشفي.

[2]: الرحلة 26/5.

[3]: انظر هذه الأبيات أيضا في كتاب ذم الهوى لأبي الفرج بن الجزري مع اختلاف في كثير من الكلمات.

[4]: أسير الحب في دار غربة ص 546. ونلاحظ أن كتاب ذم الهوى أورد بيتين فقط ص 563 وفي الرحلة خمسة أبيات، وهناك اختلاف في السند أيضا.

يقولون هذا آخر العهد فيكم

فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

فلما لم يبق من الحاج أثر وانقطع رجاؤه جعل يخطر هائما وأخذ ينشد (المديد)

خل دمع[1] العين ينهمل   بان من تهواه وارتحلوا[2]

بأي دمع صانه كلف[3]   فهو يوم البين مبتذل

قال ثم سقط إلى الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه رحمة الله عليه[4] وهذه الأبيات تعطينا صورة أخرى عن ذوي القلوب الرقيقة والمنازع اللطيفة والإحساس المُرْهَف والشعور الفياض الحافل بالمعاني السامية التي تغذو الأرواح والنفوس، وذلك في العصر الذي كانت تهيمن فيه تيارات عقدية خاصة. فقد كان الحجاز يأخذ بجامع لب السائحين والراحلين والأدباء والشعراء وأهل الوجد والأحوال والتصوف، والإقامة في الحرم الشريف كانت تملأ أرجاء عقل الحاج ونفسه وقلبه وشعوره بعاطفة دينية خاصة ومعان روحية عامة، وها هو ذا محب الدين الطبري يعبر بشيء عن ذلك في قصيد (18 أبياتا) (الخفيف) ومنه:[5]

ما لطرفي عن الجمال براح   ولقلبي به غذاء وراح

كل معنى يلوح في كل حسن   لي إليه تقلب وارتياح

وغرامي به نديم وشربي   دائما من سلافه أقداح

أجتلي الحسن شاهدا فيه معنى   هو روح وما سوى أشباح

فبهم يعشق الجمال ويهوى   ويشوق الحمى ويهوى الملاح

وبهم يعذب الغرام ويحلو   ويطيب الثناء والامتداح[6]

---

[1]: فيض الدمع.
[2]: فارتحلوا
[3]: كل دمع صانه كلف.
[4]: أشار ابن رشيد إلى أن هذه القصة وردت في كتاب الأربعين لابن مسدي أيضا. وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه ذم الهوى ص: 563: ثم تنفس الصعداء وشهق شهقة، فحركته فإذا هو ميت ونلاحظ أن رواية السند الذي وردت به في الرحلة يختلف عنه في كتاب ذم الهوى.
[5]: الرحلة 52/5.
[6]: الإمتداح بالهمزة للضرورة.

لا تلم يا خلـــي قلــــبي فيهم	وما عليٌّ من هـــوى المليح جُنَاح
ويح قلبي وويــح طـرفي إلى كــم	يكتم الحـــــب والـــهوى فضـــاح
صاح عرج على العقيق[2] وســـلع[3]	وقباء[1] فيــهـا الوجـــوه الصـباح
قف بجرعائها[4] ونــــاد بــــناد	مشـرق الــــروض عــطره فياح
يا أهيل الحمـــى وأهل المصلى	وربــــوع تشتـــاقها الأرواح
للمحب المشــوق قلـــــب جريح	وبترب الحمـــى تداوى الــجراح

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أيضا أن القصائد الحجازية تمتاز بالطول وذكر الكثير من المشاعر الكريمة ووصفها وصفا دقيقا وتشتمل على صور شتى للحل والترحال، وابداء الشوق، والهيام وذكر الحب والغرام على طريقة أهل التصوف في تواجدهم، وفيها وصف للنبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وفضله وطلب الشفاعة والإجارة من عذاب الخزي والتوسل به إلى الجنة، وفيها إسداء التحية له والسلام عليه. وفي كل ذلك تفخيم وتهويل يليقان بجلال الموقف وقدسيته. وذلك طبعي بالنسبة لمسلم ترتبط شعائره العقدية والدينية وتقاليده الحياتية بتلك الآثار التي تشكل عنصرا من أهم عناصر أعماله في الصلاة والحج. ولأن فيها ممارسة وتعبدا وذكرى نافعة. ولعل هذا هو السبب الذي كان يدعو أولئك الشعراء للغياب عن عقلهم في الفترة التي ينشدون فيها أشعارهم لينتقلوا إلى تلك الديار ليزوروها بأرواحهم قبل أشباحهم، ولهذا أيضا تجيء تلك الأشعار ملاحم بديعة الصور والمعاني والأسلوب، وبالرغم من طولها وإسهابها تجيء مقبولة سائغة لا يمل من قراءتها أو إعادتها.

و- في مذهـب المالكيـة

لما وقع إجماع المسلمين على تقليد بعض الأئمة واتباعهم والاقتداء بهم ودرس كتبهم والتفقه عليهم، فإن هناك من كان يرى أن مالك ابن أنس هو أحق بالإمامة، لأنه كان محصلا درجة الاجتهاد، ولأنه اعلم القوم كما قال فيه ابن هرمز وابن عيينة ولأنه

---

[1]: القباب: موضع بنجد على طريق حاج البصرة.
[2]: العقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخل.
[3]: سلع: موضع أو جبل بقرب المدينة.
[4]: جرعاء: موضع بنجد.

كان سيد المسلمين[1] وقد قال فيه الاوزاعي: "مالك عالم العلماء وعالم اهل المدينة، ومفتي الحرمين"، وقال الشافعي: مالك أستاذي وعنه أخذت العلم ومالك معلمي، وما أحد أَمَنّ علي من مالك، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله[2]، وقال أيضا: إذا جاء الاثر فمالك النجم[3]. ويكفيه فخرا أنه أستاذ الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني، بل إنهما تتلمذا عليه واعترفا بفضله وإمامته[4] ويعتبر له ريادته وسبقه في استنباط المسائل الفقهية من الحديث النبوي الشريف. وكان كتابه الموطأ أول الكتب المعتمدة في ذلك، وأما مفخرته الثانية فهي المدونة، وقد ظهر فيها أنه "أثبت في كل شيء"[5] ولهذا كله وقع مالك وعلمه وشرف عمله موقعا حسنا في نفوس العلماء والشعراء، وفي هذه المعاني أنشد أبو بكر بن قسوم لنفسه على أبي اسحق البلفيقي هذه الأبيات التي رواها عنه ابن حيان الشاطبي بتونس (الوافر)[6]

أَجِـدَّ المالـــكية لست أبغي   بمذهب مالـــك في الشرع مذهب
ألم يك للحـديث أصح نقـــلا   وأبـــدع في تفـــقهه وأهـــذب

فلو لم يكن كذلك مقدما لما ضربت إليه أكباد الابل من مشارق الأرض ومغاربها[7] وقد كان الثوري إذا جلس بين مالك ونظر إلى إجلال الناس له وإجلال مالك للعلم أنشد (الكامل):

يأبى الجواب فلا يراجـــع هيـــبة

والسائلون نواكـــس الأذقـــان

أدب الوقار وعز سلطـان التـقـــى

فهو المطـــاع وليس ذا سلطـــان

1: ترتيب المدارك 73/1.
2: أسهل المدارك، شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك 6/1.
3: طبقات الحفاظ 90.
4: الانتقاء لابن عبد البر ص 24-25. و 93.
5: طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 90.
6: الرحلة 25/2.
7: ترتيب المدارك 74/1 وانظر ما قال فيه الثوري إذا جلس بين يدي مالك: شجرة النور 53 وذلك في أبيات.

ز – الـزهـد

إذا كانت صور الزهد تهيمن على كثير من الشعر الديني، فإن ما يطبعه هو ترك ملاذ الدنيا ومتاعها الزائل، والإيمان بأن الفناء سيدرك كل شيء إلا وجه الرب ذي الجلال والإكرام، وما يطبعه أيضا الحث على التزود بالتقوى والهداية والرضا بالقليل والقناعة، والدعوة إلى عدم طاعة النفس في شهواتها وهفواتها، والشعراء في هذا يختلفون ضعفا وقوة، علوا واسفافا، وبين أيدينا ذخيرة ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار لإعطاء صورة واضحة عن الحياة النفسية والشعورية والثقافية لعصر ابن رشيد وقبله من الأعصار. ثم إن هذه النصوص التي نوردها تعد صورة لنفوس قائليها وظروف حياتهم وطبيعة أخلاقهم في حال سخطهم ورضاهم وفي حال توبتهم وتكفيرهم عن زلاتهم. ومن شعر الزهد الوارد في الرحلة لشعراء سابقين لعصر ابن رشيد: شعر ابن الابار الذي رواه ابن رشيد عن أبي الحسن بن رزين عن الشاعر لنفسه: (السريع)[1]

إلــى م في حــل وفي ربـط   تخـبط جهــلا ايمـا خبــط
دع الــورى وارج الاه الورى   فإنه ذو القــبض والبــسط
ليــس لمــا يعطــيه من مــانع   ولا لـــما يـمنـع مــن معــط

وتعد هذه الأبيات آخر ما أنشده ابن الابار لابن رزين[2] وهي في معنى التسليم للمقدور.

ومما أنشده ابن حيان قال أنشدنا أبو اسحق بن عياش الكاتب الشهير قال أنشدني أبو بكر حميد، وهو أبو بكر أحمد ابن الإمام أبي محمد القرطبي لنفسه: (البسيط)[3]

مقاصد الناس في دنــــياك أجنـــاس
فاقــعد فلا مطـلب يبغى ولا نــــاس

---

[1]: الرحلة 65/6.
[2]: انظر هذه الأبيات أيضا في أزهار الرياض 222/3 وانظر أيضا رحلة العبدري 254.
[3]: الرحلة 25/2.

وارض القناعة مالا والتقـــى حسبـــا

فما على ذي تقـى من دهــره بــــاس

وإن علتك رؤوس وازدرتــــك ففـــي

بطـن الـثرى يتساوى الـرِّجْل والــراس

ففي أبيات الابار والقرطبي دعوة صريحة إلى نبذ بهرج الحياة الدنيا وحث على القناعة والرضا وهذه المعاني تنظر إلى معنى الآية الكريمة: "ما عندكم ينفد وما عند الله باق"[1] وفيها أيضا إشارة إلى قول أبي العتاهية في قصيدته الشهيرة (الوافر)[2]

لدوا للموت وابــنوا للخـــراب　　فكلكم يصير إلى تبــــاب　　(القصيدة)

ومن ذلك ما أنشده أبو الحسن بن رزين قال: أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطلة لنفسه (الخفيف)[3]

واغتنــم في الزمان يا صاح خمسا　　قبل خمــس تفز بـخير اغــتنام

صـــحة الجســم والغــنى وفراغا　　قبل شغــل وفــاقة وســقام

وشــبابا تلــتذه وحيــــاة　　قبل اعــجال كــبرة وحــمام

فلعمري لقـد نصحـــتك نظـــما　　نثـــره من كلام خـــير الأنـــام

وقد نظم الشاعر في هذه الأبيات الحديث النبوي الشريف: اغتنم خمسا قبل خمس ... الحديث رواه البيهقي عن ابن عباس.

ومن ذلك قول أبي الحسن التجاني في بعده عما يشينه وقربه من طلب ما يزينه وطلبه للعلا وتركه كل ما يدنس شرفه (السريع)[4]

---

[1]: النحل 96.
[2]: الديوان 46.
[3]: الرحلة 83/6.
[4]: الرحلة 19/7.

وكأس راح حثــها شــادن   رضابــه عــن شربــها يــسلي
فقلــت يا شــادن عني بــها   فليــس يهــوى شــربها مثلي
همي وشغلي طلبي للعلا   ما الــراح من همــي ولا شغلي
لا أرتضي فعلي وعقلــي معــي   فكيــف أرضــاه بــلا عقــل

وفي هذه الأبيات حوار يشخص لنا الحديث بين العقل والنفس، بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين هدى الله وضلا ل الشيطان، فكان الانتصار دائما للحق والخير.

ومما أبدع فيه أيضا أبو الحسن التجاني في معنى اقبال الدنيا وادبارها واعراضها قوله في أبيات يصور فيها الدهر وكيف ينبغي أن نرتاضه ونلين ما شمس من طبعه (البسيط)[1]

سألزم الصبر علَّ الدهر يسعدنــــي
بعد الحجاج ويدني كل أغراضــي

هل اغضب الدهر من أبنائه أحــدا
إلا تقــلب حــــتى رده راضــي[2]

كلا ولا تـقبل الدنيــا على أحــد
إلا وتعـــقب اقبــــالا بإعـــراض

والمـــرء على ماضــــي إساءتــه
وليس يلحى على إحسانه الماضـــــي[3]

ومما أنشده أبو الفضل التجاني أيضا قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد النور بن عبد الواحد بن خلف ابن مكي بن أحمد المازري الأصل الحميري التونسي لنفسه قال: ويجب على العاقل حفظها والعمل بمقتضاها (الطويل)[4]

---

[1]: نفسه.
[2]: في ذلك ضرورة شعرية: أصله راضيا.
[3]: نلاحظ أن الشاعر التزم في الأبيات الثلاثة ما لا يلزم ولكنه ترك ذلك في البيت الرابع.
[4]: الرحلة 32/7.

حرصت على كسب العلاء فلم أجـد

عــلوي إلا أن أفــل شبا حرصـــي

وزهـدني في طيــب الـزاد أنــــه يجيء بذل فاقتصرت على قرصـــي

ولقد أجاد أبو العباس المازري في هذا القول الموجز، وهو من السهل الممتنع وفيه معنى جليل يعز ضريبه.

ومن ذلك قول ابن الطيلسان، وكان يعني، في قصيدته، أبا جعفر بن يحيى الذي كان امتدح ملوك زمانه بقصائد طوال يشهد له فيها بالإجادة، ثم نزع عن ذلك واستغفر الله تعالى فقال: (الطويل)[1]

ولما رأيـت الـــناس طـرا تكالبـــوا

ولم يسمـحوا إلا بكـذب من الوعـــد

ولم يجد مدحيهم فتيلا وزادني عنادا وجار القصد عن سنن القصد

نبذت بهم نبذا وعذت بخالقي ويا فوز من قد عاذ بالصمد الفرد

بمن يملك الأشياء لارب غيره ويرضى بالحاح السؤال عن العبد

فيا خالقي عطـــفا علي ورحمة نعوذ بها يا من يعـــيد ومن يبدي

فبعد أن نبذ ابن الطيلسان كل ما يأتي من هذا العبد الفقير الذليل الذي لا يبدئ ولا يعيد نراه يحذر الإنسان أوخم العواقب ويبصره بمصيره المحتم الذي لا مناص له منه، وهو يريد أن يجعل ثقته كاملة في الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير: (السريع)[2]

يا أيها الظالم للنفس فكر وبادر ظلـمة الرمس

فيه ترى كل الذي قد جنت كف وتجـني ثمـــر الـــغرس

طوبى لمن آخر ألفاظه لارب إلا الله ذو الـــكرسي

وكان في اليوم مدى عمره أحســـن حـــالا منــه بالأمس

---

[1]: الرحلة 56/7.

[2]: الرحلة 56/7.

ذاك الذي يشفع فيه غدا — محمد أفضل ذا الانس
يسقيه من طيب سلسال ما — في الحوض بالكوب وبالكأس
يا رب يا مولاي لا تحرمن — عبدك ما في جنة القدس

وهذا أبو الربيع بن سالم الكلاعي ينجز لنا عملا يغني فضولنا بما جادت به قريحته في هذا المضمار، وإليه تلقى في الحقيقة عصا التسيار، وذلك في كثرة ما ألفه وأنشده من القصائد الدينية في المديح النبوي ومثال النعل الكريمة والزهد وغير ذلك[1]، فقد أنشد القاضي أبو العباس بن الغماز قال: أنشدنا الخطيب أبو الربيع الكلاعي سماعا عليه من كتاب المفاوضة (مجزوء الرجز) (حرف الراء)[2]

لله عبد صادق — أراق كاسات الكرى
يقطع عمر ليله — معتبرا مستعبرا
وماله في سبل الخيرات نهب للقرى

إذا رأى مكرمة — هش لها مبتدرا
وإن ألم مؤلم — قابله مصطبرا
ذاك الذي سوف يرى — مسعاته كيف ترى
أخلق بساري الليل أن — ترضيه عقبى السرى

وينشدنا من أخرى يحثنا فيها على التواضع وترك الصلف والكبر (البسيط) (حرف الفاء)[3]

يا من توهم أن الكبر مكرمة — تواضع المرء في الدنيا هو الشرف
أبناء جنسك أمثال سواسية — ففيم أمْ عَمَّ هذا التيه والصَّلَف

ويا ضنينا ببذل العرف عن جدة

على مخول هذي الانعم الخلف

---

[1]: انظر شعره أيضا في كتاب تاريخ قضاة الأندلس 119 والذيل والتكملة 83/4. والمغرب 316/2. وفوات الوفيات 2/ 80.
[2]: الرحلة 19/6.
[3]: الرحلة 18/6.

ضن الفتى إذ تظنى بذ له شرفـــا

وليس في الخير لو يدري الفتى ســرف

ومن أخرى في الحث على العبادة والسعي إلى الخير والاجتهاد في ذلك:

عجبت للمتواني عن سعادته وشمس مدته قد قاربت طفلا
يـجري للغاية القصوى على كفل من عمره كيف يجري راكب كفلا
رويد سعيك في طرق الهوى أفلا يكفيك شيب ألمـت نذره أفلا
بادر إلى الله بالأعمال مجتهدا واجمع إلى القـرض ممن يرودها النفلا
وعَـدٍّ عن عـالم للغـي مرتكـب وعـد أنسـهم وحشـا بظـهر فلا

وفي الحث على العفو مع المقدرة والحض على التوبة بعد الجناية والتحذير من حتمية القدر قول أبي بكر بن قسوم، وقد أنشدها لعبد الله بن هرون لما لقيه باشبيلية[1] (مجزوء الكامل)

يـا ويـحه مـما جنـى مـن لم يعـف وقـد قدر
حـرم المثـوبة فاستعذ بالله مـن نسـق القـدر

ومن باب التوكل على الله وتسليم الأمر إليه ورجاء نعمته ورحمته وفضله والاعتقاد في أنه فاتح لما استغلق من الأمور، وإنه مجيب الدعاء لمن دعاه، وإنه الميسر لكل عسير ـ ما أنشده أبو عبد الله بن حيان الشاطبي قال أنشدني أبو محمد بن عبد العزيز بن أحمد التميمي المشهر بابن بريدة، وكان فاضلا ، قال أنشدنا الأديب أبو محمد عبد العظيم سالم بن أبي العرب الأندلسي لنفسه من كلمة طويلة (الخبب)[2]

سلم في الأمر تنـل فرجا وتجد إن ضـاق له فرجا
وبفـضـل الله ورحـمته أبشر جـذلا بهـما لهجا
فـوض لله فلست تـرى أبواب اليسـر به رتـجا
وازدد في الأمـر يقـين هدى تلقى في الصـدر به ثلـجا

[1]: الرحلة 16/2.
[2]: الرحلة 24/2.

واقرع بـاب الرضـوان ومن قرع الأبواب فقـد ولـجا
واركب الفلك علـى ثـقة بالله ولا تهـب اللجـجا
فكليـم اللـه وأمتـه لعبور اليوم نـجوا ونـجا

وهذه القصيدة تنظر إلى معاني قصيدة أبي الفضل النحوي المشهورة بأم الفرج وكان قد أنشأها عند شدة هالت فأقشعت بفضل الله[1].

ومما جاء في الرحلة من معنى اللوم على اللهو والانسياق وراء نزوات القلب ما صاغه أبو المطرف بن عميرة، ولم يكن وروده هنا إلا للاعتبار وتذكر العمر الذي يتولى (الطويل)[2]

قالوا أتلهو والشـباب قد انقضـى
وعمرك قد ولى ولم يبق طائـل
فقلت أصيل العمـر ما قد بلغـته
وأطيب أوقات الزمان الأصائـل

وقوله كذلك:[3] (الخفيف)

بايعونـا مـودة هـي عنـدي كالمصـراة[4] بيعهـا بالخـداع
فسأقضـي بـردها ثـم أقضي معها من ندامتـي ألف صـاع

وقوله: (الوافر)[5]

أرادونـي علـى لبس الجديد ومالـي والجـديد من الـبرود
أيذوي العود والأوراق خضـر مخـالفة لعمـرك للوجـود

---

[1]: انظر تخميسها في رحلة العبدري 92.
[2]: الرحلة 27/2.
[3]: نفسه وكتاب أبو المطرف بن عميرة ص 244.
[4]: التصرية عند مالك والشاطبي عيب، وذلك حسب الحديث النبوي: لا تصروا الابل ... الحديث. انظر بداية المجتهد لابن رشد 132/2.
[5]: الرحلة 27/3.

ومما يسلك في الترغيب في العمل للآخرة والترهيب من العقاب يوم الحساب قول أبي الحسن بن المفضل المقدسي وقد أنشد أبو الحسن بن رزين لاين رشيد وكتبه له بخطه قال أنشدني ابن برطلة بالمسجد الجامع من بجاية في رجب 655 هـ قال أنشدني أبو عمرو ابن عات سنة 608 هـ قال أنشدني ابن المفضل سلخ شهر ربيع الأول سنة 502 هـ بثغر الاسكندرية وهو من لزوم ما لا يلزم (الطويل)[1]

أيا نفس بالمأثور عن خـــير مرســل

وأصحابه والتابعـــين تمســـكي

عساك إذا بالغـــت في نشــر ديــنه

بما طاب من عرف له أن تمســـكي

وخافي غدا يوم الحســـاب جهــنما

إذا لفحــت نيرانــها أن تمـــسك[2]

ومن ذلك ما انشده الكاتب أبو الحسن بن رزين لنفسه وقد سأله ابن رشيد نظمه ليصل مسلك الناظمين في العينيات المسلسلات فقال وكتبه له بخطه (الطويل)[3]

نصيبك من دنـــياك يا صاح بلغـــة

وإن عز فيـها صــحة وفـــــراغ

فما بالنا نلهو ونغـــتر بالمنـــــى

كان ليس للاخرى الغداة بــــلاغ

[1]: الرحلة 66/6.
[2]: انظر رحلة العبدري 254.
[3]: الرحلة 77/6.

يساغ لنا نسء الحـــــياة لغـــاية

ولكن خلود المرء ليـــس يـــــساغ

فشمر وبادر منك فرط إثــــــابــة

فحـادي المنايا ليس منه مـــــــراغ[1]

ومما أنشده ابن الخيمي لابن رشيد في معنى النصيحة بعدم مطاوعة الهوى والحث على الترفع عن الدنايا قوله: (الكامل)[2]

يا طالبا للعز هاك نصيحتي   لفظا على المعنى البسيط وجيزا

ما الذل إلا في مطاوعة الهـوى   فإذا عصيت هواك كنت عزيـــزا[3]

وفي معنى التواضع والخمول ونبذ الشهرة قول ابن حبيش، وقد أنشده ابن حيان لابن رشيد وهو من لزوم ما لا يلزم (السريع)[4]

إيـــاك والشـــهرة في ملبــس   والبــس من الأثــواب أسـمالها

تـــواضع الإنســان في نفســـه   شــــرف للنفـــس وأسمـــى لها

ومن بليغ قول أبي بكر بن حبيش أيضا: (البسيط)[5]

إني لأعسر أحيانا فتدركني   بشرى من الله أن العسر قد زالا

يقول خير الـــورى في سنة ثبتت   أنفق ولا تخش من ذي العسر إقلالا

---

[1]: في رحلة العبدري بعض اختلاف في نص هذه الأبيات انظر ص 253 ثم إن في رحلة ابن رشيد استدراكا مفيدا ونص: "غير البيتين الأولين وابتدأهما لي وكتبهما بخطه وعليهما اعتمد وزاد بيتا ثالثا تل الثاني فقال:

نصيبيك من دنياك أيسر بلغـة   تصـان لها أمـالنا وتصـــاغ

وتلبسنا الأيام أخــلاق جـــدة   قليل لديها صـحة وفـــراغ

ونلهو كأنا في أمان من الردى   وليس إلى دار الخلود بــلاغ

فكيف وقد ولى والشباب ولاح للمشيب بفودي عارضيك صباغ

لاحظ مطابقة بعض أنصاف البيت لما في رحلة العبدري 144.

[2]: الرحلة 47/3.

[3]: انظر أيضا رحلة العبدري ص 253.

[4]: الرحلة 24/2.

[5]: الرحلة 8/2.

وفي معنى نبذ البدعة وترك التصنع وهجر الطمع قول أبي الحسن علي بن محمد الخزرجي الساعدي الغرناطي شيخ ابن رشيد بالاسكندرية، من قصيده المسمط الذي عارض به قصيد أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

خل ادكار الاربع[1]

ومطلع قصيد الخزرجي: (مجزوء الرجز)[2]

هون بأهل البدع والهجر والتصنع ودن بترك الطمع

ولذ بأهل الورع

ويقول فيها:

وعد عن كل سند لم يكترث بالسند والهج ببر جهبذ

وعالم متضـــع

واندب زمانا قد سلف ولم تجد منه خلف وابعث بأنفاس الأسف

رسائل التضرع[3]

ومن قوله أيضا في قصيدته الطويلة (البسيط)[4]

بأمر دنياك لا تـــحفل وكن حـــذرا

فقد أبانت لأربـــاب النهـــى عـبرا

ومنها:

فكل عيش تراه العـــين من حـــســـن

كر الأهـــلة لا يبقـــي لـه أثـــرا

---

[1]: الرحلة 8/3.

[2]: انظر مقامات الحريري: المقامة الخمسون البصرية ص: 296.

[3]: انظر شيئا من هذه القصيدة في نفح الطيب نقلا عن ابن رشيد 395/2 مع اختلاف يسير في الرواية.

[4]: الرحلة 8/3 ودرة الحجال 214/3 ترجمة 1223 مع اختلاف يسير في الرواية.

طوبى لمن جال فيها فكـــــره فنـــأى

عمـــــا تغيـــب منه أو حضــــــرا

وقام في حندس الظلـماء مجـــــــــتهدا

يردد الـذكر والآيات والســــــورا

حتى إذا اللـــــــيل ولى منـه أكـــثـره

وراقب الوقت لما قارب الســـــحرا

ولم يزل واقفـــا بالـــــــباب مبتـــهلا

يرجو الإجابة ممن جـــل واقتـــدرا

فبـــات يبذر في أرض الرضا حســــنا

وإنما يحصد الإنـــسان ما بـــــذرا

مشى على منهج التقوى ودام علــــــى

حفظ الأوامر فاحتاجت له الأمــرا

لله ما الملك إلا مـلك ما مــــــنحت

له القناعة فاستغنى وما افتقـــــرا

يا نائما وعـــيون القوم ســــــــاهرة

ولا يبالي أطال الليل أم قصــــرا

قم للهجد يا نومــــان مجتـــــــهدا

فللجديدين سيف ينسف الـعـمـرا

ومن أحسن قصائده قصيدة في معارضة كعب بن زهير في قصيدته (بانت سعاد)، فقد نقض جميع أبياتها، وحل ما عقده كعب من المعاني، فكانت هذه إعراضا وتلك إقبالا وشتان بينهما ويقول منها:

ما في سعاد قصد لنا ولا سؤال

فإن قلبي عنها اليوم مشغول[1]

ومن شعر الصلاح والزهد ما أنشده أبو محمد الخلاسي لابن رشيد من شعر أبي الحسن علي بن الفضل المقدسي (المنسرح)[2]

يا حبذا الصالحون إنهم في سبيل الصالحات قد سلكوا

إن لم أكن قد فعلت ما فعلوا فليتني قد تركت ما تركوا

وصفوة القول في هذه المقطعات والقصائد أنها تمثل الزهد في التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب، وتوضح لنا سلامة الفطرة للشاعر العربي الزاهد الراغب عن الملاذ الشاذة للنفس البشرية الطامعة، ونزوعاتها الطائشة، والراغب في الفهم الأصيل لمتطلبات الحياة العملية في قصد واعتدال، وقد استعان الشعراء في كل ذلك بأسلوب مبسط غير مغرق في الرمز ولا مبهم في الإشارة، وفيها نصائح وإرشادات وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وفيها الهداية إلى أصفى الموارد من نهر الإسلام السلسال الخالد، وفيها صور من القناعة والرضا، وهجر التصنع والإسراف وفيها صلاح للإنسان في حياته وأخراه، فالعمر مهما طال، له آخر ونهاية، والحياة مهما سعدت فإنها تعروها بعض الأوشاب التي تنغص وتكدر الصفو. ويظهر من خلال هذه الأبيات أن الزهد عند هؤلاء الشعراء ينبثق عن الممارسة، ويتجلى في السلوك، ويتمثل في العمل والتربية. وقد استمدوا صور هذا الزهد من معين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأوامر الإسلام ونواهيه بصفة عامة. وإنه لا يهمنا أن يكون هذا الزهد متمثلا حقا في هؤلاء الشعراء، أو أن يكونوا ملتزمين به في حياتهم، وإنما الأهم هو ما بين أيدينا من نصوصه، ولابد من أن يعكس روح الأمة الإسلامية آنذاك في بعض وجوهها أو كلها، ولكن إذ عرفنا أن كل هؤلاء الشعراء الذين قالوا هذا الشعر قد عرف عنهم صلاحهم واستقامتهم، فلا شك أن هذا الشعر يمثل تلك التجربة الصادقة والمثل الأعلى، وهو بعيد كل البُعْدِ عن التواكل والخمول والجبن والانهزام.

---

[1]: الرحلة 9/3 وهي طويلة أورد منها في الرحلة 30 بيتا.

[2]: الرحلة 48/2.

ح - النسيب الممزوج بالتصوف

كان لمذهب الشيخ محيي الدين بن عربي أثر كبير في الغرب الإسلامي أول الأمر، ثم امتد ذلك الأثر بعد ذلك إلى الشرق بمختلف نواحيه، وكان هذا الشيخ معاصرا لشعراء وفلاسفة عظام أمثال ابن الفارض والنجم الإسرائيلي وصدر الدين القونوي وسعد الدين الحموي[1]، وقد نشأ في عهد ازدهرت فيه فلسفة ابن طفيل وابن رشد والغزالي[2].

وفي هذه التربة الخصبة نشأت مذاهب ونمت أفكار، وتشعبت ميول وعقائد، وازدهر الزهد والتصوف، وعمت طرائقه في العالم الإسلامي.

ونحن إذ نورد شيئا من الشعر الذي تظهر فيه ملامح من التصوف نريد أن نعطي صورة أخرى للجانب الثقافي والفكري والعقدي الذي كان عليه العالم الإسلامي إلى حدود أواخر القرن السابع الهجري.

ولما كان المتصوفون من رجال الأدب والبيان، فإنهم أمدوا الأدب العربي بشعر له قيمة كبرى من الناحية الفنية والفكرية[3]، فهذا أبو الحسن التجاني التونسي الذي كان معروفا بعلو كعبه في الأدبيات يسلك مسلك المتصوفين في بعض شعره وذلك بمزج النسيب بالتصوف مثل قوله: (الطويل)[4]

أجول بطرفي حيثما كنت لا أرى سوى حسن محبوبي الذي فتن الحسنا
دليلي إليه نوره فهو مشرق يقود محبيه إلى المقصد الأسنى
وأحسن ما يبدو لنا الحسن مسفرا إذا نحن غبنا في محبته عنا
وفي المرصد الأعلى على طور وجدنا
من النور لما أن أتيناه أقبسنا

---

[1]: التصوف الإسلامي للدكتور قاسم غني ص 695 والتصوف الإسلامي لزكي مبارك ص 119.
[2]: محيي الدين بن عربي، من شعره للأستاذ عبد العزيز سيد الاهل ص 4.
[3]: التصوف الإسلامي لزكي مبارك ص 53.
[4]: الرحلة 7/15-16.

ولما وردنا حضـرة قدسـية دخلنا ومن أسرارنا نعرف الإذنا
أبيح لنا دن المـدام فكلنا نشاوى الهوى والشرب لا ينقص الدنا
وقيل بساط الانــس هذا فأنـتم مباح لكم كل السـرور بلا استثنا
فكم سكرة نحظـى بها بعـد سـكرة وكم نعـمة في روضـة للرضا تجنى
وكان لنـا سر كتمناه غـيرة عليه فلم نكشف قنـاعا ولا بحنا
علـى حالنا حـام الخلائق كلهـم وصـحت لنا من بينهم نكـتة المعنـى

ويظهر لنا من أبيات أبي الحسن التجاني أن شعره مما تعشو أنواره أبصار أهل الحقيقة، ويعذب السمر في بساط سناه لأرباب تلك الطريقة، وذلك لحسن المحبوب الذي يفتن الحسن نفسه، وغيبة المرء في المحبة عن نفسه، والشرب الذي لا ينقص الدن في روضة الرضا وقد صاغ التجاني هذه المعاني بأسلوب رائق عذب بديع كما انه سالم من التكلف والتقعر والزخرف، وهو أميل إلى طريقة الأدباء منه إلى شطحات الصوفية. كما أن التجاني كان يستعمل بعض كلمات المتصوفة في وصف مشاعره والتعبير عن هيامه وذوبانه في المحبوب، ويمزج التصوف بالنسيب عندما يذكر جوى البين والهوى والشوق والحب والحسن المقيد والحسن المطلق والوصل والحال، وكانت تنقاد له أدوات اللغة ولا تستشكل عليه صورة من الصور ولا يضطر إلى غريب من اللفظ كقوله

وقفنا بأقدام الرعـــاية والهـــدى

على المرصد الأعلى فلاح لنا الســـنا

عشونا إليه كالفراش وكيـــف لا تحن له الأرواح وهو لنا المنــــى

وحين رأينا الحسن طاشــت عقولنا

وصـرنا إلى حـــال يلذ بها الفـــنا

قدمـــنا علــــيه باشتـياق وذلـــة

وخفر وتســـليم فأدنــى وأحسنـــا

ويبدو لنا التجاني لنا في مظهر المتصوفين، إذ إنه استعمل رموزهم واصطلاحاتهم، وامتلأت نفسه بما شعروا به من الغشاوة بالنور وطيش العقل وهيمنة

الفناء والشوق وغمرة الحسن والسناء، ولهذا نجد له قلبا للصوفي محققا يرى الذي أوجد الأرواح والصور[1].

وإننا نجد في أبيات التجاني بعض معاني ابن عربي التي يقول فيها: (البسيط)[2]

تاه الفـــؤاد بذكـــر الله وابتهـجـا

ولاح صبح الهدى للعبد وانبلجـا

وأسرج الله من أنوار حكمته

ومن معـــارفه في قلـــبه ســـرجا

فظل يفتح من أنوار رحمتـه على خليفته ما كان قد رتـجا

وذلك عندما يبعث الله في القلوب أنوارا من الحكمة والإلهامات التي تضيء بها القلوب فترى طريقها إلى الأسرار والحقائق.

ومما أنشده أبو الحسن التجاني أيضا لابنه أبي الفضل قوله في شعر يمزج فيه النسيب بالتصوف (الطويل) (24 بيتا) منها[3]

فرقت ومثلـــي من جوى البـــين يفرق

وقد قربت منهـــم جمـــال وأيـــنق

وقوضت الخيـــمات واختل نظمهـــا

وأذهب شك البين منها التحـقـــق

وظلت حداة الركب تحدو بركـــبهم

وظل غراب البين في الدار ينعـــق

1: الرحلة 16/7 انظر المعاني في شعر ابن عربي (قلب الصوفي) الديوان ص 242.
2: محيي الدين بن عربي ص 226.
3: الرحلة 15/7.

وساروا بمن أهوى وخلفت بعدها

وفي كبدي نار من الشوق تحـــرق

وكفي على قلب من الوجد خافق

ودمع الأسى من مقلتي يتدفق

وألفيت أن الحب مر مذاقه

وأصعب ما يلقى المحب التفرق

فلو كنت في يوم التفرق شاهدي

لأبصرت ثوب الصبر كيف يمزق

ولو نظروا حالي وقد أزف النوى

لها لهم ما بي ورقوا وأشفقوا

ألا كل حسن فهو حسن مقيد

سوى حسن من أهوى الذي هو مطلق

سترت اسم محبوبي بأسماء غيرة

ومالي في أسماء قصد محقق

ولكنني أكني متى ما ذكرته

فكتمي من أهوى ألذ وأليق

جعلت لقلبي منك نور محبة

يكاد به جنح الدجا يتألق

أتفتح لي باب المحبة منعما

ويصبح دوني باب وصلك يغلق

ثم لاحظ كذلك كثرة تكرار حرف القاف وفي ذلك دلالة معينة...

ومما قاله التجاني أيضا في معنى التوجه والإقبال والترقي إلى المقام الأسمى والأوجه قوله (الطويل)[1]

بكل مكـــان روضـــة قدســية ... فقف وتنزه حيثما كنت واشهد

ففي كل شيء بهـجة من جمالهم ... تلوح لذي وجـد وتبدو لمهـتدي

تجرد عن الأكوان واقصد جنـابهم

حقـــيرا فإن الفـــوز للمتــــــجرد

ولا تتعـرض للرضـــا بوسيــــلة ... إليهم ولكن في وســـائلك ازهــد

وكن مطلقا حتى يلوح لك الـسنا

فحـــين تــــراه مقلتـــاك تقـــــيد

سكرت ولكنــي بســـري لم أبــح ... فما أنا في سكر الهوى بمعــــربد

فمهما يبد لنا التجاني في صورة المتصوفين فإنه ليس من أولئك الذين أغرقوا في الاعتقاد وأغربوا في السلوك، فتصوفه تصوف العاقل وليس تصوف عربدة، ولا شك في أن هذه الأشعار تدلنا على ما كان عليه جانب التصوف عند المغاربة بصفة عامة، لأن فلسفتهم وتصوفهم وتشيعهم واعتقاداتهم كان يغلب عليها جانب الاعتدال أكثر من غيره[2].

ومن خلال الأشعار نستخلص مميزات القصيدة الصوفية ومنها اعتمادها على الألفاظ والرموز والمصطلحات التي يستعملها المتصوفون، وقد يكتنفها الغموض في بعض الأحيان، ولكن سياق الكلام عند التجاني يجعلنا نهتدي بسرعة إلى مفهومها ومعناها، وهم يستعملون تلك المصطلحات غالبا للتعمية والإخفاء كما عبر عن ذلك التجاني نفسه في بعض الأبيات التي ذكر فيها مصطلحات الغزل والحب والشوق، ولا شك في أن التجاني لم يقصد إلى حقيقة ذلك الغزل وظاهر معناه، وإنما كان يرمي من وراء ذلك إلى الحب الإلهي والفناء في الذات الالاهية.

---

[1]: الرحلة 16/7.
[2]: في تلك الأبيات توجيهات للسالك لابد من ذكرها وتحليلها لو كان هناك متسع من المكان.

وأما ما فيه من الإشارات الحبية أو الغرامية فلا تمثل إلا الاستشهاد في حب الله على طريقة الصوفيين[1].

2ـ المـدح

لما كان المدح فنا من فنون الشعر العربي الغنائي الذي يعبر فيه الشاعر عن تقديره وإعجابه وحبه للممدوح، فإن القصائد الواردة في الرحلة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام، فأما القسم الأول منها فيتمثل في تلك القصائد التي قيلت في مدح الأشخاص، إذ يحاول الشاعر فيها الكشف عن أخلاق هذا الممدوح ومستواه العقلي والنفسي، وإبراز نواحي طبعه ومزاجه، والإشارة إلى كرم خلقه ويده وشجاعته وثباته في المواقف التي تدعو إلى ذلك، وتظهر في هذه القصائد ملامح المدح العربي عامة، إذ إن فيها ما هو من المدح الخالص النابع من العاطفة الصادقة التي لا يرمي الشاعر من ورائها إلى طلب العطاء أو تأميل في تحقيق رغبة من رغائب الدنيا، ونجد ذلك في شعر الطلبة الذين يمدحون شيوخهم، أو في مدح الشيوخ لتلاميذهم، أو مدح هؤلاء لأصحابهم، وفي كلتا الحالتين لا يعجب الشاعر عادة إلا بمن هو أهل لأن يخلد بذلك الشعر الذي هو ديوان العرب.

فمن القسم الأول تلك القصائد التي في مدح الكتب والعلوم ولا شك في أن لها اتصالا بالقسم الأول، لأن أولئك الشيوخ والطلبة كانوا يمدحون بعضهم بعضا إذا أنسوا في غيرهم غزارة العلم والسمو في الخلق.

وأما القسم الثاني فيمكن أن يدرج في مدح الملوك والامراء والقضاة والرؤساء.

وقد أضفت إلى ذلك قسما ثالثا من المديح الممزوج بالتهنئة لأنه يسير على منوال الامداح السالفة الذكر.

أـ مدح الطالب شيخه

فأما القصائد الواردة في الرحلة في هذا الشأن فيطبعها ذلك الاحترام والتقدير المطلقان، لأن الطالب دائما يعجب بشيخه ويقدره حق قدره وذلك لما يربطه به من

---

[1]: التصوف الإسلامي لزكي مبارك 250/1.

العلاقات التي لا تشوبها شوائب الطمع في الرئاسة، أو اقتناء مال، أو حصول على عرض من أعراض الدنيا، ولهذا نجد الطالب يرفع شيخه إلى درجة الملوك، ويسمو به إلى مرتبة تدنو من مراتب الرسل والأنبياء الذين لهم رسالة كرسالاتهم وغاية كغاياتهم، ولهذا لا يأخذنا العجب إذا صدرت عن ذلك الطالب بعض الأوصاف التي نسمها بالمغالاة والغرابة وتجاوز حدود الواقع، وذلك لأن الطالب معجب بشيخه مخلص في حبه، إذ روحه مستمدة من روحه وعقله مقتبس من عقله وعلمه مستفاد من بحره.

فمما جاء في الرحلة من الشعر الذي يمدح فيه الطالب شيخه ما أنشده أبو العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن القصير الاشبيلي في أستاذه الأديب أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن جعفر المزياتي (الكامل)[1]

من رام رؤيـــــة آية فلـيأت　　　فلقد أتى عجزا بــها المزياتـــي

أدب كما انتسمت أزاهر روضة　　　نفح الحيا فيـــهن روح حيـــاة

فأجابه أبو القاسم المزياتي وكتبه ابن القصير لابن رشيد (الوافر)

لعمرك ما رأيت الشعر ســحرا

سوى ما حاك منه ابن القصـــير

وقد اقصرت عنـه ومن يجــاري

مـــديد البـــاع بالبـــاع القصـير　　ومنه:

وناديت ابن حُجْر مستغيثا　　وقل هل لمثلك من نصـــير

فلست مساويــا في قريضي　　ولو أصبحت فيه أبا بصير

ففي هذه الأبيات ما يدل على ذلك الإعجاب والتقدير المتبادل بين الطالب والأستاذ، واعتراف صريح بملك كل منهما من العلم والإحاطة والإجادة في الفنون والقدرة على بز الفحول من الشعراء كامرئ القيس والأعشى ميمون بن قيس.

[1]: الرحلة 9/2.

ومن ذلك ما أنشده أبو العباس أحمد بن يوسف السلمي، صاحب ابن رشيد، لنفسه وقد بعث به إلى الكاتب الأوحد أبي عبد الله محمد بن أبي العباس التجاني وهو من جيد شعره: (الكامل)[1]

حاشا لشعرك أن يكون مصونا أو أن تكون به علي ضنينا
لكن قصدت بطيه عن نشره معنى بديعا زاده تحسينا
نظمـــته من لـــؤلـــؤ فكننـــته كيمـــا يصير اللـــؤلـــؤ المكنونا

وهو يريد بذلك أن يكشف لنا عن رسالة الشيخ الذي لا يضن بعلمه أو يبخل به، لأنه ينبغي أن يكون دائما سراجا للمهتمين من الطلبة.

ومن ذلك ما خاطب به إبراهيم بن عبد الحميد النحوي المعروف بالغزولي، أبا الحسن بن عصفور وقد أفاد به أبو العباس السلمي صاحبه ابن رشيد (27 بيتا) (الوافر) ومنها:[2]

بالأستاذ ابن عصفـــور علـــي تحلى دهـــرنا لا بـــالحلـــــي
مبادي النحو كانت من علـــي[3] فاتت بعـــده لأبـــي علـــــي[4]
فصارت في دفاتـــره وصـــايـــا تسلمها علـــي من الوصـــــي[5]
فقام بها وكـــان لها كفـــــيلا وقومـــها على المنـــهج السوي
يقـــرب بالمقـــرب[6] كـــل معـــنى تبـــاعد عنه فـــهم الفارســـي[7]
ونـــاظر للخلـــيل وسيبويـــــه والاخفـــش والمـــبرد والســـري[8]
ويحيى[1] والكسائي ثم عيسى[2] ويونس[3] والعلا[4] والأصمعي

---

[1]: الرحلة 90/6.
[2]: الرحلة 92/6-93.
[3]: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
[4]: وهو ابن عصفور.
[5]: لاحظ أن الغزولي قد استعمل أحد الاصطلاحات التي يفهم منها معنى التشيع.
[6]: وهو أحد كتب ابن عصفور المشهورة.
[7]: هو أبو علي حسن ابن أحمد الفارسي النحوي (توفي 377هـ) وهو صاحب كتاب الإيضاح. كشف الظنون 211/1.
[8]: هو إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي. ابن خلكان 49/1.

وليس له من القرنا قرين يباريه فيذكر في روي

ويقول في آخرها:

عليك سلام حب مستهام مشوق بالغداة وبالعشي

فأخلق بابن عصفور أن تكون هذه صفاته ومزاياه، إذ يكفيه فخرا ما أغنى به اللغة العربية من المؤلفات النفيسة وغيرها من العلوم والفنون[5].

وما كتب به علي بن أحمد التاذفي في مدح بهاء الدين ابن النحاس، وكان قد طلب منه أن يبيت عنده (البسيط)[6]

يا أيها المالك المولى الذي يده

تكف كف العدا إن نابت النوب

العالم العامل الذي شهدت بفضله الفئتان العجم والعرب

ومن نلم به في كل معضلة لان الدهر منه الرعب والرهب

كالغيث إن يأت أرضا وهي مجدبة

يحيا به حيوان الأرض والعشب

لم يبق للخلق إلا أنت منتخب

فليس تعمل إلا نحوك النجب

قد صح بين جميع الناس كلهم

أن العلا إلى علياك تنتسب

---

[1]: هو يحيى بن يعمر مراتب النحويين ص 50.
[2]: عيسى بن عمر مراتب 43.
[3]: يونس بن حبيب. مراتب 44-47.
[4]: أبو عمرو بن العلاء مراتب 33-42.
[5]: انظر قائمة كتب ابن عصفور في دراسة الرحلة ص: 962 وكذا في مقدمة تحقيق كتابه المقرب ص 5-6.
[6]: الرحلة 30/3.

قد شرف العلم قوما لا خلاق لهم

وأنـــت تسـمو بك الآداب والـــرتب

أما الكتاب فلا أرضى به بـــــدلا

إلا إذا جاءت الخمـسون والكتـــــب

فإن فعلت فقد أسديت تكرمـــــة

إن المكـــارم من نعمـــاك تكتـــسب

فلا برحت قرير العـين في دعـــــة

ودمــت ما كانت الأيـــام والحقــــب

وإذا عرفنا أن ابن النحاس الحلبي هذا كان ممن رفع لواء العلم في العربية واللغة، أدركنا ما قصد به التاذفي في شعره. وهذا ما حمله على المبالغة والغلو في قوله:

لم يبق للخلق إلا أنت منتخبا البيت.

ومما أنشده أبو بكر بن حبيش من شعر ابن المرابط أبي بكر الكاتب من أبيات يمدحه بها (الكامل)[1]

فافخر أبا بكر فما داناك في[2] حوك القريض وحيده المتنبئ
وأنسبه للفخر العظامي لؤلؤاً فله يقـل، وإن تسامـى اللؤلؤ

ومن ذلك ما خاطب به أبو عبد الله بن الحكيم أستاذه ابن حبيش (الكامل)[3]

[1]: الرحلة 9/2.
[2]: كتب في هامش المخطوطة: ساواك.
[3]: الرحلة 9/2.

مـا للغريب إذا تذكـر آلـه وبـلاده لم يـستطب أحـواله
وإذا تنسم نفـحة من أرضه أضحى يردد للجـوى إعـواله
وغدا يسح مدامعـا تنسيك من وبل السحاب بسكبها هطـا له
ما ذاك إلا أن من يندى بـها وبـذاك يشـغل بالصبابة بـاله
وأصح شـيء في الهـوى وحديثه أولـى لمـن يعنى به أولـى لـه

أبني الهوى إن شئتم خبر الهـوى فأنـا جهـينته أحـقق حـاله

ويقول مخاطبا ابن حبيش:

محمد بن حبيش الحابي الجدا يولي القريب بفضله أفضاله
إن الذي يأتي أبا بكر لقد جمعت له أيامه آماله
من قدره في المد معلوم فما قدر الكواكب أن يكون نعاله
علم المعارف قطبها الأعلى ومن يَسْطِيعُ أن يصف الرفيع كماله
ما قدر مـثلي أن يخاطـبكم ولو مُلِّكْتُ من سـحر البيان جَـلا له

ومن بديع قوله فيه:

فالشعر لست له بـأهل إننـي لم أستـطع طـول الزمان مقـاله
فإذا أردت قريضَهُ قطعـت مـن معـناه أو مـن وزنـه أوصـاله

ومنها:

ويقيم والدهـر جـار وفقكـم مـا عـاقبت بكـراته آصـاله

وقد استطاع ابن الحكيم الشاعر أن يجاري أفراس ابن حبيش في ميدانها ويأتي بما هو أبلغ وأقوم قيلا مما سبق إليه ذلك الأستاذ الأديب الناقد.

ومن ذلك ما انشده شيخ ابن رشيد جمال الدين محمد بن محمد بن الجابي البزاز يخاطب شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان (15 بيتا) (الكامل)[1] منها:

---

[1]: الرحلة 80/5. والمخاطب هو أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني نزيل الاسكندرية، عارف بمذهب مالك، أشعري منحرف عن الحنابلة توفي سنة 683هـ. الشذرات 384/5.

عـــرج ببــاب المنــحــنى وقبــابــه

واســأل أهــيل الحـــي عــن أعـــرابه

وانشد فــؤاد متــيم قلــق الحشـــا يشكو الجفا والبعد عن أحبابه

واقْرَ السلام على الحبـيب وقـــل لــه

صـــل والـــها يحظـــــى غداً بــثوابــه

واعطف وجد وارحم كئيبــا مدنفـــا

قـــد صرحـــت عــــواده بذهـــابه

قد قرح الدمع المصون جفونــــه وتـــبرحــت أحــشاؤه بمصـــابه

لا يستطيع تصبرا عن وصــل مــن يفتر عـــن بـــرد ومـــسك رضـــابه

أتـرى أرى الوجـه الجميل ويشتفـــي

قلـــبي المعـــنى مــن لـــذيـــذ عتـــابه

يا عـــاذلي دعني فلو عاينـــته مـــا عاينـــته من لفــظه وخطـابــه

لقـــدرتني ونظرت حسنا بارعـــا ورأيـــت ألفاظـــا أتـــت بكتـــابـه

وبعد هذه المقدمة الطويلة التي مهد بها لذكر الممدوح قال:

هذا ابن نعـــمان الـــذي كــل الـــورى

يبـــغون علـــما نـــازلـــين ببـــابــــه

شمس لنور الله حافظ علــمه بـــر تـــقي زاد في آدابــــه

يا واحدا في عصــره وزمـــانه يـــا منعـما في بعـــده وإيـــابه

بادرت تشريفا فزدت جـــلالة ورقيـــت عـــزا يا أجـــل صحابه

من رام مدحك فهو عنـه عـــاجز ماذا يقــول وأنت فـوق جـوابـه

لقد أجاد البزاز في وصف هذا العالم الجليل لأنه أسند إليه كل أوصاف الجلالة والمهابة.

ومن شعر المدح قول أبي الحسن علي بن محمد الأنصاري القيجاطي يمدح القاضي الإمام العالم أبا الفضل بن البراء. ومع أن القيجاطي هذا كان يترفع بهمته إلى المعالي من الأمور ويعزف عن مخاطبة الجمهور، لأنه كان ذا انقباض وتألم من زمانه وارتماض، فإنه أنشد هذه الأبيات لابن رشيد وصاحبه أبي الفضل التجاني ليعبر بهما عما كان يكنه لأبي الفضل بن البراء الإمام العالم من التقدير (ثلاثون بيتا) (الكامل) منها:[1]

أهدى إليه خياله متعطرا فغدا المحب منعما مستبشرا
وافاه وهنا سافرا عن غرة خلعت عن الاظلام صبحا مسفرا
عانقته كالغصن أملد ناعما وعلقته كالظبي أحوى أحورا

ومنها:

يالائمي بان افتضاحي في الهوى
وأقام عذري أن تراه معذرا
ما باختياري قدت نفسي للأسى
إذ كان ذلك في الكتاب مسطرا
لا خنت عهدا في هواه ولا أرى متسليا عنه ولا متصبرا

وبعد المقدمة الغزلية وذكر التحمل والارتحال ووصف العيس والنوق، تخلص إلى مدحه بقوله:

ما في مشايخ عصرنا العلماء في
شرق وغرب من يباري ابن البرا
الأورع الاتقى أبا الفضل الذي في فضله وتقاة اجماع الورى
مبدي رسوم العلم بعد عفائها ومبيد آثار العماية والمرا
لولاه ما وضح الحديث لنا ولا سنن النبي ولا المفصل فسرا
يروى فيروي الدين من ظمإ به فترى هشيم الروض منه أخضرا

[1]: الرحلة 111/6.

مهما دجا الشك استنار ذكاؤه   فبدا لمستهد شهابا نـــــيرا

ومنها:

يا مـــن بمالك أو ســواه يقيـسه   أخطأت "كـل الصيد في جوف الفرا"[1]

لا تعـــتبر إن فـــاته متـقدم   فله الشـفوف بأن أتـــى متـأخرا[2]

فنبينا وهـــو الأخـير رسـالة   في الرسل يشفع حين يأتي المحشرا

حـبر أنامــله البـحار وخلقه   يهـديك عــرف المسـك مــازج عنــبرا

جافــى المضــاجع قانـتـا متهــجدا   في ليلـــه فجفونه جفــت الكـــرا

شيــخ الشيوخ بســـنه وبـعـلمـه   وفتـــى فـــتاء إن تجـي مستـنصرا

أما الاله فقد غدا لك شاكرا   نصـح الخليـفة مـوردا أو مـصـدرا

بسطت يداه منــك بالعضــب الــذي   تدعـــــوه منـصورا بـه مستـنصرا

لقد وردت في السنة المشرقة أن العالم والمتعلم شريكان[3]، وان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب[4]، ولهذا نجد طلبة العلم يحترمون شيوخهم ويجلونهم ويحلونهم المكان الأرفع، ويكنون لهم أعظم التقدير والاحترام، وإن أجلى ما نلاحظ في هذه القصائد هو صدق الشعور وصفاء الطوية دون كذب أم مين، فالطلبة لا يصفون شيوخهم إلا بما فيهم، ولا ينساقون وراء خيالاتهم في الإغراق والمبالغة، فهؤلاء ليسوا إلا من أولئك الذين يجافون المضاجع ويتهجدون في الليل، ويبدون رسوم العلم بعد عفائها ويبيدون آثار العماية والمراء، وقد صاغ هؤلاء الطلبة كل ذلك في أسلوب جزل رصين يناسب عظم الموقف وجلاله.

---

[1]: وهو مثل يضرب في الواحد يقوم مقام الكثير لعظمه. انظر المستقصي في أمثال العرب للزمخشري 224/2.

[2]: هذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري:

إني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

[3]: انظر شرح الحديث في كتاب جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر النمري 33/1.

[4]: نفسه 30/1.

ب ـ مــــدح الشيخ تلمـــــيذه

ومما ورد في الرحلة من الشعر الذي يمدح فه الشيخ تلميذه ما انشده أبو الحسن ابن رزين يخاطب أبا الفضل التجاني (12 بيتا) (الكامل) ومنها:[1]

يا متحـــفا مـــن بـــره وبـــيانه   بغنـــى العـــديم ونزهة المتـــبصر

أهديت لي منك السلام معطرا   فشممت منه شذا النسيم الاعـطر

سبقت بديهتك الروي مبرزا   سبـــــق الـمذكر والعتـاق الضمر

لله من فضل حويـــت جميـــعه   أو فضـــل نظم بالبـــديع مـــحبر

وقد حاول ابن رزين في هذه القصيدة أن يفيد من شعر أبي تمام وصوره البديعة، ويقلد فيها رصانة المتنبي وجزالته ومتانة أسلوبه، وقد كان أبو الفضل ممن جمع إلى شخصيته القوية علما غزيرا وظرفا وكرما وحسن خلق، ولهذا وصفه أبو الحسن بن رزين بذلك ولم يعد الحقيقة.

ومن ذلك أنه لما وصل ابن رشيد إلى تونس كتب إلى شيخه أبي بكر بن حبيش بأبيات يقول فيها: (الطويل)[2]

وصلت أبا بكر غريبا لِتُونُسَـا   فأقررت عينا بالقدوم لتونِسَـا

وفيها (أربعة عشر بيتا)

وبما أن ابن حبيش كان قد الزم نفسه أن لا ينظم شعرا إلا في توحيد الباري تعالى أو تسبيحه أو تقديسه أو مدح نبيه صلى الله عليه وسلم وأهل بينه الكرام، فإنه كان إذا خوطب بشيء من الشعر يجيب عنه تلميذه الخاص به، وصاحب ابن رشيد وصديقه، الأديب النحوي أبو محمد عبد الواحد بن مبارك، وهو الشاعر الصوفي المطيل المطنب، ولهذا انتدب نفسه للرد على أستاذه، فجاء بهذا الدر النظيم:

وردت فأوردت المنـى ما تبجســـا

لديك من الفضل الذي جل مؤنـســا

---

[1]: الرحلة 83/6.

[2]: الرحلة 5/2، وانظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

أبنت لنا عن مغرب عـاد مشـرقا

بما عاد من شمـس اعتلائك مشـمسا

حوت سبتة في الفضل سبطا بأن رمت

بسهمك أغـراض الكمال مقرطـسا

وصارت رياضا كلـها بأن اغتـدت

لغصن المـعالي منك والعلم مغرسـا

فيا ابن رشيد ذا الفـخار محـمدا

وباسمك أضحـى الوصف فيك محبسا

لقد طابق اسما منك معنـى حويـته

كما طابق الروض الشـذا المتنفسـا

فدينك ما تلك العروس التـي غدا

بها كفؤها في الحسن والفخـر معرسـا

ولم تقـن إلا در لفظـك حلـية

ولم تكـس إلا وشـي خطـك ملبسا

فقـدرا مـن التقصـير أني أهـله

ومن يعترف بالفضـل ينـبل وإن أسا

فلا زلـت للآداب والعلـم روضـة

تسقـى من الفهـم الحيـا المتبجـسا

ومما تظهر فيه عاطفة الشيخ نحو طالبه ما رواه أبو اسحق بن بتري القرموني المالقي، شيخ ابن رشيد، قال: ومن الأشياخ الذين كتبوا إلينا بالإجازة العامة الشيخ

الفقيه الجليل العلامة أبو محمد بن عبد الله الاستجي المالقي الدار وهو الذي كتب إلينا بالقصيد المنظوم الذي أوله: (الطويل)[1]

بدأت بباسم الله والحمد والشكر

على فيض آلاء تجل عن الحصر

وبعد ابتداء باسمه وثنائه

أصلي على الهادي المشفع في الحشر

وأنظم من در الكلام قلادة وإن معاني العلم أسنى من الدر

أجزت الخطيب المدرك المعتلي أبا

الوليد بن حبي واحد النظم والنثر

وأبناءه والله يهدي جميعهم

ويبقي لهم في العلم سابقة الذكر

أبا القاسم البادي النجابة أحمدا

ويحيى المكنى فيهم بأبي بكر

وإن أبا اسحق فيه نجابة

ولم تر في الأبناء انجب من بتري

فإن لبتري مقاصد عندما تجرد يزري بالعوالي وبالبتر

هم خمسة تكفي بهم غير عاين[2]

فعدتهم فيها أمان من الذعر

فهذا النوع من الشعر يوضح تلك العلاقة الوطيدة بين الشيخ وتلميذه، إذ إن تبادل الإعجاب كناية عن الاعتراف بالفضل والخير، ثم إن في ذلك أيضا إسقاط حجاب

---

[1]: الرحلة 105/6.
[2]: عائن، من عان يعين أصابه بعينه فهو معين. مختار الصحاح.

الرهبة التي قد ترين على بعض المجالس العلمية التي لا يستطيع الطالب فيها مقاطعة شيخه أو إبداء رأيه أو رد بعض ما لا يقبله، وفي تبادل هذه القصائد فوائد جمة، نلاحظ من خلالها نفسية الأستاذ أمام طلبته، وكيف يحلهم محلا معينا من نفسه، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض الأساتذة يسمحون لتلاميذهم بما لا يسمحون به لغيرهم مثلما لاحظنا في ترجمة الشيخين أبي بكر بن حبيش وأبي القاسم بن زيتون وعلاقتهما بتلاميذهما[1].

ومما يلاحظ في هذه القصائد أيضا عدم التكلف في استعمال المحسنات البديعية لأن الشاعر لم يكن يهمه الزخرف والتنميق بقدر ما كان يهمه المعنى والفكرة، ولهذا لا نجد فيها كثيرا من صور الافتتان والصنعة مثل إيراد أنواع التجنيس والتورية وغير ذلك، ثم إننا لا نعثر فيها على صور الإغراق والمغالاة في وصف الممدوح، وإنما يغلب على هذه القصائد كلها نوع من القصد الاعتدال، وحتى إذا جاء شيء من ذلك فإنه لا تستك منه المسامع أو ينبو عنه الطبع، وذلك مثل قول ابن الحكيم في ابن حبيش:

من قــدره في المجــد معلــوم فمــا

قدر الكواكب أن يكــــون نعــالــه

وتقيـم والدهر جـــار وفقــكم   مــا عاقبــت بكــراته آصــالــه

وإذا قارنا هذه القصائد بغيرها في الشعر الديني استخلصنا أن قصائد المدح هذه يغلب عليها الاهتمام بالمعنى أكثر من المبنى.

ج ـ مدح الكتب والعلوم ومصنفيها:

كان للكتاب أهميته العظمى في الوسط العلمي في الأمة الإسلامية إذ كثيرا ما نجد كتابا معينا يستقطب اهتمام جماعات من العلماء والأدباء في مختلف العصور، ولهذا غالبا ما كانوا يشيدون بصاحبه ويذكرون فضله وأهميته وأثره في العلوم المختلفة وفي المفكرين.

---

[1]: انظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

ومن هذه الكتب الجليلة كتاب اقتطاف الأنوار واختطاف الأزهار من بساتين العلماء الأبرار لأبي القاسم بن الطيلسان، فقد أنشأ أبو محمد عبد الله بن هرون الطائي القرطبي يذكر هذا الكتاب ويمدح مصنفه (الكامل)[1] ومن ذلك:

طالعت منـــها روضـــة معطـــارا أحيت مآثر جددت آثـــارا
صحفا متى فتحت أوراقـــا لها خلت الكمائـــم فتحت أزهـــارا
القلـــب فيها يجتـــني نـــوارها والعين فيهـــا تجتلي الأنـــوارا
شتى المحاسن قد حـوته فأصبحت ما إن يعـارض حسنها ويبـــارى
وإذا أردت العلم فانظر ما رووا تبـــدي أســـرته لك الاســـرارا
وإذا أردت الصـــالحين وذكرهـــم فالمـــح بها الزهـــاد والابـــرارا

واقرأ أحاديـــث النبـــي المصطفـــى

وتصـــفـــح الاخبـــار والاحـــبارا

ولتقتطـــف الأنـــوار من صفحاتهـــا وسطورها ولتـــخطف الأزهـــارا

أبدى بهـــا ابن الطيلســـان عجائبـــا

شتـــى وأظهـــر حسنـــها اظهـــارا

وفي شيـــوخ العلـــم فيـــها حقـــهم

وأطـــال صيـــتهم بهـــا وأطـــارا

ومما يعد في هذا المضمار ما أنشده صفي الدين المراغي قال أنشدني الإمام أبو عمرو بن الصلاح لنفسه في كتاب مشارق الأنوار للقاضي عياض، وهو أول شعر قاله (الطويل)[2]

مشارق أنوار تسنت بسبتة * * وذا عجب كون المشارق بالغرب

---

[1]: الرحلة 57/7.
[2]: الرحلة 5/3.

ولما قال هذا البيت أبو عمرو بن الصلاح فإنه قد عرفنا مقدار القاضي عياض المغربي ومكانة كتابه مشارق الأنوار، في نفوس كل من يشتغل بالحديث[1]. ومن شدة عناية المحدثين به أن اختصره بعضهم ونظمه واستدرك عليه[2].

ثم إن هذا التعليق مهم يدل على عدم الاهتمام بعلماء المغرب إلا أن يكون قدرهم علماء ملحوظون من خارج المغرب.

ومن حديث اجلال الكتب النفيسة ما كان ذكره أبو الفضل التجاني من خبر عن كتاب المحرر على كتاب المفصل، وهو في النحو للفخر بن الخطيب وكان يرويه على الشرف الجزائري، وكان أبو الفضل قد كتب فيه أبيات منها: (الطويل)[3]

محـــلك ممن يرتـــجيك قريـــب ... ومرعى الأماني من نداك خصيب
طبعت على علم ومحض فضـــائل ... فمالك في كـــل الأنـــام ضريـــب
لك الله من حبر وبحر معـــارف ... به العلم يزهو والزمـــان يطيـــب

ومنها:

أيا شرف الديـــن الكفيل بأنـه ... إذا ما دعا داعي الرجاء يجيب
رجوتك في هذا فجدلي ببعضـــه ... قريبا ونـــيل السؤل منك قريب
رمزت بما ألقي فباحـــت بمطلبـي ... أوائل أبيـــات بـــذاك تثـــوب

ولما طلب بعض التونسيين إلى أبي الفضل إعارة هذا الكتاب النفيس أنشد أبيات منها (البسيط)[4]

يا محرز الســـبق في مـــيدان آداب

وذا البيان الذي يصـــبو له الصـــابي

---

[1]: انظر شعر ابن رشيد وإضافته بيتا إلى هذا البيت، وما قيل في ظلم عياض من أبيات: أزهار الرياض 343/4 وما بعدها.

[2]: انظر كتاب مطالع الأنوار لابن قرقول، كشف الظنون 1687 و1715. وهو مخطوط في خزانة الجامع الكبير بمكناس، في خط جميل رائع.

[3]: الرحلة 62/6.

[4]:نفسه.

بلغت بالقطر غايات تركـــت بها

فكر ابن حجـــر بليدا عـــاثرا كابي[1]

حقق فديتك ما أبغـــي وآمـــله

فأنت أفضل من يرجـــى لتطـــلاب

ومن تلك الكتب كتاب معجم أصحاب أبي علي الصدفي لابن الابار، فقد كان في آخر ذلك الكتاب ما نصه: يقول عبد الله حكم بن سعيد الحكم بن عمر بن حكم القرشي وفقه الله: كتب سيدي ومولاي رضي الله عنه إلى الفقيه الكاتب أبي عبد الله القضاعي مؤلف هذا المعجم لما بعث به إليه أبياتا من نظمه (الكامل)[2]

يا طول فخر قضاعة بأخيـــها ماذا أفـــاد من العـــلوم بينها

أهدى إليهـــم من نتـــائج فكره حـــللا يجلي بالهـــدى مهديها

وأبـــان في التـــاريخ كل هداية ظـــل الزمـــان خـــلاله يخفـــيها

فبحقه يســمى أبو عبد الالـــــــــه مؤرخـــا ومحدثـــا وفقيـــها

وإذا جياد للكـــتابة أجريـــت لم يجر إلا لاحـــقا ووجيـــها[3]

ومن الشعر الذي قيل في الكتب المفيدة والنادرة أنه لما وقف ناصر الدين الحصري على شرح أبي جعفر اللبلي لكتاب الفصيح استحسنه غاية الاستحسان وأطنب في وصفه والثناء عليه ونظم فيه أبياتا منها (الخفيف)[4]

نطق الدمـــع عن فـــؤادي القـــريح

بلســـان مـــن الغـــرام فصـــيح

معرب عن حشـــاشة أنحلـــتها راحة البـــين من يد التـــبريح

---

[1]: كابيا، وقال (كابي) للضرورة.
[2]: الرحلة 76/6.
[3]: لعله يعني الوجيه واللاحق في بيت طفيل:
بنات الغراب والوجيه ولاحق ... لسان العرب 455/17 و203/12 والوجيه واللاحق من خيول العرب. وانظر أيضا ديوان ابن الابار. وكتب الخيل وهي كثيرة.
[4]: الرحلة 33/2.

قائل أنني ضـنيت ولم يبــق من الجسم غير سقمي وروحي

من هوى شادن أحـم بعينيـه لقلبي يهدي الغرام ويوحـي

غصن بان تهزه نشـوة الـد ل فتثني قـوامه دون ريـح

جرحت خده العيون وأضحى كل قلب جـراح ذاك الجريـح

يا أبا جـعفر فـداؤك قوم قتلتهم أنفاس شرح الفصيـح

ومما يدل على الشعور بتلك النشوة اللذيذة عند قراءة كتاب مفيد أو ختمه أو حفظه أو شرحه، ما أفادنا به أبو جعفر اللبلي قال: قال لي شيخنا ناصر الدين الحصري: لما ختمت كتاب الكامل، وكنا في منظرة[1] حسنة على النيل فقلت هذه الأبيات (مجزوء الرجز)[2]

بشاطـي مصر جـنة مـا مثـلها في بلـد

لاسيمـا قـد زخرفـت بنيـلـها المطـرد

وللريـاح فـوقـه سـوابـغ مـن زرد

قد وشيت بالشمس من شـعاعهـا بعسـجد

ومنها:

والفـلك كالأفـلاك بيـن حـادر ومصـعد

تكاد مـن خفتـها تطـير فوق الفـرقد

ونحـن في منظـرة مثـالهـا لم يوجـد

كـأنها الجـنة لـكنـا بهـا لم نخلـد

[1]: المنظرة هي المرقبة، أو موضع في رأس الجبل فيه رقيب ينظر العدو لسان العرب ن.ظ.ر. ووردت في الرحلة أيضا المنضرة، من النظارة والوجه صحيح.

[2]: الرحلة 33/2 ويسمى ذلك الكتاب الذي شرحه به: بتحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لثعلب في اللغة: كشف الظنون 1273 وهدية العارفين 100/1، وانظر دراسة هذا الكتاب وتحقيقه على يد الدكتور عبد الملك التبيتي. القاهرة ط، 1997.

يوم قـــرأنا آخـــــرا لكـــامـــل المـــبرد

فما ألذ النزهة بعد ختمة كتاب أو انتهاء مجلس علمي.

هكذا نجد تلك العلاقة المتينة بين مدح الطلبة لشيوخهم والشيوخ لطلبتهم، وبين مدح الكتب والمؤلفات التي سار ذكرها شرقا وغربا في بلاد العالم الإسلامي، لأن تلك الكتب كانت تمثل عنوان الحضارة ومقياس الرقي في ذلك المجتمع الذي كان يعرف قدر العلم وقيمته، ولهذا كان ذلك عندهم بمنزلة الاعلاق التي ينبغي أن تصان في الحقق، بل إنها العيون والحدق.

د ـ مدح الملوك والأمراء والقضاة وعلية القوم

عرف الأدب العربي القديم قصائد في المدح تعنو لها الجباه، منها ما جاد به النابغة والمتنبي وأبو تمام البحتري وأبو نواس وغيرهم ممن كان يتمتع بتلك الملكة الشعرية الفائقة التي استطاعت أن تجود بكثير من الدرر النفيسة والتي لا يزال الأدب العربي يحفظها في حققه مصونة عزيزة، ولم تكن تلك الملكة مقصورة على مكان دون مكان أو زمان دون آخر، وإنما نجد منها على مر العصور قصائد أحرزت الإعجاب والتنويه.

فقد وردت في الرحلة أشعار للمغاربة والمشارقة، وهي تنم عن ذوق قائلها ومتخيرها وموردها، وتعطينا كذلك صوراً عما وصل إليه تطور معاني الشعر في مختلف الأعصار والأمصار.

فمن ذلك ما أخبر به أبو اسحق بن أبي الوليد التجيبي في ما كتبه لابن رشيد قال: أنا أبو محمد طلحة أنا أبو سليمان داود بن سليمان الأنصاري أنا ابن حوط الله إذنا قال: أنشدني سراج بن عبد الله العثماني للقاضي أبي بكر بن عطية (الطويل)[1]

إذا لثـــموا بالـــريط خلـــت وجوهـــهم

أزاهـــر تبـــدو من فتـــوق كمائـــم

[1]: الرحلة 17/2.

وإن قنـــعوا بالســـابرية أبــــرزوا

عيون الأفـاعي في جلـــود أراقـــم

ففي هذين البيتين[1] وصف للملثمين ملوك المغرب المتقدمين في شجاعتهم وصعوبة مراسهم ومضاء شوكتهم، وهو من بديع الوصف وأحسن ما يقال في مدح أمة في حالتي السلم والحرب.

ومما قيل في المدح الذي تضمن معنى الشكوى ما أنشده أبو العباس الكتاني، صاحب ابن رشيد، لأبي عمرو عثمان بن عتيق العامري المهدي، وقد سأله أبو زكرياء الحفصي عن حاله فأنشده: (الطويل)[2]

يقولون لي ما الحــــال وهي خفـــية

إذا لم يكن وصـــف جلي ولا شـرح

وما حال أفراخ أخامص أصبحـــوا

وليس لديهـــم لا شعير ولا قمـــح

فمالي أراهـم جُوَّعًـــا ووراءهـــم

عوارف لطف الله والملك السمـــح

فما كان من أبي زكرياء إلا أن وجه إليه بعدد كبير مما طلب، ولعل ذلك بسبب الشاعرية المتدفقة التي هزت أريحية الممدوح وفتقت معين الندى فيه بتلك الأبيات التي لا يدانيها إلا أبيات الحطيئة الرقيقة في تصوير الخماص الجياع الذين لم يغتدوا خبز ملة ولا عرفوا له مذ خلقوا طعما.

ومن ذلك ما أنشده أبو بكر بن حبيش في القائد هلال رحمه الله وقد شكا إليه (البسيط)[3]

---

[1]: انظر هذين البيتين في الذيل والتكملة سفر 4 ص 9 (جلود الأراقم) وانظرهما أيضا في المطرب لابن دحية ص 91.
[2]: الرحلة 89/6.
[3]: الرحلة 9/2.

كيف القلاء فإشفاقي كما علما وإن وثقت بأن الله قد عصما
فارقتكم ويد الشكوى تلاعبكم فجد خوفي وجادت عبرتي ديما
فإن حملت ضناكم كله فكفى أولا فصحوا وزيدوا عبدكم سقما

فمعاني ابن حبيش العميقة تنظر إلى بعض قول المتنبي في مدح سيف الدولة:

وا حر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم[1]

وهي مما يصور شدة التعلق بالممدوح والإخلاص له والتفاني فيه، وقد صاغ ابن حبيش، بحسن تصوره وعميق إحساسه وشعوره ذلك المعنى بكلام بديع، ولهذا حمله في تعلقه بالممدوح على تمنيه أن يكون الموقف والحالة التي يعاني فيها الأمير من شكواه.

ومما أنشده الشيخ الكاتب أبو الحسن بن رزين لابن رشيد قال: أنشدنا صاحبنا الكاتب أبو عبد الله بن الجلاب الفهري رحمه الله لنفسه يمدح الرئيس أبا عثمان بن حكم أمير منورقة (الطويل)[2]

مدائحهم في الأرض جد سوائر وأيمنهم للبذل غير (سوائم)
تتبعت ما شادوه منه مشيدا كذاك الخوافي نفعها بالقوادم
وفجرت من يمناك خمسة أبحر تفيض وقل إن شئت خمس غمائم

وخوفت أهل الشرك في دارهم فهم
يودون من حاليك حال المسالم

شريعة عدل منك قد بنيت على
يراع ورأي لا يفل وصارم

ثلاث بها التوحيد عن علمك اغتذى
فلله عال منه لاذ بعالم

---

[1]: الديوان 80/4.
[2]: الرحلة 92/6.

وإن في مدح ابن الجلاب لصدقا وإن عليه لطلاوة وحلاوة، لأنه لم يمدح أحد بني حكم إلا بما فيه، وقد عرفت هذه الأسرة في ثغر منوقة بعلمها وجهادها وكرمها واحتضانها للعلماء، وإنها كانت ربة القلم والسيف تحافظ بهما على التراث الإسلامي وتصد جيوش المغيرين والمعتدين[1].

ومن شعر المدح ما قاله أبو الحسن بن عمارة في أبي الحسن اليمني الذي صلبه الملك صلاح الدين بمصر[2] (الكامل)

ملك إذا قابلت بـــشر جبينـه	فارقـته والبـــشر فوق جـــبيني
وإذا لثمت يمينه وخرجـــت من	أبـــوابه لثـــم الملـــوك يـــميني

ولا شك أن في هذين البيتين معنى بليغا يندر أن تجود القريحة بمثله. ولِلأَخْطَلِ مثل هذا المعنى، في خمرياته (عَلَيْكَ أمِيَر المؤمنينَ أميرُ).

هـ - المدح والتهنئة

وهذا وجه آخر من المدح لحمته وسداه تهنئة باعذار، وهي من القصائد الغراء لأبي محمد بن أبي تميم الحميري الذي كان صدر بلغاء تونس، وأحد أدبائها الكبار وخدمائها وحسبائها الأمجاد، وقد أفاد به أبو محمد بن عبد الواحد صديقه ابن رشيد قال: ومما قاله الحميري يمدح أبا عبد الله محمد بن أبي علي يونس الهنتاتي ويهنئه بختمة حفيده يونس واعذاره، فسمى قصيدته هذه رقم العذار في التهنئة بالختمة والاعذار. وفيها سبعة وسبعون بيتا ومنها: (الخفيف)[3]

أي يوم يفوق حد التهـــاني	لم يقم وصفه مقـــام العيان
إن تسلني به تسائـــل خبيرا	لو يطيق البيـــان عنه لـساني
كلما رام عنـــه نطقـــي بيانا	أخرستني مهـــابة في جنـــاني

---

[1]: انظر عن ابن حكم: الذيل والتكملة سفر 4 ص 29 وعنوان الدراية 254 واختصار القدح المعلى 28 والمغرب 2/ 469.

[2]: الرحلة 3/7. ووفيات الأعيان 431/3 أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني، وانظر قصة صلبه وشنقه في وفيات الأعيان 435/3. وقد ذكر ابن رشيد أن صلاح الدين قد بلغه أن أبا الحسن بن عمارة كان يسعى في فساد دولته.

[3]: الرحلة 58/2-59-60.

قد غفرنا به ذنوب الليـــالي   ومحونا به خطـــوب الزمـــان
فلو أن العلا بســـبق لـــجاءت   ليلة القـــدر وهي في شعـــبان
كم خليع سمـــعت مثلي ينادي   أسقياني يا عاذلـــي اسقيـاني
فتروي المـــدام ظامي عظـامي   ويكون السـرور حلف مكـاني

ويقول فيها:

وثنائي السرور فيـــها صـــريعا   فاعجبوا من مـجدل جـــذلان
وإذا اعْتَلَـــي بأعلـى جـــدار   قلت كـــسرى علا على ايوان

وبعد مقدمة طويلة في وصف الحال والطبيعة والأنس وذكر فضل أبي عبد الله الهنتاتي وأخلاقه خلص إلى الغرض الرئيس فقال:

لا عدمنا لنجل يونـــس مغنى   كم جنينـــا به المـــنى في أمان
إن يلح جليت دياجي الليالي   أو يفه حـــليت نحور الحـــسان
نكب الناس عن طـــريق المعالي   وجرى نـــحوها طليـــق العنان
وإذا المرء لم يـــرث عن جـدود   مجده كـــان واهي الأركـــان
يا أجل الأنـــام قدرا كـــفاني   مدحة أن يكون مدحك شـــاني
ما ثنـــاني لمدح غـــيرك ثـــان   مذ تيقنـــت أن مـــالك ثـــان[1]

غـير أنـــي أجل قدرك عن شـــعـــــر ولـــو نظمـــت لك الشعريان

قد كفاني بـــيانه لك صـــدقي   ودليل الكـــتاب في العـــنوان

فاحك في الرفعة الكـــواكب واصـــحب

عـــزة مـــا تصاحـــب الفرقـــدان

ويظهر من هذه الأبيات أن الحميري أجاد في وصف الممدوح إجادة مزج فيها بين الفخر العظامي والعصامي، واستعان في ذلك بكثير من مناظر الطبيعة في الأرض والسماء وكانت مبالغاته مقبولة لا ينبو عنها الذوق السليم.

---

[1]: أصلها ثانيا.

وصفوة القول في قصائد المدح هذه أن الصدق في العاطفة والطبع الأصيل هي السمة الغالبة عليها لأن جل الشعراء قد تنكبوا عن الصنعة والتكلف، وإن كل ما ورد فيها من المحسنات البديعية والصور البلاغية لم يأت إلا عن السجية والطبع.

3- الفـــخـــــر

المفاضلة بين المشرق والمغرب

إن مسألة المفاضلة بين المشرق والمغرب قديمة وعريقة، وستظل ما ظل صراع الأجيال قائما بين القدماء والمحدثين، وبين البلد والبلد والقوم والقوم، وقد كان المشرق يعتبر الأم التي أرضعت وليدها المغرب بلبانها ردحا من الزمن، إذ كانت العلوم والفنون ترد من المشرق إلى المغرب تباعا، وفي هذا لا يمكن للمغرب أن ينازعه فيه لأن الفضل دائما للبادئ ولولا ذلك ما رحل المغاربة والأندلسيون إلى المشرق لأجل الحج والاقتباس من أنوار علمائه في جميع الفنون العلمية سواء منها النقلية والعقلية، وقد أثار هذه المسألة كتاب وشعراء ومؤرخون في كتبهم، ومنهم من نظر إليها بعين الهوى والشطط، ومنهم من نظر إليها بعين العقل والعدل والقصد. ولكن الرأي المصيب يرى أن للمشرق سبقا إلى كثير من الميادين، إذ لما اقتبس منه المغرب ذلك تمثله وأعمل فيه فكره حتى صار ذلك القديم جديدا والتليد طريفا والمألوف غريبا، وخير دليل على ذلك مؤلفات القاضي عياض وابن رشيد وابن الخطيب وابن خلدون وغيرهم كثير، إذ لا يمكن أن يقول الشرق في نتاج هؤلاء "هذه بضاعتنا ردت إلينا" مثلما قالها ابن عباد في العقد الفريد لابن عبد ربه.

فهناك من المؤرخين من شهد بفضل المغرب على المشرق[1] لأن **المغرب** "لايزال ظاهرا على الحق حتى تقوم الساعة وإنه لم يذكر قط أحدا من السلف إلا بخير"[2].

بل قد ظل كثير من شعر الأندلس منسيا خاملا، ولا ذنب له إلا أنه من الأندلس وما حق مثله أن يهمل[3].

---

[1]: فضائل الأندلس وأهلها ص: ن وما بعدها.
[2]: المعجب 26-27.
[3]: المطرب لابن دحية 145.

ولو لم تحز الأندلس قصب السبق أيضا لما رحل إليها المشارقة بأعداد كثيرة جدا لا يحصيها العد[1]. ومهما يكن من أمر فإن في أهلها توقد ذهن ولو ذعية وألمعية، وفضلا واضح البرهان[2].

ومن الآراء التي تنتصر للشرق وتقر له بالأولوية والسبق قول أبي الحسين محمد ابن أحمد بن جبير (الكامل)[3]

لا يستوي شــرق البــلاد وغربها   فالشرق حاز الفضل باستحقاق

انظر لحال الشمـس عند طلوعها   بيضاء تســحب بردة الإشــراق

وانظر لها عند الغـروب كئيبة   صفـراء تعقب ظـلمة الآفــاق

وكفى ليوم طلوعـها من غربـــها   أن تؤذن الدنــيا بوشــك فراق[4]

وقد أنشد هذه الأبيات أبو عبد الله بن حيان الشاطبي عن ابن برطلة عن أبي حفص عمر بن عنبسة البلنسي قال أنشدني ابن جبير لنفسه: الأبيات

وإذا كان ابن جبير يرى الفضل للشرق فإن ابن الصلاح يعترف للغرب بذلك، غير أن ذلك الاعتراف مصحوب باستغراب وتعجب وحجته في قوله ظاهرة:

مشارق أنــوار تجلت بســبتة   وذا عجب كون المشارق بالغرب[5]

وقد ذيل عليه أبو عبد الله المراكشي بقوله[6]:

تنادي بأنوار المشــارق نــخوة   بمطلعها في الغرب يا شرق غَرِّب

وممن ذيل عليه أيضا ابن رشيد[7].

---

[1]: نفح الطيب 145/4 وقد ذكر العديد منه.
[2]: نفح الطيب 446.
[3]: الرحلة 24/2.
[4]: انظر هذه الأبيات أيضا في عنوان الدراية 105 وقد نسب هذه الأبيات إلى أبي الحسين بن جبير الكناني.
[5]: الرحلة 50/3 وأزهار الرياض 343/4.
[6]: انظر شعر ابن رشيد في هذا البحث وأزهار الرياض 344/4-346.
[7]: انظر شعر ابن رشيد.

ولقد دافع ابن حزم[1] وابن سعيد[2] والشقندي[3] عن الأندلس ونسبوا لها قضائل لا توجد في الشرق، وأشاروا إلى أن المغاربة قد برزوا في القرآن الكريم والحديث والفقه وأصول الدين والتاريخ والعلوم الأخرى[4].

· وفي الرحلة إشارة إلى أن المغرب قد حاز قصب السبق في كثير من الميادين حتى رجع المغرب مشرقا وذلك بفضل نبوغ علمائه كابن رشيد الذي خاطبه صاحبه أبو عبد الله بن مبارك لما ندبه شيخه أبو بكر بن حبيش للرد عليه عندما مدحه ابن رشيد (الطويل)[5]

أتيت لنا عن مغرب عاد مشرقا بما عاد من شمس اعتلائك مشمسا

حوت سبـــتة في الفضل ســبطا بأن رمت

بسهـــمك أعـــراض الكـــلام مقرطـــسا

والقضية تحتاج إلى افرادها بدراسة خاصة لخصوبة ميادينها وتوافر موادها منذ اتصال المغرب بالمشرق إلى الآن[6].

4- الرثـاء

رثاء الأشخاص ورثاء المدن

لما كان الرثاء نوعا من الألم الذي يشعر به الشخص بسبب فقد حبيب أو موت عالم أو رئيس أو زوال نعمة أو رحيل مجد أثيل أو نقص مال أو ضياع سلطان، فإن بين أيدينا من شعر الرحــلة نوعين من هذا الرثــاء وهما: 1) رثــاء الأشخــاص و2) رثاء المدن والملك.

وحق للعربي الأندلسي أن يبكي مجده التالد وفخره العظامي والعصامي الذي شاده بعقله ويده، ولهذا يحن إلى ذلك ما حنت الناقة إلى فصيلها.

---

[1]: فضائل الأندلس وأهلها 4.
[2]: نفسه 22.
[3]: نفسه 29 والحلل السندسية للسراج 236/1.
[4]: الحلل السندسية 236/1.
[5]: انظر مدح الشيوخ لتلاميذهم من هذا البحث.
[6]: وانظر أيضا المفاضلة بين المشرق والمغرب: الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي ص 184-185.

أ ـ رثاء الأشخاص

فمن رثاء الأشخاص ما أنشده أبو بكر بن حبيش يرثي به القائد هلالا، وكان معطاء مفضالا: (الطويل)[1]

وقالوا رثيت المـجد قلت لهم نعم

رثائـي له حـزني عليـه إلى الحـشر

لو كنـت حيـا بعـده لرثيـته

ولكـن روحـي سابقـته إلى القـبر

ويظهر من هذين البيتين ذلك الرثاء والتفجع الذي يصور الصدق النفسي، وإن فيه صفات خلقية ومعنوية لم يشر إليها إلا إجمالا، لأنه قصرها على كلمة المجد الذي يحتوي على معان كثيرة، ثم إن الشاعر أجاد في المغالاة التي صور بها سبق روحه ذلك المرثي إلى القبر.

ومن ذلك ما أخبر به أبو العباس أحمد بن ميمون الأشعري، المالقي صديقه ابن رشيد قائلا: توفي شيخنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن أحمد بن يوسف الخزرجي المعروف بابن أبي رقيقة وذلك يوم الاثنين 17 رجب 681، ودفن يوم الثلاثاء. وأنشدني محمد بن علي بن إبراهيم التجاني المعروف بأبي الفضل، يرثيه (مجزوء الكامل)[2] وهو من لزوم ما لا يلزم.

قالوا ارتدى ثوب الردى أستاذنا ابن أبي رقيـقة

فأجبتهـم هذا نعـى الـعلم والنكـت الرقيقـة

إن كان مـات فلم تمت إلا المعارف في الحقـيقة

---

[1]: الرحلة 8/2.
[2]: الرحلة 67/2.

وقد أجمل أبو الفضل التجاني، واصل الغاية، في هذه الأبيات معاني كثيرة في قول قليل، وما أعظم موت العلم في شخص ابن أبي رقيقة وما أشد وقع هذا المصاب فيمن يعرف هذا العلم.

ومن ذلك ما أنشده الناقد أبو بكر بن حبيش قال: أنشدنا أبو بكر بن محرز لنفسه من أبيات يرثي بها أبا محمد واجب بن محمد بن واجب (الوافر)[1]

وما بالعـبرة البيضـاء يبـكى   مثالك لو وجـدت لك المـثالا
دمـاء العين إذ أمسـى حراما   عليك الصبر يسفـكها حلالا

ومنها في ذكر فضله وخلقه:

منيف الفضل معـتدل السجايا   ثقيل في الـعـلا عـما وخالا
وأجدادا له عـشقوا الـمعالي   ولما يعـدموا منـها وصالا
بطاء في اكتسـاب الـمال لكن   لكسب الـحمد تلقاهم عجالا
جـرت بهم معاليهـم جيـادا   وزانـتهم جلا لـتهم خـلالا
وجـاء أبو مُحَمَّدِهِمْ أخـيرا   ولكن كيف جال القـول جالا

ففي هذه الأبيات البليغة مدح لابن واجب ولقومه، وقد أحسن ابن محرز في قوله لما جعل قومه يتصفون بأخلاق الأنصار[2] الذين يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع. وفيه معنى شعر المعري في الأوائل والأواخر.

ومما يصور لوعة الثكل وهول الفقد للأبناء ما انشده ابن زيتون في رثاء ابنه أبي عبد الله، وقد أفاد به ابن رشيد صاحبه أبو الفضل التجاني ومن ذلك (السريع)[3]

يا واحدا كان بـه أنسـي   أين اجتماع الشمل بالأمـس
لم ترض هذي الدار مستوطـنا   فاخترت دارا جـنة القـدس
أوه على غـصن شبـاب ذوى   قـوامه في دوكـة[4] الرمـس

---

[1]: الرحلة 48/6.
[2]: انظر ما يتصل بذلك وشرحه في كتاب الكامل للمبرد 3/1.
[3]: الرحلة 15/6.
[4]: الدوك: الدق و السحق.

أسلمني فراقه للأسى أصبح فيه مثل ما أمسي
روت ثرى تربته مزنة ما أشرقت مطالع الشمس

وكان ذلك الولد قد بدت نجابته ورحبت تلبيته للعلم وأصالته ومما يحكى أن الشيخ يوم أصيب في ولده ظهر عليه من أثر الصبر ما يعجب منه، وكان قبل موته يتردد الناس ببابه صباح مساء للسؤال، فلما كان يوم موته جاؤوا سائلين عنه فقال لهم: قد وجد الراحة، ولم يظهر على الشيخ ما كان يظهر عليه قبل من الكآبة، فحملوا كلامه على الظاهر، فما راعهم إلا الإتيان بأسباب الجهاز برقبته، فحينئذ عزوا الشيخ.

فاعجب لهذا الصبر الجميل الذي بدا منه، وقد ذكر بعضهم أن الشيخ قطع التدريس ولزم منزله من بعد فقدانه ابنه.

ومن هذا القبيل في رثاء الابن قول ابن رشيد في قافيته المشهورة:

شباب توى شابت عليه المفارق

وغصن ذوى تاقت إليه الحدائق[1]

ومن شعر الرثاء الذي يبعث على البكاء ما ذكره ابن رشيد من رثاء أبي الفضل التجاني للإمام العالم الخطيب المفتي قاضي قضاة افريقية أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي نزيل تونس في قصيدة (الكامل) ومنها:[2] وهو من لزوم ما لا يلزم أيضا.

أطلق دموعك ولتدع إمساكها قد جل خطب ناثر أسلاكها
وأتى الزمان بنيه بالرزء الذي أسر النفوس فما تطيق فكاكها
عم البرية بالرزية واغتدى عدم التأسي غالبا نساكها
يا دهر قد فاجأتنا بعظيمة بوات من نيرانها أدراكها
ما خلت أنك، واقتدارك بين تأتي بها أو تدعي إدراكها
أو لست تدري أن من أعدمته قد كان كل فضيلة أعطاكها

---

[1] : انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث والإحاطة لابن الخطيب 141/3.
[2] : الرحلة 8/7.

حلاك من أسلاكه بجواهر　　خطب النوى من بعده أسلاكها

ثم استطرد إلى ذكر فضله وخلاله ومنزلته العلمية ومقامه الرفيع بين العلماء ومن ذلك:

وحباك من أحكامه وعلومه　　حكما فقل من ذا سواه حباكها
وأقام للعليا منارة راهب　　فهداك نحو سبيلها وأراكها
من للمعارف بعده وهو الذي　　ما زال مالك رقمها وملاكها
من للأصول وللفروع جميعها　　يرمي عليها من نهاه شباكها

ثم انتقل في الأخير إلى ذكر شدة حزنه وألمه عليه:

قد أوشكت نفسي تذوب كآبة　　وأرى وفائي يقتضي إيشاكها
لم لا أعير الدهر منها مسكة　　وأنا الذي تخذ القريض مداكها

فلله ما أبلغ أبا الفضل في قصيدته هذه وأبدعه، فقد عدد محاسن الهالك وذكر مزاياه وفضائله ومناقبه بما يثير العجب والغرابة.

وقد قال فيه أيضا (السريع)[1]

عدمت صبري ووجدت الأسى　　لما فقدت ابن أبي الدنيا
وكيف لي صبر ومن بعده　　قد أظلمت في عيني الدنيا

وفي رثاء الكاتبين الأديبين الشاعرين أبي عبد الله محمد ابن أبي تميم الحميري وأبي الحسن حازم بن محمد الأنصاري، وكانا قد توفيا بتونس في عام 684، وبين موتهما نحو شهر ـ قال أبو الفضل التجاني (الوافر)[2]

توى ابن أبي تميم ثم حازم　　فحزني بعد دفنهما ملازم
هما الشيخان إن ذكرت شيوخ　　تشد إلى لقائهم المحازم
هما العلمان إن شكرت علوم　　تَعَرُّفُهَا يعد من اللوازم

---

[1]: الرحلة 9/7.
[2]: نفسه.

ومن بديع قوله الذي ضمنه بعض معاني النحو:

حذفت الصبر بعدهما ولم لا وخطبهما لفعل الصبر جازم

ويظهر لنا من خلال هذه المقطعات والقصائد أنها تدور حول معان واحدة متقاربة وهي في الحزن والأسى وعدم التحلي بالصبر وبكاء العلم والشجاعة والكرم في أشخاص أهلها وغير ذلك من الفضائل، ويختلف الشعراء في تصوير الفاجعة والهول، فمنهم من يغوص على جواهر المعاني ومنهم من يردد الأفكار الشائعة المتداولة، ومع ذلك يمتاز هذا الشعر بالطبع والصدق والصياغة الجديدة في كثير من أبياته. ونلاحظ في كثير منه مسألة التزام ما لا يلزم.

ب ـ رثاء المدن والملك الزائل

لا شك في أن هذا النوع من الرثاء كان انعكاسا للحياة الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها الأمة العربية بعد سقوط بعض مدنها في الأندلس والمغرب، ومما كانت تعيشه من الاختلال في المشرق بسبب الحروب الأهلية والخارجية، ولهذا كان الشاعر يندب نفسه ليتأسف على تلك الحضارة الزائلة ويبكيها بدموعه الحارة، وذلك مثلما كتب أبو محمد بن هرون في ذكر قرطبة (جبرها الله). وفيها عشرون بيتا ومنها: (الكامل)[1]

أبقى لأهل العلم من آثارهم ما يملأ الاسماع والابصارا
جمهورهم أبناء قرطبة وإن ذهبت فقد أبقت بذاك فخارا
ويح الانام وويحها إذ عوضت منهم على رغم الورى كفارا
كم قد تلوا وجلوا بها أنوارهم ليلا فصار الليل ثَمَّ نهارا

ثم استطرد إلى بكاء ما كان فيها من العلم والدين بدموعه الحارة

يا فجعة للدين والدنيا بها أضحت نفوس العالمين حيارى
عمت مصيبتها البرية كلها حزنا وأنجد رزؤها وأغارا
وأذاقت الإسلام ثكلا موجعاً فانهد منه ركنه وانهارا

ويمكن أن يقال عن كل بيت فيها قصيد بليغ ومن ذلك:

[1] : الرحلة 58/7، وانظر ما كتب عن أهمية الكتب في مدح كتاب اقتطاف الأنوار لابن الطيلسان، وهذه القصيدة ذيل لها.

يا لهف دين محمد إذ لم يجد فيها على أعدائه أنصارا

قد كان يعمره تقي قد تلا سورا فعوض كافرا إسوارا[1]

طلعت به شمس الديانة ثم قد غربت فصارت بالحجاب توارى[2]

ومنها:

أبكي مصيبتها وقل لها البكا أبدا بدمع يخجل الامطارا

والدمع فيما فات لا يجدي وإن أرسلت منه ديمة مدرارا[3]

يا جفن صن هذي الدموع فماؤها

للحزن قد ترك الضلوع جِرَارًا[4]

ومن أبياته التي تضمنت معاني وصورا من القرآن الكريم:

والأرض أرض الله يورثها لمن

قد شاءه من خلقه أطوارا

لكن عسى الرحمن يعظم أجرنا

وثوابنا ويخفف الاوزارا

ويشفع المختار فينا المصطفى

وينيلنا جنات عدن دارا

وكان ابن هرون قد كتب هذه الأبيات بمدينة مالقة في أوائل شهر ذي القعدة 638هـ، وهي تفيض ألما وحزنا على ما آلت إليه مدينة قرطبة موطن نشأته وتربيته، ولهذا جاءت القصيدة حاملة تلك المعاني الصادقة والغيرة التي لا تعدلها غيرة على حب البلد العزيز الذي كان يأوي العلماء والصالحين والقادة الصناديد والملوك العظام والمساجد الآهلة ودور العلم التي لا تزال آثارها شاهد عيان.

---

[1] : الاسوار قائد العجم، المصباح المنير.

[2] : وقد اقتبس هذا المعنى من القرآن الكريم:﴿حتى توارت بالحجاب﴾سورة ص 32.

[3] : وهذا ينظر إلى للآية الكريمة:﴿أرسلنا السماء عليهم مدرارا﴾ الأنعام 6.

[4] : حرار جمع حرة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

ومما يسبك في هذا المعنى قول الوزير الكاتب الأديب العالم والشاعر الفحل أبي محمد عبد المجيد بن عبدون من قصيدته الرائية المشهورة المتضمنة من علم الحدثان ومهالك الأعيان ما يعجز عن وصفه اللسان ويقصر عن رَصْفِهِ البيان وأولها:

الدهر يفجع بعد العين بالاثـــر فما البكاء على الاشباح والصـــور

وهي في رثاء المتوكل من بني الأفطس وولديه خاصة، ولكنه صور فيها المأساة الأندلسية، وتقلب الدهر بالوجه الأعم.

وهي مشهورة، ولكن المهم أننا نوردها هنا، لأنها من القصائد التي تصور ما نحن بصدده تصويرا رائعا، وقد أفاض الدارسون والنقاد والمؤرخون القول فيها[1].

وقد سبقت الإشارة إلى قصيدة أبي العباس بن القصير في رثاء اشبيلية (حمص) وهي قصيدة فريدة في نوعها (المتقارب)[2] ومنها:

أَسِــلْ من دمـــوعك مدرارهـــا وساجــل من الأرض أنهارهـــا

وتمتاز هذه المراثي بصفة عامة، بصدق العاطفة وعدم التكلف والصنعة أو العمد إلى المحسنات البديعية، ويتخللها صور مقتبسة من القرآن الكريم وهديه. ويظهر من هذا النزر اليسير من المراثي أن الأندلسيين فاقوا المشارقة في هذا الميدان لأن مظاهر الحزن والأسى والتفجع في عقر دارهم، أقوى فيها بسبب ما كانوا يلاقونه من الذل والهوان في عقر دارهم، وبمثل أبيات تلك القصائد تظل جذوة الشعر تشتعل لتثير مكامن النفس، وما الباعث على البكاء إلا البكاء.

ويتجلى لنا أيضا من خلال هذه الأبيات أن هناك إضافة جديدة إلى تلك الذخيرة المعروفة في المصادر الأدبية والتاريخية مما عرف من قصائد المراثي في بكاء المدن والآثار.

[1] : الرحلة 13/5 وانظر أيضا، هذه القصيدة المغرب 375/1 والذخيرة لابن بسام ص 112 والمعجب للمراكشي ص: 113 وفوات الوفيات 380/2 وابن خلكان 217/7.
[2] : انظر الرحلة 97/6 من هذا البحث.

5ـ شعر الجهاد والاستصراخ والنجدة

كان الباعث لهذا الشعر أيضا تلك الظروف القاسية التي كانت تجتازها الأمة الإسلامية عندما أخذ العدو يطوقها ويطعنها من خلفها وقدامها ووسطها، ويقوض ما ابتنته في قرون ملؤها الجهاد والعمل والفخار، ولهذا كانت تدفع الشاعر أنفته وغيرته ليدافع عن حياضه وكرامته بكل ما أوتي من قوة وبسالة، وبكل ما منحه الله من عزة وشمم.

ولقد جادت قريحة ابن الابار بما يبقى عنوانا واضحا على هذا المسلك اللاحب، والصورة المرموقة في هذا المهيع الواضح الواسع، وذلك بفضل قصيدته السينية التي هي قطعة من الحسن مقتطعة ووردة من رياض الشعر مقتطفة، ويقول فيها مستنجدا أبا زكرياء ابن حفص.

أدرك بخيـــلك خـــيل الله أنـــدلسا

إن الطـــريق إلـــى منجـــاتها درســـا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست

فلـــم يزل مـــنك عز النـــصر ملتمســـا

وحـــاش مما تعانيه حشاشتـــها   فطالما ذاقت البلوى صباح مســـا

وهي طويلة مشهورة:[1]

ومن ذلك ما وقع لأبي العباس بن الحاج، إذ إنَّهُ قبل وفادته من اشبيلية ركب البحر فأسر واستصرخ بالأمير المقدس أبي زكرياء بن أبي محمد الشيخ أبي حفص، فخلصه من أسره وجلب إليه بعد قدومه على حضرته تونس، الخير بأسره، وفي ذلك قال (الكامل)[2]

ناديت والبحر الخضم معارض	بحرا لجـــودك لا يغـــــب ببره
فأجبتني إذ لا مغيث ولم يكن	إلاك يشعـــــر للغـريب وشعره

[1] : الرحلة 65/6 وأزهار الرياض 207/3 ونفح الطيب 200/6 والديوان.
[2] : الرحلة 7/33-34.

وأنفت للآداب من أسـري فقد أسديت ما حاز الثنـاء بأسره

وفي إغاثة أبي زكرياء لأبي العباس بن الحاج إغاثة للأدب واللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يجمعها إلى قوة شخصيته[1].

ومن ذلك ما أنشده أبو الفضل قال: أنشدنا أبو الحسن (وهو أبوه) لنفسه وكتبه لي بخطه يمدح الأمير الأجل المجاهد أبا اسحق بن الأمير الأجل أبا زكرياء رحمة الله عليه ورضوانه عندما عاد إلى حضرة تونس ملكا للبلاد الافريقية، وسلم إليه مملكتها سلطانها ابن أخيه أمير المؤمنين الواثق بالله منخلعا عنها وذلك في شهر ربيع الأول من عام 678 هـ. وفيها اثنان وثلاثون بيتا ومنها: (البسيط)[2]

الحمد لله هذا العـز والظـفر وهذه بُشَـر لم يـــؤتها بَشَـر
وذا الذي كانت الدنـيا تؤمله وذا الذي كانت الأيـام تنتـظر

ومن أبياتها البليغة التي يذكر فيها أن الأيام والقدر يخدمان هذا الأمير قوله:

ودولة وَكَّلَ الله السعود بهـا فخادما أمرهـا الأيام والقدر
أنت الخليفة والرحمن ناصره وخائـب من بغير الله ينتصر
وهذه بيعة يرضـى الاله بـها وخيرنـا من إليها كان يبـتدر

وفي ذكر النجدَة يقول:

أحيا قدومكم منا النـفوس كما يحيى الجدوب إذا ما أسبل المطر
ولاحـت الغرة الغـراء طـالعة بين الجيوش فلاح الشهب والقـمر

ومنها في تصوير الحرب واشتدادها وإقبال الجنود على بعضهم:

جيوش نصـر جنـود الله مقـبلة

فيها وما من شبـاها للـعدا وزر

---

[1] : انظر شيئا عن أخباره في الرحلة 34/7 وطبقات المالكية ترجمة 605 ص 147.
[2] : الرحلة 16/7.

دخانها عثير الخـــيل المـــثار ومن

لمـــع الاســـنة في أثنـــائه شـــرر

ويلاحظ أن في هذا البيت ترداد حروف معينة لدلالة المعنى على اللفظ. ومن المعاني التي ينظر فيها إلى ما قاله أبو تمام:

تضمنت مهج الأعداء فهي لكـم بيض عواسـل أو هندية بـــتر

في غابة من أسود والقنا شـــجر فيها وهـام الأعادي فوقها ثــمر

وفيها يقول:

حفـــت بها عصـــب التوحيد بأســهم

بأس عظـــيم وكم فتـــت به مـــرر

أتت الأمير الرضـــا فخر المـــلوك أبـا

اسحق في الله مـا تأتي ومـــا تـــذر[1]

خلـــيفة الله فـــرض الله طـــاعته

على العـــباد بهذا تحـــكم الســور

وبعد ذكر أن الممدوح محا ظلام الظلم وأحيا سنة الهدى بعد طي الفقد ونشرها، قال:

وما علينا إذا صحت لنا سير   منهم بعدلكم أن تفقـــد الصور
ما زال يؤثر عن "ترشيش" أن لها   كسرا بأســـياف إبراهيم ينـجبر
حللتموها مـــحل الأمن ساحـــتها   وأقلعت جُفَّـــلاً عن أهلها الغير

ومن بديع قوله في الأخير:

والدهر معتـذر، ممـــا جناه، لنا   وذنبه بك يـــا مـــولاي مغتفر
كنا نؤمل آمـــالا وأعظـــمها   فيما نؤمل منك الآن محتـقر

[1] : انظر هذه المعاني في قصيدة ابن اللبانة، الذخيرة ق3 م2 ص 605.

لازلت والعيش صاف والزمــان بها ترضاه دان ولا منـــع ولا كــدر

ففي هذه القصيدة صور رائعة عن الجهاد بالنفس والنفيس، ووصف بليغ للممدوح الذي اجتمعت فيه الصفات النبيلة كاتباع سنة الهدى ونشر العلم ومحو الظلم وإرهاب عدو الله بالقوة المستمدة من البارئ تعالى، وفيها أيضا صور حسنة عن الجهاد والدفاع عن كرامة الوطن. أما أسلوبها فمن السهل الممتنع، لأن الشاعر لم يغرب في إيراد الكلمات، ولكنه أتى بمعان بديعة في ثوب عبارات بسيطة، والقصيدة في جملتها جميلة وتعد كذلك من الدرر الغراء في الأدب العربي.

ومما يدلنا أيضا على وجه آخر للجهاد في المشرق والحث على دفع العدو قول أبي اليمن بن عساكر الذي كتب عند موافاته مدينة المنصورة، هذه القصيدة تحريضا للمجاهدين وتحضيضًا للمتقاعدين والمتثاقلين إلى الأرض أن ينفروا في سبيل الله. وفيها ثمانية وثمانون بيتا منها: (الكامل)[1]

ومصيبة عظمـــت وخطب فادح ذهلـــت له الالـــباب والافـــهام

أضحى به الإســـلام منفصم العرا يجـــنى عليه برغـــمها ويضـــام

ويظهر أن بعض صوره مكرورة ومعهودة عند الشعراء مثل قوله:

كسفت له الشمـــس المنـــيرة واغـــتدى

وجـــه الصـــباح وقـــد عـــلاه ظـــلام

ويعد ذكر أن الأيام لبست له ثوب الكآبة وذهبت بشاشة كل عيش ودام حزنه حتى الممات قال:

هجر الحبيب فلا وصال يرتجـى منـــه ونقـــض وداده ابــــــرام

وبعد استثاره الحمية والحض على الدفاع والجهاد وإذكاء العزم رفع صوته مناديا ومستغيثا:

---

[1] : الرحلة 46/5.

يا ناصر الـــدين الحبـــيب أهــكذا   عنكـــم يجـــازى ديننـــا الإســـلام
أسلمتـــموه إلـــى الصـــغار وأبتـــم   والعـــار مقـــترن بكـــم والـــذام
خارت عزائمــكم وشتـــت جـــمعكم   وتقطـــعـــت مـــا بينـــكم أرحـــام
أين الحـــروب المتـــقـــى ســـطواتها   منكـــم وأين الكـــر والإقـــدام
أين الصـــواهل ضُمَّـــرا أين البـــوا   ســـل زُوَّرا والـــفارس المقـــدام
أين الذي قد بـــاع مهجة نفـــسه   لله فـــهـــو علـــى الـــردى حـــوام
لا تضـــعفوا جـــبنا ولا تتـــهيـــبوا   مـــن شـــأنه الإذلال والإرغـــام

ثم سار على هذا المهيع في كثير من أبيات القصيدة يستحث الهمم ويحض على الجهاد والقتال، وفي كل ذلك كان يستمد معانيه من القرآن الكريم والسنة المشرقة، ومن بديع أبياته قوله:

جنحوا إلى العلياء واهتجروا المـــنى
فعلـــى جفونهـــم المنام حـــرام
قد أعربوا لـــغة الـــردى في لحنـــهم
فلـــهم بالســـنة الرمـــاح كـــلام
ربحت تجـــارتكم ألا فـــاستبشروا   هاتيك ســـوق المـــكرمات تقـــام
يا اخوة الإسلام كيف قعـــدتم   عن نصره وأرى العـــدا قد قامـــوا
وغـــدا منـــار الحـــق منعدم البـــنا
فالـــحُرْم حـــل والحـــلال حـــرام
أمست مساجدكم كنائس لا يرى   فيها لكم عـــند الصـــلاة زحام
نســـخت شرائعـــه وبدل ديـــنه   وانحـــل من ســـلك الزمـــام نظـــام

ثم توجه في الأخير إلى العدو بهذا التقريع الشديد والتعنيف الذي يصبه جاما عليه دون هوادة أو رحمة.

غيرتم ديــن المســيح وما انتمـــى

موســـى ومـا قــد ســن ابـــراهـــام

وحسدتم خير البرية أحـــــمدا فَلِنَـــعْـــتِهِ في كتبـــكم أيـــهـــام

هيهـــات نور الشمـــس ليس بمختف

والـــمسك كيـــف كَـــتَمْـــتَهُ نـــمام

لقد كان أبو اليمن بن عساكر محدثا وفقيها وزاهدا مشهورا، ومن خلال هذه القصيدة يتبين لنا أنه كان أيضا شاعرا مفلقا لا يشق له غبار، ولهذا جاءت القصيدة عصماء بليغة متماسكة لا تنفصم عراها وحاوية معاني وصورا وأخيلة لها اعتبار في مقام البلاغة والبيان ذلك لأن الشاعر كان يأخذ من القرآن الكريم معانيه ويصوغها في ثوب قشيب من شاعريته الفذة وخياله المجنح.

ويتبين لنا أيضا أن شعر الجهاد والاستصراخ له علاقة بما رأينا في قصائد رثاء المدن والآثار لأن لهما هدفا واحدا وغاية مشتركة تتمثل في المنافحة عن الدين والدفاع عن الوطن المغصوب.

6ـ الهجاء والعتاب

لم يرد في الرحلة شيء يذكر من قبيل الهجاء والعتاب، ولكن هناك بعض النماذج التي تدل على أن الرحلة حليت كذلك ببعض دررها ولم يعطل نحرها من النتف الحسنة المعنى في ذلك. ولعل أثر شخصية ابن رشيد باد في اختياراته وطريقة جمعه للشعر الوارد في الرحلة، ولهذا نجد هذا الموضوع خافتا فيها.

فمما جاء في الرحلة من صور الاعتذار عن العتاب ما أنشده بهاء الدين بن النحاس لنفسه، وقد بعث إليه بعض أصحابه يعاتبه على انقطاعه عنه ثلاثة أيام فكتب إليه، وكان المعاتب هو مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر الصاحب بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم. (الوافر)[1]

---

[1] : الرحلة 29/3.

وحقـــك ما انقطعـت لبـــعض عهـد

ولا أنـــا للمـــــودة بالمــضـــيع

ولكن الليالــــي غـــادرتني بلا سكـــن فـريدا من جميعي
وحسبك ما يقاسي طـــول دهري فـؤادي من ســـؤالي في الربـــوع

فابن النحاس كان يعبر عن حاله ووحدته التي استغرقت عمره كله، ولهذا نجده يتألم مما يعاني بسبب ذلك، وقد عرف أنه لم يتزوج[1].

ومن الهجاء قول ابن جكينا البغدادي (الطويل)[2]

مدحتـهم فازددت بعـــدا بمدحهم فخيل لـــي أن المـــديح هجاء
يقولون مـا لا يفـــعلون كأنـــهم إذا سئـــلوا رفدا هـــم الشـــعراء

فكان في هذا اقتباس حسن من القرآن الكريم الذي يصف الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون[3].

7ـ الغزل والنسيب

قد يعجب قارئ الرحلة من كثرة القصائد والأبيات الواردة فيها من الغزل، وقد يزداد عجبا عندما يعثر فيها على بعض قصص الهوى[4] أو الغزل بالمذكر، وقد يكون لابن رشيد عذر في هذا لأنه كان يتلقى ذلك الشعر من شيوخه، ولهذا تقتضي منه الأمانة العلمية أن يورده كما سمعه، وقد لا يكون له العذر في ذلك لأن له الحق في حسن التصرف والحذف والتأويل، ومع هذا كله فإن ابن رشيد كان عارفا بأن هذه المسألة فد تثير النقاد أو كلاما من بعده، لأن هناك من سيتهمه ويأخذ عليه ذلك، لكونه فقيها ومحدثا، ولهذا نجده يلتمس العذر والتسويغ والتوجيه المقبول لعمله هذا، ويظهر ذلك في قوله: "وكذلك وقع فيها من الاشعار الغزلية والأوصاف التي هي مستعملة عند أهل الطريقة الأدبية ما لعله قد يأبى كتبه أو إنشاده أهل الورع ومن يشدد على نفسه ويخاف

[1] : انظر ترجمته فيمن لقيهم بمصر من هذا البحث. وانظر فوات الوفيات 294/3.
[2] : الرحلة 1/7.
[3] : انظر سورة الشعراء الآية 224.
[4] : وذلك على سبيل اسم مؤلف أبي الفرج بن الجوزي "ذم الهوى" وكان أبو الفرج هذا من مصادر معارف ابن رشيد.

مناقشة الحساب"[1]. ويقول: "فأقول والله الموفق إني تحاميت فيه كثيرا مما يقبح ولا يحمل منه وجوه التوريات، وإن كانت ترائبها بالبيان حاليات، والشعر إنما بحسب ما يصرفه إليه الناظر، وله عند القوم محامل تحسن في الباطن، وإن كان غير ذلك في الظاهر، وإنما الأعمال بالنيات"[2].

وقد تحامى ابن رشيد فعلا بعض ما لا يحسن ذكره، ولا يليق مثلما فعل في شعر ابن أبي تميم وغيره. وقد سلك إلى حد ما مسلك أبي الفرج بن الجوزي في كتابه ذم الهوى الذي يقول فيه: "فأما إن كنت تمضي في تخليطك ولا تصبر على مضض ما يوصف لك فإنك تُتْعِبني وتتعب"[3]. وقال: "واعلم أنني قد نزلت لأجلك في هذا الكتاب عن يفاع الوقار إلى حضيض الترخص فيما أورد اجتذابا لسلامتك واجتلابا لعافيتك"[4].

فابن رشيد على عافيته وعفافه وإسلامه اليقين وسلامة سريرته أورد بعض القصص مثل قصة مدرك الشيباني[5] وقصة الغلام بين الحجيج[6]، وقد أورد هاتين القصتين كذلك أبو الفرج في كتابه ذم الهوى. ومهما يكن أمر هذا فإننا لا نجد في الرحلة ذلك المجون الذي جاوز حدود اللياقة والأخلاق، ولا هوى ينبو عنه الذوق السليم أو يشذ عنه الخلق العام فيخل بنظام الرحلة أو ينزل بها عن مقامها الرفيع أو يطعن في عدالة صاحب الرحلة أو يجرحها.

وإذا شئنا تصنيف الغزل الوارد في الرحلة، وجدنا أن فيه ما ورد في معنى من معاني العلوم كالفقه أو غيره، وفيها ما ورد بصورة الطيف والخيال الزائر، وفيه ما هو من التشبيب الذي يصف المرأة ومحاسنها ومنه ما هو في معاني المفاضلة بين البيض والسود، وفيه الغزل بالمذكر، وفيه ما هو في الاغراب والتعجيب في ذكر الهوى والهوان في صورة المجون والظرف.

---

[1] : الرحلة 64/7 .
[2] : نفسه.
[3] : ذم الهوى ص:1.
[4] : نفسه.
[5] : الرحلة 79/6 وذم الهوى 546-547 ومعجم الأدباء لياقوت 136/19.
[6] : الرحلة 26/5 وذم الهوى 563-564.

ولولا خشية الإطالة والإملال لأتينا بكثير من القصائد والمقطعات والنتف، ولا شك في أن أغلبها عجيب في تشبيهاته وتورياته، ولكننا سنجتزئ بشيء من ذلك بإعطاء نماذج قليلة منه وذلك بالرغم من أنها مخطوطة وجلها نادر.

فمما ورد في الرحلة من معاني الغزل والنسيب وذكر الطيف ووصف العشق ما أنشده أبو بكر بن حبيش لنفسه مضمنا إياه بعض معاني الفقه: (الطويل)[1]

وأحور وسنـــان الجفون سقيمها   مهفهف أثناء الوشاح هـضيمها
من الانس لم يدر الفلاة وقد سبا   لحاظا وجـيدا من مهـاها وريمها
ضرعت إليه في الوصـــال فردني   مرد ملـــيء بالحجـاج عليــمها

وقال وصـــالا رمت والنـــهي عنه فـــي
شريعتــــنا حكم أتـــى عن حكيــــمها
فقال لهـــا في الشـــافعـــي وقـــد رأى
لمـــشترك الألـــفاظ حكـــم عمـــومها

هكذا كان ابن حبيش يجمع إلى طريقة الأدباء شخصية الفقيه الأصولي والمتصوف الذي كان يلتزم في شعره مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله، ولهذا جاءت إشاراته كلها مهذبة ورموزه مشذبة ترمي إلى المعاني الفقهية والأصولية أكثر من غيرها.

ومن ذلك أنه صرف أبا الفضل التجاني صارف من الدهر عن رؤية بعض الكبراء مع ترادف العلل فخاطبه بهذه الأبيات ليفهم منها غير معنى الغزل (البسيط)[2]

قولا لعلوة إنـــي بعد فرقتـــها   أمســـي وأصبح لا ألوي إلى أحد
وعـرِفَاها بقلـــبي انها ســـكنـــت   فيه كسكنى الهوى والشوق في خلـدي

[1] : الرحلة 7/2.
[2] : الرحلة 9/3.

وإن يـــكن عاقني عن وصـــلها قـــــدر

فحـــبـــها ذاك لم ينقـــص ولم يـــــزد

فهذا من شعر الرمز الذي يعطينا فكرة عن شعرية أبي الفضل الذي كان يسميه ابن حبيش: واصل الغاية. وقوله يعدل في حرارة عاطفته وصدقها شعر العذريين.

ومن ذلك أن المحدث الزاهد أبا العباس أحمد بن ميمون الاشعري سأل صاحبه أبا الفضل التجاني أن يذيل له على هذا العجز، وهي لأبي تمام:

رب سهم أصاب من غير رام.

فأجابه بقوله: (الخفيف)[1]

ورشـــا غـــرني بلين القـــوام　　وفـــتور بلحـــظه وسقـام
جئته أحـسب المـــرام قريبـــا　　فرمتـــني ألحاظـه بســـهـــام

لم أخـــل أنهـــا من الصـــعب تســـطو

فـــــإذا قلبـــي المعـــذب دام

فاحذروا أسهـــم اللواحـــظ تنـــجوا

رب ســـهم أصـــاب من غـــــير رام

ومن شعر أبي الفضل التجاني الذي وصفه بهذره القديم الذي كان يستظرفه أبو الحسن حازم القرطاجني ويستطرفه ويستدعي منه إنشاده قصيدة منها: (الطويل)[2]

وليـــنة الاعطـاف بينـــي وبينهـــا　　عقـــود هـوى فيها تحـار العـواذل

وراحلتي قد أضـعف الســير والســرى

قواهـــا وعـــن جهـــد تكـل الرواحـــل

---

[1] : الرحلة 7/9-10.
[2] : الرحلة 7/6.

تحمل جسمي وهي في ضعف ضــــعــفه

كما حمـــلت جسم الحســـام الحمــائل

إلى أن طـــرقت الحـــي من آل عـــامر

ولا عـــامر إلا الجـــياد الصـــواهـــل

فأبصرت من أبطـــــالهن طـــوائفـــا

طوائـــف تحمـــيها القـــنا والقـــنابـــل

وكانوا أخافوني الـــردى فعصيتـــهم

وبت ومـــن أهـــواه دان مـــواصـــل

وكيف يخاف الحين أو يحـــرم المـــنى

فتـــى وله في خـــدمة المـــجد طـــائـل

ففي هذه القصيدة صور مألوفة مما عهدناه في شعر امرئ القيس وغيره من مكائد الرقباء والحراس ومنعهم إياه، ومع ذلك فهو لا يستعمل تلك الأوصاف الحسية المادية لأنه عفيف القول والفعل. وفي القصيدة كذلك أنواع بديعة من التجنيس.

ومن ذلك ما أنشده أبو بكر بن حبيش لأبي الحسن سهل بن مالك لنفسه وقد استعمل فيه معنى فقهيا من معاني الحج (الطويل)[1]

واحور معشوق الخـــلال محكم ... على الصب يسبيه لحسن خلاله

رمى بالحصـــاة والقـــلوب مطيفة ... بها فاستحالت بينها قلـــب واله

فعـــاد إليه عائـــذا من فـــراقه ... وقـــبل فـــاه كارعـــا في زلالـه

وكان إلى الصـــم الصـــلاب انتمـــاؤه

فأســـأر[2] فيـــه الطبـــع قســـوة آلـــه

---

[1] : الرحلة 52/6.

[2] : أسأر، يقال إذا شرب فأسأر أي أبقى شيئا من الشراب في قعر الغناء. والسورة السطوة والاعتداء.

ومنها:

لئن رام وصفا لم يجد كنـه وصـفه ومـن رام مثـلا لم يجد في مـــثاله

ومما أنشده أبو حيان الغرناطي لنفسه وهو من جيد قوله (الطويل)[1]

أيا باخلا حـتى بلمـس بنـــانه تعطف على من جاد فيك بنفـسه

غريب غريـب الحب لم ينـو سـلوة

طـوال الليـــالي أو يــحل برمـــسه

ومن جميل قول ابن أبي تميم الحميري ما بز به قول جميل وابن حزام قصيدة منها: (البسيط)[2]

عشق تولد بين الحسن والنظر لم أحظ منه بغير الشوق والفِكَر

أعطيت في الحب ما لم يُعْطَه أحد خمري الدموع وشغلي طيب الذكر

يا مطلع البدر من غصن له شفق باد من الخفر الوردي والشعر

مـــن لي بوصـلك والأيام حاكمة وذو العـداوة مهـما يحتـكم يجر

ومنها:

لا خلص الله قلبي من هواك فما أحلى تجنيك لي يا منتهى وطـري

فالبيت الرابع يذكرنا بقول الشاعر:

فعين الرضا عن كل عيب كليـلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأما البيت الأخير فينظر إلى قول ابن زيدون في ولادة:[3]

لا سكن الله قلبـا عَنَّ ذكركـم فلم يطر بجناح الشوق خفاقـــا

ومن طريف ما يروى ما اخبر به أبو حفص عمر بن إبراهيم التجاني قال: كان أبو العباس أحمد بن إسماعيل الحريري، المشهور بابن القابلة رجلا أميا عاميا بتونس،

---

[1] : الرحلة 75/5.
[2] : الرحلة 60/2.
[3] : ديوان ابن زيدون 141.

فنمي خبره إلى المستنصر واتهم في شعره فأمر باختباره، وأن لا يفارقه حتى يخمس هذين البيتين، فقال على البديه (الطويل)[1]

هل الوجد إلا ما حوته قلوبنا وشقت له أكبادنا لا جيوبنا
فـمحضرنا فيـه وفيه مغيـبنا ولما التقيـنا والـنوى ورقيبـنا

غفولان عنا ظَلْـتُ أبكـي وتـبسم

حبيبة قلب لا أدين بكرهها لحسن صفات عز مبلغ كنهها
وحاولت أن آتي بشبهي وشبهـها فلم أر وجها ضاحكا قبل وجهـها

ولم تـر قبلي ميـتا يتـكلـم

فاعجب لهذا الغزل الذي استعان فيه أبو العباس الحريري ببعض الصور الصوفية، فجاء شعره بديعا بليغا.[2]

ومن إنشاده أيضا (مجزوء الكامل)[3]

يا من حـوى نور الهـلا ل وغـنج أَلْـحَاظِ الـرشا
ما في جفونك قـد غـدا معكوسُـهُ حشـو الحشـا

وقد علق ابن رشيد عل هذا التشبيه الحسن بأنه من البز المرتفع والسهل الممتنع. وقد أراد بالكلمة المعكوسة (مرض) ومعكوسها (ضرم).

ومن غزليات تاج الدين بن غنوم قوله: (السريع)[4]

ما خال من أهـوى سوى نخلة ترتع في الـورد علـى الخد
وإن تقل أين جنـا شهـدها فالفـم ملآن من الشـهد

وله في غير ذلك: (الطويل)[5]

---

[1] : الرحلة 4/7.
[2] : انظر بعض شعره البديع في نفح الطيب 155/5.
[3] : الرحلة 4/7.
[4] : نفسه.
[5] : نفسه.

ومن عجبي أني شهيد بحبها   وامكث في نار الصدود مخلدا

ومن غزل أبي علي الرفاء الذي اشتهر بطرافته وخفة ظله قوله من لزوم ما لا يلزم، وقد أنشده لتلميذه أبي بكر بن حبيش ومنه: (المتقارب)[1]

وسل عليه حسام النوى   ومن بأس ما سل ما سلما

وضرم نار الجوى في حشاه   فالحقه ضر ما ضرما

وعدمه الصبر من بعده   يرى فرضه عد ما عدما

وقد قلتما أن سيقضي الهوى   ومن قبله قلت ما قلتما

فقد أتى أبو علي الرفاء في هذه اللزومية بكثير من التكلف المستثقل المغرق في الصنعة، وإن كان فيها بعض الصور المستملحة ويظهر أن الرفاء قد أخذ نفسه على القول على حروف المعجم، ويمكن أن نلتمس له العذر من هذا الجانب في الإتيان بهذه القصائد التي غلبت عليها الصناعة اللفظية في غرض الغزل الذي يليق فيه ما يستملح من التشبيهات ويستظرف من الكنايات ويستخف من الكلمات الرشيقة.

وللرفاء قصائد أخرى في الغزل أتى فيها بروي مستثقل كالحاء والغين وغيرهما[2].

لقد كان ابن جكينا البغدادي من ظراف الشعراء الخلعاء، ولكن أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطاقة شعره[3]. ومن ذلك (المنسرح)[4]

لو كان أمري إليك أو بيدي   لكنت أعددت قبلك العددا

جفنك يرمي قلبي بأسهمه   فما لحديك تلبس الزردا

ومن الغزل الطريف الذي تنجلي فيه الصناعة اللفظية المحمودة من حسن التشبيه والتجنيس ما أخبر به الصفاء المراغي عن الزبيدي البغدادي عن الطائي عن السمعاني عن أبي عمرو الصوفي عن السيد الجعفري قال: أنشدوني للقاضي النعماني (الخفيف)[1]

---

[1] : الرحلة 50/6.
[2] : لنظر الرحلة 50/6.
[3] : فوات الوفيات 310/1-320.
[4] : الرحلة 1/7.

رب خود عرفت في عرفات سلبتني بحسنها حسناتي
حَرَمَت حين أحرمت نومَ عيني واستباحت دماي باللحظات
ورمت بالجمار جمرة قلبي أي قلب يقوى على الجمرات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جفوني سوابق العبرات

لم أنل من مِنًى منى النفس حتى

خِفْتُ بالخيف أن تكون وفاتي[2]

ومما جاء في هذا المعنى ما قرأه ابن رشيد على أبي الحسن بن رزين وذلك بالسند المرفوع إلى أبي الحسين علي بن الحسن القاضي في الطواف لنفسه (الطويل)[3]

وحرم غمضي والحجيج على منى

غزال رأيناه بمكة محرما

رمى وهو يسعى بالجمار وإنما

رمى حبة القلب المعذب إذ رَمَى

ولما تفرقنا بمنعرج اللوى وأنجدت لا أرجو لقاء وإنما

بكيت على وادي الاراك، وماؤه

معين فصار الماء من عبرتي دما[4]

ومن الغزل الذي في معنى تفضيل السواد على البياض في المتغزل فيه ما أفاد به ابن رشيد أنه ذهب برفقة صاحبه ابن الحكيم إلى الشيخ ابن أبي تميم الحميري، فوافياه متوكئا على عصاه، فاستفسره ابن الحكيم واستملاه فذكر ما أحضره وأملاه ومن ذلك قوله يصف سوداء جميلة:[5]

---

[1] : الرحلة 53/3.
[2] : انظر الأبيات في يتيمة الدهر 402/1 ومستفاد الرحلة للتجيبي 405 وابن خلكان 418/5 مع اختلاف يسير في الرواية، وانظر ترجمة أبي حنيفة النعمان في ابن خلكان 45/5 ترجمة 766.
[3] : الرحلة 74/6.
[4] : مستفاد الرحلة للتجيبي 405.
[5] : الرحلة 58/2. ولأبي الفضل التجاني معان جميلة في ذلك الرحلة 10/7.

وليـــلة لولا تبـــسم ثغرهـــا   لما شك في فضل الظلام على الصبح

مُعَنْـــبَرَة في اللون والاسم والشـــذا

غزالـــية في اللحـــظ والجـــيد والكشح

تملكـــتها رقـا وتملكـــني هـــوى   ولكن مملوك الهوى فاز بالـــربح

ومن بديع استنباط المعنى العلمي من الشعر ما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وكتبه له بخطه قال: حكى أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الأديب المتجول نزيل تونس والمتوفى بها قال: كان معنا أبو العباس بن الحجاج في بعض العشيات بجامع العديس باشبيلية، فنظر أحدهم إلى أسود حافظا للحديث يقرأ عليه غلام جميل الصورة فقال لابن الحاج: (مخلع البسيط)[1]

كأنـــه الصـــبح مســـتمدا   سـناه من غيهـب الظـلام

فقال ابن سعيد: أجز يا أبا العباس:

ومعشق مثل النهار لمحـــته   يتلو الحديث على أخي ديجور

فقال:

فأجبـــت من أبدى التعجـــب منهـما

نـــور الحديـــث أتى بذاك النـــور

ومن مستحسنات قصائد أبي اسحق التجاني ما أنشده ارتجالا في غلام أعور يطبق جفن عينه العوراء، وقد سأله النظم في ذلك أحد الكبراء فقال: (المتقارب)[2]

ولما بدا كهـــلال الدجا   تميس به خوطـــة مائـــدة

وقد جعـــل الله من حسنه   دليلا على غيـــبة شاهـــدة

رأى قـــتل عينـــيه عشـــاقه   فأغمـــض من رأفـــة واحدة

وفي هذا المعنى قال أبو حفص التجاني قديما لنفسه في تحسين العور (المتقارب)[1]

---

[1] : الرحلة 34/7.

[2] : الرحلة 23/7.

وقالــــوا بــه عـــور شانه　　وفي الـحق ليس به من عــور
ولـــكـــنه مطـــبق جفنـــه　　لتســـديد رمي سـهام الحور

وقال ابن رشيد أنشدني بعض أصحابنا المغربيين وهو الأديب النحوي العروضي أبو بكر القللوسي لنفسه في مشروط كلف وصفه: (البسيط)[2]

لا تنكرن تشـــاريطا بوجنته　　فإنها أثـــر الالـــحاظ والفِكَر
وطالما جرحت باللحظ صفحته　　والجـــرح ليس له بد من الاثر

ومن ذلك ما أنشده أبو العباس بن القصير قال: كتب إلي الفقيه أبو علي عمر ابن الناصح بهذه الأبيات ومنها: (البسيط)[3]

بحسن وجهك لا بالشمـــس والقمــر
أقسمـــت ثم بذاك الغنج والـحور
لو أن لي قدمـــا في النظم ثابتـــة
لما تعطـــل ذاك الجيـــد من درر
مهـلا علي قليلا أو أعد نظـرا　　والله يعصـمني من ذلك النـــظر
ما كل ذي خبر صحت روايته　　فالصدق والمين مخصوصان بالـخبر
وإن يكن ذاك في غصن الشباب فهـــل
بعد الصـــبا من لبانـــات ومن وطر
هذا ولو بقيـــت آثـــار ما زعمـــوا
فسحر عينيك ما يبـــقى من الأثر

---

[1]: نفسه.
[2]: الرحلة 31/3.
[3]: الرحلة 10/2.

وإن أنا اليوم لم أنهـــض بما طلبـــت

بما رمانـــي به دهـــري من الكـــبر

فبي إليك اشتـــياق ســـوف ينطقـــني

بما به تـــنطـق الأطـــيار في الســـحر

وإن هذه الذخيرة من الغزل الذي نجد أصحابه مشارقة ومغاربة ما هو إلا صورة للمجتمع العربي في القرن السابع الهجري، وذلك في رزانتهم وخفتهم، في مجونهم وعفتهم، وقد يكون أكثر هذا الغزل لإرادة الاحماض بعد الإملال، ولولا ذلك ما اختاره ابن رشيد وحلى به رحلته المملوءة بما عز من معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وغير ذلك مما ضمنه من قصص العرب وتاريخهم، ومهما يكن من أمر ما ورد في بعضه من الخروج على اللياقة الأدبية والخلق الكريم في الظاهر، فإن ابن رشيد يؤكد أن ذلك آئل لا محالة إلى ما في نفوسنا وعقولنا من النيات.

وإن في الرحلة نتفا ومقطعات وقصائد تزري بنظم الفريد وهي تحتاج وحدها إلى دراسة مستقلة وتصنيف معين لأغراضها وموضوعاتها[1].

8ـ الشكوى من الدهر والزمان وما يتصل بذلك من السخط والرضا والرجاء والخيبة والفراق والوداع

ما أكثر مشاهد الشكوى من الدهر والزمان في الأدب العربي إذ لم يخل ديوان من دواوين الشعراء من ذلك، وكان لكل شاعر موقف من المواقف التي يتصدى فيها للحياة ومشاكلها ومصائبها التي تتحين الفرص لتنقض على هذا الشاعر الذي حباه الله بإحساس وشعور يدرك بهما مسرات هذه الحياة ومضراتها.

وما الشعر الوارد في الرحلة، الذي من هذا القبيل، إلا وجه آخر من وجوه النشاط العقلي والشعور العام للوطن العربي في مشرقه ومغربه، لقد عانى العربي على مر

---

[1] : انظر بعض الأشعار الغزلية في الرحلة: 00/2 و 29/3 و 30/3 و 3-296 و 50/6 و 52/6 و 66/6 و 1/7 و 2/7 و 6/7 و 14/7 و 18/7.

السنين غربة وحربا أخرجته من مسقط رأسه، وذاق ألم فراق الاخوة والأحباب والوطن، واعترته أثناء المحن فترات السخط والرضا، ولقد قال ابن عبد ربه:

ألا إنما الــدنيا نضـــارة أيــكة إذا اخضر منها جانب جف جانب

فمما ورد في الرحلة من الشعر الذي يصف الزمان ويتشكى من أحداثه ومصائبه ما قاله أبو الحسن التجاني في إحدى مزدوجاته (مخلع البسيط)[1]

البسني الدهر ثــوب حزن كأن ملــبوسه حــديد
إن لاح للعـين فيه خـــرق رقـعه حـــادث جــديد

فعلى كل من وقف على ما ارتسم في هذا الوجه ألا يبرح حتى يرتسم في صحة القلب[2] لأن أبا الحسن أغرب حقا في هذا المعنى وأتى فيه بالصورة الحية المتحركة للدهر الذي لا تؤمن غوائله.

ومن قوله أيضا في وصف الدهر (البسيط)[3]

هذا زمـان كــما أبصــرت، جائرة صروفــه لم تــدن فيــنا بانصـاف
فَــرِدْبِهِ كــدرا إن كنــت وارده أولا فمــت ظمأ لا تطلب الصافي

ومع أن التجاني قد أخذ من شعر بشار بن برد في معناه المشهور، فإن صياغته اللطيفة جعلتنا ننظر إلى شعره نظرة جديدة.

وقال التجاني أيضا:

الدهر وراق بــلا مريــة سلني بمـا ذا كان وراقـــا
يخط بالشيب سطور الـردى ويجعل الهـامـات أوراقـــا

وقال في عدم الأمان من تقلب الزمان (المتقارب)[4]

---

[1] : الرحلة 17/7.
[2] : كتبت هذه الجملة في هامش المخطوط 17/7.
[3] : الرحلة 17/7.
[4] : الرحلة 17/7.

أيا صـــاح إنـــا عرفـــنا الزمـــان

بتـــجـــديـــده وبـــإخـــلاقـــه

فـــلا تك تطمـــع في عـــدله   فلـــيس بتـــارك أخلاقـــه

ومن صور الشكوى من الزمان وأهله قول أبي الفضل التجاني (الخفيف)[1]

أنا من قد علمته مت حيا   وطوتني الآداب بالنشر طيا

في زمان بنوه أجور منه   ومكان لم أمس فيه هنيا

هبك أن المكان انـــقل رحلي   لمـــكان ســـواه شـــيئا فشـــيا

ما احتيالي وكيف يجدي احتـــيال

أنني أصـــلح الزمـــان الدنيـــا

ومما أنشده في هذا المعنى الشيخ قطب الدين القسطلاني لنفسه قوله:[2]

أردت من زمني جـــودا يفيـــد جـــدا

فضـــن عنـــي لما أرجـــوه مجتـــهدا

فقلـــت مذ لم أجد حرا ينـــيـــل نـــدى

لِأَجْـهَدَنَّ علـــى أن لا أرى أحـــــدا

وأنثـــني خاليـــا عن قرب من بَـعُـدَا

المخمسات التسعة

ومما جاء في الشكوى من الناس وذهاب خلال الوفاء والمودة والإخاء منهم قول بشر الحافي[3]

---

[1] : نفسه.

[2] : الرحلة 113/3. ودرة الحجال 220/2 ت 310.

[3] : الرحلة 3869 ووفيات الأعيان 274/1.

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب

والناس بين مخاتل ومـوارب

يغشـون بينهم المودة والاخا   وقلوبهم محشوة بعقـارب

ومما ورد في الوداع ما كتب به أبو العباس الاشعري، بخطه مودعا ابن رشيد ورفيقه ابن الحكيم عند حضور سفرهما (الوافر)[1]

وداعكما وداع القلب مني   أبعدكـما يصاحبني الفؤاد

وبينكما يبين الصـبر عني   ويتركنـي يرق لي الجـماد

وقد كان الرقـاد يزور طرفي   وبعد نواكـما ينأى الرقاد

لقد جار البعاد على المُعَنَّى   فديتكما لمن يشـكى البعاد

فطيف منكم يسري اختلاسا   يزور الصـب إن غفل السهاد

بقيتـم للجـمال بدور تم   وبالإحسـان حسنكم يشاد

ويظهر في هذه الأبيات معنى الصدق والوفاء والإخلاص المتبادل بين هؤلاء الأصحاب الذين كثيرا ما كانوا يحضرون مجالس شيوخهم، ويجتمع كل منهم إلى الآخر في منزل صاحبه، ولهذا جاءت القطعة شارحة تلك العاطفة الصادقة، ومبينة لألم الفراق والبعد الذي لا يطاق.

ومما جاء في معنى الفراق وألمه أيضا ما أنشده بهاء الدين بن النحاس قال: كتب إلي شرف الدين إبراهيم بن عز الدين بن فرج كاتب الدرج الشريف صدر رسالة: (البسيط)[2]

فراقكم بعد بعد الدار ألزمنا   ذم الزمان وكنا نحمد الزمنا

يا سادة سكنوا منا القلوب فما   نختار غيرهم إلفا ولا سكنا

نأيتم فدنا وجدي بـكم ودنـا   صـبري فوا حزني مما نأى ودنـا

[1] : الرحلة 66/2.
[2] : الرحلة 30/3.

ولما بعث إليه بعض أصحابه يعاتبه على انقطاعه عنه ثلاثة أيام كتب إليه ذلك، وكان المعاتب هو مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر الصاحب بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم (الوافر)[1]

وحقك ما انقطعت لبعض عهد ولا أنا للمودة بالمضيع
ولكن الليالي غادرتني بلا سكن فريدا من جميعي
وحسبك ما يقاسي طول دهري فؤادي من سؤالي في الربوع

ولما كتب إليه أحد تلاميذته وهو علي بن أحمد التاذفي، وقد طلب منه أن يبيت عنده، فاحتج له بأبيات الصاحب برهان الدين النجاري وقد ذكر فيها معنى منطقيا (الطويل)[2]

أظن النوى القت عصاها لديكم
فحبل التداني منكم اليوم مقطوع
فإن يكن البرهان للهجر حجة
فذاك دليل بالبديهة ممنوع

وأما ما قيل في معاني العشرة الحسنة فهو ما قرأه ابن رشيد على أبي الفتح بن دقيق العيد ولم ينسبه (الرمل)[3]

عاشر الناس بأخلاق الرضا تملك الاحرار من غير ثمن
لا تقل في الحلم ذل فلقد فاز أهل الحلم في كل زمن
إن للصبر عليه مسلكا ليس يرقى فيه إلا من ومن

ومما قاله أبو افضل التجاني يصف حاله مع الصديق وقيامه في موافقته بواجب الحقوق: (الطويل)[4]

---

[1] : الرحلة 29/3.
[2] : الرحلة 30/3.
[3] : الرحلة 9/7.
[4] : الرحلة 64/5. وانظر ديوان ابن دقيق العيد ص: 167 مع اختلاف في رواية بعض الكلمات:

أتيتك والآمال تسري إلى مدى

بعيد أراه باصطناعك يعرب[1]

وقد شنع الأعداء أن مطالبي ترد على أعقابها وهي خيب[2]
وما تركوا من حجة أو أتوابها على أنني ما لي ببحرك مشرب
ووالله ما صدقت أنك ترتجى لدفع ملم فادح فتخيب[3]

ومن هذه الأبيات والقصائد التي تدور حول الشكوى من الدهر والزمان أو الفراق والوداع أو السخط والرضا أو الرجاء والخيبة تبدو لنا نفسية الشاعر العربي في مختلف وجوه الحياة المتعددة، ومنها تظهر لنا العلاقات الإنسانية في أوسع معانيها وقد قال الشاعر: (الطويل)

لمن تكن الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محب أو إساءة مجرم

9ـ الوصف

إن الوصف عامل مشترك بين جميع الأغراض الشعرية، لأن الشاعر يصف وهو يمدح، ويفخر، ويصف وهو يهجو ويعاتب، ويصف وهو يتغزل وينسب، ويصف وهو يشكو ويتألم، ولهذا كان ممكنا إدراج ذلك في الأغراض السابقة الذكر، ولكن أهمية هذا الموضوع تستوجب إفراد مكان مستقل به لإبرازه عنصرا مهما في استجلاء ذوق ابن رشيد من ناحية وفي استكشاف الجوانب المغمورة للرحلة وإبراز مكانتها من تلك الاختيارات الشعرية الكثيرة، والتهدي، على قدر الإمكان، إلى تقويم الصورة الفنية بواسطة الأدوات البلاغية والبيانية فيها من ناحية أخرى.

---

[1] : الديوان: يقرب.
[2] : حبب.
[3] : فتجنب.

وقد قال أحد النقاد: "إن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه، ولكنها بذاتها لا يمكن أن تخلق معنى بل إنها يمكن أن تحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى الذي تحسنه أو تزينه"[1].

وما أكثر طرق عرض الشعراء لأفكارهم، وبواسطة ذلك يستطيعون أن يحلقوا أو أن يسقطوا.

وقد حاول بعض الكتاب التأليف في التشبيهات والكنايات وخص غيرهم فصولا مهمة من كتبهم بالاستعارة والمجاز، واستقصوا ذلك في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وفي الشعر العربي على مر العصور، وبذلك لا نستطيع أن نترك هذه الذخيرة من الشعر المدون في الرحلة من دون أن نتبين فيه طرائق مختلفة من التعبير والإجادة فيه وكانت أداة الشعراء في ذلك الوصف.

بما أن الطبيعة، بأوسع معانيها، كانت تشغل حيزا مهما من نفس الشاعر العربي، فإننا نجد نفسه بها لائطة وقلبه إليها عالقا أبد الدهر بجوانبها، تلك الطبيعة التي ظل يحن إليها وينقل من صورها، ويضيف إليها من إحساسه وشعوره ما كان يرى أنه ضروري لإتمام لوحاتها وإكمال مناظرها، فخياله يمتح منها ما بقيت تلك الطبيعة تغذو عقله وفكره وخياله.

فمما وقع في الرحلة من وصف الطبيعة ما أنشده أبو بكر بن حبيش لنفسه في أبيات منها: (البسيط)[2]

أنعم بيوم له في الحسن آثار   تقضـــى به لك آمـــال وأوطار
وجه الزمان وقد راقت محاسـنه   له ســـفور وللاصباح إسفـــار

والروض يهـــدي نسيما ليس بشـــبهة

في الطيـــب إلا ثنـــاء منك معـــطار

[1] : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. للدكتور جابر أحمد عصفور ص: 392.
[2] : الرحلة 7/2.

والشرق ذو شفق في البحـر مؤتلـق
كأنما المـاء شـبت فوقه النـار
والشمس تطلع كالدينار أخلص من
محـض النضـار فهامت فيه نظـار
تبدو مع المـاء طورا ثم تـرفعها
أوج ويـدفـعها مـوج وتيـار
ما كان للبحر إذ حاكى يديك نـدى
أن يـمسك الشمس فيه وهي دينار

وفي هذه الأبيات تصوير حسن للطبيعة وغوص على أعمق معانيها وصورها، لأن تلك المعاني تنظر إلى معاني البحتري وابن خفاجة في ديباجات شعرهما وفيها الوقوف أمام منظر واحد ولكنه يقدم في صور شتى ثم يخلص الشاعر إلى الممدوح في النهاية ويمضي يهز أريحيته عندما يشبهه بالبحر الذي لا يمسك الشمس وإنما يدفعها ويلقي بها إلى الخارج.

وللكاتب الحافل أبي زيد الفازازي في نزول المطر قصيدة بديعة يقول فيها: (الكامل)[1]

بعد ما ذكر نعم الله التي هي إشارة لعباده يتقبلونها ويشكرون الله عليها ويحمدون قال:

مـدت إليه أكفنـا محـتاجة ما نالها من جـوده تتعـهد
وأغاثـنا بغـمائم وكـافة بالبـشر تبرق والسعادة ترعد
حملت إلى ظمإ البسـيط ريـه ويد الغمام على الثرى لا تُجْحَدُ

[1]: الرحلة 34/2.

والأرض في حلـي الربـيع كأنـها

نطف السـحائب لـؤلـؤ وزبـرجد

والروض مطـلول الخمائل باسـم

والقضب ناعـمة المعـاطف ميـد

ومن بديع ما جاء فيها قوله:

تاهت عقول النـاس في حركاتـها

ألسـكرها أم شكرهـا تتـأود

فيقـول أربـاب البـطالة تنـثني

ويقـول أربـاب الحقـيقة تسـجد

وإذا اهتديت إلى الصـواب فإنـها

في حق خالقـها تـقوم وتقـعد

فاعجب لهذه الصور الفنية البديعة التي مزجها الشاعر بمعاني الرقص والسماع، وكأنه استعار لها بعض الشطحات الصوفية التي تجعل قارئها يهيم في معانيها العميقة.

وفي القصيدة واحد وعشرون بيتا ضمنها الشاعر كثيرا من ألوان البديع.

وقد أحسن الفازازي في مزج الطبيعة بهذه الصور الدينية التي توجد بين الطبيعة الظاهرة والطبيعة الباطنة في نفس الإنسان وتشبع فيه نهم العين والإحساس وشوق الروح والنفس والإلهام، ووحدانيته.

ومن المعاني الحضارية التي تعطينا وجها آخر لما وصلت إليه الصناعة والقدرة على إبداع المهندس العربي، فيقف أمامه الشاعر ليعينه على وصفه ويكتشف المعاني الإنسانية فيه قول محمد بن عيشون لنفسه يصف الدولاب (الكامل)[1]

عجبا لدولاب يـدور كأنه فلك يحـاول ما به قد أفـردا

---

[1]: الرحلة 14/2.

وكأن ماء النــهر در سائل | يلقيه في أعلاه كيــما يجمدا

ولما كانت المحبرة عند الكاتب والشاعر والخطاط أداة للإلهام ومبعثا له ورمزا للعلم والعرفان وأساس الحضارة في كل زمان ومكان، فإن أبا الطاهر بن أبي ركب أبى إلا أن يشخص لنا مغزى ذلك، فقد وصف محبرة أبنوس بحلية ذهب فيها قلم ذهب، وكأن القلم وإياها رفيقان لا يريمان، وهل هناك ما هو أشرف وأقدس من القلم الذي أجله الله تعالى في كتابه العزيز فأحله المكان الأرفع (الكامل)[1]

جاءتك من عــدد العلا زنجية | في حلية مــن حلـيه تتبختر

ســوداء صفــراء الحلي كأنها | ليـــل تطــرزه نجــوم تزهــر

حملت بأصغر من نجار حليها | تُخْــفِيهِ أحـيانا وحينـا يظهر

خرساء إلا حين يرضع ثديـها | فـتراه ينـطق ما يشـاء ويذكـر

ولما كان الشيب والشباب هما العنصرين اللذين يشغلان ذكر الشاعر فإنه كان يرى في الشباب إقدام الحياة والخير والسعادة عليه، وفي الشيب ادبار كل ذلك عنه ونذيرا بالموت والثبور، وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا، ومن ذلك ما أنشده أبو علي الحسن بن علي بن جرير الأستاذ القفصي لنفسه، وهو من بديع القول واعجب التشبيه (المتقارب)[2]

إذا الشيخ آنــس من نفسه | نشــاطا فــذلك مــوت خفي

ألم تـــر أن ذبـــال الســـراج | يـــزيد اتقــادا إذا ينطــفي

فانظر إلى قوة هذه الملاحظة التي تؤديها التجربة والممارسة في الطبيعة البشرية.

ومن بديع قول ابن عصفور في المشيب: (الخفيف)[3]

ما خضــبت المشيــب كرها لشيــب

لا وحلــية الشبيـــبة قصــدي

---

[1] : الرحلة 16/2.
[2] : الرحلة 66/2.
[3] : الرحلة 90/6.

ومما جاء في وصف مغن قبيح الصوت ما أنشده أبو عبد الله الحميري (الكامل)[1]

غنى فَصِحْتُ تألما لغنائه يا للرجال، فظنه استحسانا
فأعاد ما غنى وقال لي استمع هذا الثقيل، فقلت من عنانا

لا شك في أن الحميري استعان بروح ابن الرومي في سخريته ودقة وصفه وإصابته.

ولو شئنا إيراد كل الأبيات والقصائد التي هي بصدد الوصف الحسن والتشبيه البارع والاستعارة المناسبة، لأمكن لنا أن نأتي بالشيء الكثير، وقد قال ابن رشيق: "الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"[2]. ولكن الدارس المستقصي، والقارئ المتأني يتيسر له ما يتعسر على من يتحرى نقل الأهم فحسب، وإلا فإنه يمكن تصنيف ما يعد ذيلا على كتاب التشبيهات لأبي عبد الله الكتاني أو غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي أو تشبيهات ابن أبي عون.

ولما كان الوصف معتمدا على الاختراع والابتكار في الغالب فإن هذه النماذج التي بين أيدينا وجدت سبيلها إلى القلوب والنفوس وذلك بفضل الصياغة الجديدة لما سبق إليه الشعراء في سالف الاعصار.

10- نظم معاني العلوم

(من النحو والحساب والفلسفة والمنطق وغيرها)

إن تضمين الشعراء معاني بعض العلوم الأخرى في شعرهم كالفقه والحساب والمنطق والنحو ودلالات الحروف واصطلاحات الإجازة، لتدل بوضوح على أن ذلك الشاعر ملم بظروف من تلك العلوم أو أنه يعرف أسرارها ويحذق شيئا منها ثم إن ذلك ليدل على قدرة الشاعر على الافتنان والإبداع في فنون القول.

---

[1] : الرحلة.
[2] : العمدة لابن رشيق 204/2.

وقد يأتي الشاعر في ذلك بطرائف وغرائب وحكم نادرة، وقد يأتي فيها بشيء من الإلغاز والتعمية.

فمن ذلك ما قاله أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل في معنى الحرف[1] (الكامل)

من يستقم يحرم ومن هو أعوج   يختــص بالإســعاف والــتمكين
انظر إلى الألف استقــام ففاته   نجح وفــاز به اعــوجاج النــون

وإن كان في معنى هذين البيتين شيء مما يدل على الحث على الفسوق والخروج عن الجادة، فإن فيهما قدرة عظيمة على التصوير والتقاط بعض مناظر الحياة بعين أمينة.

ومما جاء في الرحلة من المدح في معنى من معاني الحساب قول أبي الفضل التجاني مخاطبا لبعض من أخر عن خطته وقدم في غير مرتبته (الكامل)[2]

إن أخروك وقدموا من آثروا   هذا وهم في نسبة الأضداد
لا تقــلقن فإنـمــا تقديمــهم   تقديــم أصفــار علــى أعــداد

فما أبدع معنى أبي الفضل الذي طبعته الحركة بين الاعداد والاصفار في الدلالة والتقويم.

ومما قيل في الغزل وفيه معنى نحوي، قول أبي الفضل التجاني (الطويل)[3]

وكنت أظـن الــواو واو عــذاره   يجــيء لمعنى العطف فامتنع العطف
وما صــح إلا أنها حــرف عــلة   لوجـدي ولكن في فؤادي هو الحذف

وفي معنى المنطق ما انشده القاضي أبو العباس الغماري لنفسه يمدح تقي الدين ابن دقيق العيد، وخاطب بذلك أباه مجد الدين (الكامل)[4]

---

[1] : الرحلة 3/7.
[2] : الرحلة 10/7.
[3] : نفسه.
[4] : الرحلة 60/3.

حييت بالبر التقي ومن يكن برا تقيا مثل ذلك ينتج

إن المقدمتين مهـــما كانـــتا صدقا فمثلهما النتـــيجة تخرج[1]

فلا شك أن الغماري يشير إلى العلاقة بين المقدمتين والنتيجة عند المَنْطِقِيِّين.

ومما يشبه ذلك في حسن التشبيه والتعليل قول أبي الحسن التجاني (الخفيف)[2]

لم أشب لأنني كـبرت وإلا فشهودي عـلى الصـبا أترابي

غير أن الرسول لـما أتاني بالرضـا منك بعد طول العتاب

عظـمت عـندي البـشارة حتى كان خلعـي عليه برد الشباب

وقد قل من الشعراء من يتمنى المشيب، وندر من يطمح فيهم لذلك وهذا أبو الفتح ابن دقيق العيد يتمنى الشيب لا لشيء إلا ليتمتع بحسنيي الشباب والمشيب على خلاف أكثر الشعراء لأن فيهم من كان يمدح الشيب كذلك. وقد قال أبو الفتح[3]: (الطويل)

تمنـــيت أن الشيب عاجـــل لمتـــي

وقرب منـــي في صـــباي مـــزاره

لآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصـر المشيب وقـــاره

ويمكن أن نعد بيتي ابن دقيق العيد من المنصفات في الشعر العربي.

وفي شأن الشيب ما أنشده بهاء الدين بن النحاس لنفسه في شائب (الكامل)[4]

قالوا حبيبك قد تبدى شيـــبه فإلى م قلبك في هـــواه يهـــيم

وفي وصف الكتابة والخطوط وما يتعلق بهما ما أنشده أبو الفضل التجاني للأديب أبي القاسم عبد الله بن المعلم (الخفيف)[5]

---

[1] : انظر التعاريف في معيار العلم 131 وكتاب الرد على المنطقتين 361.

[2] : الرحلة 18/7 وقد كتب في الهامش كلمة (قف ولا تبرح) وذلك لغرابة الوصف.

[3] : الرحلة 64/5 والديوان 156 وفوات الوفيات 445/3.

[4] : انظر بعض ذلك في كتاب التشبيهات 268 وغرائب التنبيهات 168.

[5] : الرحلة 29/3.

خط من شـــاخ مثـــل من شاخ فـــيه

ما اشتكى من زمـــانة واعوجـــــاج

وارتعـــاش الـــــيدين يفعـــل بالـــخط

كمـــا تفـــعل الصـــبا بالســـراج

ومن ذلك ما رواه ابن رشيد قال: انشدني ابن أندارس المتطبب لنفسه، وكتبه لي بخطه في معنى منطقي (الوافر)[1]

وكنت رجوت من زمني نوالا   وان الدهر يسمح لي بغنم
ولما كان لا يُبـــقي بخـــل   به يعـــتد ذو عقـــل وفهم
يئست من النتيجة منه قطـعا   لأن الاختلاف دلـــيل عقم

ومما قيل في التنجيم والمنجمين ما انشده تاج الدين الغرافي قال أنشدنا أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي في كتابه: (الكامل)[2]

لا تركنن إلى مقال منجم   وَكِلَ الأُمورَ إلى الإله وسلم
واعلم بأنك إن نسبت لكوكـب   تدبير حـــادثة فلســـت بمسلـــم

ومن معاني الفلسفة والمنطق ما أنشده أبو المطرف بن عميرة قال: (الكامل)[3]

فضـــل الجـــمال على الكمـــال بوجهه

والحـــق لا يـخفى على من وســـطه

وفي وصف الشعور بلذة مطالعة كتاب جيد لا يمل منه ولا يسأم ما قاله أبو الحسن طاهر بن مفوز لنفسه في كتاب: جامع بيان العلم وفضله: (الطويل)[4]

كتاب بيان العِلْم تأليف شيخنا الإمام ابن عبد البر تحيا بـــه النفـــس

---

[1] : الرحلة 113/6.
[2] : الرحلة 19/3.
[3] : الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف بن عميرة 241.
[4] : الرحلة 19/6 وهو لأبي عمر بن عبد البر النمري، وهو كتاب جليل. مطبوع.

أطالـــعه في كل حـــين وكلمـــــا أردده درســـا يلذ لـي الـــدرس

وَإِنِّي إِذَا اسْتَوْحَشْتُ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ فَلَيْسَ سِوَاهُ فِي اغْتِرَابِي لِي أُنْسُ

فِدَاكَ أَبِي لاَ تَمَلُّ مِنْهُ فَإِنَّمَا يُقَصِّرُ عَنْهُ جـــَامِدُ مـَالَهُ حِـــسُّ

ومما أنشده أبو عبد الله بن حيان عن ابن البراء التنوخي عن أبي عبد الله ابن عمر القرطبي عن أبي القاسم بن فيره عن الحافظ السلفي عن خميس الجوزي لنفسه في فضل إعارة الكتب (السريع)[1]

كتبـــي لأهل العلم مبذولة أيديهـــم مثل يدي فـــيها

متـــى أرادوها بلا مـــنة عـــارية فلـــيستعـيروهـا

حاشاي أن أخفيها[2] عنهم بخلا كمـا غـــــــيري يخفـــيها

أعارنا أشياخنا كتبهـــم وسنة الأشيـاخ نمضـــيها[3]

وقد أنشد هذه الأبيات أيضا أبو القاسم القبتوري لابن رشيد وذلك دون إسناد، ووقع بعض التغيير في رواية البيت الثاني:

"ينـــالها مـــني بلا مـنة عارية من جـــاء يرجوها"

وإن من طرق تحمل الحديث الإجازة، وهي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته، وكان الجمهور يجيزونها، ويرون صحة الرواية بها وهي تكون بعد طول الملازمة حتى يستأنس الشيخ من قدرة الطالب فيجيزه، وأعلى درجات الإجازة المشافهة بها، وتأتي بعدها المراسلة وبعدها المكاتبة وفيها أنواع[4].

وتعد الإجازة في هذا الموضوع مهمة لأنها توضح لنا نوع العلوم المقروءة في فترة معينة، وتدلنا كذلك على مستوى العلم والعلماء في تلك الفترة، وقد صاغ بعض الشيوخ

---

[1]: الرحلة 2/23-24.
[2]: انظرها أيضا في كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص: 175.
[3]: ذكر السمعاني في كتاب أدب الاستملاء أخبارا حسانا عن إعارة الكتب والضن بها ص: 175.
[4]: الالماع للقاضي عياض 68 ومقدمة ابن الصلاح 72.

في شأن ذلك إجازات نثرية لها مكانتها الأدبية والتاريخية، وهناك أيضا بعض الإجازات الشعرية التي لها المكانة المرموقة في هذا المجال.

فمن الإجازات الشعرية التي بين أيدينا ما قرأه ابن رشيد على ضياء الدين عيسى بن يحيى... بن مسعود الأنصاري السبتي بالقاهرة المعزية، فقد أجاز له وكتب خطه غير ما مرة بالإجازة ونصها: (الطويل)[1]

أجزت لمن سمـــى بها ما يجـــوز لـــي

روايـــته بالشـــرط في كل مـــــسند

تلفظت نطقا بالإجـــازة معـــلنا وكاتبه عيسى بن يحيـــى بن أحمد

ولدت بعـــام من ثلاثه وعـــشرة وست مئين هـــجرةٍ لمحـــمد

تطـوفت قدما بالحـــجاز وإنـــني بمصر هو المربـــى وسبتة مـــولدي

ولم تكن هذه الإجازة خاصة بابن رشيد، فقد استعملها ضياء السبتي أيضا في إجازاته لأبي القاسم التجيبي عندما التقى به وكتبها له بخط يده، وهذا يدلنا على أن كثيرا من نصوص الإجازات لم تكن خاصة بأصحابها وإنما كانت متداولة بين كثير من الطلبة.

ومن الإجازات التي لها أهمية كبرى أن أبا الفضل التجاني التونسي أصحب ابن رشيد، لما عزم على الرحيل إلى وطنه، استدعاء بخطه يلتمس فيه من شيوخ سبتة أن يكتبوا له الإجازة وقد صدر رسالته بقطعة ومن أبياتها: (الخفيف)[2]

أيها الســـادة الأبـــاعد عنا أقبسونا من نوركم بالإجازة

لم يحصل لنـــا حقيقة علم قربكم فابعثـــوا إلـــينا مجازة

وعـدتـــنا آمالـــــنا بلقـــاكم ولـــعل الأيـــام تدنـــي نجـــازه

---

[1] : الرحلة 96/3 ودرة الحجال 190/3 مع اختلاف يسير في الرواية وانظرها كذلك في مستفاد الرحلة 91.

[2] : الرحلة 45/7 وانظر هذه الإجازات أيضا في مجلة المناهل عدد 17 ص: 58 ود أوردها كاملة الأستاذ محمد المنوني نقلا عن الرحلة.

ولما وصل ابن رشيد إلى سبتة عرض ذلك الاستدعاء على جملة من أشياخه وأصحابه وكتب فيه نظما جميع أدبائهم ومنهم أبو القاسم القبتوري في قوله: (الوافر)[1] ومنها:

ألبي من أهاب لأن يجازا أبا الفضل المعجز أن يجازى

أجازك سيدي خلف بن عبد العزيز الغافقي بما أجازا

ثم أجازه في ثانية منها:[2]

أيها السيد الذي طال طولا فأرانا صدوره أعجازه

خلف ثم نجل عبد العزيز الغافقي المختط هذي الإجازة

ثم ختمها بتاريخ هذه الإجازة والصلاة على النبي وآله.

ومنهم ابن الشاط في قصيدة منها:[3]

أيها المستجيز هاك الإجازة فاقتبس نورها وراع الوجَازَة

خطه قاسم بن عبد الإله بن محمد مستجيزا مجازه

وجرت عام ستة وثمانين وست من المئين الوجازة

ومنهم أبو الحجاج يوسف الطرطوشي[4]

يا وحيد آياته في المعالي لمجاريه أظهرت إعجازه

كاتب الطرس يوسف بن علي وفي الأنصار بيته ذا احتجازه

قالها عام ستة وثمانين وست من المئين مجازه

ومنهم أبو بكر محمد بن عبيدة الأنصاري الاشبيلي نزيل سبتة في قصيدة منها:[5]

---

[1] : وفيها سبعة عشر بيتا.
[2] : فيها ثمانية عشر بيتا.
[3] : الرحلة 47/7 وفيها اثنان وعشرون بيتا.
[4] : الرحلة 48/7 وفيها واحد وعشرون بيتا.
[5] : الرحلة 48/7 وفيها أربعة عشر بيتا.

أيها المبتغي الإجازة حدث عن أخيكم محمد بالإجازة
بأبي بكر الكنانة إذ قد يبتغيها المجاز من أجازه
وله في عبيدة نسب إن ذكر ابن وإن عراه وجازه

وقد سار على هذه الطريقة في ذكر شيوخه مقلدا سابقيه ومنهم مالك بن المرحل الذي قال على لسان أبي الحسين بن أبي الربيع وذلك في قصيدتين منهما:[1]

أكرم الله مستجيزا أتانا منه شعر سامى السماك وجازه
صدرت عنه قطعة سحرتنا أي سحر أحله واستجازه

وقوله:

ما رأينا كطالب للإجازة بروي أرى الورى اعجازه
واصل غاية المدى بجواد أحرز الخصل في الجياد المجازة
إنه ناظم أسن وقد سن من النظم كنهه ومجازه
مالك بن المرحل اختط هذا وهو أولى أن يستجيز مجازه

ومنهم أبو اسحق التلمساني في قصيدة منها:[2]

أنا سكيت حلبة قد أجابوا فأجازوا ما استوهبوا من أجازه
أطلعت منه تونس بدر علم حاجزا عن مناظر أحجازه
قاله إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله السمري إيجازه

ومنهم أبو عبد الله بن الدراج في قطعة منها:[3]

حسن در نظمتموه استجازه قد أحل استرقاقنا واستجازه
كما شد للترحل عزما منه حلت يد الخطوب حجازه
المسمى محمدا وأبوه عمر بن الدراج نال احتجازه

---

[1] : الرحلة 48/7 في القصيدة الأولى عشرة أبيات وفي الثانية ستة عشر بيتا.
[2] : الرحلة 49/7 وفيها خمسة عشر بيتا.
[3] : الرحلة 49/7-50.

ومهما كان نوع هذه الإجازات عند محقق الاصطلاحات الحديثة فإنها تدل على أنها إجازات شيوخ لهم علم ومعرفة وصيت في الشرق والغرب، لأديب معلوم مشهور بغزارة شعره، والإجادة فيه حتى إن ابن حبيش كان يسميه واصل الغاية، وبهذه الصفة خاطبه القبتوري وابن المرحل، إذا ليست هذه الإجازة لمبهم ولا لمجهول ولا لمعدوم، ولا حتى إجازة عامة ولا معلقة[1] لأن هذه الإجازات كلها غير جائزة في عرف المحدثين، وهذه الإجازة إن لم تكن مشافهة فهي مراسلة أو مكاتبة، وعلى هذا تكون معرفة أولئك المجيزين لأبي الفضل معرفة حقة وصحيحة، وخبرتهم لشعره خبرة ممارسة واطلاع، ولهذا أطنبوا في وصفه برسوخ قدمه واعترفوا له بالفضل والإجادة، وإذا كان أسلوبهم متشابها فإن كلا منهم نظر إليه نظرة خاصة، إذ إن فيهم من مدح شخصه وعلمه وأفضاله وصيته في العراق ومصر وغيرهما من الآفاق، ثم إن بعض هؤلاء طلب له الإجازة من شيوخه كأبي الحسين بن أبي الربيع ومالك ابن المرحل الذي استجاز له شيوخا كالدباج والشلوبين وابن الفحام وابن بقي وغيرهم، وقد أدرج كل هؤلاء اسمهم في قصائدهم وحددوا سنة الإجازة.

11ـ الطرائف والملح

لم نشا أن نغفل جانب الفكاهات والملح والطرائف فيما أوردناه من أدبيات الرحلة، أن أمهات كتب الأدب قد خصتها بأبواب وأولتها اهتماما كبيرا، وقد قال الأصمعي "وبالعلم وصلنا وبالملح نلنا"[2]. وقال ابن مسعود رحمه الله: "القلوب تمل كما تمل الأبدان، فاطلبوا لها طرائف الحكمة"[3]. وقال ابن الماجشون: "إني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي إلا قميص واحد، فأدفعه إلى صاحبها وأستكسي الله عز وجل"[4].

فمن تلك الطرف الواردة في الرحلة ما أخبر به أبو العباس السلمي صاحبه ابن رشيد، أن القاضي أبا القاسم بن البراء كانت بينه وبين، القاضي أبي عبد الله بن الخباز[5]

---

[1] : المصطلحات من كتاب الخلاصة في أصول الحديث للطيبي 106-112.

[2] : زهر الآداب للحصري 160/1.

[3] : نفسه.

[4] : نفسه.

[5]: ترجمته في الحلل السندسية للسراج 406/1.

مباعدة وكان ابن البراء حلف أن لا يجلس معه تحت السقف، فكان أبو القاسم هذا رآه داخلا في مجلس قام وانصرف وهو ينشد:

لنـــا قـــاض لـــه خلـــق اقـــل دميمـــها النـــزق
إذا مـــا جـــاء أوحـشنا فنـــلعنـــه ونـفتـــــرق

وكان ابن الخباز شديد الوقار، وأما ابن البراء فعلى شهرته وجلالته تغيرت حاله بعد ولايته القضاء، والله يسمحه[1]. وكان ابن رشيد يعرف عن هذه النوادر شيئا آخر، ولكن قد يكون فيها شيء من التجاوز الأخلاقي فعدل عنها، ويظهر ذلك في قوله: حكي لنا عن ابن البراء غير ذلك مما لا يليق ذكره والله أعلم بحالها[2] ومن ذلك ما حكاه قطب الدين أبو بكر القسطلاني بمنزله من القاهرة قال أنشدني بمنزله بمكة، شرفها الله، شيخنا الإمام نجم الدين أبو النعمان بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان وقال توجهت إلى ابن الخوافي عارض الجيش ببغداد أهنئه ببعض الأعياد وتركت مشايتي عند الباب، فهنأته ثم خرجت فلم أجدها ثم توجهت إلى البيت وكتبت إليه (الوافر)[3]

دخلت إليك يـــا أملـــي بشـــيرا فلما أن خرجـــت خرجـــت بشـــرا
أعد يائي التي سقطت من اسمي فيـــائي في الحـــساب تـــعد عشـــرا

ففي هذه الفكاهة حسن البديهة وسرعة الخاطر.

ومن ذلك ما حكاه أبو بكر بن حبيش قال[4]: حضرنا مع أبي علي الرفاء في نزهة وكان في الحديقة مقات من الخيار فأكلنا منه في النهار ما قدرنا عليه فلما كان العشي جمع الجنان جملة منه وضمه في قفف وجعلها في حنية في جانب البيت يريد حملها للبيع بالغدو، فتناوله الطلبة بطول الليل حتى أتوا عليه فلما كان بالغدو جاء الجنان فوجد القفف فارغة فقال له الشيخ:

"ولكن لا خيار مع الليالي"

---

[1]: الرحلة 92/6.
[2]: نفسه.
[3]: الرحلة 110/3 ومجلة العرب ج 1-2 غشت 1979.
[4]: الرحلة 52/6.

ومن غريب الاتفاق وعجيب الوفاق ما حكى لابن شيد أيضا عن الوزير أبي الحسن سهل بن مالك رحمه الله أن أبا الحسن الرعيني الكاتب الجليل أراد سفرا من غرناطة فخرج معه الوزير أبو الحسن سهل بن مالك مودعا فمر على بعض حدائقه وأنزله ليتغذى هناك، فقدم له خيارا، فلما فرغوا من الأكل استدعى الرعيني دابته ليركب، فتعلق به الوزير أبو الحسن وقال له: إلى أين؟ فقال: لما عرفت لسبيلي من السفر فقال له: ألم تسمع قول الشاعر؟:

ولو نعطي الخيار لما افترقـنا   ولكن لا خيار مع الزمـان

وقد أعطيناك الخيار[1].

فأعجب لهذه المحاسن والاتفاق لهذين الناقدين وتواردهما في التنكيت على بيت واحد في صدره وعجزه.

ومن مثل هذا الاتفاق أن الفقيه أبا القاسم العزفي جلس يوما مع أحد المتصوفة فذكر الفقيه أبو القاسم بعض ملوك زمانه منكرا عليه فعلا فعله، فقال له ذلك الصوفي: وهل أفسد الدين إلا الملوك، فكأن الفقيه أبا القاسم ظن أنه عَرَّضَ به فقال له نعم يا فقيه وأحبار سوء ورهبانها.

وحكى أبو بكر بن حبيش قال: حكى لنا شيخنا أبو علي الرفاء رحمه الله أنه خرج هو وأبو الخير صفوان بن إدريس وأبو عبد الله بن مرج الكحل إلى بعض متنزهات مرسية فمروا في طريقهم بمسجد فجلسوا فيه يسيرا فلما هموا بالانفصال كتب أبو الخير في صفحة من صفحات حائطه (مخلع البسيط)[2]

قدسـت يا بيـت في البيوت   ودمـت للـدين ذا ثبـوت

فكتب ابن مرج الكحل تحته:

يعمرك النـاس في سجـود   وفي ركـوع وفي قنـوت

وكتب تحتها أبو علي الرفاء:

---

[1]: رحلة العياشي 250/2 عن الرحلة.
[2]: الرحلة.

وإن نبـــا بالغـــريب بـــيت   كنـــت له مـــوضع المبيـــت

ومن ذلك ما انشده أبو حيان الغرناطي، أن بعض أصحابه الذين كانوا يفدون عليه ويتعلمون بين يديه سايره ليلة في بعض أسواق القاهرة، وكان يلقب بدر الدين، فقال له يا سيدي: هل طلع البدر؟ فأنشده ارتجالا:[1]

سأل الـــبدر هل تبدى أخوه   قلـت يا بدر لن تطيـــق طلوعا

كـيف يبدو وأنت بالليل باد   أو بـــدران يطلـــعان جميـــعا

12ـ الألغاز

إن أكثر أبيات المعاني من نوع الألغاز التي نجدها أيضا في كثير من أمهات الكتب، وتسمى أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها[2]. وقد استعملوا ذلك في الإتيان بالعبارة بدل ظاهرها على غير الموصوف بها، ويدل باطنها عليه، وهي من قبيل الملاحن، وتشارك المعمى والأحاجي أيضا من حيث التعمية[3]. ونحن نورد شيئا مما وقع في الرحلة ليدل ذلك على مشاركتها في جميع فنون الأدب، وقد كانت تلك الألغاز تصنع لاختبار الذهن وإيقاد الذكاء[4]، فمن ذلك ما قاله أبو الحسن التجاني ملغزا في قمر (البسيط)[5]

إني حسبـت اسم من أهوى لا لغزه   خوف الرقيـب بما يحوي من العـدد

فكـــان أولـــه نصـــفـــا لثـــالثه   وخمـــس ثـــالثه ثـــانيه فاتّـــئِدِ

والاسم في نفسه أصـــل يكـــون بـه   حساب تاريخ مـــا تبغيه من أمـــد

وهو اسم شيء حكى وجه الحبب ســـنا

وإن تشـاء فهـو فعل الوجـد بالجلـد

---

[1]: الرحلة 75/5.

[22]: المزهر للسيوطي 578/1.

[3]: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي 421/3.

[4]: انظر شعر ابن رشيد من هذا البحث.

[5]: الرحلة 19/7.

وبما أن حرف القاف يساوي في العدد مائة والميم أربعين والراء مائتين، فإن اللغز بهذا معروف.[1]

ومن ذلك قول أبي الحسن التجاني ملغزا في سكين (الطويل)[2]

وما اسـم لشيء قد حكى الدهر فعله

فمن شأنه التفريق بالشـمل لا الجمع

له صاحب إن خاف في الفعل نـبوة

أتـاه فتـأتيه المسـرة والنـفع

يبـاعد إن كان قطـع وإنمـا يـواصله إن لم يكـن عنده قطـع

مصحفه قد صـح في الخيل عيبه ولم لا وعن أمثـاله خانه الطـبع

[1]: يعني القمر.
[2]: الرحلة 19/7.

المبحث الثاني : النثـــر

إن من يتتبع أجزاء الرحلة باحثا عن نصوص النثر فإنه يجدها واردة في صور ديباجات قصيرة وذلك في تقديم ابن رشيد لشيوخه أو وصفهم أو مدحهم[1]، ومنه ما هو وارد متمثلا في الرسائل المدبجة[2] أو الإجازات[3] أو أسئلة الطلبة وأجوبة العلماء عنها[4]، ومنها ما هو متمثل في القصة[5].

ومهما تكن تلك النصوص قليلة في مجموعها، وذلك بالنسبة للشعر فإن لها دلالتها وأهميتها من الناحية الأدبية، وفي إبراز جانب مهم من جوانب الرحلة، وذلك في القرن السابع بخاصة وما بعده بعامة.

وأما النثر الفني فلا يتمثل إلا في تلك الرسائل التي كانت متبادلة بين ابن رشيد وبعض شيوخه، وأما ما سوى ذلك فيعد أقل أهمية، وبعد هذا نعرض لذلك بشيء من التفصيل.

لقد أشار ابن الخطيب إلى أن ابن رشيد كان يجود النثر ويتبصر مواقع حسنه[6]، وإذا ألقينا نظرة عامة على الرحلة وجدنا مصداق ذلك، ويتبين لنا حسن تصرفه في فن القول وقدرته على الإتيان بما يجعله في مصاف الكتاب اللامعين.

ولما كان أسلوب عصره يطغى عليه التنميق والزخرف وكثرة السجع والبديع والإغراق في الصنعة والتكلف في التعبير، فإنه لا شك متأثر بعصره في كل حسناته وهناته. ولكنه مع ذلك لم يغرق فيما أغرق فيه العبدري في أغلب صفحات رحلته من التزام المحسنات البديعية، أو فيما التزمه أبو البقاء خالد البلوي في كثير من المواضع كذلك، أو أبو إسحاق النميري في فَيضِ العُباب خاصّة.

---

[1]: الرحلة 1/2 و 4/3 و 2/6 9/6.

[2]: الرحلة 90/6 و 25/7 و 29/7.

[3]: الرحلة 16/2.

[4]: الرحلة 35/7.

[5]: الرحلة 56/7.

[6]: الإحاطة 153/3.

ولا نجد لابن رشيد من النثر الذي تبدو فيه الصنعة والتكلف إلا في رسائله التي كان يتبادلها مع أبي الفضل التجاني وأبي الحسن بن رزين[1]. وأما فيما عدا ذلك فإن الأسلوب الذي كتبت به الرحلة أسلوب مرسل لا تكلف فيه ولا تصنع ولا ركون فيه إلى كثرة السجع والبديع، أو العمد إلى التقيد أو الالتزام بذلك، وحتى إذا ورد له شيء من ذلك فإنه لا يتعدى فقرة صغيرة أو متوسطة أو بضع جمل أو في تلك الديباجات القصيرة التي يستعملها في تقديم شيخ من الشيوخ أو وصف أديب أو كاتب، ولكن إذا قارنا هذه المقدمات وتلك الفقر بأسلوبه في الرحلة عامة وجدنا أنها لا تعد شيئا بالنسبة إلى كبر حجمها.

وبالرغم من أن ابن رشيد كان محتفلا في صباه بالأدبيات حتى برع فيها قائما على صناعة العربية ومتضلعا منها، كان لا يميل إلى التصنع كما كان في أمور حياته العامة متواضعا ومتحملا كلف الخاصة والعامة.

فمن نثره المرسل الذي سار على منواله في أغلب أجزاء الرحلة قوله:[2]

"وممن لقيناه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ الصالح الفقيه المالكي أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى الفأسي[3] منسوبا إلى مدينة فاس أحد قواعد المغرب، لقيناه بمنزله شرقي مسجد النبي صلى الله عيه وسلم وقد أقعده الكبر عن التصرف، ورأينا منه شيخا فاضلا بارا حسن البشر جميل اللقاء، حاضر الذهن كريم الخلق، قرأت عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري ..."

وتظهر هذه الفقرة خالية من السجع والجناس أو غير ذلك من المحسنات البديعية، لأنه كان يلتمس الفكرة قبل كل شيء، ثم إن أكبر همه هو التعريف بالشيخ وذكر الحقائق العلمية عَنه وذكر الأخبار والنصوص الأدبية وغيرها والأحاديث النبوية، وأما الصياغة عنده فكانت في الدرجة التالية.

---

[1]: الرحلة 80/6 و 27/7.

[2]: الرحلة 80/5.

[3]: هكذا ضبطه لنا بخطه الفأسي مهموزا كأنه فر من الاشتراك: الفأسي - الفارسي.

أما الديباجات التي تظهر فيها سمات النثر الفني فبعضها لا يتجاوز جملا معدودة وبعضها الآخر وارد في فقر، وكل ذلك في عشرين ديباجة تقريبا منها في وصف ابن حبيش[1] وابن تميم الحميري[2] وابن الخيمي[3] وابن جون المراكشي[4] وأبي العباس ابن الغماز[5] وأبي الفضل التجاني[6] وفي وصف شعر ابن الخيمي وفي وصف السفر[7] وفي وصف القدوم[8] ووصف التوجه إلى مدينة معينة .... وأما سوى ذلك فلا يتجاوز فقرة متوسطة أو صغيرة يأتي بها في سياق الكلام، وإن كانت عارضة ففيها بعض وجوه البلاغة من الجناس أو الترصيع أو الترديد أو غير ذلك مثل قوله في أبي محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي: "إنه ذو فهم سديد ونظر حديد ورأي مصيب وأخذ من كثير من العلوم بنصيب[9]".

أو في قوله في أبي بكر بن حبيش: "الشيخ الجليل الأديب الحافل العلامة الناقد المتفنن الحلو الشمائل والمنازع العذب المطالع والتخلصات والمقاطع"[10].

وفي هذه الديباجات البسيطة لا نجد التزاما شديدا بالبديع، فقد يسقط ذلك بعد توازن الجمل وتساويها[11].

أما أوجه التفنن البلاغي فتظهر كثيرا في الفقرات التي تتعدد فيها الأوصاف وتتجانس فيها التعابير وطرق الأداء مثل قوله: "فوافينا تونس قبل طلوع الشمس، فكنا أول داخل على بابها، أقدمنا الله على ما يسر ويؤنس، وتلقانا هناك الأصحاب لما

---

[1]: الرحلة 1/2.

[2]: الرحلة 58/2.

[3]: الرحلة 46/3.

[4]: الرحلة 2/6.

[5]: الرحلة 10/6.

[6]: الرحلة 7-5-4/7.

[7]: الرحلة 1/6

[8]: الرحلة 9/6.

[9]: الرحلة 28/6.

[10]: الرحلة 34/6.

[11]: وانظر أيضا وصفه لابن حبيش الرحلة 1/2 ونفح الطيب 46/6.

سمعوا بوصولنا وأبدوا من الابتهاج والسرور ما ابتهجت به النفوس ووجب أن تملأ به الطروس، فأرحنا بها المطي وأقمنا نستقصر طويل الأنس ونستعجل الزمن البطي(ء)، وتكاد مؤانسة الاخوان تنسينا تذكر الأوطان وتسلينا عن الشوق إلى الأهل والولدان والصحب والجيران"[1].

ومن قوله الذي يصف فيه بهاء الدين بن النحاس: "... وقد أثبت له ما تستحليه ندورا وتستجليه بدورا، وتستعظمه شذورا وتستجيده لبات ونحورا"[2].

ونلاحظ أيضا في هذه الفقرة التزام السجع وكذا الترصيع في قوله: تستحليه ندورا، وتستجليه بدورا هذا زيادة على التجنيس في قوله الندور والبدور.

ومن قوله يصف ابن الخيمي: "وشيخنا ابن الخيمي هذا صدر في أدباء المصريين في عصره، له أشعار عذبة المطالع، حلوة المقاطع تستميل السامع والمطالع، كأنما يُفْرغُ منها في أصداف الآذان درا أو تلقى في الأفواه سكرا أو قطرا[3].

وفي هذه الفقرة أيضا سجع وتجنيس وترصيع في المطالع والمقاطع.

وهكذا لو تتبعنا أجزاء الرحلة لوجدنا فيها جملة من الفقرات المتوسطة والقصيرة يتفنن فيها ابن رشيد، ويبدي فيها ما عن له من فنون القول.

ولكننا لا نستطيع استجلاء حقيقة أسلوبه وقدرته على الافتنان في أنواع المحسنات البديعية إلا في رسائله، إذ نجد في كثير من فقراتها تكلفا وإغراقا في الصنعة. ومن ذلك رسالتان له أجاب بهما عن رسالتي أبي الحسن بن رزين[4] وأبي الفضل التجاني[5].

---

[1]: الرحلة 9/6.

[2]: الرحلة 28/3.

[3]: الرحلة 46/3.

[4]: الرحلة 80/6.

[5]: الرحلة 25/7.

بين أبي الفضل التجاني وابن رشيد:

فمن تلك الرسالتين ما كتب به ابن رشيد لصاحبه أبي الفضل التجاني الذي كان مريضا، فلما أبل من مرضه وفارقه ملم عرضه جعل أول يوم خرج فيه، الوصول إلى منزل ابن رشيد[1]، وحمل معه رسالة بديعة المساق رائعة الاتساق، استهلها بالبسملة والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وأعقب ذلك بأبيات شعرية منها: (الطويل)[2]

رعى الله من أصحابنا كل فاضـــل

كريم المساعي كامل الذات والوصف

الأبيات الثلاثة

ثم تابع بعد ذلك رسالته البديعة التي يقول فيها:

"... وبعد، ففي كريم علمكم، وحكم الوفا والصفاء حكمكم، أن الود إذاكان سليما والعهد إذا استوثق إبرامه قديما، تساوى فيه الظاهر والباطن، وشد عليه يده ومعتقده الغائب، والقاطن، وسقط معه التكلف والتصنع، وصاب به في روض الاخوة التصرف والتمتع، ولم يجد الحاسد سبيلا، ولا الحاقد، على نقض العهد دليلا، وودنا بحمد الله ثابت الأركان، مرتفع بالوجوب عن درجة الامكان لا يشوبه قذى ولا يعتريه أذى ...".

ويقول فيها: "وقد تداركني الله ... بالطاقه الشافية، وجعل العاقبة في هذا المرض تمام العافية، بعد ما ملني الفراش ومللت من الفراش وأحرقتني الحرارة إحراق النار

---

[1]: في أثناء ذلك المرض رأى ابن رشيد فيما يرى النائم كأن التجاني وصل إلى منزله (ابن رشيد) وقال له: خرجت من الحمام وجئت إليك، فبادر ابن الرشيد إلى تدثيره، فأول ابن رشيد أن ذلك هو خروجه من حماه، وأن اللحاف الحاف الله له بالعافية، وعرض ابن رشيد هذه الرؤيا على بعض الأصحاب فأولها بالحمام أي الموت، وفي هذا تصحيف، ولكن التجاني استحسن تأويل ابن رشيد: الرحلة 24/7.

[2]: في هذه الرسالة مائة سطر وفي كل سطر عشر كلمات تقريبا.

أجنحة الفراش، وكنت أحاكي لانخياشها إلى صورة المحاش[1] وأتلوى من آلامها تلوي الخوص في سعف العشاش[2]".

ومنها: "ختم الله لنا ولكم بالحسنى وجعل حظنا من دنيانيا وأخرانا الحظ الأوفر الأسنى، وجازاكم خيرا عن مقاصدكم وشكركم على جميل أفعالكم في عيادتكم وعوائدكم، ولا برحنا نتدارس سور الوداد، ونحافظ على حسن الظن والاعتقاد ما اتصلت حياتنا في عالم الكون والفساد والوجود المبني في الحقيقة على الاعدام لا الإيجاد بعون الله، والسلام الأتم يخصكم، ورحمة الله. كتبها بحال ابلال، وصحة إثر اعتلال، والاعصاب قد اختلجت والأزمة ... انفرجت.

كاتبها محمد بن علي التجاني"

ولما انصرف أبو الفضل عن منزل ابن رشيد، وتعرف الأصحاب ما جرى بينهما، وأمر تلك الرسالة، بادروا إليه وعزموا عليه في إسناد الجواب عن نفسه، فاعتذر ابن رشيد، فما قبلوا، فجاوبه برسالة مطولة منها:[3]

"بسم الله الرحمـــن الرحـــيم اللـــهم صـــل على محمـــد وعلى

آل محمـــــــــد.

رعى الله من يرعـــى الحقـــوق لصحـــبه

ويهدي إليـــهم شـــكـــره عـــبق الـعـــرف[4]

أيتها المفاتحة بالبشرى، الملتحفة بما طال بشرا وطال نشرا، شكرا لما حيت به من شفاء الغليل وإبلال العليل، شكرا، لقد مدحت خبرا ثم حمدت خبرا، فحقيق أن تسمى قطب السرور ودائرة الحبور وطارد الهموم ونجوم الرجوم، فلله ما أهداك ومن أهداك،

---

[1]: شواء محاش ومحاش، أو محشتة حتى امتحش إذا أحرق: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت 610.

[2]: الرحلة 25/7. والعشة: الشجر الرقيق القضبان
النخل الصغيرة الرأس القليلة السعف.

[3]: الرحلة 25/7، وفيها مائة سطر وسطران.

[4]: وقد سبقت هذه الأبيات في ذكر شعر ابن رشيد.
ونلاحظ في هذه الفقرات كثرة التجنيس والترصيع والإشارة إلى الكتب المشهورة في الأدب خاصة.

أظنك قدسية المعالم والمغاني، قسية الألفاظ والمعاني، وإلا فتجانية الدر تيجانية الدر، غشيت بدِرَرِ براعته وحليت بدُرَرِ يراعته، فلله دَرُّكَ ودُرُّك، لقد لبست أفخر الملابس وحللت صدور المَجَالِسِ، وسكنت قلب المُجَالِسِ، وتقلدت قلائد العقيان ورفلت في حلل الاحسان ومحاسن الأعيان، فأنت وسطى عقد أحسابهم وفذلكة عقد حسابهم وخَريدة قصرهم وجريدة عصرهم". ويقول فيها مشيرا إلى فضل أبي الفضل التجاني موردا كثيرا من اصطلاحات الحديث وغير ذلك من المحسنات البديعية.

"فما الأقحوان غب سمائه، ولا السوسن متقلدا لآلئ اندائه نهلته من الوسمي كل بكرة حرة وعلّته من الوَلِيِّ كل عين ثرة ولا السندس من لفح السمائم ولا عَنْبَر الشَّحْرِ ولا مسك العفر بأعبق من نشري لثنائك ... ولم لا والمسك يروي الطيب عن ريح الصبا من أكؤس الجريال عن أنفاسك والعين تتلقى محاسن أخبارك عن قرتها، والاذن عن حسن نغمتها والكف عن صلة نعمتها والقلب عن خالص محبتها، فجمل المكارم بإيضاحك أوضحت وحسان الأحاديث بنقلك صححت وغوامضها ومبهماتها ببيانك شرحت وبتعقلك لمعانيها من عقالها سرحت، وموقوفها برواتك قد رفع، ومفترقها بدرايتك قد جمع، ومقطوعها بسببك قد وصل، ومشكلها ومتشابهها لبصرك الفصل فصِل وفصِّل، ومَرَاسِل سعيدها بسعودك وصعودك رجحت، وريادات ثقاتها وتفردات رواتها بطريقك قبلت فمن المُضَاهِي ومن المُعَالِي، وأسانيد علائك تقسمت بين العوالي والمعالي، فحقيق أن تسمى مالك الصناعتين نظم ونثر، ومصرف البلاغتين إطالة وقصر، ومدرك النهاية عند البداية وواصل الغاية[1] والمخصوص بالعناية، ولله أنت من منعم لشكر أَخِلاَّئِهِ، مقبل بالقبول، مكثر للقليل من حبا أحبائه المساهمين في الحلو والمر والقاسمين في القل والكثر القائلين بوجوب حكم العيادة الفائزين بالحسنى والزيادة[2]، ومفضل بالاغضاء عمن تخلف عن قضاء الحقوق، وتخلف بالجنوح إلى العقوق، وأخذٍ بالعفو عن كدر ذنوبهم اعتمادا على علمه بصفاء قلوبهم".

ويقول فيها:

---

[1]: كان أبو بكر بن حبيش يصف التجاني بذلك.

[2]: هذه إشارة للآية الكريمة: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾. يونس 26.

"وقد كنت لما عراك منها ما عراك يمسي في أرق ويصبح في قلق كل من يرعاك ويود لو يعطى أن يتحمل عنك شكواك، حنو الأغصان في غياضها والأزهار في رياضها ذوت بذواك وذبلت لضناك (البسيط)

فليس من حسن في الخلق يا حسنا إلا تغـــير في خـــلْق وفي خـــلُق
وكيف لا وجمـــيع الحسن مكتسب ومن حسن ذاك المحيا البـاهر الأنـــق

والآن وقد تداعت بالبشائر أقسام الكلام وأفواه المحابر وأسنة الأقلام، فشفيت من كلم اللبس وسالت بمسك النفس وجالت على كافور الطرس، وتثنت من الارتياح المعارف، وتبادرت لحضور الأفراح العوارف، واخضل الزَّهْر وأضاءت الزُّهر، وسرت بالمسرات خوافق الأرواح، وسرت بالانتعاش خوافت الأرواح، وتركبت في الأشباح بعدما كادت تحلل فتمازجا تمازج الماء القَرَاح بالرَّاح، وسارت التهاني حتى صارت كالمثل السائر[1] ودارت على قطب دائرة الأصحاب كالفلك الدائر[2]، فتهادوا البشرى عموما وتهاديتها خصوصا، وتلقوها ظواهر وتلقيتها نصوصا وقبل أشرت بها رؤيا صادقة واضحة وضوح بدر التمام في غفوة اختلستها عند غفلة السهاد على فراش حشوه شوك القتاد بليل التمام، فرأيت كأني ألم بي منك طيف فارتحت له ارتياح الكريم أَمَّهُ ضيف، أو المقرور أظله صيف، وسارعت للسؤال عن حاله فعل المحب النائي الديار دنا إليه على بعد المزار المحبوب بخياله، يخفف ما خبا[3] من خباله. وكدت أوقظ من حوله به فرحا، وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا، فقال: خرجت من المستحم وبالماء البارد طهرت، وفي أفق منزلك ظهرت فبادرت لتدثيره بلحاف، وألحفته به التحافه بُرْدَ العفاف، فأولت الخروج من المستحم خروجه من حُمَّاهُ ورحيلها بلا عود إن شاء الله عن حِمَاه. واللحاف الحاف الله له بُرْد عافيته، والماء البارد إيجَادُه برد حرارته، وتذكرت قول سيد الأنبياء و طبيب الأطباء المخصوص بالصلاة والسلام: الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء".

---

[1]: وهو كتاب مشهور لابن الأثير. مطبوع.

[2]: وهو كتاب لابن أبي الحديد في الرد على ابن الأثير. مطبوع مع المثل السائر.

[3]: كتب في الهامش: خبا: أثقل.

"فأمر الدنيا، كما علمتم، حقير، والكثير منها يسير والخمول فيها أحمد من الظهور، فإن كان ولابد فالتوسط خير الأمور[1] (المجتث)

لـيس الــخمول بعــار ... علــى امــرئ ذي جــلال
فليـــلة القـــدر تخفــى ... وتــلك خــير اللـــيالي

جعل الله ممن هجر خلالها وقاطع حرامها وواصل حلالها، وحسب الفاضل وحسبه الاقتصاد في أمره والاقتصار على كِسَرٍ من حلال، ومن له بها في كِسْرة تقيم صلبه وتصلح العمدة قلبه، أوزعنا الله سبحانه شكر نعمه[2] وتداركنا بلطفه وكرمه، وأنت أيتها المملوكة لآياديهم المتشرفة بالتوجه لناديهم إذا طلعت بأفق السَّراةِ الصيد، فحسبك أن تقضي بالوصيد موقف الخدم على لرأس لا على القدم، وتستأذني ثلاثا عليهم وتتعرفي بالذمم وتتقربي بِالخِدَمِ إليهم وتقديمهم من السلام أتمه وأعمه وأعطره وأَنَمَّهُ، وتقبلي بسط ساحتهم وتلثمي بطن راحتهم... فإن أجازوك جزت وحزت الأمل، وفزت، وإن تكن الأخرى، وحاشاهم، فارجعي متأخرة على أدراجك وعودي خانسة في أبراجك، وأعيدي واجب السلام واسألي من ذي الجلال والإكرام أن يؤمن سرهم وألا يخوب سربهم، ويبقيهم بقاء طويلا ولا يجعل بعدها لكوارث الحوادث عليهم سبيلا بمنه.

من مقتبس أنواركم ومقتفي آثاركم محمد بن رشيد".

ونلاحظ أن في هذه الرسالة إطنابا، وأن فيها كثيرا من الجوانب البلاغية، وذلك من حيث الصنعة والتكلف والافتتان، وقد أجاد ابن رشيد كلمتها ورصفها رصفا حسنا وتأليفها تأليفا متناسقا، وفيها سجع كثير وتزاوج الفواصل وتوازن بين الجمل مثل قوله (طال بشرا وطال نشرا) و(شفاء العليل وابلال الغليل) و(تجانية الدَّر وتيجانية الدُّر). هذا زيادة على ما فيها من التجنيس والترصيع ومن ذلك (المفاتحة والمتاحفة) و(بشرا ونشرا) و(العليل والغليل) و(النجوم والرجوم) و(الإحسان ومحاسن) و(أحساب وحساب) و(نغمة ونعمة) و(قدسي وقسي) و(العوالي والمعالي) و(اللحاف الحاف الله) و(تقلدت قلائد) و(بشرا وبشرى ونشرا) و(حزت وفزت وجزت). وغير ذلك كثير.

---

[1]: في الخبر: خير الأمور أواسطها.

[2]: قال تعالى: "قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي" الآية. النمل 19.

ومن تجنيس الاشتراك قوله: (المجالس والمجالس) و(الدر والدر) و(خبر وخبر) و(الزهر والزهر) و(الدرروالدرر) وغير ذلك مثل قوله (العَرف العُرف العِرف).

ثم إن فيها اقتباسا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والرسالة في الحقيقة من أولها إلى آخرها لا تخلو من صورة من صور البديع.

أما إذا تأملنا المعنى فإننا نجد أن ابن رشيد كان يدفعه صدق الشعور لما كان يكنه لصديقه أبي الفضل، ولهذا جاءت هذه الرسالة مطبوعة، لأن المعاني فيها تطغى على الصنعة والزخرف، وبالرغم من إطنابها لا تشعر بالاملال لحرارة العاطفة وصدقها. ثم إن هذه الرسالة تغترف معانيها ومعارفها من التراث الإسلامي.

ثم جاوبه أبو الفضل برسالة أخرى حافلة ولأنواع تصرفات الآداب شاملة ومنها[1]:

"ما لهذه النسمة الشِّحرية، أصبتني صباحا فأحْيَتني حين حيَّتْنِي، ولهذه الغمرة السحرية ألهمت النفس صباها...، وإلا فما لتلك تناسمنيَ خطوطاً، ولهذه تنص إشاراتها علي نصوصا، أستغفر الله من هذه الزلة، وأسأله العصمة من حوادث الغفلة... بل هي تحفة القادم[2] وشرح المعالم وروضة الأزهار ومشكاة الأنوار ونكتة السحر وروح الشحر وجنى الزهر وسنا الزهر ونثر الدر ويتيمة الدهر ودرة الغواص والسر المكتوم إلا عن الخواص وسمط الهدى والحديقة المتعاهدة بالوسمي والولي، رسالة أجلت فيها ناظري... فعاينت نور الطرف ونور الظرف وزهر الآداب وثمر الالباب وسر الفصاحة وحدائق البلاغة ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال، فهي مثل الضارب وأمل الراغب ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء وزاد المسافر والفلك الدائر على المثل السائر والطالع السعيد والعقد الفريد والقدح المعلى والأدب المحلى والمجلى قد اشتملت على الجواهر الموشحة والزواهر المفتتحة والانوار الضحوية والأقمار الصحوية والنفحات النَّجْدِيَّة بل اللمحات الرشيدية... وهي طويلة.

---

[1]: الرحلة 27/7، وهي تتألف من ستة وتسعين سطرا.

[2]: هذه الإشارة وما بعدها إشارة إلى الكتب المشهورة.

ثم راجعه ابن رشيد برسالة أخرى طويلة يقول فيها[1]:

"أهلا وقربا وسهلا ورحبا، وعيشا رغدا ويمنا وسعدا، بعذراء الجَنان بل بحوراء الجِنان، ذات النفحات المسكية بل النسمات المكية، لقد تقلدت بالجواهر السلكية بل بالزواهر الفلكية، ورفلت في الحلل المَلِكيَّة وتحليت بالحلى المَلَكيَّة، وجررت على المجردة فضول أذيالك، وسفرت فتبرقعت ذُكَاءُ خَجَلا من حسن دلالك، ونزلت منزلة القَلْب وتخذت الهلال مكان القُلْب[2]، وأحرزت نوري البدر والشمس وأسندت ميت هواي لصدرك فأنشرته من الرمس، وأتلعت جيد الغزالة وظهرت فأخفيت نور الغزالة، واسشعرت الشعريين وسمكت السماكين وأمسكت تحت أقدامك قوادم النسرين...

ومنها:

فالبلغاء والفصحاء والشعراء والخطباء وجُمَلَةُ الكُتَّاب وحَمَلَةُ الآداب أعجزهم فصل خطابك.

ويقول في آخرها:

وسيدي بعلاء فضله يَغُضُّ جفن الانتقاد وينظر إلى كريم الوداد وخالص الاعتقاد فما تَصَدَّيْتُ مقابلا ولا مبارزا، بل أتيت مضطرا عاجزا، وأنى لي بالإجادة وقد ضرب العي بيننا حاجزا. ولقد كان الاولى لي كَتْم غيبي وستر عابي، ولكنني اعتمدت على سيدي في ستره وإماتة ذكره بطي نشره أخدمه الله الزمان ووهبه منه الامان، ولا زالت الأقدار جارية باختياره والسعود من أعوانه وأنصاره بِمَنِّهِ والسلام الكريم... من محمد ذكره ومجزل شكره ابن رشيد.

وقد أبان ابن رشيد في هذه الرسالة المسهبة أيضا، عن حسن تفننه وافتتانه واقتداره وسعة ثقافته وطول نفسه وتمكنه من أسرار اللغة العربية ومعاني مفرداتها ومكامن أساليبها الرصينة، وهي على الرغم مما فيها من الإطناب والإسهاب، لا تعدم حلاوة وطلاوة.

---

[1]: الرحلة 29/7 وفيها مائة سطر واثنان وعشرون سطرا.

[2]: من السوار ما كان قلبا واحدا أو مفتولا من طاق واحد. مختار الصحاح ق.ل.ب.

ثم إن ابن رشيد التزم فيها ما التزمه في الرسالة السابقة من البديع، ولكنه، فيما يظهر، لم يتكلف ذلك التكلف الذي يجعله يتقعر في البحث عن الكلمات المترادفة أو المتجانسة بل يلاحظ أنها كانت تغمره كالماء الفياض، وتنثال عليه انثيال الأرانب في الغياض، ويظهر ذلك مثلا في قوله:

يا هذه ديني لحفظ الميثاق، وميلي إلى لحظ الوفاق، فقد علمت أن مهديك لديه من أخواتك اليتامى الفرائد والحور المقصورات التي حليها الفرائد الحالية..[1]

ونجد لابن رشيد نوعا آخر من النثر الفني الذي يظهر فيه التعقيد والصنعة والتكلف أكثر مما سبق، وذلك مثل التزامه إيراد حرفين معينين في الجواب عن رسالة أبي الحسن بن رزين[2] الذي التزم فيها حرفي الراء والباء لشهرتهما بابن رزين وابن رشيد، وإن ما يدلنا على أنه كان يحذق هذه الصنعة ما ورد في الرحلة[3] من خبر تعليم ابنه وتدريبه على الألغاز التي تحتوي على مثل هذا الفن من القول، ولولا ذلك ما وصفه تلميذه الكاتب المتفنن القاضي أبو البركات بن الحاج البلفيقي بأنه كان يجود النثر ويبصر مواقع حسنه[4].

فمن تلك الرسالة التي كتب بها ابن رزين لابن رشيد قوله: (البسيط)[5]

آثارك ابن رشيد بان مفخرها وسر مأثور أنباء وارشاد
بقيت مشرع آداب ومظهرها شهاب مسترشد بستان مرتاد

اقتضبت أحرفي للجانب الأرفع والجناب الامرع... عريق الأحساب الكريم الانساب... محرر لباب غرر الآداب... ومحرز البيان... المريع الجناب الزاخر العباب... وذكر طاب وطار وطبق الأقطار، وصريح إبائك وكرم آبائك وعاطر أنبائك وشرعك لا

---

[1]: الرحلة 31/7.

[2]: الرحلة 80/6.

[3]: الرحلة 34/7.

[4]: أزهار الرياض 384/2.

[5]: الرحلة 80/6 وفيها واحد وخمسون سطرا.

عذب المشارع باتباع الاثر النبوي، وترفع مباهاتك رواة البلاغة، والبراعة بمعجب المأثور والمبتدع والمروري، وتبكيتك لشعرائهم وكتبتهم المهرة بانطباع مخترعات البديه والروي.

ورواتهم متبعون رجاحة تبيينك وتنقيرك... وشعراؤهم ابتزهم رونق الصباحة استعارتك المبهتة روائعها وإبداعك كجرير ولبيد وطرفة وعَبِيد وابن حُجْر وابن حَجَر وابن معمر ونصيب الأصغر وابن مطير وتوبة وزهير وابن زهير وابن خراش وأبي رياش والنوابغ والرستمي وابن الومي وتماضر وأبي جعفر بن مناذر وحبيب والخاسر وأصحاب النوادر... وقطري والمتنبي والسري والمهلبي وعمرو التغلبي ومنصور وأبي منصور وابن مرداس...

ويقول فيها:

وابن رزين كاتبها شعاره حبك وتوقيرك باطنا وظاهرا... عارفا بواجبات قدرك ومسببات شكرك غائبا وحاضرا... ومسترشدا بك ومكاثرا ومقتبسا أنوار بيانك.

ويقول في آخرها بعد أن نبه على أنه التزم فيها حرفي الراء والباء:

وراسم البطاقة موقر جانبك العارف بواجبك الكثير بك شاكرك ابن رزين التجيبي.

وبعد ذلك جاوبه ابن رشيد برسالة أخرى التزم فيها حرفي النون والياء ويقول فيها:[1]

بسم الله الرحمـــن الرحيـــم اللهم صل على محمـــد وآل محـــمد

لمن سجاياه حسان رعيها قمن لسيد منعم بالرعي: منتدب للهدي، منتسب للخير سَمَيْدَعٌ مُنْجب للعِلْية النُّجب، حيث نسمة حجازية النحر[2] تجيبية النسب متساوية النسب يحيي الأنوف طَيِّبُها ويحيي النفوس صَيِّبُها، فالند يستمريها والعنبر يستجديها بمنها مولية الامتنان، عالية المكان، بديهية انتخبها قوي المُنَنِ[3] وهدية انتخبها زكي المِنَنِ.

---

[1]: الرحلة 81/6 وفيها أربعون سطرا.

[2]: الأصل والحسب.

[3]: المنه بضم الميم: القوة.

ويقول فيها:

ونسق حليها بناصعها يتعشق، وصانعها يتشوق منظرها يخلب ومنطقها يعذب، نُورها يفوق ونَوْرها يروق، لصنعاء يعزى صنعها، وللفهري دنا خيرها ونفعها... نظم يحكي الجُمان ويسبي الجَنَان،... يتلوه نثر يزري بالنشرة[1] سياقه، فالنجوم السيارة نطاقه، يغلب صهوان ويسلب رضوان، وأمية وابن عطية، ابانة عمادية ومكانة رئاسية وزَكانة اياسية ونباهة فارسية ونبالة فراسية ونجابة تجيبية ولسانة هذلية فتنت الحاتمي وفندت التهامي... وعيت الخنساء واستحيت عنان وهي الحسناء، فالدراية منه والرواية عنه، نعم مغناهما ومظهر معناهما، يبدي فنونا ويربي فتونا، فيصب حسان ويصبو سحبان... يُسْبِلُ العنان فيروي الظمآن... ويبتهج السندس فيري لانوار الرياض تناظر يعجب، ولاغصان الغياض تعانق يطرب، نظرت ورضيت، ونظمت وزهيت، فمن يباهي (يجاري) حسنه أو يباري (يضاهي) مزنه، وأي المحاسن، ولديه المحاسن، ويجري منتخبات الجياد لانتهاء الغاية، فمن يجاري ومن يباري... من يمتطي متون الاعوجية والمنتخبات الارحبية، شتان وهيهات مقارنة المشيع والجبان والسيء والحسن.

ومنها يخاطب ابن رزين:

يقسم ابن رشيد لاذعنت يراعه... وانتبه ارتياعه وأقامت من رويته فنزفت ركيته[2]... فناشدته بحرفي النون والياء... فانتدب إليهما انتدابا يليق بالنبهاء العلية النبلاء..."

وقد راجع ابن رشيد شيخه ابن رزين في وسط ذي القعدة 685 هـ.

ويظهر من خلال هاتين الرسالتين مدى ما وصل إليه النثر الفني في عصر ابن رشيد وشيخه ابن رزين، وبالرغم مما فيهما من براعة الأسلوب وانتقاء اللفظ وتخيره وكثرة الإحالات التاريخية والأدبية، والحرص على التقيد والسجع والجناس والازدواج والتورية والطباق وغير ذلك، فإننا لا نحصل من وراء ذلك على كبير فائدة من حيث

---

[1]: النشرة: النسيم.

[2]: الركية: البئر.

المعاني والصور البديعة، لأنهما لم يصفا بعضهما إلا بما عهدناه في تقريظ العلماء والأصحاب لغيرهم، وذلك من حيث وصف الأخلاق والعلوم.

وفي الرحلة بعض النصوص النثرية، منها الرسالة التي كتبها أبو عبد الله بن مبارك لابن رشيد الذي قال:[1]

بعد ذكر بعض المقطعات من نظمه كتب لي بخطه ما نصه:

بســم الله الرحمــن الرحيم صلى الله على سيدنا محمـد وآله وسلم تسليمـــا

بم أقابل سيدي حفظ الله كماله، وأواجهه، وبم أخاطبه، وإليه انتهى فصل الخطاب وأشافهه، وفي أي نمط من الافاضل اذكره وبأي نفيسة من الفضائل أشهره، ولو أني أنشدت في أوصافه التي عنها يقصر كل مرام للكلام، وإليها يظول من المفاخر كل كمال وتمام.

اقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكـــاء إياس

ويقول فيها:

لم أكن مبدي السها مع القمر ولا مهدي الأصداف إلى الدرر، لحسن المعارف، وهو النافذ اغضاء ولشخص العوارف، وهو الناقد ارضاء، و إن جلبت سقطا موضوعا فإني عليه محمول، وإن لم أكن فمطبوعا، فتغاضيتم عنه المسؤول أبقاكم الله لانواء السماح سماء ولانوار المعارف والعلوم شتاء إنه سميع مجيب. والسلام الأتم الأرج الانم يخص به مقامكم العلي عبد الواحد بن مبارك.

ولا شك في أن كثيرا من خصائص هذه الرسالة قد سبق ذكرها في رسائل ابن رشيد وأبي القضل التجاني.

---

[1]: الرحلة 62/2.

أ- الإجازة

لقد اشتهر كثير من العلماء بإجازاتهم المعينة والعامة وتضمنت كتب الحديث والرواية عددا من الإجازات المهمة التي تعد صورة لثقافة العصر وعقله.

فمن الإجازات العامة لابن رشيد، الواردة في الرحلة، قوله:[1]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آل محمد

يتفضل من وقف على هذا المكتوب من العلماء الأفاضل منح الله تعالى بحياتهم، ونفع بصالح دعواتهم، وأعاد علينا من عميم بركاتهم بالإذن في حمل جميع ما يحمل، وما أنشأ من تأليف منثور ومنظوم على الشمول والعموم لكاتبه الداعي الله تعالى بتكثيرهم وطول بقائهم وتيسير لقائهم والاقتباس من أنوارهم والاقتداء بكريم آثارهم محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري، ولابنه أبي القاسم محمد هداه الله تعالى، وأن يعينوا من ذلك ما أمكنهم، وأن يسندوا حديثا أو مقطوعة من الشعر لهم أو لغيرهم لمكان قوة الاختلاف في الإجازة المطلقة وضعفه في المعينة، وما أمكنهم تعيينه من أشياخهم، وأن يرفعوا في أنسابهم وأنساب أشياخهم وأن يعينوا ما تيسر من موالدهم ووفياتهم جريا على مهيع السيادة التي سلكوا وعنانها ملكوا، والله يشكر فضلهم وينظم يوم المعاد في سلك الاسياد، بالنبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، شملهم والسلام الكريم... ورحمة الله تعالى وبركاته بعهدهم، وجميع من حضرتهم من طلبة العلم حماهم الله تعالى.

ويظهر أن هذه الاستجازة كتبت قبل الرحلة ثم أثبتها ابن رشيد في رحلته دون إشارة إلى تاريخ كتابتها أو مكانه، ونستدل على ذلك باقترانها بإجازة أبي محمد عبد الله بن يوسف الخلاسي الذي أجاب عن هذه الاستجازة بنص مؤرخ بعام اثنين وثمانين وستمائة (682 هـ)، فإذا عرفنا أن ابن رشيد لم يقم برحلته إلا عام 683، وأن كتابة الرحلة وإخراجها لم يتم إلا عام 696 على يد تلميذه عبد المهيمن الحضرمي، أدركنا أن هذا النص مهم جدا من حيث أقدميته.

---

[1]: الرحلة 15/2.

ومما أجاب به أبو محمد الخلاسي على ذلك النص السابق قوله:

"أجزت لهما وفقهما الله وسددهما وأعانهما جميع ما أحمله وأرويه عن الشيوخ الجلة، رحم الله جميعهم ونضر وجوههم من قراءة وسماع ومناولة وإجازة على شرطها المعروف وسننها المألوف، قاله وكتبه عبد الله بن يوسف الخلاسي في يوم الجمعة 29 ذي القعدة عام 682 هـ حامدا الله ومصليا على سيدنا محمد ومسلما تسليما".

وممن أجاب عن ذلك المكتوب أيضا أبو محمد بن هرون في ذلك التاريخ نفسه: ونص ذلك الجواب:[1]

الحمد لله حق حمده

"أجزت الفقيه السري الزكي المذكور... ولابنه الطالب النبيه النجيب أعزهما الله ما سألاه حسبما كتباه وأملاه، وأذنت لهما في كل ما ذكرا أن يحملاه على الشروط المتعارفة في ذلك، والله ولي التوفيق الهادي إلى سواء الطريق، فلا توفيق إلا توفيقه ولا هدي إلا هداه، قال ذلك وكتبه بخطه العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه عبد الله محمد بن هرون الطائي القرطبي عفا الله عنه وأتاه رحمة من لدنه في آخر شهر ذي الحجة مختتم عام اثنين وثمانين وستمائة (682 هـ). وقال، بمدينة تونس كلأها الله، والحمد لله حمد الشاكرين الطاهرين الطيبين إلى يوم الدين.."

ومن خلا ل هه النصوص يتبين لنا أنها لم تلتزم التكلف أو الصنعة ولم تعمد إلى البديع والمحسنات اللفظية إلا في الأقل، ولكن يظهر عليها الصبغة العلمية التي لا تهتم إلا بذكر فنون العلم وحقائقه ومصطلحاته وذلك في إيجاز واختصار.

وهناك من الإجازات ما يعين المعلومات التي يجيز فيها الشيخ طالبه مثلما فعل أبو محمد بن هرون الطائي القرطبي في إجازته لأبي القاسم بن الشاط[2] فمما كتب به إليه خبر عن قصيد الشقراطسي وقصيدتي امرئ القيس والنابغة والشعر الذي ارتجله أبو بكر

[1]: الرحلة 15/2.

[2]: نفسه.

ابن قسوم وشعر أبي الحسن بن عمر الشاطبي في وصف تمر يسمى حفصة، وما أنشده المقرئ أبو العلى إدريس بن محمد بن موسى الانصاري.

ب ـ الإجازة بالحوشي من اللغة

وفي صدد الإجازات نورد نصا من نصوص أبو عمرو بن دحية في إجازته لأبي الحسن الغرافي السني، شيخ ابن رشيد بالاسكندرية[1] ونريد بذلك مقصدين: فأما المقصد الاول فنريد به التنبيه على إجازة المغاربة للمشارقة، وأما المقصد الثاني فإثبات ما قيل عن أن ابن دحية هذا كان يتوخي الغريب المستهجن والنابي المستثقل، "حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه"[2] لأنه "كان يتكلف الاغراب على سماجة، ولعله يقصد إلى المعاياة والتظرف"[3]، وقد رأى الغبريني كثيرا من رسائله ومخاطباته المغلقة المقفلة[4].

قال ابن رشيد[5] وممن سمع عليه أيضا شيخنا أبو الحسن الغرافي، وأجاز له: أبو عمرو بن دحية الكلبي، ونص إجازته له عقب استدعاء أملاه علينا شيخنا أبو الحسن:

"أجزت لمن ذكر فوق هذا وفقهم الله وسردهم، وجعل الغرفة نُزُلَهُمْ وحال بينهم وبين المأنوسة، وجعلهم من المخبيتين العاملين بطاعته وأجزت لهم عن إِلْبَة عطمصيطة".

قاله عثمان بن حسن[6] بن علي بن محمد بن دحية الكلبي.

وقال بعد ذكر أسانيده في الكتب الستة مصححا على ذلك ما نصه:

"ما رقش فيه وذبر من الأسانيد صحيح بحمد الله ولي فيه أسانيد أعلى من هذه كومح الطرس عنها"[1]. قاله عثمان بن حسن وقال كذلك "وكذلك سماع السداسيات والخماسيات المخرجة لابن عتاب صحح كما عنتم في تاريخه"[2].

---

[1]: الرحلة 3/12-13.

[2]: المطرب: ص: ض.

[3]: المطرب: ص: غ.

[4]: عنوان الدراية 228-229.

[5]:الرحلة 3/12.

[6]: المطرب ص: و:الحسن.

ومما وقف عليه ابن رشيد من كلامه بخط الرئيس أبي عمرو ابن أبي عثمان، وهو من سهله:

"الفقيه الأستاذ النحوي الداناج الفرغم، رزُّ الجن ومَرْعَبُها، أبو العباس بن ميمون الجزائري، وفقه الله ورعاه وأنجح مسعاه، هذا وقت وفاء وذمة، وقد ينوب واحد عن امة، وللدهر انتقال، ولكل حال مقال، عتى وعسى من القوم عندي زرقوا على العشرة فصاعدا ما يكفيهم وكادوا يأكلون الحربث والعلمن، وقد أجاز مالك رحمه الله أن تدفع الصدقة لمن له الدار والخادم، والفرش، وأبو حنيفة يشترط النصاب، والشافعي يشترط القوت. والسلام.

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن في الرحلة إفادات انفردت بها يمكن أن تضاف إلى ما عرف عن تراجم ابن دحية، وذلك للكشف عن الجوانب الغامضة من نثره، وإننا إذ ننقل هذه النصوص بحذر، لا نريد من ذلك الاهتداء إلى فهم غريبها أو التنبيه على أنه قد يكون وقع فيها شيء من التحريف بواسطة النقل أو النسخ وذلك باعتبار أن الجزء الثالث ليس بخط صاحبه، ولكن يكفي في إيرادها ملاحظة فن من فنون القول.

سؤال الطالب شيخه

وتظهر صور النثر أيضا في سؤال الطالب شيخه وجواب أستاذه عليه: فمما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وكتبه له بخطه وأسمعه له بلفظه، **سؤال** كتب به لشيخه القاضي الإمام أبي الفضل أبي القاسم بن زيتون، ونص ما كتبه مستفتيا قوله:

"ما يقول سيدنا الإمام المقتدى بصلاح سعيه، والمهتدي بصلاح رأيه، جبل العلم وطود الفهم والحلم، معرفة المعارف وإن لم يكن مضمرا إلا في القلوب، ومنية العاري والعارف لفوز طالبيها منه بالمطلوب، شمس الفتيا التي طلعت غربا فأجلت المغرب وجلت عن ساحته بلالائها الغيهب، أبا الفضل زاده الله من أفضاله عليه، وأفاض علينا من بحر العلم الذي أجراه على أصغريه، في شاعر تصرف في نظم سلكه كما يتصرف المالك المتمكن من ملكه، فأداه توسعه في فنون الخطابة الشعرية، إلى نظم أبيات مذيلا من

---

[1]: الرحلة 13/3.

[2]: نفسه.

الكتاب العزيز على آيات شموسها ذات آيات، هل ذلك لهم جائز؟ أم هو في فعله متجاوز؟ أم على خطب التفصيل دائرة التحصيل والرأي الأصيل؟، فإنا رأينا الشعراء قد اختلفت أغراضهم في هذا المنحى وتباينت مقاصدهم في نظم هذا المعنى، فمنهم من يذيل على الآية من غير أن يقصد إلى معناها بتغيير، أو يتناول لفظها بين تقديم أو تأخير، بل يأتي منها بدليل سمعي يهدي به إلى مشرع شرعي أو مرعى مرعي، ومنهم من يلحظ المعنى أتم اللحظ إلا أنه يهدم بعض أركان اللفظ وذلك إما لغفلة عن هذا القدر أو لامر اقتضاه غرض الشعر، وهنا أرشدكم الله سؤال: هل لا يسلم لمن جعل المقصد الاول لهذا أصلا أصلا، وهل النزوع لهذا المنزع الثاني أولى أولا. ومن الشعراء من يترك اللفظ على مبناه، ولكنه يقلب معناه ولا يبالي، أقلبه لمعنى رئيس أو قلبه لمعنى مرؤوس، بل هو في ذلك بحسب ما يعرض ويقتضيه المقصد والغرض، وكثير منهم هذا منحاهم، وأما أهل المسلك الأول فقليل ما هم، وبعضهم يقلب اللفظ والمعنى، وهؤلاء على فرقتين: ففرقة للفظ ألحظ، وفرقة بالمعنى أعنى، فهذه حفظكم الله منازع القوم... اليوم. فهل عليهم من حرج أم سلكوا هذا المسلك، وهم فيه على عوج، أم تحتاج هذه المسألة إلى برم ونقض، وبعضهم لدى النظر أسلم من بعض، ثم بتقدير ما يكون من الجواب وتقريراتهم أو بعضهم على الخطإ والصواب، هل يحاسب بجريمة، أو يطالب بقضية من خص ما رأي من منازعهم هذه في تصنيف خاص وأتى بجلها فيه إتيان مستقص قاص ليستدرج بها فهما نعس ويستخرج منها علما درس، فجعل أصلا ذكر فيه الشعر بالآية المصدر بها، وأتبعه فصلا أشبع فيه ما توجه من النكتة الأدبية بسببها،... وانتهى في تفسيرها إلى الغاية ثم كذلك فيما تعلق بالعلوم من نوعي المنثور والمنظوم كله شرع فيه هذا الشروع، ومشى فيه هذا القانون المشروع، فهل عليه في ذلك بأس؟ أو في أمره التباس؟ أو الحق أنه في ذلك طالب إفادة وصاحب سعادة وشاجر خير وزاجر أيمن طير (الطويل)

جوابكم لي موضح هذه الأشيا   وفتياكم في مثلها نعمت الفتيا

فأنتم بأفق العلم نجم هداية   يضيء ويحيى نوءه الفهم بالسقيا

تحلون عقل المشكلات بعقلكم   فيوضح من كل المسائل ما أعيا

بقيتم لرفع[1] العلم تبدون سره ودمتم لخفض[2] الجهل تطوونه طيا

ولا زالت الدنيا تحلى بمجدكم فمجدكم قد لاح في جيدها حليا

والسلام الأطيب يقتضي بعاطره أسراركم الملتمسة، ويختص بفاخر أنواركم المقتبسة، محمد بن علي التجاني، ورحمة الله تعالى وبركاته." ا.هـ.[3]

وقد أشار ابن رشيد إلى أن ابن زيتون لم يجب سائله عن هذه المسألة، ولعل ذلك، حسب رأيه، لتنزه الشيخ عن النزول، لما فيها من التفاصيل، أو للعدول في السؤال عن طريقة الفقهاء إلى طريقة الأدباء.

ثم استدرك ابن رشيد قائلا: "ومع ذلك فالمسالة داعية إلى الإطالة والإطناب، وقد أشرنا أثناء كلامنا، عند انشادنا، ما خف من هذا النوع، إشارة ترشد إن شاء الله ويهدي بفضل الله، وإن تيسر لنا فراغ، فسنضم بحول الله أطرافها[4].

وقد أوردت هذا السؤال المطنب كاملا لما فيه من الفوائد الكثيرة، ثم لما فيه من صور النثر الفني الذي كان أبو الفضل التجاني يرفع لواءه، وبما أن نص هذا السؤال يتسم بالطول والإسهاب، فإن فيه بعض عناصر الجواب التي نفهم منها ما قد يتبادر إلى ذهن أبي الفضل وأستاذه ابن زيتون وما يكون أجاب به ابن رشيد عليه وفصله في غير هذا المكان.

ولكن الذي يهمنا في هذا السؤال هو الجانب الادبي والمنحى البلاغي، لأن فيه تفننا وحرصا على التقيد بالبديع والمحسنات اللفظية من تجنيس وتسجيع وغيرهما من التنبيهات المفيدة على اختلاف منازع الأدباء عن طرائق الفقهاء، وليتنا حصلنا على جواب ابن رشيد وتعليقه على هذه المسألة ليتضح لنا أمر كثير من المسائل التي أثارها أبوالفضل، وهي في اعتقاده مسائل تحتاج إلى تفصيل وتوضيح، لو انبرى لها كذلك الفقيه ابن زيتون فوضحها وكشف اللثام عنها.

---

[1]: في الهامش: لحمل العلم.

[2]: لوضع الجهل.

[3]: الرحلة 35/7.

[4]: لم أجد في الرحلة ما يدل على ان ابن رشيد أجاب بشيء عن ذلك.

القصص والنوادر والحكايات

لا تخلو أمهات كتب الادب من ذكر بعض القصص والحكايات والنوادر والطرف والملح والفكاهات، وسواء كان يقصد بها التأريخ أو التظرف، فإن ذلك صورة للنفس الإنسانية في بساطتها وتعقدها، في سرائها وضرائها، وهي كذلك عنوان عن العقل البشري في مختلف البلدان والأعصار، ولهذا كانت تتباين دلالاتها وتختلف حسب المكان والزمان مقاصدها، وتتبع الظروف السائدة في المجتمع وتصوره تصويرا أمينا.

وفي الرحلة بعض الإشارات التي تفيد ميل الفقهاء والكتاب والأدباء إلى هذا المنحى، ومما وقع في الرحلة من ذلك ما قرأه ابن رشيد على أبي البركات شعبان الخلاطي الصوفي، وهو جزء فيه من حكايات عبد الملك بن قريب الأصمعي عن العرب وغيرهم وذلك في خمس حكايات[1]. ومن ذلك أيضا: ما سماه ابن رشيد حكاية طريفة ولصوصية ظريفة[2] عن ابن مناذر الشاعر، وقد قرأ ذلك عن ابن عياش. ومن ذلك قصة الزمزمية التي ارتوى منها ابن رشيد وأصحابه دون استنطاف ما فيها وذلك في مزدلفة[3]. وكذا قصة المباعدة بين ابن البراء وابن الخباز[4] وقصة الصبيح والمليح العابدين[5] وقصة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة والخيزران[6]، وقصة المراة التي تزوجها الشافعي وهي التي كانت من وسطها إلى فوق بدنان بأربع أياد ورأسين[7] وقصة ابن العربي وفتاة من الروم[8]. ونذكر أن هذه الحكايات والقصص كلها وردت بنثر مرسل وأسلوب عادي لا تكلف فيه ولا تصنع وذلك جريا على أسلوب ابن رشيد في معظم فقراته. ومن تلك الحكايات ما حكاه الأصمعي قال: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فَحَاكَّ محملي أعرابي فشتمته وضربته فاحتملني، فلما صرت إلى بيت الله الحرام رأيت الأعرابي متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول: إن كنت غفرت لي فاغفر لمن شتمني وضربني، فقلت يا أعرابي: ضربناك وشتمناك وتدعو لنا، قال فنظر إلي نظرة ثم أنشأ يقول:

---

[1]: الرحلة 70/3.
[2]: الرحلة 55/7.
[3]: 10/5.
[4]: الرحلة 92/6.
[5]: الرحلة 118/3.
[6]: الرحلة 71/6.
[7]: الرحلة 75/3.
[8]: الرحلة 58/6.

لاَ يَغْضَــبُ الحُـرُّ على سِفْلَةٍ   والــحُرُّ لاَ يُغْضِــبُهُ النَّدْلُ[1]

إِذَا لَئِــيمٌ سَــبَّنِي جَــهْدَهُ   أَقُولُ زِدْنِــي فَلِــيَ الفَضْـلُ[2]

وفي هذا المقام لا نغفل أيضا عن الألغاز والنوادر والنكت وخصائص أسلوبها الذي قد يَشُوبُهُ شيء من التعقيد (انظر مثلا النوادر والحكايات والمناحي البلاغية فيها في مادة الفقه بعد.

[1]: الندل: الوسخ، وبعضهم بالمعجمة وهو بالمهملة جيد.
[2]: انظر الحكايات في الرحلة 70/3.

المبحث الثالث : البلاغة والنقد

لقد اتسم القرن السابع الهجري باتساع الشروح والهوامش والتقارير في علوم البلاغة، إذ كان من بين الكتب التي تضمنت أسرار هذا الفن "منهاج البلغاء لحازم القرطاجني" والروض المريع في صناعة البديع" في علم البيان لابن البناء العددي المراكشي، و"المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم السجلماسي" و"حسن التوسل لشهاب الدين الحلبي" و"تلخيص المفتاح والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني".

وإذا عرفنا أن حازما القرطاجني وابن البناء المراكشي وأبا الثناء الحلبي كانوا ممن لهم علاقة وطيدة بابن رشيد، فلا شك أن أثر هؤلاء ظاهر في أسلوبه وطريقة فهمه للنصوص الأدبية وتحليلها[1] فأما أثر القرطاجني فيظهر فيه أكثر من غيره، لأن ابن رشيد كان يشرح كتبه ويستشهد بأقواله ويعتبرها ويعتمدها[2]. بل يرجع إليه الفضل في سعة أفقه العلمي والفهم الدقيق لأسرار البلاغة حتى ألف بعض كتبه في هذا الفن ككتاب إحكام التأسيس، وإيراد المرتع المريع، وحكم الاستعارة. ثم إن ابن رشيد كان يتناول في الرحلة كثيرا من المصطلحات العروضية والبلاغية والنقدية التي كان يستخدمها حازم خاصة[3] والمعاصرون له عامة كالخطيب القزويني[4] وغيره[5].

أ- ابن رشيد والبلاغة

فمن آراء ابن رشيد في البلاغة[6] عيبه على الشعراء عدم فهمهم لمعنى التورية[7]، وذلك بسبب انتشار ذلك اللون من الشعر الذي تكثر فيه الألغاز والمعميات، ويشيع فيه العبث باستخدام اصطلاحات النحو والتاريخ والمنطق والحساب والفقه.

---

[1]: الرحلة 26/2 و40/6 (ابن رشيد وابن البناء وحازم) وانظر ترجمة الحلبي فيمن ترجم لهم بدمشق.

[2]: الرحلة 90/3 (وضع الحروف في الكلام).

[3]: منهاج البلغاء: التخييل 402 والاشتراك 150 والاستعارة 87 وغيرها.

[4]: الإيضاح للقزويني، وشرح التلخيص له.

[5]: تحرير التحبير لابن الاصبع: الاستعارة 97 والكناية 143 والمغالطة 574 والمنزع البديع: جنس 2 التخييل. جنس4: السبب والمسبب. جنس 10: الكناية. والاشتراك.

[6]: الرحلة 36/7.

[7]: شرح التلخيص 167 وتسمى الايهام أيضا. وفي الإيضاح 499: التورية أو الايهام. والعمدة باب الإشارة 311/1، والفوائد المشوق وهو مقدمة ابن النقيب 136 والصناعتين للعسكري: التورية والكناية.

فقد أنشده أبو الفضل التجاني قال: أنشدنا شيخنا أبو الحسن حازم رحمه الله لنفسه املاء عليه من حفظه ببيت الكتاب من تونس وقد سأله شيئا من نظمه، تكون فيه إشارة لشيء من علم النحو[1]. (الوافر)

صلية أو كلـيه لما يلاقـي ولا تتـكلفي خـدع المآقـــي
ودونك فانظري طمحان عزمـي إلى أعلـى المراتب والمراقـــي
باعمـالي حـروفا مضـمرات نواصـب في الهجـير لما تلاقـــي

في غيرها من أبيات[2]

فعلق ابن رشيد على هذه الأبيات مبينا ما فيها من تورية وما فيها من عيوب فقال:

"وهذه التوريات في غاية من الانطباع، ولكن عرض له في الكلام بقوله (في الهجير): [انصداع]، لأن المقصود من التورية ألا يكون في الكلام لفظ يعين المقصود إلى الوجه الواحد[3]، وقوله في الهجير عين أنه يعني النوق التي كنى عنها بالحروف المضمرات، وكثيرا ما وقع هذا الصدع لجماعة من الشعراء[4]، ولم أر من تفطن له ولا نبه عليه ولا أرشد إليه، فاقدروا أيها الطلبة المنصفون فدر هذه الفائدة".

فابن رشيد، كما رأينا في هذا النص، يجزم أنه كان السباق لاكتشاف هذا العيب البلاغي في كلام الشعراء، ولا شك في أن هذه المسألة كانت تشغل باله كما شغلت بال الكثير من البلاغيين، فمنهم من عرف التورية تعريفا مستقلا ومنهم من عرفها مع الكناية، ومنهم من كانت في مقدمة اهتماماته حتى جعلها من أوليات المفاهيم البلاغية كابن الاصبع المِصْرِي (توفي 654هـ) الذي قال:

---

[1]: تاريخ النقد. لزغلول سلام 33/2 و336/2.
[2]: الرحلة 36/7 وقصائد ومقطعات 173 وماء الموائد وهي رحلة العياشي 254/2 عن ابن رشيد.
[3]: الفوائد المشوق: التورية هي أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ص 136.
[4]: العمدة 311/1: التورية في أشعار العرب إنما هي كناية وانظر الصناعتين381 وتاريخ النقد العربي 296/2.

" إذا وصلت إلى ما وقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت إلى الغاية القصوى"[1]، وقال الصلاح الصفدي: "إن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الإنسان من العين[2].

ألم ينبه أحد من علماء البلاغة قبل ابن رشيد على هذا العيب الذي سماه صدعا، وهل نحن أمام مصطلح بلاغي جديد؟ لعل ابن رشيد ينبهنا إلى ذلك، ولهذا كان يخاطب الطلبة بقوله السابق.

ومما يدل على أنه كان يعمل فكره في المسائل البلاغية وغيرها ويشغل باله بما له اتصال بها، أنه كان يسائل شيوخه وأصحابه كلما وقف أمام أحد معضلاتها، فقد دخل يوما على صاحبه أبي عبد الله ابن القويع[3] وهو (أي ابن رشيد) يفكر في مسألة [بيانية][4] مما يتعلق بالقوافي، وقد عرض له فيها اشكال، وكان يفاوضه بما يعرض له من ذلك فيتضح بالمذاكرة مشكله، وينحل مغلقه،[5] فقال له ابن رشيد: "قيل إن التجنيس الكامل ليس مما يحسن، إذ لو كان مما يحسن ويؤثر لكان في شعر العربِ عموما في الحشو وخصوصا في القوافي التي هي، كما قيل، حوافز الشعر، وكانوا يقصدون إجادتها ويوثرون ما يحسن أن يؤثر عنهم، وليس يوجد منه في كلام فحول الشعراء من العرب، بل ولا من أتباعهم، إلا الندرة، وذلك شاهد على أنهم لا يوثرونه، وإنه عندهم مفضول في الجواب".

ولما عرض هذا السؤال على صاحبه ابن القويع، ظهر له ببادي الرأي أنه وارد، فطالب نفسه بالتقصي عنه، فتيسرت عنه أجوبة فعرضها عليه واستحسنها.

وابن رشيد لم يورد شيئا عن هذه الأجوبة التي تفيدنا، ولا شك، في كثير من المسائل وتكون ذخيرة مهمة نضيفها إلى كتب النقد القديمة والحديثة، ولكن هناك كثير من النقاد والبلاغيين تعرضوا لمسألة التجنيس وأقسامه كابن المعتز (توفي 296هـ)[6]

---

[1]: تحرير التحبير 268 والفوائد المشوق 136 وتاريخ النقد العربي 347/2، 356.
[2]: تاريخ النقد العربي 370/2 وانظر حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي شيخ ابن رشيد في دمشق: وأجمعوا على أن للكناية مزية على التصريح 146.
[3]: انظر ترجمته فيمن لقيهم بتونس.
[4]: كذا ورد في الرحلة.
[5]: الرحلة 617.
[6]: كتاب البديع 25.

وقدامة ابن جعفر (ت 327هـ)[1]، والقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)[2] وأبي هلال العسكري (ت بعد 400)، الذي أورد ما وقع منه في أشعار المتقدمين والمحدثين[3] وابن رشيق (ت 456هـ)[4] وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)[5] والقاضي عياض (ت 544هـ)[6] وضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ)[7] الذي اعتبره غرة ساذجة في وجه الكلام، وأبو القاسم السجلماسي[8] والخضيب القزويني (ت 739هـ)[9] ويحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت 749هـ)[10] الذي أشار إلى أنه أكثر منه أبو تمام.

وقد ناقش ابن رشيد صاحبه ابن القويع في تجنيس الاشتقاق وتجنيس الاشتراك، وكذا التضمين[11] وغير ذلك، ورأى أنه يحسن تجنيس الاشتقاق ولا يحسن تجنيس الاشتراك.

ومما تنبه له ابن رشيد أيضا مسألة التصغير وولع الشعراء به وإكثارهم منه، ولكن يندر ما يستحسن من ذلك في أشعارهم.

ففي يوم الأربعاء ضحوة الثالث من ذي الحجة وافي المكان المعروف بخليص[12] فقال منشدا (الرمل)[13]

أهل ودي لا تدينوا بالصدود بذمام كان في وادي زرود
وخليص إذ وردنا خلصه فرعى الله أويقات الورود

ثم علق على ذلك بقوله: "وهذا البيت الأخير اتفقت فيه موافقة حسنة في التصغير كرعت في مورد من الحسن لا تجلى عنه، وكذلك فإن الشعراء أكثروا من التصغير في محال، إما لصورة وزن أو لقصد ضعيف.

---

[1]: نقد الشعر 162.
[2]: الوساطة بين المتنبي وخصومه 41-43.
[3]: الصناعتين 334، 337، 344.
[4]: العمدة 321/1.
[5]: أسرار البلاغة 11.
[6]: بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد 192.
[7]: المثل السائر 342/1.
[8]: المنزع البديع، جنس 10 فصل 1 قسم 1.
[9]: شرح التلخيص في علوم البلاغة 184 والإيضاح في علوم البلاغة 535.
[10]: كتاب الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 355/2.
[11]: العمدة 172/1 والإيضاح 580.
[12]: خليص: حصن بين مكة والمدينة، معجم البلدان لياقوت 387/2.
[13]: الرحلة 15/5.

وقرأ ابن رشيد بخط أبي الحسن حازم أن أبا الطيب المتنبي كان مولعا بالتصغير[1] ولكنه لم يوفق من ذلك إلا في قوله (البسيط)[2]

ظللت بين أصيحابي أكفكفه   وظل يسفح بين العذر والعذل

ومما كان يستحسنه أبو حازم أيضا قول الشريف الرضي (البسيط)[3]

يولع الطل بردينا وقد نسجت   رويحة الفجر بين الضال والسلم

وقوله: (السريع)[4]

زال وأبقى عند وراثه   خديم مال عرفته الحقوق

ومن مستحسن ذلك قول الأديب البارع أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي رحمه الله (الطويل)

بلادي التي ريشت قويدمتي بها   فريخا وآوَتْنِي مزارتها وكرا

فحسن تصغير القادمة لمكان تصغير فرخ، فناسب ذلك التصغير.

ومن التصغير الذي له طلاوة وحسن موقع قول أبي العلاء في عدل عيسى الكاتب (الطويل)

إذا لاح من برق العقيق وُمَيْضَةٌ

فدق على لمح العيون الشوائم

فحسن تصغير الومضة لما وصفها بالدقة والخفاء.

ومن المستحسن قول عمر بن أبي ربيعة (الطويل)[5]

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه   ورَوَّح رعيان ونَوَّم سمر

---

[1]: انظر أيضا رسالة الغفران للمعري، وولع المتنبي بالتصغير ص: 414.

[2]: الديوان 198/3 في مدح سيف الدولة والاعتذار إليه.

[3]: الديوان 723/2: الضال: السدر البري والسلم من شجر العضاه.

[4]: الديوان 567/2 (زال وأبقى عند أعقابه).

[5]: الديوان 123.

فحسن تصغير القمر هنا، لانه قد دل، باخباره أنه غاب عند ترويح الرعيان ونوم السمار، على أنه كان هلالا.

ومما يستحسن منه قول أبي نصر بن نباتة (الطويل)

ففي الهضبة الحمراء إن كنت ساريا

أغيبر يأوي في صروح الشواهق

وحسبك قول النابغة: (الطويل)[1]

فَبِتُّ كأني ساورتني ضئـــيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

وذلك لأن الحية توصف بالضؤول والدقة.

ثم إن ابن رشيد كان كثيرا ما يتدخل لحسم النزاع بين المتناظرين، وذلك كلما شبت معركة خلافية في مسألة من المسائل الأدبية أو اللغوية أو البلاغية أو غيرها، ومن ذلك[2] ما أخبره به شيخه أبو محمد عبد الكريم الأنصاري الشافعي إمام أئمة البيان في مصر، لما التقى بالعلم اللورقي، وإعلامه بما جري في أحد المجالس العلمية من وجوه اعراب قوله تعالى: "ولا ينبئك مثل خبير"[3].

وهذه المسألة تتعلق بمسائل البيان والبلاغة والنحو.

ولما كالم أبو محمد الشافعي الإمام اللورقي قال له: لا يصح حمل الآية الكريمة على ظاهرها لئلا يلزم منه أحد أمرين: إما نفي التنبئة وإما نصب مثل[4] بتقدير: ولا ينبئك أحد مثل تنبئة الخبير.

فقال أبو محمد الشافعي: إن التقدير والمعنى: لا مثل المخبر فينبئك هذه التنبئة. وإنها على المعروف من كلام العرب كقول الشاعر: (الطويل)

على لاحـــب لا يهتدي بمنــاره[1]   أي لا منـــار لـــه فيـــها.

---

[1]: الديوان 33.
[2]: الرحلة 5/66-67.
[3]: فاطر 14.
[4]: تفسير ابن كثير 5/576 والقرطبي (الجامع) 14/336: برفع مثل.

ثم أتى بعد ذلك ابن رشيد ليعلق ويفصل ما أجمله الشيخ في تحرير وتقرير طويلين، ومجمل رأيه أنه إذا قال القائل: "ينبئك مثل زيد" ثم أدخل حرف النفي على ينبئك انتفى هذا الموجب سواء بقيت مثل على ظاهرها أم أردنا بها ما يراد بقولهم مثلك يفعل كذا أي أنت تفعل كذا، ومعلوم أن الآية لم يرد بها نفي التنبئة، ولو أريد بها: لا ينبئك أحد مثل ينبئك الخبير، لزم إظهار الفاعل ونصب مثل، لأن هذا مما أقيم فيه المسبب مقام السبب، فنفى المسبب والمراد نفي السبب[2] وهو وجود مثل لهذا الخبير لأن حاصل المعنى من العبارة الكريمة: يا محمد، لا تنبئة موجودة من أحد كهذه التنبئة، لانتفاء مثل خبير أنبأك به.

ولكي يؤيد ابن رشيد رأيه أتبعه بما يوجد في القرآن الكريم وكلام العرب من ذلك.

ومنه مثل قوله تعالى: "وما أوتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله"[3]، وتقديره فلا يربو أجره كربو الصدقات المقبولات، ولهذا نفى فرعه لانتفاء أصله. ونحوه قوله تعالى: "ولم يكن له ولي من الذل"[4] أي من خوف الذل، فنفى اتخاذ الولي لانتفاء سببه وهو خوف الذل، وإن اتخاذ الولي فرع المخافة من الذل وسبب منها.

ومن ذلك قول امرئ القيس: "على لاحب لا يهتدى بمناره".

وهذا يحتمل عند ابن رشيد وجهين، أحدهما أن يكون مما نفى فيه المسبب والمراد نفي سببه، أي لا منار له فيهتدى به، أما الثاني فيحتمل أن يكون أراد نفي الجدوى وهي الهداية بعدم جدوى هذا المنار وهي الهداية به، وإن كان موجودا فكأنه معدوم، ومنه قوله تعالى: "فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم"[5]، فقد نفى الايمان بعد ثبوتها لانتفاء ثمرتها وهي الوَفَاءُ بها.

---

[1]: ديوان امرئ القيس 89 شرح السندوبي وانظر ما كتبه الزركشي في البرهان 393/3 (قواعد في النفي و395 نفي الشيء رأسا).

[2]: انظر مسألة قيام السبب مقام المسبب وإطلاقه عليه في البرهان في علوم القرآن 259/2 والفوائد المشوق 18/16 والإيضاح للقزويني 401 والمنزع البديع جنس 4 قسم 2.

[3]: الروم 39.

[4]: الإسراء 111.

[5]: التوبة 12.

وبعد أن جاء ابن رشيد بهذه الفرائد البلاغية التي لها علاقة بعلوم القرآن والنحو، وعرض وجوهها المختلفة نبهنا إلى أن شيخه أبا الحسن حازم كان يسمي هذا النوع: النفي الفرضي[1] وهو أن يراد نفي الشيء فتنتفي جدواه أو ما يخصه إذا قدر وجوده فرضا، ويقصد بذلك التأكيد فيه، ويصدق هذا أيضا على قول امرئ القيس، لأن المقصود منه أنه لا منار فيه يهتدى به، ولو فرض فيه منار أيضا لم يهتد فيها بالمنار فتنقطع عن سالكه رؤيته، أو لانه من كثرة الآل والسراب والقتام بحيث لو قدر فيه ثبوت منار لم يهتد به أيضا لانطماسه فيها.

ورأى ابن رشيد أن نفي الافتراض وارد كثيراً في القرآن الكريم وفي الشعر العربي، ومن ذلك قوله تعالى: "ولو سمعوا ما استجابوا"[2] ألم تر أنهم لا يستجيبون بحال ولو قدرت سمعهم. ومن نفي الافتراض أيضا قول زهير (الطويل)[3]

بأرض خـلاء لا يشد وصيدهـــا علي ومعــــروفي بها غير ممكـــن

أي لا وصيد بها يشد، ولو قدر فيها ثبوت وصيد لم يكن هناك من يشده لنفارها من الأنيس.

ومن كثرة ما يستطيع ابن رشيد أن يأتي في هذا الباب يقول: والكلام على هذا وأمثاله يتسع مجاله ويقل رجاله، والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا بمنه وفضله، ويظهر هنا اعتداد ابن رشيد بنفسه، والتلميح إلى أنه السباق إلى بعض النكت الفريدة والجواهر المكنونة في البيان العربي.

ومن المسائل التي ناقشها ابن رشيد أيضا مسألة المجاز[4] وذلك في قوله: أي المجازين أرجح: هل إطلاق السبب على المسبب أو العكس؟. وهو يرى أن إطلاق السبب على المسبب أقوى، لأن السبب الخاص يشعر بخاص، والمسبب الخاص لا يشعر إلا

[1]: كان ابن رشيد متأثرا كثيرا بما رواه صاحب العمدة عن قول زهير وقول الهذلي العمدة 2/80-81 وانظر أيضا ما أخذه أبو البقاء الرندي على ابن رشيق في هذا المجال. تاريخ النقد الأندلسي رضوان الداية 460 وانظر الفوائد المشوق (النفي والإثبات): 182، 183، 184 والبرهان 3/395.

[2]: فاطر 14.

[3]: الديوان ص

[4]: الرحلة 6/15.

بسبب عام، ألا ترى أنك إذا قلت: أكلت كثيرا، أشعر عادة بالشبع، وإذا قلت: شبعت، أشعر بمأكول ما من غير خصوص.

وقد أتى بتمثيل لذلك بقوله: فمن التجوز بلفظ السبب عن المسبب قوله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[1]. فقد سمى عقوبة الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء[2]، ومثله قوله تعالى: "فلا عدوان إلا على الظالمين"[3]، في تجوزه العدوان بمكافأة الظالمين على عدوانهم وقوله تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"[4].

وقوله بمثل ما عوقبتم به من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله: فعاقبوا: حقيقة اكتنفها مجازان، ويسمى هذا النوع عند البلغاء تشفيع الحقيقة بالمجاز. وكذا قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـــل فوق جهـــل الجاهلـــينا

ومن خلا ل ما سبق يظهر أن ابن رشيد كان مُتَضَلِّعاً مِنْ عُلُومِ التفسير والبيان والبلاغة والمسائل الأدبية بعامة، وأنه كان يورد كثيرا من الشواهد الشعرية ويذكر مناسباتها، ونستنتج أيضا أنه كان حافظا لكثير من عيون الشعر العربي، وغائصا على معانيها العميقة، ولولا ذلك ما استطاع أن يذكر ذلك الجم الكثير من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية في موضوع واحد ومعنى محدد، وإننا نجد تلك الطريقة عند ابن بسام صاحب الذخيرة الذي يورد كثيرا من النصوص المهمة في معرض واحد.

ومن هنا نفهم أن ابن رشيد كان من أولئك الرجال القليلين في هذا الميدان ومن الأفذاذ الذين يدفعون بأنفسهم إلى مثل هذه المَضَايِق.

---

[1]: البقرة 194.
[2]: الفوائد المشوق 16 والبرهان 260/2 والإيضاح للقزويني 400.
[3]: البقرة 193.
[4]: النحل 126.

ب ـ بعض آراء ابن رشيد وأحكامه النقدية

لأجل تكوين فكرة عامة عن حركة النقد في الغرب الإسلامي في أواخر القرن السابع الهجري، لابد من إلقاء نظرة عامة على آراء الشاعر أبي الطيب الرندي البلاغية والنقدية في كتابه الوافي[1]، وكذا كتاب أبي الحسن حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وابن جزي وآرائه البلاغية في كتاب التسهيل، وابن الأحمر في كتابيه نثير الجمان وفرائد النثير.

وقد كان ابن رشيد واسطة ذلك العقد المنظوم، لأنه عاصر الرندي وتتلمذ للقرطاجني، وتتلمذ عليه ابن جزي وأخذ عن بعض تلاميذه ابن الأحمر[2].

وبما أن ابن رشيد كان يحفظ كثيرا من الشعر القديم والمحدث ويتذوقه ويعرف معانيه ويفهم أسراره البلاغية والبيانية، ويغوص على مكنون درره، ويحل معماه وغامضه، ويملك أصوله القديمة والحديثة ـ فقد كان يفتح الله عليه، كما يقول، ببعض ما لم يسبق إليه[3]، وذلك بعد قدح زناد فكره فيه، فقد سأله شيخه أبو الحسن بن رزين يوما في منزله (ابن رشيد) بتونس وقد تفاوضا في أنواع من الآداب[4]: "ما معنى قول أبي العباس التطيلي، رحمه الله:

أعد نظرا في روضتـي ذلك الـخد

فإني أخاف الياسمين على الـورد[5]

فقال ابن رزين: سألت عنه أبا عبد الله الابار، رحمه الله، فلم يأت بما يُرْضِي، واستشكله، وقال: إن هؤلاء العمي يغوصون على معان بعيدة، أو نحو هذا[6]. ثم سأله ابن رزين عما إذا كان عنده في هذا شيء، فقال ابن رشيد على البديه:

---

[1]: النقد الأدبي في الأندلس 433.
[2]: انظر رواية الرعيني السراج والفشتالي ورواية ابن الأحمر عنهما، فرائد الجمان 190.
[3]: الرحلة 64/7.
[4]: الرحلة 82/6.
[5]: الديوان 33، ولم يتعرض فيه لشرح هذا البيت.
[6]: انظر الإشارة إلى تعقيد شعره في المغرب 451/2 وخريدة القصر 567/2.

"إن المحبوب إذا نظر إليه ربما احمر خده من الخجل، فإذا أغفل عنه نصع احمرار ذلك الخجل فعاد البياض المشبه بالياسمين فغلب على حمرة الخجل المشبهة بالورد، فأمر الشاعر بإعادة النظر إليه خيفة أن يغلب الياسمين على الورد".

وهذا ـ حسب رأي ابن رشيد ـ معنى بديع رفيع، ولعله لم يسبق إليه ولا زوحم عليه، ولهذا قبله الشيخ ابن رزين واستحسنه.

فحكم ابن رشيد على شاعرية التطيلي لم يَعْدُ الحقيقة النقدية المعروفة في نظر من كتب عنه، فهو شاعر له أدب بارع، ونظر في الغوامض وفهم لا يجاري، وذهن لا يباري ونظم كالسحر الحلال، وذهن يكشف الغامض الذي يخفى، هكذا قال عنه ابن سعيد[1] وابن العماد الاصفهاني[2] وابن بسام[3] وغيرهم. وتتجلى لنا رهافة حس ابن رشيد وسلامة ذوقه الأدبي في ما جرى بينه وبين أبي بكر بن حبيش الأديب الشاعر الناقد، وذلك يوم الخميس 7 جمادى الأخرى 685هـ[4] إذ إنه لما انفرد بمجالسته استفسر منه قول شيء من الشعر الذي يصف فيه قصر الطريق إلى الوجهة الكريمة لما حصل له الملل، واعتراه شيء من الكسل وطول الادلاج والسرى، فأنشد ابن رشيد بيتا كان يحفظه وهو:

وإذا أتيـــتك زائـــرا متشـوقـــا قصر الطريق وطـال عند رجوعـــي

ثم رغب منه ابن رشيد أن يذيل له عليه شيئا يستريح إليه فأنعم بذلك واختار أن يغير عجز البيت ليكون (وفي الرجوع يطول) وكأنه رأى من قوله: قصر وطال، لا يخلو عند قرع السمع من تنافر[5] وأتى بدليل ذلك من قوله تعالى: "هو الاول والآخر والظاهر والباطن"[6] بواو العطف بخلاف قوله تعالى: "التائبون العابدون الحامدون السائحون

[1]: المغرب في حلى المغرب 451/2.
[2]: الخريدة 567/2.
[3]: الذخيرة ق2 م 728/2.
[4]: الرحلة 45/6.
[5]: ولعل ابن رشيد تأثر هنا برأي شيخه حازم في آرائه: كتاب المناهج الأدبية 47 أ: تماثل المقاطع في الاسجاع والقوافي وانظر القزويني في كتابه الإيضاح 72، 75 والمزهر للسيوطي 193/1.
[6]: الحديد 57.

الراكعون الساجدون"[1] دون واو التلازم لعدم التنافر، أو قوله تعالى: "والناهون عن المنكر". ثم وجاء "والحافظون لحدود الله"[2]، مع ما بعده لانقضاء الكلام المتبع.

وبعد أن أورد ابن رشيد ذلك علق عليه بقوله: وهذه أسرار لم أر من أظهرها والله أسأل المزيد من فضله وطوله[3].

وكان ابن رشيد يهتز للشعر الجميل ويطرب له، إذ لما سمع القصيدة التي أنشدها عليه أبو بكر بن حبيش (البسيط)[4]

يا سيد الأنبياء المقتدى بهم والأنبياء يقينا سادة الناس

ومنها:

ليس المحب صدوقا في محبته إن لم يميز بها عن سائر الناس

علق عليها ابن رشيد بنقد موجز، ولكنه يحمل معنى عميقا فقال:

"وإن قيل في كل قصيد بيت، ففي كل بيت من هذا قصيد".

ولما أملى عليه الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المربي، شعر السراج عمر الوراق المصري في جده وهزله، الذي يقول فيه وقد ضمنه بعض معاني الفقه: (الطويل)[5]

يا نازح الطيف مر نومي يعاودني

فقد بكيت لفقد النازحين دما

أوجبت غسلا على عيني بأدمعها

وكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

---

[1]: التوبة 112.
[2]: التوبة 113.
[3]: انظر كتاب الجامع للقرطبي بحثا عن هذه الواو 272/4 و382/10 وانظر في كتاب البرهان: واو الثمانية 438/4 وكتاب الطراز للعلوي 33/2 وما بعدها.
[4]: الرحلة 41/6-42.
[5]: الرحلة 74/5 وانظر ترجمته في فوات الوفيات 140/3 ترجمة 379.

وقوله:[1]

سألنهـم وقد زمـوا المطايـا[2] فقوا نفسا فساروا حيث شـاءوا

ولا عطفوا[3] علي وهم غصون ولا انبعثـوا[4] إلي وهم ظبـاء

فقال ابن رشيد: وهذا من النظم البديع والنسج الرقيق[5].

ومن حسن إدراكه لمبنى الشعر ومعناه أنه لما لقي بثغر الاسكندرية جمال الدين الجابي البزاز سمع منه شعرا يخاطب به شمس الدين أبا عبد الله بن النعمان ومنه[6]:

عرج بـباب المنحـنى وقبـابه واسأل أهـيل الحي عن أعرابه

وانشد فـؤاد متيم قلق الحشـا يشكو الجفا والبعد عن أحبـابه

ويقول فيها:

من رام مدحـك فهو عنـه عاجـز ماذا يقول وأنت فـوق جـوابه

فعلق عليها ابن رشيد بقوله:

"انتهت القصيدة وهي وإن كان في بعض أبياتها لطافة وحلاوة وعلى بعضها طلاوة فهي عديمة التلاؤم غير متناسقة الأبيات.

فابن رشيد ينظر هنا إلى مسألة النظم وحسن التأليف وما يخالف ذلك من رداءة الرصف والتركيب[7]، فقد تنبه إلى العلاقة المكينة بين اللطافة[8] والحلاوة[9] والطلاوة[10] والتلاؤم[11] والتناسق[1] في أبيات القصيدة، فهذه العناصر لا تجتمع إلا في الشعر الجيد، وبما

---

[1]: انظر عنها فوات الوفيات 144/3.
[2]: حثوا المطايا.
[3]: وما عصفوا.
[4]: وما التفتوا.
[5]: وقد قال عنه صاحب الفوات أنه كان حسن التخيل جيد المقاصد صحيح المعاني عذب التركيب قاعد التورية والاستخدام، عارفا بالبديع وأنواعه فوات 140/3.
[6]: الرحلة 80/5.
[7]: الصناعتين 167.
[8]: قواعد الشعر لثعلب 53 ومنهاج البلغاء 365، 371.
[9]: العمدة 125/1.
[10]: العمدة 124/1.
[11]: منهاج البلغاء 365 والصبغ البديعي 287.

ويما أنها فقدت ركنا من أهم الأركان وهو التناسق والتلاؤم، فإنها صارت غير متلاحمة الأجزاء، غير مسبوكة سبكا واحدا[2]. ولا شك في أن ابن رشيد قد تأثر في هذا بأبي الحسن حازم القرطاجني وآرائه وطريقته في قضية اللفظ وإحكام تأليفه وتناسب أوضاعه في الأبيات[3] وكذا قضية حسن الكلام وحسن نظمه، وذلك ليس في الألفاظ فحسب بل في تركيب القصيدة كلها وبنائها ووحدتها الفنية[4]، وبهذا فهو ينظر أيضا إلى ما انتبه إليه النقاد الذين سبقوه كابن طباطبا العلوي[5] وأبي العباس ثعلب[6].

ثم إن ابن رشيد قد صور لنا صدى ما آلت إليه العلوم البلاغية والنقدية في عصره عموما وفي الفترة التي كان يقوم فيها برحلته خاصة، إذ كان الشعر كاسدا آنذاك والشعراء منصرفين نحو فنون الزجل، والأدباء منكبين على الشكل والزخرفة دون المضمون، وذلك تأثرا بالظروف القلقة التي كان يعيشها العالم الإسلامي، ونتيجة للحروب الصليبية في المشرق والهجمات والغزو الأوروبي للمشرق والمغرب في شواطئه وثغوره ومدنه الكبرى، ويتجلى ذلك في قول ابن رشيد، مصورا ما آلت إليه العلوم البلاغية: "وهذا الشأن بالاسكندرية ضعيف ولم يبق بها بعد ناصر الدين بن المنير رحمه الله من يعتبر"[7].

ولما كان حازم القرطاجني يرى أن الاعتبار في الشعر إنما هو للتخييل في أي مادة اتفق، لأن صنعة الشاعر هي جودة التأليف وحسن المحاكاة وموضوعها الألفاظ وما تدل عليه[8]، فإن ابن رشيد يدرك أيضا قيمة هذا العنصر وأثره في الشعر الجيد، فقد أنشده صاحبه محمد بن أحمد بن حيان الشاطبي قال: أنشدنا الكاتب الأوحد حبر البلغاء وبحر الأدب أبو المطرف أحمد بن أبي محمد عبد الله ابن محمد بن الحسين لنفسه من أبيات:

---

[1]: منهاج البلغاء 99 والصبغ البديعي 286، 433 والنقد الأدبي في المغرب 288.

[2]: العمدة 275/1.

[3]: المناهج الأدبية 49 ب.

[4]: منهاج البلغاء 277 وانظر توضيح ذلك أيضا في كتاب البرهان: النوع الحادي والعشرون: معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح، والإشارة في ذلك إلى فضل حازم القرطاجني 311/1.

[5]: عيار الشعر (تأليف الشعر) 124.

[6]: قواعد الشعر 53.

[7]: الرحلة 80/5، وابن المنير (620هـ) - 683هـ) عالم فاضل مفتن له اليد الطولى في الأدب والفنون. فوات الوفيات 149/1 ترجمة 55.

[8]: منهاج البلغاء 62 و402 والمناهج الأدبية 29 ب وكتاب الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص: 80.

أمنا أن يمل نداه لكن على آمالنا خفنا الملالا

فعقب عليها ابن رشيد بقوله:

"هذا من الطراز العالي... وما أحسن هذا التخيل... "

ولقد أخرج حازم القرطاجني قضية الصدق والكذب من طبيعة الشعر جملة، ولكنه ركز على أهمية التخييل، ومدى موقع هذا الشعر من المتلقي وتأثيره في انفعالاته[1]. ولا شك في أن أثر قول أبي المطرف ابن الحسين ابن رشيد كان كذلك، وقال ابن حمزة العلوي بأن هذا النوع من علم البديع من مرامي سهام البلاغة المسددة[2].

ومما استحسنه ابن رشيد أيضا شعر أبي بكر بن رفاعة، وهو جد شيخه أبي بكر ابن يربوع، وقد كتب به إلى الوزير أبي عمر ابن أبي محمد رئيس مدينة شريش لما بعث إليه بعض الجبن ويقول فيه، بعد أن ضمنه شيئا من معاني القرآن: (السريع)[3]

قد أقسم الجبن على حرد لا ينثني عن صحبة الزبد

وغلظ الزبد يمينا لما يحل عقدا من يد الشهد

واختصموا في حكم أيمانهم وغلبوا الأوحد في المجد

فوجه الدرمك يقضي بالجمع في مائدة الحمد

أكرم به من حاكم فاضل قد أوتي الحكمة في المهد

فعلق على ذلك يقوله: "وهذا من السهل البديع والممتنع الرفيع.

وابن رشيد ينبهنا هنا إلى الفرق الصحيح بين المصنوع والمطبوع والسمح المنقاد والعصي المستكره[4]، وذلك في سهولة ألفاظه وعذوبة معانيه[5]. وقد قال أبو هلال العسكري

---

[1]: الصورة الفنية في التراث النقدي 95.
[2]: كتاب الطراز 2/3.
[3]: الرحلة 89/6، ورحلة العياشي 253/2 ويلاحظ اختلاف بين النصين في تقديم بعض الأبيات وتأخيرها.
[4]: الوساطة 25.
[5]: الفوائد المشوق 223.

عن الشعر الحسن المعنى: "السهل اللفظ العذب المستمع، القليل النظير، العزيز الشبيه، المطمع، الممتنع البعيد مع قربه الصعب في سهولته[1].

ومما يدلنا أيضا على طول باع ابن رشيد في النقد والبصر بأسرار البلاغة ما أبانه من أحكام نقدية لما سمع قصيد ابن الخيمي: البائية، ومطلعه: (البسيط)[2]

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب

إليك آل التقصي وانتهى الطلب[3]

ويقول فيها:

ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي	وجدي وحزني وهو مختضب
ولست اعجب من جسمي وصحته	في حبه إنما سقمي هو العجب
يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا	لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وقد قال في نقد هذه القصيدة:

"نبئت أن شيخنا أبا عبد الله بن الخيمي اتفق له في هذه القصيدة ما يستظرف حتى لقد صار قوله أثناء هذه القصيدة:

(لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)

مثلا عند المصريين سائرا[4] وعلى عذبات ألسنتهم لعذوبته دائرا[5]، ومما أبدع فيه ابن الخيمي في هذه القصيدة قوله:

ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي

وجدي وحزني وهو مختضب

---

[1]: الصناعتين 67.
[2]: الرحلة 47/3.
[3]: انظر هذه القصيدة وما اتفق فيها من قصة عجيبة مع النجم الإسرائيلي وتحاكمه مع ابن الخيمي إلى ابن الفارض: ابن خلكان 106/2 وفوات الوفيات 383/3 و413/4 والمنهل الصافي لابن تغري بردي وفيات 685 والنجوم الزاهرة 339/7 ودرة الحجال 6/2 ترجمة 450 والكشكول للعاملي 109/2.
[4]: إشارة إلى الكتابين المشهورين: الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد الذي رد به على المثل السائر لابن الأثير.
[5]: نفسه.

فأتى بالبدع في تكذيبه[1] للدمع في دعوى المقاسمة، ولولا اشتراك الوصف الذي يتخيل فيما تخيل لما تعلقت له به مخاصمة، إذ الاختضاب بالحمرة من صفة المسرور لا من صفة المحزون ثم قال أيضا: وإن كان إنما أريد بالاختضاب حمرة الدمع بامتزاجها بالدم، على أن لفظ: مختضب ليس فيه ما يدل على أنه بالحمرة لولا قرينة ذكر الدمع مع الحزن وما علم من أن اختضابه معه إنما يكون بالدم، فجرى ذلك على الحالة المعروفة عنه، فباشتراك الصفة تمكن مراده حتى صير ما جاء به المدعي دليلا على صدقه دليلا على كذبه، فأعجب لهذا التحيل في التخيل[2]، ويسمى هذا النوع الاغراب والتعجيب[3]، وينظر هذا البيت إلى قول أبي الطيب المتنبي (الخفيف):[4]

تدعي ما ادعيــت من ألم الشـــو ق إلــيها والشوق حيث النحـول

وينظر إلى قول ابن عبد الظاهر الكاتب المصري (الخفيف)[5]

نسب الـناس للحمــامة حزنـــا وأراهـــا في الحـزن ليست هنـالك

خضبت كفهـــا وطوقـــت الجيــــــــد وغنت ومـا الحـزين كـــذلك

إلا أن أبا الطيب تمت له الدعوى على خصمه بأنه كذب مدعي الشوق مع وجود السمن وعدم النحول ظاهر، وليس مع الخصم ما يدفع به ذلك من تفسير المجمل وبيان ما أراد من المحمل. إلا أن في بيت شيخنا ابن الخيمي زيادة فضل على بيت المتنبي بالتخييل والمغالطة[6] بالوصف المشترك[7]، وكلا البيتين فيهما تكذيب للدعوى فيدخلان مدخلا خفيا في باب الارداف[8]، لأن مراده في البيت الاول أن يقول: ادعى المقاسمة وهو كاذب، فعدل عن التصريح بالتكذيب[9] إلى رديف دل عليه، وكذلك المراد في قول أبي الطيب:

---

[1]: انظر الكذب والتمويه في كتاب المناهج الأدبية (لحازم القرطاجني) 23 أ. ضمن كتاب: إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين.

[2]: منهاج البلغاء 402 والمناهج الأدبية 33 أ.

[3]: منهاج البلغاء 371 والمناهج 33 ب.

[4]: الديوان 267/3 مع بعض الاختلاف في الرواية.

[5]: انظر ترجمته في الفوات 179/2 ترجمة 222 والبيتان 185/2.

[6]: انظر (المغالطات المعنوية): الصبغ البديعي 271 وتحرير التحبير 574 والفوائد المشوق 122.

[7]: انظر عن ذلك منهاج البلغاء 150 وتحرير التحبير (المشاكلة) 393 والإيضاح (المشاكلة) 493 والطراز 63/3 والمنزع البديع جنس 10.

[8]: نقد الشعر لقدامة 179.

[9]: المناهج 27 ب.

تدعي ألم الشوق... البيت، وهي كاذبة لأنها غير ناحلة فلو صدقت لكانت حالية بأخص أوصاف المحبين وهو النحول، وذلك غاية في الأدب والظرف، وقد أشار بعض الظرفاء إلى التخلص من إقامة الحجة، مخيلا أنه سلك في الجواب واضح الحجة فقال: (الطويل)

وقائلة ما بال جسمك ناعما وعهدي بأجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبي بحبي لم يبح لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

ولما أنشد أبو بكر بن حبيش لابن رشيد شيئا من شعر أبي علي الرفاء ومنه: (الطويل)

لقد ظلموا لا أنصف الله منهم وما أن ظلمناهم وقد أنصفوا منا

عقب عليها ابن رشيد بقوله: هذه الأبيات كأنها تحاكي أنفاس البهاء زهير. ولعل ذلك لما يجمع بين الشاعرين من الرقة والظرافة والجري على الفطرة والبساطة واللطافة.

ومما ورد لابن رشيد من الآراء النقدية[1] ما رد به على صاحبه أبي عبد الله ابن عبد الملك صاحب كتاب الذيل التكملة، الذي نقد أبا الحكم مالك بن المرحل السبتي عندما أنشد قصيدته الطائية:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط وشوقك أم سقط وجسمك أم خط[2]

فقد تعقبها ابن عبد الملك وأتبعها بالاعتراض جريا على عادته، ومما أخذه عليه سوء استعمال كلمة [أم] وتكرير المعنى ومسائل أخرى في العروض والبلاغة، ومن ذلك قلب معنى مأخوذ من شعر المعري، ومقارنة بعض وجوه التشبيه بينه وبين ابن المعتز، وأخذ عليه كذلك تقصيره فيما يجب فيه التعظيم والإجلال كالنعل الكريمة النبوية.

فرد عليه ابن رشيد بقوله:

---

[1]: فتح المتعال باب 3.

[2]: انظر الذيل والتكملة سفر 1 قسم 1 ص: 331-334.

وهذه الاعتراضات كلها ساقطة ولكن ليس لها لاقطة، فأما الأول وهو قوله منها:
استعمال أم مكان أو[1] في قوله أم خط، فتلك شكاة ظاهرة عند عذرها، فإن ناظمه إنما قاله بأو، وكذلك أنشد لنا، وإنما ابن عبد الملك كتبه بأم خطه... وهكذا تعقبه في جميع اعتراضاته منها تكرير اللفظ كالسمط والسقط، واتهمه بأن ذلك ضيق العطن، وقال إن هذه طريقة مسلوكة مألوفة، وسبيل في الفصاحة معروفة، وإنما يكره ذلك أن تكون في القافية، ولاسيما وتكريره لسبط إنما هو بعد تسعة أبيات، وإذا وقع هذا وبينهما هذا العدد لا يعد أيضا، مع أنه في الصدر استعمل منه مع سقط الترصيع دون أن يكون واحدا منهما في مصراع، فيقال المصراع قد شبه العجز، وهذا شيء ما تحاماه متسع عطن. ولا قدح فيه أحد ولا طعن من طعن أو قطن، ومع هذا فاستعمالها في البيت الأول المصرع في الثاني المعترض عنده ليس على حد واحد بل هما مصراعان في مطلبين من الكلام مختلفين والخلاف بين أهل البيان أن هذا من أنواع الافتتان. ومما يعد من الفاضل لا من المفضول فإنه استعمل في البيت الأول من باب تجاهل المعارف، ثم أضاف مفصلا وموضحا فاستيقظ أيها النائم إن وافقت المعترض فقد أدلج الناس، وأما الثالث وهو استعمال البسط في القافية مكان التبسط الذي في صدر البيت فهذا أيضا واه وحضيض هاو... وأين أنت من قوله تعالى: "والله أنبتكم من الارض نباتا"[2] ثم مع هذا اعتبر معنى البيت اتجه فيه مقصد آخر، وهو أنه لما تبسط في لذاته وذنوبه صح له بحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن لقي البسط ولم يلق القبض انعاما عليه من الله تعالى كما قال بعض الراجين من المذنبين المعترفين (الوافر)

تبســطنا على اللــذات لمـــا رأينــا العفو من ثمــن الذنــوب

وهو معنى حسن يسقط اعتراض هذا المعترض. وأما الرابع وهو إلى قال إنه أقبحها، وهو التضمين، فقد وقع الجواب عنه...

وهكذا تعقب ابن رشيد صاحبه ابن عبد الملك المراكشي، في كل صغيرة وكبيرة مستعملا كل ما له من ذوق ومعرفة ومحفوظ في القرآن الكريم وكلام العرب.

---

[1]: درة الغواص: انظر الفرق بين أم وأو ص: 265-266.
[2]: سورة نوح 17.

ومما ورد من هذه التعقيبات قوله:

... ومعاني الشعر إنما هي أنوار وأزهار تختطف أو تقتطف. ولما انشد ابن عبد الملك قصيدة لابن المرحل الذي يقول فيها: (الطويل)[1]

بوصف حبيبي طرز الشعـر ناظمه   ونمنم خد الطـرس بالنفـس راقمه
نبي له فضل علـى الناس كلهـم   مفـــاخره مشهـــورة ومكــارمه

قال: وفي هذه القصيدة على ما بها من إجادة تعقب من وجوه منها التضمين وهو من عيوب الشعر. ثم أخذ عليه غير ذلك تتعلق بالضمير وغيره.

فرد عليه ابن رشيد بقوله:

هذا ما قاله صاحبنا جريا على عادته، عفا الله عنه، من انتقاص الافاضل واعتساف المجاهل وترك الصافي الزلال وورود الكدر والعكر من المناهل وكل ما قاله فاسد، وبالرد والنقد عليه عائد.

أما التضمين الذي ادعى أنه عيب فليس بهذا وإنما العيب الذي ترجم له أهل القوافي، وهو ما كان بين القافية وصدر البيت الذي يليها.. وأما التضمين الذي فعله الشيخ فسبيل مفيدة وطريق مستحسنة عند العرب والمولدين المتقدمين منهم والمتأخرين، إنما أوقعه في ذلك عدم معرفته باللفظ المشكك والمشترك.

وأما ما ادعاه من الإيطاء فغلط وقر في سمعه أو في خطه عند كتبه، ووضعه، وإنما قاله الناظم في البيت السادس... وهو الذي ألزم به النقد هذا الناقد المتعسف.

ومن الملاحظات البلاغية أيضا ما عقب به ابن رشيد على شعْر وقعت في أحد أبياته تشبيهات عشر، وذلك نادر[2].

ويتحصل لنا مما تقدم أنه بالرغم من قلة الاحكام النقدية الواردة في رحلة ابن رشيد وقلة المطلحات البلاغية، يبدو ذا باع في هذا المجال، لأنه كان معتدا بأحكامه النقدية التي يغلب عليها الذوق الفني، ويقل فيها التحليل والتعليل، ويتميز بعضها

[1]: الذيل والتكملة سفر 1 قسم1-331 وفتح المتعال باب 3.
[2]: انظر ترجمة 162 من هذا البحث.

بالتعميم، ومع ذلك فإن هذه النماذج على قلتها تعكس نظراته النقدية، وتفيدنا شيئا عن مشاركته في هذا المجال، ومن خلالها نلاحظ أيضا وقوفه أحيانا موقف الدفاع كما هو حاله مع ابن المرحل وكذا الإدلاء بدلوه في بعض الخصومات التي عرفها عصره. ولا شك في أنه لو عثرنا على كتبه الأدبية والبلاغية لاستفدنا كثيرا منها، ولكان ذلك أيضا متمما لما عرفناه عند حازم القرطاجني وغيره من أصحابه كابن البناء والقاسم بن الشاط وأبي بكر القللوسي وغيرهم.



جـ- أهم المصطلحات
- البلاغة والنقدية الواردة في رحلة ابن رشيد

وهذا مجمل بأهم المصطلحات البلاغية والنقدية، وقد أوردتها مرتبة ترتيب المعجم مشيرا إلى الأجزاء والصفحات الموجودة فيها، وحددت شيئا عن الموضوع الذي وردت من أجله، وقد توخيت بإيرادها إعطاء فكرة عامة عن المفاهيم البلاغية والنقدية في عصر ابن رشيد خاصة.

- أ -

الابداع	الرحلة	48/3	في شعر ابن الخيمي
الاستعارة	"	40/6	هل الشعر يتضمن من محاسن البيان ما لا يكاد يوجد إلا فيه ولا يؤخذ إلا من محاسن الاستعارة في القرآن والحديث وكلام الأئمة وفي الشعر.
الإشارة اللطيفة	"	73/5	شعر أبي عبد الله الأنصاري المربي
الاشتراك	"	68/3	مناقشة في الدرع.
الاضمار	"	13/6	في كتاب أمثلة التعارضات للفخر ابن الخطيب.
الإطالة والإطناب	"	7/6 و8/5 و37/6	في شعر أبي يعقوب بن السماط.
الاغراب	"	48/3	في شعر ابن الخيمي.
الاقتباس	"	80/6	في رسالة أبي الحسن بن رزين.
الالتفات من الكناية إلى المخاطبة	"	39-38/6	في مناقشة الاستعارة.

- ب -

البديع	الرحلة	43/6 و73/5	البديع المحتوي على صنائع وبدائع من بعضها التجنيس والترصيع في نثر ابن حبيش، والبديع الحالي بالمقابلة والترصيع في شعر المربي.
الكلام البديع	"	771/6	في التجنيس، عند ابن القوبع.
سحر البيان	"	7/2	في شعر أبي عبد الله بن الحكيم.
علم البيان	"	33/7	في مقدمة كتاب أبي العباس ابن الحاج النحوي الحافلة بعلم البيان.
محاسن البيان في الشعر	"	18/6	في الاستعارة.
المسألة البيانية التي تتعلق بالقوافي	"	117/6	مناقشة بين ابن رشيد وابن القوبع.
بيت القصيد	"	42/6	في شعر أبي بكر بن حبيش

- ت -

التتميم	"	43/6	
التجنيس	"	43/6 و80/6 و6/ 117	في كتابة ابن حبيش
تجنيس الاشتراك	"	18/6	مناقشة ابن القوبع
تجنيس الاشتقاق	"	18/6	" " "
التجنيس الكامل	"	117/6	

— م —

— ن —

النظم والنسج الرفيع	البديع "	74/5	في شعر السراج عمر الوراق
النفي الفرضي	"	67/5	عند حازم القرطاجني

— و —

الوصف المشترك	الرحلة	48/3	في شعر الخيمي والغزالي
حسن الموقع والطلاوة	"	15/5	في مناقشة التصغير

وينبغي هنا أن نذكر هنا كذلك تلك المصطلحات الواردة في أجزاء الرحلة غير الموجودة، إذ إننا لو ألقينا نظرة على ما أثبته أبو العباس المقري في فتح المتعال[1]، وما ذكره ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة، ينتج لنا من خلال ذلك بعض المصطلحات النقدية والبلاغية الأخرى ومنها (مرتبة على حروف المعجم):

الافتنان، الانصاف في النقد — مذهب أهل البيان — تجاهل العارف — الترصيع — التشبيه — التصريع — التعسف في النقد: التكلف — الفصاحة — طريقة العرب المتقدمين — نقل اللفظ وقلب المعنى — اللفظ المشكك والمشترك — مذهب ابن المعتز — المعنى البديع — المعنى الحسن والسائغ — تكرير المعنى — نقل المعنى نقلا بديعا — طريقة المولدين المتأخرين.

[1] : انظر باب 3.

المبحث الرابع : النحو

كان ابن رشيد يعتب النحو علما شريفا يرفع العارف به ويذل الجاهل له، ذلك ما رآه عند ذكر شيخه الصالح المبارك أبي عبد الله محمد بن ابراهيم القيسي السلاوي الرحالة الذي اختص بخدمة الشيخ أبي الحسن الحرالّي، وهو بالرغم من أنه كان قد استملى كثيرا من كتبه وحفظ جملة من كراماته وشاهد منها، كان لا يقيم الاعراب حق اقامته، فذل ذلك به.[1] وهذا يذكرنا بذلك الصراع الذي كان قائما بين أنصار النحو الذين يرون ضرورته في اتقانه وتعلمه لصيانة اللسان من الخطإ، وبين المتساهلين في أمره والتقيد بقواعد الاعراب[2] وقد قال أبو الطيب النحوي: إن أحوج إلى التعليم الاعراب، والذي لا يقيم ذلك فهو ضال.[3]

ولهذا لم يهمل ابن رشيد هذا العلم المهم في رحلته، فقد عرض لذكر بعض النحويين، وناقش شيئا من المسائل التي تتعلق بالنحو والصرف، واهتم كثيرا بالسند الذي يصله بأكبر النحويين القدامى كسيبويه، وكتابه الذي يعد مفخرة من المفاخر التي اعتمدها هو وكثير من شيوخه في علم النحو ونخص بالذكر منهم أبا الحسين بن أبي الربيع وأبا جعفر الفهري اللبلي وابن النحاس الحلبي.

ونحن ندرك مقام ابن رشيد في هذا العلم، من خلال ما وصفه به بعض شيوخه، وأصحابه من بعض الإشارات الواردة في الرحلة وكل ذلك يعطينا صورة جلية عن نبوغه وعلو كعبه في هذا الفن.

فقد وصفه أبو اسحاق بن حِبي القرموني بالسيد الجليل والصاحب الخليل الذي برز في نحوه على الخليل[4] . وقال عنه ابن الطواح: إن نحوه يميل لنحو شيخه ابن أبي الربيع[5]. ثم إن ابن رشيد كان قد استدرك على أبي العباس الكتاني، وكان جمّاعة لكتب ابن عصفور، إذ ذكر بعض الكتب التي أغفلها، وهي تعد من أجلها[6]. ونستنتج

---

[1] : الرحلة 41/2
[2] : النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه ص: 178.
[3] : مراتب النحويين 23.
[4] : الرحلة 104/6 .
[5] : سبك المقال 90.
[6] : الرحلة 92/6 وترجمة 67.

من ذلك أن ابن رشيد كان كذلك جمّـــاعة لكتب النحو ونفائسه، ثم إنه كان ذا مذهب معين معروف به عند علماء الأدب واللغة والنحو.

ابن رشيد وكتاب سيبويه

لما كان الأندلسيون يأخذون من النحو البصري[1] ممثلا في كتاب سيبويه، ويأخذون من النحو الكوفي ممثلا في كتاب الكسائي، ومن نحو البغداديين ممثلا في أبي علي القالي، فإن النحو عندهم كان في نهاية من علو الطبقة[2] .

وممن شرح كتاب سيبويه من شيوخ ابن رشيد وأصحابه: أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي وأبو الحسن علي بن الضائع الكتامي وأبو جعفر الفهري اللبلي وأبو عبد الله بن حيان الغرناطي. ولما كان للشلوبين، تلميذ السهيلي والجزولي، تعليق على كتاب سيبويه، فإن من تأثر به من شيوخ ابن رشيد أبو الحسين بن أبي الربيع الذي كان من أوثق التلاميذ صلة به[3] وكذلك ابن الضائع الكتامي الخضار، ثم إن الشلوبين هذا كان يقف تارة مع سيبويه والبصريين، وتارة مع النحويين الآخرين من موطنه وغير موطنه[4] ولهذا كله نجد أن ابن رشيد كانت تصب فيه روافد النحو البصري والكوفي معا، ونتيجة لهذه المؤثرات كلها ظهر الدافع القوي إلى شرح ابن رشيد لكتاب سيبويه أسوة بالشيوخ السابقين[5]. ثم إننا نلاحظ أن له في الرحلة أسانيد متصلة في ذلك ونذكر طرقا منها فيما يلي:

—1— سند ابن رشيد في كتاب سيبويه[6]

قال ابن رشيد[7]: أنبأنا بجميع كتاب سيبويه إذنا معينا فيه الشيخ الامام:

بهاء الدين بن النحاس الحلبي يوم الخميس 25 رجب 684 هـ.

[1] : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم مكرم ص 164.
[2] : نفسه ص 163.
[3] : المدارس النحوية لشوقي ضيف 317 وانظر ترجمة من لقيه بسبتة و ترجمة 8.
[4] : المدارس النحوية 302.
[5] : كشف الظنون 1426-1428.
[6] :الرحلة 28/3.
[7] : نص ابن رشيد في رحلته على أن كتاب سيبويه من كتب النحو واللغة والادب والشعر.

عن علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد اللورقي الاندلسي في مجالس آخرها يوم الثلاثاء 3 رجب 655 هـ بدمشق

عن تاج الدين أبي اليمن الكندي

عن عبد الله بن علي بن أحمد سبط أبي منصور الخياط ما بين سنة 633 هـ و635 هـ، بقراءة أبي سعيد الانباري.

عن أبي الكرم المبارك بن فاخر سنة 495 هـ.

عن أبي القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان سنة 455 هـ.

عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن شاهوويه النحوي.

عن أبي القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي سنة 411 هـ و412 هـ

عن أبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي

عن المبارك بن فاخر قراءة عليه سنة 455 هـ في رمضان، وعلي بن أبي الحسن الزعفراني بالبصرة.

عن أبي علي الفارسي

عن أبي بكر بن السراج

عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عن أبي عمر صالح بن اسحق الجرمي، وأبي بكر بن محمد المازني

عن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش

عن سيبويه.

— 2 — ابن رشيد[1]

أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (أحد مشاهير أصحاب أبي علي الشلوبين

أبو علي الشلوبين (باشبيلية أعادها الله)

الحافظ ابن الجد

ابن الاخضر (سماعا ثم ذكر سنده المعلوم

— 3 — ابن رشيد[2]

عن أبي جعفر الفهري اللبلي

عن أبي الحسن بن الدباج (باشبيلية)

عن أبي بكر بن أبي ركب

أبو بكر بن حرب

أبو القاسم بن الرباك — وأبو الحسن علي بن مُسَلّم النحوي

نا. ابن الاخضر	نا . عبد الله بن أبي العافية

الاعلم

ابن رشيد[3]

عن أبي جعفر اللبلي (قال وسمعت بعضه وأجاز لي سائره بسبتة)

أبو القاسم بن رحمون (قراءة)

---

[1] : الرحلة 30/2.
[2] : نفسه.
[3] نفسه.

عن أبي الحسن بن خروف

عن أبي بكر بن طاهر

— 4 — ابن رشيد[1]

أبو جعفر اللبلي (قال وقرأت بمحروسة مصر من أول الكتاب إلى أبواب ما لا ينصرف، وأجازني سائره:)

ناصر الدين أبو الفتوح ناصر بن ناهض المعروف بالحصري

عن أبي محمد عبد الله بن بري النحوي المقدسي (إمام النحاة بسنده المذكور في برنامجه)

— 5 — ابن رشيد[2]

عن أبي جعفر اللبلي (قال وقرأت جميعه من أوله إلى آخره بدمشق

على علم الدين بن القاسم اللورقي، قراءة بدمشق

على تاج الدين أبي اليمن الكندي (قال سمعته مرتين)

على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد الخياط (قال سمعته قراءة سنة 535 هـ)

على أبي الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سنة 495 هـ

على أبي القاسم عبد الواحد	على ابن شاهويه النحوي
ابن برهان النحوي سنة 425 هـ	على أبي الحسن الزعفراني
	على الفارسي

[1] : الرحلة 30/2.
[2] : الرحلة 30/2.

على أبي القاسم الدقيقي سنة 421 هـ

على أبي الحسن الرماني

على أبي بكر محمد بن السري السراج

على أبي العباس المبرد

على أبي عمر صالح بن اسحق الجرمي وعلى أبي عثمان بكر بن محمد المازني

على أبي الحسن الاخفش

على سيبويه

الحديث المسلسل بالنحاة والأدباء

كان ابن رشيد يحرص على ايراد بعض النوادر في رحلته، ولهذا ذكر السيوطي[1] أنه وقف على الرحلة بمكة وعلق منها فوائد واستفاد منها الحديث المسلسل بالنحاة. وأما الحديث فهو:[2]

سيد أُدُمِ الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية. والفاغية الحناء. وأما السند فقد أورده على هذا النحو:

1- ابن رشيد في 7 جمادى الاخرى 686 هـ

2- عن أبي عبد الله بن عياش الانصاري الخزرجي القرطبي

[1] طبقات الحفاظ ص 525 ترجمة 1154.

[2] الرحلة 54/7 (مسلسل بالأدباء).

3- عن أبي القاسم بن الطيلسان

4- عن أبي جعفر بن يحيى الأديب (بمسجد بدر بقرطبة)

5- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكي الاديب

6- عن أبي مروان عبد الملك بن سراج الاديب

7- عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن الافليلي

8- عن أبيه

9- عن قاسم بن أصبغ

10- عن أبي محمد عبد الله بن قتيبة

11- عن أحمد بن الخليل

12- عن الاصمعي

13- عن أبي هلال الراسبي

14- عن عبد الله بن بَـريدة

15- عن أبيه بريدة الاسلمي

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيد أدم الدنيا... [1]

بعض المناقشات النحوية

واضع علم النحو

من الفوائد التي رواها ابن رشيد عن شيخه أبي عبد الله بن عياش مسألة وضع علم النحو[2] وهي على ما فيها من الخلاف تضارب الآراء قد وردت في كتب كثيرة إشارات إلى أن واضع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي، ثم إنها كانت تورد بعض

---

[1] : نبه ابن رشيد على أن رجال هذا الحديث كلهم أدباء إلا شيخه ابن عياش، وكتب في الهامش اشارة تدل على أنهم كلهم من الأصمعي أدباء.

[2] : الرحلة 55/7.

الآراء المخالفة لذلك الرأي، ومن أصحاب تلك الكتب ابن النديم[1] وأبو أحمد العسكري[2] والفارسي[3] وأبو الطيب اللغوي[4] والسيوطي[5] وسعيد الأفغاني[6] والدكتور فتحي الدجني[7].

وابن رشيد لم يعقب على رواية أستاذه ابن عياش الذي ذكر له سندين أولهما مرفوع إلى ابن أبي النجود، وثانيهما مرفوع إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى، وفي كل منهما: أن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي[8] وأما سلسلة السندين فهي كالتالي:

روى ابن رشيد[9] عن ابن عياش عن أبي القاسم بن الطيلسان عن أبي جعفر النحوي عن ابن سمحون النحوي عن ابن عتاب عن أبي عمر النمري عن أبي الفتح ابراهيم بن سَيْـبَـخْـت الكاتب عن ابن الانباري عن عمر بن شبة عن حيان بن بشر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي.

ومما رواه ابن رشيد[10] أيضاعن أبي عبد الله بن عياش، وبالاسناد المتقدم إلى عمر بن شبة قال حدثني التَّـوزي[11] قال سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى[12] يقول أول من وضع النحو أبو الاسود الدؤلي ثم ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل[13] ثم عبد الله بن أسحق[14] وقال ووضع عيسى بن عمر[1] في النحو كتابين سمي أحدهما الجامع والآخر المكمل فقال الخليل بن أحمد[2].

---

[1] : الفهرست 65-66.
[2]: المصون في النحو 118.
[3] : الايضاح في علل النحو 89.
[4] : مراتب النحويين 24-25.
[5] : المزهر 2/397-398.
[6] : في أصول النحو 161.
[7] : أبو الأسود الدؤلي 160.
[8] : كتب في الرحلة على الهامش: قف على ذكر من وضع النحو أولا على ما فيه من الاختلاف.
[9] : الرحلة 7/55.
[10] : الرحلة 7/56.
[11] : مراتب النحويين 122.
[12] : نفسه 77-78.
[13]: نفسه 30.
[14] : نفسه 31-32.

بــطل النــحو جمـيعا كـــــله [3] ... غـير ما أحــدث عيسى بن عمــر[4]

ذاك اكـــــمال وهـــذا جـــامــع ... فهـــما [5] للـناس شمـس وقـــمر

وبهذا نستطيع أن نقول إن ابن رشيد لم يضف شيئا إلى ذلك الخلاف الذي كان واقعا في مسألة وضع النحو، ولم يدل برأيه فيه، إلا أن في هذا النص بعض الفوائد التي نستخلصها، وهي أن في السند الأول سلسلة من الرواة الذين يضاف عددهم إلى ما عرفناه من مساهمة النحاة المغاربة والأندلسيين إلى جهود النحو العربي، وهي جهود لا ينكرها التاريخ.

مناقشة في الحرف ومعناه

لما حضر ابن رشيد مجلسا من مجالس أبي المعالي محمد بن محمود الأصبهاني، إمام وقته في النظريات والخلافيات... جرى الكلام بين يديه في قولهم "الحرف ما دل على معنى في غيره، أو الحرف لا يستقل بالمفهومية"[6] . فقال ما معناه: إن مرادهم بذلك أن الحرف لا يدل على معنى المفرد إذا لم يذكر متعلقه[7] وعندما سمع ابن رشيد منه ذلك، أبدى معارضته، فضايقه في المناقشة، وكأنه لم يقتنع بما ذهب إليه أبو المعالي، وبالرغم من أنه ليس بين أيدينا نص تلك المضايقة وتفصيلها يرجح أن يكون ابن رشيد عرض على الاصبهاني ذلك الرأي الذي يخالف رأي ابن الحاجب وجميع النحاة فلقد أتى بهاء الدين

---

[1] : نفسه 43.

[2] :انظر الابيات في كتاب مراتب النحويين 46-47 مع الملاحظة أن هناك اختلافا في رواية نص الأبيات.

[3] : مراتب النحويين 46-47: بطل النحو الذي جمعتم.

[4] : نفسه: غير ما ألف عيسى بن عمر.

[5] : نفسه : وهما.

[6] : الرحلة 86/3.

[7] : هناك كتب كثيرة ذكرت أن الحــــرف يدل على معنى في غيره ومنها الكافية في النحو 7/1 والمقرب لابن عصفور 45/1 وشرح شذور الذهب 13 وشرح المفصل لابن يعيش 2/8 وشرح ابن عقيل 15/1 والايضاح للفارسي 59 (الحرف لا يستغني عن جملة يقوم بها) الاحكام للآمدي 85/1. التقسيم الثلاثي للكلمة للدكتور الحلواني 5 والمورد م9 ع1 1980 (بين منطق أرسطو والنحو العربي).
أما سيبويه فيقول في كتابه: وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فهو الحرف.

ابن النحاس بما خالف به جميع النحاة بقوله "إن الحروف يدل على معنى في نفسه" وهذا خرق لذلك الاجماع[1].

وقد ذكر ذلك بعد أن علق على المقرب لابن عصفور[2] ولا شك في أن ابن رشيد كان على علم بهذا الخرق، لان ابن النحاس كان ممن أثر في اتجاه تلميذه ابن رشيد عندما اتصل به في القاهرة وحضر مجالسه العلمية[3] بل يمكن أن ننظر في هذه المسألة إلى أبعد من ذلك، وهو أن ابن النحاس تأثر في هذا الرأي بأستاذ النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي السبتي، وذلك في كتابه القوانين[4]، فقد قال فيه: "وأما الحرف فكل ما جاء لمعنى في غيره ولا يمكن وصفه أن يسند ولا يسند إليه، ويأتي الحرف لمعنى في الاسم ومعنى في الفعل ورابطا بين اسمين ورابطا بين فعلين ورابطا بين اسم وفعل ورابطا بين جملتين وداخلا في التركيب، وزائدا وملغى." ويمكن أن نقول إن ابن رشيد كان متأثرا أيضا في هذا الرأي بابن أبي الربيع مباشرة لما كان طالبا عنده في سبتة.

ويظهر من تعريف ابن أبي الربيع أيضا أنه يحمل معنى ما عرف به سيبويه الحرف. ونلاحظ في كلا التعريفين احتياطا بما قد يثار من مثل هذه المناقشات والخلافات، وذلك ظاهر في قول سيبويه "جاء لمعنى" ووقف عند هذا الحد. بينما زاد ابن أبي الربيع تفصيلا وشرحا، ونظر إلى الحرف في معناه المستقل وفي معناه في التركيب كما هو ملاحظ في شمولية تعريفه.

ولما سمع الاصفهاني رأي ابن رشيد فسح على نفسه بأن قال: "وهذا راجع إلى النقل عما فهم عن العرب، وقد نقله ابن الحاجب وهو معتمد فليعتمد"[5].

وبعد هذا سكت ابن رشيد تأدبا، ولم يقنعه جوابه، وظن أن الشيخ قصد دفعه عن المكالمة، على أنه كان جميل البر حفيه وحفيله ولكن تبين له بعد ذلك أن الشيخ لم يقصد إلى ذلك.

---

[1]: همع الهوامع 4/1.
[2] : كتاب المقرب 46.
[3] : انظر ترجمته فيمن لقيهم بمصر.
[4] : كتاب القوانين النحوية رقم 512 مخط القرويين. وانظر كتاب الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي فصل1 ص20 وما بعدها.
[5]: الرحلة 88/3

ويظـهر أن ابن رشيد لا يؤيد التقـليد الحرفي للعـلماء السابقين وإن كانوا معتمدين مثـل ابن الحاجب[1] وإنما يتحاكم في ذلك إلى العقل والبرهان، ولا يرجع فيه لا إلى اجماع ولا إلى سابق سند ولا قديم ملة، وإن اجماع النحويين لا يكون حجة، لان كل واحد منهـــم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع [2].

وقد اعتمد ابن رشيد على رأي الامام شرف الدين التلمساني بأن قال:"إن معنى المفهومية الافراد، فإن التقسيم في المفرد، وهذه الألفاظ وإن افتقرت إلى الاضافة فليس ذلك إلا في فهم معناها الترتيبي التقييدي." وذلك بعد أن أورد بعض الأسماء التي لا يفهم معناها دون متعلقاتها نحو كل وبعض وتحت وفوق وغير.

ومع ذلك فقد رأى ابن رشيد أن ابن الحاجب أقر باستشكال حد الحرف فقال بما في الوافية بنظم الكافية:

فإن يـكن معـــناه لا في نفـــسه ooo فالحـــرف وهـو مشـــكل في نفـــسه

ورأى ابن رشيد أن حاصل تحديدهم الحرف يقتضي أنهم يدَّعُون على العرب أنها لم تضع حروف المعاني قبل الاستعمال ثم استعملتها كما قد يظن في الأسماء والأفعال أو أكثرها، بل وضعت الحرف مقرونا بالاستعمال، ولغرض الدعوى عدلوا عن التصريح بهذا القدر[3]

ويرى أن تحديد معنى الحرف قد عجز عنه أكابر علماء المعاني كحازم القرطاجني فيقول: "ويشبه أن يكون بحر البلغاء وحبر الأدباء أبو الحسن حازم رحمه الله أراد الإشارة إلى هذا المعنى إذ قال: إن وضع الحروف في الكلام كالرباطات[4] في الجسد التي تجمع العضل إلى العظم. هذا أو نحوه، ولعسره لم يزد الإمام أبو بشر في

---

[1] : ابن خلكان 248/3: خالف ابن الحاجب النحاة في مواضع، وأورد عليهم اشكالات والزامات تبعد الاجابة عنها.
[2] : الخصائص لابن جني 326/2.
[3] : نفسه: باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني 215/1.
[4] : شرح شذور الذهب: الذات أي الاسم، الحدث أي الفعل، الرابطة أي الحرف.

الكتاب على أن قال بعد تعيين الاسم بالمثال والفعل بالحد، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها[1].

ونستنتج من تلك المناقشة التي جرت بين ابن رشيد وبين الاصفهاني أن ابن رشيد كان قوي العارضة في النحو، وإن لم يكن من أولئك الذين يقولون بما قال الأولون دون إبداء الرأي فيه لتصويبه، أو للاستقلا ل بالنظر، وليس بين أيدينا شرحه لكتاب سيبويه ليتجلى لنا الأمر أكثر، لأن غاية ما يوجد في هذا النص هو نفسه الذي في كتاب سيبويه.

ثم إن ابن رشيد كان يمزج بين طريقة النحويين والاصوليين، وذلك في استعمال بعض مصطلحاتهم كالمفهومية[2] مثلا .

استعمال "أرأيت" مع "أي" الاستفهامية

ومن تلك المسائل[3] ما أنشده أبو عبد الله بن هشام السبتي اللخمي[4] ، من الاستدلال على جواز ما أنكره سيبويه بأن "أرأيت" لا تلي الاستفهام[5] قال أنشده الفارسي في تذكرته ولم يجز فيه الا الرفع:

أرأيت أيٌّ سوالف عرضـــــت لنا ⁰⁰⁰ قطـعـن أكـــبادا لـــنا وقـلــــــوبا

قال ومثل هذا بيت حبيب[6]

أرأيت أي[7] ســـوالــــف وخـــدود ⁰⁰⁰ عنـــت لـــنا بين اللـــــوى وزرود[1]

[1] : نقل ابن رشيد عن سيبويه بنصه 12/1.
[2] : الاحكام في أصول الاحكام الآمدي 375/2.
[3] : الرحلة 96/6.
[4] : هو محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي الاندلسي توفي سنة 570 هـ وقد قال ابن الطواح إن نحو ابن رشيد بعيد عن فك معمى الامامين ابن عصفور وابن هشام هذا. سبك المقال 90.
[5] : انظر في هذا الشأن أيضا البرهان في علوم القرآن 154/4.
[6] : الديوان 384/1 القصيدة 37 وهي في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد.
[7] : نلاحظ أن محقق الديوان لم يضبط الشاهد (أي)، وإنما كتب الشدة فوق الباء فقط: وأظن أنه أراد بذلك الخروج من الخلاف.

قال ولا يجوز أن تكون في البيتين موصولة من حيث اضافتها إلى النكرة والموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة كقوله تعالى: "أيهم أشد"[2] .

وإنما امتنعت اضافتها إلى النكرة من حيث إنها توجب تنكير الاسم باضافته إليه، والصلة توضحها وتعرفها، فيؤدي إلى أن يكون الاسم نكر معرفة في حالة واحدة وهذا مما لا يكون.

ولم يعقب ابن رشيد على هذه المسألة بشيء، ويحتمل ن يكون رأيه مرافقا لما أورده ابن هشام السبتي. وإذا تتبعنا آراء غير أولئك من النحويين، كابن هشام صاحب المغني، والسيوطي، وجدنا الأول يرى أن "أي" الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة. وقد استند في ذلك إلى رأي أبي عني في تذكرته كما رأينا سابقا، ثم إنه أتى بشاهد وهو بيت أبي تمام السابق الذكر، وقال لا تكون فيه "أي" موصولة لاضافتها إلى نكرة[3] وأما السيوطي فيرى أن أي الموصولة يشترط فيها أن تضاف إلى معرفة لفظا أو نية، بينما أجاب بعضهم اضافتها إلى النكرة، ومنع الجمهور ذلك، لانها حينئذ نكرة: والموصولات معارف، فلا تكون معرفة ونكرة في آن[4] .

فعل الأمــر المؤكد

ومن تلك المناقشات[5] أيضا ما رآه ابن رشيد معلقا بخطه من الفوائد المستفادة من قِبل أبي الحسن بن عصفور، مما أخذه عن قول بعض أصحابه التونسيين، فقد أنشد ابن عصفور مستدلا على أن أصل فعل الامر المؤكد بإحدى النونين بناء آخره على حركة، وإنه لم يكن ساكنا ثم تحرك لالتقاء الساكنين مثل قول الشاعر:

قلا تلـقيا ضـيما مخافة بِـيـتَـة ◦◦◦ ومـوتن بــها حـرا وجلـدك أمــلس

---

[1] : الديوان: فزرود.

[2] : قال تعالى: "ثم لننزعن من كل شيعة أيُّهم أشد على الرحمن عتيا" مريم 69. انظر مسألة اشكال اعرابها، وخطأ سيبويه في ذلك وأقوال النحاة فيها: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 133/11-135 وانظر أيضا في اعرابها كتاب اللباب في النحو لعبد الوهاب الصابوني ص:62.

[3] : المغني 83/1.

[4] : همع الهوامع 74/1.

[5] : الرحلة 96/6.

قال فلو كانت حركة التقاء الساكنين لما رددت المحذوف، ولكنت تقول (ومُـتَــنْ) كما تقول (خـفِ القوم) فلا ترد المحذوف.

ويظهر من خلال هذه المناقشة أن حرف العلة الذي لم يحذف في (موتن) يدل وجوده على أن الحركة في التاء ليست حركة طارئة، لانها جاءت لتحريك الساكن، وإنما كانت حركة بناء حملا على بناء فعل المضارع بالفتح حين يتصل به نون التوكيد، ويمكن القول إن هذه المسألة ينبغي اضافتها إلى ما كتبه ابن عصفور في كتابه المقرب عن نوني التوكيد[1].

ومما وجده ابن رشيد أيضا متصلا بتلك الفوائد: قال: "فأما خظاتا كما أكب"[2] فتثنية خظاة، وتقديره خظاتان كما قال الآخر:

ومتـــــــنان خظـــــــــاتان ٥٥٥ كزحـــــلوف من الهـــــــضب[3]

قاعدة النسب إلى بني حنيفة، وأبي حنيفة.

ومن التنبيهات[4] التي نبه عليها ابن رشيد ولم يعلق عليها برأيه، ما قاله الامام أبو عمرو بن الصلاح في النسب إلى بني حنيفة وإلى مذهب أبي حنيفة، قال وكان محمد بن طاهـر المقدسي وكثير من أهل الحديث وغيرهم يفرقون بينهما فيقولون في

---

[1] : انظر المقرب لابن عصفور -(باب نوني التوكيد الشديدة والخفيفة 73/2) والكتاب بتحقيق الجواري والجبوري وانظر أيضا شرح شافية ابن الحاجب 227/2-231. ط بيروت 1975.

[2] : انظر شرح شافية ابن الحاجب 156/4-157 الشاهد 83.

لها متـــــنان خظـــــاتا كما ٥٥٥ أكــب على ســاعـــديه النـــمـــر

وهو لامرئ القيس، انظر الديوان 98 شرح السندوبي ولم يتعرض الشارح لهذا البيت لا من الناحية الأدبية ولا من الناحية الصرفية.

[3] : شرح شافية ابن الحاجب 156/4-159، وهو قول أبي دؤاد الايادي وانظر كذلك نفس المرجع 230/2. وكذلك الممتع في التصريف لابن عصفور تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة 525/2، وفيه: أراد خظتا،، وقد يجوز أن يكون تثنية خظاة، وخظا: ارتفع وتحرك.

[4] : الرحلة 21/3.

المذهب (حنيفي) بالياء وفي بني حنيفة حنفي. وقال ابن الصلاح لم أجد ذلك من أحد النحويين إلا عن أبي بكر الانباري الامام، قاله في كتابه الكافي. ولمحمد بن طاهر في هذا القسم كتاب الانساب المتفقة.

لم يعلق ابن رشيد على هذا الكلام، وأغلب الظن أنه يقر هذا الرأي[1]. وقد أورد هذا التنبيه عندما وقف في مقبرة وعلة على قبور ثلاثة من أئمة المذاهب الثلاثة وهم: أبو الخطاب الشافعي، وأبو بكر الطرطوشي المالكي، وأبو محمد بن ابراهيم الحنيفي[2] .

مناقشة في الدرع

ومن أثر البلاغة في التفكير اللغوي وما يتصل بذلك من معاني النحو عند ابن رشيد ما أورده في مسألة الدرع[3] ، فقد ذهب بعض الاقدمين إلى تأنيثها كابن عبد البر وثعلب، وذهب بعضهم إلى تذكيرها وتأنيثها كالزبيدي في مختصر العين[4] . ومما ناقشه من تلك الآراء رأي ابن هشام السبتي في شرح الفصيح الذي يقول فيه:

"وكان بعض أشياخنا يقول: إنما ذكر درع المرأة وأنث درع الرجل لأن المرأة لباس الرجل وهي أنثى، فوجب أن تكون درعه مؤنثة ، والرجل لباس المرأة وهو ذكر فوجب أن تكون مذكرا، وكان يحتج على ذلك بقوله تعالى: "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"[5]

وقد علق ابن رشيد على هذه الآراء بقوله: الاحتجاج بهذا ضعيف، واطلاق الدرع على درع الحديد ودرع المرأة مقول بالاشتراك حقيقة فيهما، ووصف الله تعالى للنساء والرجال باللباس من بعضهم لبعض مجاز تشبيهي، فكيف يجعل أصلا في اطلاق الحقيقة؟[6]

---

[1] : قال ابن يعيش: تحذف الياء والواو من كل فعيلة وفعولة فيقال فيها: فعلي نحو قولك حنفي وشنئي. شرح المفصل 146/5.

[2] : ومما يؤيد هذا الرأي أيضا ما وجده ابن رشيد في مختصر مشيخة المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي الأندلسي نزيل تامسان، فقد ورد في هذه المشيخة اسم الزاهد أبي بكر محمد بن ابراهيم بن الحسن الرازي المعروف بالحنيفي المتفقه على مذهب أبي حنيفة، وله كرامات مشهورة. الرحلة 20/3 وانظر أيضا في هذا شرح شافية ابن الحاجب 20/2، ولم ينبه ابن عصفور على هذا في هذا الباب، انظر المقرب 68/2.

[3] : الرحلة 68/3.

[4] : مختصر العين 147/1 تقديم وتحقيق الدكتور نور حامد الشاذلي. عالم الكتب ط1 1996.

[5] : البقرة 186.

[6] : في كتاب الشمائل المحمدية 326 الدرع مؤنثة وفي مقاييس اللغة: درع مؤنثة، وفي مختار الصحاح الدرع الحديد مؤنثة، وقال أبو عبيدة يذكر ويؤنث، ودرع المرأة قميصها وهو مذكر. وفي كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض: درع

وصفوة القول إن علماء المغرب والأندلس بعامة وعلماء سبتة بخاصة قد برزوا في كثير من المسائل ونخص بالذكر منها هنا ما يتصل بالادب واللغة والنحو، ولهذا أقترح جمع آراء أبي الحسين بن أبي الربيع في كتابيه القوانين والكافي اللذين يظهر فيهما شيء من الاستقلال بالرأي، وكذا آراء ابن هشام السبتي ومعمياته، كما يرى ابن الطواح في ترجمته لابن رشيد، وما ذهب إليه ابن حيان النحوي الذي درس على ابن أبي الربيع، والذي نجد له آراء نحوية كثيرة في كتابه تفسير البحر المحيط والبحر الماد، وقد خصته الدكتورة خديجة الحديثي بدراسة مهمة في كتابها: أبو حيان النحوي. ويضاف إلى ذلك هذا النزر اليسير من مناقشات ابن رشيد وغير ذلك، وبذلك نستطيع أن نلحظ شيئا من السمات المعينة من الاجتهاد والإبداع.

المرأة قميصها مذكر، وقيل مؤنث أيضا، ودرع الحديد أيضا مؤنثة وقيل مذكر أيضا. وفي المصباح المنير 192/1 درع الحديد مؤنثة في الأكثر، ودرع المرأة قميصها مذكر.

المبحث الخامس
العــروض

لما التقى ابن رشيد بأبي عثمان سعيد بن جون المراكشي[1]، بالمركب، على متن بحر الاسكندرية، وتعرف كل منهما بالآخر، جرى بينهما حديث جر إلى اثارة مسائل تتعلق بالادب: شعره ونثره، وعلم القافية والعروض، وكان مما قاله ابن رشيد: إن أبا عبد الله ابن عبد الملك المراكشي، صاحب الذيل والتكملة، ذكر له بسبتة أن بعض الادباء صنع نظما عجيبا في العروض يتضمن جميع أعاريضه وضروبه، وأنه ذكر له صدره من حفظه، ولكنه لم يمكنه منه، فبادرأبو عثمان المراكشي قائلا إن القصيد عنده، فاغتنمها ابن رشيد فرصة لاجل الاستفادة من هذه المذاكرة الممتعة والمحاضرة المثمرة، وأشار ابن جون إلى أن هذه الابيات لأبي الحسن البسطي[2] رحمه الله وقد أنشأها ليعرف بها أعاريض الاشعار وضروبها ومطلعه:

طويل علي اللــيل إذ بت كالـئا[3] ००० جنوح الدجى والليل ينقاد للجنح[4]

---

[1]: الرحلة 2/6 وانظر ترجمة122.

[2]: انظر مقالا مهما للأستاذ سعيد أعراب، بعنوان أبو الجيش الانصاري وكتابه علل الاعاريض. وذلك في مجلة دعوة الحق ع3 س12، 1388- 1960 ص37 وهو القسم الاول وكذلك مجلة دعوة الحق ع5 س12، 1389- 1960 ص71 وهو القسم الثاني.

وانظر مقالا آخر مهما للأستاذ عبد الله كنون بعنوان: عروض أبي الجيش وذلك في مجلة (المورد) العراقية مجلد 8 عدد 3 سنة 1979 ص155، وانظر في نفس المجلة تحقيقا في اسم منشئ ذلك النظم، وفي تلك المجلات تفصيل القول في ذلك النظم ومقارنة حسنة بالخزرجية.

[3]: كالئ، من كلأ يكلأ، حارس.

[4]: ويكتب هذا النموذج على هذا الشكل:

(طويل) علي الليل إذ بت كالـ (ء) ا ००० (ج) نـوح الدجا والليل ينقاد للجنــ (ح)

وهو يشير إلى أن أول لفظة في كل بيت تعني لقب البحر، وأن آخر العروض حرف من حروف أ.ب.ج.د، ويعني بها عدة العروض، وأن أول الشطر الثاني يعني عدد الضرب، ثم جعل روي البيت يشير إلى عدد الاجزاء، وهذا مثال لباقي الأبيات الخاصة ببحر الطويل:

طويل علي اللــيل إذ بت كالئا ००० جنـوح الدجا والنجم قد حان مذهـ(ب)

طويل علي اللــيل إذ بت هائما ००० وأيقــنت أن العـزل افــك مدا(جـ)نْ

فالطويل يعني به لقب البحر، والهمزة بأخر العروض عدة العروض، لان عروض الطويل واحدة مقبوضة، وأول حرف من الشطر الثاني عدد الأضرب وهي ثلاثة: الصحيح والمقبوض والمحذوف، وروي البيت (ج) عدد الاجزاء وهي ثمانية (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) مرتين ثم يخرج من كل بيت فروع الاصل، فالباء من مذهب تشير إلى أن

وقد أتى ابن رشيد بهذا القصيد الذي يتكون من ستة عشر بيتا وما يتفرع منه من الأبيات، ومقدار ذلك ثمانية وأربعون بيتا فرعا، ثم أشار إلى أنه أثبت ذلك القصيد في موضع آخر غير الرحلة[1] ، ولكنه مع ذلك صنع له مقدمة مختصرة أوردها في الرحلة، وهي تتضمن ألقاب الزحاف والعلل وشيئا من التعريفات الأولية.

ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلا ثة أقسام وهي:

1- ذكر ابن رشيد أبيات أبي الحسن البسطي، وما استدركه صاحباه: أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي[2] وأبو بكر القللوسي[3] على الناظم أبي الحسن الذي لم يذكر لعروض السريع إلا ستة أضرب على مذهب أبي الحسن الاخفش وأبي اسحق الزجاج، وأما الخليل فلها عنده سبعة أضرب، ولهذا سأل ابن رشيد صاحبيه أن يتمما ما نقص فأجاباه لذلك.

2- ذكره لتلك المقدمة الوجيزة التي تشتمل على ألقاب الزحاف والعلل وأقسام ذلك، وكذا ذكر ما سلم من الزحاف وما سلم من العلة وغير ذلك مما كمل أجزاء تفعيله، وذكر التام والمتمم.

3- ثم انتقل في الاخير، تكميلا للفائدة، إلى تفسيرما تركب منه الشعر من أجزاء التفعيل (كذا)، وما اشتملت عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض وضروب وغير ذلك من المسائل الأولية.

ويظهر أن ابن رشيد لم يكن راغبا في ايراد ما يتعلق بهذه المسائل أي ذكر ما يتركب منه الشعر، وما يشتمل عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض لولا أن بعض الفضلا ء من أصحابه سأل منه ذلك لما وقف على تلك الابيات السالفة الذكر وهذه المقدمة من تأليفه ولهذا أتى بها في الأخير، مع أنه ينبغي ذكرها في المقدمة.

الضرب المقبوض يأتي في المرتبة الثانية بعد الصحيح، والجيم في (مداج) يشير إلى أن الضرب المحذوف يجيء في المرتبة الثالثة.

وانظر التفصيل في أعداد المجلات السابقة الذكر.

[1] وهذا يدل على أن ابن رشيد قد خص هذا الفن بتأليف مستقل، وهذا أيضا يضاف إلى كتبه الكثيرة التي فقد جلها.

[2] انظر ترجمة18.

[3] انظر ترجمة 23.

وفي تلخيص تلك المسائل العروضية التي أتى بها ابن رشيد في رحلته، عكس منهجه فيه، فأبتدئ أولا بذكر المسائل الاولية ثم أتحدث ثانيا عن المقدمة التي تشتمل على الزحاف والعلل، ثم أذكر بعض المسائل العامة في البحور أخيرا.

وأنبه، هنا، على أنني سأقوم بمقارنة شيء من ذلك بما قاله بعض السابقين إلى هذا الميدان، وذلك ليرى فيه أثر ابن رشيد، وليبين ما اتفق أو اختلف فيه عنهم، وحتى نستطيع أن نعرف شيئا عن علم العروض في عصر ابن رشيد بخاصة ومدى ما كان يولى هذا العلم من الاهتمام بعامة، وكل ذلك باختصار وايجاز.

تفسير ما يتركب منه الشعر

وذلك من أجزاء التفعيل وما اشتمل عليه من أسباب وأوتاد وفواصل وأعاريض وضروب:

كان ابن رشيد يناقش في هذه المسألة وجه العلاقة فيما بين بيت الشِعر وبيت الشَّـعر من الحقائق اللغوية والعرفية. وقد قال أبو العلاء المعري:

والحـسن يظـهر في شيئين رونقه ⁂ بيت من الشعـر أو بيت من الشعـر

السبب والوتد والفاصلة

ثم ناقش اصطلاحات الاسباب والأوتاد والفاصلة، واستنتج أن هذه الاسماء حقائق في بيت الـشَّـعَر، وهي في بيت الشِّـعْر مجازات ثم انتقل إلى تفصيل القول فيما يتركب منه بيت الشعر، فبين نوعي كل من السبب والوتد والفاصلة.

وينبغي التنبيه هنا على أن ابن رشيد يرى أنه لا فائدة لحد الفاصلة الكبرى، لان بعضهم أبى حد الفاصلة الصغرى فكيف الكبرى.[1]

---

[1] يرى الزمخشري أنه إذا اقترن السببان متقدما الثقيل منهما على الخفيف سمي ذلك فاصلة صغرى، وإذا اقترن السبب الثقيل والوتد المجموع سمي ذلك الفاصلة الكبرى، ومنهم من سمى الاولى فاصلة (بالصاد المهملة) والثانية فاضلة (بالضاد المعجمة)، القسطاس 27. ولاحظ اقتران السببين والوتدين في هامش كتاب القسطاس ص27 وكذا عدم الاشارة

ومن هذه الثلاثة، أي السبب والوتد والفاصلة، تتركب أجزاء التفعيل التي منها تتركب الأبيات، وأجزاء التفعيل ثمانية لفظا (نطقا)[1] وعشرة خطا، ثلاثة[2] منها خماسية وسبعة سباعية، ومن عدها ثمانية وقع في شرط الاشتراك في الخط، والاحكام اللاحقة لكل منهما تفرق.

أجزاء التفعيل

وأما أجزاء التفعيل فهي: فعولن- فاعلن- مفاعيلن - فعولاتن [3]- مفاعلتن - مفعولا[4] وهو أولى من قولهم مفعولات – مستفعلن (مجموع)- مستفع لن (مفروق) – فاعلاتن (مجموع) – فاع لاتن (مفروق).

وقد سمع ابن رشيد أستاذه أبا الحسن بن الخضار[5] رحمه الله تعالى يقول: "تعرف مواضع المفروق[6] من دائرة، بأنه يكون أبدا في التفعيل المنفرد في الانصاف."

الفـصل والغاية[7]

ثم تحدث عن العروض والضرب في أمورها العامة فيقول: إن العروض مؤنثة تكون آخر جزء من الصدر، وتسمى إن لزمت نقصا أو سلامة فصلا ، أما الضرب فهو مذكر وهو آخر جزء من العجز، ويسمى إن لزم نقصا أو سلامة غاية. وإنما قال في الأمر العام احترازا من المشطور إلا أنه إما ذو عروض لا ضرب له أو ذو ضرب لا عروض له.

إلى الفاصلتين، وانظر القول بأن ما يسمونه الفاصلة الفاصلة تركيب لا حاجة إليه القسطاس 29-30، وإن ما يؤيد رأي ابن رشيد في عدم حد الفاصلتين ما أثبته ابن السراج الشنتريني في كتابه المعيار ص17، وقد عرف السبب والوتد وترك الفاصلة، لانها تنشأ عن اجتماعهما بوضع مخصوص. لم يوردها الا عرضا في مكان آخر من كتابه.

[1] : كتب في هامش الرحلة: (ومنها فعولاتن).

[2] : الوافي 31 والمعيار 18: اثنان منهما خماسيان وستة سباعية وانظر كذلك القسطاس 27-28.

[3] : أورد الزمخشري تفعيل: (متفاعلن): القسطاس 30، ولم يوردها ابن رشيد، ولكن عوض بها فعولاتن وانظر القسطاس ص44 ما يرد إلى مفعول. وانظر في هذا أيضا كتاب الوافي للخطيب التبريزي ص31 وكذا المعيار: ص18 وتقسيمه يشبه إلى حد ما تقسيم ابن رشيد، إلا أن أصول الاجزاء المتركبة عنده أحد عشر، واحدها غير مستعمل وهو (فاعلاتك)، وبهذا بصير القدر عنده عشرة. وانظر شرح تحفة الخليل ص10، ولاحظ بعض الاختلاف في (متفاعلن) وغيرها.

[4] : ذكر الزمخشري هذا القسم من بين فروع (مفعولات)، وهي أحد عشر فرعا، انظر الفرع السابع: المكسوف وهو أن تحذف آخر متحرك وتده المفروق فيبقى (مفعولا) ويرد إلى مفعولن. القسطاس 44-45.

[5] : انظر ترجمة 9.

[6] : وذلك في فاع لاتن ومستفع لن.

[7] : انظر هذين الاصطلاحين أيضا في الوافي 202-203.

الزحاف والعـــلل

ومما أنشأه ابن رشيد مقدمة وجيزة صنعها لتلك الابيات السابقة الذكر، وهي تشتمل على تبيين ألقاب الزحاف والعلل الشعرية، وذلك في ايجاز وافصاح، ولما أجرى الكلام على الزحاف المنفرد والمزدوج تعرض في خلال ذلك إلى مسألة الخلاف في "التشعيث" أهو زحف أم علة؟[1]

وفي أثناء الحديث عن الزحاف المنفرد وأنواعه الخمسة (الأولى، والثنائي، والرباعي، والخماسي، والسباعي) كان ابن رشيد يعرف بألقاب الزحاف وينبه على الخلاف الذي وقع في ذلك بين العروضيين، ولكنه لم يكن يكتفي بايراد ذلك فحسب، بل كان يدلي برأيه أحيانا، ويرجح قولا على قول، وهذا يفسر لنا اعتداده بنفسه، وتمكنه من هذا العلم، ويظهر ذلك من خلال قوله في الكلام على ألقاب الزحاف المنفرد الاثني عشر[2]:

"فالأولى[3] له ثلاثة ألقاب كلها في الوتد في أول حرف من الضرب في الاكثر أو في أول حرف من العجز في الأقل، وفيه خلاف أهو زحف أم علة؟ والصحيح أن يكون زحفا يقوم لزومه، ففي فعولن يلقب بالثلم[4] وفي مفاعيلن بالخرم[5] بالراء،وفي مفاعلن بالعـَضـَب[6]، واسم الخرم بالراء المهملة جامع لأنواعه والخـزم "بالزاي المعجمة"[1] ضده،

---

[1] : انظر الخلاف الكثير في التشعيث : كتاب القسطاس ص38، والتشعيث الواقع في الخفيف ص 116 وكتاب الوافي للتلريزي ص 158-159، وص 209 وفيه أن التشعيث لا يكون إلا في الخفيف والمجتث وكتاب المعيار ص28 وفيه أن التشعيث من الزحاف وهو قطع الوتد المتوسط، وليس باللازم، وقال: وذكرناه مع اللازم لانه أشبه بالعلل منه بالزحاف لكونه في وتد، ولا يكون إلا في الخفيف.

وانظر كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، ولاحظ الاختلاف في كيفية وقوع التشعيث ص264. وانظر ميزان الذهب ص15: أن التشعيث من علل النقص. وفي كتاب شرح تحفة الخليل في العروض والقافية لعبد الحميد الراضي: أن التشعيث من علل النقص انظر ص52.

وفي كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب 196/1: أن التشعيث يقع في آخر الخفيف فلا يضيره، ولو وقع في بحر غيره ولاضطرب جدا. وفي شرح تحفة الخليل أيضا أنه من علل النقص ويكون في الخفيف والمجتث انظر ص52.

[2] : في المعيار ص26: أن ألقاب الزحاف ثمانية، ولاحظ الفروق بينه وبين ابن رشيد، لان الشنتريني ابتدأ بالثنائي، أما ابن رشيد فقد ابتدأ بالأولي.

[3] : ذكر صاحب المعيار الثنائي ولم يتحدث عن الأولى.

[4] : القسطاس: ص31 و35: الثلم أن تخرم سالما، انظر الوافي: الثلم هو خرم فعولن، والخرم حذف أول المتحرك من الوتد المجموع في أول البيت، انظر المعيار27.

[5]: العمدة لابن رشيق 140/1. الثرم ذهاب أول حركة من وتد الجزء الاول من البيت. وانظر القسطاس 35 هو أن تخرم سالما في مفاعيلن فيصير عيلن فيرد إلى مفعولين.

[6] : القسطاس 40: العضب أن تخرم سالما في مفاعلتن فيصير فاعلتن ويرد إلى مفتعلن.

وفي محليه أعني في الصدر والعجز، وعلى حاليه معا، وهو زيادة حرف أو زيادة كلمة، وقال بعضهم لا يكون أزيد من أربعة أحرف[2]، وليس من ألقاب الزحاف، لان الزحاف إنما هو فيما تضمنته الاجزاء الموزونة، وإنما ذكر هنا من حيث الضدية بحكم التبع لاجل مقابله، وقياسه أجزم كما قالوا أخرم".

ثم تمادى ابن رشيد في عرض الثنائي وألقابه الثلاثة من الخبن والاضمار والوقص. وكذا الرباعي ولقبيه[3]: الطي والتشعيث. والخماسي بألقابه الثلاثة وهي القبض والعصب والعقل، والسباعي بلقبه المنفرد وهو الكف.

وكان يعرف كل ذلك وينبه على ما يحذف ويسكن منها، وقد نبه على أن هذه الألقاب الاثني عشر كلها لا تكون إلا في ثاني الاسباب عدا الاولي والتشعيث من الرباعي.

وبعد ذلك انتقل إلى الزحاف المزدوج وألقابه العشرة وهي: الخَبْل والخَزْل[4] والشكل والثـرْم[5] والشتر والخَرب والقصَم والجمم والعـقَص، والعقص عند ابن رشيد: اجتماع العصب والعقص[6]

وعندما انتهى من التغير غير اللازم، وهو الزحاف تكلم على التغير اللازم وهو العلة، فقسمها إلى قسمين: علة النقص وعلة الزيادة، ومحل هذه العلة من الاعاريض والضرب.

فأما علل النقص فاثـنا عشر لقبا وهي: الوقف والكشف، والحذف والقطف والقصر والقطع والبتر والحذذ[7] والصلم والشطر[1] والجزء[2] والنهك[3].

---

[1]: القسطاس 35: الخزم أن تخرم سالما في مفاعيلن، فيصير فاعيلن فيرد إلى مفعولين. انظر الوافي 205: الخزم زيادة في أول البيت لا يعتد بها في التقطيع.

[2]: انظر هذه الزيادات والأمثلة عليها في الوافي ص209-210.

[3] : المعيار له لقب واحد وهو الطي، ولعل ذلك بسبب الخلاف الواقع في التشعيث أهو زحف أم علة.

[4] : ونبه ابن رشيد على أنه يسمى أيضا بالجزل بالجيم والزاي المعجمتين، وهو اجتماع الاضمار والطي. انظر القسطاس42: وهو اسقاط الرابع بعد اسكان الثاني. وفي كتاب المعيار 26: لا يكون إلا في الكامل.

[5] : وهو اجتماع القبض والثلم، ويكون في الطويل والمتقارب. انظر القسطاس 32 والمعيار 27.

[6] : العقص أن تخرم منقوصا انظر القسطاس 41، والمعيار28 أجاز الاخفش هذا الضرب من النقصان في أول الشطر الثاني من البيت، والخليل يمنع ذلك.

[7] : الحذذ، والحذ أبلغ من القطع، القسطاس43 ، والمعيار28: الحذ.

ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر ما اختلفوا فيه أزحف هو أم علة؟ وذلك كالمراقبة[4] والمعاقبة[5] والاعتماد[6].

وبعد ذلك تكلم على علل الزيادة وهي ثلاثة ألقاب: الاذالة[7] والترفيل[8] والتسبيغ[9] ومحلها كذلك من الاعاريض والضرب.

وأخيرا عقد فصلا في التعريف بما سلم من الزحاف والعلل فتجمع له من خلال ذلك تسعة ألقاب[10] وهي السالم والصحيح والمعتل[11] والبريء والموفور والمعرى والوافي والتام والمتمم[12].

وننبه هنا على أن ابن رشيد، بعد أن ذكر قصيدة أبي الحسن البسطي وعرف بها، وكتب ما يتفرع منها من الأبيات الأخرى، أشار إلى أن الناظم لم يذكر لعروض السريع

---

[1]: أشار السراج الشنتريني إلى أنهم تسامحوا في خمسة ألقاب استعاروها للاعاريض والضروب، وهي في الحقيقة ألقاب الأبيات، وهي التام والوافي والمجزوء والمشطور والمنهوك. انظر المعيار 30 والوافي208، وفي شرح تحفة الخليل أن هذه الألقاب ألقاب الابيات.

وجعل الشنتريني علل النقص عشرة ألقاب وأشار إلى أن أبعد ما تسامحوا فيه من الالقاب، التي استعاروها للاعاريض وهي الجزء والشطر والنهك، وأضاف التشعيث الذي ذكرناه سابقا بأن ابن رشيد أورده في الكلام على الزحاف المنفرد ونص على أن فيه خلافا أهو زحف أم علة، انظر المعيار 28. ونلاحظ أن الزمخشري لم يذكر من هذه الألقاب سوى سبعة ألقاب وهي الحذف والقطف والقصر والقطع والبتر والحذذ والصلم ثم كرر بعضها وهي الحذف المخبون والقصر المخبون والحذذ المضمر ليكون مجموع ذلك أحد عشر لقبا انظر القسطاس 33-34-35-37-40-43-45.

[2]: نفسه.

[3]: نفسه.

[4]: العقد الفريد لابن عبد ربه 429/5و436: التعاقب في المديد والرمل والخفيف والمجتث، والمراقبة في المضارع والمقتضب، وانظر العمدة لابن رشيق 149/1 أنها من زحاف الحشو.

[5]: نفسه.

[6]: الاعتماد قبض فعولن الذي قبل الضرب في محذوف الطويل: الرحلة 5/6 وشرح تحفة الخليل ص89، وفي المعيار أن المعاقبة والمراقبة والمكانفة من ألقاب الزحاف، انظر الوافي ص205و209.

[7]: انظر أنواعها الستة في القسطاس:35 و43 وهي المذال المعرى والمخبون والمطوي والمخبول والمضمر والموقوس والمخزول، وتكون في متفاعلن ومستفعلن.

[8]: وهو ما زيد على اعتداله سبب خفيف: الوافي208 والمعيار25: زيادة سبب الخفيف على ما في آخره وتد مجموع ولا يكون إلا في الكامل

[9]: التسبيغ في السبب كالاذالة في الوتد: صار فاعلاتان، فرد إلى فاعليان. القسطاس38 انظر المعيار 25 لا يكون إلا في الرمل.

ولاحظ تعريف ابن رشيد لهذه الالقاب: الاذالة زيادة حرف ساكن في آخر وتد مجموع والترفيل زيادة سبب خفيف في آخر وتد مجموع والتسبيغ زيادة حرف ساكن في آخر سبب خفيف.

[10]: وهي عند الشنتريني سبعة ألقاب وهي: الصحيح والموفور والمعرى والوافي والتام والسالم وقابل ابن رشيد في مصطلح البريء بقوله: المعرى، ولم يأت بالمعتل ولا المتمم. المعيار 29-30.

[11]: قال ابن رشيد إن ما كان جزؤه مخالفا لاجزاء حشوه بزحاف أو سلامة سمي معتلا.

[12]: وقال ابن رشيد أيضا إن ما زيد فيه على اعتدال النسبة جزآن هو المتمم، ومن الخزم الذي زاده عليه كفاعلاتن في الضرب الأول من الرمل يسمى متمما.

إلا ستة أضرب على مذهب أبي الحسن الاخفش وأبي اسحق الزجاج، أما الخليل فلها عنده سبعة أضرب[1]، وكان قد سأل صاحبه أبا بكر القللوسي أن يتمم ما نقصه وهو الضرب الثاني الاصلم[2] من العروض الثانية، فاستأنف نظم البيت كله بتفاريعه، فكتبه له بخطه وأنشده له وأوله:

أيا سـريـع الهـجر كـــن مبـعـدا ००० زمـان هـجـر فهـو للصـــبر زاو

وكان أبو الحسن البسطي قد أنشد قبل:

أســرعت في آثـــارهم جاهـــدا ००० وآخيت صـبرا يستـــميل المـــناوي

ثم بعد مدة، وقف على أبيات أبي الحسن البسطي هذه صاحب ابن رشيد الكاتب الفقيه وتلميذه النبيه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي، فسأله ابن رشيد أن ينظم ما نقص الناظم على مذهب الخليل إذ هو الاصح والاحق بالتفضيل على الجملة والتفصيل وذلك في نظر ابن رشيد، وأشار عليه أن يـبقى بيت الناظم على أصله وما أمكنه من تفاريعه فأتى الحضرمي من ذلك بالبديع وكتب له ذلك بخطه وأنشده له ومنه:

أســرعت في آثـــارهم جاهـــدا ००० زاولت صبـــرا يستـــميل المناوي

وبعد ذكر هذه المقدمة لا نغـفل ما كان ابن رشيد ينقده على صاحبه ابن عبد الملك المراكشي في أخذه على مالك بن المرحل من المسائل البلاغية والعروضية[3] وذلك كالايطاء[4] والتضمين[5] وغير ذلك من عيوب القافية.

---

[1] العقد الفريد 464/5: للسريع أربعة أعاريض وسبعة أضرب.
وانظر الوافي137: له أربع أعاريض وستة أضرب، والمعيار73، وميزان الذهب: له عروضتان مشهورتان وخمسة أضرب انظر صفحة 74 وفي شرح تحفة الخليل225 أن له أربع أعاريض وستة أضرب.

[2] العقد الفريد 465/5 وانظر القسطاس 109 والاشارة إلى أن الخليل لم يثبت هذا الضرب الثاني، والصلم ما سقط وتده المفروق: الوافي ص 209.

[3] فتح المتعال باب 3 والذيل والتكملة س1ق1 ص331 وما بعدها.

[4] العقد الفريد 508/5 وكتاب القوافي لأبي يعلى عبد الباقي التنوخي 125.

[5] العقد الفريد 508 وكتاب القوافي 134.



خلاصة

ومن خلال ما قدمنا من مسائل العروض، نستنتج بعض الملاحظات الاساسية وهي:

- ظهور شخصية ابن رشيد المشاركة من خلال هذه المقدمة المختصرة.

- وأنه كان يسير في العروض على مذهب الخليل، إذ كان مرجعه إليه ومعتمده عليه.

- ملاحظة بعض الاختلاف بين ما عند ابن رشيد وبين ما كان لبعض العروضيين المشهورين، وذلك من حيث ايراد بعض الاصطلاحات العروضية ومن حيث الزيادة عليهم فيها حينا، والنقصان عنهم فيها حينا آخر.

- ثم إن هذه المقدمة القصيرة قد أتاحت لنا أن نعرف شيئا عن مذاهب العروضيين المختلفة بعامة، ومذهب المغاربة والأندلسيين بخاصة، لأننا لا نذكر هذه الفترة دون الالتفات إلى أثر أبي الحسن الخضار الكتامي البارع في العروض والنحو وغير ذلك، والى أبي العباس بن البناء المراكشي المتضلع من العروض والنقد والعدد وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية، وإلى أبي بكر القللوسي العروضي الأديب، وإلى عبد المهيمن الحضرمي الذي أخذ بسهم وافر في جميع العلوم، وننبه هنا على أن هؤلاء كلهم كانوا ذوي صلة وطيدة بابن رشيد.

- وتبعا لذلك نستخلص الجو العام الذي كانت تعيشه سبتة المدينة العلمية الكبرى، ودورها الرئيس بين العواصم الكبرى في العالم الاسلامي.

- ولو عثرنا على هذه المقدمة من العروض في مصدر آخر لابن رشيد لافادنا شيئا آخر عن بعض التفصيلات المهمة التي، ولا شك، ستكون مضاهية للكتب المصادر المعتبرة في هذا الشأن.

- وإنني أقترح أخيرا أن تحقق هذه المقدمة وتدرس دراسة مستقلة لاستجلاء ما فيها من الفوائد الأخرى، وعرض ما قد يتعذر فيها على من يريد التلخيص والاختصار.



القسم الرابع

العلوم الشرعية وغيرها

مما ورد في رحلة ابن رشيد

وفي ذلك مباحث :

- المبحث الأول : القرآن الكريم : تفسير وبيان
- المبحث الثاني : الحديث النبوي الشريف
- المبحث الثالث : الفقه
- المبحث الرابع : الأصول
- المبحث الخامس : العقيدة والتصوف
- المبحث السادس : علم الطب

المبحث الأول

القرآن الكريم

تفسيره وبيانه

لقد قامت أغلب العلوم التي اشتغل بها معظم العلماء المسلمين عبر العصور، في سبيل خدمة القرآن الكريم، ولهذا كانوا يستعينون في تفسيره بعلوم كثيرة منها : الأدب واللغة، وذلك لأجل بيان مناحي الإعجاز فيه وكشف أسراره، ومن هذا الوجه تبرز أهمية القرآن الكريم الذي يمثل القاعدة المشتركة للثقافة الإسلامية بعامة والدراسات الأدبية بخاصة.

وقد تعددت مناهج التفسير واتجاهاته، واختلف المفسرون من قديم في مسألة تفسير القرآن الكريم بالرأي أو بالمأثور[1] وعرف عصر ابن رشيد مفسرين ملحوظين كالفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي (توفي671هـ) وهو صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، وقد تعرض في تفسيره لذكر أسباب النزول والقراءات والأعراب وتبيان الغريب من ألفاظ القرآن الكريم[2] والاحتكام إلى اللغة والاستشهاد بأشعار العرب وغير ذلك[3]، وكان القرطبي يتورع عن تفسير القرآن بالرأي[4] وكان ابن رشيد، أيضا معاصرا لبعض المفسرين الأعلام الذين كانوا يرون التفسير بالرأي الجائز كناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي (توفي سنة 635أو 691هـ)[5] (وأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (توفي 701هـ)[6]، وأبي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل السيحي المعروف بالخازن (678-741هـ)[7]، وصاحب ابن رشيد أبي حيان النحوي الغرناطي (توفي 745هـ)[8] الذي كان يتكلم في تفسيره البحر المحيط على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الصحيحة والشاذة، ويهتم كذلك بالناحية البلاغية والبيانية في القرآن، وكذلك المسائل الفقهية والأحكام وغير ذلك وأما النحو والإعراب فهو جهينته فيه.

---

[1] : انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ط2 1972 ص55 ، ومجموع فتاوى ابن تيمية 344/13-345 وانظر أيضا كتاب التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور ط 2 1972 ص 23 ، وكتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ط 2 1976 ج1 ب 277.

[2] : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 3/1.

[3] : الجامع لأحكام القرآن 34/1 وكشف الفنون 433/1 وكتاب التفسير والمفسرون للذهبي 459/2.

[4] : الجامع 31/1

[5] : طبقات الشافعية الكبرى 157/8 ترجمة 1153 والتفسير والمفسرون 296/1.

[6] : هدية العارفين 464/1 والتفسير والمفسرون 304/1

[7] : شذرات الذهب 131/6 والدرر الكامنة 3 /97 والتفسير والمفسرون 318/1.

[8] : وقد سبقت ترجمته في صفحة 346 ترجمة 173 من هذا البحث وانظر أيضا تفسير البحر المحيط 4/1 والتفسير والمفسرون 317/1.

وبما أننا لا نعرف لابن رشيد كتابا مستقلا بالتفسير ، فإنه يظهر لنا من خلال منهجه في مناقشة بعض الآيات الكريم بأنه كان يستعين بعلوم اللغة والنحو والبلاغة والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وغير ذلك مما يعتد به أهل الرأي، وذلك أسوة بصاحبه أبي حيان الغرناطي، ولكنه مع ذلك لم يكن يفسر القرآن بمجرد الرأي لأن ذلك حرام[1] وفي هذه المناسبة نذكر قضية مهمة جدا وهي ابتعاد المغاربة عموما عن المناقشات العقلية التي تخرج بالقرآن الكريم عن وظيفته، وهذه سمة مشتركة في تفاسير المغاربة وبحوثهم عموما، وأحسن مثال عل ذلك أن تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع[2].

أما الآيات الكريمة الواردة في الرحلة فقد جاءت في مناسبات ذكر حديث معين أو في سياق قصة أو خبر أو في صدد مناقشة أدبية وبلاغية أو لغوية، ثم إن ابن رشيد لم يوردها قاصدا المعنى الخاص باصطلاح التفسير، وذلك بذكر سبب نزولها وتعيين مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها أو ناسخا أو منسوخها إلى غير ذلك مما يقصده المفسرون، ولكن قد يذكر بالضرورة شيئا من ذلك مع ما قيل فيها من البيان أو الأحكام، لأن في هذه الآيات ما له اتصال وثيق بالحديث النبوي الشريف، وما له اتصال بغير ذلك وفيها، كما يقول ابن قيم الجوزية، ما لا بد في فهمه إلى لطافة ذهن ورق طبع ولا يتأتى مع غلظ القلوب والرضا بأوائل مسائل النحو والتصريف دون تأملها وتدبرها[3] وكذا النظر إلى لغتها الباهرة وما فيها من الأسرار التي تدق على أكثر العقول[4].

وسأذكر بعض الآيات المذكور في الرحلة وشيئا مما قيل عنها في بعض مصادر التفسير وغيرها، وذلك بعد ترتيبها حسب ورودها في المصحف الشريف مبتدئا بسورة البقرة، إلى غيرها من السور، ثم أذكر بعد ذلك شيئا عما أراه يمثل طريقة ابن رشيد في التفسير إذا تبين لي شيء من ذلك، وأذكر بعض الصادر والمراجع التي نبهت على شيء من الفوائد التي تتصل بهذه الآيات، وأنبه هنا على أنني قد وجدت في الرحلة ما يزيد على مائة مسألة من مسائل القرآن : تسعون منها تقريبا فيما يخص الآيات الكريمة،

---

[1] : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية 105

[2] : مقدمة في أصول التفسير 90 ومجموع فتاوي ابن تيمية 388/13 وانظر أيضا التفسير ورجاله 89-93 والتفسير والمفسرون 240/1

[3] : جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص 88. وانظر مثل هذا المعنى أيضا في كتاب دراسات في التفسير للدكتور مصطفى زيد ص 24

[4] : المرجع السابق

وعشـرة منها في ما يتعلق بالقراءات والتلاوة والتصحيف والمصحف العثماني وغير ذلك، وسأقتصـر في بحثي هذا على عشرين مسألة من تلك المسائل، وسأبحث فيها ما يقرب من أربعين: ما بين سورة وآية.

وأتـرك غيرها لاعتبار أن ما أوردته يعالج بعض المسائل المهمة في مجال الثقافة الإسلامية، أمـا غـير ذلك فقد جاء في الرحلة عرضا في سياق موضوعاتها ومعارفها وفيما يلي ذكر لتلك المسائل :

1-لما اتصل ابن رشيد بأبي محمد الخلاسي قرأ عليه المقدمة المحتسبة بتوصية ذوي الخـرق المنتسـبة وذلـك بسـماعها علـى جامعها أبي بكر بن مسدي الذي ألبس الخلاسي طاقـية علـى رأسـه، وألبسـها الخلاسي كذلك تلميذه ابن رشيد. وقد ذكر ابن مسدي في تلـك المقدمـة بعـض شـيوخه الذيـن يعول عليهم في طريق الخدمة المباركة، وذكر خلالها بعض الآيات القرآنية الكريمة التي يدور معناها ـ حسب موضوع المقدمة من حفظ العهد للشيوخ ـ حول الوفاء واتباع الهداية والعمل بالحسنى وترك الشبهات قولا وفعلا واتباع السلف الصالح. وأما الآيات فهي[1] " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون-[2] "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكـم"[3]، "وبعهـد اللـه أوفـوا" [4] "واتقون يا أولي الألباب" [5]، "قل ان كنتم تحـبون اللـه فاتـبعوني يحببكم اللـه ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم" [6]، إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتـــى يخـــوضوا في حـــديث غيره" [7]، - "فأمـا الذيـن في قلوبهـم زيـغ فيتبعون ما تشابه منه"[8] "ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"[9] .

---

[1] : الرحلة 2/ 55 وكذا مقدمة السنن الأبين 36

[2] : النحل 91 (انظر المصحف الشريف طبع بإذن مشيخة الأزهر تحت رقم 1085 بتاريخ 1961/8/8 مكتبة وسط المشهد الحسيني).

[3] : البقرة 39 :(يا بني إسرائيل اذكرا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون).

[4] : الأنعام 153 :(ولا تقربوا مال اليتم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون).

[5] : البقرة من آية 196:(الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق و لا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب).

[6] : آل عمران 31

[7] : الأنعام 68 وتمام الآية :(وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)

[8] : آل عمران من الآية 7 : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ...) الآية.

[9] : الأنعام من سورة 154 :(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

ويظهر من خلال إيراد هذه الآيات الكريمة اعتماد المشايخ على القرآن الكريم في ترسيخ آداب الطريقة، وهذا كان سمة غالبة على تصوف المغاربة الذين نجوا من الإغراق والغلو والأخذ عن بعض المبتدعة كما وقع لبعض المشارقة.

2- وجاءت الآية[1] الكريمة :"قد علم كل أناس مشربهم"[2] في معرض مناقشة مسألة من المسائل التي تتعلق بالتصوف، وهي السماع، فقد ذكر ابن رشيد أنه سمع من شيخه أبي عبد الله السلاوي بعض الكرامات التي شهدها وسمعها من شيخه أبي الحسن الحرالي بعد أن جمع له في ذلك جزءا، وحضر معه سماعا ببيت المقدس، وكان هناك فقراء أعاجم يزمزمون بلغة العجم فأصاب الشيخ وجد وحال فعجب السلاوي منه وقال في نفسه: سبحان الله : أي شيء يتفهم له من سماعهم بمجرد الغنة لا غير، و ما استقر الخاطر في نفسه حتى قال الشيخ: السماع راح تشربه الأرواح بأفواه الآذان في أكؤس النغم، وليس يتوقف عل عربي و لا عجمي، سمع العبد من حيث سمع: وقد علم كل أناس مشربهم.

وأصل القصة في القرآن الكريم، فقد أشار القرطبي إلى معنى هذه الآية بقوله: إن لكل سبط في بني إسرائيل عينا قد عرفها لايشرب من غيرها[3]. وتحدث الغزالي في الأحياء عن اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه وبيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه[4]، ثم بين دليلا على إباحته[5]، وأشار إلى أن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، وقد طويت فيها جواهر كما طويت النار في الحديد وأخفيت كما أخفي الماء تحت التراب والمدر، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بفوادح السماع[6]، ورأى السهروردي أن السماع جائز بشروط تنزيهه عن المكاره[7]، فالموارد ترد فتصادف شكلا أو موفقا، فأي وارد صادف شكلا مازجه وأي وارد صادف موافقا ساكنه، وهذه كلها مواجد أهل السماع[8]. وقال ابن الخطيب:إن السماع من أكبر مصائد

---

[1] : الرحلة 43/2
[2] : البقرة 59
[3] : الجامع للقرطبي 421/1
[4] : إحياء علوم الدين 1121/6
[5] : نفسه 1125/6
[6] : نفسه 1120/6
[7] : عوارف المعارف 191
[8] : نفسه 196

النفوس والدواعي إلى رقتها[1] ثم إن قضية السماع شغلت كثيرا من العلماء قديما وحديثا فمنهم من منعها ومنهم من أباحه، وقد تعرض لها الإمام أحمد زروق في كتابه النفيس: قواعد التصوف وفصلها في ذلك الكتاب تفصيلا حسنا[2].

ووقوف ابن رشيد عند قصة الأعاجم والاستشهاد عليها بالآية الكريمة: قد علم كل أناس مشربهم، يثير سؤالا وهو : ما هو رأي ابن رشيد في التفسير الأشاري[3] ونقصد بذلك التأويل والتفسيرات الاشارية للآيات القرآنية التي يفتح الله بها عل عقول أهل الحقيقة من المتصوفة ونحن نعرف من خلال تراجم ابن رشيد أنه كان لا يتأول ولكن إيراده لهذه الأخبار وعدم التعليق عليها يدل عل أنه كان يساير بعض مشايخه في نزعتهم التصوفية، ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نتهمه بأنه كان من أهل التفسير الباطني.

3- المداراة في القرآن :

جاء هذا الموضوع[4] في الرحلة ليعطي الدليل عل أنه ما من حديث عن النبي (ص) إلا وأصله في القرآن الكريم، وقد أخبر أبو بكر بن حبيش تلميذه ابن رشيد في رواية عن سفيان بن عينية عن النبي(ص) قال: رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس، ثم خلص بعد ذلك إلى الآيات الكريمة التي تضمن هذا المعنى وهي قول الله عز وجل:

واهجرهم هجرا جميلا[5]. وقال ابن حبيش : فهل الجميل إلا المداراة، وقال الحسن بن عبد الله العسكري: في كتاب الله عز وجل ما هو في معنى المداراة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"[6] وقوله تعالى: "قولوا للناس حسنا"[7] وقوله: "ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور"[8].

---

[1] : روضة التعريف بالحب الشريف 368

[2] : القواعد لأحمد زروق : قاعدة 122، 123 ص 76-77-78

[3] : كشف الظنون 432/1 وانظر أيضا كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 327/1-328

[4] : الرحلة 38/6

[5] : المزمل من الآية 9 :(واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) .

[6] : فصلت من الآية 33 : (ولا تستوي الحسنة و لا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ....)الآية

[7] : البقرة من الآية 82 :(وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)

[8] : الشورى 40

وقد فسر القرطبي الآية الأولى (واهجرهم ...الآية) بقوله: وقال أبو الدرداء: إنا لنُكَشِرَ في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنُهُم[1]. ويرى الزمخشري في المداراة والهجر الجميل: المجانبة بالقلب والهوى والمخالفة مع حسن المحالفة. أو إنها الأغضاء وترك المكافأة [2].

وبساط القول في المداراة أنها غير المداهنة التي هي إعطاء الدين من أجل الدنيا بخلاف المداراة التي هي إعطاء الدنيا من أجل الدين.

4- وجاءت الآية[3] "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"[4] في مناقشة لغوية تتعلق بتذكير كلمة درع أو تأنيثها، وقد أورد ابن رشيد روايات سابقيه كأبي عمر بن عبد البر الذي كان يرى تأنيثها، وذكر قصة درع النبي (ص) المرهونة عند اليهودي ورؤيا بعض الصحابة في النوم أخذ هذه الدرع وبيعها وتفريق ثمنها في المساكين.

ورد ابن رشيد على أبي عمر بن عبد البر أن المشهور في درع الحديد التأنيث، ويجوز فيها التذكير، فاستنشهد لذلك بقول رؤية :

مقلصا بالدرع ذي التغضض

وأما درع المرأة فيذكر على المشهور[5].

- (واتقون يا أولي الألباب لعلكم تفلحون) البقرة 196 مر ذكرها في عدد 1.

5- " ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " [6].

جاءت هذه الآية[7] بمناسبة ذكر القصة الواردة في الحديث النبوي عن ذلك الرجل الذي عاده النبي (ص)، وكان قد صار مثل الفرخ المنتوف، وقد قال له النبي(ص) : هل كنت تدعو الله أو تسأله ؟ قال نعم، قلت اللهم ما أنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال له رسول الله (ص): ألا قلت : ربنا أتنا في الدنيا حسنة ...الآية.

---

[1] : الجامع للقرطبي45/19
[2] : الكشاف 177 وانظر توسط في المداراة والحلم عيون الأخبار لابن قتيبة 329/1
[3] : البقرة 187
[4] : الرحلة 68/3
[5] : مقايس اللغة : درع مأنثة ، المصباح المنير درع المرأة قميصها مذكر
[6] : البقرة من الآية 196
[7] : الرحلة 37/2

فهذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة [1].

" فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه" آل عمران 7 .

وقد ذكرها في عدد 1.

*"إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم" آل عمران 31

مر ذكرها في عدد 1.

6- وورد قوله تعالى[2] "حسبنا الله ونعم الوكيل"[3] في خبر أبي جعفر أحمد بن محمد بن هارون الأسواني قال : نا أبو بشر الدولابي قال : قال الزبير بن بكار وأخبرني مطرف قال : قلت لمالك بن أنس : لم نقشت في خاتمك: حسبي الله ونعم الوكيل. من بين ما ينقش الناس. فقال : إني سمعت الله عز وجل قال: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم." قال مطرف: فمحوت نقش خاتمي ونقشته : حسبي الله ونعم الوكيل.

وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله (ص) قال : إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل[4].

7- وفي صدد ورود قول ميمون بن مهران [5]:

ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر جاء ثلاث آيات قرآنية كان القصد منها تبيان صحة نص ذلك القول وتعزيز حجته بها ومطابقة معناه لما في القرآن الكريم، فقد أخبر سفيان عن ابن راشد أنه سمع ميمون بن مهران يقول : ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر :

- الأمانة نؤديها إلى البر والفاجر:"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها"[1]

---

[1] : الجامع للقرطبي 433/2وانظر أيضا فهرست الحديث (الحديث 56) من هذا البحث وعيون الأثر 276/2

[2] : الرحلة 106/3

[3] : آل عمران 173-174

[4] : ابن كثير 163/2 وانظر ما يتعلق بالخاتم ولبسه وفصه والناسخ والمنسوخ فيه : مسند ابن عمر 77-78 و الشمائل للترمذي 48 وزاد المعاد 35/1 والاعتبار للحازمي 231 وعيون الآبار 302/1 والحاوي للفتاوي 75/1 والقول المحتم في لبس الخاتم للأستاذ عبد الله الجراري ص 15.

[5] : الرحلة 23/3

- والعهد نفي به للبر والفاجر:"وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا"[2].

- والرحم نصلها برة كانت أم فاجرة : " وآت ذا القربى حقه"[3].

أما الآية الأولى فهي من أمهات الأحكام لأنها تضمنت جميع الدين والشرع [4]، فقد قال عمر بن الخطاب (رضه): لما خرج رسول الله (ص) لفتح مكة : فداه أبي وأمي ما سمعه يتلوها قبل فتح مكة[5].

وأما الآية: الثانية فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه[6].

وأما الآية الثالث فإن الحق فيها ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه[7]، إذ لما ذكر الله تعالى البر بالوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام، وقد جاء في الحديث الشريف: أمك وأباك ثم أدناك فأدناك، وفي رواية ثم الأقرب فالأقرب [8].

ولعل في قول ميمون ثلاثة يؤدين ... الخ نوعا من التفسير ثم إن القارئ يتصور أن ذلك متوجه إلى المؤمنين من الأهل والمعاهدين والأبوين، ولكن هذا الخصوص يراد منه العموم.

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) النساء 57 انظر العدد 7 قبله.

8- ووردت الآية[9](اليوم أكملت لكم دينكم ...)[10] الآية في معرض ذكر قصة جرت بين عمر بن الخطاب (رض) ورجل من اليهود، فقد سأل اليهودي عمر (رض) قال: لم يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك

---

[1] : النساء 57
[2] : الإسراء 34
[3] : الإسراء 26
[4] : الجامع 255/5
[5] : ابن كثير 322/2
[6] :الجامع 332/1 وانظر البر بالوالدين عمدة القاري 82/22
[7] :الجامع 247/10
[8] : ابن كثير 310/4
[9] : الرحلة 101/3
[10] : المائدة 4 : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم.

اليوم عيدا، فقال عمر: أي آية ؟ فقال: اليوم أكملت لكم دينكم ...آية، فقال عمر (رض) : قد عرفنا[1] ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه: نزلت على رسول الله (ص) بعرفات يوم جمعة.

وذكر القرطبي أنها نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول الله (ص) واقف بعرفة على ناقته العضباء، فكاد عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت[2].

وقد أدرك ابن القيم المعاني اللطيفة لهذه الآية وميز فروقا دقيقة بين الكمال والتمام فيها، إذ إنه نسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة[3]. وفيه بحث نفيس

9- وجاءت الآية[4]:"يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه ورسوله بالغيب"[5]. بصدد ذكر غريبة وقعت لابن رشيد لما صحبه في الطريق من المدينة المنورة إلى البيت الحرام أحد الشيوخ من شرفاء المدينة، فلما وافيا رابغا رأى ابن رشيد عجبا من تخلل الوحش: الغزال والأرنب بين الجمال والرحال بحيث يناله الناس بأيديهم، والناس ينادون حرام حرام، وهكذا جرت عادة الحاج في وقت الإحرام، فإذا عادوا محلين لم يجدوا شيئا، ولما عاد ابن رشيد بأن له من معنى الآية ما لم يكن عنده بالمشاهدة [6].

ويبدو من خلال هذه القصة أن الوحوش قد ألفت مسالمة الحاج إذا رأته على هيئة هي هيئة المحرم، فإذا رأته على غير تلك الحال فزعت منه ونفرت، وهذا له نظير قوي من القرآن الكريم وهو قصة أصحاب السبت إذ كانوا إذا سبتوا ظهرت حيتانهم شرعا على وجه البحر لما أنست من عدم اصطيادهم إياها، فإذا لم يسبتوا اختفت الحيتان، فاحتالوا عليها بأن حفروا لها الحفر لتقع فيها إذا مد البحر يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، ويظهر ذلك في قوله تعالى:"واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ

---

[1] : الجامع 61/6 (إني لا علم اليوم) وعمدة القاري 98/18

[2] : الجامع 61/6 وابن كثير 491/2 (أقوال مختلفة)

[3] : التفسير القيم 280

[4] : الرحلة 16/5

[5] : المائدة 84

[6] : بين القرطبي اختلاف العلماء فبين المخاطب بهذه الآية : الجامع 300/6. وانظر أيضا ابن كثير 647/2 (نزلت هذه الآية في عمرة الحديبية)

يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون"[1].

10- وأورد ابن رشيد[2] هذه الآية : "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"[3] لإشكال ظاهرها وارتباطها بالحديث النبوي الشريف : "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه"[4].

وقد أشار ابن العربي في أحكامه إلى ما في هذه الآية من الغرابة ومن الأحكام، ومن ذلك أنه نسخ آخرها أولها وتلك غريبة في القرآن ليس لها أخت في كتاب الله [5]. وذكر القرطبي أنه ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية، فالناسخ منها إذا اهتديتم، والهدي هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6] وقال ابن كثير : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه[7]. ولعل ابن رشيد إنما ذكر هذه الآية لكونها من الغريب الذي لا يهتدي إلى فهمه أكثر الناس، وقد ذكر أن أبا بكر (رض) نبه عل تفسيرها في أول خطبة خطبها بعد بيعته وقال: أبو القاسم هبة الله بن سلامة (توفي 410هـ) قوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا..." الآية فهذا منسوخ وباقيها محكم، وقال أبو عبد الله بن سلامة وهو أبو أبي القاسم: ليس في كتاب الله آية جمعت الناسخ والمنسوخ إلا هذه الآية، والناسخ منها إذا اهتديتم، والهدي ها هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[8].

*"إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ". الأنعام 68

انظر الرقم المسلسل عدد 1.

---

[1] : الأعراف 163
[2] : الرحلة 91/3
[3] : المائدة 105
[4] : الجامع 343/6 (بعذاب من عنده)
[5] : أحكام القرآن 709/2
[6] : الجامع 345/6
[7] : ابن كثير 267/2
[8] : الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ط 2 1387 1967 مصر ص 42 وانظر أيضا مجموع فتاوى ابن تيمية 479/14-484 ودراسات في التفسير للدكتور مصطفى زيد ص 18 والحديث عدد 89 من هذا البحث.

11- وجاءت الآيتان [1](وهذا كتاب أنزلناه مبارك ...) الآية [2] و(ونزلنا من السماء ماء مباركا ...) الآية [3].

بمناسبة فوز ابن رشيد وصاحبه أبي عبد الله بن الحكيم بمزية المزار وحظ الجوار بالحرم الشريف في الوقت الذي كان فيه المطر وابلا، وميزاب الرحمه يعب عبا، ولهذا أفاده ابن الحكيم بأن بعض شيوخه قال: تستحب تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر، وذلك لما يرتجى من اجتماع البركات[4]، وأصل هذا حديث الدعاء إلى الله عند نزول المطر لأنه حديث عهد بالرحمان[5].

*" وبعهد الله أوفوا" الأنعام 153.

انظر الرقم المسلسل 1.

*" ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" الأنعام 154 .

انظر الرقم المسلسل 1.

12- الريح والرياح :

وردت هاتان الكلمتان[6] في الحديث النبوي الشريف "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا"، فقد كان صلى الله عليه وسلم، كلما هبت الريح يجثو على ركبتيه ويقول ذلك. ولعل الغرض من ذلك الاشتقاق اللغوي هو لفت انتباهنا إلى الفروق الأساسية

[1] : الرحلة 16/5

[2] : الأنعام 93 " وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يومنون بالآخرة يومنون به وهم على صلاتهم يحافظون".

[3] : سورة ق 8 " ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد "

[4] : أحكام القرآن : من السماء أي من السحاب ماء مباركا أي كثير البركة 6/1

[5] : صحيح مسلم بشرح النووي 185/6 196 قال أنس أصابنا ونحن مع رسول الله (ص) مطر ، قال فحسر رسول الله (ص) ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله : لم صنعت هذا فقال لأنه حديث عهد بربه تعالى

[6] : الرحلة 73/3.

والدقيقة بين معنييهما، فقد ورد في الرحلة أربع آيات اثنتان منها فيهما كلمة الريح وهما: " أرسلنا عليهم ريحا صرصرا " [1].

و" في عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم"[2].

أما الآيتان الآخريان ففيهما كلمة : الرياح وهما "وأرسلنا الرياح لواقح"[3] "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات"[4].

وقد أشار ابن خالويه إلى أن أمهات الريح أربعة وهي : الشمال للروح والنسيم عند العرب، والجنوب للأمطار والأنواء، والصبا للقاح الأشجار، والدبور للبلاء والعذاب، ثم استشهد بالحديث السابق ذكره [5].

وأما القرطبي فيقول إن قراءة العامة، الرياح، بالجمع وقراء حمزة بالتوحيد، لأن معنى الريح الجمع أيضا، وإن كان لفظها لفظ الواحد[6].

ولكننا إذا استقرأنا الآيات الواردة فيها هاتان الكلمتان وجدنا ما يؤيد قول القرطبي، وإن كان ذلك لا يرد رأي سابقيه إذا اعتبرنا وجه التغليب والكثرة.

فقد وردت في القرآن ريح: ريح طيبة[7]، وريح يوسف[8]، و: فسخرنا له الريح[9]، ونلاحظ كذلك : تذروه الرياح[10]، وبهذا نجد بأن الآيات التي وردت فيها كلمة ريح يبلغ عددها ثمانية عشر، وأن عدد الآيات التي فيها رياح أحد عشر. وهي تؤيد ما ذهب إليه الشراح في الأغلب، من أن الريح تستعمل للشر والرياح للخير[11].

---

[1] : فصلت 15 :" فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون "

[2] : الذاريات 41

[3] : الحجر 22

[4] : الروم 45 " ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته لتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"

[5] : الحجة في القراءات السبع 26

[6] : القرطبي 44/14

[7] : يونس 22

[8] : يوسف 94

[9] : سورة ص 36

[10] : الكهف 46

[11] : انظر قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه الدامغاني ط 1970 ص 214 الريح : الشدة : فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني شدتكم والريح العذاب.

*"وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا " النحل 91

انظر العدد المسلسل 1.

*" وآت ذا القربى حقه " الإسراء 26.

انظر العدد المسلسل 7.

*" وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسؤولا " الإسراء 34.

انظر العدد المسلسل 7.

13-" قد أفلح المؤمنون ..." الآيات العشر.

وردت هذه الآيات[1] في معرض كيفية نزول الوحي على النبي(ص)، فقد قال عمر ابن الخطاب (رض) : كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدو النحل[2]، فأنزل عليه يوما، فسكتنا[3] عنه ساعة فسري عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآترنا ولا توثر علينا وأرضنا وارض عنا، ثم قال : قد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: "قد أفلح المومنون ..." حتى ختم عشر آيات[4].

*" ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ". الروم 45 .

انظر العدد المسلسل 12.

14- وردت الآيتان[5]: "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... الآية"[6] و"إن الله لا يحب كل مختال فخور"[7]، في صدد ذكر مسموعات الشيخ التقي عبيد، شيخ ابن رشيد في مصر، ومن هذه المسموعات كتاب الأربعين المخرجة

---

[1] : الرحلة 27/3
[2] : الجامع للقرطبي 102/16 كدوي النحل
[3] : الجامع : فمكثنا عنه ساعة
[4] : انظر أيضا أحكام ابن العربي : الحديث والآية 1307/3 وانظر أيضا الحديث في هذا البحث عدد 190 بعد.
[5] : الرحلة 67/3
[6] : الحجرات 2
[7] : لقمان 15

للحافظ الأصبهاني، وقد جاء في ذلك الكتاب قصة حدثت بها بنت ثابت بن قيس بن شماس قالت: لما أنزل الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ...)الآية، دخل أبي بيته وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي ففقده رسول الله (ص) فأرسل إليه فسأله فقال: أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون حبط عملي، فقال له رسول الله (ص) : لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير، قالت ثم أنزل الله تعالى: إن الله لا يحب كل مختال فخور، وتطول القصة بذكر إرسال الرسول (ص) إليه بعد إغلاق بابه عليه وبكائه، وخبر خروجه مع خالد بن الوليد يوم اليمامة إلى مسيلمة [1]، فلما لقوا العدو انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع النبي (ص)، فحفر كل واحد منهما حفرة وثبتا فيها حتى قتلا[2].

وقد ذكر ابن كثير أن هذه الآية نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[3] واستنبط القرطبي من هذه القصة ست مسائل منها أن معنى الآية هو الأمر بتعظيم رسول الله (ص) وتوقيره وخفض الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم[4].

*" إن الله لا يحب كل مختال فخور " لقمان 18

انظر العدد المسلسل 14.

*" وأرسلنا عليهم ريحا صرصرا " فصلت 15.

*" ادفع باللتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" فصلت 33.

انظر العدد المسلسل 3.

* "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ..."الآية الحجرات2.

انظر العدد المسلسل 14.

*"وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد.ق.9

---

[1] : الاصابة لابن حجر العسقلاني 413/1

[2] : انظر قصة انكشاف الناس يوم اليمامة في ترجمة ثابت - الإصابة 195/1.

[3] : ابن كثير 367/6

[4] : انظر القرطبي : 305/16

انظر العدد المسلسل 10.

*"وفي عاد إذ ارسلنا عليهم الريح العقيم" الذاريات 41.

انظر العدد المسلسل 11.

15-"أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"

جاءت هذه الآية [1] في سياق قصة تتضمن استنكار سماع الحديث من الضعفاء، وفي هذا الصدد علق ابن رشيد على أكثر الأحاديث التي أوردها ابن بشكوال، والمخرجة لأبي محمد بن عتاب، بأنها ضعيفة بحيث لا يعرج عليها، وإن صح بعضها فمن طرق أخر، وأشار إلى أنه كثيرا ما يلهج الناس بالعوالي وهي في الحقيقة نوازل، وإنما يحمد العلو مع نظافة الإسناد، وإلا فالنزول فهو المحمود، فمما روي عن ابن بشكوال قال: كتب إلينا القاضي أبو علي الصدفي بخطه قال: سمعت أبا محمد التميمي ببغداد في سند لا أذكره الآن: أن أبا القاسم البغوي حدث يوما قال: حدثني طالوت بن عباد[2] قال حدثني فضال بن جبير[3] عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل من أهل خراسان فقال له: أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون[4]. وقد ذكر القرطبي أن في هذه الآية استفهاما معناه التوبيخ والتقريع[5]، وقال ابن كثير إن الزبانية تقول ذلك لأصحاب جهنم تقريعا وتوبيخا[6].

ويمكن التفصيل والإفادة من هذه القضية في علوم الحديث، والقول بأن هذا يعكس منهج علماء المغرب عموما في التشدد في قبول الحديث الضعيف ثم إننا نلاحظ في ذلك أن إيراد هذه الآية فيه نوع من الاستخدام [7].

---

[1] : الرحلة 14/3

[2] : ضعفه ابن الجوزي ، وقال الذهبي: ما علمت أحدا ضعفه . المغني في الضعفاء 314/1

[3] : أحاديثه غير محفوظة، وقال الكتاني : ضعيف الحديث. المغني 510/2.

[4] : الطور 15

[5] : القرطبي 64/17

[6] : ابن كثير 431/6

[7] : انظر كتاب توضيح الأفكار للمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة 1142 ط 1 1366 مصر ج 1ص 200 وما بعدها : مناقشات مفيدة عن الضعف والضعفاء وترجمة ابن رشيد وانتقاده وتفصيل في ذلك.

16- ووردت[1] الآية الكريمة: "ن والقلم وما يسطرون"[2] بمناسبة ذكر قصة سمعها ابن رشيد عن تاج الدين الغرافي السني وأملاها عليه، ومفادها أن والد الغرافي أخبره أبو المظفر السمعاني عن أبي نصر الطرازي المعروف بهاجر عن الحافظ البغدادي عن الصوري قال: سمعت رجاء بن محمد قال: كنا عند الدارقطني يوما والقارئ يقرأ عليه وهو يصلي نافلة، فمر حديث فيه ذكر نسير بن ذعلوق، فقال القارئ يسير، فقال الدارقطني سبحان الله، فقال الدارقطني بسير، فأراد الدارقطني تنبيهه إلى خطئه ثانية فقال سبحان الله، فقال القارئ بشير، ولما استمر القارئ على الخطأ قال الدارقطني قارئا الآية: ن والقلم وما يسطرون. ثم فهم القارئ، فقال: نسير بن ذعلوق[3]، ثم استمر القارئ في قراءته.

وبعد قراءة هذه القصة يتبادر إلى ذهننا سؤالان فأما الأول فهو كيف انشغل الدارقطني أثناء الصلاة، وهو بين يدي الله تعالى، بتصحيح الخطأ الذي وقع فيه القارئ، ألا يستطيع الدارقطني تصحيح الخطإ بعد الصلاة؟، وبما أن هذا العالم كان مشتهرا في مقام السنة والفقه، فإنه يرجح أن يكون له سند في ذلك، وأما السؤال الثاني فهو: كيف صحح الدارقطني ذلك الخطإ أي أنه نبه القارئ ثلاث مرات ونطق بكلمة سبحان الله، ثم قرأ الآية التي يفهم منها تصحيح الخطأ ولقد ساق المرتضى في كتابه البحر الزخار بعض ما يجاب به عن بعض المسائل التي تختلف من حيث النوع عن هذه المسألة وذلك في قوله: من نابه شيء في الصلاة فليقل سبحان الله[4]. ولكن هذه المسألة تظل في أصلها غريبة ومشكلة.

وخلاصة القول في هذا أن احترام الدارقطني للحديث النبوي الشريف وإجلاله وقدره العظيم للصحابة رضي الله عنهم، هما اللذان دفعاه إلى مثل هذا التقويم في مثل ذلك الموقف.

*" واهجرهم هجرا جميلا " المزمل 9.

انظر العدد المسلسل 3.

---

[1] : الرحلة 11/3

[2] : القلم 1

[3] : نسير بن ذعلوق تابعي : التاريخ الكبير للبخاري 138/8 : أبو طعمة الكوفي مولى بني ثور، سمع ابن عمر . وانظر المشتبه في الرجال 82/1.

[4] : كتاب البحر الزخار للمرتضى وبهامشه كتاب جواهر الأخبار والآثار للصعيدي 290/2.

17- ووردت الآية[1] "والمرسلات عرفا[2] "لتوضيح مسألة فقهية مفادها أن أم الفضل (أم ابن عباس) سمعت النبي(ص) يقرأ في صلاة المغرب: "والمرسلات عرفا"[3]. وقد جاء في أحكام ابن العربي أنه ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: والمرسلات عرفا، فقالت يا بني: لقد أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله (ص) يقرأ بها في المغرب، ثم ما صلى لنا حتى قبضه[4].

ونلاحظ في هذا المقال استشهادا فقهيا بآية قرآنية، وهذه إما محاولة اجتهادية بحكم إنه يمكن أن تستنبط الأحكام الفقهية من السنة والقرآن مباشرة، وإما أن الأمر مجرد تدعيم لمسألة ففهية.

18- ووردت الآية[5] "وفاكهة وأبا" [6] لغرض التفسير، فقد أخبر يحيى بن محمد عن إسماعيل بن اسحق عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال: كنا مع عمر (رض) وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، فسأل عن هذه الآية(وفاكهة وأبا) ما الأب؟ ثم قال صه، قد نهينا عن التكلف، ثم قال يا عمر: إن هذا لمن التكلف ما عليك ألا تدري ما الأب.

وكانت هذه المسألة من سماعات أبى الحسن الغرافي. وقد أورد القرطبي في أحكامه هذه الرواية مع اختلاف يسير في النص، ومن ذلك أن عمر (رضه) رفع عصا كانت بيده، وقال: هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما يبين لكم من هذا الكتاب ومالا فدعوه[7]. وذكر ابن كثير أن الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم[8]، وقال ابن قتيبة أن الأب هو

---

[1] : الرحلة 32/3

[2] : سورة المرسلات 1

[3] : مسند الشافعي 215

[4] : أحكام القرآن 1903/4 : وقد ذكر ابن العربي أنه قرأ (ص) بالطور في المغرب، وفي الصحيحين أنه كان يقرأ في المغرب بطولى الصوليين . وانظر أيضا ابن كثير 168/7 ومسلم بشرح النووي 180/4.

[5] : الرحلة 19/3 مكرر

[6] : عبس 31

[7] : الجامع لأحكام القرآن 223/19

[8] : ابن كثير 216/7 والمصباح المنير 1/1

المرعى[1]. وقال ابن حيان: الأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع[2] وقال السيوطي: إن الأب هو الحشيش بلغة أهل المغرب[3].

19- وجاءت الآيتان[4] "فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا"[5] لذكر سبب نزولهما، وقد أخبر أحمد بن اسحق عن أبي العباس بن يعيش عن ابن غيلان عن ابن حماد عن ابن شريح عن انيس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على صخر في حائط فقال النبي (ص): لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى دخل عليه فأخرجه، فأنزل الله تعالى : (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا).

وقد قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، ولن يغلب عسر يسرين[6] وقال ابن حيان: الظاهر أن التكرار للتوكيد، وقيل تكرر اليسر باعتبار المحل، فيسر في الدنيا ويسر في الآخرة ، وقيل: مع كل عسر يسران، من حيث إن العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالأول غير الثاني[7].

20- "قل هو الله أحد" والمعوذتان.

ووقعت الإشارة على هذه السور[8] في قصة أوردها صفي الدين المراغي بالسند المرفوع إلى معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة مظلمة شديدة نطلب رسول الله (ص) ليصلي بنا، قال فأدركته، فقال: قل، فلم أقل شيئا، ثم قال: قل، فلم أقل شيئا، قال: قل، قلت يا رسول الله وما أقول؟ ثم قال: (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء.

وقد قال النبي (ص): أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين[9].

وتحدث القرطبي عن فضل هذه السور وما فيهما من الأحكام [10].

---

[1] : تفسير غريب القرآن 515
[2] : البحر المحيط 428/8
[3] : االمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب بتحقيق الدكتور التهامي الراجي ص 66
[4] : الرحلة 99/3
[5] : سورة الشرح 5-6
[6] : الجامع لأحكام القرآن 107/20 وابن كثير 320/7
[7] : تفسير البحر المحيط 489/8
[8] : الرحلة 52/3
[9] : فضائل القرآن لأحمد بن شعيب النسائي ط 1 1400 ص 83
[10] : القرطبي 247/20

وقال ابن القيم : إن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة بالله من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل [1].

ونلاحظ في هذا الشرح أن هناك استشهادا بالأحاديث الواردة في فضائل السور، وهذا موضوع شائك، إذ إن المحدثين طالما نبهوا على كثرة ما في أحاديث الفضائل من الضعف، لكن يبدو أن ابن رشيد كان قد اطمأن إلى صحة هذا الحديث [2].

وبعد ذكر هذه الآيات أورد شيئا مما يتصل بفضائل القرآن، ويتمثل ذلك في هذه المسألة :.

21- قراءة القرآن على سبعة أحرف: [3].

أولى كثير من المفسرين والقراء اهتماما خاصا بأحرف القرآن الكريم، واختلفوا في معانيها وماهيتها[4]، فذهب فريق من العلماء إلى أن الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة اوجه فما دونها كالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة[5]، وقد جاء في الرحلة أن بهاء الدين بن النحاس أخبر ابن رشيد بسند مرفوع إلى أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال: قرأ رجل آية وقرأها على غير قراءته، فانطلقت به إلى النبي(ص) فقلت يا رسول الله اقرئني آية كذا وكذا فقال نعم، ثم قال إن جبريل وميكائيل أتياني فجلس جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل استزده ن فقال زدني، فقال اقرأه على حرفين، فقال ميكائيل استزده، فقال زدني، فقال اقرأه على ثلاثة أحرف، وفي كل ذلك يقول جبريل اقرأه وميكائيل يقول استزده حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأه على سبعة أحرف كل شاف كاف.

وحكى ابن عبد البر عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة[6]. ويرى بعض المحدثين أن المقصود بالأحرف

---

[1] : التفسير القيم 599
[2] : تدريب الراوي 290/1
[3] : الرحلة 24/3
[4] : النشر 23/1 و البرهان 211/1
[5] : المحرر الوجيز لابن عطية 21/1
[6] : التمهيد لابن عبد البر 278/4 والبرهان 214/1

السبعة ليس الفوارق الناجمة عن استخدام ألفاظ بعينها وإنما هو تلك الفوارق النطقية التي تميز بين قبيلة وقبيلة[1].

ومهما يكن أمر هذا الاختلاف، فإن القدماء قد أفاضوا في بحث تلك المسألة وتوصلوا إلى استنتاج فوائد مهمة في ذلك[2].

وبعد ذكر أهم الآيات القرآنية التي وردت في الرحلة في شأن معالجة بعض المسائل في التفسير أو علوم القرآن أو قضية من قضايا البلاغة أو اللغة أو غير ذلك، أورد هذا الفهرس المختصر لمعظم تلك الآيات ذاكرا نصها ورقمها في المصحف الشريف وشيئا عن موضوعها ومكان وجودها في الرحلة، وأنبه كذلك على ما إذا كان قد ورد لها ذكر في هذه الآيات المدروسة (قبله)، والتي تحمل العدد المسلسل من 1 إلى 20، وأشير كذلك إلى أن هذه الآيات مفهرسة تنازليا أي من سورة الفاتحة إلى البقرة إلى غيرها من السور.

وإني لم أرد تفصيل المعارف في هذه الفهرسة بسبب أني قد أشرت إلى بعض ما فيها من المعاني والأسرار في أماكن أخرى من الرحلة مثل دراسة الأدب بلاغته ونقده، ودراسة الحديث والتصوف وغير ذلك، وستجد في هذه الفهرسة رقم السورة واسمها ورقم الآية ومرجعها في الرحلة أو رتبتها في الآيات المدروسة قبل.

رقم السورة	رقم الآية	الآية وموضوعها ومرجعها في الرحلة وغيرها
الفاتحة 1	1	(بسم الله الرحمان الرحيم). وردت في مسألة قراءتها في الفريضة والنافلة في مذهب المالكية والشافعية، وقد شرحها ابن دقيق العيد وفصلها وناقشه فيها ابن رشيد. الرحلة 58/3
الفاتحة1	1	(الحمد لله رب العالمين) قراءتها في الوتر 52/2 (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا

[1] : أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ص 9

[2]: انظر فضائل القرآن ص 54 ، 55 وكشف الظنون 429/1 وانظر في هذا أيضا بعض المصادر والمراجع في الحديث عدد 77من هذا البحث (بعد)

البقرة 2	39	بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون). وردت في شأن الوفاء بالعهد والعمل والطاعة أمرا ونهيا. 55/5 وانظر العدد المسلسل 1.
البقرة 2	59	(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم ...) الآية. وردت في الكلام على السماع. 44/2 والعدد المسلسل 2.
البقرة 2	82	(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ...) الآية . وردت في الكلام عن المداراة 38/6 والعدد المسلسل 3.
البقرة 2	155	(الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) وردت بمناسبة ذكر ما أصاب مدينة المهدية من خراب ثم إنها لخلائها لم يكن بها ما يملأ صفا ثالثا في الجامع يوم الجمعة. 7/6
البقرة 2	178	(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون.) وردت في الكلام على الاستعارة 39/6
البقرة 2	186	(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ...) الآية. وردت في مسألة لغوية وهي تذكير الدرع وتأنيثها. /3 68 والعدد المسلسل 4 (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا

البقرة 2	192	عدوان إلا على الظالمين). جاء ذكرها في تفصيل القول في السبب والمسبب أي التجوز بلفظ السبب عن المسبب. 15/6
البقرة 2	193	(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين). وردت في التجوز بلفظ السبب عن المسبب. 15/6
البقرة 2	196	(واتقون يا أولي الألباب). وردت في الوفاء واتباع الهداية. والعدد المسلسل 1.
البقرة 2	199	(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وهذه الآية من جوامع الدعاء. والعدد المسلسل 5.
آل عمران 3	7	(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، يقولون آمنا به، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) وردت هذه الآية في غرض الوفاء بالعهد والعمل والطاعة أمرا ونهيا. 55/2 والعدد المسلسل 1.
آل عمران 3	8	(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك، رحمة إنك أنت الوهاب). وردت هذه الآية في مسألة قراءة أبى بكر (ر ض) إياها في صلاة المغرب. 12-11/5
آل عمران 3	31	(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وردت هذه الآية في ذكر الوفاء بالعهد

		والعمل والطاعة أمرا ونهيا . 55/2
آل عمران 3	173	(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل). وردت في مسألة ما ينقش به في الخاتم. 106/3 والعدد المسلسل 6.
النساء 4	57	(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا). وردت هذه الآية في مسألة: ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر. 32/3 والعدد المسلسل 56.
المائدة 5	4	(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ..) الآية . وردت هذه الآية في قصة عمر رضي الله عنه مع اليهودي. 101/3 و 54/5 والعدد المسلسل 8.
المائدة 5	94	(يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيب). وردت هذه الآية بمناسبة ظهور الوحش في الحرم الشريف عند الإحرام واختفائه عند الإحلال. 16/5. والعدد المسلسل 9.
المائدة 5	102	(قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون). وردت الآية في معرض الوفاء بالعهد والطاعة أمرا ونهيا. 55/2
المائدة 5	107	(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون). وردت الآية بمناسبة ذكر الحديث إن الناس إذا رأوا الظالم ..

		الحديث. 91/3 والعدد المسلسل 10.
الأنعام 6	68	(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين). وردت الآية في معرض الوفاء بالعهد والطاعة الخ. 55/2 والعدد المسلسل 1.
الأنعام 6	53	(وهذا كتاب أنزلناه مبارك ...) الآية، وردت الآية في صدد دعاء الله عند نزول المطر. 16/5 والعدد المسلسل 11.
الأنعام 6	153	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ...) الآية. وردت الآية بصدد الوفاء بالعهد الخ. 55/2 والعدد المسلسل 1.
الأنعام 6	154	(وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عنى سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون). وردت الآية في الوفاء بالعهد الخ. 2/ 55 والعدد المسلسل 1.
الأعراف 7	56	(وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته.)الآية وردت الآية في مناقشة معنى الريح والرياح.73/3 والعدد المسلسل 12.
التوبة 9	101	(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ...)الآية. جاءت الآية في سند مرفوع إلى ابن سيرين أنه قال: السابقون الأولون هم الذين صلوا القبلتين. 18/6
التوبة 9	113	(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله

		وبشر المؤمنين). وردت الآية في مناقشة حكم واو العطف ومسالة عدم التنافر. 45/6
يونس 10	22	(هـو الـذي يسـيركم في الـبر والـبحر حـتى إذا كنتم في الفلك وجـرين بهم بريح طيبة ...) الآية. وردت هذه الآية بمناسبة ذكر الالتفات من الكناية إلى المخاطبة . 39/6
يونس 10	26	(للذيـن أحسـنوا الحسـنى وزيادة) الآية. وردت الآية في مناقشة مسألة النظر إلى الله تعالى ورؤيته. 41/3
إبراهيم 14	23	(ويـرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تـبعا فهـل أنـتم مغـنون عـنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانـا اللـه لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محـيص). وردت الآيـة في ذكـر مسـالة الالتفات من الكناية إلى المخاطبة. 39/8
الحجر 15	22	(وأرسـلنا الـرياح لواقـح ...) الآيـة. وردت الآيـة في مناقشة الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12
النحل16	61	(ولـو يؤاخـذ اللـه الـناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ...) الآيـة. وردت هـذه الآية لتوضيح مسألة حذف كلمة من الآية، ومرجوع ذلك إلى الاعتماد على فهم السامع. 9/5
النحل 16	91	(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ...) الآية. وردت الآية في ذكر الوفاء بالعهد. 55/5 والعدد المسلسل 1
النحل 16	126	(وإن عاقبـتم فعاقـبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين). وردت الآية في ذكر السبب والمسبب. 15/6

الإسراء 17	24	(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا). وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
الإسراء 17	26	(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) وردت الآية في ذكر مسألة: ثلاثة يؤدين من البر والفاجر.32/3 والعدد المسلسل 7.
الإسراء 17	34	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا) وردت الآية في ذكر مسألة ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر. 32/3 والعدد المسلسل 7
الإسراء 17	110	(وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) وردت الآية في مناقشة النفي الفرضي 67/5
مريم 19	3	(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ..) الآية. وردت في ذكر الاستعارة. 38/6
طه 20	60	(قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى) وردت الآية في مسألة رد إعجاز الكلام على صدوره. 39/6
طه 20		قال أبو جعفر اللبلي في ذكر مقروءاته: الباهج في القراءات لأبي عبد الله بن مزاحم: تلوت به القرآن من أوله على آخره ختمات كثيرة بجميع القراءات السبع ما عدا أحرف الكسائي، فإنني لم أقرأ به إلا سورة طه، فقط على أبي اسحق إبراهيم بن محمد الأعلم. 28/2
الأنبياء 21	37	(خلق الإنسان من عجل، سأريكم آياتي فلا تستعجلون) جاءت

		الآية في سياق الحديث في أن النفوس جبلت على حب الحياة. 25/7
الحج 22	53	(ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
المومنون23	1-10	(بسم الله الرحمان الرحيم قد أفلح المومنون) إلى قوله تعالى: (أولئك هم الوارثون) وردت الآيات في الحديث الشريف أن من أقامهن دخل الجنة. 7/3 52 والعدد المسلسل 13
الشعراء 26	38-89	(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وردت الآية في سياق ذكر نظم أبي عبد الله بن أبي الخصال في معراج المناقب. 41/6
النمل 27	46	(قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وردت الآية في ذكر التجنيس 39/6
الروم 30	38	(وما آتيتم من ربا لتربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله.)الآية. وردت الآية في ذكر ما أقيم فيه السبب مقام المسبب. 67/5
الروم 30	42	(فأقم وجهك للدين القيم ..) الآية. وردت الآية في مسألة التجنيس. 39/6
الروم 30	45	(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) وردت الآية في مناقشة الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12.
لقمان 31	17	(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) وردت الآية في مسألة لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي. 67/3

فاطر 35	14	(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وردت الآية في تفصيل الكلام على مسألة النفي الفرضي، وإعراب:(ولا ينبئك مثل خبير) والنفي الفرضي من الاصطلاحات البلاغية النادرة التي وصلت إلينا عن حازم عن طريق تلامذته **67/5**
فاطر 35	16	(إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وردت الآية في مسألة الالتفات من الكناية إلى المخاطبة. 39/3
فاطر 35	28	(إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء) وردت الآية بمناسبة ذكر الشاذ من القراءات. 14/6
يسن 36	36	(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) وردت الآية في ذكر الاستعارة. 38/6
يسن 36	1-38	سورة يسن، من أولها إلى آية:(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) جاءت هذه الآيات في معرض ذكر الرؤيا الصادقة. 55-54/5
الزمر 39	17	(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) جاءت الآية في شأن الوفاء بالعهد الخ. 55/2
فصلت 41	15	(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات ..) الآية. وردت في مناقشة الريح والرياح. 73/3 والعدد المسلسل 12.
فصلت 41	33	(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وردت الآية في ذكر المداراة 38/6 العدد المسلسل 3.

فصلت 41	45	(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) وردت الآية في ذكر قاعدة مهمة في المبالغة:الظالم والظلام، والحكم في ذلك. 14/6
الشورى 42	21	(ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسنا إن الله غفور شكور)جاءت الآية في سياق كلام ابن رشيد على ما رواه من شيخه أبي بكر بن حبيش. 43/6
الشورى 42	40	(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) وردت الآية في الكلام على المداراة. 38/6
الفتح 48	2-1	(بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) وردت الآية في ذكر عبادة التكليف التي يطيقها القلب والجوارح، وعبادة الشكر التي إنما يقوم بالمستطاع منها القلب، واما الجوارح فتتفسخ دونها. 65/7
الحجرات 49	2	(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي.)الآية. وردت الآية في قصة ثابت بن قيس بن شماس. 67/3 والعدد المسلسل 14.
ق 50		جاءت في خبر أن ابن عمر قرأ في المغرب سورة ق. 32 والعدد المسلسل 10.
الذاريات 51	41	(وفي عاد إذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)جاءت الآية في مناقشة الريح والرياح. 73/3

		والعدد المسلسل 11.
الطور 52	13	(أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) وردت الآية بمناسبة ذكر الأحاديث الضعيفة. 14/3 والعدد المسلسل 15.
الحديد 57	3	(هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) جاءت الآية في ذكر استعمال الواو في العطف ومسألة تنافر الحروف، وهي من المسائل الدقيقة. 45/6
ط 69	1	(بسم الله الرحمان الرحيم ن والقلم وما يسطرون) وردت الآية في قصة للدارقطني والقارئ الذي كان يقرا وهو يصلي النافلة. 11/3 والعدد المسلسل 16.
المزمل 73	9	(واصبر على ما يقولون، واهجرهم هجرا جميلا) وردت الآية في ذكر المداراة. 38/6 والعدد المسلسل 3.
الانسان 76	30	(وما تشاءون إلا أن يشاء الله، إن الله كان عليما حكيما) وردت هذه الآية في سياق كلام لابن رشيد ملخصه أنه لم يقدر له تحصيل كتاب الحلل المضمخة لصاحبه أبي الفضل. 5/7
المرسلات 77	1	(والمرسلات عرفا) ورد أن النبي (ص) كان يقرأها في صلاة المغرب. 32/3 والعدد المسلسل 17
النازعات 79	39-40	(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وردت الآية في ذكر الوفاء بالعهد الخ. 55/2
عبس 80	31	(وفاكهة وأبا) وردت الآية في البحث عن معنى الأب.

السورة	الآية	السياق
		19/3 مكرر والعدد المسلسل 18.
المطففين 88	25-26-27	(يسقَون من رحيق مختوم ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه من تسنيم) جاءت الآيات في سياق نظم ابن أبى الخصال معراج المناقب. 41/6
الضحى 93	11	(وأما بنعمة ربك فحدث) وردت الآية في قصة أبي بكر بن حبيش وبعض الطلبة الذين كانوا يفيضون في استحسان شعره. 40/6
الشرح 94	6-5	(فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وردت الآية بمناسبة ذكر الحديث النبوي : لو جاء العسر فدخل هذا الجحر ... الحديث. 99/2
القدر 97	1	(إنا أنزلناه في ليلة القدر) جاءت الآية لتوضح أنه إذا وقع حذف في القرآن فإنما يعتمد في ذلك على فهم السامع. 9/5 وهذا يشبه قوله تعالى (ما تركنا عليها من دابة) وكذا الحديث النبوي كنا نصلي مع رسول الله (ص) المغرب إذا توارت بالحجاب، يعني الشمس.
الإخلاص 112	الإخلاص	(قل هو الله أحد) السورة. جاء ذكرها بمناسبة ذكر قراءتها في الوتر، وقراءتها حين تمسي وحين تصبح. 52/2 و 52/3 والعدد المسلسل 20.
الفلق 113	الفلق	جاء ذكرها في قراءتها في الوتر، وقراءتها حين تصبح وحين تمسي. 52/2 و 52/3 والعدد المسلسل 20.
الناس 114	الناس	(قل أعوذ برب الناس) السورة ورد ذكر قراءتها في الوتر وحين تمسي وحين تصبح. 52/2 و 52/3. والعدد المسلسل 20.

وورد في الـرحلة بعض مسائل تتعلق بالقرآن وتفسيره وعلومه وفضائله ونذكر من ذلك:

أحرف القرآن سبعة أحرف.(الرحلة 24/3)

أحرف الكسائي 28/2 (الرحلة 28/2)

حرف نافع (الرحلة 45/2)

القراءات السبع، جمعا وأفرادا (2/2، 28 و 65/6)

محاسـن البيان: جاء في سند مرفوع إلى أبي بكر بن دريد قال: قلت لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني: إن الشعر يتضمن من محاسن البيان مالا يكاد يوجد إلا فيه، ولا يؤخـذ إلا مـنه، فقـال: لا أعـلم شيئا مما تومئ إليه إلا وقد اشتمل القرآن عليه، ووجـد في كـلام الرسـول (ص) مـثله، وجـاء في فقر الصحابة عدله وإلاَمَ؟ تشير فقلت: الاستعارة. ثم فصل القول في ذلك 38/6

تستحب قراءة القرآن في الطواف عند نزول المطر . 16/5

الأسطوانة التي عند المصحف: كان الرسول (ص) يتحرى الصلاة عندها قال ابن رشـيد موضـع هـذه الأسطوانة اليوم معروف وعندها المصحف، وقد ألزق بالسارية خزانة يوضـع فـيها المصـحف، وموضـع مصـلى الإمـام الـيوم محـدود يقولون هو موضع مصلى النـبي(ص)، وظاهـر الحال أن موضع سجوده (ص) هو موضع الخزانة التي فيها المصحف وموضـع قعـوده (ص) في جلسـات صـلا ته هـو موضـع سـجود الإمام اليوم وهو في وسط المسجد بين القبر والمنبر. 8/5

وادي محسـر : قيل وادي محسر لأن فيل أصحاب الفيل حسر في ذلك الوادي أي أعيا. 20/5

وجـاء خـبر عـن أبي محمد عبد الله الطبري الشريشي أنه كان ممن سهلت عليه تلاوة القرآن مع حسن الإيراد، يأتي منه الكثير في الزمن اليسير 17/2

وورد نـص سـؤال كتـب بـه أبـو الفضل التجاني لشيخه أبي القاسم ابن زيتون، ومضـمن ذلـك: ما يقول ابن زيتون في شاعر يذيل من الكتاب العزيز: هل ذلك له جائز أو هو متجاوز ... السؤال. ولكن ابن زيتون لم يجب عنه. 35/7

ويظهر لنا من خلال بسط القول في هذه المسائل أن الكلام على القرآن الكريم يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم وهي التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف وأصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والبيان، فأما التفسير فهو المقصود بنفسه، وسائر الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به تتفرع منه، هذا ما نبه عليه محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي تلميذ ابن رشيد، وإننا لا نستبعد أن يكون ابن جزي هذا قد تأثر باتجاه أستاذه وطريقته وأسلوبه ومنهجه ومعارفه وثقافته بعامة[1].

[1] : أنظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي 6/1 وانظر ترجمته في هذا البحث ص 173 ترجمة 31.



المبحث الثـــــاني

الحــــــديث النبــوي

الشـــــــريف

الحديث النبوي

أ- مقدمة :

إذا قمنا بتقويم عام لمعارف الرحلة وجدنا أن الحديث النبوي يأتي في المرتبة الثانية بعد الأدبيات، ويظهر من خلال توزيعه على الأجزاء الخمسة الموجودة نوع الفكر الذي كان يهيمن على العواصم الثقافية شرقا وغربا في أواخر القرن السابع الهجري ونلاحظ من خلال ذلك أيضا أن علماء الغرب الإسلامي كانوا يهتمون بالدراسات الأدبية شعرها ونثرها ونقدها وبلاغتها ولغتها أكثر من غيرها، بينما كانت الدراسات الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والتصوف والعقيدة تهيمن على ثقافة المشرق وفكره، ولكن هذا لا يجعلنا نعتقد أن اللون الغالب كان سببا في عدم التوازن في الثقافة العامة، بل إن العلوم الإسلامية والآداب كانت شاملة وعامة جميع أقطار العالم الإسلامي، ولهذا نجد كثيرا من المحدثين يقولون شعرا ذا مستوى رفيع، ثم إنهم كانوا يحفظونه ويروونه ويكتبون رسائل لها قيمة أدبية ذات شأن معتبر، وإنهم كانوا يبدون أحيانا نظرات مهمة في النقد والبلاغة. ويقال مثل هذا في أولئك الأدباء الذين خلدوا تراثا مهما في التصوف وروايات كثيرة في الحديث والفقه وغيرها. ولكن واقع معارف الرحلة يدفعنا إلى هذا التساؤل: وهو : لماذا كانت الأجزاء الخاصة بالمشرق تحفل بالحديث والأجزاء الخاصة بالمغرب تزخر بالمسائل الأدبية؟ وهل ذلك ناتج عن توجيه قصد إليه ابن رشيد قصدا وذلك باختيار الشيوخ الذين أراد الأخذ عنهم، أو إن المدارس والمساجد لم تعرف إلا هذا اللون أو ذاك من العلوم في تلك الأقطار التي زارها ابن رشيد؟ وإننا إذ لا نستبعد الاحتمالين معا وينبغي أن ننبه على أن إهمال جانب ما لم يقع أبدا في تلك البلدان التي كانت ثقافتها متكاملة متواصلة، بل يبدو لي أن طلب علو الرواية في الحديث هو الذي دفع ابن رشيد إلى أن يخص الجانب الأكبر منه بالأجزاء الخاصة بالمشرق، وذلك في مصر ودمشق والحرمين، وكانت كلها تحتضن أولئك المحدثين المشهورين الذين كانوا يتمتعون بجانب عظيم من الحفظ والضبط والإتقان وعلو السند، ورغم ذلك لا تخلو هذه الأجزاء من أدبيات أبي اليمن بن عساكر وابن الخيمي وأبى بكر القسطلاني وبهاء الدين بن النحاس وابن الفارض وأبى حيان الغرناطي وابن دقيق العيد وغيرهم، وهذا كله يعطي الرحلة سمة التوازن والتكامل بين هذين العلمين المهمين

(الحديث والأدب) اللذين استأثرا بالتفكير العربي منذ عهد بعيد. ويمكن أن نلاحظ أن هذه السمة قد تميزت بها رحلة ابن رشيد[1].

ب- إحصاء تقريبي للحديث الوارد في الرحلة :

إذا كان عدد شيوخ ابن رشيد الذين عرفوا بصفة "المحدث" يبلغ سبعين شيخا تقريبا (70 شيخا) فإن أهمهم من حيث سعة الترجمة وإيراد أكبر عدد من الأحاديث والمناقشات المتصلة بالجرح والتعديل هم :

- تاج الدين الغرافي السني الذي ورد في ترجمته واحد وعشرون حديثا وثمان مسائل في الجرح والتعديل [2].

- عبد الرحيم بن خطيب المِزَّة وقد ورد في ترجمته واحد وعشرون حديثا ومسألتان في الجرح والتعديل.[3]

- أبو صادق القرشي : عشرون حديثا.[4]

- عبد العزيز الحراني : سبعة عشر حديثا.[5]

- خليل المراغي : سبعة عشر حديثا. [6]

- بهاء الدين النحاس: سبعة عشر حديثا وخمس مسائل.[7]

- جمال الدين بن الظاهري : ستة عشر حديثا وغير ذلك من مسائل العقيدة والتصوف.[8]

- موسى القمجي : اثنا عشر حديثا. [9]

---

[1] : سأذكر في آخر دراسة الرحلة مقارنة بين بعض الرحلات التي تشابهت في مضمونها ومنهجها.
[2] : الرحلة 10/3
[3] : الرحلة 72/3
[4] : الرحلة 71/3 و 63/5
[5] : الرحلة 114/3
[6] : الرحلة 46/3 مكرر
[7] : الرحلة 23/3
[8] : الرحلة 97/3 و 59/5
[9] : الرحلة 35/2

- أبو محمد الخلاسي: ثمانية أحاديث، وغير ذلك مما يتصل بالتصوف.[1]

وباستقراء الأجزاء الموجودة، نستنتج أن الأجزاء الخاصة بالمغرب (اعني بذلك الأندلس والمغرب والجزائر وتونس وبلاد الجريد) — احتوت عددا قليلا من الأحاديث والأسانيد ومسائل الجرح والتعديل، إذ لا يوجد في الجزء الثاني مثلا سوى ثلاثين حديثا تقريبا، وفي الجزء السادس ثلاثون حديثا فحسب، وفي السابع أربعة أحاديث فقط. وباعتبار الأوراق الضائعة والمخرومة فإن تلك الأرقام تكاد تكون قريبة من الصحة، وبهذا يكون مجموع الأحاديث في الأجزاء الثلاثة التي يبلغ عدد صفحاتها كلها إحدى وخمسمائة: ما يقرب من بضعة وستين حديثا فحسب (64 حديثا).

بينما الجزآن الخاصان بالمشرق (وأعني بذلك مصر والشام والحرمين) - وهما الجزآن الثالث والخامس، واللذان يبلغ عدد صفحاتهما ثلاث عشرة وأربعمائة صفحة — يحتويان على ثمانين ومائتي حديث تقريبا. أما مسائل الجرح والتعديل والمناقشات المفيدة في ذلك فتكاد تنعدم في الأجزاء الأولى، بينما نجد الأجزاء الأخيرة تحتوي على أزيد من ثلاثين مسألة تتصل بالتعديل والتجريح، وفي الجزء الثالث وحده ستة وعشرون مناقشة من ذلك. ولو كان الجزء الرابع بين أيدينا (وهو خاص بالشام) لكان ذلك العدد أكثر، لأن الشام كانت وقتئذ حافلة بالمحدثين، ثم إن اللون الغالب على الذين ثبت أن ابن رشيد التقى بهم فيه، كان يتصل بالعلوم الإسلامية من الفقه والتصوف والزهد والحديث. وبهذا يكون مجموع الأحاديث الواردة في الأجزاء الخمسة يقرب من خمسين وثلاثمائة حديث، وضمنها الأحاديث المكررة والمتشابهة في نصها، وأما تلك الأحاديث المكررة فمثل:[2]

حديث: من كذب علي ... (خمس مرات). وحديث يا أبا عمير ... (ثلاث مرات). وحديث الراحمون ... (ست مرات). وحديث الوضوء يوم الجمعة ... (ثلاث مرات). وحديث نهيه عن لحم الحمر الأهلية ... (ثلاث مرات) وحديث اقرؤوها على موتاكم ...، يعني يس (مرتين) وحديث إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان ... (مرتين). وحديث إذا توضأ العبد خرجت خطاياه ...(مرتين) وحديث تحية المسجد وكذا الأمر: (أي مرتين) في كل من الأحاديث: تحية المسجد، وصلاة المغرب، وبول

---

[1] : الرحلة 46/2

[2] : سنجد نص هذه الأحاديث كاملا في فهرسة خاصة، وإذا أريد البحث عنها في الكشاف المعد لذلك : يجرد معناها ويبحث عنه فمثلا الصابر على دينه في صبر و العائد في هبته في الهبة وزكاة الفطر في الزكاة وهكذا.

الأعـرابي في المسـجد، ومسلسـل أطعمـنا، والصـابر علـى ديـنه، والعائد في هبته، وزكاة الفطر، ومن تشبع بما لم ينل، وإن خير ما ركبت إليه الرواحل، وما بين بيتي ومنبري وإنما الأعمـال بالنـيات، والـولاء لمـن أعتق، وغفار غفر الله لها، واللهم إني أسألك العافية، وأصبحنا وأصبح الملك، وما أذن الله لشيء : أي حديث التغني بالقرآن.

ت- أهم مصادر الحديث الوارد في الرحلة :

أمـا أهـم مصادر تلك الأحاديث : فيمكن حصرها في الكتب الآتية، وهي مرتبة حسب أهميتها بالنسبة إلى توارد أكثر الأحاديث منها في أجزاء الرحلة [1] وسأذكرها مع عدد الأحاديث التي نقلها الرواة منه.

- صـحيح الـبخاري (وكـذا مـا أورده مـن الثلاثـيات وكـتاب الـتاريخ:(ثلاثـة وثلاثون حديث)[2].
- مسند عبد بن حميد (أربعة وعشون حديثا)[3].
- الغيلانيات : وهي من عوالي البغداديين (سبعة عشر حديثا).
- الأربعون البلدانية للسلفي (اثنا عشر حديثا).
- الخلعيات : (عشرة أحاديث).
- الرعاية للمحاسبي (عشرة أحاديث).
- رجال الصحيحين للمقدسي وهو أبو الفضل محمد بن طاهر(عشرة أحاديث).
- سنن الترمذي [4] (تسعة أحاديث).
- المائةُ الشريحية لأبي عبد الله بن شريح (تسعة أحاديث).

---

[1] : وقد اثبت في فهرسة الكتب أماكن وجودها، وليرجع غليه.

[2] : ونلاحظ هنا أن الأخذ من البخاري كان أوفر حظا من الأخذ عن مسلم، مع أن المغاربة كانوا يأخذون عن مسلم ويشرحون صحيحه وقد جاء في ألفية العراقي الحافظ :

أول من صنـف في الصـحيح — محمد وخص بالترجيـح
ومسلم بعد وبعض الغرب مع — أبي علي فضلوا ذا لو نفع

وحاصل كلامه أن تفضيل البخاري على مسلم هو الشائع إلا أن أبا علي النيسابوري والمغاربة ذهبوا إلى تفضيل مسلم لاعتبارات منهجية وإلا فإن كتاب البخاري أصح الصحيحين. أنظر 39/1

[3] : نفس المرجع السابق

[4] : نفس المرجع السابق

- صحيح مسلم (وكذا كتابه التمييز)(تسعة أحاديث).

- الأمثال لأبي أحمد العسكري وقد قال ابن رشيد أن هذا الكتاب احسن الكتب المصنفة في بابه (ثمانية أحاديث).

- مسند الشافعي (ثمانية أحاديث).

- القطيعيات (سبعة أحاديث).

- التاريخ لأبي نعيم الأصبهاني (سبعة أحاديث).

- جزء ابن العالي (ستة أحاديث).

- جزء ابن زنبور أبي صالح محمد بن أبي الأزهر (خمسة أحاديث).

- جزء ديزيل (خمسة أحاديث).

- جزء ابن مطيع (خمسة أحاديث).

- سنن النسائي[1] (خمسة أحاديث).

- الثقفيات (أربعة أحاديث).

- حديث ابن حرب الطائي (أربعة أحاديث).

- حديث بشر بن مطر (أربعة أحاديث).

- جزء أبي عبد الله الأنصاري (أربعة أحاديث).

- موطأ مالك (أربعة أحاديث). وقد ورد اسم مالك في اكثر من خمسة عشر موضعا، ولكن لم يأت منه في صدد الحديث إلا في أربعة أماكن.[2]

- جزء الملخص (أربعة أحاديث) (وهو أبو طاهر الملخص).

- سداسيات وخماسيات ابن عتاب (ثلاثة أحاديث).

- جزء أبي يعلى الخليلي (ثلاثة أحاديث).

---

[1] : لاحظ أيضا أن كتب السنة المشهورة أقل حظا في الورود.

[2] : وهذا أيضا يثير الانتباه، لأن موطأ مالك كان من أهم الكتب التي يرجع إليها ويقبل عليها في المغرب خاصة. انظر مثلا شروحه الكثيرة وأهمها لأبي عمر النصري.

- سنن ابن ماجه (ثلاثة أحاديث)[1].

- مسلسلات ابن العربي (حديثان).

- المجالس السلماسية لأبي طاهر السلفي (حديثان)[2].

- حديث أبي الجهم الباهلي (حديثان)

ووردت أحاديث وأسانيد قليلة لكتب أخرى أي انه ورد في كل منها حديث واحد فقط. ومن تلك الكتب: كتاب الأربعين الزاهرة لابن مقير ـ وحديث ابن مسلم البصري ـ ومعجم الطبراني ـ وجزء أبي بكر الخطيب البغدادي ـ والمجالس العونية ـ وسنن أبي داود ـ ومسند ابن حنبل الذي لا توافق أسانيده الأسانيد المغربية، وهي رواية أبي الحسن، وقد فصل ابن رشيد محتواه في الرحلة ـ وكتاب الأربعين السباعيات للقشيري ـ وثلاثيات الدارمي ـ وجزء أبي صادق القرشي ـ والاقتراح في بيان الاصطلاح لأبي الفتح القشيري وهو جزء مفيد تضمن كثيرا من أصول علم الحديث ـ والإرشاد لأبي يعلى الخليلي وقد ذكر فيه المحدثين والعلماء على ترتيب البلاد ـ وفوائد ابن العالي ـ وجزء أبي جعفر المكي ـ والاستيعاب ـ وتحفة عيد الأضحى لزاهر الشحامي ـ وجزء ابن الجميزي ـ ومعجم الصدفي ـ وجزء من أمالي ابن ميلة ـ وجزء الأصم ـ وجزء أبي نصر المقدسي ـ وجزء ابن زريق المخزومي ـ وجزء ابن عرفة من سماعات ابن كليب ـ والدلائل للسرقسطي ـ وحديث ابن شاذان ـ والتمهيد لابن عبد البر، ونلاحظ في هذا الصدد على قلة ما ورد من التمهيد من الأحاديث مثلما ذكرنا عن موطأ بن مالك – والجامع للرعيني ـ والأطراف لابن عساكر ـ والأكمال للقاضي عياض (انظر ما لاحظناه على كتاب البخاري ومسلم) - وكتاب الأربعين لابن مسدي ـ والمفيد في الثماني الأسانيد ـ وجزء أبي إسماعيل الأنصاري المعروف في وقته بشيخ الإسلام.

ث- ذكر شيء من الأسانيد وصور التحمل :

أما ما يتصل بالسند فإن طرقه وسلسلاته متعددة في الرحلة، ولا يمكن إيرادها جميعا، وإلا أوردنا بعض أجزاء الرحلة بحذا فيرها، ولكن الذي ينبغي أن نعرفه هو حرص ابن رشيد على أن يكون أغلب تلك الأسانيد متصلا بينه وبين النبي صلى الله

---

[1] : انظر ما لوحظ في هامش 1

[2] : الكتاب مطبوع : قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليها أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان دار الأصمعي للنشر ط 1414 1994

عليه وسلم، فهو لا ينسى في أكثر الأحيان أن يذكر التاريخ وكيفية التحمل من السماع والقراءة والمناولة والحضور والإجازة، ففي هذا الحديث مثلا :"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".

نجد أن سلسلة الرواية فيه على هذه الشاكلة:

- ابن رشيد سنة 684 هـ
- عن أبي عبد الله الخراساني التلمساني
- عن بهاء الدين بن هبة الله الجميزي (سماعا)
- عن شهدة البغدادية (قراءة عليه وهو يسمع)
- عن أبي عبد الله بن البسري (قراءة)
- عن أبي محمد السكري
- عن أبي علي إسماعيل الصفار

(وكان يقرأ عليه وهو يسمع)

- عن ابي نصر البزاز
- عن سفيان بن عيينة
- عن عمرو
- عن نافع
- عن جبير
- عن ابن شريح الخزاعي قال :

قال رسول الله (ص) الحديث ...

ونلاحظ أن ابن رشيد كان يؤكد صفة الرواية، وهذا يدل على أن مذهبه في الأخذ عن الشيوخ يعتمد القراءة أو السماع في الدرجة الأولى، لأنهما افضل طرق

السماع[1]. وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس قالا: قراءتك على العالم كقراءته عليك، وهذا مذهب البخاري[2].

وفي حديث ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به نجد طريقة التحمل على هذه الشاكلة:

ابن رشيد[3] (كان يقرأ عليه، أي على ابن درادة) بمسجد القاهرة بمقربة من القيسارية وهو يسمع وذلك في جزء من أمالي ابن ميلة، والقارئ هو ابن سامة الدمشقي صاحبه. عن جمال الدين أبي عبد الله بن درادة قيل له أخبركم ابو محمد عبد الوهاب إبن ظافر بن علي بن رواج (قراءة عليه وأنت تسمع، فأقر به) وكان سماعه عليه في 25 محرم 647 هـ بالقاهرة.

قال أنا أبو طاهر السلفي قراءة عليه وأنا اسمع في شعبان 574 هـ.

قال أنا أبو مسعود محمد السوذرجاني في ربيع الأول 493 هـ.

نا أبو الحسن علي بن محمد بن ميلة، املاء، في ذي الحجة 410 هـ.

نا أبو عمر أحمد بن محمد بن إبراهيم

نا أبو حاتم

نا محمد بن عبد الله الأنصاري

حدثني محمد بن عمرو

عن أبي سلمة

عن أبي هريرة قال

قال رسول الله (ص) : الحديث.

---

[1] : الرحلة 95/3

[2] : الالماع للقاضي عياض 69-71-79 وشرحا ألفية العراقي 23/2، 29.

[3] : الرحلة .... والقاضي عياض في الالماع 69.

ونلاحظ هنا زيادة على ما سبق: توكيد بعض الصفات الأخرى مثل قوله: (قيل له أخبركم) و (فأقر به)، و(املاء)، وغير ذلك، هذا علما بأن الإملاء والسماع هما المتواتران في هذا السند.

واعتبارا لاختلاف هذه الأسانيد وعدم وجود رابط أساسي لها وذلك من حيث عدم تكرار نوع معين من الشخصيات في الإسناد، فإننا نقتصر على هذين الإسنادين السابقين، ونعزز ذلك بشجرة أخرى مبسطة ليتضح فيها ذلك الاختلاف والتنوع ثم الاتفاق في بعض رواة الحديث الواحد إذا ورد مكررا، فإذا أخذنا مثلا حديث (الراحمون): وجدنا أن سلسلة الإسناد فيه على الصورة الآتية:

"الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء" الرحلة 71/3.

رسول الله (ص)

مولى عبد الله بن عمرو

عمرو بن دينار

سفيان بن عيينة

عبد الرحمان العبدي

أحمد بن يحيى

حمزة المهلبي	أبو طاهر بن محمش
عبد الله السجزي بمكة	أحمد المؤذن بنيسا بور
أبو محمد السراج ببغداد	علي الزعفراني بأصبهان
	أبو الحسن بن طريف

الحافظ السلفي

عبد الصمد الغضائري

أبو صادق القرشي بالقاهرة سنة 684 هـ

ابن رشيد

وذلك بإضافة هذا أول حديث سمعته من ... إلى كل راو.

-2- (الرحلة 60/5).

رســـــول الله (ص)

عبــد الله بــن عمـــرو

مولى عبد الله بـن عمرو

عـــــمرو بن ديـنـــــار

سفـــيان بـن عيينــــــة

عبــد الرحمان العبــدي

أحمـــد البـــــــزاز

أبو طـــاهر بن محمـــش

أحمـد النيســــابــوري

أبـو القاســـم الشحــــــــامي	الإمـام أبـو الـوفاء محمـــــد

أبـو عبد الله الـــرجواني ببغداد	عبد الــــرزاق القومســــــاني

أبـو النعمان التنبريزي سنة 639	عبـد الرحمان الأبهري سنة 12

بالمسجد الحرام	في 18 ذي الحجة

القطب القسطلاني

ابن رشيد بمدرسة الحديث الكرملية

بالقاهرة في 6 صفر 685 هـ

وذلك بإضافة هذا أول حديث سمعته من ... إلى كل راو

-3- (الرحلة 25/5، 27).

رســـــول الله (ص)

عبــد الله بـن عمـرو

عـــمرو بن ديـنـــار

سفـــيان بـن عيينـــة

عبــد الرحمان العبدي

أبو طـــاهر بن محمش

أحمـد بن عبد الملك النيســـابوري

أبـو القاســـم الشحـــامي

عمه مؤرخ الشام أبو القاسم

أبو الركات الحسن : في 22 رمضان 596 هـ

عبد الوهاب بن عساكر، (لما قدم حاجا)

العسقلانيان أبو عبد الله وعلم الدين

ابن رشيد.

-4-(الرحلة 59/5)

الـــنبـــي (ص)

عبــد الله بـن عمـرو

مـــولى عمـــرو

سفــيان بـن عيينــة

أبو حامــد البــزاز

أبو نصر السجزي (بمكة)

أبو محمـد السراج اللغوي (ببغداد)

أبو طـــاهر الســلفي

ابن الجميزي (بمكة أو مصر أو القاهرة)

(الشك من ابـــن رشيد)

جمال الدين بن الظاهري

ابن رشيد (بعد قفوله من الحج)

هكـذا كان الحديث الواحد يرد إلى ابن رشيد بطرقه المتعددة وفي إسناده مكيون وبغداديون ونيسابوريون ومصريون وحجازيون وغيرهم.

ج- موضوعات الحديث الوارد في الرحلة :

أمـا معـاني الحديـث العامة الواردة في الرحلة فيمكن تصنيفها كما يأتي، وذلك حسب كثرة ورودها في الرحلة:

1- المعاملات وهي فيما يتعلق بالبر بالوالدين وصلة الرحم وإصلاح ذات البين والمداراة والحث على الصدق والخلق الحسن وترك الكذب ومجانبة الهجر والبغضاء والظلم والغدر ومقت النفس) ثلاثة وستون حديثا تقريبا.

2- ما يتعلق بالصلاة (ثمانية وثلاثون حديثا تقريبا)

3- العلم والعمل والنية وطلب الرزق (سبعة وعشرون حديثا)

4- طاعة الله وعبادته وعدم الشرك به (ستة وعشرون حديثا)

5- الدعاء (ستة وعشرون حديثا)

6- البيوع (تسعة عشر حديثا)

7- الجهاد والمرابطة وما يتصل بذلك من الحرب وحمل السلاح والغنائم (ثمانية عشر حديثا).

8- الحج (سبع عشر حديثا)

9- الميراث (اثنا عشر حديثا)

10- القيامة والساعة (أحد عشر حديثا)

11- القرآن الكريم (تسعة أحاديث)

12- الطهارة والوضوء والغسل (ثمانية أحاديث)

13- الأضحية والذبح (ثمانية أحاديث)

14- أحاديث خاصة به صلى الله عليه وسلم في خَلْقه وخُلُقه (ثمانية أحاديث)

15- الزكاة والصدقة والهبة (سبعة أحاديث)

16- في المسجد والمنبر (ستة أحاديث)

17- في الأطعمة (ستة أحاديث)

18- في الطب النبوي (خمسة أحاديث)

19- في الحديث النبوي الشريف (خمسة أحاديث)

20- في المال (ثلاثة أحاديث)

21- في عاشوراء (ثلاثة أحاديث)

22- في القصاص والحدود (حديثان)

23- في الرقية والاسترقاء (حديثان)

24- في العورة (حديثان)

25- في العظة والاعتبار (حديثان)

26- في القناعة (حديث واحد)

27- في الوحي (حديث واحد)

أما باقي الأحاديث فيدور معناها حول معان مختلفة منها الحمى والرفق بالحيوان والشبهات والطيرة والقبور والجوع والشبع والصبر على الدين والخطأ والنسيان والمذهب وغير ذلك. وعندما نطلع على فهرس تلك الأحاديث، بعد، سيتضح ذلك لنا أكثر.

مصطلح الحديث

وبعد هذا ستعزز[1] تلك الأحاديث بما ورد في الرحلة من مصطلح الحديث في غضون الإفادات وسلسلات السند وفي مناقشات الجرح والتعديل، وذلك لمعرفة أهم

[1] : انظر التوضيح بعد.

المصطلحات التي كان يستعملها المحدثون، ولنستطيع أيضا أن نتعرف قيمة الرحلة التي تعد مصدرا مهما للحديث ورجاله ولمعرفة ما فيها من مناقشات مفيدة في التصويب والتحقيق والضبط. ونجد مع هذه المصطلحات رقما يدل على مكان وجودها في الرحلة والإشارة إلى بعض أماكن وجودها في أهم الكتب التي عرفت مصطلح الحديث ككتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري والألماع للقاضي عياض ومقدمة ابن الصلاح. وشرف أصحاب الحديث لأبي بكر ابن الخطيب وكتاب الاعتبار للحازمي وكلها كانت مصادر مهمة لابن رشيد، وننبه كذلك على كتب أخرى مثل الخلاصة للطيبي وتدريب الراوي للسيوطي والباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة وإرشاد الفحول للشوكاني والتذكرة للحافظ العراقي (ويسمى أيضا التبصرة، ومعه شرحاه).

فهرس الأحاديث
الواردة في الرحلة

لقد جمعت الأحاديث التي عثرت عليها في الرحلة ثم رتبتها حسب حروف المعجم وجعلت لكل حديث رقما يعرف به عند الرجوع إلى كشاف المعاني الذي نبهت عليه والذي سأورده بعد، ثم أشرت عند إيراد كل حديث إلى مكان وجوده في أجزاء الرحلة، وأتيت بعد ذلك بسند ابن رشيد فيه أو بشيء من ذلك السند وكان ذلك في معظم الأحاديث[1]، وبعد أن رجعت إليها، وكان مما استعنت به كتاب المعجم المفهرس لونسنك، ومفتاح الصحيحين للحافظ محمد الشريف التوقادي وبهما كنت أهتدي للرجوع إلى بعض الكتب المشهورة ككتاب الموطأ وكتاب البخاري وصحيح مسلم بشرح النووي وسنن الترمذي وابن ماجة والنسائي وأبى داود ومسند احمد بن حنبل وغيرها من الكتب المعتمدة كالمستدرك للحاكم والتمهيد لابن عبد البر وتنوير الحوالك للسيوطي وفتح الباري لابن حجر وعمدة القاري للعيني وكتاب الشمائل المحمدية للترمذي ومسند ابن عمر ومسند ابن خزيمة ومسند الشافعي وكتاب الاعتبار للحازمي وغير ذلك من المعاجم التي شرحت غريب الحديث وفسرت المختلف فيه كالفائق في غريب الحديث للزمخشري وغريب الحديث للهروي وغريب الحديث لابن قتيبة وتأويل مختلف الحديث له ومشارق الأنوار للقاضي عياض وكتاب النهاية لابن الأثير وغير ذلك مما ستجده في مكان المصادر والمراجع من هذه الأحاديث (وقد توخيت فيها حذف السند في المطبوع، وهو ثابت في المرقون لمن تطلبه).

1- آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك.

المراجع: الرحلة 124/3 مسلم (ايمان) 333، صحيح مسلم بشرح النووي (الشفاعة) 73/3.

2- ارتقى رسول الله (ص) المنبر فقال: آمين، ثم ارتقى ثانية فقال آمين، ثم استوى عليه فقال آمين، فقال أصحابه: على ما أمنت يا رسول؟ فقال أتاني جبريل عليه

[1] : هذا السند موجود في النسخة المرقونة، وقد رأيت حذف في هذا المطبوع بحكم الاختصار، ومن أراده فليتطلبه في المرقون بكلية الآداب بفاس وغيرها كالمجلس العلمي بوجدة ونسخ الذين ناقشوا هذه الرسالة.

السلام فقال: يا محمد: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين، ثم قال رغم انف امرئ ادرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت آمين، ثم قال : رغم انف امرئ أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فقلت آمين.

الرحلة 33/3 الترمذي (الدعوات) 100، صحيح مسلم بشرح النووي رغم انف رغم أنف رغم أنف ... الحديث 16-106 ابن حنبل 354/3.

3- حانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله (ص) بوَضُوء، فوضع في ذلك الماء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند أخرهم.

الرحلة 72/3، البخاري مناقب 25، مسلم فضائل 6، الترمذي مناقب 6، ابن حنبل 147/3، 170، 215، 289، مسند الشافعي 15-16، الشفا 179، باب 4 وانظر كذلك عيون الأثر لابن سيد الناس 288 ولمع الأدلة للجويني 112 واصول الدين لابن عبد القاهر التميمي البغدادي 182. مسلم بشرح النووي 80/15 والخصائص الكبرى للسيوطي 43/1.

4- أتى النبي (ص) عبد الله بن أبي بعدما دفن فأخرجه فنفث فيه من ريقه والبسه قميصه.

الرحلة 22/6 البخاري جنائز 22-23-77-78 لباس 8 مسلم منافقين 2 النسائي جنائز 40 وانظر كذلك الاعتبار في الناسخ والمنسوخ 132-133.

5- ابسط رداءك: عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قلت يا رسول الله إني أسمع عنك حديثا كثيرا أنساه قال: أبسط رداءك فبسطته، فغرف بيديه ثم قال ضمه فضممته فما نسيت شيئا بعد.

قال ابن رشيد أن هذا الحديث من نسخة كريمة المروزية.

الرحلة 86/3

6- لما قتل علي أصحاب الألوية، ابصر رسول الله (ص) جماعة من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرق جماعتهم وقتل هشام بن أمية المخزومي، ثم ابصر النبي (ص) جماعة وجمعا من مشركي قريش فقال لعلي : أحمل عليهم فحمل

علـيهم وفرق جماعتهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، ثم أبصر جماعة أو جمعا من مشـركي قـريش فقـال لعلـي: احمـل علـيهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مـالك أحمـد بـن عامـر بـن لؤي، فاتى جبريل إلى النبي (ص) فقال: إن هذه المؤاساة. فقـال: إنـه مني وأنا منه فقال جبريل: وأنا منكم، وسمع صوت ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

من كتاب أبي عبد الله التجيبي.

الرحلة 73/6.

7- أثـر النـبي (ص) رجـلا مـن أسلم أن أذن في الناس: من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم عاشوراء.

الرحلة 59/5 فتح الباري 244/4 ابن حنبل 359/6-360.

8- قال يعلى بن الأشذق، قال : سمعت النابغة يقول : أنشدت النبي (ص).

بلغنا السمـاء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو بعـد ذلك مظهـرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت الجنة، قال : أجل إن شاء الله ثم قلت:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكـدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصـدرا

فقال النبي (ص) : أجدت، لا يفضض الله فاك، مرتين.

الرحلة 84/3، جمهرة أشعار العرب 785/2، والشعر والشعراء 208/1

9- عـن الـبراء بن عازب قال: خرج رسول الله (ص) وأصحابه فأحرمنا بالحج، قـال فـلما قدمـنا مكـة قـال: اجعلـوا حجكـم عمرة. قال فقال الناس:يا رسول الله قد أحرمـنا بـالحج فكـيف نجعلهـا عمـرة، فقـال رسـول الله (ص): انظروا والذي آمركم به فـافعلوا، قـال فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضـبان، فـرأت الغضب في وجهه فقالت:من أغضبك أغضبه الله، قال:ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع.

الرحلة 122/3.

10- أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما.

الرحلة 14/3 الترمذي 243/3.

وفي هذا الحديث جرح وتعديل لأبي الدنيا.

11- أحبو الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحب الله وأحبو أهل بيتي لحبي هذا.

الرحلة 74/3

12- احتجم رسول الله (ص) وهو محرم من وجع كان برأسه.

الرحلة 19/3 عمدة القاري 241/21 التمهيد لابن عبد البر 224/2 صحيح مسلم بشرح النووي 192/14-193، (جاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد). وانظر مسلم بشرح النووي 123/8.

13- جرح رجل على عهد النبي (ص) فقال أدعوا له الطبيب فقال يا رسول الله: هل يغني الطبيب من شيء فقال ما انزل الله من داء إلا أنزل له شفاء.

الرحلة 32/3 البخاري 148/7 عمدة القاري 229/21-230.

14- إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت في ليلتك مت على الفطرة.

الرحلة 44/3 البخاري (وضوء 75) فتح الباري 108/11 عمدة القاري 187/3 و 284/22 (باب فضل من بات على الوضوء) صحيح مسلم بشرح النووي 32/17.

15- إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي ثم قل باسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد وترا.

الحديث من مسلسلات الترمذي الرحلة 45/44/3 التمهيد لابن عبد البر 275/6 تنوير الحوالك 229/2.

16- عن ابن أبي أوفى قال : رأينا رسول الله (ص) إذا أصبح قال أصبحنا واصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله وحده لا شريك له. اللهم اجعل هذا النهار أوله صلاحا ووسطه فلاحا وآخره نجاحا، وأسألك خير الدنيا وخير الآخرة.

جرح وتعديل : فائد ابن أبي أوفى.

الرحلة 101/3 و 25/3 مسند عبد بن حميد.

17- إذا أعرض الله عن العبد أورثه الانكار على أهل الديانات.

جرح وتعديل: أبو الدنيا.

الرحلة 14/3 سداسيات وخماسيات ابن عتاب.

18- إذا توضأ العبد فمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه وخرجت خطاياه من أنفه، وإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه حتى تخرج من تحت اشفاره، فإذا غسل يده خرجت خطاياه من يده حتى تخرج من أظفاره، فإذا مسح برأسه خرجت خطاياه من رأسه.

جرح وتعديل : الصنابحي.

الرحلة 10/5 النسائي (طهارة) 84/55 الموطأ (طهارة) 30 التمهيد 30/4-31 ابن حنبل 345/4-346 داود (طهارة) 56 مسند الشافعي 16 صحيح ابن خزيمة 5/1.

19- إذا جاء احدكم إلى الصلاة فلا يسعى، ولكن يمشي وعليه السكينة والوقار وليصل ما أدركه وليقض ما سبقه.

الرحلة 10/5 البخاري 161/1 عمدة القاري 149/5-154و206/6 داود صلاة 54.

20- إذا دخل أهل الجنة وأهل النار ناداهم مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله عز وجل موعدا لم تروه، قالوا وما هو، ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة،

وينجينـا من النار، قال فيكشف الحجاب عز وجل فينظرون إليه فو الله ما أعطاهم شيئا أحب إليه من النظر إليه، ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.

مسلم بشرح النووي 186/17.

الـرحلة 41/3 وانظـر هـذا الحـديـث في تفسـير الجـامع للقرطبي 330/8 تفسـير (سـورة يونـس 26) وانظـر شـيئا مـن معـناه في مسند ابن عمر 26، 92 عمدة القاري 205/18.

21- إذا دخل العشر و أراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره.

الرحلة 29/5 النسائي (ضحايا1) الدارمي (أضاحي3)

22-23- إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا.

ابـن رشـيد ـ زينـب البغدادي ـ أبوها عبد اللطيف ـ عبد الحق بن يوسف، عبد الله بن النقور.

الرحلة 80/3 جزء من حديث ابن ديزيل.

24- عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله (ص) إذا سلم من صلاته قال: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

جرح وتعديل: أبو هارون العبدي = عمارة بن جوين.

الرحلة 26/3 مسند عبد بن حميد.

25- إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن.

الـرحلة 55/3 فـتح الـباري 90/2 عمـدة القاري 117/5 ابن حنبل 124/6. ومسلم بشرح النووي 85/4.

26- إذا طلع النجم يعني الثريا رفعت العاهة عن الثمار.

الرحلة 93/3 الأربعين البلدانية للسلفي.

27- عن أبي هريرة قال كان رسول الله (ص) إذا عطس خمر وجهه.

الرحلة 73/3 المستدرك للحاكم 293/4 الترمذي 180/4

28- إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت.

الرحلة 12/3 و 82/3 عمدة القاري 239/6 ابن حنبل 474/2 الترمذي 12/2 وانظر بحثا مفيدا عن هذا الحديث في ترجمة ابن رشيد في الإعلام للمراكشي 345/4 ومسلم بشرح النووي 137/6.

29- إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار.

الرحلة 99/8 ابن ماجه (زهد34) ابن حنبل 402/4.

30- إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه.

الرحلة 99/3 ابن حنبل 157/6.

31- عن علي بن أبي طالب قال علمني رسول الله (ص) إذا نزل بي كرب أن أقول لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين.

الرحلة 43/3 ابن حنبل 91/1-94.

32- أربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلين في صلاة السحر، قال عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) وليس من شيء إلا وهو يسبح تلك الساعة.

جرح وتعديل : يحيى البكاء.

الرحلة 102/3 الترمذي 265/1 تفسير سورة 15.

33- عن زيد بن ثابت أن النبي (ص) أرخص لصاحب العرية أن يبيعها بخرصها.

الرحلة 92/3 البخاري بيوع 83 مساقاة 17 الموطأ بيوع 14 مسلم بيوع 59-30-63 النسائي بيوع 34 ابن ماجه تجارات 55 ترمذي 289/2 التمهيد 325/2

تنوير الحوالك 51/2 ابن حنبل 3/3-5-337-360 2/4-5-181-182-186 الخ عمدة القاري 11/ 301 و 299 مسلم بشرح النووي 10/188-184.

34- عن أم سلمة أن رسول الله (ص) رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة.

الرحلة 26/5 البخاري طب 35 مسلم سلام 59 صحيح مسلم بشرح النووي 14/184-185 عمدة القاري 265/21 التمهيد 275/5 تنوير الحوالك 2/228-229 الاعتبار للحازمي 238 غريب الحديث للهروي 185/3 (السفعة تغير اللون).

35- عن أنس أن النبي (ص) استغفر للصف الأول ثلاثا وللصف الثاني مرتين.

الرحلة 99/3 عمدة القاري 256/5 و124/5 ترمذي 143/1 ابن ماجة باب 51 ص 316 احاديث 996-999 والحديث من كتاب التاريخ لأبي نعيم الأصبهاني. ومسلم بشرح النووي 157/4-158.

36- عن جابر قال : دخل رجل يوم الجمعة المسجد والنبي (ص) يخطب فقال له: أصليت؟ قال : لا، قال : فصل ركعتين.

الرحلة 72/3 و 6/3 عمدة القاري 200/4 (تحية المسجد) صحيح مسلم بشرح النووي 225.

37- عن أنس أن النبي (ص) أعطى من غنائم حنين مائة من الإبل والأقرع بن حابس مائة من الإبل، فقال ناس من الأنصار يعطي نبي الله (ص) غنائمنا ناسا تقطر سيوفهم من دمائنا؟

الرحلة 41/2 ابن حنبل 160/3و201 والحديث من المصافحة لأبي بكر بن العربي، ومسلم بشرح النووي 150/7، 156، 157.

38- الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

الرحلة 116/3 عمدة القاري 16/1 و 316/3 ومسلم بشرح النووي 53/1-54.

39- مـن دعائـه (ص): أعـوذ بـك أن أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل علي أحد من خلقك.

الـرحلة 118/6 المســتـــدرك 519/1 والحديث فيه طول، ابن ماجة دعاء 18 أدب 3 الترمذي دعوات 36 نسائي استعاذة 30-65 ابن حنبل /306-318-322.

40- قال عليه السلام : اغسل ذكرك وانثييك وانضح.

الـرحلة 33/6 غريب الحديث لابن قتيبة 602/2 : النضخ من النضح من أصابه نضـح مـن الـبول فعلـيه أن ينضخه بالماء وليس عليه أن يغسله والنضح دون النضخ فإن أصابه نضح وجب عليه غسله.

41- عـن أنـس قـال: أقـبل علينا رسول الله (ص) بوجهه حين قام إلى الصلاة قبل أن يكبر فقال: أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري.

الرحلة 19/3 عمدة القاري 254/5-255-260 ترمذي 143/1 النسائي إمامة 36-47 ابن حنبل 68/8 ابن ماجة باب 50 ص 317 أحاديث 992-995 التمهيـــد 392/6. ومسلم بشرح النووي 157/4.

42- أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من خلف ظهري.

انظر الحديث السابق.

43- قـال علـيه السلام: أفلا أكون عبدا شكورا. كان رسـول الله (ص) يصلي حـتى تـرم قدمـاه فقيل له: أتفعل وقد جاءك أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: الحديث.

البخاري تفسير سورة 48، تهجد6 عمدة القاري 177/19 الترمذي صلاة 187 النسـائي قـيام اللـيل17 ابن ماجة إقامة 308 ابن حنبل 351/4-555، 115/6 وانظر الشـمائل المحمديـة: الأحاديـث 258-256-260 ص 139-140 والسـفاء للقاضـي عياض 167.

44- عن حذيفة قال : قال النبي (ص) اقتدوا بالذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر.

الرحلة 69/3 ترمذي مناقب 16-37 ابن حنبل 362/5-385-399-462

45- اقتلوا الحيات وذا الطفيتين وإلا فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل. وكان ابن عمر يقتل كل حية فرآه أبو لبابة وهو يطارد حية فقال إنه قد نهى عن ذوات البيوت.

الرحلة 106/3 الترمذي 21/3 ابن حنبل 143/6 تنوير الحوالك 246/2 ومسلم بشرح النووي 227/14 والفتاوي الحديثية لابن حجر الهيثمي 20.

46- عن معقل بن يسار أن النبي (ص) قال : اقرأوها على موتاكم يعني يس.

الرحلة 78/3 و7/5 تفسير ابن كثير 60/1 والحديث من جزء ابن العالي.

47- عن أسيد بن حضير أنه قال: يا رسول الله بينما أنا أقرأ سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله (ص): اقرأ يا أبا عتيك، فالتفت فإذا مثل المصابيح مدلاة من السماء إلى الأرض ورسول الله (ص) يقول اقرأ يا أبا عتيك فقال يا رسول الله ما استطعت أن أمضي فقال رسول الله (ص): تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب.

الرحلة 116/3 تفسير ابن كثير 60/1 تفسير القرطبي 3/15

48- أكثروا ذكر هادم اللذات، قال وما هادم اللذات قال الصوت.

49- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى، قال صلاح ذات البين. وفساد ذات البين الحالقة.

الرحلة 40/3 أبو داوود (أدب 50) الترمذي 222/3 ابن حنبل 165/1 -167، 445/6 التمهيد 117/6.

50- ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ثلاثا، ألا يوشك رجل شَبْعَان على أريكته أي سريره يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.

الرحلة 87/3 ابن حنبل 4/131-132 188/6 التمهيد 221/4.

51- عن علي (رض) قال: قال لي النبي (ص): ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك مع أنك مغفور لك : لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين.

الرحلة 42/3، والحديث من الأجزاء المعروفة بالغيلانيات وهي أحد عشر مسموعة لشيخ ابن رشيد عبد الرحيم المزي. الفتاوى لابن حجر الهيثمي 73.

52- الاستغفار نجاء

الرحلة 12/2 المستدرك 118/2.

53- التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

الرحلة 60/5 والحديث من جزء أم الفضل بيبي

54- عن حميد عن أنس قال: سار رسول الله (ص) إلى خيبر وانتهى إليها ليلا وصلى الفجر ثم ركب وركب المسلمون وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي تمس قدم رسول الله (ص) وخرج أهل خيبر ....، فلما رأوا النبي (ص) والمسلمين رجعوا هربا وقالوا محمد والله محمد والخميس، فقال رسول الله (ص) الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

الرحلة 37/2 البخاري (الجهاد) عمدة القاري 265/6 (الإغارة في الحرب) وعمدة القاري 214/14 التمهيد 215/2 تنوير الحوالك 311/1. ومسلم بشرح النووي 219/9، 224. و164/12، 165.

55- إن النبي (ص) عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف، فقال: هل كنت تدعو الله أو تسأله ؟ قال : كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، قال سبحان الله، لا تستطيعه أو لا تطيقه، إلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الرحلة 37/2 عمدة القاري 15/23.

56- اللهم اجعل واسع رزقك علي عند كبر سني.

57- اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا.

وقال ابن عباس في كتاب الله : أرسلها عليهم ريحا صرصرا، فأرسلنا عليهم الريح العقيم، فأرسلنا الرياح لواقح، وأرسلنا الرياح مبشرات.

الرحلة 73/3 وانظر معنا في المستدرك 285/4

58- اللهم إني أسألك صحة في إيماني، وإيمانا في حسن خلق، ونجاحا وتبعة فلاحا ورحمة منك وعافية فمغفرة منك ورضوانا.

الرحلة 118/6 ابن حنبل 321/3. النسائي.

59- اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة.

الرحلة 118/6 ابن ماجة دعاء 5

60- اللهم إني أسألك علما نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع.

قال جابر: سمعت النبي (ص) يدعو بهذا الحديث فأسرعت إلى أهلي فقلت إني سمعت رسول الله (ص) يدعو بهؤلاء الكلمات فادعوا بهن.

الرحلة 76/5 ابن ماجة اقامة 32 التمهيد 482/6.

61- اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة.

قيل المعافاة أن يعافى العبد من شر الخلق ويعافيهم من شره.

الرحلة 118/6 المستدرك 517/1 داود أدب 101 ابن ماجة دعاء 14 مناسك 32 ابن حنبل 35/3.

62- اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.

الرحلة 118/6 مسلم ذكر 86 داود وتر 32 ومسلم بشرح النووي 54/17.

63- اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

الرحلـــــة 101/3 مسـلم حج 426 ترمذي 160/5-161 النسائي استئذان 42/41 ابن مســـــدي استئذان ابن ماجة دعاء ابن حنبل 82/5 غريب الحديث للهروي 220/1 ومسلم بشرح النووي 111/9.

64- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقال يـا أبـا ذر إن للمسـجد تحية، وتحيته ركعتان، فلما صليت قلت يا نبي الله : أي العمل أفضل قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله، قلت : أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال : أحسنهم خلقـا. قلـت: فأي الهجرة أفضل؟ قال : من هجر السيئات. قلت : فأي الصلاة أفضل؟ قـال: طـول القنوت. قلت فأي الصدقة أفضل؟ قال : جهد مقل يمشي به إلى فقير. قلت فـأي الجهـاد أفضـل؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه. قلت يانبي الله كم كتاب أنزل الله ؟ قال ب: مائة كتاب وأربعة كتب. قلت... الحديث.

الرحلة 37/6-38 ترمذي 249/1-250 (طول القنوت) غريب الهروي 133/3 (طول القنوت).

65- عن أنس قال : بينما رسول الله (ص) ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال : أيهـا الـناس إنـي أمـامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا برفع رؤوسكم، فإني أراكـم عـن أمـامي ومـن خلفي وأيم الذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. قالوا يا رسول الله ما رأيت ؟ قال رأيت الجنة والنار.

الـرحلة 124/3 الـبخاري كسوف 2 تفسير سورة 5. 12 نكاح 107 رقاق 37 إيمـان 3 صلاة 112 كسوف 1 فضائل 034 نسائي سهو 102 كسوف 11.23 ترمذي زهد 8 ابن ماجة زهد 10 والحديث من جزء ابن عرفة.

66- اللهُـمَ أنـت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفـنا في أهلـنا. اللهـم إنـي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

انظر الحديث 66.

الرحلة 25/3 و45/3 و101/3.

67- ورد هذا الحديث أيضا بأسلوب آخر (انظر المراجع أعلاه)

68- اللهم بارك لأمتي في بكورها.

كان النبي (ص) إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار.

الرحلة 5/3 الترمذي بيوع 6 ابن ماجة تجارات 41 ابن حنبل 154/1، 155، 156 416/3، 417، 432 384/4، 380، 381. وكتاب معرفة علم الحديث 252.

69- كان النبي إذا حز به أمر قال: اللهم خر لي واختر لي.

الرحلة 70/5 والحديث من الجزء العاشر من الخلعيات.

70- اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ولك الحمد ولك الشكر.

الرحلة 70/5 الحديث من الخلعيات

71- اقتلوا الحيات وذا الطفيتين وإلا فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل.

وكان ابن عمر يقتل كل حية فرآه أبو لبابة أو زيد وهو يطارد حية فقال إنه قد نهى عن ذوات البيوت.

الرحلة 106/3 البخاري بدء الخلق14 مسلم سلام 128، 137 داود أدب 162 ترمذي صيد 15 ابن ماجة طب 42 ابن حنبل 9/2، 121 452/3، 453 عمدة القاري 185/15 تنوير الحوالك 246/2 منتخب العمال بهامش مسند ابن حنبل 143/5. ومسلم بشرح النووي 227/14.

72- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال: لم يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: قال: أي آية؟ قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه: نزلت على رسول الله (ص) بعرفات يوم جمعة.

الرحلة 101/3 54/5 مثلث عمدة القاري 262/1 والقرطبي: تفسير آية 3 من المائدة.

73- أنا أول شفيع يوم القيامة وإن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد.

الرحلة 122/3 والحديث من جزء ابن عرفة. ومسلم بشرح النووي 73/3

74- عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا يقول : استأذنت على النبي (ص) فقال: من هذا ؟ فقلت : أنا. قال : أنا، أنا، كأنه كرهه.

الرحلة 98/3 تفسير ابن كثير : سورة النور الآيتان 28 و29 البخاري 220/1 عمدة القاري 244/22 (كأنه كرهها) التمهيد 205/3.

ومسلم بشرح النووي 135/14.

75- عن الزهري عن السائب بن يزيد : أن الأَذَانَ كان أوله الجمعة حين يجلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر، فلما كانت خلافة عثمان كثر الناس أمر عثمان بأذان ثان فأذن به فثبت الأمر على ذلك. وكان عطاء ينكر أن يكون أخذ به عثمان. ويقول أخذ به معاوية. والله أعلم.

الرحلة 73/3 صحيح ابن خزيمة 184/1 (تشفيع الآذان ووتر الإقامة وانظر ما أخذ على ابن رشيد عندما قام يخطب يوم الجمعة، وذلك في ترجمته.

76- عن عائشة وأم سلمة أن النبي (ص) دخل عليهما وهو يبكي، قلنا فسألناه عن ذلك فقال : إن جبريل أخبرني أن ابني الحسين يقتل وبيده تربة حمراء، فقال هذه تربة تلك الأرض.

الرحلة 97/3 وانظر معناه في الترمذي 323/5 والحديث من جزء السلفي ومن منتخب من ارشاد أبي يعلي الخليلي. والخصائص الكبرى للسيوطى 440/2.

77- عن أبي بن كعب قال : قرأ رجل آية وقرأتها على غير قراءته فقلت من أقرأك هذا؟ قال أقرأنيها رسول الله (ص) فانطلقت به إلى النبي (ص) فقلت يا رسول الله أقرئني أية كذا وكذا فقال نعم، فقال الرجل أقرئني آية كذا وكذا فقال نعم، ثم قال إن جبريل وميكائيل أتياني فجلس جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل يا محمد اقرأ القرآن على حرف ...الحديث.

(إلى أن قرأه على سبعة أحرف وقال كل شاف كاف)

الرحلة 91/3 البخاري (فضائل القرآن 5) بدء الخلق 6 عمدة القاري 20/20-21 البرهان 211/1 مباحث في علوم القرآن 105 التمهيد 278/4 ابن حنبل 264/1، 269، 313. والحديث من موافقات عبد. انظر معرفة علوم 251 ومسلم بشرح النووي 101/6. وفضائل القرآن 120

78- إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق.

الرحلة 6/5 التمهيد 17/6 ابن حنبل 336/3-350 الترمذي 204/1

79- إن رجلا رزقه الله مالا زاهر.

الرحلة 25/6 غريب الهروي 156/1 (زهر احتفظ به ولم يضيعه) والحديث من الإلزامات للدارقطني.

80- عن حذيفة عن النبي (ص) أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل، فإما ذَكَر وإما ذُكر فقال إني كنت أبايع الناس، فكنت أنظر إلى المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد. فغفر له.

مسلم بشرح النووي 224/10-225.

الرحلة 65/3 و60/3 المستدرك 28/2 عمدة القاري 128/11 ابن ماجة صدقات 39.

81- إن الشمس تطلع من قرن الشيطان ، فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها.

الرحلة 11/5-12 البخاري الخلق 11 مسلم مسافرون 200، 294 مساجد 173 داود تطوع 10 النسائي مواقت 35، 40 ابن ماجة 148 الموطأ قرآن 44-45 ابن حنبل 13/3، 10، 34، 40 التمهيد 1/4-6

82- عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة. ألا هذه غدرة فلان.

الرحلة 16/3 البخاري جزية 22 أدب 99 فتن 21. مسلم جهاد 10/8، 17 داود جهاد 150. ترمذي سير 28 فتن 26. ابن حنبل 411/1، 417 16/2، 20 18_7/3 غريب الهروي 302/3. ومسلم بشرح النووي 43/12.

83- إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم.

عن زكرياء بن عبد الرحمن البصري قال : سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي (ص) (الحديث) وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال : والله لا فطرن غدا نعلي فأطأ بها أجنحة الملائكة، قال ففعل ومشى في النعلين فجبت رجلاه جميعا ووقعت في رجليه جميعا الأكلة.

الرحلة 40/2 ابن ماجة باب 17 الحديث 226.

84- إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

الرحلة 18/2 وانظر حديث (وأمر بالقصاص) أي قصة الربيع بنت النضر : حديث 326.

85- عن ابن أبي الزناد حدثه آل جرهد عن جرهد أن النبي (ص) أبصره في المسجد وعليه بردة وقد انكشف فخذه فقال : إن الفخذ من العورة.

الرحلة 68/3 عمدة القاري 80/4 التمهيد 380/6 الترمذي أدب 107/4 ابن حنبل 375/1 و200/5، 470. والحديث من حديث ابن حرب.

86- إن الله لا يقبض العلم.

الرحلة 83/3 عمدة القاري (كتاب العلم) 130/2 والحديث من الأربعين البلدانية للسلفي. ومسلم بشرح النووي 223/16 والروض الباسم 38/1.

87- إن الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله.

الرحلة 32/3 البخاري مواقيت 14 مناقب 25 .عمدة القاري 33/5 صحيح ابن خزيمة 171/1 مسلم مساجد 20 الترمذي مواقيت 14 النسائي صلاة مواقيت 9 ابن ماجة صلاة 6 ابن مسدي صلاة27 الموطأ الوقوت87 ابن حنبل 13/2،8 و420/5

وغريب الهروي 306/1 : (وتر أهله وماله أن يجني الرجل على الرجل جناية يقتل له قتيلا أو يذهب بماله وأهله) ومسلم بشرح النووي 125/4. وانظر اعرابه في أمالي السهيلي.

88- إن لكل شيء زكاة وزكاة الدار بيت الضيافة.

الرحلة 49/5 والحديث من كتاب الأربعين لأبي سعد النيسابوري.

89- إن لله عز وجل مائة رحمة، جعل منها رحمة في الدنيا يتراحمون بها، وعنده تسعة وتسعون رحمة، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعة وتسعين رحمة، ثم عاد بهن إلى خلقه.

الرحلة 19/3 مكرر البخاري أدب 10 مسلم توبة 17-18 ترمذي دعوات 30 ابن ماجة زهد 35.

90- عن البراء بن عازب قال : خرج رسول الله (ص) وأصحابه فأحرمنا بالحج، قال فلما قدمنا مكة قال اجعلوا حجكم عمرة. قال فقال الناس يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ؟ فقال رسول الله (ص) : انظروا والذي آمركم به فافعلوا. قال فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة رضي الله عنها غضبانة فرأت الغضب في وجهه، فقالت من أغضبك أغضبه الله ؟ قال ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع.

الرحلة 122/3 المستدرك 448/1 ومسلم بشرح النووي 165/8

91- عن عامر بن سعد بن أبو وطاس أن أباه أخبره أنه مرض عام الفتح مرضا أشفى منه على الموت، فأتاه النبي (ص) يعوده وهو بمكة، قال يا رسول الله إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي فأتصدق بثلثي مالي. قال لا، قال فبالشطر، قال : لا، قال فبالثلث، قال فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس.

الرحلة 52/3 البخاري فرائض 6 مسلم 83/11 (باب الوصية) ترمذي وصايا 1 ابن ماجة وصايا 5 موطأ وصية 4.

92- عـن الزهـري عـن سـهل بن سعد ومعه يقول : اطلعت من جحر من حجرة النـبي (ص) ومع النبي (ص) مدرى يحك به رأسه فقال النبي (ص) لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك، إنما جعل استئذانا لا من أجل النظر.

الـرحلة 78/5 الـبخاري اسـتئذان 11 تـرمذي اسـتئذان 17 نسائي قسامة 47 دارمي ديات 23 ابن حنبل 330/5، 335. ومسلم بشرح النووي 136/14.

93- عن جرير بن عبد الله كنا عند رسول الله (ص) فقال : إنكم سترون ربكم لا تضـامون في رؤيـته كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر، فمن استطاع منكم أن لا يغلب عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فليفعل.

الـرحلة 78/5 وانظـر معـناه في عمـدة القاري 180/18 تفسير سورة ق وكتاب تـأويل مختلف الحديـث لابـن قتيبة ص204 (الجمع بن حديث : ترون ربكم يوم القيامة كمـا ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته وقوله تعالى : "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار".

مسلم بشرح النووي 17/3 و134/5.

94- قـال رسـول اللـه (ص) للأنصـار : إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع.

وقد أورد ابن رشيد هذا الحديث في مناقشة الاستعارة.

الرحلة 39/6 البخاري 39/5 عمدة القاري 150/1.

95- إنمـا الأعمـال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى (كذا)، فمن كانت هجرته إلى اللـه ورسـوله فهجـرته إلـى اللـه ورسـوله ومـن كانـت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

الرحلة 116/6 و63/7 البخاري 21/1 عمدة القاري 316/1

96- إن الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم.

وقد سبق ذكره، حديث 83.

الرحلة 48/2.

97- عن عائشة أنها أرادت أن تشتري جارية فتعتقها فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال : لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن أعتق.

الرحلة 60/5 التمهيد 482/6 مسند الشافعي 204 فتح الباري 410/9عمدة القاري (الفرائض) الدارمي فرائض 46 ترمذي 286

98- عن عبد الله بن عمرو أن النبي (ص) مر بمجلسين أحد المجلسين يدعو إلى الله ... والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه، فقال كلا المجلسين خير، وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، فهم أفضل، وهؤلاء يدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وإنما بعثت معلما ثم جلس معهم.

الرحلة 57/7 ابن ماجة مقدمة 17 (فجلس معهم)

99- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : إنكم تقرؤون هذه الآية :(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتديتم)(المائدة 105). وإني سمعت رسول الله (ص) يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب.

الرحلة 91/3 داود ملاحم 17 ترمذي فتن 9 وتفسير سورة 5. 17 ابن حنبل 7/1.

100- عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله (ص) إني أحبك. فقال : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

الرحلة 22/2 ترمذي دعوات 113 ابن حنبل 311/3-477.

101- كان من دعائه (ص) : إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الرحلة 110/6 مسلم صلاة 322 داود صلاة 145 ترمذي دعوات 75، 112 النسائي طهارة 118 وقيام الليل 51 ابن ماجة دعاء 3 وإقامة 117 ابن حنبل 86/1، 116، 150 و56/6، 201. معرفة علوم الحديث 216

102- عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

الرحلة 35/3 ترمذي مناقب 31 والحديث من المعجم الصغير للطبراني.

103- كان من دعائه (ص) : إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ألا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

الرحلة 116/6 البخاري آذان 149 توحيد 8 دعوات 16 مسلم ذكر47، 46 حدود 23 ابن ماجة دعاء 3 ترمذي دعوات 86 النسائي سهو 53 ابن حنبل 4/1، 7.

104- إني أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى به الكفر وأنا الحاشر الذي أحشر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي.

الرحلة 37/2، 40 التمهيد 241/4 و53/5-55 وصحيح مسلم بشرح النووي 104/15 وصحيح مسلم بشرح النووي 104/15 والشفاء 158، 160.

إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به...

105- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) : أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفا.

الرحلة 22/3 والحديث من الفوائد المدنية لابن شريح.

106- إن عمر رضي الله عنه لما سئل عن الوتر : أو اجب هو أم لا ؟ قال : أوتر رسول الله (ص) وأوتر المسلمون. فأعيد عليه القول فأعاد الجواب.

قال ابن رشد والسؤال عوني وما يجاب عنه ضعيف.

الرحلة 34/6 ابن ماجة إقامة 124 ابن حنبل 167/6 ترمذي 261/1

107- أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

جرح وتعديل : طالوت، وفضال بن جبير.

الرحلة 13/3 مسلم ايمان 349 فتن 39، 40 داود ملاحم 11، 12 ترمذي فتن 21 وتفسير سورة 6 : 8، 9 ابن ماجة فتن 35 ابن حنبل 364/3. ومسلم بشرح النووي 184/2 و28/10، 77 والفائق 375/1.

108- أول من صنع له الحمّام سليمان بن داود عليهما السلام، فلما وجد حره قال : أوه من عذاب الله أوه أوه من قبل أن لا يكون أوه.

الرحلة 56/3 والحديث من الاربعين البلدية للسلفي.

109- عن أنس بن مالك قال : لقد دعوت رسول الله (ص)على وليمة ليس فيها خبز ولا لحم، قال فقلت يا أبا حمزة ماذا أكلوا قال : أتي بنطاع ثم أتي بتمر وسمن فأكلوا، أو ليس التمر من رسول الله (ص) كثير.

الرحلة 42/3 عمدة القاري 36/21 (أمر بالانطاع فبسطت فألقي عليها التمر...) ومسلم- نووي 225/1 ومشارف 11/2

110- عن عمر رضي الله عنه. أنه استأذن النبي (ص) في العمرة فقال : أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا.

الرحلة 44/3 ترمذي دعوات 109 ابن ماجة مناسك 5 ابن حنبل 20/1 50/2

111- عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله (ص) قال : أيرقد أحدنا وهو جنب قال : نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد.

الرحلة 57/3 المستدرك 162/1-152 البخاري غسل 23 مسلم طهارة 97 داود طهارة 87 ترمذي صوم 62 نسائي طهارة 138 ابن ماجة طهارة 60 دارمي وضوء 73 موطأ طهارة 70- ابن حنبل 35/1، 17/2 36/6، 91، 92. ومسلم بشرح النوي 3/ 216.

112- عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله (ص) قال : أينام أحدنا وهو جنب قال نعم ويتوضأ.

الرحلة 57/3 وكتاب معرفة علوم الحديث 251

113- عن أنس بن مالك قال : قدم النبي (ص) المدينة وأنا ابن عشر ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثني على خدمته، فدخل علينا دارنا، فحلبنا له من شاة داجن وسقيناه من ماء بئر في الدار، وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه، وعمر ناحية، فشرب فقال عمر أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن.

قال ابن رشد : هكذا وقع في هذا الحديث : وسقيناه، وإنما صوابه عندي : وشبناه أي خلطناه، فصحف.

الرحلة 36/3 البخاري 143/7 (باب شرب اللبن) في كتاب الأشربة، فتح الباري 86/10 عمدة القاري 195/21 مسلم بشرح النووي 200/13 التمهيد 351/6. ومسلم-نووي 200/13.

114- عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله (ص) : أيمنع أحدكم أن يكبر في دبر كل صلاة عشرا ويسبح عشرا ويحمد عشرا، وذلك في خمس صلوات خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أوى إلى فراشه كبر أربعا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وسبح ثلاثا وثلاثين ثقلا مائة باللسان وألفا في الميزان. قال ثم قال : فأيكم يعمل في يومه وليلته ألفين وخمسمائة سيئة.

الرحلة 123/3 والحديث من جزء ابن عرفة.

115- أيها الناس : إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا برفع رؤسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي، وأيم الذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. قالوا يا رسول الله : وما رأيت ؟ قال رأيت الجنة والنار.

الرحلة 121/3 ـ وقد سبق ذكره. (الحديثان 41 و42).

ب ـ

116- كان ابن عمر في دار خالد بن الوليد فرأى رجلا يجر إزاره فقال : من أنت ؟ قال : من بني ليث، فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : بأذني هاتين، قال أحسبه قال : أخذ بأذنيه، يقول من جر إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة لم ينظر الله إليه.

الرحلة 65/3 مسلم بشرح النووي 60/1 ترمذي 137/3 التمهيد 246/3

117- 118- عن ابن عمر رضي الله عنه روى أن النبي (ص) لما دخل المسجد بدأ بالحجر فاستلمه، فاضت عيناه من البكاء، وروى أن النبي (ص) لما دخل المسجد استقبل الحجر واستلمه.

أبو نصر الصباغ البغدادي-...جابر- النبي (ص)

الـرحلة 22/5 مسـلم حـج 150 جهـاد 84 داود مناسـك 44 ترمذي حج 33 تفسـير سـورة 3. 114 نسـائي مناسـك 149 ـ163 ـ172 ابـن حنبل 304/1، 314 و14/3، 15، 538 و320/3، 394.

119- بدلاء أمتي أربعون : اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، وكلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر، إذا جاء الأمر قبضوا.

الرحلة 48/3 مكرر ابن حنبل 112/1 والفائق 87/1

120- البركة في ثلاث : الجماعة والثريد والسحور.

الـرحلة 81/3 عمـدة القـاري 54/21 (فضل الثريد على سائر الطعام) ترمذي 179/3 ابـن حنـبل 283/3. والحديـث من جزء ابن ديزيل. (بزق) ... الحديث : انظر حديث 197.

121- عـن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) سرية إلى نجد فبلغ سهما نهم أثنى عشر بعيرا، ونَفَلَنَا النبي (ص) بعيرا بعيرا.

الـرحلة 6/3 عمـدة القـاري 312/17 مسلم بشرح النووي 54/12 وانظر الخبر أيضـا في عـيون الأثـر لابـن سيد الناس اليعمري 161/2 (سرية أبي قتادة بن ربعي إلى خضرة وهي أرض محارب) والحديث من المجالس السلماسية.

122- بورك لأمتي في بكورها.

الـرحلة 6/3 قـال صـاحب الاسـتيعاب : لا أعـلم لصخر الغامدي غير حديث بـورك لأمـتي في بكورهـا وهـو لفـظ رواه جماعـة عـن النبي (ص). وانظر حديث صخر الغامدي : فتح الباري 431/3 وإنظر الإصابة في ترجمة صخر الغامدي : حديث اللهم بارك لامتي في بكورها.181/2.

ت-

123- عـن عقـبة بن عامر الجهني يقول : رأيت رسول الله (ص) يقول : تدنوا الشـمس مـن الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصـف السـاق، ومـنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ إلى العجز، ومنهم من يبلغ إلـى الخاصـرة ومـنهم مـن يـبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه،

وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله يشير هكذا، ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده إشارة.

الرحلة 63/5 مسلم 298/2 والحديث من الأربعين المروية بالأسانيد المصرية لأبي صادق القرشي.

124- تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة.

انظر حديث (اقرأ يا أبا عتيك)

125- عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : من كان يومن بالله واليوم الآخر فليحسن قرى الضيف قالوا يا رسول الله وما قري الضيف ؟ قال ثلاث فما فوقهن صدقة، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر : فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن اعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا.

الرحلة 69/6 عمدة القاري 165/20 ـ166 (إنما المرأة كالضلع) مسلم بشرح النووي 10/56-58 و20/2 المستدرك 164/4 التمهيد 67/5

126- ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل : رجل خرج غازيا في سبيل الله

الرحلة 38/3 والحديث من مسند ابن حنبل الذي لا يوافق تبويبه النسخ المغربية. مشارق الأنوار 140/1

في (حديث 120).

ج-

127- جالس الكبراء وسائل العلماء وخالط الحكماء.

الرحلة 69/3 والحديث من جزء ابي يعلي.

128- عن العباس بن عبد المطلب قال : دخلت على رسول الله (ص) فرأيته يأكل الجبن والجوز، فقلت يا نبي الله : جبن وجوز ؟ قال : نعم، الجبن داء والجوز داء، فإذا اجتمعا صارا دواء بإذن الله.

قال أبو بكر بن مسدي هذا حديث غريب، لا نعلمه إلا بهذا الإسناد، وقد رويناه بالسماع ...إلى يحي بن أكتم، ورفع السلسلة يحي إلى أبي جعفر المنصور وعنْعَنَ باقيها. والله أعلم.

الرحلة 51/2 (هذا حديث مسلسل) كتاب الموضوعات لأبي الفرج بن الجوزي 295/1 كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي 219/2.

129- حديث أنس في صلاة النبي (ص)في منزلة له، وتحتها من جذوع حين سقط عن فرس فجُحِشَتْ ساقه أو كتفه.

الرحلة 94/3 البخاري أذان 51، 52، 128 صلاة 16 تقصير 17 عمدة القاري 218/5 (جحش شقه الأيمن) مسلم بشرح النوي 131/4، 132 التمهيد 130/6 داود صلاة 68 ترمذي صلاة 150 نسائي إمة 40 ابن ماجة إقامة 144 دارمي صلاة 44 الموطأ. جماعة 16 ابن حنبل 110/3، 162 غريب الهروي /140 جحش : خدش. مشارق الأنوار 140/1

130- جحش شقه الأيمن.

انظر المصادر أعلاه في حديث 129.

131- جرح العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس. قال مالك : وتفسير جبار أنه لا دية فيه.

الرحلة 24/6 البخاري زكاة 66 مساقاة 3 حدود 45 مسلم بشرح النووي 11/ 226 نسائي. زكاة 38 الموطأ. عقود 12 ابن حنبل 220/3 فتح الباري 2544/12، 256 ابن ماجة باب 27 ص 391 أحاديث 2673 ـ2676 ترمذي 418/2 غريب الهروي : الركاز : المعادن كلها 284/2، والجبار الهدر، إنما جعل جرح العجماء هدرا إذا كانت منفلتة ليس لها قائد ولا سائق ولا راكب 282/1

132- عن أنس قال : كان النبي(ص) إذا اجتهد لأحد في الدعاء قال : جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمة ولا فُجّار.

قال ابن رشيد ـ رواه مسلم في كتابه عن عبد بن حميد عن مسلم بن ابراهيم-نا حماد بن سلمة ـ ثابت ـ أنس ـ الحديث.

وقال ورفع هذا الحديث إلى النبي (ص) خطأ، والصحيح ماروى موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة :

موسى بن اسماعيل - حماد بن سلمة - ثابت - أنس قال : كان أحدهم...الحديث.

الرحلة 92/3.

133- جعل حبل المشاة بين يديه.

الرحلة 17/5 ابن ماجة مناسك 84 الدارمي مناسك 34 أخبار مكة للازرقي 109/2.

134- ورد في الرحلة خبر عن تبوك، واقتداء الناس بالنبي (ص) في تعبئة الجيش والإقامة بها، وحديث : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا، وأنه (ص) : جمع فيها بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وفيها تحقيق ابن رشيد أن اسم تبوك واقع عليها قبل قدوم النبي (ص) عليها.

الرحلة 3/5 مسلم بشرح النووي 218/5 التمهيد 340/2، 353 مسند الشافعي 307. والخصائص الكبرى 100/1.

135- الجمعة واجبة إلا على امرأة أو صبي أو عبد أو مسافر أو مريض.

الرحلة 95/3 عمدة القاري 164/5 والحديث من جزء ابن سنان القزاز.

136- جموا قواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء.

وقد أورد ابن رشد هذا الحديث في ذكر الاستعارة في القرآن والحديث والشعر.

ابن رشيد- ابن حبيش.

الرحلة 38/6 مسلم أشربة 98 (...وصبيانكم) مسلم بشرح النووي 184/13 داود جهاد 76 نسائي مواقت 45 ابن حنبل 12/2 و312/3، 362، 380، 395، غريب الهروي : الفواشي فاشية : كل شيء منتشر من المال مثل الغنم السائمة والإبل وغيرها 241/1.

ح

137- الحجـر الـذي بجهة باب النبي (ص) أمام دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بارزا هناك عن الحائط قليلا : فقد أخبر أبو حفص الميانشي قال : أخبرني كل شيخ لقيته بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلم النبي (ص).

الـرحلة 25/5 مسـلم بشـرح الـنووي 36/15 سـيرة ابن هشام 216/1 الروض الأنف للسهيلي 266/1.

138- حديـث الطفـل الذي بال في حجره عليه السلام فنضحه ولم يغسله وغسل عمر رضي الله عنه ما رآه من الاحتلام في ثوبه ونضح ما لم يره.

الرحـــلة 33/6 عمـــدة القاري 129/3 ـ 134 صحيح مسلم بشرح النووي 194/3 و201/14 التمهيد 265/1 الترمذي 35/1 ـ40 و60/2.

139- حرم رسول الله (ص) أشياء يوم خيبر ثم قال : يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلا ل استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإن ما حرم الرسول (ص) مثل ما حرم الله.

الرحلة 87/3 ابن ماجة. مقدمة 3 ترمذي علم 10 الدارمي مقدمة 30.

140- حـرم رسـول اللـه (ص) أن تؤكـل لحوم الأضاحي فوق ثلا ثة أيام قالت عائشـة : مـا فعل ذلك إلا في عام جاع فيه الناس، فأراد أن يطعم الغني الفقير وقالت : ولقد كنا نرفع الكراع خمس عشرة ليلة، وقال أبو عابس عبد الرحمن فما كان يضطركم إلى ذلك ؟ فضحكت عائشة وقالت : ما شبع آل محمد (ص) من خبز مأدوم ثلا ث ليال حتى لحق بالله عز وجل.

الـرحلة 73/3 الـبخاري أطعمـة 27، 37 مسـلم بشـرح الـنووي 130/13 المسـتدرك 221/4 ترمذي. أضاحي 14 ابن ماجة أطعمة 30 ابن حنبل 128/6، 136 والفائق 1/ (الادام اصلا ح الطعام)

141- قال عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار.

أورد ابن رشيد هذا الحديث بمناسبة مرض أبي الفضل التجاني.

الرحلة 26/7 التمهيد 350/6، 360

142- الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء.

ذكر ابن رشيد أيضا هذا الحديث بمناسبة مرض صاحبه أبي الفضل.

الرحلة 27/7 عمدة القاري 254/21 صحيح مسلم بشرح النووي 105/14 تنوير الحوالك 230/2.

143- الحيات ما سالمنا هن منذ حربنا هن، فمن ترك منهن شيئا من خيفتهن فليس منا.

الرحلة 42/3 ابن حنبل 143/6.

خ-

144- خمس من قتلهن وهو حرام فلا جناح عليه ، وهن العقرب والفأرة والكلب العقور والغراب والحدأة.

الرحلة 16/3 البخاري بدء الخلق 16 فتح الباري 355/6 عمدة القاري 15/ 196 مسلم حج 72، 76،77، 78 مسلم بشرح النووي 113/8 داود مناسك 39 النسائي مناسك 82، 86، 88 ابن ماجة. مناسك 81 الدارمي مناسك 18 الموطأ حج 88، 89 ابن حنبل 8/3، 32، 37، 48، 50، 54، 65، 77، غريب الهروي 168/2

145- خير الناس رجل يحبك بعنان فرسه في سبيل الله كُلَمَا سمع هَيْعَةً طار إليها.

الرحلة 38/6 مسلم إمارة 125 ابن ماجة فتن 13 ابن حنبل 443/2 غريب الهروي 6/1 : والهيعة الصوت الذي تفزع منه وتخافه والفائق 121/4 ومشارق 275/2 ورد هذا الحديث في صدد ذكر الاستعارة.

د-

146- دب إليكم داء الأمم قبلكم : البغضاء والحسد، وهي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر.

ورد ذكر هذا الحديث في الاستعارة.

الرحلة 35/6 ابن حنبل بغض 165/1، 167 التمهيد 120/6-121

147- دخل النبي (ص) يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء.

قال ابن رشيد لا نعلم في شيء من الحديث أنه (ص) اعتم بعمامة بيضاء مع حض الناس على البياض، ولم نر لأحد من أهل العلم تنبيها على هذا وذلك فيما نرى، والله أعلم ثم قال: إنه (ص) كان يكثر دهن رأسه بالطيب، فلو اعتم بالبياض تغير لكثرة الطيب، فلذلك عدل عن البيضاء إلى السوداء.

الرحلة 54/5 ترمذي 133/3 مسلم بشرح النووي 133/9 الشمائل المحمدية ص 56 الحديثان 109، 110 التمهيد 172/6 وانظر أيضا هذه المسألة في كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي 76/1.

148- الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو فيستجاب من دعائه.

الرحلة 7/3 ترمذي 302/1 والحديث من كتاب القربة لابن بشكوال وفتاوي ابن حجر الهيثمي 14.

149- ...سمعنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: دعاني رسول الله (ص) فأطعمني وسقاني بالأسودين التمر والماء.

ورد هذا المسلسل (أطعمني وسقاني بالأسودين التمر والماء) في ترجمة أبي محمد الخلاسي وترجمة القسطلاني.

الرحلة 61/5 و48/2 و49 مكرر

150- دع ما يَريبُك إلى مالا يَريبُك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة.

الرحلة 99/3 عمدة القاري 166/11 الأربعين حديثا النووية: حديث 11 ص 27 والحديث من كتاب التاريخ لأبي نعيم والروض الباسم 95/2.

151- عن معاوية بن الحكم أنه سأل رسول الله (ص) عن الطيرة فقال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يصدنكم، وسأله عن الكهان فقال: لا تأتوهم.

الرحلة 1/3 مكرر، وانظر عن الطيرة: المستدرك 18 والبخاري 174/7 ومسلم بشرح النووي 213/14 والتمهيد 125/6 ترمذي 184/3، 243

152- عن زيد بن ثابت عن أم العلاء، وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله (ص) : قالت : طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى حين أفرغت الأنصار على سكنى المهاجرين، فاشتكى فمرضناه حتى توفي ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله (ص) فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ... قال وما يدريك، قلت : لا أدري والله، قال أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم، قالت أم العلاء : فوا الله لا أزكي أحدا بعده قالت : ورأيت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله (ص) فذكرت ذلك له فقال : ذاك عمله يجري له.

الرحلة 5/2 عمدة القاري 155/24.

153- عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ذكر يوم الجمعة فقال : فيه ساعة لا يوافقها إنسان مسلم وهو قائم يصلي يسأل شيئا إلا أعطاه إياه، وأشار النبي (ص) بيده يقللها.

الرحلة 12/3 البخاري جمعة 37 دعوات 62 مسلم جمعة 13 مسلم بشرح النووي 131/6 عمدة القاري 21/23 و241/6 داود صلاة 1 ترمذي جمعة 6 نسائي جمعة 14 ابن ماجة إقامة 88 الدارمي صلاة 304 ابن حنبل 230/3، 255 و450/5 .453

ر-

154- الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء.

وفي ذلك أسانيد أخرى تنظر في المراجع أسفله.

الرحلة 71/3 و96/3 و25/5 و27/5 و59/5 و60/5 داود أدب 58 ترمذي بر 16.

155- رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس. وقد ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 30/6 عمدة القاري 170/22

156- في حديث أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه، ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوا الله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فأمر الله البر فجمع ما فيه ثم أمر البحر فجمع ما فيه ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم قال فغفر له.

وقد أشار ابن رشيد إلى ما فيه من الإشكال من أن الغفران شرطه الموت على الإسلام وقد شرح ذلك وناقشه.

الرحلة 24/6 البخاري توحيد 35 مسلم توبة 34 مسلم بشرح النووي 70/17 عمدة القاري 162/25 تنوير الحوالك 186/1 كتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فورك 136. والفائق 68/2.

157- عن علي رضي الله عنه أن العباس سأل النبي (ص) عن تعجيل صدقته قبل محلها فرخص له.

الرحلة 41/3

158- رفع عن أمتي الخطأ والنسيان.

الرحلة 13/6 عمدة القاري 88/13 (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم) مسلم بشرح النووي 147/2 الأربعين حديثا النووية حديث 30 ص 67 ابن ماجة طلاق 16. 20 : إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان التمهيد 89/5. والخصائص الكبرى 200.

159- عن جابر أن رسول الله (ص) ركب إلى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة.

الرحلة 17/5 مسلم بشرح النووي 173/8 داود مناسك 56 ابن ماجة منسك 84 دارمي مناسك 34.

160- عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) ركب فرسا فصرع عنه فجحش شقه الأيمن وصلى صلاة من الصلوات وهو قاعد، وصلينا وراءا قعودا، فلما انصرف قال إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائما فصلوا قياما، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع

فارفعوا، وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا :ربنا ولك الحمد، وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون.

الرحلة 28/6 البخاري تقصير 17 عمدة القاري 213/5 و81/6 وانظر بعض هذا الحديث قبل : عدد 128، 130.

161- عن أنس بن مالك قال : سافرنا مع رسول الله (ص) في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم.

الرحلة 72/3 البخاري صوم 37 الموطأ صيام 23 تنوير الحوالك 216/1 مسلم صيام 94، 96، 98، 99 مسلم بشرح النووي 234/7 داود صوم 42 نسائي صيام 59 ابن حنبل 12/3، 45، 50، 74 وانظر كذلك فتح الباري الجزء 4 والتمهيد 169/2.

162- في حديث هشيم : سمعت رسول الله (ص) مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف : سبحان ربك ...الحديث.

الرحلة 25/3 البخاري إيمان 19، توحيد 58 مسلم صلاة 320، مسافرين 203 داود أدب 103 ترمذي مواقت 79 دعوات 39 نسائي افتتاح 79 الموطأ قرآن 21 ابن حنبل 170/2، 440/3، 57/4، 6/5 35/6 وغير ذلك كثير.

163- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : سبعة يظلهم الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل إذا ذكر الله عز وجل اسمه فاضت عيناه، ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال : إني أخاف الله عز وجل، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

الرحلة 98/3 البخاري أذان 36 زكاة 13، 16 حدود 19 مسلم زكاة 91 ترمذي زهد 53 نسائي قضاء 3 الموطأ صفر 14 التمهيد 279/2 عمدة القاري 176/5 والحديث من المائة المجموعة من مسموعات أبي محمد عبد الرحمن بن شريح ومعرفة علوم الحديث 251.

164- سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية.

ابن رشيد ـ أبو عبد الله بن هارون ـ ابن الطيلسان ـ السند السابق.

ونلاحظ أن سند هذا الحديث مكون من رجال كلهم أدباء إلا ابن عياش.

الرحلة 54/7 التمهيد 36/3 ابن حنبل 153/3 (إن النبي (ص) كان يعجبه الفاغية) والفائق 382/3

والفاغية : الحناء.

ص-

165- سئل سهل بن سعد الساعدي عن منبر رسول الله (ص) قال : ما بقي أحد أعلم به مني، وهو من أثل الغابة، ولقد رأيت رسول الله (ص) صعد عليه فاستقبل القبلة ثم قرأ ثم ركع ثم نزل القهقري ثم سجد.

الرحلة 93/3، 94 مسلم بشرح النووي 35/5.

166- إن النبي (ص) صلى على المنبر (الحديث).

هذا الحديث يبين مقدار ما يكون بين المصلى وسترته. (انظر حديث كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار قدر ممر الشاة الحديث عدد 192).

167- صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

الرحلة 72/3 البخاري أذان 30 مسلم مساجد 248 نسائي إقامة 42 موطأ جماعة 1 ابن حنبل 65/2، 112 وغير ذلك 55/3 و48/6 المستدرك 277 عمدة القاري 150 التمهيد 218/4 و316/6.

168- قال رسول الله (ص) : صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة.

والضمير في فيه يعود على المسجد النبوي الشريف.

الرحلة 6/5 البخاري مسجد مكة 1 مسلم حج 505. 510 ترمذي مواقيت 130 مناقب 67 النسائي مساجد 4، 7 مناسك 164 ابن ماجة إقامة 195، 198 الموطأ قبلة ابن حنبل 5/4 التمهيد 17/6 مسلم بشرح النووي 163/9.

169- عن أنس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

الرحلة 51/3 الترمذي مناقب 60 ابن حنبل 331/1 و250/3، 260 292/6 298، 304.

170- من حديث محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أن رسول الله (ص) صلى في مسجد ينبع.

جاء هذا الحديث في الرحلة عند الكلام على : ينبع والينبوع.

الرحلة 57/5.

171- عن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله (ص) الظهر بالمدينة أربعا وصليت العصر معه بذي الحليفة ركعتين.

الرحلة 72/3 ترمذي صلاة 34 وجمعة 43 والحديث من عوالي مسند الشافعي.

172- الصوم جنة

الرحلة 32/6 البخاري صوم 3 توحيد 35 مسلم صيام 162، 163 داود صوم 35 ترمذي إيمان 8 جمعة 75 النسائي صيام 43 ابن ماجة صيام 42، 43 زهد 33 فتن 12 ابن مسدي صوم37، 50 الموطأ صيام 57 ابن حنبل 321/3 23/4 231/5 والحديث من المجالس العونية انتقاء أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله الشبيبي.

ض-

173- عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ص) ضحى بكبشين أملحين.

الرحلة 72/3 البخاري حج 27، 117، 118 أضاحي 7، 8، 13، 14 توحيد 13 مسلم أضاحي 17، 18 مسلم بشرح النووي 120/13 عمدة القاري 305/6 داود أضاحي 4 ترمذي أضاحي 2، 3 نسائي عقيقة 4 ضحايا 14، 28، 29، 31 ابن ماجة

أضاحي 1، 4 دارمي أضاحي 1، 6 ابن حنبل 148/1، 150 و3/ ، 101 وغير ذلك 196/5 والفائق 362/3.

ط-

174- طبقات أمتي خمس طبقات، كل طبقة منها أربعون سنة فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان، والذين يلونهم إلى الثمانين وأهل البر والتقوي والذين يلونهم إلى العشرين وأهل التراحم والتواصل والذين يلونهم إلى الستين ومائة أهل التقاطع والتدابر والذين يلونهم إلى المائتين أهل الهرج والحروب.

الرحلة 52/5 ابن ماجة فتن 28 غريب الهروي 77/4 (الحرج : الاختلاط والقتل).

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

175- سأل أبو ذر رضي الله عنه النبي (ص) قال : أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت.

الرحلة 37/6 مسلم مسافرين 164، 165 ترمذي صلاة 167 نسائي زكاة 48 ابن ماجة إقامة 200 ابن حنبل 302/3، 381، 412.

ظ-

176- الظلم ظلمات يوم القيامة.

ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 39/6 البخاري 168/3 المستدرك 11/1 عمدة القاري 292/12 الترمذي 83.

ع-

177- العلماء ورثة الأنبياء.

الرحلة 38/6 عمدة القاري 39/2 والحديث من كتاب الوصية لسالك طريق الصوفية لأبي الحسن الحرالي.

غ-

178- غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله.

الرحـــــلة 16/3 و118/6 البخاري الاستسقاء 33/2 و220/4 عمدة القاري 31/16 فـتح الـباري 542/6 المسـتدرك 81/4 مسلم بشرح النووي 31/16، 72-73 والحديـث مـن جـزء أبـي صـالح ابـن زنبور، وقد أورده ابن رشيد بمناسبة ذكر التجنيس والاشتقاق والاشتراك.

ف-

179- عن عبد الله بن أبي أوفى قال : والله إنا لَجُلُوسٌ عند رسول الله (ص) إذ جاء أعرابي فقال : يا رسول الله : أهلكني الشبق والجوع، فقال رسول الله (ص) : يـا أعرابي الشبق والجوع قال هو ذاك، قال فاذهب بأول امرأة تلقاها ليس لها زوج فهي امرأتك. قال الأعرابي : فدخلت نخل بني النجار فإذا جارية تحترف في زنبيل فقلت لها : يا ذات الزنبيل، هل لك زوج قالت : لا، قلت انزلي فقد زوجنيك رسول الله (ص)، قال فنزلـت فانطلقت معها إلى منزلها فقالت لأبيها : إن هذا الأعرابي أتانا وأنا أحترف في الزنبـيل، فسـألني هـل لـك زوج فقلـت : لا، فقال انزلي فقد زوجنيك رسول الله (ص) فخرج أبو الجارية إلى الأعرابي فقال له الأعرابي : ما ذات الزنبيل منك ؟ قال : ابنتي، قـال هـل لها زوج قال لا، قال : فقد زوجنيها رسول الله، فانطلق والجارية وأبو الجارية إلـى رسـول اللـه (ص) فأخبره فقال له رسول الله (ص) : هل لها زوج قال : لا قال : اذهـب فأحسـن جهازهـا ثم ابعث بها إليه، فانطلق أبو الجارية فجهز ابنته وأحسن القيام علـيها ثـم بعـث معها بتمر ولبن فجاءت إلى بيت الأعرابي، وانصرف الأعرابي إلى بيته فـرأى جاريـة مصـنعة ورأى تمرا ولبنا فقام إلى الصلاة، فلما طلع الفجر غدا إلى رسول الله (ص) فأخبره، وغدا أبو الجارية على ابنته فقالت : ما قربنا ولا قرب تمرنا ولا لبننا، قـال فـانطلق أبـو الجارية إلى رسول الله (ص) فأخبره فدعا الأعرابي، فقال يا أعربي ما مـنعك مـن أن يكـون ألممت بأهلك قال يا رسول الله انصرفت من عندك ودخلت المنزل فإذا جارية مصنعة ورأيت تمرا ولبنا فكان يجب لله علي أن أحيي ليلتي إلى الصبح فقال يا أعرابي اذهب فألم بأهلك.

جرح وتعديل : عبد الرحمن (عبد الرحيم بن هارون) فائد بن أبي أوفى.

الرحلة 25/3 والحديث من مسند عبد بن حميد.

180- عن قتادة عن أنس قال : كان فزع بالمدينة فاستعار النبي (ص) فرسا لنا يقال له مندوب، فركب فلما رجع قال : ما رأينا من شيء إنا وجدناه لبحرا.

الرحلة 117/3 عمدة القاري 130/13 (... فرسا أبي طلحة يقال له المندوب...) مسلم بشرح النووي 67/15، 68.

181- عن أنس أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها فأتوا النبي (ص) فأمر بالقصاص.

انظر حديث 320 من هذا البحث : قصة الربيع والأمر بالقصاص.

الرحلة 47/3 مسلم بشرح النووي 162/11-163 والحديث من ثلاثيات البخاري.

182- كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال : فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم.

الرحلة 34/5 البخاري 181/2 عمدة القاري 277/8 (... ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح قال : من هذا ؟ قال جبريل) التمهيد 132/4 صحيح مسلم بشرح النووي 216/2 والخصائص الكبرى 150/1.

183- عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) فرض زكاة الفطر على الناس من رمضان صاعا من تمر وصاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكرا وأنثى من المسلمين.

الرحلة 60/3 و11/6 البخاري 154 عمدة القاري 233/3 مسلم بشرح النووي 58/7 داود زكاة ترمذي زكاة نسائي عيدين 23 زكاة 30، 34 ابن ماجة زكاة 31 ابن مسدي زكاة 37 الموطأ زكاة ابن حنبل 351/1 و55/2

184- الفطرة خمس : الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب تقليم الأظفار ونتف الإبط.

الرحلة 64/5 البخاري لباس 51، 63 عمدة القاري 44/22-45 و271/22 مسلم طهارة 40، 50 صحيح مسلم بشرح النووي 146/3 مسند ابن عمر 80 داود

تـرجل 16 تـرمذي 183/4 نسـائي طهـارة8، 10 زيـنة 55/1 ابن ماجة طهارة باب 8 حديث 992 ص 107 الموطأ صفة النبي 3 ابن حنبل 220/2 وغيره غريب الهروي 36

ق-

185- عن أبي هريرة أن النبي (ص) قضى باليمين مع الشاهد.

الـرحلة 12/3 مسـلم أقضـية 3 داود أقضية 21 ترمذي 399/2 ابن ماجة باب 31 ص 793 أحاديـث 2368-2373 موطـأ أقضـية 5، 6، 7 ابن حنبل 315/1 /3 305 تمهيد 134/2. ومعرفة علو الحديث 252.

186- عـن معـاذ بـن عـبد اللـه بن خبيب عن أبيه قال : خرجنا في ليلة مطيرة مظلمة شديدة نطلب رسول الله (ص) ليصلي بنا، قال فأدركته فقال : قل، فلم أقل شيئا، ثـم قـال : قل، فلم أقل شيئا، قال قلت يا رسول الله، وما أقول. قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شر.

الـرحـــلة 27/3 تـرمـــــذي 266/3 وانظر شيئا من معناه في عمدة القاري 34/20-35.

جرح وتعديل معاذ بن عبد الله بن خبيب.

ك-

187- عـن أنـس بـن مـالك قـال : كـان رسول الله (ص) أجمل الناس وجها وأجودهم كفا وأشجعهم قلبا وأسمحهم، وفزع أهل المدينة فخرج على فرس لأبي طلحة عريا وقال : لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا ثم قال : إني وجدته لبَحْرًا.

الـرحلة 17/3 الـبخاري جهـاد 82، 117 مسلم فضائل 48 ترمذي جهاد 15 ابـن حنبل 147/3، 185، 261 التمهيد 136/6 (ثم رجع وهو يقول : لن تراعوا لن تراعوا ...إنا وجدناه لبحرا).

188- عـن ابـن عمـر أن رسـول اللـه (ص) قـال : المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار.

قال الشافعي : فابن عمر الذي سمعه من النبي (ص) كان إذا ابتاع الشيء يعجبه أَنْ يَجِبَ لَهُ، فَارقَ صَاحبه فمشى قليلا ثم رجع.

الرحلة 72/3-73 عمدة القاري 225/11، 221 المستدرك 16/2 تنوير الحوالك 79/2 ترمذي 356/2 مسند الشافعي 219، والحديث من مسند الشافعي.

189- عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان بالمدينة مقعد فقال لأهله: ضعوني على طريق رسول الله (ص) إلى مسجده، قال : فوضع على طريق رسول الله (ص)، قال فكان رسول الله (ص) إذا اختلف إلى المسجد يسلم على المقعد فجاء أهل المقعد ليردوه إلى أهله فقال : والله لا أبرح هذا المكان ما عاش رسول الله (ص) فابنوا لي خصا، قال فبنوا له خصا، فكان المقعد فيه كلما مر رسول الله (ص) إلى المسجد دخل الخص وسلم، وكلما أصاب رسول الله (ص) طرفة من طعام بعث به إلى المقعد، قال فبينما نحن مع رسول الله (ص) إذ أتاه آت فنعى له المقعد فنهض رسول الله (ص) ونهضنا معه حتى إذا دنا من الخص فإذا جبريل عليه السلام قاعد عند رأس المقعد، فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله أما إنك لو لم تأتنا لكفيناك أمره، فأما إذا جئت فأنت أولى به، فقال رسول الله (ص) : فغسله بيده وكفنه وصلى عليه وأدخله القبر.

جرح وتعديل : جابر هو محمد بن عبد الملك، وجرح وتعديل : فائد ابن أبي أوفى.

الرحلة 25/3 والحديث من مسند عبد بن حميد.

190- عن عمر بن الخطاب قال : كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوما فسكتنا ساعة فَسُرِيَ عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا توثر علينا وأرضنا وارض عنا، ثم قال : قد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون ...) حتى ختم عشر آيات.

الرحلة 52/3 و27/3 (كدوي النحل) البخاري ، عمدة القاري 36/1 (حديث كيف يأتيك الوحي) مسلم حج 6، 8 داود جهاد 19 النسائي حج 39 ابن حنبل 312/1 و165/4.

191- قال علي بن عبد الله وهو ابن المديني : سألني أحمد ابن حنبل عن هذا الحديث : سئل سهل بن سعد الساعدي عن منبر رسول الله (ص) فقال : ما بقي أحد أعلم به مني وهو من أثل الغابة، ولقد رأيت رسول الله (ص) صعد فاستقبل القبلة ثم قرأ ثم ركع ثم نزل القهقرى ثم سجد.

قال فإنما أردت أن النبي (ص) كان أعلى من الناس، فلا بأس أن يكون الإمام أعلى من الناس.

الرحلة 94/3 البخاري صلاة 18 ابن ماجة 199 إقامة ابن حنبل 32/5

192- كان بين مصلى رسول الله (ص) وبين الجدار ممر الشاة.

193- كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة أن تجوزها.

وقد ذكر هذان الحديثان في الرحلة في معرض مسألة الإغماض في تراجم كتاب البخاري.

الرحلة 94/3 البخاري صلاة 91، 97 حج 53 عمدة القاري 280/4 مسلم صلاة 362 صحيح مسلم بشرح النووي 225/4 ابن حنبل 13/6.

194- كان خاتم رسول الله (ص) من ورق وكان فصه حبشيا.

الرحلة 26/6 البخاري 201/7 عمدة القاري 34/12 مسلم لباس 62 ترمذي 140/3 ابن ماجة لباس 39، 40 النسائي زينة 47 ترمذي لباس 14 داود خاتم 1 ابن حنبل 225/3.

195- كان سلاح رسول الله (ص) ذا الفقار، وكان سيف أصابه يوم بدر.

وفي صدد ذكر هذا الحديث ذكر مآثر أسيافه (ص)، وكانت ثمانية أحدها ورثه النبي (ص) عن أبيه، وأعطاه سعد بن عبادة سيفا فقال له العَضْب، وأصاب من سلاح بني قينقاع سيفا اسمه الصمصامة، وكان له البتار واللحيف والمخذم والرسوب وذو الفقار.

وذكر ابن سيد الناس اليعمري أن السيف الذي ورثه من أبيه اسمه مأثور وأنه كان عنده أيضا سيف اسمه القضيب.

الرحلة 73/6 عيون الأثر لابن سيد الناس 318/2.

196- عن ابن عباس قال كان للنبي (ص) سيف محلى قائمه من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة، وكان يسمى ذا الفقار.

الرحلة 73/6.

197- بزق رسول الله (ص) في ثوبه وحك بعضه ببعض .

الرحلة 51/5 سنن أبي داود 106/1 حديث 339

198- عن معاذ بن جبل أخبر : أنهم خرجوا مع رسول الله (ص) إلى تبوك، فكان رسول الله (ص) يجمع بين الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا ثم قال : إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك.

الرحلة 3/5 مسند الشافعي 387 وانظر جمع المغرب والعشاء مسند عبد الله ابن عمر ص 60.

199- كان الطواف بالكعبة على الشمال، والسنة في العبادات التيمن. وكان رسول الله (ص) يحب التيمن في شأنه كله.

الرحلة 54/5 مكرر البخاري وضوء 35 لباس 73 أطعمة 5.

200- عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حن الجذع.

الرحلة 92/3 البخاري مناقب 25 عمدة القاري 127/16 ابن ماجة إقامة 199 دارمي مقدمة6 صلاة 202 والروض الباسم 54/2 وفتاوي ابن حجر الهيثمي 272

201- عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يستلم الركن اليماني والأسود في كل طرفه، ولا يستلم الركنين الذين يليان الحجر.

الرحلة 23/5 البخاري 185/2 عمدة القاري 240/9، 258 مسلم بشرح النووي 14/9 ابن حنبل 3/1، 114 مسلم حج 344 أخبار مكة للازرقي 335، 336 ذكر هذا الحديث أبو نصر الصباغ في كتابه الشامل.

202- عن عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله (ص) يسلم عن يمينه ويساره حتى يرى بياض خديه، وكان يقول السلام عليكم ورحمة الله، عن يمينه ثم يعيد عن يساره.

الرحلة 83/3 مسند الشافعي 43 (يرى خداه) مسلم بشرح النووي 82/5 داود صلاة 164، 168، 180 نسائي تطبيق 83 سهو 68، 70، 71 ابن ماجة إقامة 38 ابن مسدي صلاة 87 ابن حنبل 172/1، 181، 386 وغير ذلك، و193/4 والحديث من فوائد ابن بشران.

203- عن أسامة بن زيد أنه سئل عن سير رسول الله (ص) في حجة الوداع، فقال كان يسير العَنَق، فإذا رأى فجوة نص. والنص فوق العنق.

الرحلة 106/3 ابن ماجة مناسك 58. والفائق 382/3.

204- عن أنس بن مالك يقول : كان رسول الله (ص) يصلي الجمعة إذا زالت الشمس.

الرحلة 22/3 والحديث من الفوائد المدنية لابن شريح

205- قدم عمر رضي الله عنه على عبد الله بن السعدي، أو لقيه فقال :ألم أخبرك بأنك تلي أعمالا من أعمال المسلمين لا تأخذ عليها شيئا، فقال : أجل إني أعف عن ذلك، قال ولم، قال : لي أفراس وأعبد وأريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين، قال لا تفعل، فإن رسول الله (ص) كان يعطي العطاء فأقول أعط من هو أحوج إليه مني، وأنه أعطاني عطاء مرة ومالا فقلت أعطه من هو أحوج إليه فقال لي : ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس فخذه فتموله أو تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك.

الرحلة 32/3 مسلم بشرح النووي 136/7 والحديث من حديث بشر بن مطر.

206- عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : أشهد على أبي يحدثني أن رسول الله (ص) كان يقول القول ثم يلبث أحيانا ثم ينسخه كما ينسخ القرآن بعضه بعضا.

الرحلة 87/3 مسلم حيض 82 وانظر هذا الحديث في كتاب الاعتبار للحازمي ص 25 (ثم ينسخه بقول آخر...)

207- إنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن رأسه بالطيب.

وقد علق ابن رشيد على هذا الحديث بقوله : لو اعتم (ص) بالبياض تغير لكثرة الطيب، فلذلك عدل عن البيضاء إلى السوداء.

انظر سند (دخوله (ص) يوم فتح مكة إليها في حرف الدال)

الرحلة 54/5 وانظر الحاوي للفتاوي وتفصيل القول في هذه المسألة 76/1

208- سئل أبو عبد الرحمن يعني النسائي عن اللحن : أيوجد في الحديث ؟ فقال : إن كان شيئا تقوله العرب، وإن كان في غير لغة قريش فلا يعتبر، لأن النبي (ص) كان يكلم الناس بلسانهم، وإن كان مالا يوجد من كلام العرب فرسول الله (ص) لا يلحن.

الرحلة 28/6.

209- عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) ينفث على نفسه بالمعوذات، قال فسألت الزهري كيف كان ينفث على نفسه فقال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه، قالت فلما ثقل جعلت أنفث عليه بهن فأمسحه بيد نفسه.

الرحلة 27/3 البخاري طب 39 دعوات 11 مسلم بشرح النووي 102/14 ابن ماجة دعاء 15 والحديث من مسند عبد بن حميد.

210- عن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك وهما عائدان من منى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله (ص) قال : كان يهل المهل منا فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر منا فلا ينكر عليه.

الرحلة 72/3 البخاري حج 86 مسلم حج 274 مسلم بشرح النووي 30/9 الموطأ حج 43 ابن حنبل 110/3، 240 مسند الشافعي 229.

211- عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع.

ابن رشيد- ابن عساكر- جده ابن هبة الله- أبو القاسم بن هبة الله- اسماعيل بن أبي صالح- والده أبو صالح المؤدن- علي بن محمد الحافظ- محمد بن يعقوب الأصم- محمد بن عوف- أبو المغيرة-...الزهري- أبو سلمة- أبو هريرة- النبي (ص).

الرحلة 48/5 ابن ماجة نكاح 10 ابن حنبل 359/2 والحديث من كتاب الأربعين لأبي سعد بن أبي صالح.

212- كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم.

الرحلة 7/3 وانظر حديث ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب وحديث الدعاء كله محجوب ...وهذا الحديث من كتاب القربة لابن بشكوال.

213- عن عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله (ص) كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز.

الرحلة 29/5 مسلم قدر 18 موطأ قدر 4 ابن حنبل 11/2 مسلم بشرح النووي 204/16 تنوير الحوالك 208/2 غريب الحديث للهروي 456/1 (كيس : كايس كست أكيس منه : أي القدرة والحديث من موطأ مالك).

214- كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر.

الرحلة 64/5 داود جهاد 15 ترمذي فضائل الجهاد 2 دارمي جهاد 32 ابن حنبل 146/4 و20/6 والحديث من كتاب الأربعين المروية بالأسانيد المصرية.

215- الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين

الرحلة 3/3 البخاري سورة 3، 4، 7 طب 30 مسلم أشربه 158، 159 فتح الباري 163/10 عمدة القاري 240/18 مسلم بشرح النووي 3/14 التمهيد 274/5 الترمذي طب 22 و270/3 ابن ماجة طب 8 ابن حنبل 187/1 و1/2، 30، 305 و3/ 40 وغريب الهروي 173/2. ومعرفة علوم 253.

216- قالت عائشة رضي الله عنها : كنت أرى رسم المسك في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم.

الرحلة 103/3 عمدة القاري 74/4 مسلم بشرح النووي 100/8، 102 (ويبض الطيب ...) والحديث من جزء أبي العباس الأصم.

217- عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغتسل معه (ص) من الإناء الواحد.

الرحلة 3/3 البخاري 72/1 عمدة القاري 208/3 مسلم بشرح النووي 206/3 و5/4 نسائي طهارة 145 وغسل 8.

218- عن جابر بن عبد الله قال : كنا إذا هبطنا سبحنا وإذا علونا كبرنا.

الرحلة 22/2 البخاري جهاد 132، 133 داود جهاد 73 دارمي استئذان 43 ابن حنبل 333/3.

219- عن سلمة بن الأكوع قال : كنا نصلي مع النبي (ص) المغرب إذا توارت بالحجاب.

الرحلة 57/6 و8/5-9 البخاري مواقت 18 مسلم مساجد 216 مسلم بشرح النووي 136/6 ابن ماجة صلاة 7 ابن حنبل 54/4 ترمذي مواقيت 8 عمدة القاري 61/18. والحديث من ثلاثيات البخاري.

220- حديث الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف.

وذلك في قصة عبد الله بن أبي والصلاة على المنافقين.

الرحلة 22/6 البخاري جنائز 33 فتح الباري الجنائز 138/3 عمدة القاري 8/ 53 مسلم بشرح النووي 167/15 والحديث من أصل أبي ذر الهروي.

ل-

221- عن قيس عن أبيه قال : سأل رجل النبي (ص) وأنا أسمع عن الرجل يمس ذكره وهو في الصلاة أيتوضأ ؟ قال : لا إنما هو كبعض جسده.

الرحلة 19/3 مكرر. وفي صحيح ابن خزيمة 22/1، 38 استحباب الوضوء من مس الذكر ومعرفة علوم 253

222- عن معاوية بن الحكم أنه سأل رسول الله (ص) عن الكهان فقال لا تأتوهم.

الرحلة 19/3 مكرر مسلم بشرح النووي 223/14.

223- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن أباه أخبره أنه مرض عام الفتح مرضا أشفى منه على الموت، فأتاه النبي (ص) يعوده وهو بمكة فقال يا رسول الله : إن لي مالا كثيرا وليس يرثني إلا ابنتي فأتصدق بثلثي مالي قال : لا، قال : فبالشطر قال : لا، قال: فبالثلث، قال فالثلث، والثلث كثير، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس.

الرحلة 52/3 والفائق 244/2 ومشارق 346/1

224- أخبرنا يحيى بن يحى قال : قرأت على مالك عن نافع عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال : لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبا بناجز.

الرحلة 70/5 البخاري 97/3 فتح الباري 379/4 عمدة القاري 293/11/ 297 مسلم بشرح النووي 9/11 التمهيد 283/6، 287_288. (تشفوا : تفضلوا)

225- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : كنا مع النبي (ص) في سفر، قال فنزلنا منزلا فيه قرية نمل فأحرقناها، فقال لنا رسول الله (ص) : لا تعذبوا بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا ربها، ومررنا بالشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما، قال فجاءت الحمرة إلى النبي (ص) وهي تعرض، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ قال فقلنا : نحن، قال : ردوهما، فرددناهما إلى موضعهما.

الرحلة 3/ 4 التمهيد 317/5 فتح الباري 149/6 (لا تعذب بعذاب الله) داود جهاد 112 وانظر تحريم قتل النمل في صحيح مسلم بشرح النووي 238/14 239 سنن الدار قطني (لا تعذبوا بعذاب الله) ج3 ص 108 حديث 90.

226- عن أبي هريرة يقول : سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء.

الـرحلة 122/3 ابن حنبل 442/2 غريب الهروي 225/4 : جماء إذا لم تكن ذات قرن والحديث من جزء ابن عرفة والفائق 234/1.

227- عـن الزهـري عـن سـالم عـن أبيه قال : قال النبي (ص) : لا حد إلا في إثنين : رجل أتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به أناء الليل وأناء النهار، ورجل أتاه الله مالا فهو ينفقه أناء الليل وأناء النهار.

الرحلة 68/3-69 المستدرك 348/4 والحديث من جزء ابن حرب الطائي.

228- عن أنس قال : (مرة رفعه ومرة لم يرفعه)

لا شفعة لنصراني.

الرحلة 85/3 والحديث من جزء محمد بن سنان.

229- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله (ص) قال : لا قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنية، ولا نية إلا بإضافة السنة.

الرحلة 104/3 والحديث من جزء أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي.

230- عـن أنـس بـن مالك قال : لما وجد رسول الله (ص) من كرب الموت ما وجـد قالت فاطمة : واكرب أباه، فقال النبي (ص) : لا كرب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحدا، الموافاة يوم القيامة.

الـرحلة 111/3 الـبخاري مغـازي 83 ابن ماجة جنائز 65 ابن حنبل 141/3 الشـمائل المحمديـة (واكـرباه...) حديث 379 ص 211 عمدة القاري 74/18 واكرب أباه... ليس على أبيك كرب بعد اليوم.

لا تحل الصدقة لغني.

231- عـن أنـس قال : قال رسول الله (ص) : لاهجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام، وقال ثلاث ليال.

الرحلة 33/3 ابن حنبل 68/2 والحديث من جزء محمد الانصاري.

232- عـن عبد الله بن عباس قال : دخلت أنا وخالد بن ألوليد ابن المغيرة مع رسول الله (ص) بيت ميمونة بنت الحارث فأتى بضب محنوذ، فأهوى إليه رسول الله (ص)

بـيده فقـال بعـض النسـوة اللاتـي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله (ص) بما يريد أن يـأكل، فـرفع رسـول اللـه (ص) يـده، قال فقلت : أحرام هو يا رسول الله ؟ قال : لا، ولكـنه لم يكـن بـأرض قومي. قال خالد بن الوليد : فاجتررته فأكلته، ورسول الله (ص) ينظر.

الرحلة 41/2 البخاري أطعمة 10 فتح الباري 662/8 عمدة القاري 136/21 مسلم بشرح النووي 87/13-88 ترمذي 161/3 ابن حنبل 188/6 التمهيد 156/1.

233- لا يحـل لمسـلم أن يهجـر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا أو يعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

الرحلة 34/6 عمدة القاري 265/13 و141/22 ابن حنبل 68/2 التمهيد 6/ 127 مسلم بشرح النووي 117/16.

234- لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار.

الـرحلة 6/5 عمدة القاري 223/14 مسلم بشرح النووي 50/16 ومعرفة علوم 216.

235- لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر.

الـرحلة 41/3 الـبخاري 184/8 المسـتدرك 345/4-346 (لا يرث المسلم...) مسـند الشـافعي 235 عمـدة القاري 260/23 (لا يرث المسلم...)التمهيد 69/3، 5/ 320 سنن الدار قطني 69/4، 74 (لا يرث الكافر...) (لا يرث المسلم النصراني).

236- لا يرد الله ما بين الآذان والإقامة.

الـرحلة 70/6 ترمذي صلاة 44 أو 137/1 ابن حنبل 118/3، 155 ومعرفة علوم 253.

237- لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر.

الـرحلة 72/3 عمدة القاري 66/11-67 صحيح مسلم بشرح النووي 207/5-210 ترمذي 103/2.

238- لا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر.

الرحلة 28/6-29 البخاري 51/3 عمدة القاري 202/22 المستدرك 453/2 مسلم بشرح النووي 15/2-3 مشكل الحديث لأبي بكر بن فورك 123 تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة 222.

239- عن عائشة رضي الله عنها أرادت أن تشتري جارية تعتقها فقال أهلها نبيعكها على أن ولاءها لنا، فذكرت عائشة لرسول الله (ص) فقال : لا يمنعك ذلك، فإن الولاء لمن أعتق.

الرحلة 39/3 و60/5 البخاري صلاة 7***30 أطعمة 31 الخ. فتح الباري 9 /410 مسند الشافعي 204 مسلم عتق 5، 6 الخ مسلم بشرح النووي 139/10 داود فرائض 12 ترمذي فرائض 20 نسائي زكاة 99 طلاق 29 ابن ماجة طلاق 29 دارمي طلاق 15 الموطأ طلاق 25 ابن حنبل 281/1 و28/2 و33/6، والحديث من مسند ابن حنبل.

240- عن أم حبيبة زوج النبي (ص) قالت : يا رسول الله : المرأة يكون لها زوجان في الدنيا ثم يموتان جميعا فيجتمعان في الجنة لأيهما تكون ؟ للأول أم للآخر ؟ قال : لأحسنهما خلقا، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة.

الرحلة 35/3 والحديث من جزء منتقى من حديث أبي بكر بن سليمان وروضة المحبين لإبن قيم الجوزية ص 1973 ص 242.

241- قالت بنت ثابت بن قيس بن شماس : لما أنزل الله تعالى :"يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي"الآية، دخل أبي بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي، ففقده رسول الله (ص) فأرسل إليه فسأله ما خبره فقال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير.

الرحلة 67/3 البخاري مناقب 25 عمدة القاري 145/16 والحديث من الأربعين للثقفي الخصائص الكبرى 272/2.

242- لعن الله الواصلة والمستوصلة.

قال ابن رشيد : هكذا وقع هذا الحديث : عن أسماء بنت أبي بكر أن أسماء جاءت إلى رسول الله (ص) فقالت أسماء : قال رسول الله الحديث.

وقوله فيه أن أسماء جاءت إلى رسول الله (ص)، والمعروف فيه أن امرأة جاءت، وإنما أسماء راوية القصة لا صاحبة السؤال، والله أعلم.

الرحلة 103/3 البخاري لباس 83 مسلم لباس 115 صحيح مسلم بشرح النووي 14/102-103 داود ترجل 5 ترمذي لباس 193/4 نسائي زينة 22 ابن ماجة نكاح 52 ابن حنبل 21/2 و25/5 و111/6 وغير ذلك.

243- لقد بأي هذا ذعرا.

(انظر حديث ويل أمه مسعر حرب) بعد (حديث 323) الرحلة 33/3

244- لكل نبي حواري وحواري الزبير

الرحلة 43/3 البخاري جهاد 40 عمدة القاري 223/16 مسلم بشرح النووي 188/15 ابن ماجة مقدمة 11 ابن حنبل 89/1 و307/3 ترمذي 510/5 الإصابة 546/1 ومشارق ى215/1 (حور)

245- لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

الرحلة /34 وعمدة القاري 276/22

246- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (ص) لما جاء مكة دخلها من أعلاها وخرج من أسفلها.

الرحلة 34/3 مسلم بشرح النووي (دخل مكة من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى) والحكم في ذلك 9/3-4 فتح الباري 436/3 ترمذي 172/2 والحديث من الأجزاء الخمسة من الفوائد المنتخبة لأبي بكر بن الخطيب.

247- عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي قال : لما نحر رسول الله (ص) بُدَنَةَ، فنحر ثلاثين بيده وأمرني فنحرت سائرها.

الرحلة 38/3 ابن حنبل 260/1 مسلم بشرح النووي 67/9 ترمذي 194/2 تنوير الحوالك 321/1 غريب الحديث لابن قتيبة 219/1 : البدنة الناقة سميت بدنة بالعظم إما لسمنها وإما لسنها لأنه لا يجوز أن يساق منها الصغار.

248- لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا.

الرحلة 66/5 المستدرك 318/4 ابن ماجة زهد 14.

249- لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.

الرحلة 40/2 البخاري كسوف 3 رقاق 37 صلاة 112 فتح الباري 318/11 عمدة القاري 77/23 النسائي سهو 102 مسلم 150/4 ترمذي زهد 333/3 موطأ كسوف ابن حنبل 357/3 والحديث من حديث أنس.

250- لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى دخل عليه فأخرجه.

عن أنس قال: كان رسول الله (ص) جالسا على حجر في حائط فقال النبي (ص) الحديث... فأنزل الله تعالى: "فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا".

الرحلة 99/3 عمدة القاري 301/10 الجامع للقرطبي 107/10 البحر المحيط لابن حيان 488/8.

251- ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة.

الرحلة 28/6 مسلم زكاة 9 مسلم بشرح النووي 55/7 داود زكاة 11 نسائي زكاة 16 ابن ماجة زكاة 15 دارمي زكاة 10 موطأ زكاة 37 ابن حنبل 243/3 وغيرها تنوير الحوالك 206/1 والحديث من ملخص القابسي.

252- ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالعائد في قيئه.

الرحلة 37/6 و76/3 فتح الباري 187/5 عمدة القاري 125/13 و121/24 ترمذي 299/3 مسلم بشرح النووي 64/11 التمهيد 261/3.

- م -

253- ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به.

الرحلة 96/3 و100/3 البخاري توحيد 32 عمدة القاري 154/25 وانظر معناه ص 193 مسلم 75/2 مسافرون 332 داود وتر 75/2 حديث 1473 داود وتر

20 ترمذي ثواب القرآن 17 نسائي افتتاح 83 ابن مسدي صلاة 171 ابن حنبل 3/ 271، ومعرفة علوم 253 وفضائل القرآن 96،95.

254- ما بين بيتي وقبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي.

الرحلة 6/5 و14/5 فتح الباري 63/3 مسلم بشرح النووي *161/ ابن حنبل 336/2 و389/3 تمهيد 285/2، 291 والحديث من ثلاثيات البخاري.

255- ما دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد وعلى آله، فإذا صلى على النبي (ص) إنخرق الحجاب واستجيب الدعاء.

الرحلة 7/3 و98/3 والكتاب من المائة الشريحية، وانظر بعض فوائد هذا الحديث في كتاب جلاء الأفهام لإبن قيم الجوزية وفي ص 13 منه خاصة وكتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ السخاوي ط 2 1397 المدينة المنورة، ص 223-224 خاصة.

256- عن محمد بن كليب أن رسول الله (ص) جاء في غزوة تبوك وهم يبوكون، حسبها بفرح فقال : ما زلتم تبوكونها بعد.

ومعنة تبوكون : تدخلون فيه السم وتحركونه ليخرج ماؤه (من معجم البكري).

الرحلة 3/5 عمدة القاري 44/18-45 (باب غزوة تبوك) والفائقة 132/1 135.

257- ما شبع آل محمد (ص) من خبز مأدوم ثلاث ليال حتى لحق بالله عز وجل.

انظر سند (حرم رسول الله (ص) أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام)

الرحلة 79/3.

258- ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

الرحلة 7/5 مسلم بشرح النووي 149/15 ابن حنبل 1/ 4 والحديث من جزء أبي الحسين بن العالي.

259- ما في أيام أحب إليه العمل فيها أو أفضل من أيام العشر، يا رسول الله ولا الجهـاد في سبيل الله، قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ثم لم يرجع من ذلك بشيء.

الـرحلة ن25/5 البخاري توحيد ابن حنبل 234/1 ترمذي صوم 51 ابن ماجة صيام 30 داود 2 ص 325 حديث 2438.

260- مـالك مـن مـالك إلا مـا أكلـت فأفنيـت أو لبسـت فأبليـت وأعطيـت، فأمْضَيْتَ وما بقي فهو لك.

الرحلة 78/3 ترمذي زهد 31 تفسير سورة 102 ابن حنبل 24/4، 26

261- مـا من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد (ص)، فإن فعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإن لم يفعل رجع ذلك الدعاء.

الرحلة 7/3

262- مـا مـن مسـلم يغـرس غرسـا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان لديه صدقة.

الـرحلة 57/6 الـبخاري أدب 27 حرث 1 مسلم مساقاة 7 مسلم بشرح النووي 215/10 ترمذي أحكام 40 ابن حنبل 147/3 و420/6.

263- المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يفترقا.

الـرحلة 72/3 الـبخاري 83/3 فـتح الـباري 328/4 عمـدة القاري 227/11 مسلم بيوع 5، 4 ابن ماجة تجارات 17.

264- مـثلي ومـثل الأنبـياء قـبلي كمـثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضـع لبـنة زاويـة مـن زوايـاه، فجعـل مـن مر به من الناس ينظرون إليه ويتعجبون منه ويقولون : هلا وضع هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم.

الـرحلة 16/3 الـبخاري مناقب 18 مسلم فضائل 21 ابن حنبل 312/2 عمدة القاري 98/16 والشفا 168.

265- قال النبي (ص) لوفد جذام : مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى.

وقد ذكر ابن رشيد هذا الحديث بعد السفر من الحرمين وذكر ما لاقاه من العناء هو وركبه وقد وجد هذا الحديث بخط أبي عبد الله بن أبي الخصال.

الرحلة 58/5 مكرر.

266- أنه (ص) مر بشاة ميتة لمولاة ميمونة فقال ألا تأخذوا إهابها، فانتفعوا به، قالوا : يا رسول الله إنها ميتة، قال إنما حرم أكلها.

الرحلة 36/2 و36/2 التمهيد 154/4 و176 و180 عمدة القاري 133/21 (هلا استمتعتم بإهابها) مسلم بشرح النووي 4/51-52 تأويل مختلف الحديث 174 (ألا انتفعوا بإهابها) (لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) والتوفيق بين الحديثين.

267- عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه قال : رأيت النبي (ص) مستلقيا في المسجد رافعا إحدى رجليه على الأخرى.

الرحلة 27/3 عمدة القاري 80/22 مسلم بشرح النووي 77/14 الشمائل المحمدية حديث 120 ص 62 ترمذي 194/4.

268- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.

الرحلة 21/6 البخاري مظالم 3 عمدة القاري 288/12 مسلم بر 58، 72 ذكر 28 مسلم بشرح النووي 120/16 داود أدب 38 ترمذي حدود 3 بر 19 قرآن 10 ابن ماجة مقدمة 17 ابن حنبل 91/2، 252 وغيرها.

269- الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها (أو نحو ذلك).

الرحلة 28/5 ابن ماجة ج 2 ص 987 باب 35 حديث 2962 أخبار مكة للازرقي 347/1.

270- من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه.

الـرحلة 46/3 البخاري بيوع 51 مسلم بيوع 29... داود بيوع 65 ترمذي 2/ 379 نسـائي بيوع 55 ابن ماجة تجارات 37 دارمي بيوع 35 موطأ بيوع 40 ابن حنبل 270/1 و22/2 و392/3.

271- من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه.

الرحلة 55/2 البخاري إيمان 30 عمدة القاري 285/1 مسلم مساقاة 107 داود بيوع 3 ترمذي بيوع 1 ابن حنبل 279/4 والحديث من المقدمة المحتسبة لابن مسدي.

272- من اتقى الله عز وجل كل لسانه ولم يشف غيظه

الرحلة 56/3 والحديث من مسند الدارمي.

273- من أحب أن يمد الله في عمره ويزيد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه.

الرحلة 40/2

274- من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة.

الرحلة 117/3 بخاري مواقيت 29 مسلم مساجد 161 داود صلاة 153 ترمذي صـلاة 23، جمعة 35 نسائي مواقيت 11 جمعة 41 دارمي صلاة 22 موطأ جمعة 13 ابن حنبل 341/2 وغيرها.

275- مـن أدرك لـيلة عـرفة الـتي بعد يوم عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج.

الرحلة ى54/5 البخاري 199/2 والحديث من جزء أبي العالي.

276- من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار.

الـرحلة 99/3 الـبخاري 189/3 عمـدة القـاري 76/13 داود عتاق 13 مسلم عتق 33 ترمذي نذور 14 ابن حنبل 447/2 و480/3 و4/*** و29/5.

277- من أوتى معروفا فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره فإن ذكره فقد شكره، ومن تشبع بما لم ينل فهو كلابس ثوبي زور.

الرحلة 34/6 ابن حنبل 96/6 فتح الباري 317/8 مسلم بشرح النووي 14/ 110 داود أدب 83 (من تشبع بما لم يعط) ترمذي 255/3 غريب الهروي 253/2. والحديث من كتاب الأمثال لأبي أحمد العسكري.

278- من تعر من الليل، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي، أو دعا، واستجيب له فإن توضأ قبلت صلا ته.

الرحلة 40/3 مسند عبد الله بن عمر الحديث رقم 23 : (إن النبي (ص) كان لا يتعار ساعة من الليل، أي يهب من نومه، والتعار السهر والتقلب على الفراش ليلا، ولا يكون إلا يقظة مع كلام يرفع به صوته عند انتباهه) وتعار : تمطى عمدة القاري 7/ 212 داود 314/4.

279- من توضأ يوم الجمعة فَبِهَا ونعمت (وزيد فيه ذكر السواك والطيب)

الرحلة 120/3 و124/3 البخاري أذان 161 جمعة 2 شهادات 13 مسلم جمعة 4 صحيح مسلم بشرح النووي 130/6 ترمذي 305/1 و3/2-4 داود طهارة 128 نسائي جمعة 2، 6، 8 موطأ جمعة 3 دارمي صلاة 100 ابن حنبل 6/3 ومسلم بسرح النووي أيضا 99/3، 142.

280- من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن غسل فالغسل أفضل.

الرحلة 124/3 ترمذي 3/2-4 عمدة القاري 160/6. معرفة علوم 251

281- من حج بمال حرام فقال لبيك اللهم لبيك قال الله عز وجل له : لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك.

الرحلة 114/3 والحديث من مجلسي ابن مطيع.

282- من حمل علينا بالسلاح فليس منا.

الرحلى 106/3 مسند عبد الله بن عمر بالحديث 63 البخاري فتن 7 ديات 3 مسلم إيمان 161 فتن 16.مسلم بشرح النووي 107/2-108 نسائي تحريم 26 ترمذي

حـدود 26 ابـن ماجـة فتن 11 دارمي سير 76 ابن حنبل 3/2 وغير ذلك عمدة القاري 37/24، 186.

283- من زار قبري وجبت له شفاعتي.

الـرحلة 8/5 السـنن الكبرى للبيهقي 245/5 (باب زيارة قبر النبي (ص) وانظر أيضا كتاب : شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي الشافعي ط 2 *** ص2.

284- من سره أن يبسط عليه رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه.

الـرحلة 61/3 عمـدة القـاري (أن يبسـط له في رزقه) : 180/11 و22/91-2 وانظر معناه في المستدرك 89/1 و157/4 مسلم بشرح النووي 114/16

285- عـن أبـي بـردة عـن أبـي موسـى قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الـرحلة 43/3 و37/6 الـبخاري 1/ 2 عمـدة القـاري 134/1 مسـلم بشـرح النووي 12/2 ترمذي 128/4 ومعرفة علوم 250.

286- من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة.

الـرحلة 81/3 و78/5 التمهـيد (أفضـل الذكر) 43/6 والحديث من جزء ابن ديزيل.

287- مـن شـهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه وأن محمدا رسول الله دخل الجنة.

الرحلة 78/5.

288- عـن ابـن عـبد صـاحب رسول الله (ص) يقول : أمرنا رسول الله (ص) بالقـتال، قـام فـرمى رجـل منهم العدو، قال فقال رسول الله (ص) : من صاحب السهم فقد أوجب : إذا عمل حسنة تجب له بها الحسنة الفائق 43/4.

الرحلة 18/3 والحديث من فوائد أبي أمر المخلص.

289- من صلى علي من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات.

الرحلة 75/6 والحديث منقول مما ختم به معجم أصحاب أبي علي الصدفي.

290- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقلت يا نبي الله : أي الجهاد أفضل ؟ قال : من عثر جواده وأهريق دمه.

وقد ذكر هذا الحديث في معرض الكلام على الاستعارة الرحلة37/6-38 والحديث من الامثال لأبي أحمد العسكري.

291- من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر.

الرحلة 45/3 البخاري دعوات 65 مسلم ذكر 28 داود تسبيح 34 وتطوع 12 ترمذي وتر 15 دعوات 17 نسائي سهو 86 ابن ماجة أدب 56 ابن حنبل 158/2 و10/3 و173/5.

292- من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 45/2 و57/6 المستدرك 1/** و 146/2.

293- من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك.

الرحلة 45/3 البخاري بدء الخلف 11 دعوات 65 عمدة القاري (باب فضل التهليل 22/23) وانظر شيئا من معناه في 294/22 مسلم ذكر 37 ترمذي دعوات 50 ابن ماجة دعاء 14 موطأ قرآن20 ابن حنبل 304/3 و227/4.

294- من كان له ذبح يذبحه، فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحي.

الرحلة 20/5 مسلم أضاحي 42 مسلم بشرح النووي 138/13 داود أضاحي 3 ترمذي أضاحي 22 نسائي ضحايا 1 ابن ماجة أضاحي 11.

295- من كان يومن بالله ورسوله واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت.

الرحلة 95/3 ز60/6 البخاري 39/8 عمدة القاري 110/22 مسلم بشرح النووي 3/12 و18/2.أبو داوود أطعمة 5 ترمذي بر 43 ابن ماجة أدب 5 دارمي أطعمة 11 موطأ صفة النبي 22 ابن حنبل 174/3 و412/5 و*/69 وغير ذلك أنظر : ليسكت 56/6

296- من كتب على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما.

وقد جاء هذا الحديث بمناسبة ذكر كلام جرى بين الفقهاء في المدرسة النظامية وذلك في مناقشة مسالة : ما يقول الإمام أبو الحسن علي الكياء في رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء ؟ وهل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أولا ؟ فكتب تحت السؤال : نعم كيف لا وقد قال النبي (ص) : الحديث.

الرحلة 54/3 والحديث من مسند الدارمي.

297- من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 14/3 البخاري علم 38 جنائز 33 أنبياء 50 أدب 108 مسلم زهد 72 داود علم 4 ترمذي 114/4 و298/5 ابن ماجة مقدمة 4 دارمي مقدمة 25 ابن حنبل 47/2 لاو13/3 و47/4 و245/5 وغير ذلك كثير التمهيد 40/1، 47 و167/5 عمدة القاري 152/2، 157 مسند الشافعي 239. ومعرفة علوم 252.

298- عن الأعمش قال : سمعت أبا وائل عن عبد الله عن النبي (ص) قال كلمة وأقول أخرى، قال رسول الله (ص) : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، وأقول من مات وهو يشرك بالله دخل النار.

الرحلة 31/3 البخاري علم 49 جنائز 1 رقاق 13 استئذان 30 مسلم إيمان 150 مسلم بشرح النووي 76/7 ترمذي إيمان ** نسائي صلاة 1 جهاد 18 ابن ماجة ديات 1 وأذان 58 وزهد 37 ابن حنبل 347/1 و170/2 و79/3 و 148/4 و5/ 145 و24/6 غير ذلك كثير.

299- من مقت نفسه أمنه الله عز وجل من مقته.

وقد ورد ذكر هذا الحديث في معرض الكلام على الاستعارة.

الرحلة 40/8

300- عن أبي ذر قال : أتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته ... فقلت فأي الهجرة أفضل ؟ قال : من هجر السيئات.

ورد هذا الحديث في ذكر الاستعارة.

الرحلة 37/6.

301- من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سنته كلها.

الرحلة 81/3 والحديث من جزء ابن ديزيل.

302- عن مجاهد قال : دخل رجل المسجد ورسول الله (ص) جالس فقال : من يعرف هذا ؟ فقال : رجل أنا اعرف وجهه، ولا أدري أسمه قال ليست تلك بمعرفة.

الرحلة 69/3.

303- من يقل ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

الرحلة 45/2 و57/6 البخاري 38/1 عمدة القاري 150/2 المستدرك 103/1 و146/2 مسند الشافعي 239.

ن-

304- عن جابر بن عبد الله قال : نحرنا مع رسول الله (ص) عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.

الرحلة 29/5 مسلم حج 138 داود أضاحي 6 ترمذي حج 66 ابن ماجة أضاحي 5 دارمي أضاحي 5 موطأ ضحايا * ابن حنبل 292/3 تنوير الحوالك 321/1 غريب الحديث لابن قتيبة 219/1 (البدنة : الناقة سميت بدنة بالعظم إما لسمنها أو لسنها لأنه لا يجوز أن يساق منها الصغار.)

305- عن هشام بن عروة عن أبيه عن أمه قالت : سألت رسول الله (ص) قلت: أتتني أمي وهي راغبة، وهي مشركة، في عهد قريش، أفأصلها ؟ قال نعم.

الرحلة 32/3 البخاري هبة 39 جزية 18 مسلم زكاة 50 مسلم بشرح النووي 89/7 عمدة القاري 22/88-89 (...نعم صلي أمك). داود زكاة 34 ابن حنبل 6/ 344. ومشارق 294/1، 295.

306- عن أسامة بن شريك قال : كنا عند النبي (ص) ما يتكلم منا متكلم كأن على رؤوسنا الرخم، إذ جاء قوم من الأعراب فقالوا يا رسول الله : أفتنا في كذا أفتنا في كذا، فقال يا أيها الناس إن الله قد وضع عنكم الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه قرضا، فذلك الذي حرج وهلك، قالوا انتداوى قال نعم، إن الله عز وجل لم يترك داء إلا أنزل له الدواء، إلا داء واحدا قالوا فما هو ؟ قال : الهرم. قال فأي عباد الله خير ؟ قال أحسنهم خلقا.

الرحلة 98/3 ابن ماجة طب 1 (معناه) التمهيد 282/5.

307- ... قالوا يا رسول الله أنتداوى ؟ قال نعم ... الحديث السابق.

الرحلة 98/3 عمدة القاري 21/*. 21 والحديث من المائة الشريحية.

308- نهى أن يباع الرطب بالتمر.

الرحلة 56/3 عمدة القاري 2/12 التمهيد 234/5 داود بيوع 18 ابن حنبل 3/4، 5 ابن ماجة ج 2 باب 53 ص 761 حديث 2264.

309- نهى أن يقعد على القبر وأن يقصص أو يبنى عليه.

الرحلة 42/3 مسلم جنائز 94 ابن حنبل 299/6 داود جنائز 72 مسلم بشرح النووي 37/7 غريب الهروي 277/1 (يقصص = يجصص) والفائق 199/3، 200.

310- نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى عن البائع والمبتاع.

الرحلة 57/6 فتح الباري 398/4 عمدة القاري 186/11ـ 200 و2/12 مسلم بشرح النووي 179/10 مسند ابن عمر الحديث رقم 7 ابن ماجة ج 2 ص 753 باب 32 أحاديث : 2214-2217.

311- نهى رسول الله (ص) أن يسافر بالقرآن مخافة أن يناله العدو.

الرحلة 42/3 ابن ماجة ج 2 ص 861 باب 45 حديث 2870-2880 تنوير الحوالك 273/1 وفتح الباري 133/6. وفضائل القرآن 98

312- نهى عن بيع الولاء وهبته.

الرحلة 60/5 البخاري فرائض 21 فتح الباري 167/5 مسلم عتق مسلم بشرح النووي 148/10 عمدة القاري 95/13 داود فرائض 14 مسند الشافعي 204 و221 ابن ماجة ج 2 باب 15 ص 918 الحديثان 2747 و2748 ترمذي بيوع 20 التمهيد 70/3 ابن مسدي بيوع 36 ابن حنبل 2/ أماكن كثيرة.

313- نهى عن ثمن الكلب ومهر البَغِي وحُلوان الكَاهِن.

الرحلة 70/5 البخاري طلاق 51 واجارة 20 فتح الباري 426/4، 460 عمدة القاري 104/12 و202/11 و9/21 مسلم بشرح النووي 231/10 ابن حنبل 147/1 ترمذي 300/2، 372 و272/3 النسائي بيوع 91 الموطأ بيوع 68 المستدرك 33/2 (وكسب الحجام) الفائق في غريب الحديث للزمخشري 174/1، 304 مسند الشافعي 220.

314- نهى عن قتل الجنان التي في البيوت إلا ذا الطفيتين والأبتر فإنهما يخطفان البصر ويطرحان ما في بطون النساء.

الرحلة الموطأ 246/2 مسلم بشرح النووي 227/14.

315- نهى عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وأمر بالقدور فأكفئت وعي تغلي باللحم.

الرحلة 118/3 البخاري ذبائح 38 مغازي 38 فتح الباري 658/9 عمدة القاري 245/17 و128/21 مسلم بشرح النووي 13/91-94 مسند الشافعي 381 تمهيد 143/1 ترمذي أطعمة 6 صيد 11 163/3 النسائي نكاح 71 صيد 31 ابن ماجة نكاح 44 الموطأ نكاح 41. والاعتبار للحازمي 161

316- نهى عن الملامسة والمنابذة.

الرحلة 57/6 البخاري لباس 20 فتح الباري 358/4 مسلم بيوع 2 مسلم بشرح النووي 155/10 مسند الشافعي 220 ترمذي 386/2 نسائي بيوع 26 داود بيوع 24 ابن ماجة تجارات 12 ابن حنبل 6/3، 95 الموطأ بيوع 76 دارمي بيوع 28 ومشارق 2/2

317- نهى عن النَجْش.

الرحلة 46/3 عمدة القاري 262/11 وفتح الباري 355/4 مسند الشافعي 172 مسلم بشرح النووي 67/4 و161/10 ترمذي 384/2 غريب الهروي 10/2 و3/36 الفائق للزمخشري 407/3 وانظر أيضا كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للإمام علي القاري الهروي ط 2 1078 ص 173 (لا تناجشوا). وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة 199/1 النجش في المبايعة : أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ليزيد غيره بزيادته، وأصل النجش الختل. ومشارق 5/2

318- نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر.

الرحلة 118/3-119 بخاري مغازي 38 مسند الشافعي 387 فتح الباري 9/166 مسلم بشرح النووي 167/12 و184/9، 180 وكتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي : 177 خاصة و160، 161 ترمذي نكاح 28 دارمي أضاحي 21 ابن حنبل 79/1 و404/3.

319- عن أنس بن مالك قال : بال أعرابي في مسجد فَعَجَلَ الناس إليه فنهاهم عنه، وقال : صبوا عليه دلوا من ماء.

قال ابن رشيد : كذا وجدته بخطي، وقال لم يذكر النبي (ص)، فلا أدري أسقط علي أم كذلك فلا أدري.

الـرحلة 72/3 و53/3 الـبخاري 65/1 صـحيح ابـن خـزيمة 148، 149 (لا تـزرموه) مسـند الشـافعي 21 مسـلم بشـرح النووي 190/3 غريب الهروي 104/1 (زرم بوله قطعه) الفائق 107/2 (أزرم بوله فزرم قطعه) ومشارق 310/1

320- نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية.

الرحلة 41/3 المستدرك 103/2 وانظر الأحاديث السابقة عن هذا الحديث.

هـ-

321- عـن أبـي هريـرة عـن النبي (ص) أنه قال : هل تدرون ما الغيبة ؟ قالوا اللـه ورسـوله أعـلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره، قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

الرحلة 95/6 مسلم بر 70 والحديث منقول من خط أبي الربيع بن سالم.

و-

322- عـن أنـس قال : كان يعجبنا يجيء الرجل من أهل البادية فيسأله، يعني النـبي (ص). إذ جاء رجل فقال : رسول الله متى قيام الساعة ؟ وحضرت الصلاة فقام رسول الله (ص) فلما قضى صلاته قال : أين السائل ؟ عن الساعة ؟ فقال الرجل : أنا رسـول اللـه فقـال : ومـا أعـددت لها ؟ قال والله ما أعددت كبير عمل ولا صلاة ولا صوم، إلا إني أحب الله ورسوله، فقال المرء مع من أحب.

الرحلة 38/2 البخاري فضائل أصحاب النبي (ص) أدب 95 أحكام 10 مسلم بر 161 مسلم بشرح النووي /166 ترمذي زهد 50 عمدة القاري 198/16 ابن حنبل 104/3، 110.

323- وَيْلُ أمِهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لو كان لَهُ أَحَد.

والحديـث طويـل في ذكـر خـروج رسول الله (ص) زمن الحديبية) الرحلة 38/3 عمـدة القـاري 5/14 (باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) داود جهاد 156 وانظر شرح ألفاظ هذا الحديث وإعرابها في عمدة القاري 15/14 داود جهـاد 156 وغريـب الحديـث لابن قتيبة 87/2 (مسعر ج مساعير، رجل مسعر حرب :

سعر النار إذا ألهبها) والفائق في غريب الحديث 294/1 (مسعر حرب، محش حرب...لو كان معه رجال).

324- عن زينب زوج النبي (ص) قالت : استيقظ النبي (ص) من نومه محمرا وجهه وهو يقول : لا إله إلا الله ثلاث مرات، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من روم يا جوج وما جوج، من هذه وحلف حلفة بأصبعه، قلت يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث.

الرحلة 78/5، 79 و39/2 البخاري فتن 33/4 مسلم فتن 1، 3 ترمذي 3/ 325 ابن ماجة فتن 9 الموطأ كلام 32 ابن حنبل 428/6 عمدة القاري 136/16 و15 /237 مسلم بشرح النووي 3/18 الفائق 189/2 وانظر أيضا عمدة القاري 181/24 والفائق 109/2 والخصائص الكبرى 376/2.

ي-

325- عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

الرحلة 91/3 البخاري تفسير سورة براءة 9. 9 فضائل الصحابة 2 مسند عبد ابن حميد ابن حنبل 1/ .

326- عن أبي ذر قال : يأتيت النبي (ص) وهو في المسجد فاغتنمت خلوته، فقال يا أبا ذر : إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان.

الرحلة 37/6 والحديث من كتاب الأمثال للعسكري

327- عن أنس قال : كان لي أخ يقال له أبو عمير و كان له عصفور يلعب به، فمات العصفور، وكان النبي (ص) يدخل بيتنا ويقول : يا أبا عمير ما فعل النغير.

الرحلة 26/3، 41 البخاري أدب 81، 112 عمدة القاري 170/22 تمهيد 6/ 313، 314 مسلم أدب 30 داود 69 ترمذي 240/3 ابن ماجة أدب 24 ابن حنبل 3/ 113، 110 الشمائل المحمدية 236 مشارق الأنوار 19/2.

328- كـان رسول الله (ص) في طريق ومعه أناس من أصحابه فعرضت له امرأة فقالـت : يـا رسـول الـلـه : لـي إلـيك حاجـة، قال : يا أم فلان اجلسي في أي نواحي السكك حتى أجلس إليك، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها.

الرحلة 41/3 مسلم فضائل 76 مسلم بشرح النووي 83/15 داود أدب 12 ابن حنـبل 119/3، 314 غريـب الهـروي 348/1 (السـكة الطـريقة المسـتوية المصـطفة من النخل، والأزقة سكك لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل).

329- مكرر- يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير.

الرحلة 53/3 عمدة القاري، كتاب أدب 165/22 (رويدك سوقا بالقوارير)

صحيح مسلم بشرح النووي 80/15 (أي أنجشة رويدا...)

329- حدث أنس أن الربيع وهي بنت النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش، وطلبوا العَفْوَ، فأتوا النبي (ص) وأمر بالقصاص، فقال أنس بن أبي النضر : أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله ؟ لا والذي بعثك بالحق نبيا لا تكسر ثنيتها، قال يا أنس كتاب الله قصـاص، فرضـي القـوم وعفـوا فقال النبي (ص) إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.

وزاد الفزاري عن حميد عن أنس : ثم رضي القول وقبلوا الأرش.

الـرحلة 18/3، 45 الـبخاري صـلح 8 تفسـير سـورة 3. 133 قسامة 8 عمدة القـاري (بـاب الصلح في الدية 200/13 مسلم بشرح النووي 155/11 ترمذي 430/2 ابن ماجة دايت 16، 34 ابن حنبل 167/3 الروض 47/2

330- يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر.

جرح وتعديل : عمر بن شاكر.

الرحلة 45/3 و109/3 ترمذي فتن 73 وتفسير سورة 5. 18 داود ملاحم 17 ابن ماجة فتن 17 ابن حنبل 390/2، 333.

331- يـا عـبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يـا عــبادي إنكـم تخطـئون بالليـل والـنهار وأنـا الـذي أغفـر الذنـوب ولا أبـالي،

فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا عني أتقى رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئا.

الرحلة 55/3 مسلم بر 55 ابن حنبل 16/5 صحيح مسلم بشرح النووي 131/16، 132 وانظر أيضا فوائد هذا الحديث في كتاب جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي ـ حديث 24 ص 200 وانظر أيضا كتاب الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية لعبد الرؤوف المناوي ص 38 والأربعين حديثا النووية حديث 24 ص 40.

332- عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع النبي (ص) في سفر فقال لي : يا عبد الله بن قيس : ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ قلت بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله.

الرحلة 75/3 عمدة القاري 28/23 ابن حنبل 156/5 مسلم بشرح النووي 26/17 والفتاوي الحديثية 167.

333- عن عبد الله بن عمر قال : كنت في دار عائشة وكان النبي (ص) حاضرا

فيها فأكلت مع النبي (ص) تميرات أتى بها رجل من الأنصار إذ أقبل بوجهه وقال يا عبد الله عليك بالصدق، فإن الصدق يهدي إلي، واترك الكذب، أولا تقل الكذب، فإِنَ الكَذِبَ يهدي إلى الفجور، وعليك بحسن الخلق، فإن حسن الخلق من أخلاق أهل الجنة، وإن سوء الخلق من أخلاق أهل النار.

الرحلة 49/2 مكرر مسلم بشرح النووي 159/16، 160.

334- (المشابكة المتصلة بالنبي (ص)، في النوم)

لقي أبو عبد الله السلاوي الشيخ تاج الدين أبا العباس أحمد بن محمد البكري الشريشي، وروى عنه كثيرا من الكتب، وقد ذكرها ابن رشيد في الرحلة 41/2، 42، وأجازه عام 637، ولقي أبا عبد الله محمد ابن علي بن العزبي الحاتمي الطائي بمدينة

دمشق وأخذ عنه المشابكة المتصلة بالنبي (ص)، وقد أخذها ابن رشيد عن السلاوي وذكر نصها في الرحلة (42/2، 43) ويقول في آخرها :

...وقال الباغوزان : رأيت رسول الله (ص) في النوم فقال يا علي شابكني فمن شابكني دخل الجنة، ومن شابك من شابكني دخل الجنة، وما زال يعد حتى انتهي إلى سبعة، قال الراوي فشبكت أصابعي بأصابع رسول الله (ص) وسلم تسليما كثيرا، واستيقظت والحمد لله على هذه النعمة. الرحلة 42/2، 43.

335- قال قيس بن عاصم وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي (ص) فدخلت وعنده الصصال بن الدلهمس فقال يا رسول الله : عظنا عظة ننتفع بها، فإنا قوم نغير في البر، فقال رسول الله (ص) : يا قيس : إن مع العز ذلا وإن مع الحياة موتا وإن مع الدنيا الآخرة وإن لكل شيء حسيبا وعلى كل شيء رقيبا وإن بكل حسنة ثوابا وفي كل سيئة عقابا، ولكل أجل كتابا، وإن لابد لك يا قيس من قريب يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريما أكرمك وإن كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحا، فإنه إن أصلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك فقال يا نبي الله : أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر يفخر به على من يَلِينَا من العرب وندخره، فأمر النبي (ص) من يأتيه بحسان، قال الصلصال فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه القطعة من الشعر فاستتبت في القول قبل مجيء حسان فقلت يا نبي الله قد حضرتي أبيات أحسبها توافق ما يريد فقلت لقيس

تخير خليطا من فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ومنها :

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

فقال يا نبي الله قد اكتفيتها. الرحلة 39/6

336- قال رسول الله (ص) : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا.

ابن رشيد ـ أبو عبد الله الطائي القرطبي.

الرحلة 3/5 الموطأ سفر 2 مسلم فضائل 10 ابن حنبل 238/8.

337- نا المكي بن إبراهيم بن يزيد بن أبي عبيد قال : كنت آتي سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت يا أبا مسلم : أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال : فإني رأيت النبي (ص) يتحرى الصلاة عندها.

الرحلة 3/5 (قال ابن رشيد : موضع هذه الأسطوانة اليوم معروف) البخاري صلاة 95 مسلم صلاة 264 مسلم بشرح النووي 226/4 ابن ماجة إقامة 204 ابن حنبل 48/4 والحديث من ثلاثيات البخاري.

338- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله (ص) : يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة.

الرحلة 20/6 البخاري شهادات 7 نكاح 3 خمس 4 مسلم رضاع 1، 3، 6، نكاح 6 ابن ماجة نكاح 34 دارمي نكاح 48 موطأ رضاع 1، 3 تنوير الحوالك 45/2 ابن حنبل 375/1 و4/4 و44/6، 51 وغير ذلك ترمذي 307/2.

339- عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : يحشر الناس يوم القيامة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان. الرحلة 103/3.

340- حدث أبو داود السبيعي قال : حدثني أبو الحمراء قال صحبت رسول الله (ص)ي تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى باب علي وفاطمة وهو يقول : يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

الرحلة 24/3 ابن حنبل 331/1 و259/3، 309.

341- نا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال : رأيت رسول الله (ص) يرمي الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك.

الرحلة 24/3 ابن ماجة مناسك 66 نسائي حج 220 دارمي مناسك 60 والحديث من مسند عبد بن حميد.

342- يقدم قوم هم أرق أفئدة، فقدم الأشعريون فيهم أبو عبد الله فجعلوا يرتجلون ويقولون : غدا نلق الأحبة محمدا وحزبه.

343- عن ابن عباس عن أمه أم الفضل أنها سمعت النبي (ص) يقرأ في صلاة المغرب والمرسلات عرفا.

الرحلة 32/3 البخاري مغازي 83 وأذان 90 عمدة القاري 23/6 مسلم صلاة 173 نسائي افتتاح 64 دارمي صلاة 64 داود صلاة 120 الموطأ نداء 24 ابن حنبل 338/6، 340.

344- عن أنس بن مالك قال : أصحاب رسول الله (ص) ينتظرون العشاء فينامون، أحسبه قال قعودا، حتى تخفق رؤوسهم، ثم يصلون ولا يتوضؤون.

الرحلة 73/3 مسند الشافعي ص 11 (وهذا الحديث من عوالي مسنده).

345- ينزل ابن مريم حَكَمًا مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد...الحديث.

الرحلة 39/2 عمدة القاري 28/13 و38/16 (نزول عيسى بن مريم عليهما السلام) (والذي نفسي بيده ...حكما عدلا...الحديث) مسلم بشرح النووي 190/2.

346- ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه، من يستغفر ني فأغفر له.

الرحلة 79/5 البخاري تهجد 14 توحيد 35 مسلم مسافرين 163 داود سنة 19 ترمذي صلاة 211 ابن ماجة إقامة 191 دارمي صلاة 168 موطأ قرآن 30 ابن حنبل 16/4 والحديث من الخلعيات.

347- عن ابن الزبير أنه سمع جابرا يقول : سمعت النبي (ص) ينهى أن يقعد على القبر وأن يقصص أو يبنى عليه.

الرحلة 42/3 مسلم بشرح النووي 37/7 داود جنائز 72 ابن حنبل 295/3 الفائق 199/3، 200.

348- عن ابن معدي كرب أن رسول الله (ص) قال يوم خيبر، يوشك رجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله (ص) مثل ما حرم الله.

الرحلة 87/3 كتاب الاعتبار للحازمي ص 7 والحديث منقول من ذلك الكتاب، ولاحظ الاختلاف في بعض كلمات النصين وقد ذكر هذا الحديث أبو داود والدارمي وابن ماجة.

349- يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا.

وقد مر هذا الحديث.

الرحلة 3/5 مسلم بشرح النووي 41/15.

350- الحديث الذي فيه : ذلك الأبلج ذلك الأصلع، وهو منقول من مسلسلات ابن العربي.

الرحلة 22/2 (لم يورده ابن رشيد في رحلته).

351- الحديث الذي فيه : (عليك بالقلاقل عليك بالقلاقل) (وهو منقول من الجزء المشتمل على الأحاديث التي تضمنت أربعة من الصحابة كل واحد منهم يروي عن صاحبه)

الرحلة 46/2

كشاف عن معاني الأحاديث السابق ذكرها[1]

---

[1]: العدد يشير إلى رقم الحديث في السلسلة السابقة.

ح- الجرح والتعديل

إن معـرفة الثقات والضعفاء من أجلّ أنواع الحديث، لأنه المرقاة إلى التفرقة بين صحيح الحديث وسقيمه، وفيه لائمة الحديث تصانيف مهمة[1] ولهذا حاولت أن أجرد من الـرحلة أسـماء الـرجال ممن ذكر في شأنهم شيء من الجرح والتعديل أو ورد اسمهم في صدد ذكر سند، وهو يدرج في مقام المؤتلف أو المختلف[2] أو المبهم[3]، أو معرفة من اختلط مـن الـثقات[4] أو مـن ذكـر بنعوت متعددة[5] والمراد من ذلك هو الحرص على تمييز الحديث الـوارد في الـرحلة وتقويمـه، وإنـني سـأذكر أسـماء هـؤلاء الرجال مفهرسة على حروف المعجـم، وأنـبه علـى شـيء مـن مصادر كل ترجمة من التراجم في كتب الجرح والتعديل وغيرها من كتب الحديث بعد أن أشرت إلى مرجعها في الرحلة، وبهذا تكون هذه القائمة متممة لفهرست الحديث ومبينة لا حوال رجالها.

1) إبراهـيم بـن الحسـين بـن علـي الكسـائي الهمداني، أبو إسحق، ويعرف بديـزيل، وبدابـة عفـان، وسـيفنة، وسيفنة طائر لا يحط على شجرة إلا أكل ورقها، وكان إبراهيم لا يأتي شيخا إلا وينزفه، وكان رحالا.

جـاء في الـرحلة أنـه إرتحـل إلى العراق والحجاز ودخل مصر والشام، ويحكى عنه قال : كنـت أتطـوف بالشـام وفي كفي ثلاثون جزءا في كل جزء ألف حديث. وذكر ابن رشيد بعض من أخذ عنه ومن قرأ عليه، وقال إنه توفي بعد السبعين ومائتين

الرحلة 81/3، قال الحاكم إنه ثقة مأمون، وقال غيره : كان يضرب بكتابه المثل. وانظر معـرفة علـوم الحديـث 213، وطـبقات الحفاظ 269 (توفي سنة 281هـ) وتذكرة الحفاظ 603 (توفي في آخر شعبان سنة 281 هـ) والمشتبه في الرجال 353/1.

انظر معاني هذه الاصطلاحات بعد :

[1] : شرحا ألفية العراقي 260/3

[2] : نفسه 120/3

[3] : نفسه 230/3

[4] : نفسه 263/3

[5] : نفسه 103/3

ابن أبي ذيب = محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة

ابن أبي فديك = محمد بن إسماعيل بن مسلم

ابن خبيب = معاذ بن عبد الله بن خبيب

ابن الصلا ح = عثمان بن أبي محمد بن عبد الرحمن

ابن المقير = علي بن الحسين بن علي بن أبي المقير البغدادي

2) ابن نسطور وهو ابن نسطور الرومي

الرحلة 16/3 وكتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 240 ترجمة 441 وانظر أيضا أزهار الرياض.

أبو حاتم البستي = محمد بن حبان البستي

أبو داود السبيعي = نفيع بن الحارث

أبو الدنيا = الأشج = عثمان بن عبد الله بن عوام

أبو عبد الرحمن عفار المطلقات = عبيد بن أبي اسحق العطار

أبو عمر الكوفي = أحمد بن عبد الجبار العطاردي

3) أبو هدبة القيسي

الرحلة 16/3 والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 443 ترجمة 444 وكتاب المغني في الضعفاء 29/1 ت 199 و 812/2 ت 7787 : ساقط متهم متروك كذاب.

أبو الورقاء الكوسج = قائد بن عبد الرحمن

أو محمد الثقفي لبصري الايلي = العلاء بن زيدل.

أبو معمر البصري = عباد بن عبد الصمد

أبو هارون العبدي = عمارة بن جوين

أبو هاشم الغساني = عبد الرحمن بن هارون

4) أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أبو عمر، كوفي، يروي عن أبي بكر ابن عياش وغيره، قال فيه ابن عدي : رأيت أهل العراق مجتمعين على ضعفه لأنه حدث عمن لم يلقه، وقال فيه أبو حاتم : ليس بالقوي، وقال الدار قطني لا بأس به. قال ابن رشيد : ولأجل الاختلاف في توثيق أبي عمر العطاردي قلنا فيه إنه حسن، وأكثر ما تقع عوالي السلفي من طريق رئيس أصبهان هذا، ومن طريقه تقع له الأحاديث السباعيات، وكان الحافظ أبو ظاهر يرفع به ويفخر بلقائه، ويعبر عنه بالرئيس المعتمد، ويقول : لم يبق اليوم على وجه الأرض من يحدث عنه غيري.

الرحلة 4/3 معرفة علوم الحديث 256 (العطاردي من الطبقة السادسة من نوع معرفة جماعة الرواة التابعين، فمن بعدهم، لم يحتج بحديثهم في الصحيح ولم يسقطوا). انظر ص 254، 256. ميزان الإعتدال 52/1 : مات العطاردي سنة 272، لا يتورع أن يحدث عن كل أحد كتاب المغني في الضعفاء 45/1، 340 حديثه مستقيم وضعفه غير واحد.

5) أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعت ... العجلي البصري، وهو ثقة تفرد به البخاري عن مسلم، وقال عنه النسائي : ثقة وقال في موضع آخر : لا بأس به، وقال أبو داود لا احدث عنه الرحلة 6/3، ميزان الاعتدال 74/1 (أحد الاثبات المسندين، قال أبو داود : كان يعلم المجان المجون، وقال أبو حاتم صالح الحديث.) المغني في الضعفاء 60/1 ت 467 : ثقة ثبت، وإنما أثرك أبو داود الرواية عنه لمزاجة)

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال 13 : (وثقة أبو حاتم وصالح بن محمد، وضعفه أبو داود. مات سنة 253 عن بضع وتسعين سنة.

6) إسماعيل بن رافع : ضعفه بعض أهل الحديث، وقال عنه البخاري : ثقة مقارب الحديث.

قال ابن رشيد مقارب الحديث : بفتح الراء وكسرها، ومعناه يقارب الناس في حديثه ويقاربونه، أي ليس حديثه بشاذ ولا منكر.

الرحلة 109/3 تهذيب التهذيب لابن حجر 294/1، 296 ترجمة 547 : ضعفه بعض أهل العلم المديني 80/1 : مدني، نزل البصرة يروي عن المقبري ، ضعفوه جدا، قال الدارقطني متروك.

خلاصة التذهيب 34 : مدني، قال النسائي متروك.

7) اسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي، وهو شيخ الترمذي، كناه البخاري بأبي اسحق، وكناه ابن أبي حاتم بأبي محمد قال ابن رشيد : روى عنه الترمذي وأبو داود وأبو حاتم وأبو زرعة وبقي بن مخلد، وقال بقي إنه ابن أخت السدي، والبخاري والترمذي يقولان فيه : ابن بنت السدي، وقد نسب إسماعيل هذا إلى الغلو في التشيع.

تهذيب التهذيب 335/1 ترجمة 606 المغني 88/1 : الفزار يترفض، قال النسائي ليس به بأس، وقال ابن عدي انكروا منه الغلو في التشيع وقال إنه توفي سنة 245هـ.

8) الأشج، أشج الغرب، أبو الدنيا، عثمان بن عبد الله بن عوام سمع علي بن أبي طالب يقول : سمع رسول الله (ص) يقول : أحبب حبيبك...الحديث

وقد مضى ذكره في مناقشة الجرح والتعديل عند ابن رشيد ص 110 من هذا البحث.

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 238 ترجمة 440 المغني في الضعفاء 750/1 و 783/2 ترجمة 7451 : كذاب رحال اسمه عثمان بن خطاب.

9) بسر بن محمد بن أبي محجن.

الرحلة 16/3 تهذيب التهذيب 438/1 ترجمة 806 المغني بسر بن محجن الدؤلي: روى عنه زيد بن أسلم، لا يكاد يعرف 103/1 ترجمة 878 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع 240 ترجمة 442.

البكاء = يحيى بن مسلم

10) الحسن بن عرفة : أثبت ابن رشيد في رحلته وجادة منها : (الحسن بن عرفة ابن يزيد العبدي، أبو علي روى عنه ابن الجارود، وخرج عنه أبو عيسى الترمذي، وروى النسائي عن رجل عنه، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه مع أبي يسامراء ببغداد، وهو صدوق، وقال أبو عمر أحمد ابن سعيد القرطبي : سألت عنه أحمد المروزي فقال : الحسن ابن عرفة ثقة مشهور عظيم الشأن، له قدر وجلالة ورفع من شأنه، قال أبو عمر : وسألت عنه أبا جعفر محمد بن عمر العقيلي فقال ثقة، ثم قال : هل تكلم فيه أحد ؟

قال لا، ثم تمم ابن رشيد كلاه فقال : انتهت الوجادة، وملخصه قال الخطيب البغدادي عن الدارقطني عن محمد بن زكرياء عن أحمد بن أبي خالد عن أبي عبد الرحمن الغساني يقول : الحسن بن عرفة لا بأس به.

الرحلة 122/3 خلاصة تذهيب 79 : العبدي أبو علي وثقه ابن معين وأبو حاتم، عاش 120 سنة تهذيب التهذيب 293/2 ترجمة 523.

11) الحكم أبو عمرو الحرزي : يروي عن ضرار بن عمرو، قال أبو الفتح الأزدي الموصلي فيه كذاب ساقط، ذكره ابن الجوزي في الضعفاء.

الرحلة 85/3 المغني 185/1 : واتهم بالكذب، قال البخاري لا يتابع على حديثه. ملحوظة ذكر في المغني : الجزري، ويمكن تصويب هذا الاسم من رحلة ابن رشيد.

12) حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك بن الحارث أبو زرعة الحضرمي، أخرج له البخاري ومسلم، وهو ثقة يروي عن عقبة بن مسلم وزيد بن أبي حبيب المصريين وغيرهما.

الرحلة 53/2 طبقات الحفاظ 80 ترجمة 171 : قال أبو حاتم : أعلى القوم تهذيب التهذيب 69/3 ترجمة 135.

الخازن = نجيب الدين بن أبي البقاء = محمد بن سعيد بن الموفق.

13) خراش

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 242 المغني 209/1 ترجمة 1905، 1906 : كذاب متروك تهذيب التهذيب 138/3 ترجمة 263.

ديزيل = إبراهيم بن الحسين بن علي.

14) دينار

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 443 ترجمة 443 : المغني 224/1 (من اسمه دينار) تهذيب التهذيب 216/3- 218 تراجم 410... من اسمه دينار.

15) سليمان التيمي ثقة جليل.

الرحلة 79/3 تهذيب التهذيب 232/4 ترجمة 392 خلاصة تذهيب 485، وص 155 : يروي عن رجل وهو أبو عثمان وليس بالنهدي.

16) سنان بن هارون البرجمي

قال يحيى : ليس حديثه بشيء، وقال ابن حبان كان يروي المناكير، وذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الضعفاء.

الرحلة 36/3 ميزان الإعتدال ترجمة 3506 المغني 286/1 ترجمة 2657 : كان أبو حاتم : شيخ وقال ابن معين ليس حديثه بشيء.

17) سند بن محمد بن سند

وهو يروي عن أبيه، وروى عنه محمد بن الربيع الجيزي، وذكره عبد الغني بن سعيد ولم يعرف بشيء من حاله.

الرحلة 61/5 وانظر ترجمة سيف بن محمد أسفله.

18) سيف بن محمد، وهو ابن أخت سفيان الثوري.

ويروي عن الثوري، وعاصم الأحول والأعمش. قال أحمد كذاب، يضع الحديث وقال يحي: كان كذابا خبيثا، وقال مرة ليس بثقة، وكذبه أبو داود، وقال النسائي ليس بثقة ولا مأمون، وقال الدرقطني ضعيف متروك، وذكر جميع هذا أبو الفرج في الضعفاء.

وقد أورد ابن رشيد اسمه بمناسبة ذكر مسلسل أضافنا... وذكر في سنده سيف ابن محمد، وصوبه ابن رشيد بسند بن محمد بن سند السابق ذكره.

الرحلة 61/5 ميزان الإعتدال 338/1، قال النسائي ضعيف وقال مرة متروك وليس بثقة وقال البخاري لا يتابع تهذيب التهذيب 296/4 ترجمة 506 المغني 296/1 ترجمة 2718 خلاصة تذهيب 161 : سيف بن محمد الثوري أبو عمار قال أحمد والساجي : يضع، فرد حديثه.

19) صالح بن أبي الأخضر، وهو مولى هشام بن عبد الملك.

ضعيف، ضعفه أحمد ويحيى وأبو زرعة والنسائي وغيرهم، وقال فيه البخاري: لين.

الرحلة 33/3 ميزان الاعتدال 453/1 : ضعفه ابن معين والنسائي والبخاري قال أحمد لا يستدل به تهذيب التهذيب 380/4 ترجمة 640 المغني 302/1 ترجمة 2814 خلاصة تذهيب 169، 170: ليس بالقوي : توفي سنة بضع وخمسين ومائة.

20) صخر بن وداعة بن عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب ... الغامدي، وغامد في الازد.

أورد ابن رشيد أخباره من كتاب الصحابة لأبي موسى الرعيني، وكتاب العجالة للحازمي وما كتب عنه الطبري وابن عبدالبر وأبو الفرج، وحاتم الرازي وأبو زرعة. روى عنه عمانة بن حديد، وهو رجل مجهول لن يرو عنه غير يعلى بن عطاء الطائفي، ولا يعلم لصخر غير حديث : بورك لأمتي في بكورها، وأهم ما قالوا فيه إنه مجهول لا يعرف.

الرحلة 5/3 الاستيعاب 191/2، 192 (بهامش الإصابة) الإصابة 181/2 ترجمة 4054 تهذيب التهذيب 416/4 ترجمة 712 خلاصة تذهيب 173 : له حديث وعنه عمارة ابن حديد. (وانظر ترجمة يعلى بن عطاء وعمارة. بعد)

الصنابحي = عبد الرحمن بن عسيلة

21) ضرار بن عمرو الملطي. ذكره أبو الفرج في كتاب الضعفاء، وقال أبو الفتح الازدي الموصلي فيه : كذاب ساقط، وهو يروي عن يزيد الرقاشي، قال يحيى ليس بشيء، ولا يكتب حديثه، وقال ابن عدي منكر الحديث، وقال الدارقطني : ذاهب الحديث متروك.

الرحلة 85/3 ميزان الاعتدال 472/1 ترجمة 3898 : قال الدولابي فيه نظر يروي المناكير المغني 312/1 ترجمة 2920 : متروك الحديث.

22) عباد بن عبد الصمد، وهو أبو معمر البصري، قال فيه البخاري منكر الحديث، وقال ضعيف يروي عن أنس نسخة عامتها مناكير، وعامة ما يروي في فضائل علي رضي الله عنه وهو غال في التشيع، ذكره أبو الفرج.

الرحلة 52/5 ميزان الاعتدال 11/2 ترجمة 85 المغني 326/1 ترجمة 3043، قال أبو حاتم وغيره : ضعيف جدا.

23) عبد بن حميد :

قال ابن رشيد : عبد يقربه مسلم، وأكثر عنه في كتابه وهو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي، وكان اسمه في الأصل عبد الحميد، ثم اختصر وغلب عليه عبد حتى تنوسي اسمه أو كاد، وهو الذي عنى البخاري حيث علق عنه في كتابه بغير سماع فقال : وقال عبد الحميد : حدثنا عثمان ابن عمر نا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يخطب إلى جذع ...الحديث

الرحلة 92/3 طبقات الحفاظ 234، 235 توفي سنة 249هـ، روى عن يزيد بن هارون، وروى عنه مسلم تذكرة الحفاظ ج 2 ـ 534 ترجمة 551 : من الأئمة الثقات.

24) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي، أخو أبي عبيدة، روى عن أبيه وطائفة من التابعين، وهو ثقة، أخرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 5/3 ميزان الاعتدال ترجمة 838 : أحد الأئمة الكبار سيء الحفظ المغني 382/2 ترجمة 3520 : اختلط بآخره خلاصة تذهيب : 230. وثقه ابن حيان، يروي عن أبيه وعلي وعنه ابناه القاسم ومعن، قال ابن معين : ثقة لم يسمع من أبيه.

25) عبدالرحمن بن عسيلة هو أبو عبد الله الصنابحي مخضرم، عن أبي بكر وعمر، وعنه ابن محيريز، وثقه ابن سعد قال ابن الذهبي مات في خلافة عبد الملك.

الرحلة 10/5 خلاصة تذهيب 231

26) عبد الرحمن بن هارون، وهو أبو هاشم الغساني الواسطي. روى عن عبد العزيز ابن أبي رواد وشعبة، قال الدارقطني متروك الحديث، يكذب وقال الرازي مجهول لا أعرفه.

الرحلة 25/3 المغني 812/2 ترجمة 7784 : عن أبي هريرة، لا يعرف.

27) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي مولاهم، أبو بكر بن أبي الدنيا، البغدادي، مشهور، وصاحب التصانيف.

الرحلة 56/3 طبقات الحفاظ : عنه ابن ماجة في التفسير وثقه أبو حاتم وغيره انظر ص 294 ترجمة 675 تذكرة الحفاظ 677/2 ترجمة 699 عالم صدوق.

28) عبد الله بن يزيد، وهو أبو عبد الرحمن المعافري الجيلي الشامي يعد في المصريين، روى عنه أبو ذر الغفاري وأبو سعيد الخدري، وأبو محمد عبد الله بن عمرو بن

العـاص، وغيرهـم مـن الصـحابة، وكان رجلا صالحا فاضلا ، أخرج له مسلم وغيره، وهو ثقة، قاله يحيى بن معين وابن صالح.

الـرحلة 53/2 تهذيـب التهذيـب 81/6 ترجمة 161 خلاصة تذهيب 219 : وثقة ابن معين وتوفي بافريقية سنة مائة هجرية.

29) عـبد الله بن يزيد العذري المقرق، أبو عبد الرحمن روى عنه البخاري، وهو فقيه ثقة صدوق في الحديث.

الرحلة 53/2 خلاصة تذهيب 219، وثقه ابن حبان.

30) عبـيد بـن اسـحق العطـار وهو أبو عبد الرحمن، ويقال له عطار المطلقات، يـروي عـن شـريك وقـيس، روى عنه زهير بن معاوية قال يحيى ضعيف ليس بشيء، وقال الـبخاري عـنه : عـنده مـناكير، وقال الدارقطني :ضعيف. وقال الازدي: متروك الحديث، ذكره ابن الجوزي.

الـرحلة 36/3 المغـني 318/2 تـرجمة 3955 : عـن شـريك، ضـعفوه، ورضيه ابن أبي حاتم.

31) عـثمان بـن عـبد الـرحمن بـن عـثمان الشـهرزوري المعـروف بابن الصلا ح، الموصـلي ثـم الدمشـقي الشـافعي. وقـد تـرجم لـه ابن رشيد ومن ذلك : جمع من علوم مـتعددة، وجمـع إلـى ذلـك التحري والإتقان والتحقيق وسلوك طريقة السلف، سافر إلى العـراق وخراسـان، وكـان حسن التصنيف مليح التنقيح، وصنف أشياء مفيدة في الحديث والفقه وفي غير ذلك، ولم يكمل من ذلك إلا اليسير.

الرحلة 50/3 وفيات الأعيان 243/3، ومقدمة كتابه معرفة أنواع علوم الحديث ص 2 تذكرة الحفاظ 1430/4 ترجمة 1141.

عثمان بن خطاب = الأشج

32) العـلا ء بـن زيـدل وهـو أبو محمد الثقفي البصري الايلي ويحدث عن أنس. قـال ابـن المديـني: يضـع الحديـث، وقـال أبو حـاتم الرازي متروك الحديث، وكان أحمد يتكـلم فـيه، وقـال أبـو داوود: مـتروك وقـال الـبخاري والعقـيلي: مـنكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن أنس نسخة موضوعة لا يحل ذكره إلا تعجبا وقال الدارقطني متروك.

الرحلة 48/3 ميزان الاعتدال 214/2 (العلاء بن زيد) قال ابن زيد : كذا هو ابـن زيد في الضعفاء للبخاري وخير مكان المغني 439/2 ترجمة 4180 عن أنس، واه، قال ابن المديني:كان يضع الحديث.

33) علـي بـن الحسـين بـن علي بن أبي المقير البغدادي النجار. وهو شيخ صالح حسن السيرة لا يتكلم إلا فيما يعنيه، حنبلي المذهب، له روايات عالية كثيرة عن شيوخه، ولد سنة 545هـ وتوفي سنة 643هـ.

الرحلة 84/2 تذكرة الحفاظ 1432/4 (مسند الوقت)

34) عمـارة بـن جويـن، أبـو هـارون العبدي : يتلون : خارجي مرة وشيعي مرة أخـرى قـال حماد بن يزيد كان كذابا، وقال شعبة : لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي مـن أن أحـدث عـنه. قـال أحمد ليس بشيء، وقال مرة متروك وقال : ضعيف... وكان عـندهم لا يصـدق في حديثه وقال مرة ليس بثقة، وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب توفي سنة 134.

الرحلة 26/3 ميزان الإعتدال 236/2 ترجمة 1036 تهذيب التهذيب 412/7 تـرجمة 670 المغـني 460/2 ترجمة 4305 : تابعي ضعيف، قال حماد بن زيد كذاب خلاصة تذهيب 280، 472 : يتلون خارجي وشيعي.

35) عمارة بن حديد البجلي، ويروي عن صخر بن وداعة الغامدي قال أبو حاتم الـرازي مجهـول، وقـال أبو زرعة لا يعرف، وقال الصدفي : نا أبو مسلم قال : وعمارة بن حديد حجازي ثقة ذكره ابن خلفون.

الـرحلة 6/3 تهذيـب التهذيـب 414/6 ترجمة 671 المغني : مجهول 460/2 ترجمة 4397 خلاصة تذهيب 280 : يروي عن يعلى بن عطاء.

36) عمـر بـن شـاكر : قال عنه البخاري : مقارب الحديث، روى عن عثمان بن سـعد الكاتـب وغـير واحـد قـال ابن رشيد : "مقارب يضبط بفتح الراء وكسرها ومعناه يقارب الناس في حديثه ويقاربونه أي ليس حديثه بشاذ ولا منكر".

الرحلة 109/3 تهذيب التهذيب 450/6 ترجمة 766 المغني 468/2 ترجمة 4484: عن أنس ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي : روى نسخة عشرين حديثا غير محفوظة خلاصة تذهيب 383 : تابعي بصري، قال الترمذي حديثه غريب.

37) عمر بن يحيى قال ابن رشيد : أراه الذي يروي عن شعبة، قال فيه أبو نعيم الأصبهاني متروك.

الرحلة 40/3 ميزان الاعتدال 282/2 ترجمة 2163 المغني 476/2 يروي عن شعبة، قال أبو نعيم متروك.

38) فائد بن عبد الرحمن، أبو الورقاء الكوفي العطار، يروي عن ابن أبي أوفى، قال أحمد والنسائي متروك وقال يحيى ليس بثقة، وقال مرة ضعيف وكذلك قال الدارقطني، وقال الازدي ذاهب الحديث، لا يكتب حديثه وقال البخاري منكر الحديث.

الرحلة 26/3 و102/3 ميزان الاعتدال 324/2 ترجمة 25207 : تركه أحمد والناس، الغني 508/2، 488 خلاصة تذهيب 307.

39) فائد مولى عباد بن أبي رافع. قال ابن رشيد : ثقة قاله ابن معين.

الرحلة 26/3 و102/3 تهذيب التهذيب 256/8 ترجمة 475 خلاصة تذهيب 307 وثقة ابن معين.

40) فضال بن جبير، ضيف أحاديثه غير محفوظة، قال ابن عدي وقال ابن حبان، يروي عن أبي أمامة ما ليس من حديثه، لا يحل الاحتجاج به.

الرحلة 13/3 المغعي 510/2 ترجمة 4904 : صاحب أبي أمامة ضعيف.

41) محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، أبو إسماعيل، واسم أبي فديك دينار الديلمي مولاهم. أخرج له البخاري ومسلم وابن أبي ضيب، وهو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة.

الرحلة 27/3 المغني 556/2 ترجمة 5302 : ثقة مشهور، قال ابن سعده وحده: ليس بثقة.

42) محمد بن بشير قال فيه يحيى ليس بثقة، وقال فيه الدارقطني ليس بالقوي حديثه

الرحلة 65/3 المغني 559 ترجمة 5332 : ليس بثقة وهو الدعاء.

43) محمد بن حبان البستي، أبو حاتم، وهو أحد الأئمة الكبار، والكتاب، صاحب كتاب التقاسيم والأنواع.

الرحلة 35/5 مكرر مقدمة ابن الصلاح 103 : له كتاب الثقات، وفي صفحة 196: تغير واختلط حديثه الأخير بحديثه القديم، ولم يتميز فاستحق الترك. ميزان الاعتدال 39/3 تذكرة الحفاظ 920 طبقات الحفاظ 375 ترجمة 849 : ثقة نبيل الفهم، قال ابن الصلاح : ربما غلط الغلط الفاحش توفي سنة 345 هـ المشتبه في الرجال 72/1.

44) محمد بن سعيد بن الموفق بن أبي البقاء الخازن النسابوري أبو بكر، يلقب نجيب الدين، شيخ صالح ثقة مسند ولد في 4 صفر 556 هـ وتوفي سنة 640 هـ ببغداد.

الرحلة 11/3 تذكرة الحفاظ 1432/4 : مسند بغداد، صوفي.

45) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذيب، واسمه هشام بن شعبة، خرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 27/3 ميزان الاعتدال 90/3 : متفق على عدالته تهذيب التهذيب 303/9 ترجمة 503.

46) محمد بن يعقوب بن معقل بن سنان الأصم، محدث خراسان، ولد سنة 247هـ وتوفي سنة 344 هـ، وكان به صمم ثم صار متفوقا.

الرحلة 13/3 الإصابة 53/1 : الأصم العامري البكائي تذكرة الحفاظ 860/3: محدث المشرق، ثقة صدوق طبقات الحفاظ 354 ترجمة 805 : حدث عنه الحاكم وخلق، وتفرد في الدنيا بإجازته : أبو نعيم الحافظ ومات سنة 346هـ.

47) مسلمة بن وردان ضعفه الأكثرون ووثقه بعضهم. الرحلة 81/3.

48) معاذ بن عبد الله بن خبيب، وهو والد عبد الله بن خبيب، وعبد الله هذا جهني له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الرحــــلة 27/3 تهـــذيب التهذيب 101/10 ترجمة 359 المشتبه في الرجال 215/1 : جهني.

49) نائل بن نجيح الحنفي، حدث عن الثوري، قيل للدارقطني أثقة هو ؟ قال لا.

الرحلة 86/3 تهذيب التهذيب 415/10 ترجمة 746 المشتبه في أسماء الرجال 26/1* : عن الثوري.

50) نفيع بن الحارث الكوفي السبيعي مولاهم، أبو داود النخعي يروي عن أنس، وقد دله بعض الرواة كذبه قتادة، وقال ليس بشيء، وقال مرة لم يكن ثقة وقال الدارقطني : متروك، وقال ابن حبان : يروي عن الثقات الموضوعات توهما، لا يجوز الاحتجاج به.

الرحلة 24/3 ميزان الاعتدال 242/3 ترجمة 2092 : قال النسائي متروك تهذيب التهذيب 470/10 ترجمة 847 المغني 701/2 ترجمة 6667، هالك، تركوه خلاصة تذهب 404 قال ابن معين يضع الحديث.

51) الهجيمي. قال ابن رشيد لا أعرفه. الرحلة 6/3

52) هشيم بن بشير السلمي مولاهم، الواسطي، واختلف في اسم أبيه فقيل عمرو وقيل فيروز وقيل خاقان، وهو مولى بني شيبان، ثقة خرج له البخاري ومسلم.

الرحلة 4/3 ميزان الاعتدال ترجمة 2225، أحد الأعلام ولد سنة 104هـ، وكان يدلس وهو لين تهذيب التهذيب 59/11 ترجمة 100 تقريب التهذيب 320/2 ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. المغني 712/2 ترجمة 6765 حجة يدلس وهو لين في روايته عن الزهري.

53) يحيى البكاء، وهو يحيى بن مسلم، ويقال يحيى بن أبي خليد، وقيل واسم أبي خليد سليمان البصري، وقيل الكوفي. قال النسائي والازدي متروك الحديث، وقال أبو زرعة ليس بقوي، وقال علي الجنيد مختلط وقال الدارقطني ضعيف، وقال ابن حبان يروي المعضلات عن الثقات، لا يجوز الاحتجاج به وذكر ذلك كله ابن الجوزي.

الرحلة 102/3 ميزان الاعتدال 304/3 ترجمة 2609 : ليس بذاك تهذيب التهذيب 308/11 ترجمة 592 المغني 744/2 ترجمة 6978 و 7053 : تابعي مختلف فيه، والجمهور على تضعيفه، وقال ابن حبان ينفرد بالمعضلات.

54) يعلى بن عطاء العامري الطائفي، ويروي عن صخر الغامدي وعمارة ابن حديد، وهي ثقة.

الرحلة 6/3 تهذيب التهذيب 403/12 ترجمة 780 خلاصة تذهيب 280 و 438: وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم مجهول يروي عن أوس وعمرو بن الشريد، وثقه النسائي.

55) يغنم بن مسلم.

الرحلة 16/3 المصنوع في معرفة الحديث الموضوع 241 المغني يغنم بن سالم بن قنبر: مالك ضعفه أبو حاتم قال ابن حبان كان يضع الحديث عن أنس : 760/2 ترجمة 7216.

وأنبه في الأخير على أن هؤلاء الرجال وما قيل فيهم يؤخذ بعين الاعتبار عند ذكر سلسلة الإسناد في الأحاديث المذكورة سابقا.

ط- مصطلح الحديث[1]

- أ -

[1] : أي أنني سأورد أحيانا إشارات لها دلالة معينة من غير مصطلح الحديث المعروف، وذلك للتنبيه على قضية من القضايا التي تتصل بالحديث وتخدمه وتوضحه.

المبحث الثالث : الفقـــه

إذا كانـت الموضـوعات الفقهية قد عرفت دراسة موسوعية ومتعمقة ومقارنة على يـد عـلماء مـن الأندلـس والمغـرب قـبل ابن رشيد فإننا لا نغفل عن بعض ما ساهم به، تلامذة ابن رشيد كابن جزي في كتابه القوانين الفقهية وأبي الحسن علي التسولي في كتابه البهجة في شرح التحفة وكذلك صاحبه أبو القاسم بن الشاط في كتابه ادرار الشروق على أنـواء الفـروق للشـهاب القـرافي، وبهـذا لا يمكن أن ننسى أيضا حلقة الوصل بين هؤلاء جميعا وبين ابن رشد المشهور، وهي تتمثل في ابن رشيد الذي نحن بصدد دراسته، وبما أنه لـيس بين أيدينا كتاب معروف له في الفقه، فإن تلاميذه خير دليل على أنه كان من أهل العـلم بهـذا الفـن، ولهـذا نجـد منهج ابن رشيد في دراسة بعض المسائل الواردة في الرحلة يقـترب من منهج ابن رشد[1] الذي كان يورد المسائل الفقهية على مذهب مالك ثم يضيف إلـى ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف بينه وبين الأئمة المشهورين كالشافعي خاصة وربما نبه على غيرهما.

ثـم إنـنا نجد هذا المنهج واضحا عند أبي بكر بن جزي، الذي كان ينبه كذلك علـى مذهـب أبـي حنـيفة وابـن حنـبل كمـا يـتجاوز ذلك إلى الثوري والحسن البصري والأوزاعي وداود الظاهري الذي أكثر من نقل مذهبه[1].

ونحن إذ نورد القضايا الفقهية التي وردت في ثنايا الرحلة يجدر بنا أن نشير إلى أن ابن رشيد لم يدرج تلك المسائل في فصول معينة أو أنه كان يريد مناقشتها على طريقة الأجوبـة في الـنوازل والفـتاوي: أو بحـثها في أبـواب كما فعل أصحاب الكتب الأمهات

---

[1] : انظر مثلا كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

المشـهورة أو الفقهـاء في مصـنفاتهم المختصة ولكننا نجد جلها قد جاء عرضا في رواياته عـن شيوخه أو خلال مناقشات أولئك الشيوخ في المجالس العلمية، بل إننا لا نعثر على المناقشات الفقهية الواضحة والصريحة إلا في مسائل تتعلق بالحج، وذلك في تعيين مقاماته وأماكنه ومعالمه الشريفة، وذلك لضبطها على السنة الصحيحة.

وهذا ما يثير الانتباه أيضا كما رأينا من قبل في ضبط المسائل الجغرافية، وكانه لا يهمـه مـن المسـائل الفقهـية إلا مـا يـتعلق بالحج الذي كان هدفه الحقيقي من رحلته، ولهـذا نجـد في الجـزء الخـامس[2] سـبع صفحات خصها بذكر تلك المسائل، بينما القضايا الأخرى مبثوثة هنا وهناك، بعضها في اقتضاب وبعضها في شيء من التفصيل.

ويـبدو أن مصـطلحات الفقـه ومسـائله جـاءت في ما يقرب من خمسة وعشرين موضـعا، ولكن ما يكتسي منها طابع المناقشات الفقهية لا يربو على خمس عشرة مسألة، بيـنما يـدرج الـباقي في مسـائل الألغاز، أو ذكر فصول الكتب الفقهية، أو الإشارة إلى أبـواب مـا رواه بعض الشيوخ عن أساتذتهم، أو ما جاء في سياق الأحاديث والإستطراد إلى غير ذلك من المعارف.

---

[1] : انظر مثلا كتابه القوانين الفقهية.
[2] : الرحلة 10/5 ومابعدها.

ويمكن تقسيم تلك المسائل إلى الأبواب الفقهية التالية :

1- الطهارة : وما يتصل بها كالوضوء والمسح والاستنجاء والنضح والاستحاضة.

2- الصلاة : وما يتصل بها من النية العامة ـ والبسملة في رأي المذهبين المالكي والشافعي ومناقشة ذلك في تحرير مطول ـ ومسألة وجوب الوتر ـ والصلاة في مسجد النبي (ص) ـ وإعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا ـ والجمع بين الصلوات الأربع في غزوة تبوك ـ وعذر منع مالكا وأبا محمد الحجري عن صلاة الجمعة.

3- الحج : وما يقوم به الناس فيه من البدع، ثم الأدعية فيه والأذكار ـ والاستسقاء ـ وذكر مسائل تتعلق بالطواف ومسألة العمرة بين الإيجاب والندب وغير ذلك مما سنفصله.

4- الإرث : وفيه هل تُنفذ الوصية لكتبة الحديث.

5- البيوع : وفيها بحث في الشروط المقترنة بالبيع ـ وشهادة المكوس ـ والسلم ـ والخيار.

6- الجنائز : وفيها قراءة سورة يس على الميت، وباب الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف.

7- الطلاق : وفيه مسألة الحلف بالإيمان والعرف.

8- وسأورد شيئا من الطرائف والنوادر الفقهية وشيئا من الحكايات التي يمكن أن تصنف في بعض تلك الأقسام السابقة وقد نبهت عليها في الدراسة الأدبية.

وفيما يلي شيء من المسائل الفقهية التي وردت في الرحلة، مع الملاحظة أن بعضها قد ذكر في الحديث النبوي الشريف وغيره ولهذا لم أرد إعادته.

أعرابي يبول في المسجد :

فمن تلك المسائل[1] التي تتعلق بالطهارة ما يتصل بحدوث غريبة وقعت لابن رشيد بمسجد الخيف من منى، وذلك أن المسجد لم يكن له وقتئذ باب يصونه ولا سقف يكنه، وبوسطه أو قريب منه موضع فيه تجصيص يقال إنه مصلى النبي (ص) وفي آخره في القبلة بقية سقف، وبينما ابن رشيد كذلك إذ جاء أعرابي إلى ناحية من نواحي المسجد فرفع ثوبه وبال فبادر الناس إليه وهموا به فصرفهم ابن رشيد عنه، واستدعى ذنوبا من ماء فصبه عليه وأعلمهم بالسنة الواردة في ذلك الأعرابي البائل في مسجد النبي (ص)[2].

وابن رشيد في هذا المكان قد اقتدى بالحديث النبوي الشريف فقد روى عن أنس ابن مالك أن النبي (ص) رأى أعرابيا يبول في المسجد فقال دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه[3].

وقد جاء هذا الحديث مسندا إلى أبي هريرة قال : قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي (ص) : دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[4].

ويمكن أن نعتبر هذه الحادثة التي وقعت لابن رشيد من أبدع الموافقات في النوازل وأعظمها برهانا على خدمة السنة النبوية لمصالح البشر وهدايتهم وإرشادهم إلى التي هي أقوم[5].

الوضوء والرجلان في الخفين :

وفي خبر مرفوع إلى ابن زنبور[6] عن إسماعيل عن عبد الله بن دينار[7] أنه سمع ابن عمر قال : قدمت العراق وسعد ابن أبي وقاص أمير بها فرأيته يتوضأ ورجلاه في الخفين

---

[1] : الرحلة 25/5.
[2] : البخاري باب صب الماء على البول في المسجد 65/1.
[3] : عمدة القاري شرح صحيح البخاري 124/3.
[4] :عمدة القاري 127/3 وانظر ما يستنبط منه من الأحكام والفوائد في نفس المرجع 124/3- 129.
[5] : أنظر فهرست الحديث.
[6] : الرحلة 16/3
[7] : عبد الله بن دينار مولى ابن عمر ثقة ثبت قال العقيلي في رواية المشايخ عنه اضطراب المغني 336/1.

فقلت : أراك تتوضأ ورجلاك في الخفين، فقال لي : هل علي في ذلك من بأس؟ فلم أقل له لا ولا نعم، فلما قدمنا على عمر رضي الله عنه قال سعد : أرأيت الذي أنكرت علي، سل عنه أباك، قال عبد الله : فقلت لعمر: أيتوضأ أحدنا ورجلاه في الخفين ؟ قال عمر : نعم، قلت : وإن ذهب الغائط فقال عمر نعم، وإن ذهب الغائط.

وفي هذا الخبر إشارة ضمنية إلى المسح على الخفين، فقد صح عنه (ص) أنه مسح في الحضر والسفر، ولم ينسخ ذلك حتى توفي، ووقت للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن في عدة أحاديث حسان وصحاح وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما إلا في حديث منقطع والأحاديث الصحيحة على خلافه[1] وقد عرف عن النبي (ص) أنه مسح على الخفين في غزوة تبوك[2].

وأما ابن رشيد فيرى أن الواجب مسح أعلى الخف، وإن مسح الباطن يعني أسفل الخف مستحب[3].

النضح وحكمه :

وجرى الكلام يوما بحضرة أبي العباس بن الغماز[4] في حكم النضح وكان هذا الشيخ يماشي ابن رشيد على طريقة النظر ويسامحه في الاحتجاج للمنصور[5] وإن كان ليس بالمشهور، فقال ابن رشيد: إنه لا يخلو أن تتحقق النجاسة[6] وجرى في كلامه أثناء التناظر أن قال هذا هو المعروف، وكان حضر في المجلس شاب يعرف بابن عيارة، لم يكن من عادته أن يحضر مجلس ابن الغماز فقال مبادرا : هذا المعروف يحتاج إلى معرف فخجل ابن رشيد وأعرض الشيخ عن ذلك الطالب.

فقد علق ابن رشيد على هذه المسألة بأنه سيوردها في المذهب المعروف من الأحكام، وهو على مذهب المالكية، ثم بسط القول في ذلك...

---

[1] : زاد المعاد 50/1

[2] : تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك.

[3] : انظر تفصيل ذلك في بداية المجتهد 13/1 وكتاب العقيدة الطحاوية (تواتر المسح على الخفين ص 435).

[4] : الرحلة 33/6.

[5] : وهذه إشارة إلى العمل بالمذهب الظاهري.

[6] : عمدة القاري 130/3.

وفي هذا النص إشارة إلى ما يسمى "المماشاة على طريق النظر" و"الاحتجاج بمذهب المنصور"[1] ثم قوله " بظاهر الأقوال" فلا شك أن هذا يدل على ما كانت عليه الحالة العقدية في أواخر عهد الموحدين وأوائل العصر المريني. إذ يتبادر إلى الذهن ما كان عليه الموحدون في الفترة الأولى من عهدهم من محاربة المذهب المالكي[2] وترويج المذهب الظاهري ولكن لم يستمر الأمر على تلك الحال في العهد المريني، ومع ذلك فإننا نجد بعض بوادر المذهب الظاهري في عصر المرنيين، وذلك في فترة ابن رشيد وبعدها خاصة، وبهذا ليس غريبا أن نجد بعض من كان ذا صلة وثيقة بابن رشيد كابن حيان الغرناطي نزيل القاهرة يرى أولا رأي الظاهرية، ثم تمذهب بعد ذلك للشافعي[3] ولهذا أيضا لا عجب أن نجد من قال إن ابن رشيد كان كذلك ظاهريا[4] وإذا اطلعنا كذلك على كتاب القوانين الفقهية لابن جزي وهو تلميذ ابن رشيد نجد أيضا أنه قد أورد كثيرا من آراء داود الظاهري وقد نبه على ذلك[5]. وهذا كله يفسر لنا أن هذا المذهب لم يكن منقرضا في هذه الفترة، وإنما كان قويا إلى حد ما ولو في بعض الكتب الفقهية ككتاب القوانين الفقهية أو مثلما نجد في هذه الإشارات السابقة.

إعادة الصلاة في الجماعة بعد صلاتها انفرادا :

ومن تلك المسائل إعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا[6] فقد جاءت تلك المسألة عارضة في مناقشة "البسملة" التي جاءت في تحرير ابن عبد السلام وما يتصل بذلك من النية العامة والاكتفاء بها فيما ينوى بالفعل التقرب إلى الله وإنه مطلوب منه من غير أن يخصصه بنية ندب أو وجوب، وهذا يقال في إعادة الصلاة في الجماعة إذا كان قد صلاها منفردا إذ الإعادة بنية التفويض.

---

[1] : انظر كتاب القوانين الفقهية وكيف اهتم المنصور بالمذهب الظاهري ص 309. ثم أن الحفصيين كانوا يدعون للموحدين بعد زوالهم.
وانظر أيضا عن مسألة النضح أعلام الموقعين 396/2 : رد السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في الاكتفاء في بول الغلام الذي لم يطعم بالنضح دون الغسل كما في الصحيحين عن أم قيس ...الحديث.

[2] : انظر كتاب وحدة المغرب المذهبية للدكتور عباس الجراري 17، 18، 19.

[3] : نفح الطيب 296/3. وانظر هذه المسألة أيضا : أي الانتقال من مذهب إلى آخر : كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي 179.

[4] :أزهار الرياض 350/2 : ولكن المقري استدرك فقال : والمعروف أنه كان مالكيا.

[5] : القوانين الفقهية ص 3.

[6] : الرحلة 59/3.

وقد ناقش ابن رشيد هذه المسألة وأتى في ذلك برأي الجمهور[1] على أنها سنة أو فرض كفاية، والظاهرية على أنها فرض متعين ويستثنى في المالكية[2] من الصلاة : التي تعاد في المغرب والعشاء بعد الوتر والشافعية تسن إعادة الصلاة في الوقت مطلقا.[3]

صلاة الجمعة وعدم شهادتها :

ومنها مسألة عدم شهادة أبي محمد الحجري الجمعة مرة فقد أخبر أبو بكر بن حبيش تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو بكر بن محرز قال :[4] كان شيخنا أبو عبيد الله الحجري بقي لم يشهد الجمعة نحو أربعين سنة، وكان يمنعه عن ذلك عذر كما منع مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان الناس يقولون : إنما يتركها لمكان ذكر الموحدين فيها، فكان يبلغ أمير المؤمنين المنصور، فيغضي عنه ويقول : لعل له عذرا. هكذا أورد الخبر في الرحلة، وورد كذلك في كتابه إفادة النصيح[5] معززا بتعليق ابن رشيد عليه قائلا : وما حكاه شيخنا أبو بكر ابن حبيش عن شيخه أبي بكر بن محرز من قوله أنه لم يشهد الجمعة نحوا من أربعين سنة لا يصح هذا العدد مع ما قدمناه[6] من أن قدومه إلى سبتة كان عام ثلاثة وستين وخمسمائة هجرية (563هـ)، وبعد ذلك ولي الخطبة، ثم ذكر له بعض كراماته في ذلك الكتاب.

وقد وقع في سياق هذه الإفادة أيضا عدم شهادة مالك الجماعة والجمعة سبع سنين، ومما جاء في ترتيب المدارك[7] أن محمد بن عمر قال : لما خرج محمد بن الحسن لزم مالك بيته فلم يخرج منه حتى قتل محمد، وذكرت بعض الروايات أعذارا أخرى، إلا أن عتيق بن يعقوب ومصعبا قالا إنه لما حضرته (أي مالك) الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد فقال : لولا أني في آخر يوم من أيام الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم : سلس بولي[8].

---

[1] : بداية المجتهد 102/1-103.
[2] : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة 435/4.
[3] : نفسه 434/1.
[4] : الرحلة 53/6.
[5] : إفادة النصيح 90-91.
[6] : نفسه 89.
[7] : ترتيب المدارك 50/2، 51، 54.
[8] : نفسه 55/2 وانظر أيضا فضل يوم الجمعة : البحر الزخار 3/3.

الوتر بين الوجوب والندب :

وفي خبر[1] منسوب إلى يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي قال : زعم أبو محمد بن أبي حاتم أن الوتر واجب. وقال عبادة بن الصامت : كذب أبو محمد.

ولكن إذا رجعنا إلى كتاب بداية المجتهد وجدنا أن عدد الصلوات الواجبة خمس فقط وهو قول مالك والشافعي والأكثر، أما أبوحنيفة وأصحابه فيرون أن الوتر واجب مع الخمس[2] وليس الاختلاف في حكمه فحسب، بل اختلفوا كذلك في صفته وفي وقته وفي القنوت فيه.[3]

وذكر ابن رشد في مقدماته أن أبا حنيفة ذهب إلى أن الوتر واجب ودليله في ذلك قول النبي (ص) : إن الله زادكم صلاة إلى صلاتكم ألا وهي الوتر. قال ومعنى ذلك عندنا زادكم ثوابا إلى ثواب صلاتكم، إذ لو كان المعنى ما ذهب إليه لقال : زاد عليكم صلاة إلى صلاتكم[4] وذكر ابن حزم في كتابه الأحكام أن الوتر ندب[5].

مسائل الحج وشعائره :

أما ما يتعلق بشعائر الحج فإن ابن رشيد خصها بمناقشات علمية مستفيضة ومفيدة يطبعها التحقيق والضبط والتوضيح[6]، لأنه كان ينبه على كثير من الدقائق والمسائل التي يقع الخلاف بين بعض العلماء والمذاهب، وكان ابن رشيد يعتمد في ذلك على أمهات كتب الفقه المالكية والشافعية وغيرها كالحنفية، وعلى المعاجم التي تحدد مشاعر الحج ومقاماته ومنها: حلية الناسك في صفة المناسك لأبي عمرو بن الصلاح[7] الشافعي، والصحاح، ومعجم أبي عبيد البكري وكتاب مكة للأزرقي (هكذا سماه وهو كتاب أخبار مكة)، وكتاب الجواهر لابن شأس الفقيه المالكي وكتاب الشامل للجويني، وكتاب البارع للقالي وكتاب الحاوي لأبي الحسن البصري، وعلى مؤلفات ابن جرير الطبري

---

[1] : الرحلة 11/5.
[2] : بداية المجتهد 64/1.
[3] : نفسه 145/4.
[4] : مقدمات ابن رشد 119 وانظر أيضا مناقشة المرتضى والصعيدي في مسألة الوتر : كتاب البحر الزخار وكتاب جواهر الأخبار الذي بهامشه 30/3.
[5] : الأحكام في أصول الأحكام 476/3.
[6] : الرحلة 4/5 وما بعدها.
[7] : أشار إليه ابن خلكان ولم يذكر اسمه بالضبط 244/3 وانظر ايضاح المكنون 421/1.

ومحمد بن المواز والاسفرائني والقابسي وشرف الدين النواوي وأبي الحسن اللخمي، وكتاب نصرة المذهب لأبي نصر الصباغ واكمال القاضي عياض وكتاب النهاية لابن الأثير وكان يعتمد في ذلك أيضا على أشعار العرب وغير ذلك مما يجري ذكره في لسان العرب.

ولعل الدافع إلى هذا التمحيص والتحقيق والتدقيق : ما كان يتوخاه ابن رشيد من محاربة البدع وتأييد السنة النبوية الشريفة والأمر بالمعروف والنهي عن كل ما لا يمت إلى الحق والسنة بصلة ومن أهم تكل القضايا التي ناقشها :

1- مسألة تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر، وهي مستحبة على حسب ما أفاده به صاحبه ابن الحكيم عن بعض شيوخه[1].

2- لما أشار أبو محمد المرجاني على ابن رشيد بموافقة الجمهور في التوجه، في الليل، إلى عرفات والمبيت هناك، استحسن هذا الرأي وقبله[2].

3- ذكر سنة رسول الله (ص) في المسير في اليوم الثامن من مكة إلى منى والمبيت به إلى يوم عرفة والمكوث هناك إلى ما بعد زوال الشمس يوم عرفة.[3]

4- يستحب من الوقف موقف الأنبياء صلى الله عليهم أجمعين[4].

5- الذي ظهر من الحكمة الشرعية في مبيت الناس بمنى مواظبة الصلاة بمسجد إبراهيم ثم المجيء إلى الموقف لأجل الذكر والدعاء.[5]

6- ذكر بعض من حدد (عرفات) من أصحاب ابن رشيد: أن الحد الواحد منها ينتهي إلى جادة طريق المشرق وما يلي الطريق، والحد الثاني ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء بطن عرفات. والحد الثالث إلى الحوائط التي تلي قرية عرفة، وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة إذا صلى بعرفة والحد الرابع ينتهي إلى وادي عُرَنَة وليس من عرفات وادي عُرَنَة[6] ولا

---

[1] : الرحلة 16/5.
[2] : نفسه .
[3] : الرحلة 17/5.
[4] : الرحلة 17/5.
[5] : الرحلة 18/5.
[6] : معجم البلدان : 111/4 : بطن عرفة مسجد عرفة والمسيل كله.

نَمِرَة[1]، وهي في بطن عُرَنَة ولا المسجد الذي يجمع فيه الإمام الصلاتين ويقال له مسجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم وليست عرفات من الحرم وينتهي الحرم من تلك الجهة عند العلمين المنصوبين عند منتهى المأزمين[2] وهما معروفان ظاهران[3].

7-قال أبو عمرو بن الصلاح والجويني إن المسجد الشريف مقدمته في وادي عرنة لا في عرفات، وأواخره في عرفات يتميز عما ليس منها بصخرات كبار فرشت بذلك الموضع، وقال أبو عمرو رحمه الله هذا يخالف إطلاق الشافعي بأن المسجد ليس من عرفات، فلعله زيد بعده فيه وعرفات القدر الذي ذكره الجويني[4].

8-ذكر قول ابن شأس أن الواجب على الوفود الحضور في جزء من أجزاء عرفة سوى بطن عُرَنَة فإن وقف ببطن عُرَنَة لم يجز لأنها من الحرم وإن وقف بالمسجد[5].

9-كانت الصلاة تجمع في مسجد إبراهيم عليه السلام قبل أن تتغير الأمور ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن النكر[6].

10- استنكار ابن رشيد ما رآه ليلة عرفة من ابتداع العامة من وقد الشموع واختلاط الجنسين[7].

11- التنبيه على الخطأ الذي يقع من الناس في أنهم جعلوا الجبل هو الركن في الوقوف بعرفات، فهم بذكره مشغوفون، وإنما الموقف موقف الرسول (ص)[8].

12- في صحيح مسلم أن رسول الله (ص) ركب إلى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حَبْلَ المشاة بين يديه واستقبل القبلة : وقد ضبطه غير واحد من المصنفين بقولهم حبل المشاة بالحاء المهملة، وجعله من جبال الرمل[9].

13- إن موقف النبي (ص) كان بين الأجبل : النبعة والنبيعة والنابت[1].

---

[1] : نمرة : ناحية بعرفة نزل بها النبي (ص) معجم البلدان 304/5.
[2] : المأزمان موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة، وهو إلى ما أقبل على الصخرات التي بها موقف الإمام إلى طريق يفضي إلى حصن وحائط بني عامر معجم البلدان 40/5 وأخبار مكة للأزرقي في أماكن كثيرة، أنظر فهرست الأماكن .
[3] : الرحلة 19/5.
[4] : الرحلة 18/5.
[5] : الرحلة 18/5.
[6] : الرحلة 18/5.
[7] : الرحلة 18/5.
[8] : الرحلة 19/5.
[9] : الرحلة 17/3.

14- قال أبو عمرو بن الصلاح : إذا كان أحدنا راكبا فليخالط بدابته الصخرات وليداخلها كما روي عن رسول الله (ص)، ومن كان راجلا فينبغي له أن يقوم على الصخرات أو عندها على حسب ما يمكنه من غير إيذاء أحد[2].

15- عند موافاة بطن مُحَسِر ينبغي الإسراع عنده، ومن كان راكبا فحكمه أن يحرك دابته وليس وادي محسر من المزدلفة ولا من منى وهو مسيل بينهما[3].

16- قال أبو عمرو بن الصلاح : إن المعروف في أمهات الكتب الفقهية أن المشعر الحرام هو المزدلفة بجملتها. وفي الآثار ما يشهد لكل واحد من القولين[4].

17- قد استبدل الناس بالوقوف على الموضع المسمى مزدلفة: الوقوف على البناء المستحدث في وسط المزدلفة[5].

18- ومنى حدها ما بين مُحَسِرٍ إلى العقبة التي ترمى إليها جمرة العقبة ومنى شعب، وما أدبر منها فليس من منى.[6]

19- ما أحاط بالبيت ملتصقا به أسفل الجدار ما بين الركنين الجانبيين يسمى بالشاذروان، وكان بسيطا ثم رصف في هذا العهد الأخير (من عهد ابن رشيد) حتى صار كأنه مثلث احتياطا فيما زعموا على الطائفين أن لا يفسدوا طوافهم إذا طافوا ماشين عليه، ولا يصعده إلا الجاهل فيبطل طوافه[7].

20- إذا ضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها[8].

21- إذا دخل إلى المسجد فليؤم الحجر الأسود وهو في الركن الذي يلي باب البيت في صوب المشرق ويسمى الركن الأسود ويقال له وللركن اليماني الركنان اليمانيان[9].

---

[1] : الرحلة 17/5.
[2] : نفسه.
[3] : الرحلة 20/5 ومعجم البلدان 62/5 : موضع بين مكة وعرفة وقيل بين منى وعرفة وقيل بين منى ومزدلفة، وليس من منى ولا المزدلفة بل هو واد برأسه.
[4] : الرحلة 20/5.
[5] : الرحلة 20/5.
[6] : نفسه ومعجم البلدان 108/5 : منى من مهبط العقبة إلى محسر.
[7] : الرحلة 21/5.
[8] : الرحلة 112/5.
[9] : الرحلة 112/5.

22- المستحب أن يستقبل الحجر الأسود بوجهه ويدنو منه بشرط ألا يؤذي أحدا بالمزاحمة، فيسلمه بيده أو كلتيهما. ثم يقبله من غير صوت ويسجد عليه ثلاثا[1].

23- يمشي الحاج طائفا حول البيت أجمع فيمر على الملتزم إلى الباب ثم إلى الركن الذي يسمى بالركن العراقي، وهو الثاني بعد الأسود، ثم يمر على الحجر وهو في صوب الشام والمغرب فيمشي حوله إلى أن ينتهي إلى الركن الثالث الذي يسمى الركن الشامي ويقال له وللركن اليماني الذي قبله : الركنان الشاميان وربما قيل الركنان الغربيان ثم يدور خلف الكعبة سائرا إلى أن ينتهي إلى الركن الرابع والمسمى بالركن اليماني ثم يسير إلى الحجر الأسود حتى يعود إلى الموضع الذي بدأ منه وهكذا سبع طوفات.[2]

24- ثم خصص ابن رشيد الركنين اليمانيين بآراء كثيرة ونقول من كتاب أبي نصر الصباغ والشافعي والقاضي عياض وغيرهم وأتى في ذلك بموافقات وفوائد وغرائب وأخبارا عن تاريخ الكعبة[3].

25- وأورد ابن رشيد قصة يفهم منها أن الصيد ممنوع على المحرم[4].

العمرة بين الوجوب والندب :

ومن ذلك مسألةالعمرة بين الوجوب والندب[5] فقد استفتى ابن رشيد يوما شيخه الإمام أبا محمد بن عبد القادر البجائي عمن تردد نظره في العمرة لاختلاف العلماء رضي الله عنهم في الوجوب والندب هل يأخذ بالنية العامة، وهو القدر المشترك بين الوجوب

[1] : الرحلة 112/5.
[2] : الرحلة112/5.
[3] : الرحلة 22/5، 23، 24، 25..
[4] : انظر القرآن ودراسته من هذا البحث والأحكام لابن حزم 476/3.
[5] : الرحلة **.

والـندب؟ فقـال مجيـبا : يقلـد مـن يقول بالوجوب أو الندب فهو أولى من هذا النظر[1] وذكر ابن رشد أن العمرة على مذهب مالك سنة وليست بفريضة.[2]

الوصية لكتبة الحديث :

ومـن ذلـك مـا قـرأه ابن رشيد[3] على أبي الصفاء المراغي مسندا إلى أبي الطاهر السـلفي، قـال : فقـد كنـت اسـتفتيت أبا الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكـياء بـبغداد سـنة 495 هـ أوقـبلها أو بعدهـا بقلـيل ـ بكلام جرى بين الفقهاء في المدرسـة النظامية التي هو مدرسها: " ما يقول الإمام وفقه الله في رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء وهل يدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أو لا ؟"

فكتـب بخطـه تحـت السؤال : نعم، وكيف لا وقد قال النبي (ص) من كتب على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما.

ويظهـر مـن رد الشـيخ ذلك الحرص الشديد على تكريم المحدثين والاهتمام بهم، فقـد جـاء عـن النـبي (ص) قال: سياتكم شباب من أقطار الأرض يطلبون الحديث فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرا[4].

وجـاء في شـرفهم والرفع من قدرهم: "من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما" وغير ذلك من الأحاديث[5].

الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف

فقـد أخـبر ابن الغماز ابن رشيد برواية أبي الربيع بن سالم بسنده إلى البخاري قال : باب الكفن في القميص الذي يكف ولا يكف ومن كفن بغير قميص ...الحديث.

انظر فهرست الأحاديث.[6]

الحلف بالإيمان والعرف :

---

[1] : القوانين الفقهية لابن جزي 105 أن العمرة سنة مؤكدة وانظر الخلاف في الفقه على المذاهب*** وبداية المجتهد 1/ 243 وفقه السنة للسيد سابق 633/1 و1534/1، .

[2] : مقدمات ابن رشد 304.

[3] : الرحلة 54/3.

[4] : شرف أصحاب الحديث 21، 22.

[5] : نفسه 19، 20.

[6] : الرحلة 22/6 وانظر أيضا في هذه المسألة البخاري 88/2 وأعلام الموقعين 86/1 والاعتبار للحازمي 132 وتفسير القرطبي سورة التوبة 84.

ومن ذلك مسألة الإيمان والحلف بها وقضية العرف[1].

فقد جرى الكلام يوما في مجلس الإمام أبي محمد عبد القادر البجائي مسألة الحلف بالإيمان اللازمة في أن عرف الزمان أن يفتى فيها بالطلاق الثلاث، فقيل إن المسألة فيها إشكال، وإبقاؤها في عصمة الأول أولى من إحلالها لتسليم عصمة أخرى عليها، فإن العصمة الأولى كانت مضعفة وإنما عرض شك في الاستصحاب. وقال : لسنا نأمره بإنشاء طلاق آخر، وإنما يحكم عليه لحل العصمة بحنثه بالإيمان اللازمة، وذلك أمر مشكوك فيه وإلغاؤها في العصمة أولى من تسليط عصمة أخرى بالشك أو معنى هذا الكلام.

وقد علق ابن رشيد على ذلك قائلا : إن حجة القائلين بأنه يقضى فيها بالثلاث لأنها قد صارت في عرف العامة علما على الثلاث فهو كمن طلق بغير لغة الطلاق ونوى به الطلاق، بل هذا أقوى لأنه لفظ يصح التجوز به إلى الطلاق لاشتراكهما في معنى اليمين والمعتبر في ذلك عرف الحالفين لا عرف المفتين، فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه أن يراد به الطلاق الثلاث ولم يجزئه أن يفتي فيه بذلك ولا يحل للمفتي أن يفتي بما يتوقف على العرف إلا بعد معرفته. فاعلم ذلك فإنه من المهم[2] وقد زل بسببه قوم والله الواقي من الزلل.

فابن رشيد هنا يناقش هذه المسألة الفقهية وينبهنا إلى مسألة العرف وأثرها في توجيه الأحكام الشرعية والمشاكل الفقهية خاصة، وممن ناقش هذه المسألة ابن القيم الذي يقول إنه لا يجوز للمفتي الإفتاء إلا بالأعراف في بعض المسائل[3] وإن لم يفعل ذلك ضل وأضل، وممن بحث هذه المسألة أيضا شهاب الدين القرافي[4] الذي يقول إنه يلزم المفتي ونحوه ملاحظة العرف لأنه لا يجوز له أن يفتي في الإقرار والأيمان والوصايا وغيرها مما يتعلق باللفظ بما اعتاده هو من فهم تلك الألفاظ دون أن يعرف عرف أهلها والمتكلمين بها فيحملها على ما اعتادوه وعرفوه وإن كان مخالفا لحقائقها.[5]

---

[1] : الرحلة 33/6.

[2] : قال ابن قيم في أعلام الموقعين 138/4 بمراعاة نية الحالف وانظر أيضا مثل هذه المسألة في المرجع نفسه 1/ 34 و151/4.

[3] : نفسه 289/4.

[4] : الفروق للإمام شهاب الدين القرافي وبحاشيته كتاب إدرار الشروق على أضواء الفروق لابن الشاط صاحب ابن رشيد 43/1.

[5] :.اعلام الموقعين 289/4

الشروط المقترنة بالبيع :

ومن تلك المسائل التي بحثت في الرحلة مسألة الشروط المقترنة بالبيع[1] فقد سمع ابن رشيد عن شيخه ابن زيتون يقول في بعض مجالسه في الشروط المقترنة بالبيع أنها على ضروب ثلاثة: شرط يقتضيه أصل البيع وشرط لا يقتضيه أصل البيع ولا ينافيه وشرط لا يقتضيه أصل البيع وهو مع ذلك ينافيه.

ثم فصل الكلام في ذلك.

ويظهر من هذا النص أن ابن زيتون قال بما ساقه ابن رشد وذلك وفق مذهب مالك[2] الذي تنقسم عنده الشروط إلى ثلاثة أقسام وهي شروط تبطل هي والبيع معا وشروط تجوز هي والبيع معا وشروط تبطل وتثبت البيع.

قال عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : قد أطلق بعض أكابر أصحاب الشافعي[3] رحمه الله أن الخروج من الخلاف حيث وقع أفضل من التورط فيه. فقال ابن رشيد : ليس الأمر كما أطلق بل الخلاف على أقسام. ثم ذكر من هذه الأقسام ما يخص منها التحريم والجواز والاستحباب والايجاب.

وقد ذكرت هذه المسألة في قضية البسملة وقراءتها عند المالكية والشافعية وذلك بعد أن لقي ابن رشيد شيخه ابن دقيق العيد.

الصدقة :

ومما ورد في نثر ابن دحية، ويمكن أن يدرج في أبواب الفقه قوله : "أجاز مالك أن تدفع الصدقة لمن له الدار والخادم والفرس وأبو حنيفة يشترط النصاب، والشافعي يشترط القوت.[4] وقد ورد ذلك في نثره الذي استعمل فيه ألفاظا غريبة (انظر النثر)

الشهادة والعمل بالفرائض :

وجاء في معرض ذكر حديث أن رسول الله (ص) قال : "من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه وأن محمدا رسول الله دخل الجنة" أن هشام بن عبد الملك قال لابن

---

[1] : الرحلة 15/6.
[2] : بداية المجتهد 120/3.
[3] : البحر الزخار للمرتضى 432/4 (باب الشروط المقارنة للعقد).
[4] : الرحلة 58/3-59.

شهاب : أبلغك أنه من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال له : يا أمير المؤمنين كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض، فلما نزلت الفرائض لم تنفع لا إله إلا الله إلا بأدائها. وقد جاء هذا الخبر في الخلعيات.[1]

الإجماع والاجتهاد :

إن الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوع بها، وقد وردت هذه المسألة في ذكر التقليد وقول ابن الصلاح أن متبع الإجماع ليس بمقلد ورد ابن رشيد أن هذا الإجتماع مصادم بعمل العلماء في أعمال الترجيح.[2]

نوادر وحكايات فقهية :

ومن النوادر[3] والنكت الواردة في الرحلة ما حدث به أبو الحسن بن ديسم شيخ ابن رشيد بتونس وقد حدث بها عن منشئها أبي الربيع بن سالم وذلك في أواخر ربيع الأول عام 686هـ فقد قال السائل الممتحن لفقيه لحن[4] أيجوز الوضوء بالهمام؟ فقال هو كما الغمام.

والهمام ما ذاب من البرد.

وقال: هل يسوغ الوضوء في قدح النضار، قال أي ومالك الليل والنهار والنضار شجر النبع.

وقال : فما ترى في الوضوء بعين التمر ؟ قال : لازم لمن حمله بحزم الأمر.

وعين التمر مكان معروف.

وفي باب الصلاة قال : فمن استنجى ثم صلى ؟ قال نعم ما تولى.

والمستنجي الذي يحل نجوا من الأرض وهو المكان المرتفع الذي يظن أنه نجاوة.

قال فإن صلى المكتوبة على أحد الفحول ؟ قال صلاته جائزة بجلي من النص والتأويل.

---

[1] : الرحلة 78/5.
[2] : الرحلة 65/5.
[3] : الرحلة 64/6.
[4] : لحن الرجل إذا أخطأ ويقال أيضا إذا أصاب وفطن، وانظر له معاني أخرى : الزاهر لابن الأنباري 488/1..

والفحـول جمع فحل وهو الحصير المتخذ من فُحال النخل ومن باب الصيام قال: من أفطر في رمضان بعد العصر وقد أظلم. قال : أصاب وما ظلم.

أي بعد أن عصر شيئا مما يتناول بعد العصر وأظلم أي دخل في الظلام.

ثم مشى على هذا المهيع على ما تيسر له من أبواب الفقه ومن النوادر الفقهية ما أخبر به الشيخ أبو بكر بن حبيش قال : أخبرني سهل بن مالك[1] قال :

لما تسـمى أبو العلاء بأمير المؤمنين كان يحضر مجلسه الطلبة فيتذاكرون بين يديه ويتكلم أمير المؤمنين، فتكلم يوما فقال : السلْم بسكون اللام وهو يعني الذي هو من أقسام البيوع، قال سهل : فأعدت السلم بسكون اللام وقلت قال الفقهاء في السلم بفتحها والسلم من حكمه كذا وكررت مرات معتنيا بفتحة السلام فنظرت إليه يحدق إلى النظر كالمصغي لما أقول فلم يعدها إلى أن انقضى المجلس، فلما وصلت منزلي أدركني بعض ملاكه ومعه كسوة من ثيابه وصرة فيها خمسمائة دينار، وآخر بفرس مطهم فقال مولانا يقرأ عليك السلام ويقول لك هذا من ثيابه ومن ركابه تصلي فيها وتدعو له وهذا برسم البعثة.

[1] : سهل بن مالك كاتب مجيد ظريف الدعابة انظر الإحاطة 277/4 والذيل والتكملة س 4ص 101.

المبحث الرابع : الأصول

كـان لعلـوم أصـول الفقـه أهمـية كـبرى في الدراسات الإسلامية لأنه يمثل المنهج السـليم للـتعامل مع النصوص من أجل استنباط الجيد منها، فإذا ذهبنا إلى أن أول من صـنف في عـلم الأصـول هـو الإمـام محمـد بن إدريس الشافعي[1] فإن العلماء قد أخذوا أنفسـهم بـالإطلاع على مباحث هذا العلم، إذ قلما نجد جهبذا منهم إلا وله مشاركة في الموضـوع علـى اعتـبار أن هـذا العلم مؤكد لأهلية العالم للخوض في القضايا الإسلامية لذلـك لم يكـن غريـبا أن نلـتمس القـاعدة الأصولية عند ابن رشيد على اعتبار أن علم الأصول يمثل الأداة التي تتيح للعالم مناقشة القضايا الإسلامية.

فقـد كان من بين الشخصيات اللامعة التي تركت أثرها في الفكر الإسلامي عامة والفقه والأصول خاصة أولئك الأصوليون المشهورون الذين كانوا ولا يزالون قطب الرحا في هـذا المـيدان، ولهـذا لا تـزال كتـبهم وأفكـارهم وآراؤهم مصادر لذلك العلم. فعلم الأصـول والفقـه والتصوف لا يمكن أن يطرح موضوعها في هذا العصر الذي نحن بصدده دون أن نـأخذ بعـين الإعتـبار أمـثال الغزالي[2] وابن العربي[3] وابن رشد[4] وابن الجوزي[5] وابن الصلاح[6] وابن الحاجب[7] وابن المنير[8] وإذا عرفنا أن هؤلاء كانوا كلهم مصادر لرحلة ابن رشيد أدركنا مدى ارتباط أفكارهم ببعض المسائل الواردة فيها من الأصول.

وينـبغـــي كـــــذلك أن نعـــــرف أن ابــن رشـيـــــد كـــان مــتأثرا بشـيوخـــــه وأصحابه الأصوليين كتاج الدين الفركاح[9] وابن دقيق العيد[10] وأبي القاسم ابـن الشـاط الأنصـاري[11] وابـن البـناء المراكشـي[12] وأبـي المعالي الأصبهاني إمام الخلافيات في عهده[1].

[1] : انظر مثلا كشف الظنون وكتاب الفتح المبين في طبقات الأصوليين (الكشف 110/1 و الفتح ص 6) وذكر أول من صنف في علم الأصول.
[2] : الفتح 8/2.
[3] : نفسه 14/2.
[4] : نفسه 20/2.
[5] : نفسه 40/2.
[6] : نفسه 63/2.
[7] : نفسه 65/2.
[8] : نفسه 84/2.
[9] : نفسه 92/2.
[10] : نفسه 102/2.
[11] : نفسه 123/2.
[12] : أنظر من القيهم بمراكش.

وسأورد في هذه العجالة شيئا من المناقشات الأصولية التي وردت في الرحلة وذلك على ندرتها :

كان ابن رشيد يتناول في رحلته تحليل بعض النصوص على طريقة الأصوليين ويستعمل مصطلحاتهم، وهذا مما يدل على تضلعه من كثير من العلوم وتكوينها لشخصيته، فقد كان علم الأصول علما رفيعا لن يطرق بابه إلا العلماء، ولم يمارس دراسته إلا المجتهدون ورجال الإفتاء، ولزم من معرفته لأهل الإجتهاد والاستنباط أن يكون كاملا في بحوثه، ولهذا عكف المحدثون وعلماء الجرح والتعديل على الأهتمام بهذا العلم[2] ولما كان الواجب على كل خائض في علم من العلوم أن يحيط علما بموضوع ذلك العلم[3] فإنه يتحصل لدينا أن ابن رشيد كان له إلمام بذلك وإحاطة به، وإن كانت بعض المسائل وردت في الرحلة على سبيل الإجمال، فإنها عناوين صغيرة تدل على الإحاطة بما يعظم قدر الفقيه ويشرفه ويظهر رونق الفقه ويعرفه[4].

ولأجل الاهتداء إلى بعض ذلك نورد مناظرة وقعت بين أبي القاسم بن زيتون التونسي وبين ابن رشيد في قوله صلى الله عليه وسلم : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، فعقب عليه ابن رشيد بقوله يرجح فهم من قال حكم، على من قال إثم، فقال له ولم فرد عليه : لأنه لما سلط المتكلم البليغ الرفع على مالا يمكن رفعه جنسا علمنا أن مراده رفعه حكما، لأن الحكم يتضمن رفع لوازم الحقيقة. ثم راجع ابن رشيد فكرته بنفسه وعاد إلى الموضوع منتقدا ومصححا ومدققا بعد أن ستحسن ابن زيتون كلامه. ثم أضاف قائلا : ويمكن غيري أن يقول من ترجيح قول مالك رحمه الله : إن من المعلوم في الأصول أن المحذوف يتقدر بمقدار الضرورة، ولا بد من حذف هنا وتقدير إثم أخص من تقدير حكم أعم، فهو مساواة في مقدار اللفظ، ولم يساوه في مقدار المعنى، ولأن رفع الإثم مجمع عليه، والزائد مختلف فيه، فكان تقرير المتفق عليه أولى، ويظهر أن ابن رشيد كان يفكر في المسألة تفكيرا عميقا بعد مغادرة شيخه، ولهذا عقب على قوله : بأن هذا شيء ظهر له بعد مفارقة الشيخ رضي الله عنه وهو مقتبس من أنواره مقتدر فيه بواضح آثاره.

---

[1] : مفتاح الوصول للتلمساني ص : ر.
[2] : تخريج الفروع على الأصول للزنجاني 33.
[3] : ادرار الشروق لابن الشاط 3.
[4] : الرحلة 13/6.

وقد آثار الزنجاني هذه المسألة في كتابه فيما ذهب القدرية والحنفية، التي رأت في قوله (ص) "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" أن هذا مجمل لا يجوز الاحتجاج به لتردده بين الصورة والحكم، وعقب على رأيهم بفساد ما اعتقدوه، لأن نفي الصورة لا يمكن أن يكون مرادا لما فيه نسبة كلامه (ص) إلى الخلف، فكان المراد رفع حكمه على ما قرره في مكان آخر من كتابه[1].

. وأشار صاحب تهذيب الفروق إلى هذا الحديث وقال إن معناه متفق عليه، لأنه ثبت في الشرع إقالة عثرات ذوي الهيئات في الزلات وأن لا يعاملوا بسببها معاملة غيرهم، ففي الحديث : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، وفي حديث آخر : تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة والصلاح[2] معنى ذلك.

وقال التلمساني في الكلام الذي يتوقف صدقه على الإضمار أن الذي يعين المضمر هو العرف في مثل هذا رفع المؤاخذتبه أي لا تؤخذ أمتي بخطأ ولا نسيان[3].

وقد فصل سيف الدين الآمدي هذه المسألة في كتابه الإحكام وقال إنه لا إجمال في قوله (ص) : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان"[4]

وأشار سيدي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي إلى الخطأ في الحكم فقال: والخطأ عند الجمهور معناه عدم مصادفة ما حكم الله به بعينه في نفس الأمر[5].

أما ابن حزم فإنه لما تكلم على الإجتهاد والخطأ ورد في سياق كلامه قوله تعالى: "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم" وعلق على ذلك بقوله: فصح بالنص أن الخطأ مرفوع عنها، فمن حكم بقول ولم يعرف أنه خطأ وهو عند الله تعالى خطأ فقد أخطأ ولم يتعمد الحكم بما يدري أنه خطأ، فهذا لا جناح عليه في ذلك عند الله تعالى، وهذه الآية عموم، ودخل فيه المفتون والحكام والعاملون والمعتقدون، فارتفع الجناح عن هؤلاء بنص القرآن فيما قالوه أو عملوه مما هم مخطئون فيه[6].

---

[1] : تخريج الفروع 185.
[2] : تهذيب الفروق 182.
[3] : مفتاح الوصول 51 وانظر أيضا البحر الزخار 291/2 وجامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي 352.
[4] : الأحكام في الأحكام 18/3.
[5] : نشر البنود في مراقي السعود 329/2 طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث.
[6] : الأحكام في أصول الأحكام 1482/8.

عند الله تعالى، وهذه الآية عموم، ودخل فيه المفتون والحكام والعاملون والمعتقدون، فارتفع الجناح عن هؤلاء بنص القرآن فيما قالوه أو عملوه مما هم مخطئون فيه[1].

ومن المباحثات الأصولية ما جرى بين ابن رشيد وبين أبي القاسم ابن زيتون في مسألة أي المجازين أرجح ؟ : هل إطلاق السبب على المسبب أو العكس ؟ يعني إطلاق المسبب على السبب.[2]

فقال ابن زيتون إن إطلاق السبب على المسبب أقوى، لأن السبب الخاص يشعر بمسبب خاص، والمسبب الخاص لا يشعر إلا بسبب عام.

ثم أوضح ذلك بقوله : ألا ترى إنك إذا قلت : أكلت خبزا كثيرا أشعر عادة بالشبع، وإذا قلت شبعت أشعر بمأكول ما من غير خصوص، فقال ابن رشيد : وهذا معنى قولهم: إطلاق السبب على المسبب أقوى من إطلاق المسبب على السبب لإستلزام العلة المعينة المعلول المعين، واستلزام المعلوم المعين مطلق العلة لجواز تعليل الواحد بالنوع - بالعلل المختلفة. ثم أيد ذلك بأمثلة منها قوله تعالى : " **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**"، فقد سمى عقوبة الاعتداء اعتداء لأنها مسببة عن الاعتداء ومثله قوله تعالى : "**فلا عدوان إلا على الظالمين**". وغير ذلك.

ويظهر من خلال هذا النص أن المجاز كان من المسائل الدقيقة والمهمة التي لفتت انتباه الأدباء والبلاغيين والنقاد والأصوليين والفقهاء على السواء، حتى اختلاف الأئمة في مفهوم الحقيقة والمجاز[3] دعا إلى الاختلاف الكبير بين أكابرهم[4] فمثلا إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن يكون كلاهما مرادا عند الشافعي بينما يرى أبو حنيفة أنه لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز.

---

[1] : الأحكام في أصول الأحكام 1482/8.
[2] : الرحلة 14/6-15.
[3] : الاحكام لابن حزم 531/1.
[4] : تخريج الفروع على الأصول للزنجاني 68. انظر عن السبب والمسبب وما يتعلق بذلك كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص 55 وما بعدها.

المبحث الخامس : الزهد والتصوف

كـان القـرن السـابع الهجـري يمثل تلك الفترة التي تميزت بكثرة المتصوفين وشيوع المؤلفـات الكبرى في التصوف، وقد جاءت هذه الفترة بعد أن عانى علم التصوف الأمرين مـن خصـومه في القـرون الثلاثة الأولى، إذ كان التصوف حتى القرن الثالث أسلوبا من أساليب الزهد، ثم بدأ يتجه نحو الفلسفة[1]، وفي العصر الذي نحن بصدد دراسته كان يقوم على أساس منهج استبطان النفس وتحليل لأحوالها، كما نجد ذلك في شعر الحلاج ورابعة العدويـة، هـذا علما بأنه قد مرت مرحلة التوفيق بين التصوف وخصومه في القرن الخامس الهجـري علـى يـد الغـزالي الذي كان يرى أن التصوف عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله، وأن حاصل ذلك يرجع إلى عمل القلب والجوارح، وبين الغزالي أيضا شواهد شرعية على صحة طريقة أهل التصوف في اكتساب المعرفة، لا من التعلم ولا من الطريقة المعتادة، ولكن عن طريق الكشف والإلهام[2]، أما أبو نعيم الأصبهاني فيرى أن المتصـوفة يلـزمون أنفسهم دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ومفارقة الراحات، وأن مباني المتصوفة المتحققة على أربعة أركان، وهي معرفة الله ومعرفة أسـمائه ومعـرفة النفوس ومعرفة وساوس العدو ومعرفة الدنيا[3]، ويلاحظ كذلك في القرن السـابع الهجـري شـيوع ذلـك الاتجـاه المـتأثر بالغـزالي، وذلك لما كثرت الطرق الصوفية المنتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه[4].

وعلـى الـرغم مـن أن الإفـادات الـواردة في الـرحلة عـن الـزهد والتصوف قليلة، والإشـارات إلـى بعضـها عابـرة، تسـاعدنا، مـع ذلك على تعرف بعض النيارات العقدية الرائجة في هذا العصر والذي قبله.

وسـأورد في هـذه العجالة ثبتا فيه إفادات ومعلومات عن المسائل التصوفية وأشير إلـى مكـان ورودها في الرحلة، وأنبه مرة أخرى على شيء من أخبار الزهاد والمتصوفين، وأتـبع ذلـك بـرقم مسلسـل، وأنبه من حين لآخر على أن هذا الخبر قد مر ذكره مثلا في تلك القائمة وأشير إلى الرجوع إلى تراجم خاصة في غير ذلك من الكتب.

---

[1] : فلاسفة الإسلام في الغرب الإسلامي ص 83 (جمعية نبراس الفكر ط 1 سنة 1061).

[2] : إحياء علوم الدين 1089/6.

[3] : حلية الأولياء 24/1.

[4] : الرحلة 97/3 (وانظر عقيدة ابن رشيد في هذا البحث، قبل، وكتابة العز الحراني كتبا إلى أمراء الطرائق وإلى بعض أهل دمشق وانتفاع ابن رشيد بتلك الكتب.

المتصوفون والزهاد وبعض مسائل التصوف :

ابن حبيش = محمد بن حسن

ابن الخيمي = محمد بن عبد المنعم

ابن زيتون =ى أبو القاسم بن أبي بكر

ابن سامة الطائي = محمد بن عبد الرحمن

ابن سبعين = عبد الحق بن اسحق (انظر الرقم المسلسل 37)

ابن السماط (الحماط) = يوسف بن علي

ابن الظاهري = أحمد بن محمد

ابن عربي = محمد بن علي

ابن العريف = أحمد بن موسى

ابن عساكر = عبد الصمد

ابن الفارض = عمر بن علي

ابن القاهري = عبد الله بن الحسن

ابن القاهري = عيسى بن الحسن

ابن قطرال = محمد بن علي

ابن لكوط = أبو إسماعيل

ابن مبارك = عبد الواحد بن محمد

ابن محرز = محمد بن محمد

ابن مسدي = محمد بن مسدي

1- أبو إسماعيل بن عبد السلام الدكالي المعروف بابن لكوط الرحلة 108/3، وقد سمع جميع كتاب عوارف المعارف على مصنفه أبي عبد الله عمر بن محمد البكري السهروردي.

2- أبو بكر بن عمر القسنطيني. انظر ترجمة 149 من هذا البحث وطبقات الشافعية الكبرى 213/6.

3- أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المشهور بابن زيتون الحلة 11/5 و15/6، انظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

4- أحمد الرفاعي الكبير الرحلة 54/2 و9/5 : وقد نقل ابن رشيد من خط أبي اسحق البلفيقي مما انتقاه من مشيخة الحافظ جمال الدين المهلبي أن أبا عبد الله محمد بن أبي البركات بن أبي الخير الحراني، وهو شيخ ممن ذكر أنه قرأ سورة الفاتحة على أبي العلاء الحافظ بهمذان، وصحب الرفاعي ولبس منه وأذن له أن يلبس عنه خرقة التصوف.[1]

5- أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري وهومحب الدين الرحلة 50/5 و77/5 انظر من لقيهم ابن رشيد بالحرم الشريف.

6- أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الرحلة 37/3 و43/3 و95/3 و 97/3 و59/5 وقد لقيه ابن رشيد بمصر.

7- أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف الرحلة 53/2 و87/6 : فقد ذكر أبو محمد الخلاسي شيخ ابن رشيد في سند لباسه خرقة التصوف، وذكر من صحبه من الأئمة وعلماء الأمة، ومنهم الإمام أبو بكر عبد الباقي بن محمد بن برال الحجازي، وذكره ابن رشيد أيضا في ترجمة شيخه المشهور أبي بكر القسطلاني، قال : أنشدني أبي عن أبي الربيع سليمان الكناني المالقي قال : أنشدنا الفقيه الزاهد أبو العباس بن العريف لنفسه[2].

سلو عن الشوق من أهوى فإنهم	أدنى إلى النفس من وهمي ومن نفسي
مازلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم	لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسي

وفيها يقول : (البسيط)

---

[1] : الرحلة 9/5.

[2] : الرحلة 110/3 وانظر ترجمته أيضا في و***ابن خلكان 168/1 وانظر هذه الأبيات في درة الحجال 220/1 ترجمة 319 نقلا عن ابن رشيد.

لأنهضـن إلـى حشـــــري بحبهم   لا بــــــارك الله فيمـــن فاتهم فنسي

8- أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللبلي الرحلة 27/2 وانظر من لقيهم ابن رشيد بتونس.

9- أحمد المغاوري أبو العباس : جاء في ذكر مرويات أبي يعقوب يوسف الجذامس أنه لقي بمراكش أبا اسحق اللوري _ بالراء المهملة) والشيخ أبا العباس أحمد المغاوري، وقرأ عليهما بجامع علي بن يوسف الرسالة والرعاية للمحاسبي ومقـــامات الهروي، وبعض التفسير لِابن عطية وغير ذلك من كتب الرقائق الرحلة 45/2.

10- البعلبكي = عبد الولي بن بحتر. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة

11- ثابت بن علي العسقلاني. انظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.

الجذامي = يوسف بن إبراهيم

حاجة = محمد بن ناصر

الحراني = عبد العزيز بن عبد المنعم

الخازن النيسابوري = محمد بن سعيد

الخراساني = التلمساني = محمد بن أحمد

الخفيفي الأبهري = عبد المحسن بن فرا مرز

الخلاسي = عبد الله بن يوسف

الخلاطي = شعبان بن أبي الطاهر

الدلاصي = محمد بن حازم

الرفاعي = أحمد الرفاعي الكبير

السلاوي = محمد بن إبراهيم

السهروردي = عموية = عمر بن محمد

الشريفي = الطبري = عبد الله بن عبد الله

12- شعبان بن أبي الطاهر الخلاطي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة.

الصفار المطرز = محمد بن موسى

صواب الصلاحي = الطواشي، انظر من لقيهم بالقاهرة.

الضياء السبتي = عيسى بن يحيى

13- طاهر بن الحسين المخزومي. الرحلة 77/5 : جاء في الرحلة أن أبا حيان الغرناطي أنشد لابن رشيد بالقاهرة وكتبه له بخطه قال أنشدنا الفقيه الأصولي وجيه الدين رحلة الوقت أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي طالب أحمد بن عمران الأنصاري الازدي السعدي بقراءته عليه بالإسكندرية وباسناده لطاهر بن الحسين المخزومي قال : (الكامل)

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى	وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق بيض وسود لفقت	فكأنه فيها غراب أنقع
إن التصوف ملبس متعارف	يخشى الفتى فيه الإله ويخشع

فهذه الأبيات تدلنا على حقيقة التصوف وتكشف لنا عن وجهه المشرق، وتبعد عنه كل ما يشينه، فقد ذكر السهروردي أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات، فهكذا في اللباس تتفنن فيه، ولها فيه أهوية متنوعة مختلفة[1] ولما كانت النفس محل الآفات فلهذا ينبغي أن يكون ثوب الرجل حسنا ونعله حسنا وكل ذلك لا بهوى النفس والافتخار والخيال، وقد قال (ص):إن الله جميل يحب الجمال[2].

الطبري = الشريشي = عبد اله بن عبد الله.

14- الطواشي = صواب الصلاحي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة

15- عبد الرزاق بن إبراهيم اللخمي. انظر من لقيهم ابن رشيد بمصر.

16- عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر. انظر من لقيهم ابن رشيد بالحرم الشريف.

---

1 : عوارف المعارف 353.
2 : عوارف المعارف 359.

17- عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني. انظر من لقيهم بمصر.

18- عبد الله بن الحسن بن القاهري. انظرمن لقيهم بالقاهرة

19- عبد الله بن عبد الله بن محمد السليم الأزدي الشريشي. انظر من لقيهم بتونس.

20- عبد الله المرجاني. انظر من لقيهم بالحرم الشريف.

21- عبد الله بن يوسف الخلاسي. انظر من لقيهم بتونس

22- عبد المحسن بن فرامرز بن خالد بن الشهيد عبد الغفار الخفيفي الأبهري وقد لبس القسطلاني منه خرقة التصوف الرحلة 45/2 و60/5 و106/6 و110/3.

23- عبد الواحد بن محمد بن مبارك. انظر من لقيهم بتونس واخباره في الرحلة كثيرة 5/2، 6، 7، 56، 58، 60 و45/6، 47، 94، 39 و37/7، 38.

24- عبد الولي بن بجتر البعلبكي. انظر من لقيهم ابن رشيد بالقاهرة.

العسقلاني = ثابت بن علي

العطار المصري = ناصر بن عبد الله

25- علي الحنبلي. انظر من لقيهم بنابلس.

26- عمر بن علي بن الفارض الحموي الأصل المصري المولد، أبو حفص وأبو القاسم، فقد ورد ذكره فيما وقع بين نجم الدين الإسرائيلي وبين ابن الخيمي في مساجلة أدبية مشهورة، وتحاكمهما إلى الأديب الشاعر الصوفي ابن الفارض الرحلة 48/3 قال عنه ابن رشيد إنه أخذ عن مشيخة أهل بلده ومال إلى الأدب وكتب عن بعض الولاة ثم رحل إلى المشرق فأدى الفريضة ولم يعد بعدها إلى الأندلس، وسمع الحديث من الحرستاني وغيره، وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفي ويقول بها[1] وممن روى بهذه الإجازة عنه أبو الحسن بن رزين شيخ ابن رشيد.

[1] : وهي كقوله أجزت للمسلمين أو لمن أدرك زماني وما أشبه ذلك واختلفوا في جوازها، فجوزها الخطيب البغدادي مطلقا، أنظر الكفاية له ص 311 والخلاصة للطيبي 108..

27- وكذلك أجاز بها لأهل عصره ولمن أحب الرواية عنه،[1] وقد برع الطائي هذا في علم التصوف، وله في ذلك تأليف كثيرة[2]، ويروي سنن الدارقطني عن أبي الفضل.

28- ابن هبة الله الشافعي سماعا وقد توفي سنة 640 هـ[3] وأنشد الشرف الجزائري لابن رشيد[4] قال : بينما ابن عربي في طوافه بالبيت ليلا منفردا وقد عجبه طوافه وهو ينشد شيئا من الشعر إذ أحس من ضربة بين كتفيه بكف ألين من الحرير فالتفت فوجد شابة فقالت له : أعد علي، فأنشدها شيئا من ذلك، فقالت يا مغربي مع من أنت تتحدث ؟ من محبوبك ؟ فقال لها : ومن أنت ؟ فقالت : من بنات الروم، وبينما هما في الكلام إذ قطع الحديث دخول مغربي بالطواف فلكز ابن عربي، فالتفت ليوبخه على صنعه فلم يجد لتلك البنت خبرا، وذهبت عنه، ومما أورده ابن رشيد من ذلك الشعر قوله بعد هذه الحكاية : (مجزوء الرمل)

ليت شعـــري هـــل دروا	أي قلـــب ملكـــوا
وفـــــؤادي لو درى	أي شعـــب سلكـــوا
أتـــراهـــم سلمـــوا	أم تـــراهم هلـــكـــوا
حـــار أربـاب الهـــوى	في الهـــوى وارتبكـــوا

29- عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بعموية السهروردي المولد البغدادي الدار وقد سمع عليه أبو بكر القسطلاني، انظر الرحلة 110/3 خاصة و107 و63/5 و6/ 60 و87/6 و 20/7.

عموية = السهروردي = عمر بن محمد

30- عيسى بن الحسن بن القاهري انظر من ليقهم بالقاهرة.

31- عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي انظر من لقيهم بالقاهرة.

القسطلاني = محمد بن أحمد

---

[1] : الرحلة 83/6.

[2] : هدية العارفين 114/2 وانظر كتبه الكثيرة جدا فيها.

[3] : انظر ترجمته أيضا في الذيل والتكملة 493/6 وقال إن وفاته سنة 637 أو 638 هـ ولاحظ الإختلاف.

[4] : الرحلة 58/6.

القسنطيني = أبو بكر بن عمر

اللبلي = أحمد بن يوسف

محب الدين الطبري = أحمد بن عبد الله

32- محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي انظر من لقيهم بتونس

33- محمد بن أحمد بن إبراهيم الخراساني التلمساني انظر من لقيهم بالقاهرة.

34- محمد بن أحمد بن علي القسطلاني انظر من لقيهم بالقاهرة

35- محمد بن حاتم الدلاصي انظر من لقيهم بالقاهرة

36- محمد بن حسن بن حبيش انظر من لقيهم بتونس

37- محمد بن سعيد بن موفق بن أبي البقاء النيسابوري الصوفي شيخ المتصوفة ببغداد وكان يعرف بالخازن (556هـ-646هـ) قرأ على أبي زرعة وروى عنه أبو الحسن الغرافي الرحلة 11/3

38- محمد بن سوار بن إسرائيل بن خضر بن إسرائيل الدمشقي صاحب الحريري قد مر ذكره الرحلة 44/3.

39- أبو محمد عبد الحق بن اسحق بن سبعين المجاور بمكة، جاء ذكره في خبر مرويات أبي يعقوب يوسف الجذامي أنه صحب بسبتة وبجاية وتونس وقابس الشيخ الفقيه الحافظ أبا محمد عبد الحق بن أبي اسحق بن سبعين المجاور بمكة إلى أن توفي بها. الرحلة 45/2

40- محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي انظر من لقيهم بالقاهرة

41- محمد بن عبد المنعم بن يوسف المشهور بابن الخيمي، مر ذكره وانظر من لقيهم بمصر.

42- محمد بن علي بن قطرال انظر من لقيهم بتونس

43- محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو عبد الله وأبو بكر الطائي الصوفي الرحلة 2/22، 30/2، 25/2، 59/6، 83/6، 65/7 قال عنه ابن رشيد أنه يأخذ عن مشيخة أهل بلده ومال إلى الأدب

44- أبـو بكـر بـن محـرز البلنسي وقد ورد له في الرحلة شعر في النعل الكريمة وشعر في وصف الركب السائر وفيه يقول : (الخفيف)

قبلت منهم الصلاة وهم لا يقربون الصلاة إلا سكارى

وغـير ذلـك مـن الشـعر انظـر أخباره في الرحلة 2/2، 13/2، 29/6ن 48/6 مكرر، 64/6.

45- محمد بن موسى بن عبد الله الصفار وهو شيخ الزمان في وقته زهدا وعلما وورعا الرحلة 26/5.

46- محـمـد بـن ناصـر الملقـب بحاجـة، وكان فقيرا مجردا مفردا أخذ القسطلاني خرقة التصوف من يده الرحلة 110/3

المخزومي = طاهر بن الحسين

المرجاني = عبد الله بن محمد

المطرز = محمد بن مكي = الصفار

47- ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار المصري المكي وكان يدعى قديما بسعيد الـرحلة 107/3 وكـان رجـلا صـالحا أحـد المساتير وسمع الحديث منه أبو بكر القسطلاني.

النجم الإسرائيلي = محمد بن سوار

48- يوسف بن إبراهيم الجذامي انظر من لقيهم بتونس

اين السماط = يوسف بن علي بن مروان انظر من لقيهم بتونس

وفيما يلي ذكر لشيء من المسائل التي تتعلق بالزهد والتصوف.

الدروزة :

ومـمـا يتصـل بهـذا مـا كـان يـرد علـى أبـي بكـر القسـطلاني الزاهد الورع[1] المتصـوف، من الأسئلة، وقد قرأ عليه ابن رشيد بعضها، ومما كتبه له بخطه في 16 رجب

---

[1] : الرحلة 112/3.

684 هـ نص سؤال عن الدروزة[1] هل هي مباحة مطلقا أو لا تباح إلا مع الضرورة، وهل تباح مع القدرة على الكسب أو لا، وهل تباح مع استغراق الزمان في العلم ما نعني به العلم الذي هو فرض عين أو إنما نعني به العلم الذي هو فرض كفاية أم لا، وإذا قيل بابا حتها فهل يقتصر فيها على الكفاية أو يجوز الادخار، وهل يجوز فيها أكل الطَّيِّبَاتِ ولبس الناعم من الثياب أو يجوز فيها الاقتصار على الخشن من الثياب وأكل الخبز الخشكار بلا إدام، أم يجوز معه إِدَامٌ وهل إذا كان له عائلة ولا يطيقون الفاقة وليس له ما يقي أودهم فهل له أن يدروز لحقهم أو حق تلزمه نفقتهم ؟

فأجابه القسطلاني بجواب مطول ملخصه أن الدروزة في مصطلح أهل الطريق مباحة لأجل الغير، وأما إن كان لنفسه، فإن كان لضرورة فهي مباحة، وإن مع غنى فحرام، ... وأما أكل الطيب ولبس الناعم فعند قصده لذلك هو ممنوع منه، وأما إن وقع شيء من ذلك فإن اختار التقشف وايثار الغيرية كان في حقه أولى، وإن وافق وأخذ بقدر الضرورة فلا بأس، وله أن يأكل بإدام، وله أن يدروز لعائلته ما يتم به كفايتهم وكذلك لمن يرد عليه من الفقراء، وحمل الزنبيل له في الطريق بشروط عشرة منها خلوه من الحظ فيه، ووجود الأمانة فيما يحمله إلى الجماعة، وإن سار وهو مار في طريقه فليأخذ ما يعطاه وهو مقبل ولا يرجع من يريد أن يعطيه شيئا إذا ولى عنه، وأن يقصد بسعيه، ذلك وجه الله، وأن لا يلتفت إذا مشى وإن اختار أن يذكر عند حمل الزنبيل ذكرا معينا كقوله : شيء لله، أو يمشي به وهو ساكت فمن وقع له فيه خاطر أن يسأله سأله، فكل ذلك واسع، والاعتبار فيه بالعوائد والنيات.

العقيدة العمرية :

ومن ذلك العقيدة العمرية التي أسمعها ابو العباس، أحمد بن يوسف الفهري اللبلي في مجلس شيخه أبي العباس بن الغماز في أيام الجمع بجامع الزيتونة الأعظم في أوائل شهر ربيع الآخر 686هـ وتسمى هذه العقيدة : العقيدة العمرية في الاعتقادات السنية[2] ومما ورد فيها:[3] " ... اعلموا وفقنا الله وإياكم لتوحيده وأعاننا على لزوم

[1] : انظر كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام لكولد تسيهر 149-150 في معنى الدروزة والفرق بين نوعيها وهما : دروزة تنشد الحياة الزاهدة التي أساسها التأمل والتفكر في الوصول إلى الكمال، والدروشة التي تتخذ التصوف من أجلها ذريعة للبطالة وخداع الجماهير.

[2] : الرحلة 84/6.

[3] : الرحلة 84/6.

تمجيده أنه يجب على كل عاقل بالغ أن يعلم أن لا إسم إلا الله سبحانه وتعالى، وأنه واحد لا شريك له قديم لا أول له دائم لا آخر له، ليس له ضد ولا نظير ولا معين ولا وزير". وقد سارت على هذا المهيع في تنزيه الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتعظيمه وذكر صفاته العليا ونفي الصفات الدنيا عنه وختمها بقوله:"غفر الله لمؤلفها ومعلمها ومتعلمها وقارئها وكاتبها وكاسبها والمسمع والمستمع لها ولوالديهم وإخوانهم وأهليهم ولجميع المؤمنين".

ولا شك في أن ما فيها من المعاني والآراء كانت مباحث مهمة شائعة في القرنين السادس والسابع بخاصة، وهي ترشدنا إلى اعتقاد الصوفية ومفكري الإسلام آنذاك ولا سيما في صفات الله تعالى. ويمكن أن نقول إنها يصدق عليها وصف (البلكفة) كما يبدو في قوله:"ليس له ضد ولا نظير ولا معين ولا وزير لا تماثله الموجودات ولا يماثلها ولا يحتويه الزمان ولا الجهات، ولا يحل فيها فلا يحتاج إلى مكان ولا يفتقر إلى زمان،... لا يستعين بجارحة ولا يسمع بأذن ولا يبصر بحدقة وجفن ولا يبطش بيد ولا يوصف بكون ولا يعلم بقلب ولا يريد بفكر ولا يتكلم بلسان ولا هو عرض ولا جوهر ولا جثمان هو الله سبحانه العظيم الشأن وله الصفات العلى والأسماء الحسنى، أرسل الرسل بالبينات وأيدهم وقواهم بالمعجزات وجعل آخرهم وخاتمهم خير أهل الأرض والسماوات محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الأمي القرشي المكي المدني صلى الله عليه وسلم.

كل مكان يدعوني إلى عبادة ربي :

ومن الصور[1] البديعة في حسن العبادة ما ذكره ابن رشيد من أنه كان أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القيسي السلاوي[2] إماما بمسجد شيخه أبي بكر بن حبيش من ربض باب السويقة بتونس، وبينما ابن رشيد جالس مع شيخه أبي بكر إذ دخل الشيخ الصالح الزاهد أبو عبد الله فصلى مُتَنَفِّلاً إلى بعض سواري المسجد ثم قام إلى سارية أخرى، ففعل مثل ذلك، ثم قال لما فرغ من صلاته : كل مكان يدعوني إلى عبادة ربي فأجبته، أو ما هذا معناه.

عبادة الملك الكامل :

[1] : الرحلة 85/6.
[2] : الرحلة 85/6.

ومن ذلك ما أخبر به[1] أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد حاكيا عن تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد البكري الشريشي الذي كان يصحب الملك الكامل في أسفاره، وكان يحمله معه متبركا به ... فكان الملك في كل ليلة إذا جنه الليل يسمعه يقوم إلى مِحْرَابِهِ قارئا باكيا خاشعا متضرعا إلى الصباح، فإذا قعد على شرف الملك تصرف بما يتصرف به الملوك، فقال له يوما : - بعد أن كثر ذلك عليه — لقد رأيت منك عجبا في طول سفرك، قال وما هو ؟ فقال له : بالليل على تلك الحالة، وبالنهار على هذه الحالة المضادة لتلك، فرد عليه : يا سيدنا : تلك والله حالتي في سفري وفي حضري، ما تأتي ليلة إلا وأتقرب فيها بما جنيت نهارا بالتوبة النصوح عازما على ألا أعود في شيء مما أفعله في نهاري، فما هو إلا أن أقعد على سرير الملك، فما يسعني إلا ما رأيت لتغير الأحوال وفساد الوقت[2].

هاتف يهتف بالجو :

ومما يدل على الصفاء الروحي وطهارة السريرة ما نجده في الرحلة[3] من بعض القصص التي تتضمن إشارات تدل على الروابط التي تصل النفس الإنسانية بالمعاني السامية والشيم العالية والحث على الترفع عن الدنايا والتعلق بكل ماله علاقة بالحق والخير والجمال، فقد أخبر أبو محمد الخلاسي المتصوف تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو عمرو التميمي التونسي قال : نا أبو الحسن المقدسي قال : أن أبو الطاهر السلفي قال : أنا أبو عبد الله الرازي قال : سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي ابن نعيم المصري قاضي البرلس[4] يقول عن بعض سكان البرلس قال : سمعت قائلا يقول ليلا من جانب الفجر، وينشد بيتين، فقصدت الصوت فلم أر احدا فعلمت أنه هاتف هتف بالجو وأما البيتان فهما : (البسيط)

لولا رجـــال لهم ورد يقـــومــونا ... وآخــــرون لهــم صــوم يصومونا

لزلـــزلت أرضكم من تحتكم سحـــرا ... لأنكـم قــوم ســـوء لا تتـــــوبونا

---

[1] : الرحلة 87/6.

[2] : انظر شذرات الذهب 172/5 أن للملك الكامل مواقف مشهودة، فقد كان صحيح الإسلام معظما بالسنة وأهلها محبا لمجالسة العلماء، له عدل مخلوط بالجبروت، وانظر أيضا وفيات ابن خلكان 79/5 أن هذا الملك كان سلطانا عظيم القدْر جميل الذكر محبا متمسكا بالسنة حسن الإعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل، وكانت تبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم في مباحثهم.

[3] : الرحلة49/2.

[4] : البرلس بليدة على شاطيء نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية معجم البلدان 402/1. (يا قوت).

ومما جاء في الأثر دالا على هذه المسألة ما أورده أبو عمر ابن عبد البر في كتابه التمهيد أنه يروى عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : لما توفي النبي (ص) وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت، كل نفس ذائقة الموت..."[1].

وفي الهواتف وأخبارها كتب وقصص مشتهرة

حكاية صوفية : المريد لا تنقطع مسائله :

ومن الحكايات الصوفية ما جاء في الرحلة عن قصة الصبيح والمليح، وهما شابان كانا يعبدان بالشام، فلما أصحرا ذات يوم استقبلا شابا أسود على رأسه حزمة حطب، فدنوا منه فقالا له : يا هذا من ربك ؟ فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها وقال : لا تقولا لي من ربك ولكن قولا لي أين محل الإيمان من قلبك ؟ فنظر كل منهما إلى الآخر، ثم قال: سلا سلا ، فإن المريد لا تنقطع مسائله، فلما رآهما لا يحيران جوبا، قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتي هذه ذهبا، فرأها ذهبا تلمع، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الإخمال أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا، فرجعت حطبا ثم حملها على رأسه ومضى فلم يجترئا أن يتبعاه.

ومهما تكن حقيقة هذه القصة فإن المريد حقا لا تنقطع مسائله، وأن الحكمة تؤخذ من أي جهة كانت، وإلا فما جدوى التجارب الإنسانية سواء ما كان منها مهما أو ما كان أقل أهمية. بل إن الحكمة قد تؤخذ من القلوب الخَرِبَة! .

وبرغم هذه الإشارات القليلة الواردة عن الزهد والزهاد والتصوف والمتصوفين، ترينا جانبا من اهتمام ابن رشيد في رحلته، وتعطينا بعض الحقائق عن الجانب الفكري والروحي لمختلف العصور، وعصر ابن رشيد خاصة، ولاستكمال صورة هذا الفن في الرحلة، أنبه على أنه ينبغي دراسة أحوال التصوف في الشام وما وراءها من بلاد المشرق، لأن العلماء فيها كانوا أكثر ميلا إلى هذا الصنف من الثقافة والذي يدلنا على ذلك ما ذكرنا قبل من الإشارة إلى أمراء الطرائق بالشام، ولا شك في أن لهؤلاء قدما راسخة في هذا الميدان.

---

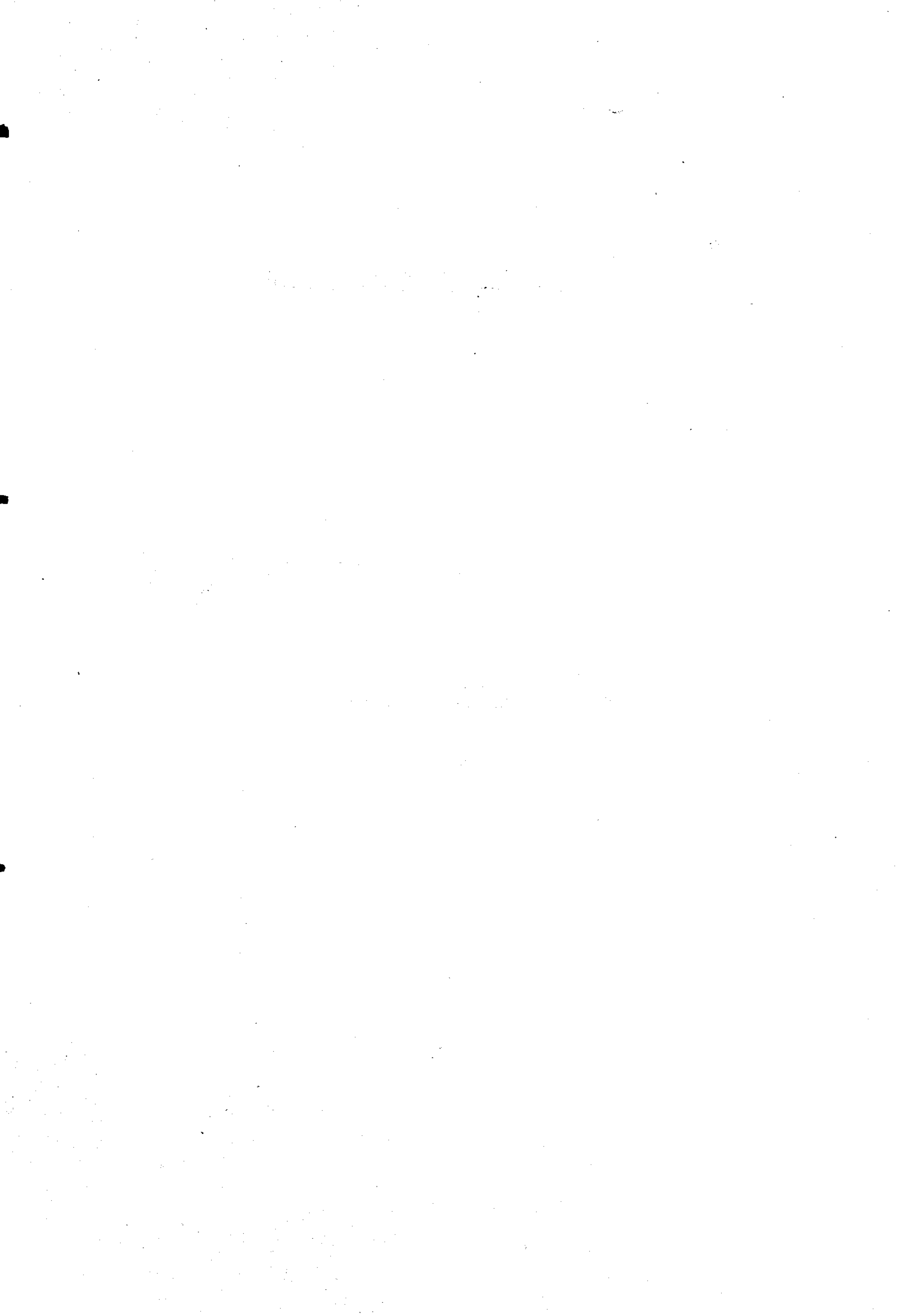
[1] : التمهيد لابن عبد البر 162/2.

المبحث السادس

علوم أخرى

في رحلة ابن الرشيد

- ✓ العقليات (الفلسفية و المنطق)
- ✓ علم الطب



العقليات

الفلسفة والمنطق

ليس عجيبا أن يجمع ابن رشيد في شخصه بين علم الحديث وحرفة الأدب وشيئا من علم المنطق والفلسفة، وذلك تأثرا بشيوخه وأصحابه الذين كان لَهُمْ ميل إلى التوفيق بين هذه العلوم كلها مثل شيخه أبي محمد ابن عبد القادر البجائي مستوطن تونس الذي كان له الفهم السديد والنظر الحديد في كثير من المسائل والإلْمام الواسع بالعلوم كأصول الدين والفقه وصناعة المنطق، وكصاحبه الفقيه الجليل المتفنن والطبيب الماهر أبي يعقوب ابن أتدارس الأموي الأندلسي التونسي الذي كانت له مشاركة في الرياضيات والمعقولات والمنقولات، ومشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب والمنطق، وكصاحبه أبي محمد الأصبهاني كبير المتكلمين وحكم المتناظرين وإمام وقته في النظريات والعلم بالخلافيات والقواعد الصوفيات وصاحب التدقيقات الرقيقة والمصنفات البديعة، وكصاحبه أبي القاسم بن الشاط وابن البناء المراكشي وشيخه حازم القرطاجني والشرف الجزائري، فقد كان كل هؤلاء يرون أن العلوم وثيقة الصلة بين بعضها. ومهما تكن العلوم المنطقية ومصطلحاتها والمناقشات الفلسفية قليلة في الرحلة فإنها تعطينا الدليل على المشاركة فيها والاهتمام بها، فمن ذلك ما سمعه ابن رشيد من انشادات أبي عبد الله بن حيان الشاطبي بتونس قال : أنشدنا أبو المطرِّف بن عَمِيرة : المخزومي لنفسه[1] (الكامل)

فضل الجمال على الكمال بوجهه ... والحق لا يخفى على من وسطه
فبطرفه سحر وسقم قد أتى ... مستظهرا بهما على ما استنبطه
عجبا له برهانه بشروطه ... معه فما مقصوده بالسفسطة

فقد انشغل بهذه الأبيات بعض أدباء المغرب والأندلس كابن الحكيم الرندي صاحب غرناطة ورفيق ابن رشيد في الرحلة، ولهذا كلف جماعة من العلماء والأدباء بوضع شرح على هذه الأبيات من الناحية المنطقية فتناولها بعضهم من جهة البيان والبلاغة، وإن كانت هذه الأبيات من نوع الغزل الذي يغلب عليه التكلف والصناعة التي

[1] : الرحلة 26/2، وانظر هذه الأبيات ومناقشتها في كتاب أبو المطرف بن عميرة وذلك نقلا عن ابن رشيد ص 241

يخفى مقصودها على القارئ، ويكفي أن نعرف رأي ابن رشيد فيها بأن قال :"إن فيها قواعد منطقية لا تمس الحاجة إليها، لأن الناظم أعرض عن القصد الشعري الذي تحيل (بالحاء) فيما تخيله[1] (بالخاء). ومما يدل على اهتمام هؤلاء الشعراء بتلك النوادر والمستطرفات أن ابن رشيد لما قدم على سبتة سنة (706هـ) ست وسبعمائة هجرية إلتقى فيها بأبي القاسم بن الشاط، فوقفه على هذه الأبيات، فاستحسنها وعارضها وأرسل إلى ابن رشيد عام ثمان وسبعمائة (708هـ) يذكره أنه صنع أبياتا خطر له أنها تصلح جوابا لأبيات أبي المطرف، وكتبها له بخطه وهي[2]: (الكامل)

علم التباين في النفوس وإنها	منها مفردة وغير مفرطه
فئة رأت وجه الدليل وفرقة	أصغت إلى الشبهات وهي مورطه
فأراد جمعهما معا في ملكه	هذي بمنتجة وذي بمغلطه(3)

وقد علق ابن رشيد على هذه الأبيات بقوله : وهذا الذي أجاب به صاحبنا عن تعجب الإمام أبي المطرف وابن حبيش، وكأنه وفّى الغرض بذلك.

ولما لقي ابن رشيد صاحبه أبا القاسم بن الشاط عام ثمانية عشر وسبعمائة (718هـ) ذكر له الأبيات وأنشدها له من لفظه، وكان قبل ذلك عرضها على أبي العباس بن البناء الأزدي المراكشي: وتكلم معه في قوله (فما مقصوده بالسفسطة ؟)، فكتب له بخطه بعد انصرافه ما نصه : "قد يكون مقصوده بالسفسطة إيضاح أحوال المخدوعين من المدعين محبته، فقوم يحبونه لكماله وجماله، وقوم يحنون لنغم طربه وسحره"[4]. وقد علق ابن رشيد أيضا على هذا القول بما نصه : "وهذا الذي أجاب به صاحبنا أبو العباس وجه منتجه على بعد إرادة الشاعر إياه، ولكن الكلام الرصين ما حملته من المعاني المعقولة تجدها مقصودة مقبولة".

---

[1] : الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سيناء ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2- 169.

[2] : الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سيناء ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2- 169.

[3] : الرحلة 26/2 وكتاب أبو المطرف 241 وانظر كذلك القرائن المنتجة وغير المنتجة في كتاب الشفا لابن سيناء ص 57 والإيضاح لمتن إيساغوجي في المنطق 69-71 والملل والنحل 164/2- 169.

[4] : الشفاء (المنطق) 55، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية 135/19- 136 والقول أن السفسطة هي إنكار الحقائق، وأنها الجهل والعناد وأنظر نفس المرجع في 42/2 و42/9-43، وكتاب عرض تاريخي للفلسفة والعلم لوولف ص 18

ويظهر من تعليقه هذا أنه يذهب إلى قضية المعنى المنطقي في المعقولات وصلة ذلك بالأبحاث اللغوية والأدبية والبلاغية خاصة[1].

وإذا كان المنطق آلة لتحصيل العلوم الكسبية النظرية والعلمية ورئيسا لها والعون على إدراكها فإنه كان يجد من بعض الفقهاء إعراضا وحربا لفترة من الزمن[2]، حتى أن ابن الصلاح كان يرى أن إستخدام الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام من المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة، وأنه ليس للأحكام الشرعية إفتقار إلى المنطق أصلا[3]، ولما جاء ابن تيمية بنقده المنهجي اعتبر أن المنطق يخالف صحيح المنقول زيادة على مخالفته للمعقول[4].

وإذا كان ابن رشيد يقدر فكر ابن الصلاح ويأخذ من علمه في الحديث والفقه، وينقل كثيرا من آرائه في رحلته، فإنه لا يقف من المنطق موقفه، لأنه لم يتحامل عليه تحامل ابن الصلاح[5] فابن رشيد كان يتصل مثلا بشيوخه وأصحاب لهم فهم في الفلسفة والمنطق والأصول، ولم يظهر لنا في الرحلة أي موقف معاد له أو للفلسفة، إذ إنه لما اتصل بالإمام أبي المعالي محمد بن محمود بن محمد الأصبهاني الشافعي أراه من تصانيفه كتاب الكاشف عن المحصول في علم الأصول الذي شرح به كتاب المحصول للإمام فخر الدين بن الخطيب، ولهذا الكتاب مقدمة حافلة بقواعد المنطق شاملة صدره بها تأسيا بالإمام الغزالي في تصديره لكتابه المستصفى، وسماها نهاية الطالب في تحقيق المطالب وقد حضر ابن رشيد إقراء الأصبهاني بعض هذا الكتاب تفقها عليه، ثم أجازه فيه ولأولاده[6].

ولم يغفل ابن رشيد عن أن يورد شيئا مما يتصل باهتمام الأدباء بالفلسفة والمنطق واصطلاحاتهما، فقد أتى بشيء مما يستحسن في باب العقليات في ترجمة شيخه القاضي الأديب شرف الدين الجزائري[7] أحد المسندين الفضلاء، والبارعين من رواة الأدباء، وهو الملقب بالشريف النحوي، وكان يروي عن ابن الخيمي الصوفي ويحفظ من

---

[1] : انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام لسامي النشار ط 2-1867 ص 37 والعقل والوجود ليوسف كرم ص 24.

[2] : كشف الظنون 1862.

[3] : كتاب الرد على المنطقيين لابن تمية ص 7 وص 32، وانظر مجموع فتاويه 9/269-270 ومناهج البحث 145.

[4] : أنظر كتاب الرد على المنطقيين.

[5] : نفسه وابن الصلاح ص 9. وانظر كشف الظنون 1289 (علم الفلسفيات)، وكيف كان ابن حيان، وهو صديق ابن رشيد، يتبرأ من الفلسفة والمنطق وكيف كان يسميها رفيقه ابن الحكيم بالمنفعل ولا يتجاهر بالمنطق وذلك تقية، وهذا دليل على أن المنطق بالأندلس لم يكن بالعلم المرغوب فيه كثيرا.

[6] : الرحلة 3/88.

[7] : الرحلة 6/59-60.

الأدباء، وهو الملقب بالشريف النحوي، وكان يروي عن ابن الخيمي الصوفي ويحفظ من شعر ابن عربي، ويعتني بكتاب الفخر الرازي المسمى بالمحصول في أصول الفقه، وكذا مؤلفات الخسروشاهي المشتغل بالعقليات، حتى إن الجزائري كان يطرب عند ذكر الخسروشاهي ويفتخر بكتبه إليه[1] ومما له اتصال بذلك ما قرأه ابن رشيد على ظهر مقدمة كتاب الآيات الكبرى للفخر بن الخطيب بخط شيخه (أي شيخ ابن رشيد) الشرف الجزائري من شعر أبي الفتح البستي[2] (الطويل)

لأول أشكال القياس[3] نتائج — تفيد شفاء في جميع المطالب
وليس لثانيها إذا ما سبرته — نتائج في التحقيق غير السوالب
وللثالث الجزئي إما نظرت في — نتائجه والحق أصدق صاحب
فكن حافظا ما قلته تنتفع به — فلن يستجيب الدَّرُّ إلا لحالب

ففي هذه الأبيات مصطلحات منطقية تنم عن معرفة الشاعر لهذا الفن، وتدلنا أيضا على أن من أورد هذا الشعر ونقله لا بد أن يكون له رأي فيه إما بالقبول وإما بالمعارضة، وبما أن ابن رشيد قد أوردها للتدليل على أن الشرف الجزائري له عناية بهذا العلم، فإنها تدلنا بالنتيجة على أن لابن رشيد عناية بذلك إن صح هذا القياس ويكفينا دلالة على هذا إيراد هذا النص في الرحلة دون التعليق عليه بما يسوء إلى المنطق أو المناطقة، مع أننا نجد هناك من أبطل القياس في أحكام الدين كابن حزم مثلا[4].

ولما التقى ابن رشيد بأبي يعقوب يوسف بن محمد بن ** اندارس الأموي الأندلسي الأصل والمشارك في الرياضيات والمعقولات مع حظ من المنقولات، والمشاركة في النحو والأدب والأصول والفقه والطب أنشده في معنى منطقي[5] (الوافر)

وكنت رجوت من زمني نوالا — وأن الدهر يسمح لي بِغُنْمِ

---

[1] : انظر ترجمة الخسروضاهي في فوات الوفيات 257/2 ترجمة 245 .

[2] : انظر هذه الأبيات في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي 302/4، وانظر ما للبستي فيها من الشعر الفلسفي، وفي الطب وغير ذلك 302/4-313.

[3] : انظر كتاب الرد على المنطقيين فيما قيل عن القياس، ورد ابن تيمية إشكالات وأوردها نظار المسلمين على أنواع القياس ص 211 وانظر مجموع فتاويه في الجزء التاسع. وكذا معيار العلم للغزالي 134-158، وانظر أشكال القياس في كتاب المنطق الصوري للدكتور علي سامي النشار409-420. وانظر عن القياس كتاب المحصول للفخر بن الخطيب.

[4] : الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم 1207 وانظر ما كتبه سيف الدين الأمدي في كتابه الأحكام 90/4.

[5] : الرحلة 113/6.

ولما كان لا يبقي بحال ... به يعتد ذو عقل وفهم
يئست من النتيجة منه قطعا ... لأن الإختلاف دليل عقم[1]

وأنشده أيضا في المعنى نفسه وكتبه له بخطه (الوافر)

غدا بالوعد يسمح ذا ازدراء ... ويجعل موعدي يوم التنادي
إلى أن جاد لي بالوصل منه ... زمان لا أعد له الأيادي
فكان كصدق أنتجه قياس ... مقدمتاه ظاهرتا الفساد[2]

وإذا اطلعنا على شعر أبي محمد عبد الله الطبري الشريشي الصوفي، صاحب ابن رشيد، وجدنا فيه بعض النفحات الصوفية وشيئا من المصطلحات المنطقية وذلك مثل قوله في قصيدة[3] (الطويل) :

بمحاسن أنوار تروق إذا تجلى ... وآيات أوصاف تفوق إذا تتلى
تحلى بها المختار من آل هاشم ... فما ظلمة إلا بأنواره جلى
عليم بما قد كان أو هو كائن ... ولكنه حاشاه أن يعرف الجهلا
يعاين فيه كل جود طبيعة ... فتألم منه النفس أن يسمع البخلا
أتى بعد كل الأنبياء زمانه ... فهذا هو البعد الذي يسبق القبلا

ففي مديحه هذا بعض ما يستوقفها ويدعونا إلى التأمل مثل قوله : حاشاه أن يعرف الجهلا . هذا إذا كان الجهل يحتاج إلى معرفة، ولكن المقصود من ذلك هو ملاحظة ما أورده من الكلمات التي استعملها المنطقيون مثل قوله : البعد، والقبل[4] والطبيعة[5]،

---

[1] : الرحلة 113/6 وانظر معيار العلم (تهافت الفلاسفة 70، 131، شرط القياس أن يكون بحيث إذا سلمت قضاياه لزم منه النتيجة وانظر المستصفى للغزالي فصل 3ص 35 لزوم النتيجة من المقدمات وكتاب الرد على المنطقيين ص 361 ومجموع فتاوي ابن تيمية 9/236-257-258.
[2] : الرحلة 113/6 وانظر معيار العلم (تهافت الفلاسفة 70، 131، شرط القياس أن يكون بحيث إذا سلمت قضاياه لزم منه النتيجة وانظر المستصفى للغزالي فصل 3ص 35 لزوم النتيجة من المقدمات وكتاب الرد على المنطقيين ص 361 ومجموع فتاوي ابن تيمية 9/236-257-258.
[3] : الرحلة 18/2.
[4] : معيار العلم للغزالي 334.
[5] : نفسه 363.

فقد قال الغزالي بأن القبل اسم مشترك في محاورات النظار والجماهير، وقد يقال : قبل، للعلة، بالإضافة إلى المعلول مع أنهما في الزمان معا، وفي كونهما بالقوة أو بالفعل[1].

ومن القصص الواردة في هذا المضمار ما حكاه أبو بكر بن حبيش لابن رشيد قال: كنا عند أبي بكر بن محرز يوم عيد نسلم عليه، فجاء أبو المطرف بن عميرة، وكان متواضعا، وكان بينهما وداد بالظاهر لا الباطن، فقيل لابن محرز إن أبا المطرف قد أقبل فتلقاه وقال له ما هذه العكوس ؟ وكان عادته التصافح، فقال له أبو المطرف : هذا من العكوس المستقيمة[2] ويظهر من تلفظه بهذا المصطلح أن المنطق كان علما رائجا بين هؤلاء الأدباء والشعراء والفقهاء إذ كان أداة لثقاف عقلهم ولسانهم.

ومن الإفادات التي تحمل بعض معاني علم الأصول ما أفاد به أبو الفضل التجاني صاحبه ابن رشيد، وهو من قيله[3] (الطويل)

ولو سفرت أسماء ساعة بينهم	لأوقفهم ذلك الجمال المؤنق
ألا كل حسن فهو حسن مقيد	سوى حسن من أهوى الذي هو مطلق
سترت اسم محبوبي بأسماء غيرة	ومالي في أسماء قصد محقق

فقوله بالحسن المقيد والحسن المطلق التفات ظاهر إلى استعمالات الأصوليين والمناطقة، زيادة على ما في الأبيات من المعاني الصوفية. وبما أن أبا الفضل التجاني كان شاعرا مشهورا فإنه ولا شك يجمع إلى ذلك علوما أخرى كعلم الأصول وغيره كما أشرنا قبل في ترجمته.

ومما قرأه ابن رشيد أيضا على شيخه الشرف الجزائري، وكان مكتوبا على ظهر نسخة بخطه وعنايته من عيون الحكمة لابن سينا ما نصه[4] : العلة هي الأمر الذي يحتاج إليه الشيء، فمنها ما هي تامة، أعني التي يجب بها الشيء، وهي قد تكون مركبة من أمور يصدق على كل واحد منها أنه يحتاج إليه، وقد لا تكون كذلك. ومنها ماهي غير تامة أعني بعضا من العلة التامة، وهي وإن كانت داخلة في الشيء فإن كانت جزءا

---

[1] : نفسه 336.

[2] : الشفاء في المنطق لابن سينا ص 385 عكس استقامة هو أن يجعل المقدم تاليا، والتالي مقدما مع حفظ الكيفية على أن يكون مع ذلك حافظا للصدق.

[3] : انظر معاني المطلق والمقيد في كتاب الإحكام للآمدي 2/3.

[4] : الرحلة 60/6.

يحصل به الشيء بالقوة فهي العلة المادية، وإن كان خارجا. فإن كان منه وجود الشيء فهي العلة الفاعلية، وإن كان لأجله صار الفاعل فاعلا بالفعل فهي العلة الغائية، وهي تتقدم على الشيء في التصور وتتأخر عنه في الوجود.

ثم أشار ابن رشيد إلى أنه كتب هذا، وإن كان موجودا في كلام الناس ليدل على عناية شيخه الشرف الجزائري ومشاركته في أنواع العلوم منقولها ومعقولها. ولكن ابن رشيد لم يعلق على هذا الكلام بشيء حتى يبين لنا بعض وجوه الصراع الذي كان قائما في عهده وقبله بين كثير من الفقهاء والأصوليين والفلاسفة، وبما أن للعلة صلة بالقياس فإننا نجد أن التعليل كان أساس القياس الاستقرائي في مذهبي المعتزلة والأشاعرة[1]، ثم إن ابن رشيد قد أشار إلى أن ذلك موجود في كلام الناس، ومعنى هذا أن الشيوخ والعلماء قد شاعت بينهم علوم الفلسفة والمنطق، وقد كان الغزالي[2] قبله قد مزج منطق ارسطو بعلوم المسلمين، ولكن عارضه أمثال الطرطوشي والقشيري والمازري وابن الصلاح، بينما وقف ابن تيمية، معاصر ابن رشيد، موقفا آخر من المنطق لأنه نقد المنطق الأرسطوطاليسي لينقضه وينشئ منطقا آخر مبنيا على أسس مخالفة عنه.

ومهما يكن أمر هذه المسائل وورودها في الرحلة فإنه لا يمكن أن نجعل ابن رشيد متلبسا بإيثار القياس على النقل حتى يتسع له النظر في بعض قضايا المعقول، لأن من الأدب عنده، تقديم الاستدلال بالحديث، وهذا ما يعرف عن أهل ذلك العلم من إيثارهم تقديم الحديث على الرأي في الاستدلال.

---

[1] : انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام ط 2-1967ص 109.

[2] : انظر معيار العلم ص 258 وأقسام العلة (السبب، المادة، الصورة، الغاية) وانظر أيضا كتاب تهافت التهافت لابن رشد 1/380-381 في مناقشة للصورة والمادة والفاعل والغاية، وانظر أيضا عن العلة مجموع فتاوي ابن تيمية 170/9.

علم الطب

لقد وردفي رحلة ابن رشيد بعض أسماء الأطباء كأصحابه أبي العباس بن البناء المراكشي[1] وأبي يعقوب يوسف بن اندارس[2] وأبي عبد الله بن القويع[3]، وكشيخه محمد بن حسن الشرابي المتطبب[4]، وكذا سارة الحلبية المتظرفة التي فاقت نساء عصرها وخاطبت ابن رشيد وخاطبها[5]، وكان ابن رشيد أيضا معاصرا لابن أبي أصيبعة صاحب كتاب الطبقات المشهور، وكذا لأبي الحسن القرشي المعروف بابن النفيس الذي تمرد على منهج الأطباء القدامى[6].

ونحن إذ نورد هذه الإشارات لا نريد بذلك إدراج اسم ابن رشيد في كتب الطب والأطباء بقدر ما نريد الإشارة إلى أن رحلته أفادتنا شيئا مما يتعلق بالطب، كما أفادتنا في أغلب العلوم المعروفة في عهده.

ومن تلك الفوائد إشارته[7] إلى أن أبا الحسن بن عصفور المشهور توفي من شكاة يسميها الأطباء شطر الغب، ومعناها الحمى المركبة من حميين، وهما البلغمية والصفراوية[8]، ولاشك في أن هذه الإشارة قد انفردت بها الرحلة وذلك في ترجمتها المهمة والمفيدة لابن عصفور[9]، ثم أن سبب الوفاة الذي أثبته ابن رشيد يختلف عنه عند الذين ترجموا له، وإننا نرجح رواية ابن رشيد وذلك لإتصاله الوثيق بأحد طلبة ابن عصفور وهو أبو العباس الكتاني التونسي الذي ألف كتابا في التعريف بشيخه ابن عصفور وذكر

---

[1] : انظر ص 263 من هذا البحث.

[2] : الرحلة 112/6 وص 319 من هذا البحث، وكتاب تاريخ الطب العربي التونسي للحكيم أحمد ابن ميلاد ص 254.

[3] : الرحلة 116/6 وص 315 من هذا البحث وكتاب تاريخ الطب 138.

[4] : الرحلة 1/3 وص 329 من هذا البحث.

[5] : انظر ص 261 من هذا البحث وتاريخ الطب 137.

[6] : انظر كتاب : ابن النفيس للدكتور بول اغليونجي (سلسلة) أعلام العرب عدد 57.

[7] : الرحلة 91/6.

[8] : انظر كتاب الذخيرة في علم الطب لثابت بن قرة رقم 344 : وهذه الحمى تعرف بانطريوس، سميت بشطر الغب لأن نصفها يحدث من الغب ونصفها من النائبة البلغمية، وانظر في هذا الكتاب ص 156 حمى الغب الغير الخالصة، وانظر كذلك كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لإبراهيم بن أبي بكر الأزرق ص 138 (حمى الغب) : أنها تأتي كل يوم من البلغم وعفونته.

[9] : انظر ترجمة ابن عصفور في الذيل والتكملة س5 ق 1 ص 413 وصلة الصلة 142 وبغية الوعاة 357 وعنوان الدارية 266 وفوات الوفيات 109/3 وكتاب الممتع في التصريف لإبن عصفور، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، وقد ذكر أن ابن عصفور توفي بالحمى، وأن في ذلك اختلافا1/ 4 وانظر هذا الخلاف أيضا في كتاب المقرب لابن عصفور تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ص 10 وذكر ابن قنفد في وفياته أن ابن عصفور مات غريقا، انظر شرف الطالب ص 74.

سلفه وأحواله، والكتاني هذا هو الذي لازم ابن عصفور وجمع له كتبه وذكرها لابن رشيد الذي أورد أسماء كثيرة منها في الرحلة[1].

ومن تلك الفوائد[2] ما أخبر به أبو عبد الله السلاوي تلميذه ابن رشيد قال : أخبرني أبو عمرو بن دحية قال رحلت من بلنسية إلى إشبيلية، فلما دخلتها جئت إلى جامع العديس، فجاءني رجل فسألني من أين جئت ؟ فقلت رحلت من بلنسية في شأن طلب علو الرواية والحديث، فقال هل تذكر شيئا في اللغة، فقلت هي بضاعتي، فقال ما اسم البصل في لغة العرب؟ فقلت له الدَّوْفَص. فقال وما شاهده ؟ فقلت له : قال الحجاج لطاهيه : ...أكثر دوفصها[3]. قال ثم ولى عني، ثم أقبل يعدو ومعه مملوك بيده سبنية[4] ثياب وقرطاس فيه مائة دينارن فدفعها إلي وقال استعن بهذا على طلب العلم ... ومما قال له أيضا : وألفت كتابا في الطب ذكرت فيه جميع الأعشاب.

وقد ذكرت الدوفص هنا لعلاقته بالطب واستعماله في التداوي بالأعشاب[5].

وهذه الإشارة تعطينا صورة واضحة عن اهتمام الأندلسيين بالطب وذلك في القرن السابع الهجري خاصة[6] ثم إن منهج المحدثين يشبه منهج النباتيين والعشابين وهذا يحتاج إلى بحث مستقل.

وفي هذا الصدد لا نغفل عما ورد في الرحلة من الطب النبوي كقوله عليه السلام: "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"[7]، وكذا الحديث الغريب الذي نقله ابن رشيد في كتاب أبي بكر بن مسدي المحدث، وهو من رواية ابن عباس قال : دخلت على رسول الله (ص) فرأيته يأكل الجبن والجوز، فقلت يا نبي الله : جبن وجوز ؟ قال نعم، الجبن داء والجوز داء، فإذا اجتمعا صارا دواء بإذن الله[8].

---

[1] : انظر قائمة كتبه في كتب النحو من هذا البحث ص .

[2] : الرحلة 38/6.

[3] : انظر لسان العرب(د ف ص) وقول الأزهري بأن هذا حرف غريب وانظر فيه قول الحجاج. وانظر النهاية لابن الأثير.

[4] : لسان العرب (س، ب، ن) ضرب من الثياب وقيل : منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يقال له سبن وانظر معجم البلدان 186/3.

[5] : انظر فوائد البصل ومضاره في كتاب الطب.
النبوي لابن قيم الجوزية 223-224، وانظر : الدوفص : كتاب النهاية لابن الأثير (دفص)

[6] : انظر كتاب العلم عند العرب لالدو ميلي ص 546 و548 وذلك فيمن برز في الفن الطبي في المشرق والمغرب في عهد ابن رشيد.

[7] : الرحلة 3/3 وزاد المعاد لابن قيم 181/1 والطب النبوي له ص 279.

[8] : الرحلة 51/2 وانظر عن الجبن زاد المعاد 160/1 والطب النبوي 228.

ومن بين الإشارات العارضة في ذكر الأدواء ما حكاه أحمد بن شعيب، فقد حضر بعض مجالس المحدثين بالبصرة فحدث أنه استهزأ رجل من المعتزلة لما سمع حديث: أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم[1]، ثم ما لبث أن وقعت الأكلة في رجليه ثم جُبّتا.

ومن ذلك ذكر مرض ابن رشيد بالرمد الذي منعه من الكتب ولكنه لم يذكر كيف طب ذلك ومنه ذكر إصابة عبد العزيز بن محمد بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن المحدث بعلة أذهبت بعض حفظه[2] ومنه ما جاء في الرحلة عرضا من ذكر البرقان في شعر محمد ابن عبد الواحد بن مبارك الذي يمدح فيه أبا عبد الله الهنتاتي ويهنئه بختمة حفيده يونس وهي قصيدة طويلة منها[3]:

نرجس ماحكى العيون سواه بدليل يصح أو برهان
ليس كالنرجس الذي لا يحاكى غير عين تصاب باليرقان

---

[1] : الرحلة 51/2.
[2] : الالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 219/2.
[3] : الرحلة 12/3.

كشـــــــــاف

كشاف ببعض المعاني الواردة في الكتاب

ما أكثر الألفاظ ذات المعاني الخاصة الواردة في رحلة ابن رشيد وهي تشمل الميادين المختلفة من المعرفة كالحضارة والسياسة والنظم والأخلاق والطبائع والعادات والمواهب وغبر ذلك، وهي مما يحتاج إليه الباحثون في الدراسات المختصة، وبما ان هذه الألفاظ تحتاج إلى دراسة مستقلة فإننا سنكتفي بهذه النماذج القليلة ، الواردة في بعض الصفحات لتكون عنوانا ودالة على غيرها، ومن أراد أن يجمعها ويرتبها بعد قراءة النصوص قراءة متانية فان له ذلك، هذا بالإضافة إلى بعض الفهارس السابقة في النقد والبلاغة والحديث الشريف.[1]

[1] قد لاتعثر على اللفظة بسهولة في مكانها ولكنك ستجدها في الصفحة التي بعدها نظرا لملابسات الطبع.

تنبـــيه

نجتزئ في هذا المطبوع بما ذكر ويبقى هناك مسائل أخرى تتعلق بـ:

1) التاريخ والجغرافيا والفوائد الواردة عنهما في الرحلة.

2) الكتب والمكتبات.

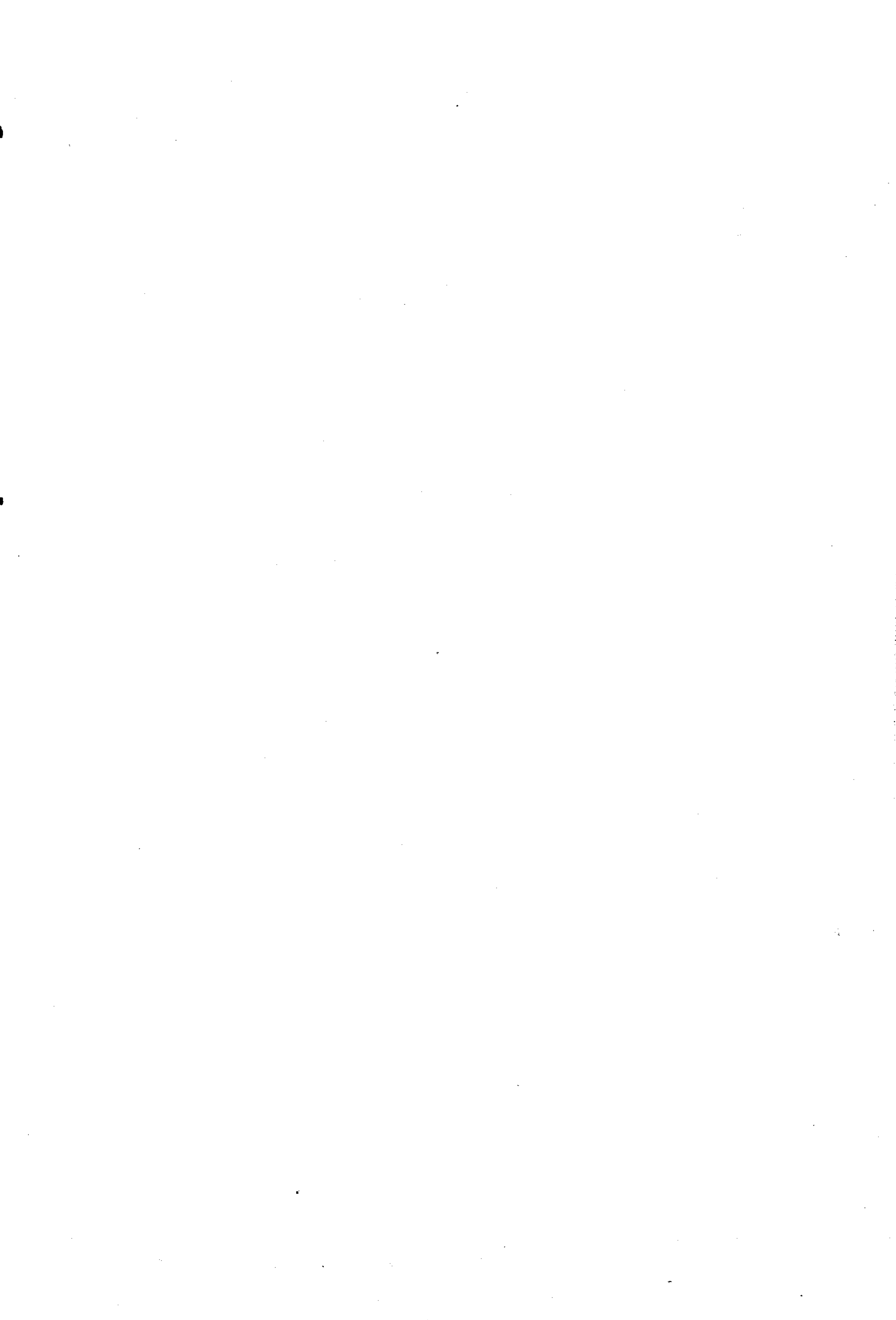
3) الإجازات: إجازة المشارقة للمغاربة وإجازات المغاربة للمشارقة.

4) مقارنة رحلة ابن رشيد بالرحلات التي تشبهها في المنهج كرحلة القاسم التجيبي ورحلة العبدري ورحلة العياشي وغيرهما.

5) وغير ذلك مما ستجده في القسم الخامس الذي سيطبع لاحقا بإذن الله.

وإذا يسر الله وأعان طبعنا كل ذلك ملحقا بهذه الأقسام

أنعم الله علينا وعليكم بِمِنَّتِه ومُنَّتِه.



فهرس المصادر والمراجع[1]

أ – المخطوطات:

الاستدعاء لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري. خزانة القرويين بفاس (خروم رقم 7)

برنامج القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي (صورة من نسخة الأستاذ محمد بوخبزة. تطوان)

برنامج محمد بن جابر الوادي آشي: وقد أوردته هنا مع أنه مطبوع لأن مراجعه في الرحلة كلها من المخطوط.

تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل. الخزانة الملكية.

تقييد المهمل لأبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني. مخط بخزانة الجامع الكبير بمكناس (رقم 237).

ديوان أبي عبدالله محمد بن الابار القضاعي (نسخة مصورة بخزانة الأستاذ الدكتور عبدالسلام الهراس). وانظر منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية ص 111 رقم 4602.

رحلة ابن رشيد = ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة. وهي نسخة مصورة من أصلها بخزانة الاسكوريال بإسبانيا : وقد بقي منها خمسة أجزاء وهي: القسم الثاني من الجزء الأول برقم 1736 والجزء الثالث برقم 1739 والجزء الخامس برقم 1680 والجزء السابع برقم 1735 والجزء السادس برقم 1737.

سبك المقال لفك العقال لعبدالواحد بن محمد بن الطواح. مخط بالخزانة الملكية رقم 105/ 2 وانظر عنه منتخبات من نوادر المخطوطات الخزانة الملكية ص 138.

طبقات المالكية ... ... مخط برقم 3928 د خزانة الرباط.

فتح المتعال في صفة النعال لأبي العباس أحمد بن محمد المقري مخط بالخزانة الملكية. رقم 3611

فهرست المجاري, وهو الحاج الرحال المسند أبو عبدالله محمد بن محمد بن علي المجاري, الخزانة الملكية. الرباط. مجموع 2/2578.

---

[1] – لقد قصدت إلى جعل هذا الفهرس فهرسين فحسب: فهرس للمخطوطات وآخر للمطبوعات وذلك ليسهل البحث فيه, وقد كنت عازما على تقسيمه إلى أنواع عدة وهي: فهرس للمخطوطات وآخر للمصادر القديمة وآخر للمراجع الحديثة وآخر للمعاجم والفهارس الخاصة بالإعلام والمعاجم الخاصة باللغة ثم المجلات بعد ذلك والجرائد, ولكنني رأيت في ذلك توزيعا وتشتيتا لذهن القارئ, ولهذا عدلت عن ذلك التقسيم إلى هذا الفهرس المبسط الذي يوحد الموضوعات ويجمعها, وبهذا فإنك تجد الرحلات مثلا مجموعة في مكانها, وكذلك المجلات, والمعاجم والفهارس, كلها مجموعة في مكانها الخاص بها. كما اشير أيضا إلى أن بعض هذه المخطوطات قد طبع الآن.

فهرست المنتوري وهو عبيدالله بن محمد بن عبدالملك القيسي المنتوري. مخط بالخزانة الملكية رقم 1578.
فهرست الوادي آشي = برنامج الوادي آشي.
فيض العباب واجالة قدح الاداب في الحركة إلى القسنطينة والزاب لأبي اسحق ابراهيم بن عبدالله النميري الغرناطي (ابن الحاج) مخط بالخزانة الملكية رقم 3267 وانظر عنه مجلة منتخبات من نوادر المخطوطات ص 151.
القوانين لأبي الحسين عبيدالله بن أحمد بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني. خزانة القرويين بفاس رقم 513.
الكافي لعبيدالله بن أحمد بن أبي الربيع. خزانة القرويين بفاس.رقم. 512.
مختصر فتح المتعال لأبي العباس المقري. خزانة الرباط العامة رقم 1370.
المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق (وهو المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن). الخزانة العامة الرباط. رقم 111 ق.
مطالع الأنوار على صحيح الآثار فتح ما استغلق من كتاب الموطأ وكتاب مسلم وكتاب البخاري لابن قرقول. مخط بخزانة الجامع الكبير بمكناس رقم 165.
المعيار للونشريسي
ملء العيبة = رحلة ابن رشيد.

المصادر والمراجع الأخرى المطبوعة

الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. محمد بن عبدالله عنان. ط2. 1381 -1961
ابن دقيق العيد. حياته وديوانه. علي صافي الحسين. مصر دار المعارف 1960.
ابن سعيد الأندلسي, حياته وتراثه الفكري والأدبي. لمحسن حامد العبادي. القاهرة.
ابن الفارض والحب الالهي. ذ. محمد مصطفى حلمي. مصر 1971.
أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي .ذ. فتحي عبدالفتاح الدجني. الكويت ط1 .1974.
أبو حيان النحوي. الدكتورة خديجة الحديثي. بغداد.ط1 1385- 1966.
أبو المطرف بن عميرة أحمد بن عميرة المخزومي. حياته وآثاره الدكتور محمد بن شريفة. مط.الرسالة. الرباط 1385 – 1966
أبو الوليد بن الأحمر للأستاذ عبدالقادر زمامة دارالثقافة الدارالبيضاء 1398 -1978
الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية. عبدالرؤوف المنادي القاهري. بيروت.

أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي .ذ. عفيف دمشقية. معهد الإنماء العربي. بيروت 1978.
أثر النحاة في البحث البلاغي .د. عبدالقادر حسين القاهرة 1970.
الإحاطة في أخبار غرناطة. لسان الدين بن الخطيب. تحقيق محمد عبدالله عنان. ط2 القاهرة 1393 – 1973.
أحكام الأحكام, شرح عمدة الأحكام. محمد بن علي بن دقيق العيد دار الكتب العلمية بيروت.
أحكام صنعة الكلام. لأبي القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي. تحقيق رضوان الداية. بيروت1966.
الأحكام في أصول الأحكام. محمد بن علي بن حزم الأندلسي الظاهري تحقيق وسيم محمد أحمد عبدالعزيز. ط 1398-1978.
الأحكام في أصول الأحكام لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي. بيروت 1400-1980.
أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي. بيروت ط3. 1972.
إحياء علوم الدين. للإمام أبي حامد الغازالي. القاهرة (كتاب الشعب)
اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار. لمحمد بن القاسم الأنصاري السبتي. تحقيق عبدالوهاب بن منصور. المطبعة الملكية. الرباط 1389هـ - 1969م.
اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى. لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد القاهرة 1959.
إدرار الشروق على أنواء الفروق لأبي القاسم قاسم بن عبدالله الأنصاري المعروف بابن الشاط. دار المعرفة بيروت.
الأدلة البينة النورانية عن مفاخر الدولة الحفصية. للشيخ أحمد الشماع. تونس 1936.
أدب الإملاء والاستملاء لأبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. ليدن. مط بريل 1952.
الأدب الجغرافي العربي. أغناطيوس كراتشكوفسكي 1957.
أدب الفقهاء .ذ. عبدالله كنون. دار الكتاب اللبناني. بيروت
أدب الكاتب. لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .م. السعادة. مصر ط4 1382-1963.
أدب الكتاب للصولي وهو أبو بكر محمد بن يحيي. دار الكتب العلمية. بيروت.

الأدب المغربي من خلال ظواهره (ج1. للدكتور عباس الجراري).
مكتبة المعارف الرباط. ط1 1399 - 1974.
إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي ابن محمد الشوكاني. دار المعرفة بيروت. 1399-1979.
أزهار الرياض في أخبار عياض. المعهد الخليفي للأبحاث المغربية. القاهرة1359-1940. والكتاب لشهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني. وانظر أيضا أزهار الرياض.... طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي 1398. 1978-1979.
أساس البلاغة. جارالله أبي القاسم محمود الزمخشري. دار المعرفة بيروت1399-1979.
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري. دار الكتاب. الدارالبيضاء 1954.
الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري. دار الفكر بيروت 1398-1978.
أسرار البلاغة. للإمام عبدالقاهر الجرجاني. مصر.
أسهل المدارك, شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك جمع أبي بكر الكشناوي. المكتبة العصرية. ط2 بيروت.
الإرشادات والتنبيهات للرئيس ابن سينا. دار إحياء الكتب 1367 - 1948.
الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني. دار الفكر. بيروت 1398-1978
إصلاح المنطق لابن السكيت. شرح أحمد محمد شافع وعبدالسلام هارون. دار المعارف مصر ط2 1375-1956.
أصول التشريع الإسلامي. علي حسب الله. ط4. 1391-1971. مصر. أصول الحديث, علومه ومصطلحه .ذ. محمد عجاج الخطيب. بيروت ط3 1395-1975.
أصول الدين. للإمام الأستاذ أبي عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط2 1400-1980.
أصول الفقه. للإمام محمد أبي زهرة. دار الفكر العربي. 1377-1958.
الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد بن موسى ابن عثمان بن حازم الهمذاني. نشر وتعليق راتب حاكمي ط1 حمص 1386-1966.
الاعتصام لأبي اسحق ابراهيم بن عيسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي. دار المعرفة بيروت 1332.

إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق السيد أحمد صقر. دار المعارف مصرط4.
إعجام الإعلام تأليف محمود مصطفى دار الكتب العلمية بيروت ط1. 1983.
الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. عباس بن ابراهيم المراكشي. ط1. فاس 1355-1937. وانظر أيضا المطبعة الملكية الرباط 1974.
الاعلام. قاموس تراجم. الزركلي ط2.
الاعلام بحدود قواعد الإسلام لعياض بن موسى بن عياض القاضي. المطبعة الملكية الرباط 1384-1964.
اعلام المغرب العربي لعبدالوهاب بن منصور. الرباط 1979.
اعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية. مصر 1389-1969.
الإفادات والإنشادات لأبي اسحق الشاطبي مؤسسة الرسالة ط1. 1983.
إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح لمحمد بن عمر بن رشيد السبتي. تحقيق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة تونس.
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي. دار الجيل بيروت 1973.
إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين (مجموعة من المؤلفين) دار المعارف مصر 1962.
ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب: شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن القنفذ. ووفيات الونشريسي: أحمد ولقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي. تحقيق الدكتور محمد حجي. الرباط 1396-1976.
الالماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض. تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث. ط1 1389-1970
أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى دار الكتاب العربي ط2. 1967.
الأم لأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي. (كتاب الشعب) 1380-1968.
أمير مغربي في طرابلس ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي. للدكتور عبدالهادي التازي.
الانتصار لواسطة عقد الأمصار لإبراهيم العلائي الشهير بابن دقماق ط. بولاق 1893.
الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم. لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري. دار الكتب العلمية — بيروت.

أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب. لأبي عبدالله محمد بن أحمد القيسي السراج الملقب بابن مليح. تحقيق الأستاذ محمد الفاسي. فاس 1388-1968.

أنس الفقير وعز الحقير لأحمد الخطيب المشهور بابن قنفد القسنطيني. منشورات المركز الجامعي. نشر محمد الفاسي وأدولف فور. الرباط 1965.

الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم. لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي تحقيق .ذ. محمد رضوان الداية. دار الفكر ط1 دمشق 1394 – 1974.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. دار المنصور. الرباط 1972.

أوصاف الناس في التواريخ والصلات. للسان الدين بن الخطيب. تحقيق .ذ. محمد كمال شبانة (صندوق إحياء التراث الإسلامي).

الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي. دار الكتب العربية مط المدني 1959.

الإيضاح في علوم البلاغة للإمام الخطيب القزويني ط3. بيروت 1391-1971.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون. لإسماعيل باشا البغدادي. مكتبة المثنى. بيروت.

الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث. للحافظ ابن كثير. دار الفكر بيروت.

البحث العلمي = مجلة (انظر المجلات).

البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لأحمد بن يحيى المرتضى. مؤسسة الرسالة بيروت. 1394-1975.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد. دار الفكر.

البداية والنهاية في التاريخ. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. ط 1 1351-1932.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. لمحمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة بيروت ط1. 1348.

البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقد. القاهرة 1960-1380.

البديع لابن المعتز انظر كتاب البديع.

برنامج شيوخ الرعيني وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي. دمشق 1381-1962.
برنامج الوادي آشي. تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي ببيروت ط1. 1400-1980. (واعتمدت على المخطوطة في الرحلة).
البرهان في علوم القرآن. لمحمد بن عبدالله الزركشي. دار المعرفة بيروت ط2. 1391-1972.
البستان. ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. لمحمد بن محمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي. الجزائر.
البغداديون. أخبارهم ومجالسهم. لإبراهيم الدوري. بغداد 1377-1958.
بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد للقاضي عياض وزارة الأوقاف 1395-1975.
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي. دار الكاتب العربي 1967.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ط1. 1326 . وانظر أيضا هذا الكتاب بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر 1979.
بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب. للأستاذ محمد بن تاويت.
البهجة في شرح التحفة لعلي بن عبدالسلام التسولي. دار المعرفة بيروت ط3 1397-1977.
البيان المغرب.
البيئات العلمية والفكرية بالبلاد العربية من رحلة ابن رشيد للدكتور محمد الحبيب بلخوجة.
بيوتات فاس الكبرى. شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر. دار المنصور للطباعة. الرباط 1972
تاج التراجم في طبقات الحنفية. لزين الدين قاسم بن قطلوبغا بغداد 1962.
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. لخالد بن عيسى البلوي الأندلسي. مقدمة وتحقيق .ذ. الحسن السائح. مط. فضالة (صندوق إحياء التراث الإسلامي).
تاريخ ابن خلدون ط. بولاق 1391-1971.
تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. دار المعارف مصر.
تاريخ الإسكندرية وحضارتها تأليف الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ط2. 1969. دار المعارف.
تاريخ اطرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك اطرابلس وما كان بها من الأخبار. لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسي القاهرة 1349.
تاريخ التراث العربي. مجلد 1. لفؤاد سيزكين. القاهرة 1971.

تاريخ التشريع الإسلامي للسيد محمد الخضري. دار الفكر ط8. 1387-1967.
تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني. للدكتور عبدالرحمن بدوي. الكويت ط1. 1975.
تاريخ التصوف الإسلامي .ذ. قاسم غني. مكتبة النهضة المصرية القاهرة1972.
تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى لمحمد عبدالرحيم غنيمة
تاريخ الجزائر العام. لعبدالرحمن بن محمد الجيلالي. الجزائر 1955.
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن ابراهيم الزركشي تونس 1966.
تاريخ الطب العربي التونسي للحكيم أحمد بن ميلاد. تونس 1980.
تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لمحمد بن رافع السلامي. بغداد 1357-1938.
تاريخ علماء الأندلس. لعبدالله بن محمد بن يوسف المعروف بالفاضي. الدار المصرية للتأليف 1966.
تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. أحمد مصطفى المراغي. مصر ط1 1969-1950.
تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي. بيروت.
تاريخ الفكر الأندلسي. لآنخل بالنثيا نقله عن الإسبانبة ذ. حسين مؤنس ط1 القاهرة 1928.
كتاب التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. المكتبة الإسلامية. ديار بكر. تركيا.
تاريخ الكعبة. للدكتور علي الحسين الخربوطلي. دار الجيل بيروت 1396-1976.
تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول. امحمد الهادي العامري. تونس 1974
التاريخ المفترى عليه في المغرب. لعبدالكريم الفيلالي. الرباط 1969.
تاريخ النقد الأدبي في الأندلس. للدكتور محمد رضوان الداية. دار الأنوار, بيروت 1388-1968.
تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري د محمد زغلول سلام. دار المعارف مصر.
تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور احسان عباس. دار الأمانة ط1 1391-1971.
تالي كتاب وفيات الأعيان لفضل الله بن أبي الفخر الصقاعي. دمشق 1974.
تأويل مختلف الحديث لعبدالله بن قتيبة. دار الجيل بيروت 1393-1973
التبصرة أو التذكرة, (شرحا الفية العراقي المنوفي). وهو عبدالرحيم بن الحسن العراقي. المط.الجديدة طالعة فاس 1354.
التذكرة = التبصرة.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الاصبع المصري. القاهرة 1383-1963.
تحفة الوزراء المنسوب إلى أبي منصور عبدالملك الثعالبي تحقيق علي حبيب الراوي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار مط. العاني. بغداد 1977.
تخريج الفروع على الأصول لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني تحقيق الدكتور محمد أديب صالح. مؤسسة الرسالة ط3. 1399-1979.
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لعبدالرحمن السيوطي. دار إحياء السنة النبوية بيروت 1399-1979.
التذكار = تاريخ اطرابلس الغرب.
تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين الذهبي. دار إحياء التراث العربي 1374.
ترتيب المدارك وتقريب المسالك. للقاضي عياض (وزارة الأوقاف الرباط) 1966.
الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. لعبدالعظيم المنذري دار الفكر.
التركيب اللغوي للأدب, بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا. للدكتور لطفي عبدالبديع. ط1, 1970.
التصوف الإسلامي, في الأدب والأخلاق. لزكي مبارك. دار الهلال بيروت.
التصوف الإسلامي الخالص لمحمد أبو القيض المنوفي. القاهرة.
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد. تقديم وتحقيق الدكتور محمد بنشريفة. منشورات وزارة الأوقاف.
التعرف لمذهب أهل التصوف. لتاج الإسلام أبي بكر محمد الكلاباذي دار الكتب العلمية. بيروت 1400-1980.
تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الغرناطي. طبع بالتصوير من مطبعة مولاي السلطان عبدالحفيظ. وانظر أيضا ط2 دار الفكر 1398-1978.
تفسير غريب القرآن لعبدالله بن قتيبة. بيروت1398-1978.
تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وهو لعبدالله بن عمر البيضاوي
التفسير القيم للإمام ابن القيم بيروت 1367-1948.
التفسير والمفسرون. لمحمد حسين الذهبي ط2, مصر 1396-1976.
تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان مصور عن طبعة مولاي السلطان عبدالحفيظ ط2, 1398-1978.

تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار المعرفة 1975.
التقسيم الثلاثي للكلمة العربية. د محمد خير الحلواني محاضرات 1978 بكلية الآداب.
تلبيس إبليس لعبدالرحمن بن الجوزي أبي الفرج. دار الكتب العلمية بيروت 1368.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبدالبر النمري. مط. فضالة المحمدية 1387-1967.
تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك لعبدالرحمن السيوطي, دار الفكر.
تهافت الفلاسفة لمحمد بن رشد. تحقيق الدكتور سليمان دنيا, ط2, دار المعارف مصر. 1388-1968.
تهذيب الأسماء واللغات لشرف الدين النووي دار الكتب العلمية بيروت.
توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنغار لمحمد بن إسماعيل الحسني الصنعاني. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط1, 1366 مصر.
تونس العربية. إحسان حقي, دار الثقافة بيروت.
ثبت أبي جعفر البلوي. تحقيق عبدالله العمراني, دار الغرب الإسلامي ط1. 1983.
الثقافة المغربية = مجلة (انظر حرف الميم).
ثقافة الناقد الأدبي للدكتور محمد النويهي. القاهرة ط1. 1949.
جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري. المدينة المنورة 1388-1968.
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي. دار المعرفة بيروت.
جامع القرويين. للدكتور عبدالهادي التازي. بيروت 1972.
الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث. بيروت ط2
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة الرباط 1973.
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمحمد بن فتوح الحميدي. تصحيح وتحقيق ذ.محمد ابن تاويت الطنجي. القاهرة.
جريدة العلم الثقافي س8, عدد 468. الجمعة13 جمادى2. 1399- 11 ماي 1979.
جريدة العلم الثقافي س11, ع 547,الجمعة 16 ربيع الأول 1401- 23 يناير1981.
جريدة النور ع 14 س2, جمادى الثانية 1395- يونيو 1975.

جغرافية الأندلس وأوروبا لأبي عبيد البكري.
جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية. إدارة الطبعة المنيرية.
جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان خير الدين الألوسي البغدادي, دار الكتب العلمية. بيروت.
جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لمحمد بن الخطاب القرشي. تحقيق علي محمد البجاوي. القاهرة ط1. 1387-1967.
جمهرة أنساب العرب لأبي محمد بن حزم الأندلسي القاهرة ط3, 1971.
الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية. دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا ط1 1394-1974.
الحاوي للفتاوي للسيوطي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط2. 1395-1975.
الحجة في القراءات السبع لابن خالويه. دار الشرق ط3. 1399-1979.
الحديث النبوي, مصطلحه, بلاغته, كتبه لمحمد الصباغ. (المكتب الإسلامي) ط3, 1397-1977.
حركات التشيع في المغرب ومظاهره. محاضرة الأستاذ الدكتور عبداللطيف السعداني, رحمه الله, في المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي. (فاس المغرب).
الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع. رسالة لنيل دبلوم الدراسات, أعدها الأستاذ إسماعيل الخطيب بإشراف الدكتور عبدالسلام الهراس (1980-1981).
حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي.
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. شكيب أرسلان مصر 1355-1976.
الحلل السندسية لمحمد بن محمد السراج. دار الكتب الشرقية تونس 1973.
حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني. بيروت ط2 1387-1967.
خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني (قسم شعراء المغرب والأندلس) تونس 1972.
الخصائص لعثمان بن جني. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة مط. دار الكتب 1371-1952.
الخصائص الكبرى, أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب لعبدالرحمن السيوطي. تحقيق الدكتور محمد خليل هراس دار الكتب الحديثة مط. المدني 1387-1967.
الخطط للمقريزي
خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة لشكيب أرسلان. مصر 1343-1925.

خلاصة تاريخ سبتة للحاج محمد السراج. تطوان 1976.
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري. بيروت ط2, 1391-1971.
دائرة المعارف الإسلامية. ايرام. ط. بريل.
دائرة المعارف الإسلامية للبستاني.
الدارس في تاريخ المدارس لعبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي مطبعة الترقي. دمشق 1948.
دراسات في التفسير. للدكتور مصطفى زيد. دار الفكر العربي 1970.
درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي. ط2, بيروت 1977.
درة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي. دار النصر للطباعة ط1, 1390-1970. وانظر أيضا ط. الرباط, 1936.
درة الغواص في أوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .مط. نهضة مصر – القاهرة.
الدرر الكامنة في أيان المائة الثامنة لأحمد بن محمد بن حجر العسقلاني. دار الكتب الحديثة مصر. وانظر أيضا دار الجيل, بيروت.
دعوة الحق = مجلة. انظر حرف الميم.
دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبدالقاهر الجرجاني. دار المعرفة بيروت 1398-1978.
دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس .مصر . ط2, 1963.
دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبدالسلام بنسودة. تطوان 1369-1950.
دمية القصر وعصرة أهل العصر لعلي بن الحسن الباخرزي. تحقيق محمد الحلو. دار الفكر العربي مط. المدني.
ديوان ابن خفاجة. تحقيق الدكتور سيد غازي, مصر ط2. 1979. وانظر أيضا مط. المناهل ودار صادر 1951.
ديوان ابن دراج القسطلي. تحقيق الدكتور محمود علي مكي, ط2 1389 (المكتب الإسلامي).
ديوان الأعمى التطيلي وهو أحمد بن عبدالله بن أبي هريرة. تحقيق إحسان عباس. بيروت 1963.
ديوان أبي تمام
ديوان أبي العتاهية. دار صادر بيروت 1384-1964

ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ. دار الكتاب العربي, بيروت.
ديوان الشريف الرضي. مؤسسة الاعلمي, بيروت.
ديوان عمر بن أبي ربيعة دار صادر.
ديوان المتنبي = شرح ديوان المتنبي.
ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث. تحقيق عبدالله كنون. ط2, القاهرة 1965.
ديوان النابغة الذبياني. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعارف مصر.
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لأحمد بن عبدالله الطبري العراق, 1387-1947.
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لعلي بن بسام الشنتريني. القاهرة 1364-1945.
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لعلي بن أبي زرع الرباط 1972.
ذكريات مشاهير رجال المغرب: تأليف عبد الله كنون

- مالك بن المرحل عدد 8
- أبو بكر بن شبرين عدد 17
- محمد بن رشيد عدد 18
- أبو القاسم الشريف عدد 21
- عبدالمهيمن الحضرمي عدد 26
- أبو العباس العزفي عدد 27
- أبو العباس بن البناء عدد 32

ذم الهوى لعبدالرحمن بن الجوزي, ط1 1381-1962.
ذيل تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله الذهبي. دار إحياء التراث
ذيل العبر للذهبي والحسيني (حكومة الكويت)
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن عبدالملك المراكشي. دار الثقافة, بيروت.
رحلة ابن بطوطة. دار التراث, بيروت 1388-1968.
رحلة ابن رشيد = ملء العيبة (في المخطوطات).
رحلة الأندلس للدكتور حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر ط1, 1963.
رحلة التجاني أبو محمد عبدالله بن محمد أحمد التجاني. تونس 1378-1958.
رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة وتقديم حسن حبشي دار المعارف – مصر 1968.
الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني. مصرط2, 1329.

رحلة العبدري = الرحلة المغربية.
رحلة العياشي = ماء الموائد, ط2 مصورة بالافسط, وضع فهارسها ذ. محمد حجي. الرباط 1397-1977.
الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب. دار الكتب العلمية ط1, بيروت 1395-1975.
رحلة القلصادي وهو أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي. دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان. تونس.
الرحلة المغربية لأبي عبدالله محمد بن محمد العبدري الحيحي. حققه وقدم له وعلق عليه ذ. محمد الفاسي. الرباط 1968.
رحلة الناصر الدرعي وهو أحمد بن محمد بن ناصر
الرحلة الورثيلانية = نزهة النظار
رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي لخلف الغافقي القبتوري تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة. المطبعة الملكية الرباط 1399-1979.
رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. تحقيق وشرح الدكتورة عائشة عبدالرحمن. دار المعارف مصر. ط4, 1957.
الرسالة المستطرفة لبيان مشهور الكتب السنة المشرفة للسيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني. تقديم وفهرسة محمد المنتصر المتاني. دار الفكر, دمشق. ط3, 1383-1964. وانظر أيضا دار الكتب العلمية ط2, 1400.
رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية. إدارة المطبعة المنيرية ط4, 1392.
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الخوانساري الأصفهاني. طهران.
الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. لمؤلفه أبي القاسم عبدالرحمن السهيلي. دار المعرفة 1398-1978.
الروض الباسم في الذب عن ستة أبي القاسم لأبي عبدالله الوزير اليماني. دار المعرفة بيروت 1399-1979.
الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي) لمحمد بن عبدالمنعم الحميري. تحقيق ذ. إحسان عباس. مؤسسة ناصر الثقافة ط2, 1980.
روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب. دار الفكر العربي. ط1, 1387-1968.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين. لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية القاهرة. مط. الفجالة الجديدة.

روضة النسرين في دولة بني مرين لإسماعيل بن الأحمر. المط. الملكية الرباط 1382-1962.

زبدة كشف الممالك, وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري. باريس 1894.

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية, دار الكتب العلمية بيروت.

الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي محمد بن قاسم الأنباري. العراق, دار الرشيد 1399 -1979.

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. لمحمد بن جعفر لكتاني.

سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني وهو ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي, دار إحياء التراث العربي1395-1975.

سنن أبي داود دار إحياء السنة النبوية.

سنن الترمذي (الجامع الصحيح) دار الفكر ط3 1398-1978.

سنن الدار قطني. تصحيح عبدالله بن هاشم المدني ط. المدينة المنورة 1386-1966.

سنن النسائي دار إحياء التراث. بيروت (شرح السيوطي)

السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البهيقي. دار الفكر بيروت.

سوس العالمة لمحمد المختار السوسي.

السيرة النبوية لابن هشام. تقديم طه عبدالرؤوف. المركز الثقافي 1975.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي, بيروت. ط1, 1349.

شخصيات قلقة في الإسلام. للدكتور عبدالرحمن بدوي. القاهرة 1964.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي الحنبلي. منشورات دار الآفاق, بيروت. وانظر أيضا ط. القاهرة 1350.

شرح ابن عقيل. تحقيق محيي الدين عبدالحميد. دار الفكر بيروت 1394-1974.

شرح تحفة الخليل في العروض والقافية. تأليف عبدالحميد الراضي ط2, مؤسسة الرسالة. 1395-1975.

شرح التلخيص في علوم البلاغة لمحمد بن عبدالرحمن القزويني دمشق. دار الحكمة ط1, 1390-1970.

شرح حديث النزول لابن تيمية. منشورات المركز الإسلامي, بيروت ط5, 1397-1977.
شرح ديوان امرئ القيس حسن السندوبي, مصر ط5.
شرح ديوان المتنبي. وضع عبدالرحمن البرقوقي. مط. السعادة 1349.
شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الاستراباذي. دار الفكر العلمية, بيروت 1395-1975
شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لأبي محمد عبدالله بن هشام. دار الفكر.
شرح المفصل ليعيش بن علي بن يعيش النحوي. عالم الكتب, بيروت. ومكتبة المتنبي القاهرة.
شرحا الفية العراقي = التبصرة أو التذكرة. المط. الجديدة. فاس 1354.
شرف أصحاب الحديث لأبي بكر بن ثابت الخطيب. دار إحياء السنة النبوية.
الشعر والشعراء. لعبدالله بن قتيبة. دار الثقافة, بيروت 1969.
شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي. دار الآفاق الجديدة. بيروت, ط2, 1978.
الشفا للقاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) مكتبة الفارابي, دمشق. الوكالة العامة للنشر بيروت.
صبح الاعشى في صناعة الانشا, أحمد علي القلقشندي القاهرة 1963.
صبح البشكنسية. لسيمون حايك. مطابع الكرم الحديثة. 1976.
الصبغ البديعي في اللغة العربية. للدكتور أحمد ابراهيم موسى. دار الكاتب العربي, القاهرة 1388-1969.
صحيح ابن خزيمة وهو أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري. تحقيق الدكتور مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي, شعبان 1390.
صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي.
صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر.
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحميري.الرباط 1937.
الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي. ومحمد أبو الفضل ابراهيم. عيسى البابي وشركاه. ط2

الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي للدكتور جابر أحمد عصفور, دار الثقافة, القاهرة 1974.

الصوفية بين الأمس واليوم. للدكتور حسين نصر. ترجمة الدكتور كمال خليل اليازجي. الدار المتحدة للنشر. ط1, 1975.

الطالع السعيد, الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد لكمال الدين أبي الفضل جعفر الأذفوي المنوفي الشافعي.

الطب النبوي لمحمد بن قيم الجوزية. بيروت, دار إحياء التراث.

طبقات الحفاظ للسيوطي. مطبعة الاستقلال الكبرى, مكتبة وهبة ط1, 1393-1973.

طبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الحسيني. تحقيق عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة بيروت, ط2, 1979.

طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي. مط. عيسى البابي الحلبي. ط 1383-1964.

طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداودي. مكتبة وهبة 1392-1972.

الطراز = كتاب الطراز. ليحيى العلوي. دار الكتب العلمية بيروت

عارضة الاحواذي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر بن العربي المالكي دار العلم للمجموع.

عاشوراء عند المغاربة للدكتور عباس الجراري. منشورات النادي الجراري ط 1 1911.

العصور الذهبية المغربية. عصر المنصور الموحدي. لمحمد الرشيد ملين. مط. الشمال الإفريقي.

العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي. مط. لجنة التأليف, ط3, القاهرة 1384-1965.

العقيدة الطحاوية وهي لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي. المكتب الإسلامي. ط4, 1391.

العقيدة والشريعة في الإسلام. اجناس كولدتسيهر. دار الكاتب المصري, القاهرة 1946.

العلم الثقافي = جريدة. (انظر حرف الجيم).

العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي. الدومييلي دار القلم. ط1, 1383-1962.

علوم الحديث ومصطلحه. للدكتور صبحي الصالح.دار العلم للملايين ط6,بيروت 1971

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. لأبي علي الحسن بن رشيق. تحقيق محمد محيي الدين. دار الجيل بيروت. ط4, 1972.

عنوان الاريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب. للشيخ محمد النيفر. تونس 1351.

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد بن أحمد بن عبدالله الغبريني. الجزائر 1328-1919.

عوارف المعارف لعبدالقاهر بن عبدالله السهروردي. بيروت ط1, 1966.

عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي. تحقيق طه الحاجري وذ. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية الكبرى 1956.

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمري. دار الجيل, بيروت .ط2, 1974.

عيون الأخبار لابن قتيبة. لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. المؤسسة المصرية العامة 1383-1963.

غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن محمد الجزري. ط. مكتبة الخانجي 1352-1933.

غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات. لعلي بن ظافر الأزدي المصري. دار المعارف مصر 1971.

غرر الفوائد = أمالي المرتضى.

غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. دار الكتاب العربي. حيدر آباد الدكن الهند, 1384-1964.

غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري مط. العاني, بغداد ط1, 1397-1977.

الفائق في غريب الحديث. لجارالله الزمخشري. ط1, القاهرة 1364-1945.

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية. لأحمد بن علي بن قنفد القسنطيني.تونس 1968.

فاس في عصر بني مرين. روجيه لوتورنو.بيروت 1967.

فتاوى ابن تيمية = مجموع فتاوى.

الفتاوى الحديثية لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي دار المعرفة, بيروت.

فتح الباري لابن حجر العسقلاني. مصر 1348.

فتح المبين في طبقات الأصوليين دار الكتب العلمية.
بيروت ط2, 1394-1974.

الفروق لشهاب الدين الصنهاجي القرافي. دار المعرفة بيروت.

الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. دار الآفاق بيروت ط2 1977.

فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم وابن سعيد والشقندي. نشر الدكتور صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد ط1, 1387-1968.

فضائل القدس لعبدالرحمن بن علي الجوزي, دار الآفاق الجديدة, بيروت. ط1, 1979.

فضائل القرآن لأحمد بن شعيب النسائي. تحقيق ذ. فاروق حمادة. دار الثقافة, الدارالبيضاء. ط1, 1400 - 1980.

الفقه على المذاهب الأربعة = كتاب الفقه.

الفقيه والمتفقه. لأحمد بن ثابت الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية, بيروت. ط3, 1400-1980.

الفلك الدائر لابن أبي الحديد. (بآخر المثل السائر) ط1, 1959.

فلاسفة الإسلام في المغرب العربي. جمعية نبراس الفكر دار كريماس, تطوان.

فلسفة التشريع في الإسلام. ذ. صبحي محمصاني. ط4, بيروت دار العلم للملايين, 1975.

فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية. غاردية. دار العلم للملايين, بيروت. ط1, 1967.

فهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي دار الآفاق الجديدة. ط2, 1399-1979.

فهرس ابن غازي (التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد). تحقيق محمد الزاهي. الدارالبيضاء 1399-1979.

الفهرست لابن النديم. مط. الاستقامة. القاهرة.

فهرست الوادي آشي = برنامج.

فهرست الرصاع

فهرس الفهارس والإثبات. معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. لعبدالحي عبدالكبير الكتاني الفاسي. فاس 1347-1926.

فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج 1و2 ط1, 1399-1400, 1979-1980.

الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد عبدالحي اللكنوني. ط1, 1324.

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني. القاهرة 1398-1978.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة. مكتبة المثنى, بيروت.
الكشكول لبهاء الدين العاملي. تقديم الطاهر أحمد الزاوي. دار إحياء الكتب العربية.
كفاية الطالب اللبيب = الخصائص الكبرى للسيوطي.
الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. بيروت المكتبة العلمية.
كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ. لأبي يوسف يعقوب ابن السكيت. المطبعة الكاثوليكية, بيروت 1895.
اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. لعبدالرحمن السيوطي. بيروت ط2, 1395-1975.
اللباب في النحو لعبدالوهاب الصابوني. مكتبة دار الشرق. بيروت.
لسان العرب لابن منظور ط. بولاق.
لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لزين الدين بن رجب الحنبلي. بيروت 1975.
لقط الفرائد = ألف سنة من الوفيات.
اللمحة البدرية في الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب. القاهرة 1347. المط. السلفية.
لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لعبدالملك الجويني. مصر ط1, 1385-1965.
اللمع في التصوف = كتاب اللمع.
ماء الموائد = الرحلة العياشية.
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثيرط1, 1959.
مثلثات قطرب تحقيق ذ. رضا السوسي. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس 1398-1978.
مجلة (المجلات)

- مجلة الأصالة الجزائرية. س4 ع26 1395-1975.
- مجلة البحث العلمي ع4 يناير 1965. وع10 س4 وع 20-21 وع 26 س3.
- مجلة البينة س1 ع3 محرم1382-1962. وس1 ع6 1382-1962.
- مجلة الثقافة المغربية ع5 دجنبر 1971.
- مجلة دعوة الحق (ع1 س2) (ع2 س2) (ع3 س2) (ع4 س2) (ع2 س3) (ع4 س4) (ع4 س5) (ع5 س8) (ع6-7 س14) (ع1 س17) (ع7 س17)
- مجلة العرب السعودية (ج5 م3) (ج2 م4) (ج1 م2)
- مجلة المجلة المصرية ع 87.

- مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 1 جزء 1 مايو 1955 ومجلد 2 ج2 1955.
- مجلة المنهل ع3 وع8 وع17 وع22.
- مجلة المورد العراقية مجلد ع3 1979.

مجموع فتاوى ابن تيمية. مكتبة المعارف الرباط, المغرب.

المحاضرات الثقافية الأسبوعية. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ج1 الرباط 1389-1969

المحاضرات المغربيات لمحمد الفاضل بن عاشور الدر التونسية للنشر. تونس.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبدالحق بن عطية, وزارة الأوقاف 1395-1975.

المحصول في علم أصول الفقه. محمد بن عمر الرازي. السعودية ط1, 1399-1979.

محيي الدين بن عربي. من شعره. تأليف عبدالعزيز سيد الأهل, دار العلم للملايين ط1, بيروت 1970.

مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. دار الكتاب العربي, بيروت ط1, 1967.

مختصر العين لأبي بكر الزبيدي تقديم وتحقيق د. نور الشادلي عالم الكتب ط 1. 1996.

المدارس النحوية. للدكتور شوقي ضيف. دار المعارف مصر ط2, 1968.

المدرسة المستنصرية. لحسين أمين. بغداد 1960.

مدن عربية. لنقولا زيادة. دار الطليعة, بيروت ط1 1965.

مدينة العرب في الأندلس. جوزف ماك كيب. مط. العاني 1369-1953.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لعبدالله بن سعد اليافعي. بيروت ط2, 1390-1970.

مراتب النحويين لأبي الطيب عبدالواحد اللغوي. تحقيق أبي الفضل ابراهيم. دار نهضة مصر, القاهرة 1394-1974.

مراكز الثقافة في المغرب. لعثمان الكعاك. معهد الدراسات العربية 1958.

المرشد إلى فهم أشعار العرب للدكتور عبدالله الطيب. دار الفكر ط2, 1970 بيروت.

تاريخ قضاة الأندلس = المرقبة العليا.

المرقصات والمطربات لعلي بن الوزير أبي عمران. دار حمد ومحيو. بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن حسن المسعودي. دار الفكر ط5, 1393-1973.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبدالرحمن السيوطي. دار إحياء الكتب العربية.

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. للدكتورة سعاد ماهر محمد 1391-1971.

المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي. شركة الطباعة الفنية المتحدة 1391-1971.

المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي. طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة.
الموافقات في أصول الشريعة لابراهيم بن موسى الشاطبي. دار المعرفة بيروت.
المؤرخون والجغرافيون لجليان ريبرا.
المورد = مجلة المورد.
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لمحمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار. المكتبة العتيقة ط3 1967. العربي ط3, 1965.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد بن قايماز الذهبي. القاهرة ط1, 1325.
ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي مصر ط15, 1384-1965.
الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبةالله بن سلامة ط2, 1387-1967. شركة مصطفى البابي مصر.
النبوغ المغربي في الأدب العربي. ذ. عبدالله كنون. مكتبة المدرسة. بيروت ط2, 1961.
النثر الفني في القرن الرابع. لزكي مبارك, دار الجيل بيروت 1965.
نفير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر. بيروت دار الثقافة 1967, تحقيق الدكتور رضوان الداية.
أعلام المغرب والأندلس = نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان لإسماعيل بن يوسف الأحمر مؤسسة الرسالة 1976-1396.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي الاتابكي. القاهرة 1348-1929.
النجوم الطوالع على البدور اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لسيدي ابراهيم المارغني.
نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى. لافي بروفنسال. مكتبة اميل لاروز الكتبي باريس 1342-1923.
نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية. تأليف الحسين الورثيلاني دار الكتاب العربي بيروت ط2. 1974.
نشر البنود على مراقي السعود لسيدي عبدالله بن ابراهيم الشنقيطي.
النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب لسيدي ادريس أحمد ابن الحسن الوزاني. ط1, 1352.
النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن الجزري.
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري. الرباط 1397-1977.
نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك لأبي فارس عبدالعزيز الملزوزي. المط. الملكية, الرباط 1382-1967.

معيار العلم = تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي. تحقيق سليمان دنيا. دار المعارف مصر 1961.
نفاضة الجراب لابن الخطيب السلماني.
نفح الطيب لأبي العباس المقري تحقيق محيي الدين عبدالحميد, دار الكتاب العربي بيروت. وانظر أيضا تحقيق احسان عباس.
النقد الأدبي في العصر المملوكي للدكتور عبدالعزيز قلقيلية ط1, 1972.
النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري.
النقد الأدبي في المغرب العربي للدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة. مكتبة الانجلو المصرية 1973.
نكت الهميان في نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي
النهاية لابن الأثير نشر المكتبة الإسلامية.
نهاية الارب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ط. القاهرة.
نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين لمحمد عبدالله عنان ط3, مط. لجنة التأليف القاهرة 1386-1966.
هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي استانبول 1951.
هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله لابن خليفة عليوي دمشق 1398.
همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية لعبدالرحمن السيوطي. ط1, 1327.
الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. دمشق المط. الهاشمية 1959.
الوافي في العروض والقوافي. صنعة الخطيب التبريزي. دار الفكر ط2, 1975-1395.
وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ للدكتور عباس الجراري. الدارالبيضاء ط1, 1396-1976.
ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين للأستاذ محمد المنوني. منشورات كلية الآداب الرباط. الرباط 1399-1979.
الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني.مط. عيسى البابي.
وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الزياني ط. 1399.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان, دار صادر بيروت.
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لعبد الملك الثعالبي ط2, م. السعادة, 1375-1956.

الفهرس المفصل لمحتويات الكتاب

القسم الثالث:

رقم الإداع القانوني : 2003/1708
ردمك : 9981-826-81-2

مطبعة إليت
الهاتف : 037 81 41 45/46/47